

مِلَالُ النَّاوِيلِ

القاطع بذوي الاحساء والتعطيل في توجيه
المتشابه اللفظ من أي التنزيل

للفني جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الفندسجي الغزنائي

٦٢٧-٧٠٨ هـ

السَّفَرُ الْأَوَّلُ

تحقيق

الدكتور محمد كامل أحمد

مدرس الدراسات الإسلامية بآداب عين شمس
وعضو لجنة تحقيق التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
بالقاهرة

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر
بيروت - ص ١٩٧٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

١ - ترجمة المؤلف*

١ - اسمه ونسبه:

ابن الزُّبَيْر من بني ثقيف من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس^(١). وتختلف المصادر فيما بينها اختلافاً ظاهراً في سرد اسم المؤلف ونسبه، ما بين موجز ومستقص. ولما كان جماعة - غير صاحبنا - من العلماء، من معاصري ابن الزُّبَيْر وممن سبقوه قد جعل: «ابن الزبير» علماً لكل منهم، وشاركه بعضهم في اسمه الأول، كان لزماً نسبة كل اسم في سلسلة نسبه إلى المصادر، ذكراً وحذفاً.

صاحبنا هو: أحمد بن إبراهيم^(٢) بن الزبير^(٣) بن محمد^(٤) بن

(*) مصادر الترجمة: بغية الوعاة ٢٩١/١، الدرر الكامنة ٨٤/١، الشذرات ١٦/١، التكملة لابن عبد الملك، نقلاً عن الدرر الكامنة، الديباج المذهب ٣/١، الاحاطة ٩٥/١، درة الحجال ١١/١، غاية النهاية ٣٢/١، شجرة النور الزكية ٢١٢/١، البدر الطالع ٣٣/١، المنهل الصافي ١٩٧/١، تذكرة الحفاظ ٢٦٥/٤، الوافي بالوفيات ٢٢٢/٦، العبر في خبر من خبر ٤٠/١٧، الأعلام ٨٣/١، معجم المؤلفين ١٣٨/١.

(١) الاحاطة ١٩٥/١.

(٢) ما بعده إلى آخر الاسم ساقط من تذكرة الحفاظ.

(٣) ما بعده إلى آخر الاسم ساقط من العبر.

(٤) من هنا إلى مرة ساقط من العبر.

إبراهيم بن الزبير^(١) بن الحسن^(٢) بن الحسين^(٣) بن الزبير^(٤) بن
عاصم^(٥) بن مسلم^(٦) بن كعب^(٧)، بن مالك^(٨) بن علقمة بن حيان بن مسلم
ابن عدي^(٩) بن مرة^(١٠) بن عوف^(١١) الثقفي^(١٢) العاصمي^(١٣)،
الجاني^(١٤)، الغرناطي^(١٥)، وكُنِيته: أبو جعفر^(١٦).

(١) ساقط من: الدرر، الشذرات، الاحاطة، الشجرة، البدر الطالع.

(٢، ٣) في البغية، التكملة، الاحاطة، غاية النهاية.

(٤) في التكملة، الاحاطة، غاية النهاية.

(٥) ساقط من: البغية، الشذرات، الديباج، الدرة، غاية النهاية، الشجرة.

(٦، ٧) في الدرر، التكملة، الاحاطة، البدر الطالع.

(٨) من هنا الى «مسلم» في التكملة، والاحاطة فقط.

(٩) هكذا صححه ابن الخطيب في الإحاطة، وفي «التكملة»: «علي»، ولم يرد في بقية المصادر.

(١٠) في التكملة، والاحاطة فقط.

(١١) هكذا في الاحاطة، وفي التكملة: «كعب»، ولم يرد في بقية المصادر.

(١٢) في الاحاطة: «بن ثقف»، وساقطة من الدرر، والمنهل، والوافي.

(١٣) في البغية، التكملة، الدرة.

(١٤) في البغية فقط.

(١٥) في البغية، الدرة، الشجرة، غاية النهاية.

(١٦) ومن سمي بابن الزبير:

- أبو إسحق بن الزبير، تلميذ المليلوطي المتوفى ٦٢٧ هـ (البغية ١/٣٧٤).

- أحمد بن عبد الله بن الزبير، أبو العباس الحنابري المتوفى ٦٩٠ هـ (غاية النهاية ١/٧٣).

- ابن الزبير الغساني المصري، المعروف بالرشيد الأسواني المتوفى ٥٦٣ هـ (البغية ١/٣٣٧).

- جعفر بن الزبير، أبو القاسم، المتوفى ٧١٥ هـ (الدرة ٣/٢٧٩).

ابن الزبير الأصغر، واسمه أحمد:

عاصر المؤلف وشاركه في الأخذ عن بعض الأشيخ حتى أواخر القرن السابع الهجري. وله

فهرست بمشيخته أجاز له فيها: الخلاطي، وغالب الكلبي، وابن الخطيب المزة عام ٦٨٤،

ويحيى البلوي عام ٦٩٠، وابن المربني المالقي عام ٦٩٢، وابن فضيلة المعافري المتوفى

عام ٦٩٦ - بغرناطة، ولقى ابن منظور القيسي، وابن الشاط بسبته عام ٦٨٦، ولقى

السكوب في مالقة عام ٦٨٥. انظر: درة البحال ٣/١٠٩، ١١٢، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٤، ٣٢٩،

٣٤٣، ٣١٨، ٣٢٨، ٢٧٠.

- علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الأسدي، أبو الحسن، المعروف بابن الكوفي المتوفى ٣٤٨ هـ

(البغية ٢/١٩٥).

- محمد بن علي بن الزبير، أبو عبد الله، كاتب أبي المعالي زيدان بن أمير المؤمنين، أبي العباس

أحمد المنصور (الدرة ٢/٢٣٧).

كان ابن الزبير يلقب بالأستاذ^(١) وبأستاذ الجماعة^(٢) تعظيماً لنباهة شأنه في علوم الدين والدنيا. وقد عبر لسان الدين ابن الخطيب عن عالي مكانته في جَيَّان فقال: «نسبه بها كبير، وحسبه أصيل، وثروته معروفة»^(٣).

٢ - نشأته وشخصيته :

ولد ابن الزبير في مدينة جيان «Jean» بمنزل قِلُنْشَرِين^(٤) في ذي القعدة عام سبع وعشرين وستمائة. خرج به أبوه عند تغلب العدو على جيان عام ثلاثة وأربعين وستمائة إلى مدينة مالقة «Malaga» فتكون سنهُ آنذاك ستة عشر عاماً. وكان أبوه إذ ذاك ثرياً ثراء عريضاً، وكان ذا جِدَّة مما أعانه على طلب العلم، وإرفاد من أحوجته الأزمة ممن نزع من قرطبة وأشبيلية كأبي الحسن الصائغ وغيره، فنصحوا له وخطبوا في حبله^(٥).

ويزعم الحافظ الذهبي (ت - ٧٤٨) أنَّ ابن الزبير طلب العلم في سنة ست وأربعين وستمائة، وهو ما لستُ واجده فيما بين يديَّ من المصادر، إلا فيما رواه ابن العماد الحنبلي عن الذهبي^(٦). والذهبي بعد تفرده بهذا الخبر يذكر في تذكرته ما نصه: «سمع [أي ابن الزبير] سنة خمس وأربعين وبعدها من سعيد بن محمد الحفار، وأبي زكريا يحيى بن أبي الغصن، وإسحاق بن إبراهيم بن عامر الطوسي، ومحمد بن عبد الرحمن بن جبرير البلنسي، وأبي إسحاق، وإبراهيم بن محمد، وخلق كثير»^(٧)، فلم ينص

(١) الإحاطة ٤٧٢/١، ٥٠١، وغيرهما، البرهان للزركشي ٤٢٢/٤، تاريخ قضاة الأندلس ١٠٩، ١١٠، ١١٣، ١١٨، ١٢٧، ١٤٠.

(٢) الإحاطة ٣٨٢/١.

(٣) نفسه ١٩٥.

(٤) نفسه ١٩٥، ١٩٦.

(٥) العبر ٤٤/١٧، الشذرات ١٦/١.

(٦) تذكرة الحفاظ ٢٦٥/٤، الوافي ٢٢٢/٦.

على أنها بداية طلبه العلم، وإنما هي مرحلة من مراحل سماعه، وأُخْذِيَ عن
الأشياخ في الغالب، إذ لا يقبل عقلاً أنه مكث تسعة عشر عاماً لا يحفظ
القرآن، ولا يجمع القراءات والتفسير والفقه، وبقيّة ما جرى عُرِفَ أهل
عصره على تعليمه للصغير وأدائه^(١). أضف إلى هذا أنه بدأ في طلب العلم
قبل خروجه من «جيان» عام ثلاثمائة وثلاث وأربعين، فكان يقرأ هو وأترابه
«رواية ورش» على الشيخ أحمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو جعفر الهاشمي
من أهل جيان^(٢).

وما زال ابن الزبير يترقى في مدارج علوم اللغة والدين حتى انتهت إليها
رياستها، وأصبح محط رِحال العلماء، لسعة معارفه، ورسوخ قدمه. وبدلنا
على قيمته العلمية أنه كان صدر صدور الحفاظ في عمره، فالحافظ هو
الكامل من العلماء تحملاً وأداءً للأصليين وما يتعلق بهما من علوم الدين
واللغة. ويزيد ابن عبد الملك في كتاب «التكملة» انفراد ابن الزبير بالمثابرة
على نشر هذه العلوم طيلة نهاره فيقول إنه: «تصدر لإقراء كتاب الله تعالى،
واسماع الحديث، وتعليمهم العربية، وتدريس الفقه، عاكفاً على ذلك عامة
نهاره، مثابراً على إفادة العلم ونشره. انفراد بذلك، وصارت الرحلة إليه، وهو
من أهل التجويد والإتقان، عارفٌ بالقراءات»^(٣). ومما يذكر أصحاب كتب
الطبقات التي ترجمت لابن الزبير من العلوم التي تفوق فيها ابن الزبير
وانتهت إليه رياستها علوم: التفسير، والحديث، والقراءات، والنحو،
والتاريخ، والنقد، مع التركيز بصفة خاصة على تفوقه في علم الحديث
النبوي الشريف ومصطلحه فاستحق لقب مُحَدِّث الأندلس، بل المغرب في

(١) انظر: فتح المغيث ٤٥/٢، مقدمة ابن الصلاح ١٣٩.

(٢) غاية النهاية ٣٧/١.

(٣) الدرر الكامنة ٨٤/١، ٨٥، وانظر: الشجرة ٢١٢، البدر الطالع ٣٣، ٣٤، المنهل
١٩٧/١، ١٩٩، الشذرات ١٦/١، تذكرة الحفاظ ٢٦٥/٤.

زمانه. وفي ذلك يقول تلميذه أبو حيان الأندلسي في كتاب «النصار»: «كان مُحَدِّثًا، جليلاً، ناقدًا، نحويًا، وأصوليًا فصيحًا، مفوهًا، وحسن الخط، مقرئًا، مفسرًا، مؤرخًا. أقرأ القرآن، والنحو، والحديث بمالقة وغرناطة وغيرهما. وكان كثير الإنصاف، ناصحًا في الإقراء. خرج من مالقة، ومن طلبته أربعة يقرأون كتاب سيوييه»^(١).

ووراء هذه الشخصية العلمية، نرى المترجمين لابن الزبير يذكرون الجانب الآخر من شخصيته السلوكية الاجتماعية، فنقرأ لهم يرددون مثل قول ابن الخطيب عنه: «إنه كان كثير الخشوع والخشية، مسترسل العبارة، صليبا في الحق، شديداً على أهل البدع، ملازماً للسنة، جزلاً مهيأً معظماً عند الخاصة والعامة، عذب الفكاهة طيب المجالسة حلو النادرة، يؤثر عنه في ذلك حكايات لا تُجَلُّ بوقار، ولا تُجَلُّ بجلال منصب»^(٢).

ولتصلب ابن الزبير في الحق، «نشأت بينه وبين المتغلب بمالقة من الرؤساء التَّجِيبِيِّين من بني أَشْقِيلُولَة وحشة أكدتها سعاية بعض من استهواهم رجل مُمَخْرَقٌ من بني الشعوذة، ومتحلي الكرامة يمتطيها، زعموا أنه ينسب إلى النبوة يعرف «بالفزاري» واسمه «إبراهيم»، غريب المتزع، فذ المآخذ، أعجوبة من أعاجيب الفتن، يخبر بالقضايا المستقبلية، ويتصور سور حمى العادة في التطور عن التقشف والخلابة. تبعه ثاغية وراغية من العوام الصم البكم مستفزِينَ في حياته وبعد زمن من مقتله على يد الأستاذ»^(٣) بغرناطة»^(٤).

(١) بنية الوعاة ١/ ٢٩١، ٢٩٢، وانظر: الديباج/ ٤٢، البدر الطالع/ ٣٣، غاية النهاية

٣٢/١، الإحاطة ١/ ١٩٦، تذكرة الحفاظ ٤/ ٢٦٥.

(٢) الإحاطة ١/ ١٩٦.

(٣) يريد بالأستاذ ابن الزبير.

(٤) الإحاطة ١/ ١٩٨، وانظر: الدرر ١/ ٨٥.

ويعلل لسان الدين ابن الخطيب ضياع كتب ابن الزبير بهذه المحنة، فقد ذكر هو والنَّبَاهِيُّ أنَّ ابن الزبير والقاضي الحسن بن الحسن الجذامي قد أنكرا على «إبراهيم الفَزَارِي» وَلِيُّ بني أشقيلولة أيام ثورتهم برية، وامتنعوا لما أظهره لهم من البدعة، وادعاء النبوة. وعند ذلك استغاث إبراهيم بالمتغلب الذي كان مفتوناً بسحرياته ومظاهراً في مَحَالِهِ. وبلغ هذا ابن الزبير فقر من مالقة، وكُسِّرَ منزله لحيته فاستولت الأيدي على ذخائر كتبه، وفوائد تقييده عن شيوخه على ما طالت به الحسرة، وجلت فيه الرزية. وأُتِيَ لِيَقْتَلَ فَأُفِلَتْ ولأذ- بأمير المسلمين الأمير أبي عبد الله بن الأمير الغالب بالله بن نصر المدعو بالفقيه، فأكرم مثواه وعرف حقه، واثال عليه الجرم الغفير لالتماس الأخذ عنه^(١).

وفي هذه الفترة ألف ابن الزبير كتاب: «ملاك التأويل» كما يصرح هو نفسه أنه ألفه لأمير المسلمين بن أمير المسلمين^(٢). غير أن هذا الحال لم يدم طويلاً فقد عرَضَ أن تغير عليه السلطان بسعاية ووشاية. ذلك أن جاراً له من صلحاء القرابة النصرية كان يتابه لنسبة الخيرية نمت عنه في باب تفصيله، واستهالت للأمر كلمة أوجبت امتحانه، وتخلل تلك الألفية من الشك ما قصر المحنة على إخراجهِ من منزله المجاور لذلك المتهم، ومنعه من النظر، والتزامه قعر منزل، انتقل إليه بحال اعتزال من الناس محجوراً عليه مداخلتهم. فمكث على ذلك زمناً طويلاً، إلى أن سُرِّيت عنه النكبة، وأقشعت المَوْجِدَة فتخلص من سوادها بدوره، وحسنت حاله، وعظمت في الأمر غاشيته، وظفر بكثير من متهب الكتب. وآلت الدولة للأمير أبي عبد الله بن نصر بمالقة فطالب الفزاري المذكور واستظهر بالشهادات عليه. ذلك

(١) هذا النص ملفق من كتابي: «تاريخ قضاة الأندلس / ١٢٨، ١٢٩، الإحاطة ١ / ١٩٨».

(٢) راجع ملك التأويل ١ / ٣٦، ٣٧.

انه - كما يقول ابن عبد الملك في التكملة - : «اتفق قدوم الفزاري رسولاً من أمير مالقة، فاجتمع أبو جعفر بصاحب غرناطة ووصف له حال الفزاري، فأذن له إذا انصرف بجواب رسالته أن يخرج إليه ببعض أهل البلد ويطلبه^(١) من باب الشرع ففعل فثبت عليه الحد، وحكم بقتله فضرب بالسيف فلم يَجُلْ فيه. فقال أبو جعفر: جردوه، فوجدوا جسده مكتوباً فُعل، ثم وجد تحت لسانه حجراً لطيفاً فنزعه؛ فجال فيه السيف حيث^(٢)».

وبعدُ فالإجماع منعقد على أن ابن الزبير كان ثقة قائماً بالأمر بالمعروف وانهي عن المنكر، قائماً لأهل البدع، وله مع ملوك عصره وقائع، وكان معظماً عند الخاصة والعامة^(٣). بل إن تلميذه أبا حيان النحوي صاحب تفسير «البحر المحيط» لم يكتف بهذه الصياغة، فنزع بالنص السابق إلى المبالغة وأبنيته فقال: «وكان مُحَدِّثُ الأندلس، بل المغرب في زمانه، خيراً صالحاً، كثير الصدقة، معظماً عند الخاصة والعامة متحريراً، وأماراً بالمعروف نهياً عن المنكر، لا ينقل قدمه إلى أحد. جرت له في ذلك أمور مع الملوك صبر فيها، ونطق بالحق بحيث أدى إلى التضيق عليه وحبه^(٤)». وقد تغلب ابن الزبير في هذا الوقت في عدة مناصب فكان إمام الجامع الكبير بغرناطة يخطب فيه، ويفتي الناس، كما تولى قضاء الأُنْكحة. وفي هذا ينقل السيوطي عن أبي حيان قوله مبيناً ما ذكرناه آنفاً من بدايته بقوله: «ثم عرض أن السلطان تغير عليه فجعل سجنه داره، وأذن له في حضور الجمعة. فلما مات شيوخ غرناطة، وشغل البلد عن عالم؛ رضي عليه، وقعد بالجامع يفيد

(١) هكذا في النص.

(٢) الدرر ١/٨٥، ٨٦.

(٣) البدر ٣٤، ٣٥، الدرر ١/٨٦.

(٤) النصار، نفلاً عن البنية ١/٢٩٢.

الناس، وولي الخطابة، والإمامة بالجامع الكبير، وقضاء الأنكحة، وتخرج عليه جماعة. وبه أبقي الله ما بأيدي الطلبة من العربية وغيرها^(١).

٣ - شيوخه:

سمع ابن الزبير من أجل علماء عصره، وتفرد ببعض ما كان يسمعه منهم. ويصل عدد شيوخ ابن الزبير الى أربعمئة شخص كما يقول: ابن فرحون، ومحمد مخلوف^(٢). ولابن الزبير فهرست جمع فيه أسماء شيوخه وتراجمهم كما تحدثنا المصادر. ومن شيوخه:

١ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النفزي الأبيدي (ت - ٦٥٩ هـ)^(٣).

٢ - إبراهيم بن محمد بن الكمال^(٤).

٣ - أحمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو جعفر الهاشمي الجباني (ت - ٦٤٦ هـ)^(٥).

٤ - أحمد بن الحسين الحضرمي، أبو المجد^(٦).

٥ - أحمد بن صابر، أبو جعفر النحوي^(٧).

٦ - أحمد بن عبد الله بن الحسن الأنصاري المالقي، المدعو بحميد (ت - ٦٥٢ هـ)^(٨).

٧ - أحمد بن عبد الله بن محمد بن عميرة المخزومي البلسني (ت - ٦٥٨ هـ)^(٩).

(١) البغية ٢٩٢/١.

(٢) الديباج ٤٢، الشجرة ٢١٢.

(٣) البغية ٤٢٤/١، الأحاطة ٣٧٥/١، الديباج ٩١.

(٤) البدر ٣٣، الدرر ٨٤/١.

(٥) غاية النهاية ٣٧/١.

(٦) الشجرة ٢١٢، الديباج ٤٢.

(٧) البغية ٣١١/١.

(٨) الديباج ٤٦، الشجرة ١٩٤.

(٩) الشجرة ١٩٥، الأحاطة ١٧٩/١.

٨ - أحمد بن عثمان بن محمد بن إبراهيم التجيبي الغرناطي ، أبو جعفر
الورّاد وسماه ابن الزبير: أحمد بن محمد بن عثمان، وقال ابن عبد
الملك: وهو غلط (ت - ٦٥٨ هـ) (١).

٩ - أحمد بن عمر بن مضر (٢).

١٠ - أحمد بن محمد بن خديجة، أبو جعفر (٣).

١١ - أحمد بن يوسف أبو العباس، المعروف بابن فرقون السلمي (ت -
٦٦٠ هـ) (٤).

١٢ - إسحاق بن إبراهيم بن عامر الطوسي (ت - ٦٥٠ هـ) (٥).

١٣ - أبو إسحاق الكماد (٦).

١٤ - إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل ، أبو الوليد الأزدي الغرناطي
(ت - ٦٦٨ هـ) (٧).

١٥ - الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري
الغرناطي (ت - ٦٩٩ هـ) (٨).

١٦ - أبو الحسين السراج (٩).

١٧ - القاضي أبو زكريا بن أحمد بن عبد الرحمن المرابط (١٠).

(١) البغية ١/٣٣٥.

(٢) غاية النهاية ١/٣٢.

(٣) الديباج ٤٢.

(٤) البغية ١/٢٩١، المنهل ١/١٩٩، الشجرة ١/٢٠٠١، البدر ٣٣، الدرر ١/٨٤، نيل
الابتهاج ٦٣.

(٥) غاية النهاية ١/١٥٥، الوافي ٦/٢٢٢، المنهل ١/١٩٨، التذكرة ٤/٢٦٥، الدرر ١/٨٤.

(٦) المنهل ١/١٩٨، الوافي ٦/٢٢٢.

(٧) غاية النهاية ١/١٧٠، البدر ٣٣، التذكرة ٤/٢٦٥.

(٨) تاريخ قضاة الأندلس ١٢٧، درة البحال ١/١١.

(٩) الديباج ٤٢، الشجرة ٢/٢١٢، الدرر ٣٣، المنهل ١/١٩٩، الوافي ٦/٢٢٢.

(١٠) المنهل ١/١٩٩، الوافي ٦/٢٢٢.

- ١٨ - سعد بن محمد بن محمد، أبو الحسن الأنباري الفرناطي المقابري
الحفار (ت - ٦٤٦ هـ) ^(١).
- ١٩ - سليمان بن خُوَظ الله الأنصاري، أبو عمر ^(٢).
- ٢٠ - عبد الرحمن بن عبد المنعم بن الفَرَس، أبو يحيى ^(٣).
- ٢١ - عبد الله بن أحمد بن محمد بن عطية المالقي (ت - ٦٤٨ هـ) ^(٤).
- ٢٢ - أبو عبيد الله الحجري ^(٥).
- ٢٣ - عبد الله بن عثمان بن حكم القرشي (ت - ٦٩٧ هـ) ^(٦).
- ٢٤ - أبو عبيد الله بن عطية ^(٧).
- ٢٥ - أبو عبد الله الطراز ^(٨).
- ٢٦ - عبد المحسن بن موسى بن سليمان. أجاز لابن الزبير سنة
(٦٨٧ هـ) ^(٩).
- ٢٧ - علي بن عبد الكريم بن عبد الله. وقف ابن الزبير على إجازته سنة
(٦٨٤ هـ) ^(١٠).
- ٢٨ - علي عبد الله بن خلف بن النعمة، أبو الحسن الأنصاري المعروف
بالبلنسي (ت - ٥٦٧ هـ) ^(١١).

-
- (١) غاية النهاية ٣٠٣/١، الشجرة ٢١٢/، التذكرة ٢٦٥/٤.
- (٢) الإحاطة ٥١١/١، الديباج ٤٢/، الشجرة ٢١٢/.
- (٣) البُغية ٢٩٢/١، والوافي ٢٢٢/٦، المنهل ١٩٩/١.
- (٤) البُغية ٣٣/٢.
- (٥) المنهل ١٩٨/١، الوافي ٢٢٢/٦، التذكرة ٢٦٥/٤.
- (٦) درة الحجال ٤٦/٣.
- (٧) الشجرة ٢١٢/.
- (٨) نفسه.
- (٩) درة الحجال ١٦١/٣.
- (١٠) نفسه ٢٣٢/٣.
- (١١) غاية النهاية ٥٥٣/١.

- ٢٩ - علي بن محمد بن علي بن أحمد بن حسن الطائي، أبو الحسن، المعروف بابن مسمغور. أجاز لابن الزبير عام ٧٠٨ هـ^(١).
- ٣٠ - علي بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى الشاري، أبو الحسن (ت - ٦٤٩ هـ)^(٢). والشاري أحد ثلاثة قرأ عليهم ابن الزبير بالسبع هم: الشاري، وابن حسن، وأبو الوليد الأزدي؛ كما يقول الصفدي في الوافي بالوفيات^(٣).
- ٣١ - علي بن عيسى بن موسى. وقف ابن الزبير على خطه بالإجازة سنة (٦٨٤ هـ)^(٤).
- ٣٢ - مالك بن عبد الرحمن السبتي المعروف بابن المُرخل (ت - ٦٩٩ هـ)^(٥).
- ٣٣ - محمد بن إبراهيم الطائع، المعروف بمشعور (ت - ٦٧٠ هـ)^(٦).
- ٣٤ - محمد بن أحمد بن سيد الناس، أبو بكر (ت - ٦٥٧ أو ٦٥٩ هـ)^(٧).
- ٣٥ - محمد بن أحمد بن خليل السُّكوني^(٨).
- ٣٦ - محمد بن أحمد العاصمي، أبو بكر^(٩).
- ٣٧ - محمد بن أحمد بن عبد الملك بن موسى بن أبي جمرة (ت - ٥٩٩ هـ)^(١٠).

(١) درة الحجال ٢٣٠/٣.
 (٢) غاية النهاية ٣٢/١، ٧٥٤، المنهاج ١٩٨/١.
 (٣) انظر الوافي ٢٢٢/٦.
 (٤) درة الحجال ٢٣٠/٣.
 (٥) الشجرة / ٢٠٠.
 (٦) غاية النهاية ٤٤٨، ٤٤٧/١.
 (٧) الشجرة / ١٩٤، الديباج / ٤٢.
 (٨) الوافي ٢٢٢/٦، البدر / ٣٣، المنهاج ١٩٩/١، الدرر ٨٤/١، لبغية ٢٩٢/١.
 (٩) غاية النهاية ٣٤/٢.
 (١٠) نفسه ٦٩/١.

٣٨ - محمد بن أحمد بن عبيد الله، أبو بكر التجيبي الأشيلي
(ت - ٦٦٦ هـ) (١).

٣٩ - محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن جُوَيْر، أبو عبيد الله الأنصاري
البلنسي (ت - ٦٥٥ هـ). سمع التيسير عن ابن أبي جمرة، عن أبيه
الداني إجازة وهو سند في غاية العلو (٢).

٤٠ - محمد بن سعيد بن علي الأنصاري، أبو عبيد الله (ت - ٦٤٥ هـ) (٣).
٤١ - محمد بن عبد الله عبد العظيم بن أَرْقَم، الوادي آشي، أبو عامر
(ت - ٧٤٠ هـ) (٤).

٤٢ - محمد بن عبيد الله الأزدي (٥).

٤٣ - محمد بن محمد بن حسنون، أبو بكر الكثاني الحميري الأندلسي.
توفي ما بين: ٦٠٤، ٦٠٨ هـ (٦).

٤٤ - محمد بن يوسف، أبو عبد الله الطنجالي (٧).

٤٥ - محمد بن يوسف بن موسى الغرناطي. قال ابن فرحون: «كُتِبَتْ نَسَبُهُ
وأسماء شيوخه من برنامج الإمام العلامة أبي جعفر بن الزبير» توفي
٦٦٣ هـ (٨).

٤٦ - يحيى بن أبي الغصن، أبو زكريا (٩).

(١) غية النهاية ٧٠/٢.

(٢) نفسه ١٦٠/٢، المهمل ١٩٨/١.

(٣) الشجرة ١٨٢/١ - ١٨٣.

(٤) البغية ١٣٩/١.

(٥) المهمل ١٩٩/١، الوافي ٢٢٢/٦.

(٦) غية النهاية ٢٤١/٢، التذكرة ٢٦٥/٤.

(٧) فرة الحجال ١١/١.

(٨) الديباج ٣٤١.

(٩) غية النهاية ١٠٤/١.

٤٧ - يوسف بن أبي ربحانة المالقي^(١).

٤٨ - أبي يعقوب الحُسَّاني^(٢).

٤٩ - أبو اليمن بن عساكر^(٣).

ومما تفرد ابن الزبير بسماعه «السنن الكبرى» للإمام النسائي (ت/٣٠٣هـ) سمعه من أبي الحسن الشاري بسماعه من أبي محمد عبد الله الحجري، عن البطروشي حتى يصل إلى النسائي، بين ابن الزبير وبين الشاري ستة أنفس^(٤).

٤ - تلاميذه:

وكما تتلمذ ابن الزبير على أيدي كبار أعلام عصره فقد خرج عدداً كبيراً من علماء عصره وفي مقدمتهم أبو حيان السحوي، وابن الزيات، وابن الحاج وغيرهم في كافة ألوان الثقافة اللغوية والدينية. وممن أخذ عن ابن الزبير وتلمذ على يديه:

١ - إبراهيم بن يحيى بن زكريا، أبو إسحاق (م/٧٥١هـ)^(٥).

٢ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن علي التنوخي (ت/٧٢٦هـ)^(٦).

٣ - أحمد بن الحسن بن علي الزيات الكلاعي (ت/٧٢٨هـ)^(٧).

(١) درة المجال ١/١١.

(٢) الوافي ٦/٢٢٢.

(٣) البغية ١/٢٩٢.

(٤) المنهل ١/١٩٩، الوافي ٦/٢٢٣، التذكرة ٤/٢٦٥، الشذرات ١/١٦، المعبر ١٧/٤٤.

(٥) تاريخ قضاة الأندلس/١٥٤.

(٦) البغية ١/٤٢٤، ٣٢٥.

(٧) الاحاطة ١/٢٩٥، غاية النهاية ١/٤٧، ٤٨، الشجرة ٢١٢، الديباج ٤٣.

- ٤ - أبو العباس أحمد المعروف بالمِكناسي (ت ٧٥٢ هـ) ^(١).
- ٥ - أحمد بن سعد بن علي بن محمد، أبو جعفر الأنصاري، المعروف بالجزيري من أهل غرناطة إمام كامل، مقرر، محرو، عارف مجود، (ت ٧١٢ هـ) ^(٢).
- ٦ - أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني المكناسي (ت ٧٥٣ هـ) ^(٣).
- ٧ - أحمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف، أبو جعفر الكلاعي، يعرف بالأغر. مالقي، مجود، متقن يعرف بالأغن (ت ٧٢٧ هـ) ^(٤).
- ٨ - أحمد بن عتيق بن باق، أبو جعفر الجهني الفرناطي (ت ٧٣٢ هـ) ^(٥).
- ٩ - أحمد بن عبد الولي بن أحمد، أبو جعفر الرعيني الفرناطي، يعرف بالقواد صنعة لأبيه (ت ٧٥٠ هـ) ^(٦).
- ١٠ - أحمد بن محمد بن أحمد بن قُعب الأزدي، أبو جعفر يعرف بابن قعب (ت ٧٣٢ هـ) ^(٧).
- ١١ - أحمد بن محمد بن رشيد الفهري (ت ٧٧٩ هـ) ^(٨).
- ١٢ - أحمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن علي بن محمد بن مالك المعافري، أبو جعفر، من أهل غرناطة (ت ٧٢٦ هـ) ^(٩).
- ١٣ - سعيد بن الشيخ أبي جعفر أحمد بن المون التجيبي (ت ٧٣٦ هـ) ^(١٠).

(١) الشجرة / ٢١٨، وفي درة الحجال ٩٤/١ أبو العباس أحمد الزواري الشيباني هكذا؟
 (٢) غاية النهاية ٥٦/١، البغية ٣٠٩/١.
 (٣) نيل الابتهاج / ٦٩.
 (٤) غاية النهاية ٧٢/١، درة الحجال ١٢٩/١.
 (٥) غاية النهاية ٧٩/١، درة الحجال ١٣٧/١.
 (٦) الاحاطة ٢٠٠/١، غاية النهاية ٧٨/١.
 (٧) الاحاطة ١٧٢/١.
 (٨) نيل الابتهاج / ٧٣.
 (٩) درة الحجال ١٢٩/١.
 (١٠) الشجرة / ٢١٤.

- ١٤ - سعد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد التجيبي (ت / ٧٥٠ هـ) ^(١).
- ١٥ - سلمون بن علي بن عبد الله بن سلمون الكناني ، أبو القسم ^(٢).
- ١٦ - عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد القيسي ، يعرف بابن شعيب الخطيب بجامع الثرية (ت / ٧٣٧ هـ) ^(٣).
- ١٧ - عبد الرحمن بن مخلوف الثعلبي الجزائري (ت / ٨٧٦ هـ) ^(٤).
- ١٨ - عبد العزيز بن محمد بن عبد الحق الدمشقي ، عز الدين (م / ٦٢٥ هـ) ^(٥).
- ١٩ - عبد الله بن علي بن سليمان الكحال ، أبو محمد اللقبني (ت / ٧١١ هـ) ^(٦).
- ٢٠ - القاضي أبو محمد بن عبد الله بن يحيى الأنصاري (ت / ٧٤٥ هـ) ^(٧).
- ٢١ - عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون ، أبو محمد الكناني ^(٨).
- ٢٢ - عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم بن محمد الحضرمي ، أبو محمد (ت / ٧٤٩ هـ) ^(٩).
- ٢٣ - عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد ، أبو محمد الباهلي (ت / ٧٠٥ هـ) ^(١٠).

-
- (١) درة الحجال / ١٢٥ .
- (٢) الديباج / ١٢٥ .
- (٣) درة الحجال ٣ / ٧٣ .
- (٤) نفسه / ٨٤ .
- (٥) نفسه / ١٣٤ .
- (٦) غاية النهاية ١ / ٤٣٥ .
- (٧) تاريخ قضاة الأندلس / ١٥٢ .
- (٨) غاية النهاية ١ / ٤٣٦ .
- (٩) درة الحجال ٣ / ١٧٣ ، لشجرة / ٢١٨ ، البغية ٢ / ١١٦ .
- (١٠) غاية النهاية ١ / ٤٧٧ ، لبغية ٢ / ١٢١ ، درة الحجال ٣ / ١٣٧ .

٢٤ - علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان، المعروف بابن الجنياب (ت / ٧٤٩ هـ) (١).

٢٥ - علي بن سليمان بن أحمد بن سليمان، أبو الحسن القرطبي (٢).

٢٦ - علي بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله الكناني، أبو الحسن القيحاوي (ت / ٧٣٠ هـ) (٣).

٢٧ - عيسى بن يحيى بن أحمد السبتي، أبو الهدى (٤).

٢٨ - أبو القاسم بن سلمون (ت / ٧٦٨ هـ) (٥).

٢٩ - محمد بن إبراهيم بن محمد السيار، ويعرف بالبيساني (ت / ٧٥٣ هـ) (٦).

٣٠ - محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر اللوانوغي، أبو عبد الله (ت / ٨١٩ هـ) (٧).

٣١ - محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبى، أبو القاسم (ت / ٧٤١ هـ) (٨).

٣٢ - محمد بن أحمد بن محمد بن علي الفساني، أبو القاسم. ويعرف: بابن حفيد الأمين (ت / ٧٤١ هـ) (٩).

٣٣ - محمد بن أحمد بن فرج اللخمي الغرناطي، معروف بالطرسوني (١٠).

(١) البغية ٢/ ١٨٩، الشجرة ٢١٣، درة الحجال ٣/ ٢٤٣.

(٢) غاية النهاية ١/ ٥٤٤.

(٣) نفسه ٥٧٧.

(٤) درة الحجال ٣/ ١٩٠.

(٥) تاريخ قضاة الأندلس ١٦٧.

(٦) درة الحجال ٢/ ٤٩، الديباج المذهب ٢٩٧.

(٧) نيل الابتهاج ٢٨٦، البغية ١/ ٣١، درة الحجال ٢/ ٣٨.

(٨) غاية النهاية ٢/ ٨٣، الديباج ٢٩٥، الشجرة ٢١٢.

(٩) الديباج ٢٩٩.

(١٠) نيل الابتهاج ٢٣٢، البغية ١/ ٣٨.

٣٤ - محمد بن جعفر بن محمد بن جعفر الأسلمي، أبو عبد الله (ت ٧٣٦ هـ) ^(١).

٣٥ - محمد بن عبيد الله بن منصور القيسي (ت ٧٥٠ هـ) ^(٢).

٣٦ - محمد بن علي بن أشرص، أبو عبد الله (ت ٧٤٨ هـ) ^(٣).

٣٧ - محمد بن علي بن يحيى، أبو عبد الله، المعروف بالشامي (ت ٧٣٢ هـ) ^(٤).

٣٨ - محمد بن محمد بن إبراهيم بن حزب الله البلقيني، المعروف بابن الحاج، أبو البركات (ت ٧٧١ هـ) ^(٥).

٣٩ - محمد بن عبد الله بن سعيد التلمساني، يعرف بابن الخطيب، الملقب بذي الوزارتين، لسان الدين (ت ٧٧٦ هـ) ^(٦).

٤٠ - محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد من أهل اصطبونة. يكنى أبا بكر ويعرف بالقللاوسي (ت ٧٠٧ هـ) ^(٧).

٤١ - محمد بن محمد بن سهل بن مالك، أبو القاسم الغرناطي. يعرف بالوزير مقرئ جليل (ت ٧٣٠ هـ) ^(٨).

٤٢ - محمد بن محمد بن محمد بلّيش الغبّري، أبو عبد الله (ت ٧٥٣ هـ) ^(٩).

(١) درة المجال ٧٧، ٧٦/٢.

(٢) تاريخ قضاة الأندلس / ١٥٤.

(٣) الشجرة / ٢١٣.

(٤) غاية النهاية ٢١٢/٢.

(٥) الشجرة / ٢٢٩، غاية النهاية ٢٣٥/٢، نيل الابتهاج / ٢٥٤.

(٦) نفسه.

(٧) الديباج / ٣٠٢.

(٨) غاية النهاية ٢٤٠/٢، درة المجال ١٠٠/٢.

(٩) البنية / ٢٣٣.

- ٤٣ - محمد بن مهلب بن محمد بن عباس الحجري . قال البليقي : لقينته بمالقة سنة - ٧٠٨ هـ (١) .
- ٤٤ - القاضي محمد بن يحيى الأشعري المالقي ، المعروف بابن بكر من ذرية أبي موسى الأشعري (ت / ٧٤١ هـ) (٢) .
- ٤٥ - محمد بن يوسف الغرناطي ، أبو حيان (ت / ٧٤٥ هـ) (٣) .
- ٤٦ - محمد بن يوسف بن عبد الله ، أبو عبد الله الأندلسي . المعروف باللوشي ، خطيب غرناطة . وهو آخر من بقي من أصحاب ابن الزبير بالنسبة إلى أبي عمرو الداني . هذا نص كلام ابن الجزري ، ولعله يريد من حفظ التيسير عنه بسنده إلى أبي عمرو (ت / ٧٧٣ هـ) (٤) .
- ٤٧ - هَمْلُون بن علي ، أبو القاسم (ت / ٧٦٧ هـ) (٥) .
- ٤٨ - يحيى بن مسعود المحاربي (ت / ٧٢٧ هـ) (٦) .
- ٤٩ - يوسف بن أبي موسى بن سليمان الخدّامي ، أبو الحجاج (٧) .

٥ - مؤلفات ابن الزبير :

تحفظ لنا كتب الطبقات وقوائم المكتبات أسماء أثني عشر كتاباً ، بعضها موجود والبعض الآخر منها مفقود ، وسأضع علامة (خ) أمام الكتب الموجودة منها . وتنبأ هذه الكتب وأوصاف العلماء لها عن تحقيق ابن

(١) ذرة المجال ٦٦/٢ .

(٢) الشجرة / ٢١٣ ، نيل الابتهاج / ٢٣٨ ، البغية / ١ / ٢٦٥ .

(٣) الدرر / ١ / ٨٤ ، الشجرة / ٢١٢ ، البدر / ٣٣ ، غاية النهاية / ٢ / ٢٨٤ ، التذكرة / ٤ / ٢٧٥ .

(٤) غاية النهاية / ٢ / ٢٨٤ .

(٥) الشجرة / ٢١٣ .

(٦) تاريخ قضاة الأندلس / ١٣٩ .

(٧) الديباج / ٣٥٩ .

الزبير لمادته العلمية، ومشاركته في أغلب فنون عصره الثقافية والعلمية.
وهذه المؤلفات هي :

١ - الإغلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام. وهو تاريخ مستقل
لأعلام الأندلس وتراجمهم. وهذا الكتاب غير كتابه الذي ذيل به على
كتاب «الصلة» لابن بشكوال. وقد ذكر هذا الكتاب: الشوكاني،
وحاجي خليفة، وابن حجر^(١).

٢ - البرهان في ترتيب سور القرآن (خ). ويبحث فيه التناسب بين الآيات،
تصحيحاً لنظم الكلام. وقد سماه حاجي خليفة، ومخلوف: «البرهان
في تناسب سور القرآن»^(٢). والصحيح ما أثبتناه عن ابن الزبير نفسه
في كتاب «ملاك التأويل» حيث قال: «وقد أوضحنا في كتاب البرهان
أن ترتيب السور متوقف على أصح المأخذين وأما ترتيب الآي فلا
توقف فيه، وأن ذلك كله مُعْتَمَدٌ فيه غير ترتيب النزول»^(٣).

٣ - تعليق على كتاب سيويه. ذكره السيوطي، وحاجي خليفة^(٤).

٤ - رَدُّع الجاهل عن اعتساف المَجاهل في الرد على الشَّوْذِيَّة. وقد ذكره
المترجمون لابن الربير بعبارة لسان الدين ابن الخطيب في الثناء على
هذا الكتاب بقوله: «وهو كتاب جليل ينبيء عن التَّفَنُّن والاطلاع»^(٥).

٥ - كتاب الزمان والمكان. وقد ذكره لسان الدين ابن الخطيب، وإسماعيل
باشا البغدادي^(٦).

(١) الدرر ١/٨٥، البدر الطالع ٣٤/، كشف الظنون ١/٢٨٦.

(٢) الشجرة ٢١٢/، كشف الظنون ١/٢٤١.

(٣) ملاك التأويل ١/١٧١ - ١٧٢، وأنظر: الديباج ٤٢/، الاحاطة ١/١٩٧، درة البحال ١/١١.

(٤) البغية ١/٢٩٢، كشف الظنون ٢/١٢٤٧.

(٥) الاحاطة ١/١٩٧، وأنظر: كشف الظنون ١/٨٤١، الديباج ٤٢/، درة البحال ١/١١.

(٦) الايضاح ١/٣٠١، الاحاطة ١/١٩٧.

- ٦ - سبيل الرشاد في فضل الجهاد. ذكره ابن الخطيب، وابن القاضي، وابن فرحون، وإسماعيل باشا^(١).
- ٧ - شرح الإشارة للباغي في الأصول. ذكره ابن الخطيب، وأبو حيان، وابن فرحون، وابن القاضي^(٢).
- ٨ - صلة الصلة (خ). وهو ذيل على كتاب ابن بشكوال الذي سماه «الصلة». ويعتقد بعض من أرخ لابن الزبير أن هذا الكتاب وكتاب الإعلام كتاب واحد، وليس هذا صحيحاً. فقد ذكرهما ابن حجر والشوكاني متعاقبين في موضع واحد، على أنهما كتابان مستقلان^(٣). وقد ذكر هذا الكتاب أكثر المترجمين لابن الزبير^(٤).
- ٩ - معجم شيوخه. ذكره ابن حجر^(٥).
- ١٠ - المقصد الواجب. ذكره سيدي أحمد بابا التنبكتي وقرر أن إبراهيم بن محمد المدني نقل منه، وكان يقول: «ذكره ابن الزبير في كتابه المقصد الواجب»^(٦).
- ١١ - مَلَأُ التأويل في المتشابه اللفظ من أي التزليل. وهو الكتاب الذي نقوم بتحقيقه.
- ١٢ - نزهة البصائر والأبصار. وقد ذكره لسان الدين بن الخطيب^(٧). وبعد فلابن الزبير شِعْرُ ذكره تلميذه أبو البركات البلفيقي في كتاب:

(١) الديباج / ٤٢، درة الحجال ١/ ١١، الاحاطة ١/ ١٩٧، الايضاح ١/ ٥.

(٢) الاحاطة ١/ ١٩٧، الديباج / ٤٢، درة الحجال ١/ ١١، الشجرة / ١٢، البحر المحيط ١/ ٦.

(٣) الدرر ١/ ٨٥، البدر الطالع / ٣٤.

(٤) انظر: البدر / ٣٤، البغية ١/ ٢٩٢، الدرر ١/ ٨٥، المهمل ١/ ٢٠٠، الديباج / ٤٢، الاحاطة ١/ ١٩٧، الشجرة / ٢١٢، كشف الظنون ١/ ٢٨٦.

(٥) الدرر ١/ ٨٥، وانظر: الاعلام ١/ ٨٣، ٨٤، معجم المؤلفين ١/ ١٣٨.

(٦) نيل الابتهاج / ٥١.

(٧) الاحاطة ١/ ٤٧٥.

«شِعْرُ مَنْ لَا شِعْرَ لَهُ» مما رواه عمن ليس الشُّعْرُ له بصناعة، كما يقول ابن الخطيب^(١). وقد يظن البعض أن كتاب «جَنَّانُ الْجَنَانِ» الذي ذكره ابن حجر في كتابه «رفع الإصر» منسوباً إلى ابن الزبير هو صاحبنا. فالمحققان لكتاب ابن حجر نصاً في الهامش على أن ابن الزبير المقصود هنا هو: أحمد بن علي الغساني الأسواق (١٩) المتوفى ٥٦١ هـ^(٢).

٦ - وفاته:

تجتمع المصادر على أن ابن الزبير قد توفي بغرناطة في ربيع الأول من سنة ثمانٍ وسبعمائة للهجرة النبوية، عن ثمانين عاماً. لكن ابن فرحون في الديباج يذكر أنه توفي سنة ثمانين وسبعمائة. وقد نخطأه في ذلك ابن مخلوف^(٣).

٧ - نسبة الكتاب إلى ابن الزبير:

تؤكد المصادر نسبة كتاب «مِلَاكُ التَّأْوِيلِ» لابن الزبير الأندلسي الغرناطي الذي ترجمنا له فيما مضى. وأوضح مَنْ نص على نسبته ونجزته هو الزركشي في قوله عن علم المتشابه القرآني مقارناً بين مِلَاكِ التَّأْوِيلِ وبقية كتب المتشابه فيقول: «وقد صنف فيه جماعة، ونظمه السخاوي، وصنف في توجيهه الكرمانى كتاب «البرهان»، والرازي كتاب «دُرَّةُ التَّنْزِيلِ»^(٤)، وأبو جعفر بن الزبير وهو أبسطها في مجلدين»^(٥).

(١) الإحاطة ١/١٩٧.

(٢) رفع الإصرار ١/٩٦، وانظر: معجم الأدباء ٤/٥٥، وفيات الأعيان ١/٥١.

(٣) الشجرة ٢١٢، الديباج ٤٢.

(٤) في الأصل: دُرَّةُ التَّأْوِيلِ وهو خطأ في عنوان الكتاب.

(٥) البرهان ١/١١٢.

ويصور كثير ممن ذكروا أنه تأليف من نوع جديد غريب في معناه، لم يطلعوا على مثله من قبل. حتى إنهم ليقولون إن أبا العباس المراكشي المعروف بابن البناء، المفسر المغربي الشهير قد ألف كتاباً نحى فيه منحنى ملاك التأويل لابن الزبير^(١). غير أن ابن حجر يقطع هذا الإجماع حين يتوهم أن ابن الزبير قد لخص كتاباً في المتشابه ليحيى بن سلامة بن الحسين الخطيب الجصن كُتِبِي «الحصكفي» (٤٥٩ - ٥٥١) وهو ما لم أجد أحداً أشار إليه أغني تأليف الحصكفي كتاباً في المتشابه أولاً، وتصحيح هذا الوهم ثانياً. فالمؤلف يخبرنا من بداية كتابه أنه لم يجد من ألف في فن المتشابه من المغاربة؛ ولذلك فإنه ألف كتابه ملاك التأويل معارضاً به: «درة التنزيل وغرة التأويل» للإسكافي. وتحرياً للأمانة من ابن الزبير - كما هو معنى عبارته - فإنه أضرب صفحاً عن الكتاب حتى انتهى من كتابه فعارضهما، فما وجده عنده وليس عند الإسكافي وضع أمامه حرف (غ) باللون الأحمر.

قال ابن حجر: «وجمع - أي ابن الزبير - كتاباً في فن من فنون التفسير سماه: ملاك التأويل نحى فيه طريق الحصكفي الخطيب في ذلك. فلخص كتابه وزاد عليه شيئاً بنفسه^(٢). ولهذا أخطأ كارل بروكلمان حين تابعه بلا تمحيص وأمن على كلامه. فابن الزبير حريص جداً على نسبة كل ما ينقل إلى أصحابه حتى أنه لو أسقط كلمة من نص اعتزالي صرح بهذا قبل إيراد النص^(٣). وقد عبر ابن الزبير عن هذا كله في مقدمة كتابه فقال: «وإن من مَغْفَلَات مصنفي أئمتنا رضي الله عنهم في خدمة علومه، وتدبر منطوقه

(١) نيل الابتهاج/ ٦٥، ٦٦، وانظر: البدر/ ٣٤، الاحاطة ١/ ١٩٧، الديباج/ ٤٢، والشجرة/ ٢١٢، الانتقان ١/ ٢٠، ٣/ ٣٣٩.

(٢) الدرر ١/ ٨٤.

(٣) ملاك التأويل ٢/ ٦٦٤.

الجليل، ومفهومه، توجيه ما تكرر من آياته لفظاً، أو اختلف بتقديم أو تأخير وبعض زيادة عن التعبير، فَعَسُرُ إِلَّا عَلَى الماهر... وإن مما حَرَّكَ إلى هذا الغرض، والحقه عند من تحلى ولو عاً باعتباره، والتدبر لعجائبه الباهرة وأسراره... أنه باب لم يقرعه ممن تقدم وسَلَف، ومن حذا حذوهم ممن أتى بعدهم وخَلَف أحدٌ فيما علمته على توالي الأعصار والمُذَدِّ وترادف أيام الأبد، مع عظيم موقعه وجليل منزعه ومكانته في الدين، وفَتَّه أَعْضَاد ذَوِي الشك والارتباب من الطاعنين والملحدِّين، إلى أن وَرَدَ عَلَيَّ كتاب لبعض الْمُعْتَنِينَ من جلة المشاركة - نفعه الله - سماه بكتاب درة التنزيل وغرة التأويل، فَرَعَ به مغلق هذا الباب، وأتى في هذا المقصد بَصْفٍ من التوجيهات لُبِّ، وعرف أنه باب لم يوح عليه أحد قبله بخيل ولا ركاب، ولا نطق ناطق قبل فيه بحرف ممَّا فيه. وصدق - رحمه الله - وأحسن فيما سلك وسنَّ، وَحَقُّ لَنَا به - لإحسانه - أن نَقْتَدِي ونُسْتَنِّ. فحرك من فكري الساكن، وأصربت عن سخته إلى الاستدراك بلكن، وأبديت - بحول ربي وقوته - من مكنون خاطري إلى الظهور ما أثبتته بعون الله وقوته في هذا المسطور، معتمداً عين ما ذكره من الآيات، ومستدرِكاً ما تذكرته مما أغفله - رحمه الله - من أمثالها من المتشابهات، برفع تلك الإشكالات وإبداء المعاني الخفيات، القاطعة بذوي البطالات، من غير أن أقف في ذلك على كلامه، إِلَّا بعد إبدائي لما يلهمه الله سبحانه وتعالى وإتمامه ولا ناقلاً إلا في الشاذ النادر كلام أحد من أرباب المعاني، إذ لم يتعرض أحد غير من تقدم ذَكَرَهُ لما من هذا الضرب أعاني، وإنما يلقيه فكري إلى ذكرِي فيلقيه ترجمان فهمي على قلبي. وإن أثرت بعض ما عليه لغيري عثرت، فنقلت، أفصححت بالنسبة وعقلت^(١).

(١) ملاك التأويل ١/٣ - ٤.

فابن الزبير من خلال هذا النص لا يعرف غير كتاب الدرة من كتب المتشابه، ولم ينظر إلى تفسيرات الآيات إلا بعد تمام ما ألهمه الله فيها، وإذا نقل من كتاب أو مصدر وهو قليل في حكم النادر في هذا الكتاب، فإنه مُلْزَمُ نفسه نسبة كل نص إلى صاحبه، عاقلُ نفسه عن الهوى وادعاء هذه النصوص لنفسه.

أما صنيعة في هذا الكتاب فاستظهار بلاغة النظم ببيان وجه اختصاص كل آية بما فيها من الجُمْل والمفردات، وكل سورة بما فيها من الآيات^(١).

٨ - وصف نسخ المخطوطة:

لقد اهتمينا إلى سبع نسخ من كتاب «ملاك التأويل» لابن الزبير الأندلسي رتبناها حسب تواريخها، وقَدَمَ نَحْنُهَا على النسق التالي:

١ - نسخة شهيد علي:

ورقمها في المكتبة / ١٦٨، وتقع في ٢٠٧ ورقة مسطرتها ٢٥ سطراً (٢٩,٧ × ٢٢ سم)، بقلم مغربي دقيق.

وقد رمزت لها بالحرف «هـ». وهي غُفْلٌ من التاريخ، إلا من تملِكة غير واضحة بصفحة العنوان. وخطُ النسخة يشهد بأنها من القرن الثامن الهجري. كما هو واضح من صور المخطوطة الملحقة بمقدمة التحقيق. وهذه النسخة من محفوظات المكتبة السلیمانیة باستانبول.

٢ - نسخة مراد مُلّا:

وهي من وقف داماد زادة. ورقمها في المكتبة / ٣٠٨، وتقع في ٢٣٨ لوحة مسطرتها ٢٥ سطراً (١٨ × ٢٨ سم). وصاحب هذه النسخة هو

(١) ملاك التأويل ١ / ٣ - ٤.

محمد بن محمد بن محمد البكري الشافعي، شيخ أبي حيان النحوي الأندلسي.

وتُعَدُّ هذه النسخة أقدم النسخ الشَّعْبِ الموجودة بغض النظر عن نسخة شهيد علي. ويرجع تاريخ نسخها إلى عام ٨٤٢ هـ، مكتوبة بخط نسخ نفيس. وقد رمزت لها بالحرف «م».

ويزيد من قيمة هذه النسخة ما على أوراقها من بلاغات، وتجزئة عَشْرِيَّة للأوراق مما يؤكد ما نص عليه صاحب النسخة من مقابلتها على الأصل في آخر النسخة بقوله: «بلغ مقابلة بأصله المنقول منه، حسب الطاقة والإمكان والله أعلم».

ومن ثم اتَّخَذْتُ هذه النسخة أصلاً للنص.

٣ - نسخة الأسكوريال:

وهي ضمن مجموع من الكتب برقم (١/١٢٧٣). وكتابنا هو الكتاب الأول من هذه المجموعة ويبدأ من الورقة الأولى وينتهي عند الورقة الخامسة والسبعين بعد المائة الأولى. وتقع في مائة وخمس وسبعين لوحة، مكتوبة بقلم مغربي عليل. كتبها أحمد بن محمد الفخار الأندلسي سنة ٩٤٧ هـ، ومسطرتها ٣٠ سطرًا (٢١ × ٣٠ سم). وهي جزآن في مجلدين. مُرَقِّمَةٌ صفحاتها بالحروف لا بالأعداد. وفي الصفحة الأولى منها إقرار وتمليك من أحد مستعبري هذه النسخة من الفخار جاء فيها: «عارية بيد الطالب: عبد الرحمن المزياتي ومالكه (١٩) سيدي أحمد الفخار الأندلسي». وقد زاد في هذه النسخة قرابة ثلاث صفحات ليست في بقية النسخ^(١) فكتبها في الهامش. وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف «ك».

(١) انظر ملك التأويل ١/ ١٨ - ٢٢.

٤ - نسخة المكتبة العامة بالرباط:

وتوجد هذه النسخة تحت رقم «٢٠٧٣/ك» بالمكتبة المذكورة. وهي مكتوبة بخط مغربي رديء جداً، عام ٩٧٠ هجرية بقلم أحمد بن علي الصخري الأندلسي الأصل. وتقع هذه النسخة في ٢٥٨ ورقة، مسطرتها ١٩ / سطرأ (١٦ × ٢١ سم).

ويوجد بهذه النسخة بياض أثناء سورة الانشقاق. وقد رمزت لها بالحرف «ب».

ومما هو جدير بالذكر أن هذه النسخة تغير صيغ الأسئلة التي كان المؤلف يصوغها على السئلة السائلين ليحجب عنها، كما كان الناسخ يختصر كثيراً من المواضع ومن آيات النصوص القرآنية الكريمة.

وعلى النسخة تملیكة باسم محمد بن عبد الكريم الفكون (١٩)

٥ - نسخة المكتبة العبدلية:

وتوجد بمكتبة الزيتونة بتونس. وهي من وقف علي باي باشا، عليها إشهاد وقفية بتاريخ ١١٨٨ هجرية على أن يُنتفع بها على أي أوجه الانتفاعات أراد المنتفع، بشرط ألا يخرج بها منها إلى غيرها، إلا الشيخ المدرس بالمدرسة الغربية الباب، الداخلة في نطاق الوقف.

وقد كتبت هذه النسخة عام / ١٧٠٣ هجرية. وعدد أوراقها ٢٦٥ ورقة. ومسطرتها ٢١ سطرأ (٢٨ × ٢١ سم). وهي بقلم مغربي جميل. ورقمها بالمكتبة هو ٣٧٢ عمومي، ٣٠٨ خصوصي. وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف «ع».

٦ - نسخة المدينة المنورة:

وتوجد بمكتبة عارف حكمت رقم ١١٤/تفسير، وليست في مكة كما زعم

O. Spies في مجلة Z D M. G^(١). وهذه النسخة منقولة عن نسخة شهيد علي. وقد كتب عليها عارف حكمت عبارة «استصحبه عارف» ولقد عهديت إلى أخوين كريمين بمراجعة هذه النسخة على نسختي الأصلية فكانت هي هي إلا سورة الأعراف فمكانها في هذه النسخة بياض.

وقد كتبت هذه النسخة عام ١١٩٤ / في صفر الخير. وعدد صفحاتها ٢٩٨ صفحة. مسطرتها ٣١ سطراً (٣٠ × ٢١ سم). كتبها عباس بن علي الكلاعي، كما ذكر في آخر هذه النسخة. وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف «ف». وعند كتابة النسخة المحققة من الكتاب رأيتُ ألا أثبتَ خلافاً المقابلة في هذه النسخة إكتفاءً بنسخة شهيد علي السابقة الذكر. وهذه النسخة غير مرقمة وما أثبتناه هو حاصل عدّ وترقيم الأخوين الفاضلين محمد صادق قمحاوي الأستاذ المساعد بكلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة، والأخ محروس شحاتة المدرس بالمدينة المنورة أيضاً. وقد تطابق تقريراهما حول هذه النسخة.

٧ - نسخة دار الكتب المصرية:

وتوجد بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة تحت رقم ٥٧ / محاميع. وبهذه النسخة خُرم من آخرها يبدأ من أثناء سورة الأحزاب إلى آخر النسخة وهي مكتوبة عام ١٢٠٥ هجرية بقلم مغربي، ومسطرتها ٢٣ سطراً (١٦ × ٢٢ سم). وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف «ج».

— منهجنا في التحقيق:

لقد حاولت في تحقيق نص هذا الكتاب أن أحقق ما يقال في النقد الأدبي اليزم من أن المحقق المثالي مُتَمَرِّسٌ بالمصادر، وناقد، ومؤرخ،

(١) Z. D. M. G. Von: 90 — 105

وعالم آثار، وخبير خطوط، ولغوي، ومتفلسف. ذلك أن التحقيق عملية دراسة للكتاب بغرض إصدار طبعة نموذجية منه. فالمحقق كغيره من الدارسين يستغل حكمه النقدي الخالص. فهو عالم، وناقد بصير له ذوق وإحساس مرهف يسمحان له بتفحص النص الأدبي وبنقده وإعداده العملي للطبعة المحققة. وهذا الصنيع - كما لا يخفى - يحتاج إلى الوعي الجمالي لمعرفته. وفي محاولة لتطبيق ذلك التصور اختططت لنفسي الخطوات الآتية لتحقيق نص الكتاب:

- ١ - جمع النسخ الموجودة في العالم، واستثناء نسخة عارف حكمت اكتفاء بأصلها المنقولة عنه في مكتبة شهيد علي.
 - ٢ - مقابلة النسخ المختلفة على نص النسخة «م».
 - ٣ - إثبات الفروق الخطية بين النسخ.
 - ٤ - تخريج: الشعر، والشواهد اللغوية والنحوية، والقرآنية، وشواهد الحديث النبوي الشريف والآراء الفقهية.
 - ٥ - التعريف بالأعلام، والكتب المذكورة في النص.
 - ٦ - إضافة ما لا يستقيم النص إلا به بين معقوفين مربعين [] .
 - ٧ - كتابة النص الصحيح في صلب الكتاب، وكتابة الخطأ في النص بهامش الكتاب تحقيقاً لأكبر قدر من الانتفاع بالنص صحيحاً دالاً على معناه.
 - ٨ - استشارة المصادر المتخصصة في كل تصحيح بالإبدال أو بالإضافة.
- وإني راج أن أكون قد وفقت إلى تحقيق شيء من التصور الأمثل لتحقيق وإخراج هذا النص.

الدكتور / محمود كامل أحمد

. سبتمبر ١٩٨٢

مدينة نصر - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله

قال الشيخ الفقيه الميرزا محمد باقر المكي القرني الرازي الشيرازي
 بعد من ابراهيم بن الزبير النعماني المحدث رضي الله تعالى عنه
 المصنف المأخوذ من شاء با شاء والناقدون والشرك بمكة المشيئة
 لنا والمصلح من المفسر الانساب الرسل والانبيا ومن اتبعهم من
 صلحهم رجاء بينهم وعلى الكفار أشدا ومن خلفهم من أرا لا عند آله
 والاقبدا رحاب التلكت من سلمه الواسعة والاعدا ولزم المرام عند
 افتراق ذوي الشقاى لخصم المدا ونسك ما لكتاب والسنة فبح الشقا
 واستخرج الطريق بما الى الله تعالى ونحقق الملائكة وبه تركت الله فله
 المعجزة الفاعلة والبراهين الساطعة وعرف بالانبيا وعلم مراده صلى
 الله عليه وسلم بقوله وانما كان الذي اوتيت وحيا فاه عن كل حيلة في تدبيره
 العكر والاعتنا واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من رضى
 قال القزم بشرها الوفا واشهد ان محمد اعلى وهوله المعظم المعالي
 في القيامة المقام المحمود والنوا شهادة نزها بها من شعا عنه العظم المحقق
 والاعتنا وقيل لنا من دار الخلد المصير والمرا صلى الله عليه وعلى آله واصحابه
 الخا ومن في وفاءهم ما ساء الصق والشا والاسوة والمدرة لمن بعدهم
 ما وسلم تلبا كثيرا ومجسده فان كتاب الله تعالى الحق ما انفت فيه
 من ايس الاثار وفصيح اعبار ونبرة الملوان مثل والنهار واعند
 مر بلا وملاذا واعتقم بشرويه الوثن قدرا منجيا ومياذا واستنزلت
 به البركات واشهدى بواحيات الاله توارده عوالم المهارى والسيات فصور
 الهدى والنور والسما لما في القدور والواين لن نمسك به واعلمق بسبه
 من كل مخوف ومخذور والنعمة اليه قمر من الوفا بشكرها كل مكتوب وسعد
 وان يتصور النما ونوم الوفا بشكره جاءكم من الله نوره وان من معفلات
 مصفى ايتا في خدمة علمه وتدبر منظومه الجليل ومنهويه اوجد بالكر
 من اياته لفظا واختلاف بتقويم اوناخير وبغنى زياده في النعم بمسبح
 ملاقي الماهر صفا ولحن الدافل من التدبر والخذل الم الراحة من العكر انا
 تحسب كل ايد من تحت ايات ليس بسبب تقصير وداع من العنى اليد بعينه

[illegible]

انقر

في سنة ١٢٨٥
 في سنة ١٢٨٥
 في سنة ١٢٨٥



الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة مراد علّام

بسم الله الرحمن الرحيم
 صلى الله على سيدنا محمد وآله

ظل الشيخ رحمه الله لا يستقر المنزلة امره العباس
احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن محمد

البحر له الماء من ماء مانا، والغارم ياء وز الشرح حكم المشقة لثنا.

[illegible]

سنة من شهر ربيع الأول سنة ١٢٠٠ هـ

ما نيا، وتذكر كتاب الله سبحانه بحاشا هذه المحنة الطائفة، والبرهان الثاني

عرب داما و علم مراد، علی السہ علیہ وسلم مقولہ انما کان القرآن او تسمو قسطا
انفا حنفیہ عتقد من الحق ولست یغتنا وانما هذا لا الہ الا الله وحده لا شریک لہ

من و هو المزمع فيه وهذا الوجه واستدل بموافاقه لغيره من المقضي في التلخيص

فما أسفروا وأقروا معكم / زهوا من ضيق خباياهم، ولما احتلوا وفتحوا لها
الار الحلد المصير والعزاء على السبيل إلى الله وأصحاب العليين عند ما ينزلون

سوق سياتو ولاسو والغدور من قدم حانوسلر او بعد من كيات

عَلَيْهِمْ سَلامٌ. وَلَئِنْ رَأَوْهُ كَتَمُوا فِيهِ لَبًّا وَلَقَدْ اسْتَفْتَاهُ فِيهِ عِبَادُ وَاسْتَغْفَرُوا لَهُ رَبًّا أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْفَتْحُ بِمَا رَأَوْا بِهِ عِزًّا أَمْ يُرِيدُ إِلَهُكُمُ الْمَلَائِكَةُ خُرُّوا فَسُجَّدُوا لِلَّهِ وَرَكْعَةً أَمْ يُرِيدُ إِلَهُكُمُ الْعَرْشُ الْغَنِيُّ أَمْ لَهُ خِزْيَانٌ مَخْمُومٌ أَمْ يُرِيدُ إِلَهُكُمُ الْمَنَاقِبُ ثَمَنًا وَمَنْ يُضِيقْ إِلَهُ الْمَنَاقِبَ ضِيقُ السَّيْرِ إِلَيْهِ أَمْ يُرِيدُ إِلَهُكُمُ الْمَنَاقِبُ ثَمَنًا وَمَنْ يُضِيقْ إِلَهُ الْمَنَاقِبَ ضِيقُ السَّيْرِ إِلَيْهِ

البركات ومختدريها فكانت اذن عوام الناس تفتخرون بها وتسمونها بمختدريها
 اسمها في الصدور والوانها في الخشاكه ويسمونها كما يسمونها بمختدريها

الْبَهْدُ إِلَى فَرْعِ النَّوَا، شَقْمٌ مِنْ كَيْلِ تَوْبٍ وَمِنْهُوَ وَتَمَّجُوا الْكَلَاءَ.

[illegible]

وإحتمل بقوله "وإنما خبره بعضنا" أنه "بعضهم بعض" أي بعضهم بعضا.

لَا دِينَارَ وَلَا دِينَارَاتٍ لَهُ نَقِيرٌ نَقِيرٌ يَنْقُصُهُ دِينَارٌ مِمَّا يَهْنُ عَلَيْهِ وَشَدَّ

[illegible]

زاد سوزنی. قزوین از ابتدای موقعی که مرزها و سرحدات فرستاده شد.

لَنَا "لَمْ يَمُوتْ" مَاتُوا وَنَحْنُ نَحْيَا. اَللّٰهُمَّ اِنَّا نَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ وَرَحْمَةِ رَسُوْلِكَ اَنْ تَجْعَلَ لَنَا

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الاسكوريال وكـ

21

من هذه الحجة قبل ان يحق كثر ان يفتن بها حسدا او يمكن ان يفتن بها غيبة
 جنة لا يفتن كونه حسدا الا به ان يحق وهو نعم الاخرى اتحاد ما يقوم بالنفس والاس
 هذه الحجة بيان ذلك ان كل ما قبل بالمرعاف اذا اذنته على غيره من بين ذلك ما انجبه
 وتسلطها لنفسه بان اراد زوالها عن كثره عليه وانما اذنته بتوحيدها بهذا هو الحساد
 المنة مؤثر وان تنسب عليها او الترويقا، نلنا على صاحبها هذه هي الغيبة وعلى من
 صلات المؤمنين وقد وضع انه يكون حسدا او يوصف بطلا الحجة عند حضوره ورو
 قوعه على الحجة المشؤمة ربما قيل له لا لا شريبه ولا هو بشرا الا من ان الحساد لو كانت
 به تلك الحجة ثم تدعى واستقم ليرى ان النعمه به بالمرور كمن تلبس الزنك لم يراود شر
 على ملك الهذ والتحقير وقد صرح الشيخ على ذلك وايضا العلم والقائه ابو بكر ومن
 قال بغيره على تلك الواقعة هذا في الخارج عليه سلام من لا على ما ذكره في ذلك لما كان حلال
 الحسد على ما ذكره في حال القاصف على ما تقدم له لا ما وقع التقصير في الاستعداد من
 خسر ما لا يفرق ففان اوف ولد احسد ولم يقع تقصير في الاستعداد من خسر السحر
 وجبا، فليس له على ما يحب ويصام ولا يمكن خلافه والله اعلم بسورة هل انشد مرة في
 من قواد نعم ان في العود برب الناس الى اخر السورة فمسئلته في ان الناس قوله تعالى ملك
 الناس في الناس وما وجهه لا والجبواب ان السمتية يفتن الناس على عهد
 السان ولا تخش منه الاضاحه التي تضيق لان لا يورد في التوراة الا سبعين صميم لداول
 الذي عليه هسها فكان يكون الاول حكم الآخرة من النعمة التابع له وذلك عكس
 ما عليه عهد ابيان ما د الحصف الشيخ لما اضيف اليه متبوعه فاحله اذما الله يكن
 مسليها له ولا تنصوا الحجة المشؤمة هذه نظير من التواضع اعني ان يكون في الاستعداد
 الاكثر مساويا لك واذا شئت فقل احبا، مضاجا ان لا تنسب هذا والله اعلم

كل التبريد في التاي في حواء وحسن علة له وبنامه ثم جمع
 التاي ود له ليله الادد من تسع عشر خلون ما يتعدا في التفرغ
 تمام تسعة واربعين وتسع مائة للفقير وصلى الله على سيدنا
 ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم فليعلم انهم يدينون على
 على يدني العبد الذليل المعترف بجهالة وافتقاره الى الله تعالى
 ولان الله يدين جميع المسلمين اجمعين من غير ان يكون له ان لا يدين

وهذه حجة السيف في التاي والله اعلم بالصواب

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة الاسكوريال لك

بسم الله الرحمن الرحيم
والله اعلم
بما في صدوركم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ الشَّيْخُ الْفَيْصُ الْأَشْهَادِيُّ الْحَبِيبُ
الصَّغِيرُ الرَّأْوِيَّةُ الشَّيْخُ أَبُو بَشِيرٍ أَحْمَدُ
أَبْنُ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي بَشِيرٍ الشَّيْخِ الْعَاصِمِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَالِكِ الْحَقُّ مَا شَاءَ وَالْعَاقِبَةُ وَالْشَّرُّ وَالْخَيْرُ
الْمُشْتَبِهَاتُ لَمْ يَأْتِ بِشَاءَ وَالْمُصْطَفِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَنْسَلِيُّ الرَّبِّيَّ
وَالْأَنْبَاءُ وَمِنْ أَنْبَاءِهِمْ مَنْ جَعَلَهُمْ رَحْمَةً يَنْتَعِمُونَ وَعَلَى الشُّرَافِ
أَشَدُّ أَثَرُهُمْ مِنْ حَلْوَى عَسَلٍ وَأَنْتَ الْإِلَهِيَّةُ وَالْأَفْنِيَّةُ أَهْلُ جَانِبِ
الشُّكْبَةِ عَزَّ سُبُلُهُ مِنَ الْإِلَاحَةِ وَالْأَعْيُنَةُ وَالْأَفْنِيَّةُ وَالْجَمَاعَةُ عِنْدَ
أَنْبَاءِهِمْ وَالْعَيْنَةُ وَالْحَسَمَةُ الْعَدَاةُ وَالْقَسَمَةُ بِالْكِتَابَةِ وَالشُّبَّةُ
فَمِنْ الشُّبَّةِ وَالْأَشْرُوفُ الْخَبِيرُ بِمَا فِي الْقُلُوبِ وَاللَّهُ تَعَالَى وَتَحْقِيقُ
الْإِنْجَاءِ وَنَدَى كِتَابَاتِ اللَّهِ بِشَاءَ الْمُعْجِزَةُ الْفَائِزَةُ بِمَا
وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الْإِسْلَامِ وَغَرَفَ الْأَنْبَاءُ بِهِ وَعَلِمَ كِتَابَهُ بِمَا
عَلِمَهُ وَتَسْلَمُ بِقَوْلِهِ هَذَا كَأَنَّكَ فِي أَوْتَيْنِ وَخِيَا فَأَعْمَا جَعَلَهُ
يَوْمَ تَذَرُهُ الْيَقِينُ وَالْأَعْيُنَةُ وَأَنْتَ حَقٌّ يَا إِلَهَ الْإِلَهِ
وَجَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بِشَاءَ تَرْوِيهِ وَالْقَسَمَةُ بِشَرِّ وَصْفٍ
أَنْتَ فَاءُ وَأَنْتَ هَذَا أَرْفَعُ أَعْيُنُهُمْ وَرَسْمُهُ لَمْ يَخْصُرْ
بِهِ الْإِقْبَانَةُ الْمَقَامُ الْحَقُّ هَذَا الْوَأَدُ شَهَادَةُ تَرْفَعُهُ أَبْقَايَ
شَقَائَتِهِ الْخُشُوعُ وَالْحَيْثُ وَالْخُشُوعُ وَالْخُشُوعُ وَالْخُشُوعُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَالَى آلِهِ وَأَحْبَابِهِ الْخَائِرِينَ وَفِي جَمْعٍ بِأَتْبَاعِهِ الشُّبَّةُ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

الصفحة الأولى من نسخة المكتبة القبطية بجامع الزيتونة «ع»

به تلك الصفة ثم تذكر واستغفر لعزنا النعمة به بالخير وذكر عليه السلام
 لم يره اية شئ مما يشك الذمة والحق وقد نص الشرح على ذلك وانتهى الحاشية
 على علم الله والفاضل أبو بكر مائة قال ومرة قال بقوله على تأنيدهم
 هذه اعم الشارح عليه الصلاة والسلام من لا على كونه فلما كان الحاشية
 قام على حال الغاية على ما تقدم ذكره الك ما وقع التفتية في الاستيعاد ومن شئ
 بالحرف في غير ذلك وقت واد الحاشية ولم يقع تفتية في الاستيعاد من شئ
 وحاشية كل من ذلك على ما يجب ويتناسب ويأتي خلافه والله اعلم
 سورة قال سورة يرق الناسير قوله تعالى والاعوذ يرب الناس الى الله
 السورة فيمنع عن تكرير الناسير في قوله تعالى ملك الناسير الى الناسير وهو
 ذلك والجواب ان الشيعة في ملك الناسير والاعوذ يرب الناس على عهد النبوة
 تحسبه الى الاذلال الضيق بان ذلك يؤيد في الدعوى بالاستمير في الاول
 الذي عليه جملة ما كان يكون الاول في شئ الذي في الدنيا المتابع له وقد
 محسوس عليه محط النبوة اذ اذ الضيف المتابع لما اضيعا في متبوعه فله
 اذ ما كان يكون مساوية ومالك هو انما في المعتمد في هذه العرب من السوابغ
 ان يكون الغلب الكثير مساوية بالاول او اخر في قلعة لجانة في الى الخاص
 منها والله اعلم
 ثم الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلواته الطيبات على سيدنا محمد خاتم
 النبيين وامام المرسلين وسلم تسليما كثيرا اثم ايام اليوم السبت
 وكان تمام كتابته في يوم الاربعاء الثامن والعشرين من ربيع الثاني
 من عام سبعة وثلاثين واهم احسن الله تفصيله في خير وامر عافية
 على يد العبد الفقير المعترف بالذنب والتقصير الراحي عبوديه الله
 محمد بن سعيد شام واعماله بطريقه وهو من كان النسيب في كتابته والوالدين
 والتم ربه وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات بحمدوا
 صلوات الله وسلامه عليه وعلية وجميعهم اجمعين
 واهم بحوثنا ان الحمد لله
 في العالمين
 في عامين

كتاب ...

وهو كتاب ...
...
...
...
...
...
...

صفحة العنوان من نسخة الخزنة العامة بالرباط

مِلَالُكَ النَّائِلِ

القاطع بذوي الاحساد والتعطيل في توجيه
المتشابه اللفظ من أي التنزيل

لغزلي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير اللندسي الغزالي

٦٢٧-٧٠٨ هـ

السَّفَرُ الْأَوَّلُ

[١ / ظ] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا^(١) محمد وآله^(٢) وصحبه^(٣) وسلم تسليماً كثيراً^(٤).

قال الشيخ الفقيه الأستاذ، الخطيب المقرئ^(٥) الراوية الشهير^(٦)، أبو جعفر^(٧)، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، المحدث رضي الله تعالى عنه أمين^(٨).

الحمد لله المانع مَنْ شاء ما شاء، والغافر دون^(٩) الشرك بحكم المشيئة لمن أساء^(١٠)، والمُصْطَفِي من الجنس الإنساني الرُّسُل والأنبياء، ومن أتباعهم مَنْ جَعَلَهُمَ رحماء بينهم وعلى الكفار أشداء، ومن خَلَفَهُم مَنْ آثَرَ الاهتداء والافتداء، وجانب التَّكَبُّب عن سُبُلهم الواضحة، والاعتداء، ولزم الجماعة عند افتراق ذوي الشَّقَاق فَحَسَمَ الدَّاء، وتمسك بالكتاب والسُّنة

(١) ساقطة من الأصل، وفي ف: سيدنا ومولانا محمد وسلم.

(٢) هـ: وعلى آله.

(٣) زيادة من هـ.

(٤) من هـ، ع فقط.

(٥) ساقطة من ب.

(٦) الراوية الشهير، ساقطتان من ك.

(٧) ف: أبي جعفر، وفي ك: أبو العباس، والصواب ما أثبتناه.

(٨) ج: الثقفي العاصمي رضي الله عنه وأرضاه وأحسن إليه، وفي ب: الثقفي رضي الله عنه ونفعنا به.

(٩) ج، ف، ك، ب: بدون.

(١٠) ب: لمن أساء، ج: لمن أساء، ف: لمن شاء.

فَمُنِّحَ الشُّفَاءِ وَاسْتَوْضَحَ الطَّرِيقَ بِهِمَا^(١) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَتَحَقَّقَ الْإِنْبَاءَ^(٢)،
وَتَدَبَّرَ كِتَابَ اللَّهِ فَشَاهَدَ الْمَعْجَزَةَ الْقَاطِعَةَ وَالْبِرَاهِينَ السَّاطِعَةَ وَعَرَفَ الْأَنْبَاءَ،
وَعَلِمَ مُرَادَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «وَأِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيْتُهُ وَحْيًا»^(٣)،
فَأَعْمَلَ جُهْدَهُ فِي تَدَبُّرِهِ الْفِكْرَ وَالْإِعْتِنَاءَ، وَأَشْهَدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مِنْ وَفْقٍ فَالْتَزَمَ بِشُرُوطِهَا الْوَفَاءَ، وَأَشْهَدَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، الْمُعْطَى فِي الْقِيَامَةِ^(٤) الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ وَاللَّوَاءَ، شَهَادَةً نَرْجُو بِهَا مِنْ
شَفَاعَتِهِ الْعَظِيمِ^(٥) الْحُظُوتَ وَالْإِعْتِنَاءَ، وَيَجْعَلُ لَنَا^(٦) دَارَ الْخُلْدِ الْمَصِيرِ
وَالْجَزَاءِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْحَاضِرِينَ فِي وَفَائِهِمْ بِاتِّبَاعِهِ
السُّبْقِ وَالثَّنَاءِ، وَالْأَسْوَةَ وَالْقُدُوتَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ جَاءَ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا^(٧) كَثِيرًا.

وَبَعْدُ فَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى أَحَقُّ مَا أُتِفِقَتْ فِيهِ نَفَائِسُ الْأَعْمَارِ، وَقُصِرَ
عَلَى اعْتِبَارِهِ^(٨) الْمَلَوَانِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَاعْتُمِدَ مَوْتَلًا وَمَلَاذًا، وَاعْتَصَمَ
بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَى وَزَرًّا مُنْجِيًا^(٩) وَعِيَاذًا، وَاسْتَنْزَلَتْ بِهِ الْبَرَكَاتِ، وَاهْتَدَى
بِوَاضِحَاتِ أَنْوَارِهِ عَوَالِمَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، فَهُوَ الْهَدَى وَالنُّورُ، وَالشُّفَاءُ لِمَا
فِي الصَّدُورِ، وَالْوَاقِي لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَاعْتَلَقَ بِسَبَبِهِ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ وَمَحْذُورٍ،

(١) ج: بهما.

(٢) ف: الأنبياء.

(٣) صحيح البخاري من طريق أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وممن الحديث فيه: «مَا مِنْ أَنْبِيَاءَ نَبِيٍّ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا يَمِثُّهُ أَوْمِنْ، أَوْ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ. وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيْتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وفي رواية أبي ذر الهروي، والحموي والكشميهني «الَّذِي أُوتِيْتُهُ». صحيح البخاري ١١٣/٩، فضائل القرآن لابن كثير ٤/٤.

(٤) ب: القسمة.

(٥) ساقطة من هذا الأصل.

(٦) من ب، ك.

(٧) من م.

(٨) وقصر على اعتباره: ساقط من ب.

(٩) ب: فدرأ محيا والوزر محرقة اجبت الميع وكل معقل، وللملحا والمعتصم (بالباء للمفعول).

والنعمه التي قُصِرَ عن الوفاء بشكرها كلُّ مكتوب ومسطور. وأنى يُتصور الكفاء^(١) ويُتوهم^(٢) الوفاء بشكر ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾^(٣). وإن من مُغفلات مصنفي أئمتنا رضي الله عنهم في خدمة علومه، وتدبر منطوقه^(٤) الجليل ومفهومه، توجيه ما تكرر من آياته لفظاً، أو اختلف بتقديم أو تأخير، وبعض زيادة في التعبير؛ ففسرَ إلا على الماهر حفظاً وظن الغافل عن التدبر، والمُخِلِد إلى الراحة عن التفكير، أن تخصيص كل آية من تلك الآيات بالوارد فيها مما خالفت فيه نظيرتها لسبب يقتضيه^(٥) وداع^(٦) من المعنى يستدعيه^(٧) [٢ / و]، وأن ليس على جميع الوارد من ذلك مُرَجِّحات^(٨) من المعاني عند ذوي الأفهام، ومقتضيات من لوازم جليل التركيب في ذلك^(٩) المعجز العليّ من النظام، فلا يليق بكل من تلك المواضع إلا الوارد فيه، وأن تقدير وقوع آية منها في موضع نظيرتها^(١٠) ينافر^(١١) مقصود ذلك الموضع^(١٢) وينافيه. فتعساً لمن تنكب عن واضح آياته، وكان لم يفرع سمعه قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾^(١٣). وإن مما حرك إلى هذا الغرض، والحقه عند من تحلى ولوعاً

-
- (١) م: اللقاء، وما أثبتته في بقية النسخ.
(٢) من ب، وفي بقية النسخ: توهم.
(٣) المائدة / ١٥.
(٤) ك، م، هـ: منظومه
(٥) هكذا في ج، وفي بقية النسخ: تقتضيه والصواب ما أثبتناه لأن الضمير يعود على الوارد.
(٦) ب: داع بدون واو المعطف.
(٧) م: المعنى إليه يستدعيه، وفي ك: من المعنى يطلبه ويستدعيه، وفي ع: تستدعيه. وما أثبتناه في هـ، ج، ب.
(٨) هـ، ك، ب، ع: مُحَرِّزَات.
(٩) من م، ك وفي بقية النسخ: من ذلك.
(١٠) ك: نظيرتها وشبهتها
(١١) ج، ب، ع: ينافي
(١٢) ك: مقصود تلك المواضع.
(١٣) ص ٢٩.

باعتباره، والتدبر لعجائبه الباهرة وأسراره^(١) - بمثل حالي على استحكام جذبي^(٢) وإمحالي، بالواجب المُفْتَرَض - أنه باب لم يقرَّعه ممن تقدَّم وسلف، ومن خذا خذوهم، بمن أتى بعدهم وخلف، أخذ فيما علمته على توالي الأعصار والمُدد وترادف أيام الأبد، مع عظيم موقعه وجليل منزعه، ومكانته في الدِّين وقته أعضاء ذوي الشك والارتياب من الطاعنين والملحدين، إلى أن ورد عليَّ كتاب لبعض المُعتنِّين من جلة المشاركة^(٣) - نفعه الله - سَمَّاه بكتاب: «دُرَّةُ التَّزْيِيلِ وَغُرَّةُ التَّأْوِيلِ»، فرَّع به مُغلق هذا الباب، وأتى في هذا المقصد بصفو^(٤) من التوجيهات لُباب^(٥)، وعرف أنه باب لم يُوجِف عليه أحدٌ قلبه بخيل ولا ركاب، ولا نطق ناطق قبل فيه بحرف ممَّا فيه. وصدق^(٦) - رحمه الله - وأحسن فيما سلك وسن^(٧)، وحقُّ لنا به - لإحسانه^(٨) أن نَقْتِدِي ونُسْتَنِّ. فحرك من فِكْرِي^(٩) الساكن، وأضربتُ عن نُسخَتِهِ إلى الاستدراكِ بِلَكِنْ^(١٠). وأبديتُ - بحول ربِّي - من مكنون^(١١) خاطري إلى الظهور، ما أثبتته بعون الله وقوته في هذا المُسْطُور،

(١) ب: وأسواره

(٢) ح: حدي

(٣) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي المتوفى ٤٢٠ هـ وابن الدارسين خلاف في نسبة الإسكافي للمعتزلة، والمعتزلي هو أبو جعفر، محمد بن عبد الله، زعيم الإسكافية منهم المتوفى عام ٢٤٠ هـ. نظر تفسير المعتزلة للقرآن الكريم، تاريخه ومنهجه / ٣٩.

(٤) ج: يصفى

(٥) ج: ليلب.

(٦) ج: وصرف

(٧) ج، ب، ع: وبين.

(٨) ف: بإحسانه

(٩) ب: فكري، ج: فكره.

(١٠) هذه العبارة غامضة لفظاً ومعنى في كل النسخ. فهي ف، ج: عن قسمته للاستدراك، وفي هـ:

عن نسخه للاستدراك، وفي م: عن نسخه الاستدراك، وفي ك: عن نسخة إلى إلى (٩)

الاستدراك، وفي ع: عن نسخة الاستدراك ولعل الصواب ما أبشاه.

(١١) هـ، ح، ع: عن مكنون.

معتمداً عين ما ذكره من الآيات، ومُستدركاً ما تذكّرتُه مما أغفله - رحمه الله - من أمثالها من المتشابهات، برفع تلك الإشكالات وإبداء المعاني الخفيّات، القاطعة بذوي^(١) البطالات، من غير أن أقف في ذلك على كلامه، إلّا بعد إبدائي لما يلهمه الله سبحانه وإتمامه، ولا ناقلاً إلّا في الشاذ النادر كلام أحد من^(٢) أرباب المعاني؛ إذ لم يتعرّض أحد غير من تقدّم ذكره لما من هذا الضرب أعاني، وإنما يُلقيه فكري إلى ذكرِي فيلقيه^(٣) ترجمان فهمي على قلّمي^(٤) وإن أثرت بعض ما عليه^(٥) لغيري عثرت فنقلْتُ^(٦)، أفصحت بالنسبة^(٧) وعقلْتُ.

وما أرى ذلك يبلغ في هذا المجموع غاية أقلّ المجموع، وإن نيف فيسير^(٨)، والتحقيق في ذلك - للأزم^(٩) الذّهل الإنساني - عسير، وما سوى ذلك [٢ / ظ] فانا ابنُ بجدته^(١٠) وذو عهديته، ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(١١).

وقد استجرت تلك الآيات جملة وافرة من المُغفلات، من أمثال تلك

(١) من ك، ب، وفي هـ، م، ع، ج: تدرب

(٢) من ب، ك، ع وفي هـ، ج، م: آخر من.

(٣) ك: فيمليه.

(٤) ج: على قلّمي، ب: إلى قلّمي.

(٥) ساقطة من ب.

(٦) ب: فقلب، ج: فقلت.

(٧) ج: بالنية.

(٨) م: فيسير.

(٩) ك: للأزام (٩).

(١٠) في كل الأصوب... فانا ابن نجدته وهو تصحيف للباء بالنون. قال الفيروزآبادي في القاموس

(بُحْد): وهو ابن بحدتها للعالم بالشيء، وللدليل الهادي، ولمن لا يبرح عن قوله، وعنده بُجْدَة

ذلك، أي علمه. وانظر: مجمع الأمثال ١/ ٣٤.

(١١) الحل ٥٣/

المشكلات مما يُجاري ويُشبه ويُلتبس على من قَصَرَ في النظر ويشتهه، مما لم يقع في كتاب «دُرَّة التَّنْزِيل» ولا تعرَّض له بذكر - لنص التَّنْزِيل - (١) ولا تأويل، فنبهنا (٢) على ذلك لِنَمَاز (٣) من المُجْتَمَع (٤) على ذكره، ويُفصل بعلامة (غ) تدل على أنه من المغفل، مُحَرِّزاً (٥) بفضل الله من عيون (٦) آلات العلوم، ما به قوام الفهوم (٧)، عائداً بالله سبحانه (٨) من سوء الوعي والقول في هذا المقصد العليّ بالرأي، فقد ملأ المسامع وعمر الأفكار، قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (٩).

ولما تيسَّر بفضل الله تعالى المقصود من هذا الغرض بهر حُسناً وكمالاً، ولأخ في أفق التفاسير (١٠) لنجومها هلالاً (١١)، سمّيته بكتاب «مِلَالُكَ التَّأْوِيل»، القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، في توجّيه المُتَشَابِه اللَّفْظ مِنْ آيِ التَّنْزِيل». وأنا أضرع إلى مَنْ وَسِعَتْ رحمته كل شيء، وشملت نعمه كل حي، أن

(١) ج، هـ. ولا تعرض له النص التَّنْزِيل، وفي ك. النص التَّنْزِيل

(٢) ك: مبهماً.

(٣) هكذا في ج، وفي بقية النسخ - ليجاز.

(٤) ب: على المشتل.

(٥) ج: ومحزراً، م: ومحزراً.

(٦) ج: من عيوب.

(٧) ك: المفهوم

(٨) ساقطة عما عدا الأصل.

(٩) ورد نص هذا الحديث في مسند أحمد في إحدى روايته برقم / ٢٠٦٩، سنن الترمذي / ٢٩٥٠

من طريق سفيان الثوري عن عبد الأعلى بن عامر الثعلبي بعدة أسانيد وروايات. ورواه الطبري في تفسيره ٧٧/١ - ٧٨ من طريق ابن عباس عن سعيد بن جبير عن عبد الأعلى أيضاً بعدة روايات وقد حسَّنه الترمذي وذهب علماء الحديث إلى تضعيفه لضعف رواية عبد الأعلى فيها نقل ابن حجر عن الإمام أحمد بن حنبل، وأبي زرعة، وابن عدي والدارقطني، ويعقوب بن سفيان في تهذيب التهذيب ٩٤/٦ - ٩٥. وانظر: التاريخ الصغير للبخاري ٢٢/٢، وتاريخه الكبير ٧١/٦، ميزان الاعتدال ٥٣٠/٢، جامع البيان ٧٧/١ - ٧٩.

(١٠) ج: التقا.

(١١) ع: للنجوم منها، وفي ج: للحق، بالخاء المهملة، وهو القمر قبل كماله بدرأ.

ينفع فيه بباعث النية وأن يبلغني من عفوه ومغفرته الأمانة^(١) . وأن يؤيد بالنصر والتمكين وموالاة^(٢) الفتح المبين مولانا أمير المسلمين بن أمير المسلمين بن أمير المسلمين^(٣) . وما أنا ابتداءً بحول الله وقوته، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٤) .

سورة أم القرآن^(٥)

وهي بجملتها من مُغَفَّلَات صاحب كتاب دُرَّة التنزيل^(٦) ، وكذا ما بعد^(٧) إلى الآية السادسة من سورة البقرة وهي قوله تعالى : ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٨) . وقد تقدم أنني أعلم على المُغْفَل بعلامة (غ).

١ - [الآية الأولى منها (غ)]:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) [٩]

وأرجع إلى أم القرآن، فأقول هي أم القرآن، ومطلع الكتاب العزيز

(١) سقط من ك قوله: وأن يؤيد - إلى قوله - ابن أمير المسلمين الأخيرة.

(٢) في كل النسخ . . وموالاة.

(٣) لعنه الأمير أبو عبد الله بن الأمير الغالب بالله بن نصر، سلطان غرناطة الذي آواه في محنته. راجع الإحاطة ١/ ١٩٨.

(٤) الصافات / ٩٦.

(٥) ب: سورة الفاتحة، وهو من اثنين وعشرين اسماً سميت بها هذه لسورة يقال فاتحة الكتاب. فاتحة القرآن، انظر روح المعاني ١/ ٣٤ - ٣٨.

(٦) ك: صاحب كتاب الدرة، ب: صاحب الدرة، ع: صاحب كتاب، ثم بياض كلمة.

(٧) ع: له، أما بعد.

(٨) البقرة / ٣٥.

(٩) زيادة يفتضيها نسق الكتاب.

وأول سورة في الترتيب الثابت. ومشروعية حمده سبحانه في ابتداء الأمور ونختامها متقرر معلوم، وقد تقرر^(١) في الكتاب العزيز، افتتاحاً واختتاماً، وأمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾^(٢). والمتروك من صفة حمده سبحانه في معظم الوارد منه في الكتاب العزيز، ما افتتحت به أم القرآن من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وورد في سورة الجاثية: ﴿قُلِ لِلَّهِ الْحَمْدُ﴾^(٣)، ثم وقع إتيان المفتاح من السورة، بحمده - جل وتعالى - بأوصاف مختلفات مما انفرد به سبحانه.

فللسائل أن يسأل^(٤) في ذلك أربع سؤالات:

السؤال الأول: ما الفرق بين الوارد في أم القرآن، وما جرى^(٥) مجراها، مما افتتح بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وبين^(٦) الواقع في سورة الجاثية من قوله تعالى^(٧): ﴿قُلِ لِلَّهِ الْحَمْدُ﴾.

السؤال الثاني: ما وجه افتتاح^(٨) السور الخمس [٣ / و] وهي^(٩) سورة أم القرآن، وسورة الأنعام، وسورة الكهف، وسورة سبأ، وسورة فاطر بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، واختصاصها بذلك، مع تساوي السور كلها في استقلالها بأنفسها، وامتنياز بعضها من بعض.

(١) ب: تكرر

(٢) الإسراء / ١١١، النمل / ٩٣.

(٣) آية / ٣٦.

(٤) في جميع النسخ: يسأل

(٥) في جميع النسخ: جراً.

(٦) ج: ومن

(٧) ع: محذوفة.

(٨) ح: ما الوجه في افتتاح، ب: زاد (في) قبل الفاظ ج.

(٩) ج: وهو.

السؤال الثالث: ما وجه اختصاص^(١) كل آية منها بما ورد فيها من أوصافه تعالى المتبع به حمده. ففي أم القرآن^(٢): ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وفي سورة الأنعام^(٣): ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(٤)، وفي سورة الكهف^(٥): ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾، وفي سورة^(٦) سبا^(٧): ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، وفي سورة فاطر^(٨): ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ^(٩) فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١٠)، فهل هذا التخصيص لمناسبة تقتضيه حتى لا يلائم^(١١) سورة منها ما ورد من ذلك في غيرها.

السؤال الرابع: ما وجه كون الوارد من حمده في الخواتم والانتهايات لم يطرد فيه ما اطرّد^(١٢) في افتتاح هذه السور من اختلاف التوابع، بل جرى على أسلوب واحد. فقال سبحانه: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٣)، وقال تعالى: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(١) ك، ب، ع. ما وجه تخصيص.

(٢) آية ٢/

(٣) محذوفة.

(٤) الآية الأولى منها.

(٥) ب. محذوف من الآية، ﴿وجعل الظلمات والنور﴾.

(٦) الآية الأولى منها.

(٧) ساقط من ك قوله: ﴿الحمد لله﴾.

(٨) محذوفة من ك.

(٩) الآية الأولى منها.

(١٠) الحمد لله، ساقطتان من ك، هـ، م.

(١١) الآية الأولى منها.

(١٢) ﴿الحمد لله﴾ ساقطتان من: ك، هـ، م، ب.

(١٣) عبارة ك: وفي سورة فاطر ﴿السموات والأرض﴾.

(١٤) ساقطة من هـ.

(١٥) ب: لم يرم فيه ما اطرّد.

(١٦) الأنعام / ٤٥.

الْعَالَمِينَ^(١) ، وقال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبُّ
الْعَالَمِينَ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبُّ
الْعَالَمِينَ^(٣) .

والجواب عن السؤال الأول بعد تمهيده . وهو أن نقول : إن قوله سبحانه
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ، مبتدأ وخبر ، وكذلك قوله : ﴿قُلِ لِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ ، وتأخر في هذه
الثانية المبتدأ والحاصل في الموضعين معنى واحد^(٤) ، وهو حمده تعالى بما
هو أهله . ومعلوم أن التقديم والتأخير فيما بين المبتدأ والخبر ، إذا لم يقع
عارض مما يعرض في التركيب ، ككون المبتدأ مما يلزم صَدْرُ الكلام ، أو
كون^(٥) الخبر كذلك فيلزم تقديم ما له الصُدْرِيَّةُ ، إلى غير ذلك من العوارض
وهي كثيرة . فما لم يعرض عارض يوجب لأحدهما التقديم أو التأخير ،
فتقديم أيهما كان وتأخير الآخر عربي فصيح ، إلا أن مرتبة المبتدأ التقديم ،
لينبني عليه الخبر بتقديمه^(٦) عند عدم العوارض اللفظية أولى كما في
القرآن .

وإذ وضح هذا ، فللسائل أن يقول : ما الموجب لتقديم الخبر عن^(٧)
المبتدأ في سورة الجاثية ، وهل كان يسوغ عكس الواقع ؟

والجواب : أن العوارض الموجبة لتقديم ما مرتبته التأخير ، أو تأخير ما
مرتبته التقديم ليست منحصرة في جهة التركيب اللفظي ، بل قد يعرض من

(١) يونس / ١٠ ، والآية ساقطة من ج .

(٢) الزمر / ٧٥ .

(٣) الصافات / ١٨١ ، ١٨٢ والآيتان محذوفتان من : ع ، ج ، ك . وزاد في ك «فورد هنا مُكْتَفًى بوصفه
سبحانه بأنه رب العالمين» .

(٤) ب : المُنْبِيُّ واحدٌ .

(٥) ك : أو - كان .

(٦) ع : فتقديمه .

(٧) هـ ، ك ، ب : علي ، وكلا الحرفين حائز في الدلالة على المعنى المراد .

جهة المعنى وتقدير الكلام ما يقتضي ذلك ويوجهه^(١). وإذا تقرر هذا فنقول: إن قوله تعالى: ﴿قُلِّلْهُ الْحَمْدُ﴾، ورد على تقدير الجواب بعد إرغام المكذّب وقهره، ووقوع الأمر مطابقاً لأخبار الرسل عليهم السلام، وظهور ما كُذِّبَ الجاحدُ به. فعند وضوح الأمر، كأنه قد قيل: لمن الحمد ومن أهله؟ [٣ / ظ] فجاء الجواب على ذلك فقيل: ﴿قُلِّلْهُ الْحَمْدُ﴾. نظير هذا قوله تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، ثم قال: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٢). ألا ترى تلاقي الآيتين فيما تقدّمهما. فالمتقدم في سورة المؤمن^(٣) [قوله تعالى]: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ. يَوْمَ هُمْ^(٤) بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾^(٥) فعند ظهور الأمر للعين، ومشاهدة ما قد كان خبيراً^(٦)، قيل لهم: لمن الملك اليوم؟. وتقدم في سورة الجاثية: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ - الآيات^(٧) وإنما ذلك يوم التلاق^(٨) والعرض عليه سبحانه. فعند المعاينة وزوال الارتباب والشكوك كأن قد قيل لهم: لمن الحمد، ومن أهله؟ فورد الجواب بقوله: ﴿قُلِّلْهُ الْحَمْدُ﴾، الآية فالآية^(٩). والمقدر المدلول عليه كالمنطوق، والإيجاز مُستدعٍ لذلك، وكما تقدم ذكر الملك في آية المؤمن منطوقاً به لم يُحتج إلى إعادة ذكره^(١٠)؛ فقيل: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾، ولم

(١) راجع معاني القرآن للأخفش ورقة ٣/ط - ٤/ظ، خزانة الأدب ٥٩/٤، كتاب سبويه ١/

٥٦، ١٢٦/٢ - ١٢٨، حاشية الصبّان على الأشموني ٢٠٠/١، والفصل المستفيض الذي

كتبه الزركشي عن التقديم والتأخير في البرهان ٢٣٣/٣ - ٢٧٥.

(٢) غافر/١٦.

(٣) جميع النسخ: المؤمن، والصواب ما أبتناه.

(٤) ج، ب: يومهم.

(٥) غافر/١٥، ١٦.

(٦) ساقطة من ج، ب.

(٧) الآيات ٣٣ - ٣٦.

(٨) ك: يوم التلاقي.

(٩) ج، ع. الآية كالآية.

(١٠) ح، هـ، ع: تذكره.

يقول: **قُلِّلْهُ الْمُلْكُ**؛ لتقدم ذكره. ولما كان الحمد في سورة الجاثية، لم يتقدم ذكره إنما هو مقدر يدل عليه السياق، لم يكن **بُذَّ**^(١) من الإفصاح به في الجواب، فقليل: **﴿قُلِّلْهُ الْحَمْدُ﴾**. ولأجل ما قصد من تقرير المكذبين، وتوبيخهم، عند انقطاع الدعاوى، ووضوح الأمر، أتبع حمده^(٢) تعالى بقوله: **﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**^(٣) بذكر ربوبيته تعالى ما أوجده^(٤)، من أعظم مخلوقاته وأبدع مصنوعاته، قال تعالى: **﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾**^(٥)، وأعاد ذكر ربوبيته، مع كل من هذه المخلوقات العظام المنصوبة للاستدلال بها، والاعتبار بعظيم خلقهما وما فيهما^(٦)، فقال: **﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ﴾**، ثم أتبع ما يعم ربوبيته^(٧)، فقال: **﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**^(٨). والعالم ما سواه سبحانه من جميع مخلوقاته. ثم قال: **﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**^(٩)، أي الانفراد بالعظمة والحلال والخلق والأمر، وهو العزيز الذي ذل كل مخلوق لعزته وقهره، الحكيم في أفعاله الذي جعلت حكمته عن أن تدرك الأفهام غايتها، أو يحيط ذوو التفكير^(١٠) بنهايتها، فناسب ما ورد منها^(١١) من الإطالة، بتكرار ما ذكر مقصود الآية. وذلك هو الجاري متى قصد تعنيف المشركين،

(١) ك: يؤمن - بدل - بذ من.

(٢) ب: حمده بقوله تعالى... (هكذا).

(٣) الجاثية / ٣٦.

(٤) ك: لما أبداه وأوجده.

(٥) غافر / ٥٧.

(٦) ج: بعظم خلقها وما فيها، ك: وما فيهما (٩).

(٧) ك: بما يعم ربوبيته لذلك كله، فقال...

(٨) الجاثية / ٣٦.

(٩) الجاثية / ٣٧.

(١٠) ج: ذو - التفكير، ب: ذوي.

(١١) ك: ما ورد لها.

وَمَنْ عَبَدَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، وهو وارد في غير ما موضع^(١) من كتاب الله تعالى .
وتكرير^(٢) لفظ «رَبِّ» في قوله: ﴿وَرَبُّ الْأَرْضِ﴾، مما يشهد لهذا الغرض
من قصد تفريع الجاحدين. ولما كان الوارد في أم القرآن خطاباً للمؤمنين
وتعليماً للمستجيبين، مجرداً عما قصد في آية الجاثية، من توبيخ المكذبين،
ورد على ما قُدِّم من الاكتفاء، وكلُّ على ما يجب ويناسب.

والجواب عن السؤال الثاني: أن وجه تخصيص السور الخمس بما
افتُتحت به من حمده تعالى ما ذكره آنفاً^(٣). أما أم القرآن، فمن أول^(٤)
السُّور، ومطلع القرآن العظيم [٤ / و]، بالترتيب^(٥) الثابت بافتتاحها بحمده
تعالى^(٦) يَبِين.

وأما سورة الأنعام، فمشيرة إلى إبطال مذهب التَّوَيَّة، ومن قال بمثل^(٧)
قولهم ممن جعل الأفعال بين فاعلين إلى ما يرجع إلى هذا^(٨). وقد نُسِطَتْ
هذا في كتاب الرهان. وإذا كنت هذه السورة مشيرة إلى ما ذكر، وانفردت

(١) كذا في ك، ب، ع. وفي ج، هـ، م، ن: ما وضع.

(٢) ج: تكرر... ومصدر كُرِّر: تكرر، وتكرَّر، وتكرَّر.

(٣) ب: ما يذكره أثناء.

(٤) هـ، ج، ع: معنى أول. وفي ب، ك: فهي أول.

(٥) ج، ع: والترتيب.

(٦) ك: سبحانه.

(٧) ب: قال بقولهم.

(٨) التَّوَيَّة ممن يقولون بحدوث الأجسام وينكرون الأعراس والقول بنهاية العلم. ويعتقدون أن
المخلوقات بين فاعلين اثنين، هما النور والظلمة وكذا يقولون: إن الأحسام في الأصل نوعان
قديمان هما النور والظلمة، متضادان في الصورة والفعل، ولكل منهما خمسة أبدان مختلفة - ومهم
لهاية، والديبضية، والمردكية، والمرقية. انظر: الخور العين / ١٣٩ - ١٤١، أصول
الدين / ٥٢، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين / ٨٨، ٨٩، والملل والنحل / ٩٢، كتاب
لتوحيد لعماد بري / ١٥٧ - ١٧٢، المهيد / ٦٨ - ٧٥.

بذلك، فافتتاحها بحمده تعالى يُبَيِّن. وفي الجواب عن السؤال الثاني، لهذا^(١) زيادة بيان.

وأما سورة الكهف، فكذلك لبناؤها على قصة أصحاب الكهف، وذكر ذي القرنين حسبما أُلْقِيَ يَهُودُ لِسَائِلِهِمْ مِنْ كَفَّارِ قَرِيشٍ، وذلك مما لم يتكرر^(٢) في القرآن، فافتُتِحَتْ بحمده تعالى، وذلك يُبَيِّن.

وأما سورة سبأ، فإن قصة سبأ لم يَرِدْ أيضاً فيها في غير هذه السورة إلا الإيحاء الوارد في قوله في سورة النمل^(٣): ﴿وَجِثَّتْ مِنْ سَبَأٍ بَنِيًا يَقِينٌ﴾. فلما تضمنت سورة سبأ من هذا ما تضمنت، ومن قصص داود وسليمان (عليهما السلام)^(٤) ما منحهما الله سبحانه من تسخير الجبال، والطير، والحن، وإِلَآئَةِ الحديد، ولم يجتمع مثْلُ هذا التعريف في^(٥) سواها. افتتحها سبحانه بحمده وانفراده بِمُلْكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وما فيهما^(٦)، وأنه أهل الحمد في الدنيا والآخرة.

وأما سورة فاطر، ففيها التعريف بخلق الملائكة عليهم السلام، وجعلهم رُسُلًا أُولِي أجنحة، إلى خلق السموات والأرض وإمساكهما^(٧) أَنْ تَزُولَا، وانفراده بذلك، ولم يقع هذا التعريف في غيرها من سور القرآن. فناسب^(٨) هذه المقاصد المُفْرَدَةِ، التي لم تَرِدْ في غير هذه السور ما افتُتِحَتْ به. ولا

(١) ب: هذا

(٢) ج: برد، ومكانها بياض في ع.

(٣) آية ٢٢/، وفي هـ: النحل... وهو خطأ.

(٤) في ك فقط

(٥) ب: التعريف بعد في.

(٦) هكدا في م، ك وبقية النسخ: وما بينهما

(٧) ك: وإمساكها.

(٨) ب: فناسب هذا

يلزم على هذا، أطراد ذلك في كل سورة انفردت بتعريف، أو حكم ليس في غيرها، بل جواز ذلك مُنْسَجِب على الجميع واحتصاص هذه السور بذلك واضح، لانفرادها بما ذكرناه.

والجواب عن السؤال الثالث: أن أم القرآن لما كانت أول سورة، ومطلع آياته، وهو المُبَيِّن لكل شيء، والمُعَرَّف^(١) بوحْدانيته سبحانه، وانفراده بالخلق والاختراع، ومِلْك الدَّارَيْن، ووصفه بما هو أهله، والجامع لعلوم الدَّارَيْن، فَنَاسِب ذلك من أوصافه العَبِيَّة ما يُشِير إلى ذلك كُلِّهِ. من أنه رَبُّ الْعَالَمِينَ، وأنه الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وأنه مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ، حتى تنقطع الدَّعَاوِي، وتظهر الحَقَائِقُ، ويبرز ما كان خِصْرًا إلى العِيَان وهذا واضح^(٢). أما^(٣) مناسبة الوصف الوارد في سورة الأنعام، فمن حيث ما وقع فيها من الإشارة إلى مَنْ عَبَدَ الْأَنْوَارَ^(٤)، وجعل الخير من النور والشر من الظلمة، فافتتحها تعالى بوصفه بأنه خالق السموات والأرض، وهي الأجرام التي^(٥) عنها تَدُورُ الظُّلُمَةُ^(٦)، وفيها الأجرام^(٧) السَّيَّراتُ. وذكر تعالى أنه خالق الأنوار. وأعاد سبحانه [٤ / ظ] ذَكَرَ ما فيه الدَّلَالَةُ الْبَيِّنَةُ، على بَطْلَانِ مَذْهَبِ مَنْ عَبَدَ لَنُورَاتٍ^(٨)، أو شيئاً منها في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ

(١) م، ع، هـ، ك، ب. المعروف. وما أثبتناه من وج.

(٢) في جميع النسخ: أوضح.

(٣) ف، ع: وأما

(٤) ج، ع: النور.

(٥) ف: سقط منها: التي عنها - إلى - الأجرام.

(٦) في بقية النسخ: الظلمات.

(٧) زيادة من ك، ب.

(٨) يريد عبدة الكواكب والنجوم، وخلاصة قوهم أن مدبر هذا العالم وخالقه، هو الكواكب

لسعة، والبروج الاثنا عشر. ويقال لهم الخرائثيون، أو الصائفة وهي النسيمة التي أطلقت عليهم في القرنين الثالث والرابع لهجريين.

مَلَكَوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾ - الآيات. فقال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى
كَوْكَبًا﴾^(١)، ثم قال عليه السلام على جهة الفرض، لإقامة الحجة على
قومه: ﴿هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِيبُ الْأَفْلِينَ﴾^(٢). ثم قال ذلك في الشمس
والقمر، مُسْتَدِلًّا بِتَغْيِرِهِمَا وَتَقَلُّبِهِمَا فِي الطُّلُوعِ وَالْغُرُوبِ عَلَى أَنَّهَا حَادِثَةٌ
مَرْبُوبَةٌ مُسَخَّرَةٌ طَائِعَةٌ لِمُوجِدِهَا^(٣)، الْمُنَزَّهَ عَنْ سَمَاتِ التَّغْيِيرِ وَالْحَدُوثِ، فَقَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ عَدَّ ذَلِكَ لِقَوْمِهِ: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(٤). فَأَخْبَرَ عَنْ حَالِهِ
قَبْلَ هَذَا الْإِعْتِبَارِ وَبَعْدَهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا
وَلَكِنْ كَانَ خَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٥). وَفِي طَيِّ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا
كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، تَزْيِيهُهُ عَنْ عِبَادَةِ النُّجُومِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا سِوَاهُ تَعَالَى.
وَنَافَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ مَا افْتَتَحَتْ بِهِ السُّورَةُ مِنْ إِفْرَادِهِ تَعَالَى بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ، وَالظُّلُمَاتِ^(٦) وَالنُّورِ، فَوَضَّحَ التَّنَاسُبُ وَالتَّلَازُمُ^(٧).

وَأَمَّا سُورَةُ الْكَهْفِ، فَإِنَّهَا لَمَّا انْطَوَتْ عَلَى التَّعْرِيفِ بِقِصَّةِ أَصْحَابِ
الْكَهْفِ، وَلِقَاءِ^(٨) مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْخَصِرَ^(٩)، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمَا، وَذِكْرِ
الرَّجُلِ الطَّوَّافِ وَبُلُوغِهِ مَطْلِعِ الشَّمْسِ وَمَعْرِبِهَا، وَنِيَّاتِهِ^(٩) سَدَّ يَأْجُوجَ

(١) الأنعام / ٧٥، ٧٦.

(٢) ب: (على أسهما حادثين مربوتين مسخرتين طائعتين لموجدهما) في موضع (على أسهما - إلى -
لموجدها)

(٣) الأنعام / ٧٥ - ٧٨.

(٤) آل عمران / ٦٧.

(٥) قل الظلمات في: ج، م، ك مكتوب كلمة (إله) ولا معنى لها في هذا السياق

(٦) ك: التلاوم.

(٧) ك: ولفى.

(٨) راجع في قصة الخضر وموسى: صحيح البخاري ٢٨/١ - ٢٩، غرائب القرآن ورجائب
لفرقان، جامع البيان كلاهما ح ٤/١٦ - ٢٣، وقد نص النيسابوري على أن موسى المقصود هو
موسى بن عمران وليس يوشع بن نون، أو أخوه، أو عبده المرافق له في السفر، وإلا لوجب
تعريفه بما يميزه ويُخصّصه.

(٩) ك: ونائه.

ومأجوح. وكل هذا إخبار بما لا مجال للعقل في إدراكه. ولا تُعرف حقيقته إلا بالوحي، والإنباء الصدق، الذي لا عوج فيه، ولا أمت^(١)، ولا زُيغ، ناسب ذكر^(٢) افتتاح السورة المعرفة بذلك بالوحي المقطوع به قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾^(٣). والتناسب في هذا أوضح من أن يتوقف فيه.

وأما سورة سبأ فلما تضمنت ما منح سبحانه داود وسليمان من تسخير الجبال والطير والرياح، ولآية الحديد، ناسب ذكر ما به^(٤) افتتحت السورة من أن الكل ملكه وخلقه المُسَخَّر لها^(٥)، والمتصرف في الكل بما يشاء^(٦). فقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٧). وهذا أوضح التناسب.

وأما سورة الملائكة^(٨)، فمناسبة وصفه تعالى باختراع السموات والأرض لما ذكره من خلق عامري السموات من الملائكة، وجعلهم رسلاً أولي أحنحة، وإمساكه السموات والأرض أن تزولا، ولا أتين شيء وأوضحه. وليس شيء من هذه الأوصاف العلية بمناسب لغير موضعه، كمناسبة^(٩) موضعيه الوارد فيه. فقد بان مجيء كل منها في موضعه ملائماً لما أتصل به، والله أعلم.

(١) ب: ولا امراء.

(٢) ك: فناسب ذلك ذكر

(٣) الكهف / واحد

(٤) في باقي النسخ: ناسب ذلك ما به.

(٥) ك: لها.

(٦) ج، ب، ع: شاء.

(٧) سبأ / واحد.

(٨) هي سورة طه.

(٩) هـ، ع: لمناسبة.

والجواب عن السؤال الرابع، أن الخواتم والانتهايات في^(١) السور والآيات لما كانت^(٢) غير مقصود بها ما قصد في المواضع المتقدمة [٥ / و] وإنما هي مشروعة للمؤمنين عند خواتم أعمالهم، وانقضاء أمورهم، وقع الاكتفاء فيها بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ إذ في طي ذلك اعتراف المؤمن، وعلمته بانفراد موجدِه - جلُّ وتعالى - بالخلق والأمر، وبملك الدارين، وأهليته سبحانه لكل ما تضمنت الأوصاف كلها في السور المذكورة، وليس موضع توبيخ ولا تقريع، فناسب الاكتفاء بما ذكر والله أعلم^(٣).

(١) كذا في م، ك، وفي بقية النسخ: مع السور.

(٢) كذا في م، ك، وفي بقية النسخ: لما كان.

(٣) جاء في النسخة (ك) زيادة، بعد الانتهاء من الآية الأولى، قرابة ثلاث صفحات صدرها بعنوان: «الآية الثانية» وهي تخالف هذه الزيادة سائر النسخ، كما تختلف طريقة المؤلف فيها عن طريقة اس الربر. أضف إلى ذلك أنها تتحدث عن الآية الأولى التي سبق الحديث عنها، كما أن المؤلف نص على أن سورة الفاتحة كلها من معملات صاحب كتاب. «درة التبريل»، وعادته أنه يصدر الآية المعملة بحرف (غ) ولم تصدر العين هذه الآية المروص بها من المعملات ونص هذه الزيادة في (ك) (٣ / ب). الآية الثانية قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾. اتفق القراء السبعة على الاتناء في هذه الصفات العبية وأحرائها على ما قبلها وقال تعالى في سورة البقرة (آية / ١٧٧): ﴿لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرُّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَجَيْنَ النَّاسِ﴾. وفي سورة النساء (آية / ١٦٢): ﴿لَكِنَّ الْرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾. واتفق القراء السبعة في هذه الصفات الأربع وهي قوله في آية سورة البقرة: ﴿وَالْمُوفُونَ﴾ و﴿وَالصَّابِرِينَ﴾. وفي آية النساء: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ على القطع: كما اتفقوا في أم القرآن في الأربع الصفات الواردة فيها على الإتيان. وقد اتفقت ثنائيتها في أنها صفات ثناء ومدح وتعظيم. ثم اختلفوا فيما ذكروا من الإتيان ولقطع، ولم يجروها مجرى واحداً. وقد ترجم س^(١) رحمه الله على ما ينتصب على التعظيم والمدح. وقال في الترجمة بعد

(١) يعني بحرف السين سيويه أنظر الكتاب ٦٢ / ٢ قال: «هذا باب ما ينتصب على التعظيم والمدح».

إشارتها إلى أن الوجه الانتصاب على ما ذكر من القطع بمقتضى مفهوم الترجمة فاتبع بأن قال: وإن شئت جعلته صفةً مجزئاً على الأول، وإن شئت قطعته لما يتبادر به، واستشهد على القطع بما ورد من قول العرب: الحمد لله الحميد هو، والمثل لله أهل الملك؛ فنصب الحميد. ولهذا اتبع الضمير المؤكد للمستتر في الصفة ليظهر النصب، ولم يحتاج إلى ذلك في أهل الإضافة بين النصب في الصفتين. ثم اتبع بجواز الرفع والاتباع وأشار إلى أن القطع هو المختار في الباب إذا كان الموصوف معلوماً والصفة للمدح والثناء. فهذا حاصل قوله، وقول الجمهور عليه، وزد ما أورده من الآيات، وما ذكر عن العرب من الإثبات، ثم به أشار إلى ضعف القطع في أثناء كلامه. وسمعتنا بعض العرب يقول: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، يعني بالنصب فسألت يونس عنها فزعم أنها عربية. وعادته رحمه الله [١/٤] التعبير بهذه العبارة عما هو دون غيره في القوة. من ذلك قوله في أول أبواب الاشتغال عقب بيت ذي الرمة:

أحبا أبي موسى بلالاً بدفتُهُ فقدم نفأس بين وضليط حارر^(١)
فقال عقبه^(٢): فالنصب عربي كثير، والرفع أجود

ولما استشهد على اختيار النصب فيما تقدم قبله جملة، فعليه بيتي الربيع بن ضع الفزاري^(٣):
أَصْنَحْتُ لَا أَجْبُلُ السَّلَاحَ وَلَا أُمْلِكُ رَسَاسَ تَجْبِيرُ إِنْ يَمْرَا
وَالدَّيْبُ أَحْشَاءُ إِنْ مَرَزْتُ بِهِ وَخُدِي وَأَخْشَى الرِّيَّاحَ وَالْمَطَرَا
نصب الديب وهو المختار، اتبع بأن قال: وقد يتبادر فيحمل على مثل ما يحمل عليه وليس قبله مصوب وهو عربي. وذلك قولك: لقيت زيدا وغمر وقيته. ولم يخالف أحد في أن النصب في هذا أفصح. وقال في مسألة^(٤) أنت عبد الله ضربته، واختياره الرفع في عبد الله لما حمل الضمير المنفصل قبله متدا، وهو أنت، فضعف مغوي النصب في عبد الله، وهو الاستمهام للمفصل بالمتدا. فقال بعد اختياره الرفع: لما ذكر - إلا أنك إن شئت نصته، كما نصبت. ريدا ضربته. ثم قال: وهو عربي جيد، بعد ما قدم أن الرفع عنده أولى.

وقال في مسألة^(٥): رأيت متاعك بغضة فوق بعض، وجوز الرفع والنصب على معنيين. فقال عقب ذلك: والرفع في هذا أعرف. ثم قال بعد: وإن نصبت فهو عربي جيد. وقال بعد إنشاده:

إِنْ عَلِيٌّ إِلَهُ أَنْ تُبَايَعَا تَوَخَّدَ كَرِهًا أَوْ نَحْبِي طَائِعَا

(١) الكتاب ٨٢/١ وليت فيه بغير هذه الرواية.

(٢) هكذا في النص.

(٣) الكتاب ٨٢/١ والبيت فيه بغير هذه الرواية.

(٤) هكذا في النص.

(٥) نفسه ٨٩/١

(٦) أنظر الكتاب ١٤٧/١، ١٤٨.

(٧) نفسه ١٥٥، ١٥٦.

قال: فهذا عربي حسن، والأول أكثر وأعرف فقد تبين من متعارف إطلاقه ما يريد بهذه العبارة، وقد ترددت في كنهه كثيراً. فحكايته هذه القراءة عن بعض العرب بعد إثبات القطع عن جميعهم، إذ لا يقتضي إطلاق كلامه غير ذلك. وعليه فهمه الناس عنه وغزواً^(١) عليه كلام جميعهم اعتماداً على تلقّيه من العرب. ثم حكى ما يعارض ما تمهد من ذلك بما ذكر من هذه القراءة. فهذا مع سؤاله يونس عن هذه القراءة، وجواب يونس بأنها عربية. وقد بينا مراده بهذه العبارة، و[أما] قول سيويه في إخباره عن قول يونس فزعم حاصل من ذلك كله ضعف القطع في هذه الصفة مع أنها مدح وتعظيم. فالوجه على ما تأصل فيما قدما قطعها. فتضيف هذه القراءة معارض لما اتفقوا عليه فهو مما يُشكل ولم أر من تعرض له من نحوي ولا مُفسّر إلا بما لا يصح، وقد أطنب أبو الفضل بن الخطيب - رحمه الله - في التفسير المنسوب إليه فيما أورد في تفسير الفاتحة وما تعرض لهذا بشيء، وكذلك غيره من النحويين والمفسرين، إلا من قال إن القطع في هذه القراءة هو الوجه وإياه أراد سيويه وإن جواب يونس بقوله عربية إنما يريد أنها فصيحة كالمثل المذكورة معها وهذا خطأ، ومن أمعن النظر في كلام سيويه ترأه من هذا وقد زعم بعض من عاصرنه من النحويين أن سيويه إنما قصد بما حكاه عن بعض العرب من هذه القراءة وسأل يونس عنها لرد على من قال، إن القطع لا يكون إلا بعد إتيان. فهذا أيضاً فاسد، إذ لم يتقدم من كلام سيويه - رحمه الله - ما يسي عليه هذا، لا في الترجمة ولا في المثل، ولا فيما أنشده من قول الأحنف ومُنهج، ولا تعرض له إلا بعد أن ذكر بعض ما سمعه من قراء بعضهم: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ بالنصب، وسؤال يونس عنها وساء الباب على ما تقدم وتعقبه بما به أتبع الترجمة وكل ذلك جارٍ على ما فهمه الجماعة من اختيار القطع وإن لم يتقدم إتيان. ثم إن القطع قبل الإتيان قد تحصل مما أوردته من المثاليين المسموعين والآيات، وما أنشده قبل الإتيان وبعده من غير تفصيل في الحالين. وذلك كله يقتضي استواء الحكم ما لم يكن الموصوف [٤/ب] يفتقر إلى زيادة بيان فإنه قد يحسن إذ ذاك تقدّم الإتيان لينحكم العلم بالموصوف. أما إذا كان الموصوف معلوماً فلا يفتقر إلى زيادة بيان. ولما لم يمع فيما صدر به سيويه الباطل إلا ما هو معلوم غير محتاج إلى زيادة بيان. وإذا ثبت هذا ولم تقع إشارة إلى ما زعم هذا القائل من هذا التفصيل، فلا يتوقف القطع على الشرطين المذكورين من كون الصفة لثناء والتعظيم وتكون الموصوف معلوماً، وهل يطرد هذا الحكم في كل ما وُحِد فيه أم يتفصل؟ هذا حكم آخر وسيُستوفى هذا بعد إن شاء الله. أم تقدم الإتيان فليس بشرط وإنما تعلق القائل بذلك بما ذكر أبو طاهر من باب شاذ، مما يشير إلى أنه قول قائل من نحويين إلا أنه لم يتعرض لكلام سيويه. وإنما الخطأ في نسبة ذلك لسيويه مع فساد هذا القول في نفسه. فإذا تقرر ما أصلناه من أن الوجه في الصفة فيه صفة مدح أو

(١) في الأصل عزو. بدون الف.

دم والموصوف معلوم، قصص الصفات وبه الافصح، فلنسال أن يدل عن وجه ضعف النص في القراءة المذكورة مع حصول شرط القطع، وليس نفس القراءة على خلاف ما تمهّد لأنه الوجه؟ والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن اختيار القطع بعد حصول شرطه معتردا ما لم تكن الصفة خاصة بما حوت عليه لا يلقى بعيره ولا يتصف بها سواء. ولا شك أن هذا الضرب قليل جداً، فلذلك لم يصحح سيويه - رحمه الله - باشتراطه واكتفى بالوارد مما ذكر عن بعض لعرب. فإذا كانت الصفة مما لا يشارك فيها الموصوف غيره وكانت محتصة بمن حوت عليه فالوجه فيها لإتباع. ويترد ذلك في صفات الله سبحانه مما لا يتصف به غيره، وأصبح ذلك هذه الصفة العلية. ألا ترى أن ربوبية تعالى للعلم بأسره لا تنفي لغيره، ولا يتصف بها سواء. فلما كانت على ما ذكرته لم يكن فيها القطع والمراد السماع على هذا كاف في الدلالة فمعه الآية المذكورة. ومعه قوله تعالى: ﴿حَمْدُكَ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْغَزِيرِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ﴾^(١)، لما كان وصفه تعالى بعاقر لذنب وما بعده لا يلقى بعيره تعالى، لم يكن فيه إلا الإتباع، والإتباع لا يكون بعد قطع فلم الإتباع في الكل. ومن هذا قول غمروس الجموح:

الحَمْدُ لِسَمِ الْعَلِيِّ دِي الْمَسْ الْوَاهِبِ الرَّزَاقِ دَسَارِ الدَّيْرِ

وهذا مع تكرار الصفات، وذلك من مسوعات القطع على صفة ما، وعند بعضهم تعبير بصفة. وأما الإتباع فبما لم يقع فيه إلا صفتان من صفاته تعالى فأكثر من أن يحصى. وهذا شاهد السماع وهو كاف وله وجه من القياس وهو شبهه بالوارد في سورة الحَمْدِ (٤٣، ٤٤) في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾. ثم قال تعالى بعد (٤٨، ٤٩): ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى﴾، فورد في هذه الجمل الأربع لفصل بالضمير المرفوع بين اسم ن وجبرها ليحرز بمفهومه نفى الاتصاف عن غيره تعالى بهذه الأحبار، وكأنه الكلام في قوة أن لو قيل: وأنه هو لا غيره، ودلت أنه لما كان يمكن انمايت الجاحد ادعاء هذه الأوصاف لنفسه مباهتاً ومغالطاً كقول طاغية إبراهيم عليه السلام، جواباً لإبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ (البقرة / ٢٥٨)، فقال الطاغية مباهتاً ومغالياً لامثاله: ﴿أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾. (البقرة / ٢٥٨)، فلوهم بفعلته يُطلق عليها هذه العبارة مجازاً بقتله من لم يستوجب القتل، وتسريحه من وجب عليه القتل جار في هذه الجمل المفصول فيها بالضمير، فأتى به مجزراً لما ذكر، ولم يرد هذا الضمير في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (النجم / ٤٥)، لأن ذلك بما لا يتغاطله أحد، لا حقيقة ولا مجازاً. وبالاعتراف بذلك أخبر تعالى عن عتاة الكفار العرب وغيرهم حين قال تعالى: ﴿وَلَبِّنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (الزخرف / ٨٧)، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ أَمَلَكْ غَادَا الْأُولَى﴾ (النجم / ٥٠)، لكون إهلاك القرون المحسنة بما لا يمكن أن يسب لغير الله تعالى، فلم يعرض في هذا مفهوم. فلما لم يكن في هذه الآي الثواني مفهوم يحتاج إلى التحرز منه لم يرد هنا فصل

٢ - الآية الثانية^(١) من أم القرآن (غ) قوله تعالى :

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٣)﴾

فيها سؤال واحد وهو أن يقول القائل^(٢) : ما وجه الفصل بهاتين الصفتين العليتين من قوله : الرحمن الرحيم بين الصفتين المقتضيتين ملك الدارين فيهما وهما : رب العالمين . مالك يوم الدين^(٣) ، من حيث إن الحمد لله يتضمن^(٤) ألا^(٥) رب سواه فهو ملك الكل . فقد كان المطابق لهذا إيصال^(٦) مالك يوم الدين به^(٧) حتى يقع وصفه بملك الدارين جميعاً

= ضمير كـ ورد فيما تقدم وإذا تأملت القطع في صفات الشاء والمدح وحدث ما مهدناه حارياً على هذا ألا ترى أنك إذا قلت مررت بريد العالم . فأنتمت الصفة لموصوفها مع كون الصفة صاحبة لم أخبرت عليه ولغيره لم يكن ذلك ليدفع غير ريد عن مشاركته في صفة التي أحربتها عليه فهذا قطعت ، قلت مررت بريد العالم هو ، برفع الصفة على تقدير مستداً أي هو العالم أحرر ذلك الضمير المبتدأ بمفهومه أن غير زيد ليس بعالم ، أو أنه ليس كزيد ، وكأنك قلت هو العالم لا غيره ، كـ في الآي المتقدمة . وكذا القطع في النصب من غير فرق ، فإذا كانت الصفة تخص من جرت عليه لم يكن هناك مفهوم يتحرز منه فلم يكن القطع ليُحرر هنا فائدة ولم يُنتج إليه وعليه ورد السماع كما قدم فقد تعاضد اسماع كما بينا ، ووجب الإتيان في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهو مما لم يتعرض له أحد بما يخلص مع لزوم الخوف عنه .

(١) ك : الثالثة .
(٢) ب : إن قيل ، بدلاً من (فيها - إلى - لقائل) .
(٣) الفاتحة / ٢ ، ٤ . والقراء مختلفون في قراءة : مالك ، كما يقرر ابن خالويه ، وأبو جعفر الطبري . فمنهم من قرأها (مَلِك) بفتح فكسر ، ومنهم من قرأها بنصب الكاف وقد وردت قراءة (مَلِك) في بقية نسخ المخطوطة والصواب في قراءتها (مَالِك) اسم فاعل ، لإجماع الأمة على نواترها وهي قراءة عاصم ولكسائي . أنظر الحجة / ٦٢ ، الانحاف / ١٢٢ ، وجامع البيان ١/ ١٤٨ ، السبعة / ١٠٤ ، الكشف ١/ ٤٥ ، أحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٣٩ - ١٤١ ، البحر المحيط ١/ ٢٠ - ٢٣ .

(٤) ب : أن الحمد يتضمن . ج . هـ . ع : أن الحمد يتضمن . ك . أن الحمد لله رب العالمين يتضمن .
(٥) في جميع النسخ : أن لا .
(٦) ع ، ج . أيضاً .
(٧) الحار والمحروور ساقطان من ح .

وبالانفراد فيهما بالخلق والأمر والحكم كما هو. وكما ورد في قوله: ﴿لَهُ
الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾^(١). فالجاري مع هذا أن لو قيل: الحمد لله
رب العالمين مالك يوم الدين، والفصل بالرحمن الرحيم مما يكسر^(٢)
سورة^(٣) هذا الغرض فما وجه ذلك؟

والجواب عن هذا أنه تعالى خصص هذه الأمة بخصائص الاعتناء
والتكريم. قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٤) وجعل نبينا
صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم، والمصطفى من كافة الخلق والتابع
يشرف^(٥) بشرف المتبوع، وقد خاطبه تعالى خطاب الرحمة والتلطف^(٦)
والاعتناء فقال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾^(٧)، فقدم العفو بين يدي ما
صورته العتب لئلا يصدع^(٨) قلبه صلى الله عليه وسلم. فكذلك تلطف
لعباده^(٩) المؤمنين من أمة هذا النبي الكريم وآمنهم^(١٠) عند خوفهم وإشفاقهم
من عرض أعمالهم وحسابهم فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(١١)، لما كان تعالى قد وصف هذا اليوم بأنه:
﴿يَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾^(١٢)، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلَ حَمْلِهَا وَتَرَى

(١) القصص / ٧٠.

(٢) ب: يتسر.

(٣) ك: سورة.

(٤) آل عمران / ١١٠.

(٥) ك: ينشرف.

(٦) ب: (خاطبه بعد خطاب الرحمن والتلطف) في موضع (خاطبه تعالى - إلى - التلطف).

(٧) التوبة / ٤٣.

(٨) في بقية النسخ ينصدع.

(٩) ك: بعباده.

(١٠) في بقية النسخ: بعباده.

(١١) الفاتحة / ١ - ٣.

(١٢) إبراهيم / ٤٢ ونص الآية ﴿إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾

النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى^(١) . قَدَّمْ هُنَا تَعْرِيفَهُمْ بِأَنَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وَأَنَّهُ مَالِكٌ^(٢) ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَتَنَسَّ هَذِهِ الْأَمَةُ كَمَا أَنَسَ نَبِيُّهُمْ ، وَذَلِكَ أَتَيْنُ شَيْءٌ .

٣ - الآية الثالثة^(٣) (غ) قوله تعالى :

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)﴾

وفي قراءة عاصم والكسائي : مالك يوم الدين . وفي سورة آل عمران (٢٦) : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ﴾ [٥/ظ] ولم يُقْرَأْ بغيره^(٤) . وفي سورة الناس (٢) : ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ، ولم يُقْرَأْ أيضاً بغيره . ومدار الآيات الثلاث على تعريف العباد بأنه سبحانه الملك المالك ثم ورد فيها من الاختلاف ما ذكر . فللسائل أن يسأل فيقول : ما وجه هذا الاختلاف ؟ وهل اختصاص آية أم القرآن بالقراءتين^(٥) لموجب يخصصها مع اتحاد المقصود في الآيات الثلاث^(٦) ، مع أنه سبحانه المنفرد بملك الكل وإيجادهم ، وأنه الملك المالك ، أم ذلك لاختلاف المقاصد ؟

والجواب أن الآيات الثلاث حاصل منها ما ذكر أنه مقصود من أنه سبحانه مَلِكُ مَالِكٍ . أما آية الفاتحة ، فبإفصاح القراءتين . وأما آية آل عمران ، فلفظ المُلْكُ المضاف إليه مَالِكٌ في قوله : ﴿مَالِكُ الْمُلْكِ﴾ ، يُفْهِمُ أَنَّهُ الْمَلِكُ ؛ لِأَنَّ الْمَلْكَ مِنْ لِهَ الْمُلْكِ . فَافْهَمُ لَفْظَ الْمَلِكِ الْمَضَافَ إِلَيْهِ

(١) الحج / ٢

(٢) في بقية النسخ : ملك .

(٣) ك : الآية الرابعة .

(٤) انظر السعة / ١٠٤ ، الانحاف / ١٢٢ .

(٥) ساقطة من ع ، م .

(٦) ب : الثلاثة .

مالك، أنه مَلِكٌ، وحصل الاكتفاء بهذا، وأفهمت الآية الأمرين. وأما آية الناس (١) فقوله تعالى: ﴿رَبُّ النَّاسِ﴾ مُغْنٍ عن الإفصاح بمالك الناس. لأن الربَّ المالك. فكان قد قيل: قل أعوذ بمالك الناس، مَلِكُ الناس. فاقضى الإيجاز، والاتصال ووحدۃ الكلام من حيث المعنى. أما آية الفاتحة، فقوله فيها: ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾، آية انفردت عما قبلها بالتعريف بما لم تعرف به الآية التي قبلها من التنصيص على أنه ملك يوم الحساب. فمصرف الكلامين في الآيتين إلى مقصودين. وذلك أن^(١) قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، كلام مَصْرُوفٍ بحسب التفصيل الوارد هنا إلى حال الدنيا مع انسحاب معناه على الدارين، ولكن ورد الكلام مفصلاً فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فمصرف هذا بسبقية المفهوم، وتقييد ما بعده، وما يقتضيه الساطر^(٢) والتقابل إلى حال الدنيا. ثم قال ملك^(٣) يوم الدين، فمصرف هذا إلى حال الآخرة. فهذا^(٤) في التفصيل كقوله^(٥): ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾^(٦)، فلم يكن ما مصروفه إلى حال الدنيا ليقع به الاستغناء عما مصروفه إلى حال الآخرة، فلم يكن نُدُّ من الإفصاح بالصفتين. فورد بذلك في القراءتين بخلاف ما في آية آل عمران، وآية الناس^(٧)، فإن الآيتين من حيث الاتصال في المعنى في قوة آية واحدة، والكلام فيهما^(٨) مطلق غير مقيد فيتناول بحسب إطلاقه الحكم في الدارين مع أنه كلام واحد.

(١) هكذا في م، ك وفي باقي النسخ.. لأن.

(٢) ج: التناقض.

(٣) هكذا في م، ك، وفي هـ، ب، ع: مالك.

(٤) هـ: فبدأ.

(٥) ج، هـ، ب: إلى قوله.

(٦) القصص / ٧٠.

(٧) ب: الساء.

(٨) هكذا في ك، وفيه النسخ. فيها.

فإن قلت: إذا كان قوله مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ بحسب المصروف كما تقدم، آية انفردت وبأين مقصدها الآية التي قبلها على ما تمهّد، فقد صارت آيتنا أم القرآن بحسب مصرف كل آية منهما، كآية آل عمران، وآية الناس، فبحسب الحاجة في كل واحدة منهما - على ما تمهّد - [٦/و] أنه سبحانه مَلِكٌ، مَالِكٌ، وقد حصل ذلك من الآيات الثلاث^(١)، فما المفهوم^(٢) لذلك من قوله: رَبُّ الْعَالَمِينَ^(٣). فالجواب: أنه مفهوم من عموم قوله: رَبُّ الْعَالَمِينَ، أنه^(٤) لم يقع مثل هذا العموم والاستيفاء من هذه إلا في غير هذه فإن لفظ العالمين يشمل كل مخلوق. وإذا كان رب الكل، وفالكلهم^(٥) فإن جميعهم تحت قهره وملكه، فلا ملك لغيره سبحانه. فقد حصل من كل واحدة من هذه الآي الأربع أنه سبحانه الملك المالك وتبين أنه لا يلائم الآية الثانية من أم القرآن إلا ما ورد فيها من القراءتين، وأن الآيات الأخرى^(٦) لو قرئت بالوجهين^(٧) لكان تكراراً. فورد كُلٌّ على ما يجب، ولا يناسب خلافه، والله أعلم.

سورة البقرة^(٨)

٤ - [الآية الأولى منها]^(٩) (غ) قوله تعالى^(١٠):

﴿الْحَمْدُ﴾ (١)

-
- (١) ب، ع: الثلاثة.
(٢) هكذا في ج، ك، وفي بقية النسخ: المفهوم.
(٣) ب: الحمد لله رب العالمين.
(٤) هـ، ع: إذ.
(٥) زاد بعدها في ك وفهر ملكهم.
(٦) ب، ج: الآية الأخرى.
(٧) ب: على الوجهين.
(٨) ساقط من ج.
(٩) زيادة يقتضيها نسق الكتاب.
(١٠) ب، ج: سبحانه.

أقول وأسأل^(١) لله توفيقه إن القول الوارد^(٢) في هذه الحروف المقطعة^(٣) في أوائل السور على كثرته وانتشاره منحصر في طرفين:

أحدهما: القول بأنها مما ينبغي ألا يتكلم^(٤) فيه ويؤمن بها كما جاءت من غير تأويل.

والثاني: القول بتأويلها على مقتضى اللسان، وهذا مسلك الجمهور، وهذا الذي نعتقد أنه الحق؛ لأن العرب تُحَدِّثُ بالقرآن وتُطَلِّبُ بمعارضته أو التسليم والانقياد^(٥) وبمعرفة أنهم أنه بلسانهم، ومعروف تخاطبهم، وعجزهم مع ذلك عنه. قامت الحجة عليهم، وعلى كافة الحق. وإذا سلم هذا، فكيف يرد في شيء منه حطائهم بما لا طريق لهم إلى فهمه. فلو كان هذا، لتعلقوا به، ووجدوا السبيل إلى التعلُّل في العجز عنه وهذا مسوط في كتب الناس، وغير حاف وقد انتشرت تأويلات المفسرين وتكاثرت، والملائم لما نحن بسببه ما نذكره مما لم أر من تعرض له، وهو وجه احتصاص كل سورة من المفتحة بهذه الحروف بما افتتحت به منها. فهذا ما يُسأل عنه^(٦)، ولم أر من تعرض له، وهو راجع إلى ما قصدته هنا. وما سوى هذا ما يتعلق من السؤال على الحروف، كورودها على حرف وعلى حرفين^(٧)، إلى خمسة، وتخصيص هذه الحروف الأربعة عشر بالذكر، وكثرة

(١) في باقي السخ: أسئل

(٢) لك: الوارد عنهم.

(٣) لك: المقطعة الواردة.

(٤) هـ. القول الوارد بأنها مما ينبغي أن يتكلم فيه

(٥) من ب، وفيه السخ أو الانقياد

(٦) لك: مما يسئل.

(٧) ب، ع، ج: أو حرفين.

الوارد منها على ثلاثة، إلى غير هذا، فليس من مقصدنا في هذا الكتاب.

أما الأول فمن شرطنا، والجواب عنه أن وجه اختصاص كل سورة منها بما به اختلفت من هذه الحروف، حتى لم يكن ليرد (آلَمْ) في موضع (آلَمْ)، ولا (حَم) في موضع (طَس)، ولا (ن) في موضع (ق)، إلى سائرهما. إن هذه الحروف لافتتاح السور بها ووقوعها مطالع كلها، كأنها أسماء لها؛ بل هي جارية مجرى الأسماء من غير فرق. وهذا إذا لم نقل بقول من جعلها أسماء للسور، والعرب تساوي^(١) في الكثير من [٦/ظ] التسميات أحد^(٢) أسمائها من نادر، أو مُستغرب يكون في المسمى من خلق، أو صفة تخصه، أو تكون فيه أحكم، أو أكثر، أو أسبق لإدراك الرأي للمسمى ويسمون الجملة من الكلام، والقصيدة الطويلة من الشعر، بما هو أشهر فيها، أو بمطلعها إلى أشباه هذا. وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم؛ لغريب قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة في أمرها، وتسمية سورة الأعراف بالأعراف، لما لم يرد ذكر الأعراف في غيرها، وتسمية سورة النساء بهذا الاسم، لما تردّد فيها من أحكام النساء، وتسمية سورة^(٣) الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها، إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءٌ﴾ إلى قوله - أم كُنْتُمْ شُهَدَاءَ^(٤)، لم يرد في غير هذه السورة، كما ورد ذكر النساء في سور [أخرى]^(٥)، إلا أن ما تكرر وبُسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة

(١) ك: نزاع.

(٢) ج، هـ، ع: آخر.

(٣) زيادة من هـ، ك، ب.

(٤) الأنعام / ١٤٢ - ١٤٤.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

لنساء. وكذا سورة المائدة، لم يرد ذكر^(١) المائدة في غيرها فُسِّمَتْ بما يَخُصُّها.

فإن قلت: قد ورد في سورة هود، ذُكِرَ نوح، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشُعَيْب، وموسى عليهم السلام، ولم تختص باسم هود وحده عليه السلام، فما وجه تسميتها بسورة هود على ما أُصِّلَتْ، وقصة^(٢) نوح فيها أطول وأوعب؟! قلت: تكررت هذه القصص في سورة الأعراف، وسورة هود، وسورة الشعراء، بأوعب مما وردت في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة، فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة^(٣) مواضع، والتكرر من أعمد الأسباب التي ذكرناها^(٤).

فإن قيل: فقد تكرر اسم نوح في هذه السورة في ستة مواضع منها، وذلك أكثر من تكرر اسم هود. قلت: لما جرت لذكر^(٥) نوح وقصته مع قومه سورة برأسها، فلم يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته وقصة غيره من الأنبياء عليهم السلام^(٦)، وإن تكرر فيها^(٧) اسمه أكثر من ذلك. أما هود عليه السلام فلم يُرد لذكره^(٨) سورة ولا تكرر اسمه مرتين فما فوقهما في سورة غير سورة هود، فكانت أولى السور بأن تسمى باسمه عليه السلام وتسمية سائر سور القرآن

(١) هكذا في هـ، ك، ب، وفي ح، م: لم يذكر.

(٢) هـ، ع، ج، وفضية.

(٣) م: أربع.

(٤) ك: التي ذكرنا.

(٥) ب: حوت بذكر. ع، ج: حوت للذكر.

(٦) ب: عليهم الصلاة والسلام.

(٧) بقية النسخ: فيه.

(٨) م: بذكره.

جاز فيها من رعي التسمية ما ذكرناه وإذا تقرر هذا ووضح أن^(١) التردد والتكرار يراعي لفظه^(٢) في التسمية وما يحاربه. فأقول - وأسأل الله عصمته وسلامته - إن هذه [و/٧] السور إما وقع في أول كل سورة منها ما كثر ترداده فيما تركب من كلمها. ويوضح لك ما ذكرت، أنك إذا نظرت [في]^(٣) سورة منها بما يماثلها في عدد كلمها وحروفها، وجذت الحروف المفتوح بها تلك السورة^(٤) أفراداً وتركيباً، أكثر عدداً في كلمها منها في نظيرتها، ومماثلتها^(٥) في عدد كلمها وحروفها. فإن لم تجد^(٦) لسورة^(٧) منها ما يماثلها في عدد كلمها، ففي أطراد ذلك في المتماثلات مما يوجد له النظير ما يشعر بأن هذه لو وُجد مماثلها لجرى على ما ذكرت لك. وقد أطرد هذا في أكثرها فحق لكل سورة منها ألا ياسبها غير الوارد فيها. فلو وقع في^(٨) موضع (ق)^(٩) من سورة (ق)^(١٠)، [و] (ن) من سورة: ﴿ن والقلم﴾، وموضع (ن) (ق) لم يمكن^(١١) لعدم المناسبة المتأصل رغيها في كتاب الله تعالى^(١٢) فإذا أخذت كل افتتاح منها معترفاً بما^(١٣) قدمته لك لم

-
- (١) ساقطة من ب، ع.
(٢) هـ، ك: يراعي لفظه، ج: يراعي في لفظه.
(٣) زيادة يقتضيها السياق.
(٤) هكذا في هـ وفي ب، ج، ع: وفي أحرف امتح بها تلك السور . وفي م، ك: وحروفها بأحرف المفتوح بها تلك السورة، في موضع (وحدت أحرف - إلى - السورة).
(٥) م: ومماثلة.
(٦) م وإن لم تجد.
(٧) ج: سورة.
(٨) ساقطة من هـ، ك.
(٩، ١٠) ب، هـ: قاف - بأحرف
(١١) بقية النسخ: لم يكن.
(١٢) ك: سبحانه.
(١٣) ب، ع: ما.

تحد (كهيعص) يصح في موضع (حم غسق) ولا لعكس، ولا (حم) في موضع (طس) ولا العكس. ولا (المز) في موضع (الم) ^(١) ولا عكس ذلك ^(٢)، ولا (المز) في موضع (المص) - يجعل الصاد في موضع الراء - ولا العكس. فقد بان وجه اختصاص كل سورة بما به افتتحت، وأنه لا يناسب سورة منها، ما افتتح به غيرها والله تعالى أعلم بما أراد ^(٣).

• الآية الثانية (غ) قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٢)

فوصفه سبحانه بكونه هدى للمتقين، وقال تعالى في وصف التوراة والإنجيل، في أول سورة آل عمران: ﴿وَأَنزَلَ التُّورَةَ وَالْإِنجِيلَ. مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ ^(٤). ولم يقل هـ هدى للمتقين فللسائل أن يسأل عن الفرق الموحب اختصاص ^(٥) كل من الموضعين بما ورد فيه، وهل كان يحسن ورود الناس في موضع المتقين، وورود لمتقين في موضع الناس؟

والجواب أن لملائم المناسب ما ورد، وأن عكسه غير ملائم، ولا مناسب. ووجه ذلك أن الكتاب المشار إليه هو الكتاب العزيز، على ما في

(١) هكذا في هـ، م، ك وفي ب، ع، ج، د: الم.

(٢) ب: ولا العكس

(٣) لمعرفة الآراء المختلفة في الحروف المقطعة الواردة في أوائل السور، انظر: ألف باء ١ / ٧٣ فما بعدها، جامع البيان ١ / ٢٠٥ - ٢٢٤، أحكام القرن للقرطبي ١ / ١٥٤ - ١٥٧، الكشف ١ / ٦٠ - ٨٦، الخواطر السويح / ٦٣ - ١٤٠، البحر لمحيط / ٣٢ - ٣٨، البرهان لنزركشي ١ / ١٦٥ - ١٧٧، معاني القرآن للنفراء ١ / ٩، ١٠، معاني القرآن للأخضن ورقة ٨ / وجه - ١٠ / د، لانفان ٣ / ٢١ - ٣٠، روح المعاني ١ / ٩٨ - ١٠٣.

(٤) أة / ٣، ٤

(٥) ب صبعة السؤال (إد قبل ما الفرق بين اختصاص، في موضع ...).

مانخذ المفسرين من التفصيل وهو مما خُصت به هذه الآية . والتوراة كتاب موسى عليه السلام لبني إسرائيل ، والإنجيل كتاب عيسى عليه السلام ، ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم الفضل المعلوم فأشير بالمتقين إلى حال المخصوصين به . وقيل في الآخرين : هدى للناس ، ليُشعر بحال أهل الكتابين ، وفضل أهل الكتاب العزيز عليهم ، فلا يلائم كل موضع إلا ما ورد فيه .

فإن قيل : إنما صح لهم الوصف بالتقوى من اهتدائهم بالكتاب ، وتصديقهم به ، والتزامهم ما تضمنه [٧/ظ] قلت : لَحَظ في ذلك الغاية ، فهو من باب التسمية بالمآل ، وهو باب واسع^(١) ، ومنه قوله : ﴿إِنِّي أُرَانِي أَغْصِرُ خَمْراً﴾^(٢) . وإذا تقرر ما ذكرناه فعكس الوارد غير ملائم ، والله أعلم بما أراد .

٦ - الآية الثالثة (غ) قوله تعالى :

﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ^(٣) إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩) .

وقال بعد (١٢) : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ . ثم قال بعد (١٣) : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . فنفى عنهم هنا

(١) ب : وسع .

(٢) يوسف / ٣٦ .

(٣) هـ ، كـ ، ع : يخادعون بضم الباء ، وإثبات ألف بعد الحاء ، وكسر الدال . وهي قراءة نافع

وابن كثير وأبي عمرو وقرأ عاصم وابن عامر وخمزة والكسائي بصيغة المضارعة بفتح الباء وسكون الحاء وفتح الدال من غير ألف ، وهي القراءة المجمع عليها في المصحف الثالث .

انظر : الاتحاف / ١٢٨ ، النشر ٢٠٧/٢ ، لحة / ٦٨ ، السعة / ١٣٩ ، أحكام القرآن

للمقرطبي ١٩٦/١

العلم، وفي الأيتين الشعور، فيُساو عن الفرق الموجب لهذا التخصيص^(١).

والجواب^(٢) عن ذلك أن الشعور راجع إلى معنى لإحساس، مأخوذ من الشعار، وهو ما يلي الجسد ويباشره، فيدرك ويحس به من غير افتقار إلى فكر وتدبير فيشترك في مثل هذا الإدراك، العاقل من الحيوان، وغير العاقل. وأما العلم فلا يكون إلا عن فكر ونظر يُحصّله وقد تكون مقدماته حسّية، وغير حسّية على قول المحققين من أرباب النظر، فهو ما يخصّ العقلاء. ولما كن الإيمان وهو التصديق لا يحصل^(٣) إلا عن نظر وفكر، يحصل العلم بالمصدق به، ولا يكون النظر والفكر إلا من عاقل يعرف الصواب من الخطأ. وقد نفى المافقون ذلك عن المؤمنين نسبتهم إياهم إلى السفه، وهو خفة الجلم وعدم الثبّت^(٤) في الأمور وذلك في قولهم: ﴿أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾^(٥)، فرد الله ذلك عليهم بقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾، ونفى عنهم العلم، فنفى عنهم ما نفوه عن غيرهم، ووصفوا^(٦) بما نسبوه لغيرهم^(٧).

ولما كان الفساد في الأرض، وزوّم محادعة من لا يخدع مستحيلاً^(٨) لا يخفى فساد على أحد، ويوصل إلى ذلك بأول إدراك ناسبه أيضاً نفى

(١) ب: صيغة السؤال (إن قيل ما الفرق الموجب لهذا التخصيص).

(٢) ب: فالجواب.

(٣) هـ: ولا يحصل.

(٤) ج، هـ: الثبّت (٩).

(٥) البقرة / ١٣.

(٦) ب: (ولكن يعلمون). فنفى عنهم العلم، ووصفوا بما نسبوه في موضع (نفى عنهم) - إلى - ووصفوا).

(٧) ب: عما نسبوا.

(٨) هـ: ك: متحل، ب: بحيث لا يحصى.

الشعور. ولم يكن ليناسه في العلم. فجاء كل [على] ^(١) ما يناسب ويلائم.

وتعرض أبو الفضل بن الخطيب ^(٢)، لما ورد في هذه الآية، فقال: إنما قال في هذه الآية ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، وفيما قبلها ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾، لوجهين:

أحدهما: أن الوقف على أن المؤمنين على الحق، وهم على الباطل أمر ^(٣) عقلي نظري وإما أن النفاق، وما فيه البغي، يفضي إلى الفساد في الأرض، فضروري جار مجرى المحسوس.

والثاني: أنه لما ذكر السُّفَه وهو جهل ^(٤) كان ذكر العلم أحسن طباقاً له، والله أعلم. انتهى

وما ذكرته أخرى مع لفظ الآية وأبين ^(٥).

٧ - الآية الرابعة (غ) قوله تعالى

﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يَبْصُرُونَ (١٧). صُمُّ بَكُمْ عَمِي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٨).

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) لم أعثر على ترجمته في كتب طوائف مصرين هذه الكنية ولعله يعني لأن الدين بن الخطيب أما عند الله، محمد بن عبد الله بن سعيد السدوسي (٧١٣ - ٧٧٦) فأناء الخطباء في كتب التراجم مسعة ليس منهم من كتبه أبو الفضل وهم: ابن خطيب حبرين، وابن خطيب داريا، وابن خطيب الدهشة، وابن خطيب زملكا، وابن خطيب امصورية، وابن خطيب الدصربة وابن الخطيب علم على أساس الدين عبر أن المصادر لم تثبت له تفسيراً وقد شك ابن الزبير نفسه في نسبة هذا التفسير إليه قال في اللوحة (١٤٥) (و) من ملاك التأويل وقعت في التفسير لكبير المنسوب للإمام أبي الفضل بن الخطيب، وأعل هذا التفسير مفقود

(٣) هكذا في ح، ك. وفي بقية النسخ: أي

(٤) هكذا في م، ك. وفي بقية النسخ: الجهل

(٥) هكذا في ك، وفي بقية النسخ: الأوبى

وورد فيما بعد (١٧١): ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَبِدَاءَ صُمُّ بُكُمْ عُمْيٌ فَهُمْ [٨/و] لَا يَعْقِلُونَ﴾.

ففي الأولى: ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾، بعد اتحاد الأوصاف الواردة مؤرد السبب والعلّة فيما نُسب لهم.

والجواب: أنه لما مثل حال المنافقين بحال مستوقد النار لطلب الإضاءة، وأنه لما أضاءت ما حوله، أذهبها الله وطففت، فلم يكن له ما يستضيء به ويرجع إليه، فنفي عنهم وجود ما يرجعون إليه من ضياء يرفع حيرتهم وهذا بَيِّنٌ.

أما الآية الثانية، فإنه مثل حال الكافرين فيها بحال الغم، في كونها يُصَاح بها، وتُنادى^(١) فلا تفهم عن راعيها، ولا تسمع إلا صوتاً لا تعقل معناه ولا تفهم ما يراد به. كذلك الكفار في خطاب الرسل إليهم، فلا يُجيبونهم^(٢) ولا يعقلون ما يراد بهم، وهذا مناسب، وكل^(٣) على ما يجب.

فإن قيل: أما تمثيل الكفار وتشبيههم بالغنم فيم ذكر فقد أفصح بذلك^(٤) قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾^(٥). فقد وُصِّح^(٦) هذا ما ذكرته، إلا أن آية البقرة، إنما ورد فيها بيادي سياق لكلام^(٧) وظاهره، تشبيه الكفار بالسائق بالغنم، لا بالغنم، فكيف يرجع تقدير الآية إلى ما ذكرت؟

- (١) ب: ينادي.
- (٢) هكذا في م، ك. وفي ب، ع: بما لا يجيبونهم. وفي ج، هـ: بما لا يجيبونهم.
- (٣) ساقط منها عدا لأصل.
- (٤) هكذا في ك. وفي هـ، م، ع: فقد أفصح ذلك. وفي ب. فقد أفهم ذلك بقوله. وفي ج: فقد أوصح ذلك.
- (٥) الفرق ٤٤ / - والآية محرفة في ج، ب.
- (٦) هكذا في ب، م، وفي بقية النسخ: أوصح.
- (٧) ساقطة من ك.

فالجواب: أن إيجاز الكلام يقتضي حذف ما يُفهم السياق اختصاراً.
فالتقدير في الآية ما مرّ من الإشارة إلى التشبيه بالطرفين^(١) ومنه قول
الشاعر: (طويل)

وَإِنِّي لَتَعْرِوْنِي لِذِكْرِكَ فَتْرَةٌ كَمَا انْتَفَضَ الْعَصْفُورُ بَلْلُهُ الْقَطْرُ^(٢)

فشبه في ظاهر الكلام، ما يعرّوه من الفترة، بانتفاض العصفور، وليس
مراده هذا وإنما يريد تشبيه ما يَعْرُوهُ، بما يَعْرِوُ الْعَصْفُورَ، بعد ما يدركه من
بلّ المطر من الفترة، وأنه ينتفض^(٣) عندها، كما ينتفض^(٤) العصفور،
فحذف في كل من الطرفين ما أثبت نظيره. فالتقدير في البيت:

وَإِنِّي لَيَعْرِوْنِي^(٥) لَذِكْرِكَ فَتْرَةٌ فَأَنْتَفَضَ كَمَا يَعْرِوُ^(٦) الْعَصْفُورُ فَتْرَةً
فَيَنْتَفِضُ.

فشبه ما يعرّوه بما يعرو العصفور، والانتفاض بالانتفاض. وعلى هذا
حمل سيبويه الآية قال^(٧): لَمْ يُشَبَّهُوا بِمَا يَنْعُقُ، وَإِنَّمَا شَبَّهُوا بِالْمَنْعُوقِ هـ
وَإِنَّمَا الْمَعْنَى. مَثَلَكُمْ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا، كَمِثْلِ النَّاعِقِ وَالْمَنْعُوقِ هـ الَّذِي لَا

(١) ك: في الطرفين.

(٢) هكذا في م، ك، ب. وفي ع، ح: لتعروني لذكراك. وفي هـ: لتعروني لذكرك. وابت لابي
صخر اهذلي في شرح أشعار اهذلين ٩٥٧/٢ وصورته فيه:

إِذَا ذُكِرَتْ يِرْنَاخُ قَلْبِي لَذِكْرُهَا كَمَا انْتَفَضَ الْعَصْفُورُ بَلْلُهُ الْقَطْرُ
وفي بقية المصادر: (وَإِنِّي لَتَعْرِوْنِي لَذِكْرَكَ هزة... الخ). انظر خزانة الأدب ٥٥٢/١،
المقاصد النحوية ٦٧/٣، الدرر ١٦٦/١، التصريح ٣٣٦/١، الإصناف ١٤٤/١. وينسب
البيت لأعشى تغلب في المصون ٢٠٥/١، الأملاني الشجرية ١٢٣/١.

(٣) ب، ج: ينتفض

(٤) ب، ج، هـ: ينتفض.

(٥) هكذا في م، ب، وفي ح، هـ، ع: لتعروني لذكراك... وفي ك: لتعروني لذكرك.

(٦) هكذا في م ب. وفي بقية النسخ: كما تعرو.

(٧) الكتاب ٢١٢/١.

يسمع. قال: ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز، لعلم المخاطب بالمعنى، وهذا تقدير معنى الآية.

فإن قلت: فكيف تقدير الإعراب؟

قلت: الأقرب فيه أن يكون على حذف مضاف، أي: ومثل داعي^(١) الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع^(٢). وعلى هذا حملة أكثر الناس [٨/ظ] وإن شئت جعلت ما قدرنا^(٣) عليه المعنى تقديراً للمعنى والإعراب. وقد أخذ على ذلك جملة من شيوخنا ومن قبلهم.

٨ - الآية الخامسة (غ) قوله تعالى:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٣).

وفي سورة يونس (٣٨): ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^(٤)
وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وفي سورة
هود (١٣): ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُقْتَرِبِينَ وَادْعُوا مَنْ
اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

يسأل عن قوله في الأولى - «من مثله»، وفي الثانية - «مثله»^(٥)، وما

(١) داع في جميع الأصول.

(٢) انظر: ما اتفق لفظه واختلف معناه ٢٣٥/، الكشف ٢٥٠/١، والبحر المحيط ٤٨١/١ - ٤٨٤، حيث رجحوا تقدير محذوف قال أبو حيان: «وهذه الآية لا بد في فهم معناها من تقدير محذوف». قيل مثلهم كمثل الرعاة لا تفهم هائمهم عنهم. وقيل: مثلهم في دعاء آهتهم التي لا تفقه دعاءهم كالناعم بغنمه وقد لحظ الزمخشري فيه تمام التشبيه. وذهب أبو عبيدة والفرأ إلى القلب في الآية، وانهم في عدم فهمهم عن الله ورسوله كالبهائم المنعوق بها فيكون المراد بالناعم، المنعوق به، مثل: دخل الخاتم في يدي، وغرقت الخوض على الناقة، ولا يكون هذا إلا في الشعر، وفي الكلام قليلاً عن غير قياس وهو مما يجب أن ينوه عنه القرآن.

(٣) هكذا في ك، ع، وفي باقي النسخ: ما قررنا.

(٤) ج، م: من مثله. وهو لحن في هذه الآية.

(٥) ب: صيغة السؤال (إن قيل ما الفرق في الأولى من مثله، وفي الثانية مثله).

الفرق بين الموضعين. ولم قيل في سورة هود: بعشر سور، ولم وُصِف بمفتریات، ولم قيل في البقرة: وادعوا شهداءكم، وفي الموضعين الآخرين: مَنْ اسْتَطَعْتُمْ. فهذه أربع سؤالات:

والجواب عن السؤال الأول^(١):

إن المراد إِرَاءَتُهُمْ ما يرفع شَكُّهُمْ في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. فكان قد قيل إنَّ شَكُّكُمْ في نبوءته، وتخصيصنا إياه بذلك^(٢)، فلتأتوا برجل منكم غيره يصدر عنه، أو يأتي بسورة واحدة من نمط ما سمعتم من محمد صلى الله عليه وسلم، وأتوا بشهداء يشهدون أن غيره يصدر عنه، أو يأتي بسورة واحدة من نمط ما سمعتم من محمد صلى الله عليه وسلم، وأتوا بشهداء يشهدون أن غيره قد سُمِعَ منه ما طَلِبْتُمْ به. فإذا عجزتم عن ذلك مع التماثل في الخلق والعلم بمقادير^(٣) الكلام، إذ ليس بغير لسانكم المؤلف عندكم؛ فإذا عجزتم عن ذلك - ولا بد من عجزكم - فاتخذوا وقاية تنجيكم من النار التي يخبركم أنها مُعَدَّةٌ لمن كَذَّبَ به^(٤). فلما كان المراد هنا ما ذكرنا، لم يكن بُدٌّ من «مِنْ» التبعيضية^(٥) في قوله: ﴿مِنْ مَثَلِهِ﴾.

وأما الوارد في سورة يونس، فإنما أريد به ما يحري مع قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ﴾. فقيل لهم إذا كان مفترى - كما تزعمون - فما المانع لكم عن معارضته، فأتوا بسورة مماثلة للقرآن. فالمراد هنا نفي كلام مماثل للقرآن، وإقامة الحجة عليهم بعجزهم عن ذلك. والمراد في البقرة، نفي

(١) ك: عن الأولى.

(٢) هكذا في جميع النسخ.

(٣) هكذا في م، هـ، ك وفي بقية النسخ: شقاديير.

(٤) في بقية النسخ: كذبه.

(٥) هكذا في ك، وفي بقية النسخ بإسقاط (من) لثانية.

شخص يماثله صلى الله عليه وسلم في أن يسمع منه ما يماثل سورة واحدة من مثل القرآن في فصاحته وعجائبه، فاختلف المَقْصِدان في السورتين مع الائتلاف في تعجيزهم عن هذا وهذا. فلما اختلفا لم يكن بُدُّ من «مِنْ» في الأولى^(١) لإحراز معناها، ولم تأت^(٢) في يونس، لحصول المعنى المقصود فيها دون «مِنْ».

فإن قلت: فإن مِنْ لا تمنع هذا المعنى المقصود في يونس. قلت: إذا كان المعنى يحصل بثبوتها وسقوطها على السواء فقد بقي [٩/٩] زَعْيُ الإيجاز، وهو مقتضى سقوطها. أما المعنى المقصود في البقرة فلا يحصل إلا بِمِنْ؛ فلم يكن بُدُّ منها هنا، فورد كله على ما يجب ويناسب.

والجواب عن السؤال الثاني، وهو قوله - عز وجل - في سورة هود: ﴿بَعْشَرُ سُورَةٍ﴾ فإنه - والله أعلم - لما قيل هنا مفتریات فوسَّع عليهم، ناسبه التوسعة في العدد المطلوب؛ لأن الكلام المُفْتَرَى أسهل فناسته التوسعة. أما الوارد في السورتين قبل فلم يذكر لهم فيهما^(٣) أن يكون مفترى^(٤) عليه؛ بل السابق من الآيتين المماثلة مطلقاً، وذلك أصعب وأشق عليهم مع عجزهم في كل حال فوقع الطلب حيث التضييق بسورة واحدة^(٥)، وحيث التوسعة بعشر سور مناسبة جليلة واضحة. وقد جَوَّب بما هذا معناه بعض المفسرين^(٦).

والجواب عن الثالث أنه وصف لهم المطلوب منهم هنا بأن يكون

(١) ب: (اختلف لم يكن بد من في الأولى) في موضع (فلما اختلفا - إلى - الأولى).

(٢) هكذا في م، هـ وباقى لنسخ: يات

(٣) جميع لنسخ: فيها.

(٤) ك: مفترى.

(٥) ب: بعده وحدة، ع: بعده بسورة.

(٦) انظر الكشاف ١/ ١٨٧ - ١٩٠.

مفتري ليحصل عجزهم بكل جهة فلا يقررون على وجود شخص مماثل له صلى الله عليه وسلم في ظاهر الصورة الجنسية سُمع منه ما يُسمع من محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يقدرون^(١) على مثل سورة واحدة من سور القرآن. ولما كان ظاهر هاتين الآيتين المماثلة مطلقاً، قيل بعد ذلك اثتوا^(٢) بكلام مفتري^(٣) على سهولة ما لا يتقيد^(٤) بسوى الفصاحة وجاء ذلك من طلبهم بالتدريج فأولاً بالمماثلة من غير ذكر مفتري، ثم قيل لهم جيئوا^(٥) بمفتري، فلم يبق لهم عذر إلا العناد.

والجواب عن الرابع، أن قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ - المراد به من يشهد لكم أن شخصاً مثله صلى الله عليه وسلم قد سُمع منه ما طلب منكم، إذ لا يكفي في هذا مجرد^(٦) دعوى المدعى ف قيل لهم: اثتوا سورة من شخص مثله في الجنسية وبمن يشهد لكم بأن قد فعلتم وقيل لهم في سورة يونس: فأتوا بسورةٍ مثل القرآن واستعينوا على ذلك بما قدرتم، فلم يطلبوا هنا بمن يشهد لهم، وإما قيل لهم استعينوا في النظم والتأليف بمن قدرتم؛ لأن سماع ذلك منهم - أن لو كان^(٧) ولا سبيل إليه - لا يحتاج معه إلى شهادة شاهد. أما^(٨) لو ادَّعوا أن أحداً سُمع منه مثل القرآن، لما قنع منهم بمجرد دعواهم. ألا ترى

(١) هـ، ث: ولا يقررون.

(٢) ج: لبأتوا، ع، ب: لا يأتوا.

(٣) ج: مفتر.

(٤) ج: ما لا يتعبر.

(٥) ج، ع: أجيئوا.

(٦) ك: إذ لا يكتفي في مثل هذا بمجرد...

(٧) ب: ألوا.

(٨) م، ع: شاهد ما لو (٩).

استرواحهم إلى إقناع جهلتهم^(١) بما حكى سبحانه وتعالى عنهم من قولهم :
﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾^(٢) ، والوارد في هود كالوارد في يونس .

٩ - الآية السادسة^(٣) :

وهي أول آية تعرض لها صاحب [٩/ظ] كتاب الدرّة وأجاب بغير ما
هنا والله ينفع جميعنا^(٤) بفضلها ، وما يقع بعدّ مما لم يتعرض له صاحب
كتاب الدرّة من الآيات ، فننبه عليه بعلامة (غ) ليعلم أنه من المغفل كما
تقدم .

قوله تعالى :

﴿وَقُلْنَا يٰثَادُمْ أَسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ (٣٥)

وفي سورة الأعراف (١٩) : ﴿وَيَسْأَلُكُمْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا
مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ .

في هذا سؤالان :

الأول : ورود أمرهما بالأكل في البقرة بواو النسق المقتضية عدم الترتيب
ما لم يفهم من غيرها ، وفي الأعراف بالفاء المقتضية الترتيب والتعقيب
والأمر واحد والقصة واحدة .

(١) هكذا في م ، ك . وبقي السخ : جهلهم .

(٢) الأنفال / ٣١ .

(٣) مخلوف من ج .

(٤) ح ، هـ ، ع : والله أعلم ، والله ينفع جميعاً . ك . والله ينفع جميعاً . ب . والله أعلم والله
ينفع جميعاً

والثاني: وصف الأكل في البقرة بالرغد، ولم يقع هذا الوصف في الأعراف، مع اتحاد الأمر كما ذكرنا.

والجواب عن السؤال الأول - والله أعلم - أن مورد الآيتين مختلف في الموضعين. أما الوارد في البقرة فقصد به مجرد الإخبار والإعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما جرى في قصة آدم صلوات الله وسلامه عليه وابتداء خلقه، وأمر الملائكة بالسجود له. وما جرى من إياة إبليس عن السجود، ثم ما أمر به آدم من سكنى الجنة والأكل منها، ولم يُقصد غير التعريف بذلك من غير ترتيب زمني، أو تحديد^(١) غاية، فندسه^(٢) الواو، وليس الفاء.

وأما آية الأعراف فمقصودها^(٣) تعداد نعم الله - جل وتعالى - على آدم وذريته. ألا ترى ما تقدمها من قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٤) وما أتبع به هذا من ذكر الخلق والتصوير وأمر الملائكة بالسجود لآدم ثم قوله مُفْرَداً لإبليس: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً﴾^(٥) ثم بعد ذلك أمر آدم عليه السلام بالهبوط متبعاً بالتأنيس له ووصيته^(٦) في قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾^(٧)، فناسب هذا المقصد العطف بالفاء المقتضية للترتيب^(٨). والواو لا تقتضي ذلك وإنما بابها الجمع حيث لا يرد^(٩) ترتيب، وليس

(١) هـ، ب: تحرير، ع: تجديد.

(٢) ج، ع: فناسب، ب: فناسب.

(٣) هـ: فمقصودها.

(٤) الأعراف / ١٠.

(٥) الآية / ١٨.

(٦) ك: ووصية الذرية.. والضمير في وصيته يعود إلى الله سبحانه.

(٧) الأعراف / ٢٧.

(٨) ك: المحرزة معنى الترتيب.

(٩) ك: لا يرد.

موضع شرط وجزاء فيكون ذلك مسوغاً^(١) لدخول الفاء. وإنما وُرُوْدُها هنا لما ذكرته من قصد تجريد^(٢) التفصيل المحصل لتعداد النعم. ولما اختلف القصدان اختلفت العبارة عنهما، فورد كل على ما يناسب، والله أعلم.

وأما السؤال الثاني، فالجواب عنه أن ورود الرُّغْد في آية البقرة وسقوط ذلك في الأعراف، إنما ذلك لأن معنى مِنْ هنا [١٠ / و] للتبويض ومعناها بما هو تبويض قد سبق منه إرادة التقليل، وهو غير مراد هنا. وإنما مصرف التبويض هنا إلى المأكول منه، فإن ما اشتملت عليه الجنة من ذلك إذا أَكَلْت منه ذرية آدم بأجمعها فإنما تأكل بعضاً؛ إذ فيها مِنْ كل مُتَنَعَم به، ما لا عين رأت ولا أدن سمعت، ولا خطر على قلب بشر^(٣). فاجتمع هنا أن البعضية مرادة بالنظر إلى ما انطوت عليه الجنة وإباحة التوسعة في أكلها مقصودة وليس ثم ما يحرزها^(٤) فقال تعالى ﴿رَغَدًا﴾: ليحصل معنى التوسعة، وتجردت مِنْ لإحراز^(٥) معناها، ورغداً لإحراز معناها، ولم يكن هنا بُدٌّ؛ إذ ليس في السياق ما يُحَرِّزُ^(٦) معناها. وأما سقوط رغداً في سورة الأعراف، فوجود ما يحرز ذلك المعنى من التوسعة، وذلك قوله تعالى

(١) ك: متبوعاً.

(٢) هـ، ح، ع: تحديد، ب: قصة تجريد التفصيل.

(٣) هنا اقتباس من حديث قدسي رواه مسلم بأربعة أسانيد من طريق أبي هريرة، مسنداً متصلاً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أدن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». إلى هنا تنفق ألفاظ الروايات الأربع ثم تختلف بعد ذلك متونها. وروى الدارمي الحديث بالفاظ الرواية الأولى من روايات مسلم من طريق أبي هريرة بسند حاس. أنظر صحيح مسلم ٦٨٧/٥ - ٦٨٩، سنن الدارمي ٣٣٥/٢.

(٤) ح، ع: ما يحرز به.

(٥) في بقية النسخ: من الإحراز.

(٦) م: ما يحرز.

﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، لإباحة ما في أماكنها^(١) من المَحَالِّ أَنْ يباح لهما الأكل من حيث شاءا منها على اتساع المساحة وكثرة المأكَل ثم يُحَجَرُ عليهما التوسع في الأكل والترغد فيه، هذا متناقض.

فإن قيل: قد وقع في سورة البقرة^(٢)، ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، وتلك توسعة في الأماكن قلت: ليس موقع: ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، لأن: ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، يحرز ويعطي إباحة الأكل من ثمر كل موضع فيها. أما ﴿حَيْثُ﴾ إذا لم يكن معها من، فإنها تعطي بأظهر الاحتمالين إباحة الأكل في كل موضع لا من ثمر كل موضع. فقد يقال لشخص: كُلْ هذا العنقود حيث شئت من هذا البستان^(٣)، فإنما أبيع له أكل^(٤) عنقود معين^(٥) مخصوص حيث شاء من أماكن ذلك البستان. ولم يتعرض بهذه الإباحة أكل ما في كل موضع مَوْضِعٍ منه^(٦)، إلا باحتمال ضعيف. أما إذا قيل له: كُلْ من حيث شئت من مواضع هذا البستان فقد أبيع له الأكل من كل ما في مواضعه، وحصلت التوسعة في المأكَل، ولم يحصل ذلك عند سقوط (مِنْ) على ما تقدم آنفاً. فقد وصّح افتراق الموضعين، وتعيين ورود (رغداً) في البقرة، إذ ليس ثم ما يحزره، وتعيين سقوطه من الأعراف^(٧) لوحود ما يحزره والله أعلم^(٨).

(١) ع، ج: إمكانها من، ك: إمكانها ومن.

(٢) ساقطة من ك.

(٣) ج: سقط منها بانتقال النظر (فإنما أبيع - إلى - البستان).

(٤) هـ: كل.

(٥) هـ: مُعَيَّنٌ (بصيغة اسم المفعول من عني بضم فكسر ومنع).

(٦) ع، ج، ب: في كل موضع منه.

(٧) هـ، ب، ك: في الأعراف.

(٨) ك: أعلم بما أراد.

١٠ - الآية السابعة (غ) ^(١) قوله تعالى :

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ (٣٨)

وفي الأعراف (٢٤) : ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، وفي سورة طه (١٢٣) : ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾. يُسأل عن أي شيء لم ترد هذه الزيادة في قوله في البقرة : ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾.

والجواب عن ذلك أنه لم يرد ذلك هنا اكتفاء بما في ^(٢) الآية قبلها، وهي قوله : ﴿وَقُلْنَا [١٠ / ظ] اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾. فلو قيل ذلك في الآية بعدها مع الاتصال ^(٣) والتقارب لكان تكراراً لا يحرز فائدة لم تحصل بخلاف ما في سورة الأعراف، وسورة طه. فورد كل على ما يجب ويناسب والله أعلم.

١١ - الآية الثامنة (غ) قوله تعالى ^(٤) في البقرة :

﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ . . .﴾ - ذِي - ^(٥) (٣٨).

وفي سورة طه (١٢٣) : ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾.

هنا سؤالان :

ما فائدة اختلافهما؟ وما وجه تخصيص كل موضع منهما بما أختص به؟

والجواب عنه - والله أعلم - ان تَبِعَ، وَاتَّبَعَ، مُحْصَلَانِ للمعنى على

(١) هكذا في ك، وسقطت في بقة النسخ، وهي من معطلات صاحب الدرّة

(٢) سقط من ج: ب في.

(٣) هـ: الإيصال.

(٤) ك قوله جل وتعالى

(٥) ساقطة من ع

الوفاء. وتبع فعل، وهو الأصل، وأتبع فرع عنه، لأنه مزيد عليه، وهو منبىء عن زيادة في معنى فَعَلَ بمقتضى التضعيف. فعلى هذا، وبحسب^(١) لحظه ورغية، ورد (فَمَنْ تَبِعَ) و (فَمَنْ أَتَبَعَ)، وتقدم في الترتيب المتقرر (فَمَنْ تَبِعَ) لإنبائه عن الاتباع من غير تعمل، ولا تكلف ولا مشقة. وأما (اتَّبَعَ) فإن هذه البنية، أعني بنية (افتعل) تنبىء عن تعمل وتحميل للنفس^(٢)، فقدم ما لا تعمل فيه، وأخر أتبع لما يقتضيه من الزيادة، ولم تكن إحدى العبارتين لتعطي المجموع، فقدم ما هو الأصل^(٣) وأخر ما هو الفرع^(٤) عن الأول، وكلاهما هدى ورحمة، وورد كل ما يناسب ويلائم.

وجواب ثانٍ، وينبغي عليه ما تقدم فيكون جواباً واحداً، وهو أن (اتَّبَعَ) مزيد منبىء عن^(٥) التعمل والعلاج كما تقدم. ولا يفهم ذلك من تبع الذي هو الأصل. وإنما ينبىء في الأظهر عن قضية يتلوف فيها التابع المتبوع مُتَقَيِّداً^(٦) به في فعله من غير كبير تعمل ولا علاج. وكل من العبارتين - أعني تبع وأتبع - إنما يستعمل في الغالب حيث يراد مقتضاه مما بيناه^(٧). ألا ترى قول الخليل عليه السلام في إخبار الله تعالى عنه: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾^(٨)، حين أشار بقوله: فإنه مني، إلى الخاصة من سالكي سبيله باتباعه القوم^(٩)، فعبر بما يشير إلى غاية التمسك والقرب حين قال (مني). فتناسب

(١) ع: أو بحسب.

(٢) أنظر الكتاب ٧٣/٤ - ٧٥، شرح الشافية ٦٧/١ - ٧٠، ٣٧٨/٢.

(٣) ك: أصل.

(٤) ك، ع: فرع.

(٥) م: على.

(٦) ج: مقتدياً.

(٧) ك: بينا. ج: وبما ينسب للأميرين. ع: مما ينسب للأميرين.

(٨) إبراهيم / ٣٦.

(٩) ك: القويم، ع: القديم.

ذلك قوله: تبعني، يريد الجري على مقتضى الفطرة وميز الحق بديها^(١) بسابقة التوفيق من غير إطالة نظر، أو كبير علاج لسبقية الهدى^(٢) ووضوح الشواهد. وفي طرف من حال هؤلاء من قيل فيه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾^(٣). وهذه الآية وأمثالها المراد بها مَنْ تعامى عن النظر في الدلالات^(٤) وترك واضح الاعتبار وحمل نفسه بقدر الله على ما لا يشهد له نظر، ولا يقوم عليه برهان. فكان هؤلاء تعملوا في ذلك وعالجوا أنفسهم [١١ / و] حتى انقادت طباعهم إلى غير ما تشهد به الفطرة. ولذلك^(٥) استعير لمن جرى على حال هؤلاء، البيع والشراء، فقيل: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ بِجَارَتُهُمْ﴾^(٦)، لما كان ما بسط من الدلائل ونصب من الآيات والشواهد واضحاً، وكانوا ذوي أسماع وأبصار وأفئدة فما اعتبروا ولا أجذت عليهم كان سلوكهم سبيل الغي والضلال تعملاً وتركاً للرشد^(٧) على بصيرة. ولذلك أحبر تعالى عن حال هؤلاء في فعلهم ومتركبهم بالجحود فسماه بهذا في قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٨)، إذ كانوا يجحدون بآيات الله. ولا يقال جحد إلا^(٩) فيمن كتم معلوماً بعد حصوله، وتظاهر بباطل. فقد أعمل نفسه في ذلك فعبر عن مثل هذا بالتبع، ولم يكن موضع

(١) بذه الرجل، إذا أجاب جواباً سديداً على البديهة، وبديهة فعيل بمعنى اسم الفاعل.

(٢) هـ، ع: الهوى.

(٣) القصص / ٥٠.

(٤) ج، ب، ك، هـ: الدلالة.

(٥) لي جميع النسخ: لذلك.

(٦) البقرة / ١٦.

(٧) ع: وترك المرشد.

(٨) الاحقاف / ٢٦.

(٩) ج: جحداً - إلا.

تَع . وكذلك قيل لمن وُيَسِم بالإسراف في المخالفات من عصاة الموحدين ،
فَقِيلَ لَهُمْ : ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ^(١) . وذلك لألفتهم
المخالفات ، وانقياد نفوسهم لها حتى احتاجوا في الإقلاع عن ذلك والأخذ
في خلاف حالهم إلى العمل والعلاج . ولذلك قيل لمن ألف الطاعات
وارتاض لالتزامها : ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ^(٢) ، لآفة نفوسهم
الطاعات حتى إنهم إن وقعت منهم مخالفة فبتعمل وعلاج ؛ لأنها خلاف
المألوف . فتأمل ما يَرُدُّ من هذا فإنه يوضح بعضه بعضاً . وإذا تقرر هذا
فتأمل ^(٣) ما بين القضيتين ، فأقول : لَمَّا تقدم آية البقرة قوله تعالى : ﴿وَقُلْنَا
يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ - إلى قوله -
﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ . ولم يرد فيها ^(٤) مما كان من إبليس سوى ما أخبر تعالى
عنه من قوله : ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ ^(٥) . من غير تفرُّص لكيفية تناوله ما
فعل ، ولا إبداء علّة ، ولا كبير معالجة ، ناسب هذا (تبع) . ولما ورد في آية
طه ذكر الكيفية في إبعاده بقوله : ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا
يَبْلَى﴾ ^(٦) ، وقد حصل من هذا الإشارة إلى ما بسط من قوله في
الأعراف ^(٧) : ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ
تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ ، وقاسمهما ^(٨) على ذلك . فكان هذا كله قد تحصل
مذكوراً في آية طه بما تضمنته من الإشارة إليه فأفهمت الآية قوة كيد اللعين

(١) الزمر / ٥٥ .

(٢) النور / ٢١ .

(٣) ج : بتأمل . . هكذا .

(٤) ساقطة من ك .

(٥) البقرة / ٣٦ .

(٦) طه / ١٢٠ .

(٧) آية / ٢٠ .

(٨) ج : قاسمه . . هـ ، ك ، ب : قسمه . . وما أثبتاه من : م ، ع ، وهو نص الآية / ٢١ .

واستحكام حيلته حتى احتك^(١) الكثير من الدرية وحملهم على عبادة الطواغيت، وتلفت النفوس المعامية ذلك منه بقبول [١١ / ظ] فصار تمييز^(٢) الحق لا يحصل إلا بمعالجة وتعمّل فتناسبه ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ﴾ كما ناسب ما تقدم في آية البقرة ﴿فَمَنْ تَبِعَ﴾ من حيث لم ييسط فيها من كيد اللعين ما بسط في آية طه. فورد كل على ما يناسب معنى ونظماً، إيجازاً بإيجاز، وإطالة بإطالة، ثم إذا لُحِظَ الترتيب، فالجاري على رغيه تقديم ما هو الأصل وتأخير ما هو الفرع فقبل في آية البقرة ﴿فَمَنْ تَبِعَ﴾، وفي آية طه ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ﴾، وحصل رغي الوجوه الثلاثة، ووضح أنه مقتضى النظم والله أعلم (بما أراد)^(٣).

١٢ - الآية التاسعة (غ)^(٤) قوله جل وتعالى:

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥)

وقال بعد (١٥٣): ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. يُسأل عما أعقب به في كل من الموضعين وما وجه تخصيصه، وهل يجوز وقوع كل منهما في موضع الآخر.

والجواب أن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ - الآية، وقوله في الثانية: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، كلا الإخبارين^(٥) مناسب لقوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا

(١) هـ، ك، ب، م احتك.

(٢) ج، ع: بسير.

(٣) محذوف من ع.

(٤) محذوف من ب.

(٥) ب: كل الأخار. ح، ع: كل من الأخار.

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴿١﴾ ، فلا سؤال في هذا ، وإنما يُسأل عن تخصيص كل من
الموضعين بما خصص^(١) به إتباعاً .

والجواب عن ذلك أن قوله - جل وتعالى - ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى
الْخَاشِعِينَ﴾^(٢) ، يشير^(٣) إلى الثاقل^(٤) والتكاسل الجارين في الغالب^(٥)
والأكثر مع ضعيف اليقين وقلة الإخلاص وذلك مناسب لحال بني إسرائيل
ممن^(٦) ذكر في الآيات قبل وبعد . ألا ترى قوله تعالى^(٧) في المنافقين
- وإنما أكثرهم من يهود - ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾^(٨) وقوله :
﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾^(٩) . فلما كان قوله تعالى في الآية
الأولى : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ مكتنفاً بأمر بني إسرائيل ونهيهم^(١٠) .
ناسب هذا قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ . ولما كانت
الآية الثانية معقبةً بها أمر المؤمنين في قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا
بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ وحال من وُسمَ بالإيمان حال رضى واستقامة : فناسب^(١١)
وصفهم بالصبر^(١٢) على الطاعات حصول الدرجات فجاء كل على ما

(١) ك : خص .

(٢) البقرة / ٥٤ .

(٣) ع : مشير .

(٤) ك : مشير الى الثاقل عنها .

(٥) ع : لإيجاز بين في الغالب (٢) .

(٦) ج : عا ، هـ : معنى .

(٧) ساقطة من م ، ج .

(٨) التوبة / ٥٤ .

(٩) النساء / ١٤٢ .

(١٠) م ، ع : نهيهم .

(١١) ع : ناسبه .

(١٢) راد : ع ، ك : بعدها (بد الصبر) .

يناسب، ولم يكن ليلائم واحداً من الموضعين غير ما أعقب به^(١). والله أعلم بما أراد.

١٣ - الآية العاشرة، قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ (٤٨) ﴿[١٢/و]﴾.

وقال [بعد] (١٢٣) ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾^(٢) وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ﴿ فأجر ذكر الشفاعة في هذه الآية، وقُدِّم في الأولى، يسأل عن ذلك. ووجهه - والله أعلم -^(٣) أنه لما تقدم في الآية الأولى: ﴿اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٤)، والمأمور بالبر قد يأخذ به ويتمسك بموجبه فيسلم من العصيان ويكون في ذلك نحاته. وإذا أمكن هذا فقد وقع الاهتداء بأمر هؤلاء الدين قيل لهم: ﴿اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾، فهو مظنة عدوهم لرجائهم أن ينفع عند مشاهدة الجزاء الإحساني المأمور بالبر، حين قبلوا وامتلأوا - أخذاً بظاهر حال الأمرين - وإن كانوا يُبْطِنُونَ خلاف ما يظهرون. وهذا جار على مألوف طمع يهود، وقد ورد في ذكر المنافقين تعلُّقهم في القيامة بقولهم للمؤمنين: ﴿أَلَمْ

(١) ب: ما لصفة به (٢)

(٢) الآية إلى هنا، وتقدمها مضطربان في جميع النسخ:

هـ ساقط. ب: وفي لموضع لآخر: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾. م: وفان في الثانية: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾.

ك: ورفع بعد: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾.

(٣) ب: (وقدمها في الآية الأولى. ووجه ذلك والله أعلم) في موضع (وقدم - إلى - والله أعلم)

(٤) البقرة / ٤٤.

نَكُنْ مَعَكُمْ^(١)، فطمع^(٢) من زاد على كونه^(٣) مع المتعلق به أنه أمره
فاقتدى بأمره واهتدى بالمأمور لما يخلصه^(٤) - أخذاً بمظاهر ما صدر عن
الأمر - وإن كان الأمر^(٥) يبطن^(٦) خلاف ما أمر به غيره^(٧) إلا أن هذا أمكن
من المتعلق^(٨) بالكينونة في الدنيا مع الناجين. فإذا^(٩) تعلق هؤلاء بمجرد
كونهم كانوا مع المؤمنين فتعلق من أمر بالبر زائداً إلى كونه^(١٠) مع
المأمورين وإن كان أمره طاهراً^(١١) أو رياء^(١٢) أمكن^(١٣)، إلا أن كل ذلك لا
ينفع ما لم يكن إيماناً مُخلصاً. فلتوهم هؤلاء إمكان^(١٤) شفاعته من أموره^(١٥)
بالبر، وطمعهم في ذلك، كان أكد شيء^(١٦) نفي الشفاعته لهم لإمكان
توهمها. ولم يتقدم في الآية الأخرى ما يستدعي هذا^(١٧)، فقدم فيها ذكر
الفدية^(١٨) التي هي أرزلى وأخرى في كمال التخلص^(١٩) على ما عهد في

-
- (١) النساء / ١٤١.
(٢) هـ صم.
(٣) هـ كُونه.
(٤) ك: م يخلصه . هـ، م، ع ن يخلصه (٩).
(٥) في بقية النسخ الأمر، في الموصع.
(٦) هكذا في ح، ك وبقي النسخ بظن.
(٧) زاد في ج: غير قوله فطمع
(٨) ج، ك، ع: التعلق.
(٩) ج. وإذا... ب وإذا.
(١٠) ع، ك، هـ زاد هنا وزيادته.
(١١) ك: أمره تظاهراً
(١٢) ع: ب: ورياء.
(١٣) ب: لا يمكن.
(١٤) ك: أمكن... ب: أن كانوا.
(١٥) هـ، ب: أموره.
(١٦) ج: كان الخوشى.
(١٧) زيادة من ك.
(١٨) هكذا في م، ك... وفي ع الفدية التي أولى (٩).
(١٩) هـ، ج: التخلص.

الدنيا لو أمكنت، والله أعلم بما أراد.

١٤ - الآية الحادية عشرة من سورة البقرة^(١) قوله تعالى:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ - الآية﴾ (٤٩).

وفي سورة الأعراف (١٤١) (غ) (٢): ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾.

فالقضية في السورتين واحدة، وقد تقدم في سورة البقرة، نجيناكم
مضعفاً، وفي الأعراف: أنجيناكم غير مضاعف. وفي البقرة: يذبحون، وفي
الأعراف: يقتلون. وقد ورد في سورة إبراهيم (٦) ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
وَيَذْبَحُونَ﴾، منسوقاً بحرف العطف، ففي هذه الآية ثلاث سؤالات
[١٢ / ظ] تعرض منها صاحب كتاب الدرّة للفرق بين: يذبحون، ويقتلون،
وقوله^(٣) في سورة إبراهيم: ويذبحون^(٤)، وأغفل ما سوى ذلك^(٥).

والجواب عن الأول أن الوارد في سورة البقرة مقصود به تعداد وجوه
الإنعام على بني إسرائيل، وتوالي الامتنان ليس شنيع مرتكبهم في مقابلة
ذلك الإنعام بالكفر. ولتقدم لذلك تمهيداً فنقول: إنه تعالى بدأ عباده بالنعم
وأحسن إليهم قبل إيجابهم حين ذكرهم في الأزل بخصوص التكريم
وسبقت رحمته غضبه، وله المن وال طول. وعلى لحظ ما ذكرنا ورغبه جرى

(١) هكذا في م، ك، ع. . . وزيد في ب (غ). . . وحذف من هـ، ب (من سورة البقرة) وليست
الآية من المغفلات.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) هذه الكلمة زيادة من ب يقتضيها السياق.

(٤) ج: (يذبحون هنا وفي سورة إبراهيم ويذبحون) في موضع (يذبحون ويقتلون - إلى -
ويذبحون).

(٥) راجع درة التنزيل / ٨٠٧.

خطاب الخلق في دعائهم الى عبادته، فقال تعالى في أول وارد من ذلك في كتابه العزيز على المعتمد من مقتضى الترتيب الثابت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(١) - إلى قوله - ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢) فذكرهم سبحانه بإيجادهم بعد العدم، وجعله الأرض من أمثالهم، والسماء بناء وإنزال الماء من السماء وإخراج الثمرات به. وكل هذا إنعام وإحسان منه لعباده من غير حاجة به إلى ذلك، فدعى سبحانه الخلق^(٣) لعبادته مذكراً بإنعامه عليهم، وبهذا أمر رسوله؛ فقال لموسى عليه السلام: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾^(٤)، أي بآلائه ونعمائه. وعلى هذا جرى خطاب بني إسرائيل في سورة البقرة في أول^(٥) ما خوطبوا^(٦) به، ودعوا إلى عبادة الله وتصديق من قدم لهم في أمره، وأخذ عليهم العهد في الإيمان به. فقال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾^(٧)، فأجمل تعالى ثم فصل؛ فذكر نجاتهم من آل فرعون، وفرق البحر بهم^(٨) ونجاتهم وهلاك عدوهم بالغرق. ثم ذكر عفوهم عنهم في عبادة العجل، وتسويته عليهم وبعثهم من موتهم عند مطلبهم الرؤية^(٩)، وتظليلهم^(١٠) بالغمام، إلى ما ذكر تعالى بعد هذا. فلما كان موضع تعداد نعم وآلاء ذكرُوا

(١) ج، ع، ب: زيد فيها من الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

(٢) هـ، ج، م، ب، ع: ولا تجعلوا - وما أثبتناه صواباً.

(٣) البقرة / ٢١، ٢٢.

(٤) ج: فدعا الخلق سبحانه.

(٥) إبراهيم / ٥.

(٦) ساقطة من هـ، ب.

(٧) ج: خطبوا. ك، أول خطاب خوطبوا.

(٨) البقرة / ٤٧.

(٩) ك: وفرقة البحر، ب: وفرق بهم البحر.

(١٠) ج: الرؤية، ك: الروية.

(١١) ج: تظليلهم.

بها ليزدجروا عن المخالفة والعناد، ناسب التضعيف لإتيانها^(١) بالكثرة. ولو قيل هنا: وإذ أنجيناكم، لما أنبأ بذلك ولا ناسب المقصود مما ذكر. وأيضاً فإن التضعيف في ﴿نَجِّنَاكُمْ﴾ يناسب التضعيف الوارد بعده في قوله ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، ولم يكن لفظ أنجيناكم غير مضاعف ليناسب يذبحون، فروعياً مناسبة اللفظ بما^(٢) بعد، ومناسبة المعنى، ولم يكن غير هذا ليناسب^(٣).

والجواب عن السؤال الثاني - والله أعلم - أن^(٤) الذبح منبئ عن القتل وصفته. وأما اسم القتل فلا يفهم غير إعدام الحياة بتناول من غير المقتول في [١٣ / و] الغالب؛ فعبر أولاً بما يوفي^(٥) المقصود من الإخبار بالقتل وصفته مع إحراز الإيجاز، إذ لو ذكر القتل وأتبع بالصفة لما كان إيجازاً، فعدل إلى ما يحصل عنه المقصود^(٦)، فقل يذبحون. وعبر في سورة الأعراف بالقتل، لأنه أوحز من لفظ يذبحون لأجل التضعيف، إذ لفظ يذبحون أثقل لتضعيفه. وقد حصلت صفة القتل^(٧) في سورة البقرة، فأحرز الإيجاز في الكل، وجاء على ما يجب ويناسب، والله أعلم^(٨).

والجواب عن الثالث، وهو قوله في سورة إبراهيم: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، منسوقاً بواو العطف، فوجه ذلك - والله أعلم - أن^(٩)

(١) هـ، ب: لإتيانها، ك: لإنبائها.

(٢) ك، ب: بما.

(٣) ج: يناسب.

(٤) هـ، ب، ج: أي.

(٥) ك: بما يوفي.

(٦) هـ، ك: المقصود مع إيجاز.

(٧) هـ، ك، ب: الفعل.

(٨) ساقطة من ج، ع.

(٩) ج، ب: أعلم أن بتكرير أعلم.

هذه السورة مبنية على الإجمال والإيجاز فيما تضمنته من قصص الرسل وغير ذلك، ولم يقصد فيما بسط كما في غيرها مما يُبنى^(١) على الاستيفاء، وكلا المرتكبين مقصود معتمد للعرب: (كامل).

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء^(٢) وعلى ذلك جرى خطابهم في الكتاب العزيز. وتأمل المقصدين^(٣)، فقد ورد في سورة الأعراف، وسورة^(٤) هود: قصص نوح، وهود، وصالح، ولوط، وموسى عليهم السلام. فتأمل ما بين ورود هذه القصص الخمس في هاتين السورتين، وورودها خمستها في سورة القمر، وكيف مُدَّتْ أطناب الكلام في السورتين^(٥) الأولين، ثم أوجزت في سورة القمر أبلغ إيجاز وأوفاه بالمقصود. فلما كان مبنى سورة إبراهيم عليه السلام على الإيجاز فيما تضمنت^(٦) من هذه القصص افتتاحاً واختتاماً بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ - إلى قوله - ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾^(٧)، وم بعد هذا من الآية ثم أنه^(٨) انضم في هذه السورة^(٩) إلى قصد الإيجاز تغليظ الوعيد. فلنأثها على هذين^(١٠) الغرضين ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ - إلى قوله -

(١) هـ: تبنى، ك: بُني، ب، ج: تبنى.

(٢) البيت منسوب لأبي ذؤاد بن حريز يصف خطباء إباد. انظر: الصنائع / ٦٤، زهر الأداب ٩٦/١، البيان والتبيين ١/١٥٥، ٤٢، ٤٤.

(٣) ج، هـ: ب: المقصودين.

(٤) ساقطة من ج.

(٥) ساقط من ب قوله: (وورودها - إلى - في السورتين).

(٦) ك: فيها تضمنته.

(٧) إبراهيم / ٩.

(٨) ج، ع: ربه، وفي م، هـ، ب، بدون واو.

(٩) م، هـ: صورة.

(١٠) في كل النسخ: هاذين.

﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾^(١)، فأشار قوله سبحانه: ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾، إلى جملة ما امتحنوا به من فرعون وآله^(٢) من استخدامهم، وإذلالهم بالأعمال الشاقة وامتهانهم، واستحياء نسائهم لذلك، وذبح الذكور. فلما وقعت الإشارة إلى هذه الجملة مما كانوا يمتحنونهم به جُرد منها، وعُيِّن بالذكر أشدها وأعظمها امتحاناً، فجاء به معطوفاً لانه^(٣) مغاير لما تقدمه، فقليل: ويذبحون أبناءكم، فعين من الجملة هذا، وخص بالذكر تعريفاً بمكانه وشدة [١٣ / ظ] الأمر فيه، وهو مما أجمل أولاً وشمله الكلام المتقدم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾ ثم قال: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾^(٤) فخصهما بالذكر والتعيين، إعلاماً بمكانهما في الملائكة، بعد أن شملهم قوله: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾. فالوارد في سورة إبراهيم من هذا القبيل، وقد تبين وجهه واتضحت مناسبته، والله أعلم بما أراد.

وأما إعراب آية البقرة^(٥)، فيمكن في قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾، أن يُحْمَلَ^(٦) على البدل، أو الاستئناف^(٧) وهو الأولى، وكأنه على تقدير سؤال، كأن قد قيل: وما ذاك^(٨)؟ فقل: يذبحون أبناءكم، ولا إشكال في الأخرى^(٩).

(١) إبراهيم / ٦.

(٢) ج، ب: وأن.

(٣) ج، ك: كأنه، وبقيّة النسخ: كما أنه.

(٤) البقرة / ٩٨. وفي جميع النسخ: ميكائيل، وهي لغة وقراءة في ميكائيل. انظر: معاني القرآن للأخفش ورقة ٦٠ - ظ، والبحر المحيط ٣١٧/١، البجة / ١٦٦ - ١٦٧، والالتحاف / ١٤٤.

(٥) هكذا في ك، وفي بقيّة النسخ: سورة البقرة.

(٦) هكذا في ع، وفي بقيّة النسخ: (تحمل).

(٧) ك: وعلى الاستئناف، ب: وهو الاستئناف، وانظر: إملاء ما من به الرحمن / ٣٥، البحر المحيط ١٩٣/١ - ١٩٤.

(٨) ك: وما ذلك.

(٩) بقيّة النسخ: الآخرين.

١٥ - الآية الثانية عشرة قوله تعالى (١) :

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا^(٢) وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٨)، (٥٩)﴾.

وفي سورة الأعراف (١٦١/١٦٢) : ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمَ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ^(٣) وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

في ذلك عشر سؤالات (٤) :

الأول (غ) : قوله جل وتعالى في سورة البقرة : ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا﴾، وفي سورة الأعراف : ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمَ اسْكُنُوا﴾.

الثاني : قوله في البقرة : ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾^(٥)، وفي الأعراف : ﴿وَكُلُوا﴾.

الثالث : قوله في البقرة : ﴿رَغَدًا﴾، ولم يأت ذلك في سورة الأعراف.

الرابع : قوله : ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، وفي الأعراف : ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾.

(١) ك : جل وتعالى.

(٢) ب : حذف الناصح ﴿وادخلوا﴾ - إلى - رجراً من السماء ﴿واستدهاب﴾. (إلى قوله).

(٣) ب : حذف الناصح ﴿وقولوا حطة﴾ - إلى - قولاً واستدهاب : (إلى قوله).

(٤) م : عشرة أسئلة، ج، ع : عشرة أسئلة.

(٥) محذوف من هـ، ك، ب قوله منها.

الخامس: قوله في البقرة: ﴿تُغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾، وفي الأعراف في قراءة الجماعة غير أبي عمرو^(١) وابن عامر^(٢): ﴿خَطِيئَاتِكُمْ﴾^(٣) مجموعاً جمع السلامة.

السادس: قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ وفي الأعراف: ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

السابع: زيادة ﴿مِنْهُمْ﴾ في الأعراف، وسقوط ذلك في البقرة.

الثامن (غ): قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ﴾، وفي الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَاهُ﴾^(٤).

التاسع (غ): قوله^(٥): ﴿عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وفي الأعراف ﴿عَلَيْهِمْ﴾.

العاشر (غ): قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسِقُونَ﴾ وفي الأعراف: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

والجواب عن الأول، أن أمرهم بدخول القرية مغاير من حيث المعنى لأمرهم بسكنائهم، وإن كان الأمر بدخولهم قد يشير بما نسق معه إلى سكنائها [١٤ / و] لكن ليس نصاً، بل ولا ظاهراً، فَبَيَّنَتْ آية الأعراف ذلك، وأوضحت المقصود، وحصل الأمر^(٦) بالدخول والسكنى، وتبين وجه ورود العبارتين على الترتيب.

(١) ج: أبي عمر، وابن عامر.

(٢) قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي (نغفر) بالنون، وخطيباتكم بالتاء المهموزة على الجمع. وقرأ أبو عمر (خطاياكم) بغير همز مثل قضايكم، وروى محبوب عن أبي عمرو (تُغْفِرْ لَكُمْ) بالتاء (خطيئاتكم) بالهمز وضم التاء. وتروى هذه القراءة الأخيرة عن نافع وابن عامر. السبعة / ٢٩٥ - ٢٩٦، الشر ٢/ ٢٧٢، الحجة / ٧٩ - ٨٠، الانحاف / ١٣٧.

(٣) م: خطيئاتكم.

(٤) ب: فانزلنا في البقرة، وأرسلنا في الأعراف.

(٥) ساقطة من ب، ع.

(٦) ك، ب: الأمران.

والجواب عن الثاني أن قوله تعالى : ﴿فَكُلُوا﴾ بحرف التعقيب وحده أن الأكل لا يكون إلا بعد الدخول، ولا يكون قبله بوجه، ولا معه؛ لتعذر ذلك. وإنما يكون مرتباً عليه، فجاء بالحرف المحرز لذلك^(١) المعنى، وأنه على التعقيب من غير مهلة.

وأما الوارد في سورة الأعراف، فإن السكنى مُنْجَرٌ معه الأكل ومساوق له، ولا يمكن أن يكون مرتباً^(٢) عليه، فجاء بالحرف الصالح لذلك المعنى.

والجواب عن الثالث، وهو ورود قوله^(٣) : رَغْدًا في البقرة، وسقوط ذلك في الأعراف، أن تحته معنى مقصوداً لا يحصل من شيء مما ورد في الآية، وانطوت عليه من الكلام بخلاف آية الأعراف، فإن مفهوم السكنى وهو الملازمة والإقامة مع الأمر بالأكل حيث شاءوا مع انضمام معنى الامتثال والأنعام المقصود في الآية. كل ذلك مُشْعِرٌ ومَعْرِفٌ بتمادي الأكل، وقوة السياق مانعة من التَّحْجِيرِ^(٤) والاقتصار، فحصل معنى الرعد، فوقع الاكتفاء بهذا المفهوم الحاصل قطعاً من سياق آية الأعراف. وأما قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة : ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ وعكس ذلك في الأعراف^(٥). فوجه ذلك - والله أعلم - أن قولهم حطة، دعاء أمروا به في سجودهم، فلو ورد في السورتين على حد سواء لأوهم من حيث مقتضى الواو من الاحتمال أنهم أمروا بالسجود والقول منفصلين غير مساوق أحدهما للآخر على أحد محتملات الواو في عدم الرتبة، فقدم وآخر السورتين،

(١) في جميع النسخ.. لذلك.

(٢) ك: مترباً.

(٣) ك: والجواب عن ورود قوله رعداً، ب: والجواب عن الثالث أن تحت قوله رعداً.

(٤) التحجير: المع والتضييق تقول العرب: تحجر عليه، بمعنى ضيق، واستحجر احتراً،

واحتجر الأرض ضرب عنيها ماراً.

(٥) زاد في ب، ح بعدها. وهو السؤال الرابع.

ليحرز المجموع أن المراد بهذا القول أن يكون في حال السجود لا قلبه ولا بعده. وتعين بهذا معنى المعية من احتمالات الواو، وتحرر المقصود وأن المراد: وادخلوا الباب سجداً قائلين في سجودكم حطة، فاكتفى بتغلب^(١) الورود عن الإفصاح بمعنى المعية إيجازاً جليلاً^(٢)، وبلاغة عظيمة وقدم في البقرة الأمر بالسجود لأن ابتداء السجود يتقدم ابتداء الدعاء، ثم يتساقط المطلوبان، فجاء ذلك^(٣) على الترتيب الثابت في السورة والآي، والله أعلم. ومما يجب تمهيده لتخليص هذا المفهوم، أن العرب الفصحاء إذا أخبرت عن مُخْبِرٍ ما، أو أناطت^(٤) به حكماً من الأحكام، وقد شرکه غيره في ذلك الحكم، أو فيما أخر به عنه وقد عطف أحدهما [١٤ / ظ] على الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب، فإنهم مع ذلك^(٥) يبدأون بالأهم والأولى. وقال سيويه - رحمه الله - كأنهم يقدمون ما بيانه أهم لهم، وهم به أغنى^(٦). هذا معنى كلامه رحمه الله. قال الله سبحانه^(٧) وتعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٨). فهذان مطبوعان مقامهما في الطلب^(٩) الإيمانى معلوم، ولكن المدوء^(١٠) به أهم. وقال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(١١). وقال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١٢). وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ

(١) ح، ع: تغلب.

(٢) ب: خلاف بلاغة، وفي ج، ع: بياض.

(٣) ساقطة من هـ، ج، ع.

(٤) ب، ع: إذا - ناطت. ح: إذا - أنطت.

(٥) ج، ب، ع (فهم إنما) في موضع (فهم مع ذلك).

(٦) انظر الكتاب ٥٦/١.

(٧) ساقط من ج، هـ، ك. وفي ب: قال الله جل وعلا.

(٨) البقرة / ٤٣.

(٩) ك: في الطلب.

(١٠) ج: المبدوء.

(١١) آل عمران / ١٣٢.

(١٢) النساء / ١٣٦.

وَرَسُولُهُ أَخَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ»^(١). وهذا أكثر من أن يحصى، وعكس الوارد منه ليس بالأفصح. فعلى هذا التمهيد يفهم ما قدمنا. فإن قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ مقتضاه على ما تمهد، الابتداء بأول الأمرين^(٢)، فلا يمكن تحصيل ذلك في الآيتين إلا بالمسارقة وكونهما معاً في حالة واحدة، فتدبر ذلك والله أعلم بما أراد^(٣).

وأما الاختلاف في جمع خطيئة في السورتين^(٤)، فإنها تجمع من حيث ثبوت تاء التانيث في الواحدة منها بالالف والتاء، وتجمع أيضاً مكسرة على (فعائل)، كظعينة وطمعائن^(٥)، وسفينة وسفائن، وصحيفة وصحائف، فالأصل حطايء مثل طمعائن^(٦) ثم ترجع بمقتضى التصريف إلى خطايا، كمطية ومطايا. فورد جميعها^(٧) في البقرة متكرراً ليناسب ما بنيت عليه آيات البقرة من تعداد النعم، والآلاء حسبما يتبين في جواب السؤال^(٨)، لأن جموع التكسير ما عدا أربعة الأنية التي هي: أفعل، وإفعلال، وأفعللة، وفعللة إنما ترد في الغالب للكثرة فطابق^(٩) الوارد في البقرة ما قصد من تكثير الآلاء والنعم. وأما الجمع بالالف والتاء، فبإبه القلة في الغالب أيضاً، ما لم يقترن به ما يبين أن المراد به الكثرة، فناسب^(١٠) ما ورد في الأعراف من حيث لم تُبين

(١) التوبة / ٦٢.

(٢) بعدها في ك: وقوله في الموضع آخر هكذا: ﴿وقولوا حطة وادخلوا الباب سُجَّدًا﴾، مقتضاه أيضاً الابتداء بأول الأمرين... الخ.

(٣) ج، ب، ع: محذوف منها (بما أراد).

(٤) بعدها في ج: وهو السؤال الخامس.

(٥) ج، م: كضفينة وضفالن.

(٦) هـ، ج، م: ضفائن.

(٧) ك: لجمعها، ب: جمعها.

(٨) ك: السؤال بعد.

(٩) ك، ع: فمطابق، ب: مطابق.

(١٠) ب: فتاسبه.

أَيَّهَا^(١) - من قصد تعداد النعم - على ما بنيت^(٢) عليه آي البقرة، فجاء كل ما يناسب، والله أعلم.

وأما زيادة واو العطف في قوله: وسنزيد، في البقرة^(٣) - وهو السؤال السادس^(٤) -، فإنما جيء بها هنا، لأن المتقدم قبل هذه الآية من لدن قوله سبحانه: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾^(٥)، إنما هي آلاء ونعم^(٦) - كما تقدم - عُدَّتْ^(٧) عليهم على التفصيل شيئاً بعد شيء، فناسب ذلك عطف قضية الزيادة بالواو، وليجري^(٨) على ما تقدم من تعداد الآلاء وضروب الأنعام بالعفو عن الزلات، والامتنان بضروب الإحسان بهذا القصد من إحرار^(٩) التعداد، ورد «وسنزيد» هـ بالواو، ولم يكن ليحصل ذلك لو لم ترد^(١٠) [١٥ / و] الواو هنا.

وأما آية الأعراف فلم يرد قبلها ما ورد في سورة البقرة. وأما قوله: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾^(١١)، وفي الأعراف: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾^(١٢)؛ فوجهه - والله أعلم - أن لفظ الذين ظلموا لفظ عام يحتمل التخصيص، والتخصيص يكون بدليل

(١) ج: لم تُسْ عَلِ أَهَا. . ع: لم تُبْنِ أَهَا.

(٢) ب: على أنها بنيت.

(٣) ب: (قوله في البقرة: وسنزيد. .).

(٤) ساقط من ب، وفي هـ، م، ك، ع: الخامس، وصوابها: السادس.

(٥) البقرة / ٤٠.

(٦) ج، ب، ع: آلاء كما تقدم.

(٧) هـ، م: عُدَّتْ.

(٨) ج: ولتجري، ع: بالواو لتجري، موصل الحملتين.

(٩) ب، ع، ج: إحسان.

(١٠) ك: تُرَدُّ.

(١١) البقرة / ٥٩.

(١٢) الأعراف / ١٦٢.

عقلي، ودليل سمعي. ومن^(١) المعلوم أن الأمة من الناس والطائفة الكبيرة، إذا خاطبوا بأمر أو نهي، لم يكونوا في تلقّيه على حد سواء، وهذا معلوم. ويبين هذا في هؤلاء المقصودين بهذا^(٢) الإخبار قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾^(٤)، وغير ذلك. وإذا تأملت هذه الآية فهمت منها نفسها أنها ليست على عمومها، فزادت آية الأعراف تخصيصاً سمعياً بما يعطيه حرف التبعض في قوله^(٥): ﴿مِنْهُمْ﴾، فآية^(٦) الأعراف مخصصة للعموم البادي من آية البقرة^(٧) هذا هو [جواب] السؤال السابع^(٨).

ولهذا القصد^(٩) من التخصيص، ورد في البقرة: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، ولم يرد فيها: فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ، لأنه لو ورد كذلك لكان يتناول المتقدم ذكره^(١٠) على التعميم^(١١)، وليس مقصوداً فتحرز بقوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أن المعدّب هو الظالم ممن تقدم. وحاء في الأعراف ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لتخصيص ذكر الظالم بقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ فجاء كل على ما

(١) ساقطة في ج، ب، ع.

(٢) ك: بهذه. ع، ح: ههين.

(٣) آل عمران / ١١٠.

(٤) آل عمران / ١١٣.

(٥) ب: قولهم.

(٦) هـ، ج، ع: وآية.

(٧) ب: آية القرآن.

(٨) حلة (هذا هو السؤال السابع) محدوفة من هـ، وفي نقيّة النسخ: السؤال التاسع وصونه السابع.

(٩) هـ: المقصد. ب، ع، ح: المقصود.

(١٠) ك: ذكرهم.

(١١) ب: الفهم.

يجب^(١). ويزيد ذلك بياناً أن قوله^(٢): ﴿فَارْسَلْنَا﴾، يُقْتَضَى^(٣) بظهور (ما). وذلك بحسب مفهوم الإرسال - لأن المعذب قد أُحرِرَ ذكره. وأما لفظ أنزل فلا يقتضي الإنسحاب والتعميم بحسب اقتضاء «أرسل». فلهذا ورد مع ما لم يرد عمومه. وهذا جواب السؤال الثامن.

ولم يبقَ إلا قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ و﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾، وهو السؤال العاشر. ووجه ذلك - والله أعلم - أنه لما وصف اعتداءهم نيطت بهم أولاً صفة الظلم، ومن المعلوم أن موافقة^(٤) تسع. ثم لما ذكر من اعتدائهم وسوء مرتكبهم غير ما تقدم، وتضاعف موجب وبيل جزائهم، وصفوا بالفسق المسمى على^(٥) حال أوبق^(٦) من الظلم. ألا ترى أنه صفة إبليس: قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(٧). وقد جعل تعالى الفسق نقيض الإيمان، وفي طرف مه في قوله: ﴿أَقْمِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٨). والظلم قد يقع على أضعف [١٥ / ظ] المعاصي قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾^(٩)، وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِرَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾^(١٠). ولوقوعه على مختلفات المآثم، ومطابقته لما

(١) هذا هو جواب السؤال التاسع (المحقق).

(٢) هـ، ع: قولك.

(٣) هـ، م، ع: يقتضي.

(٤) هـ: موافقة، ب: موافقة.

(٥) ج، ك، ع: المسمى عن.

(٦) ج، هـ، ك: أوفق.

(٧) الكهف / ٥٠.

(٨) السجدة / ١٨.

(٩) ح، ك: ويظلم.. بواو العطف.

(١٠) النساء / ١١٠.

(١١) آل عمران / ١٣٥.

قُلْ أَوْ كَثُرَ مِنْهُ، وصف بِالْعِظَم حين أُريد به الشرك. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١) ويقول الشاكي للحاكم: إن هذا ظالم، وقد ظلمني في خردلة فما فوقها ولا يلزمه في هذا القول شيء، إذا صح له أدنى تعلق. أما إذا قيل فاسق، أو فسق فليس كذلك.

وكما يُترقى في الجزاء الإحساني، كذلك يترقى في الطرف الآخر، وهو بالحقيقة^(٢) ضد الترقي وستزيد هذا^(٣) - إن شاء الله - في سورة المائدة بياناً في وصفه سبحانه من لم يحكم بما^(٤) أنزل الله بالكفر، ثم بالظلم، ثم بالفسق. وإذا تقرر هذا فتأمل آية البقرة^(٥) من لدن قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا بَعَثْنَا فِيكُمْ﴾ - إلى ذكر وصفهم بتظليلهم^(٦) بالعمام كيف ذكروا أولاً بالظلم فقال تعالى: عقب ذكر تظليلهم^(٧) بالعمام ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٨).

ثم أردف ذكر اعتدائهم في تبديلهم قولاً غير الذي قيل لهم، وأعقب بقوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، وجعل الفسق ختام وصفهم الجاري جزاء على مرتكباتهم ولم يقع بعده ذكر علة منوطة بجزاء ما وقع منهم. وإذا تأملت آية الأعراف وجدتها^(٩) على

(١) لقمان / ١٣.

(٢) ج، ب، ع: في الحقيقة.

(٣) ساقطة من هـ، ع.

(٤) هـ: من يحكم لما أنزل - وصوابها ما أُنشأ.

(٥) ك: آيات.

(٦) ج: بتظليلهم.

(٧) ج، ك: نصليهم.

(٨) البقرة / ٥٧.

(٩) ساقطة من ج، هـ، ع.

منهج^(١) ما وقع في سورة البقرة، وإن أول وصفهم المبني جزاء على مرتكباتهم^(٢)، قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾، ثم قال^(٣): ﴿وَأَسْأَلُهُمْ غَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ - إلى قوله - ﴿كَذَلِكَ ثَبَلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٤)؛ فطابق^(٥) هذا ما ورد في البقرة من تقدم وصفهم أولاً بالظلم، ثم بعد ذلك بالفسق، ووضع الاتفاق في ختام القصة في السورتين من غير اختلاف فيهما^(٦).

١٦ - الآية الثالثة عشرة من البقرة^(٧) (غ) قوله تعالى:

﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (٦٠)

وفي الأعراف (١٦٠): ﴿فَانفَجَسَتْ﴾ مع أن^(٨) المعنى واحد، فمعنى الانفجاس لانفجار.

يسأل^(٩) عن وجه اختصاص كل من الموضعين بما ورد فيه.

والجواب - والله أعلم - أن الفعلين، وإن اجتمعا في المعنى فليس على حد سواء، بل الانفجاس ابتداء الانفجار، والانفجار بعده غاية له. قال الغزنوي^(١٠):

(١) ج، ع: منهم، وأصلها ناسخ في هامش ج (منهج)

(٢) أصلها ناسخ ج في الهامش: على جزاء مرتكباتهم.

(٣) ساقطة من ج، هـ، ع. وفي ك: قال تعالى.

(٤) الأعراف / ١٦٣

(٥) ج، هـ: وطابق.

(٦) ج، ب، ع، ك: بينها.

(٧) محذوف في ب: من البقرة.

(٨) مع ساقطة من ج، هـ، ع. وفي ب: والمعنى واحد، يبدل (مع أن) وأو غطيف.

(٩) ب: يسأل

(١٠) ج، ع: الفرطبي وفي نية السخ غير معجمة. ومن لقب الغزنوي من أصحاب التفسير: =

الانبجاس أول الانفجار. وقال ابن عطية: انبجست انفجرت، لكنه أخف من الانفجار^(١) وإذا تقرر هذا فأقول إن الواقع في الأعراف طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام [١٦ / و] السُّقْيَا. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾^(٢)، والوارد في البقرة^(٣)، طلب موسى عليه السلام من ربه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾^(٤)، فطلبهم ابتداء فأشبهه الابتداء^(٥)، وطلب موسى عليه السلام غاية لطلبهم؛ لأنه واقع بعده ومرتب^(٦) عليه، فأشبهه^(٧) الابتداء الابتداء، والغاية الغاية، ف قيل جواباً لطلبهم: فانبجست، وقيل إجابة لطلبه فانفجرت. وتناسب ذلك، وجاء على ما يجب، ولم يكن ليناسب العكس، والله أعلم.

١٧ - الآية الرابعة عشرة من سورة البقرة^(٨) (غ) قوله تعالى^(٩):

﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (٦١).

- = - أبو علي العزوي الملقب بباح الشريعة ونظام الإسلام (الداودي ٢٢١/١).
- أبو المكارم العزوي عالم بالتفسير والتوحيد وكان له مجلس وعظ بجامع أصمهان كل أربعاء (الداودي ١٠١/١).
- محمود بن أبي الحسن السيابوري الغزنوي الملقب ببيان الحق (الداودي ٣١١/٢).
- وانظر الداودي ترجحات: ٢٨، ٣٤٨، ٥٠٠، ٩٠٦، وجامع القرطبي ٤١٩/١.
- (١) انظر: أحكام القرطبي ٤١٩/١، جامع البيان ١١٩/٢ - ١٢٢، ١٣ / ١٧٧، البحر المحيط ٢٢٨/١، البرهان للكرمان ٢٨. وقد سوى بينهما أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٣٠/١، ورجحه أبو حيان في البحر وهو قول ابن عطية.
- (٢) الأعراف / ١٦٠.
- (٣) ساقطة من ب.
- (٤) البقرة / ٦٠.
- (٥) ك: (فناسب الإبداء) في موضع (فأشبهه الابتداء).
- (٦) ك: ومرتّب.
- (٧) ك: فناسب.
- (٨) ساقط من ب: من سورة البقرة.
- (٩) ح: حل وتعالى.

وفي سورة آل عمران (١١٢): ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَنْ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِخَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَخَبَلَ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾.

فأخر في سورة آل عمران ما قدم ذكره في سورة البقرة، فيسأل^(١) عن ذلك.

ووجهه^(٢) - والله أعلم - أنهم لما سألوا في البقرة عن ماكلهم ما فيه خسة، وما يستلزم الذلة والصغار والمهانة في التوصل الى الانتفاع به، وذلك ما طلبوه في قولهم: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾^(٣)، عوضاً مما لا تكلف فيه ولا مشقة من المَن والسلوى الذي كان ينزل عليهم عند الحاجة بعير مؤونة^(٤). ولهذا قيل لهم: ﴿اتَّسَبَدُّوْنَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾^(٥). فلما سألوا ما يستلزم مهانة النفس، ودناءة الحال، لما أحرى الله تعالى به العادة من أن الذي سألوه لا يتوصل إليه إلا بتكلف عمل ومشقة. فلما سألوا ما حاصله خسة وامتياز، ناسب ذلك أن يباط به ويبى^(٦) عليه ذكر ضرب الذلة والمسكنة عليهم. ثم أعقب ذلك بذكر ما باءوا به من غضب الله الذي سبق به القدر عليهم ونعوذ بالله من غضبه. ولما تقدم في آل عمران أن قوله تعالى: ﴿لَنْ

(١) م: يسأل.

(٢) ب: والجواب.

(٣) البقرة / ٦١.

(٤) ح، ك: بعد.

(٥) البقرة / ٦١.

(٦) م: نبي.

يَضْرُوكُمْ إِلَّا أَدَى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ^(١)، ناسب هذا تقديم ما لا مَضَرَّةَ لهم ومعه ولا فلاح، وهو ما باءوا^(٢) به من غضب الله عليهم، فقال تعالى: ﴿وَبَاءُوا^(٣) بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾؛ فجاء كل على ما يناسبه ويلائمه، والله أعلم بما أراد^(٤).

١٨ - الآية الخامسة عشرة^(٥) قوله جل^(٦) وتعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِشَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (٦١).

وفي سورة^(٧) آل عمران (٢١) [١٦ / ظ] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ^(٨) بِغَيْرِ حَقٍّ^(٩)﴾. وفيما بعد^(١٠): ﴿لَنْ يَضْرُوكُمْ إِلَّا أَدَى﴾ - إلى قوله - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِشَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ^(١١)﴾، بتكثير حق في هذين الموضعين وتعريفه في البقرة، واختصاص الآية الأخيرة بجمع التكسير فيما جمع في الآيتين جمع سلامة فقليل الشيئين في الآيتين، وقيل في هذه الآية الأنبياء^(١٢) مكسراً، فهذان سؤالان^(١٣).

(١) آل عمران / ١١١.

(٢) م، ج: باءو.

(٣) ع، م، ك، ج: باءو.

(٤) بما أراد: زيادة من هـ، ك.

(٥) ٧، ٦، ٥) ساقط من ب.

(٨) في بقية النسخ «النبئين»، مهموزة وهي قراءة نافع في كل القرآن باهمزة، إلا في موضعين من

سورة الأحزاب كما قال انسبي وقالون، وزعم ورش أنه كان يهملها. لسبعة / ١٥٦، ١٥٧،

الاتحاف / ١٣٨.

(٩) هـ، ب: الحق.

(١٠) ك: وفيها بعد.

(١١) آل عمران / ١١١، ١١٢.

(١٢) ع: الأنبياء، وهي قراءة نافع في القرآن كله بهمزه. نظراً: السبعة / ١٥٦.

(١٣) ب: فيها سؤالين.

والجواب عن الأول - والله أعلم - بعد العلم بأن المذكورين في الآيات الثلاث من بني إسرائيل قد اجتمعوا في الكفر والاعتداء، أن هذه الآية الأخيرة لما كانت فيمن شاهد منهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وعاین تلك البراهین، واستوضح أنه الذي أخبر به موسى وغيره صلى الله عليهم أجمعين، وتكاثرت الأدلة في أمره، ثم لم يُجَدِّ ذلك إلا^(١) التماذي في الكفر والعناد من بعد ما تبين لهم الحق، كان الأنسب لمرتكبهم في كفرهم أن يُعْبَر عنهم^(٢) أنهم ارتكبوه بغير شبهة، ولا سبب يمكن التعلق به. فقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، كأنه مرادف لأن لو قيل بغير سبب ولا شبهة، وذلك أوغل في ذمهم^(٣) وسوء حالهم، لأنهم لا يمكنهم في مرتكبهم تعلق بشيء البتة، ولا أدنى شبهة. ولما كانت الأولى من سورة البقرة إنما هي في سلفهم ممن لم يشاهد أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وقد وقع الإفصاح فيها بكفرهم بعد تعريفهم بذكر آلاء ونعم، وقد ورد فيها أن بعض تلك المرتكبات أو أكثرها قد عُفِيَ عنهم فيها، ولا شك أن بعضهم قد سَلِمَ مما وقع فيه الأكثر من كفرهم. وقد أفصحت آي بذلك فيما ذكر عقبها من أن الكفر السابق عمومته في جميعهم ليس على ما يبدو^(٤) منه، والله أعلم. وإنما هو راجع إلى أكثرهم^(٥)، فقد دخله خصوص يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ^(٦)﴾، وقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ^(٧)﴾. فهم وإن

(١) ب: ثم لم يُفَدِّ ذلك فيه إلا..

(٢) ك: عنه.

(٣) ج: مكانها بياض.

(٤) جميع النسخ: يبدوا.

(٥) ك: لأكثرهم.

(٦) الفقرة / ٥٩، وزاد في ح، ع، ب من الآية كلمة ﴿فولاً﴾.

(٧) النوبة / ٨.

وصفوا من الكفر والاعتداء بما وصفوا، ليسوا في ارتكاب التَّهْتِ^(١) والمجاهرة بالباطل، وموالاة^(٢) التمرّد والاعتداء حال معاينة البراهين كَحَيِّ بْنِ أَخْطَب^(٣) وأشباهه من المعاصرين لنبينا صلى الله عليه وسلم والمشاهدين أمره. فناسب حال أولئك الذين لم يشاهدوا ما وقع^(٤) التعبير^(٥) به من قوله تعالى: ﴿بَغْيِرِ الْحَقِّ﴾، إذ ليس المُعْرِفُ في قوة المُنْكَرِ المرادف لقولك بغير سبب. وأيضاً فقد تقرر عندهم من كتابهم، ألا يسوغ^(٦) قتل النفس بغير الحق^(٧)، قال تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ - أي التوراة - ﴿أَنْ تُقْتَلَ بِالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ﴾^(٨)، وتقرر أيضاً في كتابهم رجم الزاني المُخْصَن، وقد عرفنا ذلك من [١٧ / و] دينهم بالخبر الصحيح، وأنهم اعترفوا^(٩) بذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد إنكارهم. وقوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام لهم بقوله: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾^(١٠)، فعرف بحريمة الارتداد والظاهر أن حكم المرتد عندهم القتل كحكمه عندنا. وكيف ما كان فقد استقر عندهم ما يسوغ القتل ويوجب به الإيمان، وقد علموا أن الأنبياء عليهم السلام مبرّأون من ذلك كله، فقوله: ﴿بَغْيِرِ الْحَقِّ﴾، أي. بغير وجه الحق المبيح للقتل فالألف واللام للعهد في

(١) التَّهْتُ والبهتة الكذب. والتَّهْتُ التحير والانقطاع، ومنه التَّهْتَانُ وهو الباطل.

(٢) ج، م، ع: ومولات، وفي ك: ومولات

(٣) حيي بن أخطب النضيري سعة إلى بني النضير من يهود شبه الجزيرة العربية أدرك الإسلام

وكان شديد لإبذاء للمسلمين فأظفرهم الله به يوم حبر دريطة فأسروه. السيرة النبوية ١٤٨/٢

(٤) ح: عما.

(٥) م: التعبير

(٦) م، ك: أن يسوغ، ب: أن يسوغ، وفي جميع النسخ (أن لا).

(٧) م: بغير حق، ك: قتل النفس تقدم قتل نفس بغير حق (٩)

(٨) المائدة / ٤٥.

(٩) ح: بالجزء الصحيح اعترفوا.

(١٠) المائدة / ٢١

المسوّغ المتقرر في شريعتهم، فقد افترق مقصد الآيتين. وأما الأولى من آيتي [آل] عمران، فخاصة بالمتمادين منهم على الكفر، ولا تناول^(١) الآية من أولها إلى آخرها خلافاً، فهي كالأية الثانية فيما أعطته ودلت عليه من التمرد والتمادي على الضلال، فناسبها التنكير كالتي بعدها. وهما معاً بخلاف آية البقرة، إذ لم يتقدم في هاتين ما تقدم في تلك، ولا حال المذكورين في هاتين كحال من ذكر في تلك، والله أعلم بما أراد^(٢).

والجواب عن السؤال الثاني أن جمع التكسير يشمل أولي العلم وغيرهم. وجمع السلامة يختص في أصل الوضع بأولي العلم، وإن وجد في غيرهم فبحكمه^(٣) الإلحاق والتشبيه كقوله تعالى ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٤) وما يلحق بهذا. وإذا تقرر هذا فورود جمع السلامة في قوله في سورة البقرة: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، منسب من جهتين:

إحداهما: شرف الجمع لشرف المجموع

والثانية: مناسبة زيادة المد لزيادة أداة التعريف في لفظ الحق.

وأما الآية الأولى من سورة آل عمران، فمثل^(٥) الأولى في مناسبة الشرف ومناسبة زيادة المد للزيادة في الفعل العامل في اللفظ المجموع في قراءة من قرأ: وَيُقَاتِلُونَ^(٦). ولم لم يكن في الآية الثالثة سوى شرف

(١) هـ، ب: يتناول.

(٢) هـ، ب، ج: أرادوا.

(٣) ب: فبحكم.

(٤) يوسف / ٤

(٥) ح، ع، ب: في مثل

(٦) ح، ع: يقاتلون بدون واو وهي قراءة حمزة من المقاتلة. السحرة / ٢٠٣، النجدة ١٠٧.

المحموع، وكانت العرب تتسع في جموع^(١) التكسير فتوقعها على ولي العلم وغيرهم، أتى بالجمع هنا مكسراً، لتحصل اللعتان حتى لا يبقى لمن تُحْدِي بالقرآن حجة؛ إذ هم مخاطبون بما في لغاتهم فلا يُقَصِّر^(٢) في شيء من خطابهم على أحد الجائزين دون الآخر، لتلا يتكرر^(٣) فإن ذلك يرد على وجه واحد مما يجوز فيه. فتفهم ما أجملته فسوف يتضح لك به [١٧/ ظ] إذا استوفيته ما يعينك على فهم الإعجاز.

١٩ - الآية السادسة عشرة قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَرَى وَالصَّبِيْنَ^(١) مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ^(٢) أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢).

وقال^(٣) في سورة^(٧) المائدة (٦٩). ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِيْنَ^(٨) وَالنَّصَرَى مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا^(٩) فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. وفي سورة الحج (١٧): ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِيْنَ^(١٠) وَالنَّصَرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

(١) بعدها في ح، ب: بياض كلمة.

(٢) ك: يقتصر، ب: يقصر.

(٣) هـ، م، ك: إلا الا يتكرر (٢)، ب: إلا يتكرر.

(٤) في جميع النسخ بالياء دون همز، وهي قراءة مافع في المصحف كنه. انظر السبعة / ١٥٦، ١٥٧، الحجة / ٨١.

(٥) ح، م: هم، تحريف، وفي ع: حذف من الآية ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ...﴾ بح.

(٦، ٧) ساقطتان من ب.

(٨) في جميع النسخ الصابون، وهي قراءة دفع في كل القرآن بغير همز. السبعة / ١٥٧.

(٩) ساقط من هـ، ع، ح: ﴿وَالنَّصَارَىٰ مَنْ ءَامَنَ - بلى - صالحاً﴾، وبديله في ح: والنعرة بذا قوة هـ (٩).

(١٠) في النسخ كلها: وحسين، وقد ذكر ابن عاهد أنها قراءة دفع في لقرآن كنه، ولم يذكرها في الجمع =

فيها أربع سؤالات:

الأول: تقديم الصاري في سورة البقرة، وتأخيرهم في المائدة.

والثاني: تخصيص آية البقرة بقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

والثالث: رفع «الصابون» في المائدة، ولم يتبع.

والرابع: انفراد سورة الحج بسياقها، وزيادة ذكر المجوس والذين أشركوا.

فأقول - وأسأل الله توفيقه -: إن المؤمنين أحق بالتقديم، وهم أهل الخطاب، والمتكلم^(١) معهم في الآية قبل. فهم من حيث أحوالهم معظم^(٢) من قصد بالخطاب والتأنيس. ثم إن أهل الكتابين يكونون المؤمنين بأنهم ليسوا كافرين بكل الرسل، ولا منكرين لكل ما أنزل من الكتب، فقد كانوا أقرب شيء لولا التبديل والتغيير والتحريف المقدر وقوعه عليهم، فإنهم قد قدم إليهم فنكشوا ونقضوا وكفروا بمن قدم إليهم في أمره. واليهود أقدم تعريفاً وأسبق زماناً، فلما اجتمع الأصناف الثلاثة في أنهم^(٣) أهل الكتاب^(٤) والمقررون^(٥) بالبداة^(٦) والعودة، وإرسال الرسل على اختلاف حالاتهم في ذلك وأزمانهم. كان تقديمهم على غيرهم أوضح شيء على الوارد في سورة البقرة؛ إلا أن ذكرهم لم يقع بحرف

اكتماء. وقد نص ابن خالويه على حوازيهم وتركه فيها. أنظر السبعة / ١٥٧، الحجة / ٨١،

والانحاف / ١٣٨.

(١) ج، ب، ع. لتكلم.

(٢) ج: معظم، بالصاد.

(٣) ع: بهم.

(٤) ك: الكتب.

(٥) ب، ع: القرون.

(٦) ح: البداءة.

مرتّب، بل وقع الاكتفاء بترتيب الذكر لاستوائهم في العايات من استواء العواقب. وإن الفائز^(١) من الكل من كانت خاتمته في^(٢) دار التكليف الموافقة^(٣) على الإيمان والإسلام، وإن أكرمهم عند الله أنقاهم، وإن الموفّي من الكل على الكفر في النار، ثم عذابهم بحسب جزائهم جزاء وفاقاً، فرُتّبوا ذكراً بحسب حالهم الدنيوي ولم يقع^(٤) الترتيب بالحرف المرتّب لحفظاً لحالهم الآخر^(٥)؛ فجرى ذكرهم في سورة البقرة على هذا، وأُخِرَ ذكر الصابين لتأخرهم عن هؤلاء الأصناف في أنهم ليسوا أهل كتاب، وليسوا مثلهم فيما وراء ما ذكر من أحوالهم. فإيراد ذكرهم على [١٨ / و] ما في سورة البقرة بين. ثم قدّم ذكر الصابين في سورة المائدة زيادة^(٦) بيان للغرض المذكور من أنه لا ترتيب في العاية الأحرارية إلا ببظر آخر، لا بحسب الدنيوي والاشراك فيما قل الموافقة؛ بل المستحب المؤمر من الكل مخلص، والمكذّب متورط، ثم مراتب^(٧) الجزاء بحسب الأعمال. فلو صح^(٨) تقديم^(٩) ذكر «الصابين» في سورة المائدة ما ذكرناه. فإن قلت: لِمَ لَمْ يقدّم ذكرهم على الكل.

(١) من ك، وفي ج، ع، ب: لعابدين، وفي هـ، م: الفائزين.

(٢) ب، ع، هي.

(٣) ك، ج: الموافات.

(٤) هـ، م: يتفقد.

(٥) ك: وزيادة.

(٦) ع، ج: كتاب، ب: كاتب، وفي هـ: غير واضحة بترابطها مع ما تحتها في الوجه الآخر، وجهاً لظهر.

(٧) ج: فأوضح.

(٨) ب: تقدم

قلت: لا وجه لهذا لمكانة المؤمنين وشرفهم. فإن قلت^(١): فهلا^(٢) قُدموا على يهود؟ قلت: قد كانت يهود أوّل الناس بأن يكونوا في أول رعييل من المستجيبين، ومعهم جرى الكلام قبل هذا نعيّاً عليهم^(٣) ولعظيم^(٤) ما جرى على من لم يؤمن منهم، وتردد^(٥) فيهم عدة آيات وذلك مما يوجب تقديم ذكرهم على من عدا^(٦) المؤمنين. فإن قلت: فالنصارى^(٧) مثلهم؟ قلت: النصارى أقرب إلى الصابين من حيث التثليث^(٨)، وسوء نظرهم في ذلك وقصورهم. ثم إنهم لم يجر لهم ذكر فيما تقدم هذه الآية بخلاف يهود، فإن من^(٩) هذه الجهة تقديم^(١٠) يهود عليهم، وإن كانت يهود شر الطائفتين.

والجواب عن السؤال الثاني^(١١): أن قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، قد تقدم في المائدة ما يعطيه ويحرره فاكتفى به. ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ تفسير بين للأجر الأخراوي المحمل في قوله في سورة البقرة: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ - إلى آخر الآية^(١٢) - فقد [١٨/ظ] حصل ما في سورة المائدة مفصلاً مبيناً ما ورد في البقرة مجملاً! فلو قيل

(١) ك: ب: فأقلت.

(٢) ج: فهل لا..

(٣) بعدها في ك: وبياناً لمرتكباتهم..

(٤) ب: ونعظيم.

(٥) ك: وترددت.

(٦) ك: عدي.

(٧) ب: فالنصرى.

(٨) ع: التنكيث.

(٩) ك: قبان من.

(١٠) ك: تقدم.

(١١) قُدمت إحالة السؤال الثالث على إحالة الثاني في سائر النسخ فصححت الترتيب

(١٢) المائدة / ٦٥

في آية المائدة فلهم أجرهم لكان تكراراً ورجوعاً إلى الإجمال بعد التفصيل، وذلك عكس ما ينبغي.

السؤال الثالث^(١): وهو ورود اسم «الصابين» في المائدة بالرفع. والجواب عنه أنه ورد^(٢) مرفوعاً تنبيهاً على الغرض المذكور، وتأكيذاً للتسوية في الحكم إذا اتفقوا في الموافقة على الإيمان فنبه التقديم على هذا كما تقدم. وزاد القطع إلى الرفع تأكيداً لأن قطع اللفظ عن الجريان على ما قبله مُحَرِّكٌ^(٣) لِلنَّحْظِ توجيهاً. وهو عند سيبويه^(٤) - رحمه الله - مقدم من تأخير، وكأنه لما ذكر حكم المذكورين سواءهم^(٥).

قيل: «والصابون» كذلك، أي لا فرق بين الكل في الحكم الآخر، وهو على هذا التقدير أوضح شيء فيما ذكر.

وأما على طريقة الفراء^(٦) ومن قال بقوله، من حَمَلَهُ على الموضع ففيه^(٧) التقديم، وأن التحريك^(٨) القطعي في اللفظ - وإن لم يكن مقطوعاً في المعنى - لا يكون إلا لإحراز^(٩) معنى وليس إلا ما تقدم.

(١) في جميع النسخ: الثاني.

(٢) ك، ب: أنه إنما ورد.

(٣) ج، ع: محرد.

(٤) هو عمرو بن عثمان بن قنبر بالفتح إمام نحاة العربية، ورأس البصريين منهم، وكتابه المسمى

بالكتاب في النحو هو الإمام فيه كما قال محمد بن سلام. وأرجح الأقوال أنه توفي / ١٨٠ هجرية.

أنظر ترجمته الكاملة في مقدمة الجزء الأول لكتاب الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون ٣/١ - ٥٨.

(٥) راجع الكتاب ١٥٥/٢.

(٦) هو أبو زكريا، يحيى بن زباد الفراء - ت/ ٢٠٧ هـ. وهو دعي من مدرسة السجاء بالكوفة بعد الكسائي.

لترجمته أنظر: معدي القرآن ٧/١ - ١٥، والمراجعة بحريج الفراء للآية راجع ١/ ٣١٠ - ٣١٢ منه.

(٧) في ك فقط، وفيه النسخ: فيه.

(٨) ج، ع: التجريد.

(٩) هـ، ع: للإحراز، ج: للإقرار (هكذا).

والجواب عن السؤال الرابع أن آية سورة الحج، إما وردت معرفة بمن ورد في القيامة على ما كان من يهودية أو نصرانية أو غير ذلك. والأي الآخر فيمن^(١) ورد مؤمناً فافترق القصدان، واختلف مساق الأي بحسب ذلك.

٢٠ - الآية السابعة عشرة (غ) قوله تعالى^(٢):

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ (٦٣).

وفي الآية الأخرى فيما^(٣) بعد (٩٣): ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ
الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾.

للسائل أن يقول: إن الخطاب في الآيتين^(٤) لبني إسرائيل وهم المُخْبَرُ عنهم بما بعد، والمَقُولُ لهم: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. وهم بأعيانهم المَقُولُ لهم في الآية بعد: واسمعوا، فما وجه تخصيص كل من الآيتين بما أعقبت^(٥) به؟ وهل كان يمكن تعقيب الأولى بقوله: واسمعوا، وتعقيب الثانية بقوله: واذكروا ما فيه - الآية؟!

والجواب: أنه لا يناسب كل آية منهما^(٦)، إلا ما به أعقبت. ووجه ذلك، أن الآية الأولى تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ (٥٣) والكتاب: التوراة وقد سمعوه وعنه قيل، وإليه أشير بقوله:

(١) م: في من، بانفصل والصواب وصلهما.

(٢) هكذا في ك، وسقط (قوله تعالى) من بنية النسخ.

(٣) ك: بما.

(٤) ب: صيغة السؤال (إن قيل الخطاب في ...).

(٥) ع، ب: ما أعقت، ح: بما أعقتا.

(٦) م، ك، وفي بنية النسخ: منها.

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾. وقد زاد هذا إيضاحاً قوله في سورة الأعراف (١٧١): ﴿وَإِذْ نُنَزِّلُ الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ^(١) وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ^(٢)﴾. والإشارة بالقوة إلى عظيم تخويفهم برفع الجبل فوقهم كالظلة، فقوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾^(٣) عقب ذكر كتابهم أوضح شيء وأنسبه. ولما تقدم قبل الآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾^(٤)، وهذا الكتاب هو الكتاب العزيز، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾^(٥)، بدليل قولهم حَيِّدَةٌ عَنِ الْإِيمَانِ: ﴿تُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾^(٦) قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾^(٧)، أي ويكفرون بالقرآن. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾^(٨) - والإشارة للقرآن - مصدقاً لما معهم - أي من التوراة - فلما تقدم هنا ذكر القرآن وخَلَفُ^(٩) يهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم مُعْرِضُونَ إِلَّا الْقَلِيلَ عَنِ الْإِيمَانِ وسماع القرآن، مناسب^(١٠) إعراضهم عن سماعه تخصيص هذا الموضع من القول لسلفهم بقوله للخلف، واسمعوا، ليكون إخباراً عن سلفهم وتعريضاً [١٩/و] بخلفهم^(١١). فوضح التناسب، وأن العكس لا يناسب.

(١) سقط ما بعد ظلة إلى قوله. (كالظلة) فقوله من (ع) بانتقال النظر.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ساقط بانتقال النظر من ج قوله: (والإشارة - إلى - ما آتيناكم).

(٤) البقرة / ٨٩.

(٥) البقرة / ٩١.

(٩) الخلف بفتح فسكون هو النسل والأبناء والذرية ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾.

(١٠) ب: ناسبه.

(١١) في نية النسخ: حتمهم.

٢١ - الآية الثامنة عشرة قوله تعالى^(١) :

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ (٨٠)

وفي سورة آل عمران (٢٤) : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾، فأفرد في البقرة الوصف، وجمع في آل عمران ف قيل : ﴿معدودات﴾، والجاري عليه الوصف في السورتين قوله : ﴿أَيَّامًا﴾، بلفظ واحد. فيسأل عن موجب اختلاف الوصف^(٢) فأقول إن المجموع^(٣) بالالف والتاء منحصر في أربعة أضرب : ثلاثة متفق عليها، والرابع مختلف فيه.

فأما الثلاثة فكل غَلَم مؤنث، نحو: هند، ودَعْد. وكل ما فيه تاء التانيث، لمذكر كان أو لمؤنث، عاقل أو غير عاقل، نحو: طححة، وحمزة، وشجرة. وكل مصغر لغير العاقل، نحو: دُرَيْهَم ودُرَيْهَمَات، وما أشبه ذلك، فهذه الضروب الثلاثة مُتَّفَق عليها.

وضرب رابع مختلف فيه، وهو كل اسم مُكَبَّر لغير العاقل، مذكراً كان أو مؤنثاً، لم يُسَمَّع فيه عن العرب جمع تكسير، نحو: حَمَام وحَمَامَات، وَسِبْطَر وَسِبْطَرَات^(٤)، وَحَمْلُ سِبْخِل وَسِبْخِلَات^(٥)، وَسُرَادِقُ وَسُرَادِقَات، وَإِوَانٍ وَإِوَانَات^(٦)، وَرِبْخِل وَرِبْخِلَات^(٧). فإن سمع من العرب شيء من

(١) قوله تعالى: ساقط من ب.

(٢) م اللفظ

(٣) هكذا في ع، وفي بقية النسخ: المجموع

(٤) السبطر: الماضي الشهم، وجمال سطرط طوان.

(٥) السَّبْخِل: الضخم من الصَّبِّ والبعر والسقاء.

(٦) هـ، ج، ع: أدان وأذانات والإوان، وإيوان بكسر الهمزة الصفة العظيمة، والعمود من أعمدة الحباء.

(٧) ع، ح: زجل وزجلات. ب: رحل ورحلات. هـ: زعل وزعلات (هكذا) والرحل: كَقَمَطَر، التام الخلق، أو العظيم الشأن من الناس والإبل.

هذا جمع تكسير لم يجر جمعه بالألف والتاء. قل سيويه - رحمه الله - وقالوا: جَوَالِقٌ وَجَوَالِيقٌ^(١)، ولم يقولوا جَوَالِيقَاتٍ، حين قالوا جَوَالِيقٌ، يعني كَسَرُوا. وقالوا في المؤنث غَيْرَاتٌ^(٢) حين لم يكسروها على بناء يكسر عليه مثلها.

ثم إن صفة كل مؤنث جارية عليه في حكمه من التانيث إلا أربعة أضرب: وهي: فَعْلَاءٌ [أَفْعَلٌ، وَفَعْلَى فَعْلَانٌ]^(٣)، وما يشترك فيه المذكر والمؤنث من الصفات: كَمِعْطَارٍ^(٤) وَمِذْكَارٍ^(٥)، وَمِثْنَاتٌ^(٦) وما ينفرد به المؤنث، كحائض وطائم. فهذه الضروب الأربعة لا يجمع شيء منها بالألف والتاء. وسائر ما يجري على المؤنث من الصفات لا يمتنع من ذلك. ثم إن ما يُجْمَع جمع التكسير من مذكر غير العاقل^(٧)، قد يُتَّبَعُ بالصفة المفردة مؤنثة بالتاء، كما يفعل في الخبر نقول: ذنوب مغفورة، وأعمال محسوبة. قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَنْكَأَبٌ مَوْضُوعَةٌ. وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزُرَابِي مَبْثُوثَةٌ﴾^(٨). ومنه قوله تعالى مخبراً عن يهود: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾. ثم قد يجمع هذا الضرب^(٩)

(١) الجوالق: بكسر الحيم واللام، وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها وعاء، وجمعه جوالق وجواليق وجوالقات، انظر الكتاب ٦١٥/٣

(٢) هـ، ع، ج: عيدات. والعيرات كعنت ويسكن، وهي كل ما يُنَارُ عليه من الإبل أو الحمير، أو البغال.

(٣) ج، ك، ع، هـ: فعلاء.

(٤) المعطار: للرحل والمرأة بمعنى المعطر أو المنعطر، ولماقة الشديدة الحسنة أيضاً.

(٥) المذكار: التي تلاء، الذكور، ويقال لها مذكر.

(٦) ج، هـ، ب، ع: ميثاق، والمثنات التي عادت ولادة الإناث

(٧) ج، ع: غير عاقل

(٨) الفاسية / ١٣ - ١٦.

(٩) هـ، ج: الضروب

بالألف والتاء، رَغِيًّا لمفرده وإن لم يكثر، إلا أنه^(١) فصيح. ومنه: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾^(٢) [١٩/ظ] وإذا تبين ما ذكرناه وأنه الجاري الكثير^(٣) مع^(٤) ما وقع في آية البقرة من الإيجاز. وما في^(٥) الأخرى من الإطالة. ألا ترى قوله تعالى في آل عمران: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمْسَنَ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ وفي البقرة: ﴿وَقَالُوا لَن نَّمْسَنَ النَّارَ [إلا]^(٦) أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾. وإخباره تعالى باغترارهم بقوله: ﴿وَعَرَّوْهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾. وهذا بسط لحالهم الحامل على سوء مرتكبهم ولم يقع في سورة البقرة تعرضٌ لشيء من ذلك بل أوجز القول ولم يذكر سببه فناسب الأفراد الإيجاز^(٧) وناسب الجمع الإسهاب. ولو جمع في سورة البقرة وأفرد في سورة آل عمران أو أفرد فيهما^(٨)، أو جمع فيهما، لما ناسب. فورد كل على ما يناسب ويحب، والله أعلم.

٢٢ - الآية التاسعة عشرة قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ. وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا^(٩) بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ﴾ (٩٤، ٩٥).

(١) ج: لأنه.

(٢) البقرة / ٢٠٣.

(٣) ك: في الكثير.

(٤) ساقطة من ج ولا يستقيم النص لأ سها.

(٥) زيادة من ج.

(٦) ساقطة من كل السسخ، وما بعدها من الآية في ك فقط.

(٧) هـ، ب، ع: والإيجاز.

(٨) ج، هـ، ب: فيها.

(٩) ب: محذوف إلى آخر الآية.

وفي سورة الجمعة (٧): ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ﴾. فيُسأل عن تخصيص آية البقرة بقوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾^(١)، وآية الجمعة بقوله: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ﴾، مع اتحاد الأخبار^(٢) ووجه ذلك - والله أعلم - أن آية البقرة، لما كان الوارد فيها جواباً لحكم أخروي يستقبل، وليس في الحال منه إلا زعم مجرد واعتقاد أن الأمر يكون كذلك، ناسبه النفي بما وضعه^(٣) من الحروف لنفي المستقبل؛ لأن: لن يفعل؛ جواب: سيفعل. ولما كان الوارد في سورة الجمعة جواباً لزعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس، وذلك حكم دنيوي، ووصف حاله لا استقبال^(٤) فيه، ناسبه^(٥) النفي بـلن^(٦) التي لنفي ما يأتي من غير تخصيص إلا^(٧) بغير الماضي. وقد تتعاقب مع ما^(٨) التي لنفي الحال.

فإن قلت: فإن ما النافية أخص بالحال، فهي أنسب؟ قلت: قد يفهم من «ما» نفي مجرد الحال دون ما يتصل به، فقد يقول القائل: ما يقوم زيد، يريد ما يقوم اليوم، ولا يريد أنه لا يقوم غداً، و«ما» صالحة لهذا النفي^(٩)، وهم إنما أرادوا أنهم أولياء مستمرين على ذلك، وأن تلك صفتهم في الحال، وما يليه إلى آخر حياتهم إذ ذلك هو الموجب أن تكون لهم الدار الآخرة خالصة من دون الناس كما زعموا. فلما كان زعمهم هذا ناسب نفي دعواهم، وتكذيب زعمهم بحرف أنص في نفي ذلك، وأنه لا يقع منهم التمني في حالهم ولا فيما بعده أبداً.

(١) سقط من ك (وآية - إلى - يتمنونه).

(٢) ب: فيسأل عن الفرق بينهما مع اتحاد الأخبار.

(٣) هـ، ج، ع، م: وصفه.

(٤) م: حالتي الاستقبال. ج، ب، هـ: حال الاستقبال.

(٥) هكذا في ك، وبقية النسخ: ناسب.

(٦) هـ: بى. ك، ب، ع، ج، بلا.

(٧ - ٨) ساقطتان من هـ، ع، ج.

(٩) هـ، ب، ج، ع: المعنى.

فإن قلت: إن قوله ﴿أبدأ﴾ قد أحرز هذا؛ قلت: تأكيد ذلك أبلغ،
فتفى بلن^(١) وأكد بالتأيد، فجاء كل على علي^(٢) البلاغة والله أعلم.

٢٣ - الآية الموفية عشرين قوله تعالى:

﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي [٢٠/و] جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا
لَكَ مِنَ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٌ﴾ (١٢٠).

ورود فيما بعد (١٤٥): ﴿وَلَيْنِ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا
تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ
أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

وفي الرعد (٣٧): ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ
بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾^(٣).

للسائل أن يسأل عما اختلف في هذه الآي مع اتفاقها^(٤) في مطالعها
ومعناها. والجواب عن ذلك - والله أعلم بما أراد - أن الوارد في سورة الرعد
لم يتقدم له من مرتكبات أهل الكتاب في كفرهم، وعنادهم مثل ما تقدم
قبل الآية الأولى من سورة البقرة. ألا ترى أنه لم يذكر قبل آية الرعد من
أمرهم في ذلك مفصلاً به إلا قوله تعالى^(٥): ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ
بَعْضَهُ﴾، على قول من قال: إن المراد بالأحزاب هنا أهل الكتاب وهذا بعد

(١) هـ: بى، . لـ، ب، ع، ج: بلا.

(٢) ج، م: كلُّ عليّ البلاغة. لـ، ب، ع. على أعلى.

(٣) ب: ولا نصير، وصوابها ما أشتاء.

(٤) ب. صيغة السؤال (إن قيل ما وجه اختلافها مع اتفاقها في مطالعها).

(٥) الرعد / ٣٦.

مِذْحَتِهِ^(١) من آمن منهم بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، وهم عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - وأمثاله ممن آمن، ثم
أتبع بقوله: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾^(٢). يريد - والله أعلم - ومن
أحزابهم^(٣) على [قول] من قال ذلك، كما تقدم. فلما لم يتقدم بسط
ذكرهم وأوجز^(٤) الكلام واكتفى بالإيماء ناسبه إيجاز التحذير^(٥) من حالهم،
فقال تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَفْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾، فجيء بما وهي^(٦) أوجز من الذي لفظاً ما لم يقترن بها
ما يقتضي التوسعة في معناها حسبما يتبين بعد.

وقيل: ولا واق، وذلك أوجز من قوله في آية البقرة: ﴿وَلَا نصير﴾ لفظاً
ومعنى. فورد هذا كله موجزاً ليناسب ما قبله. ولما تقدم قبل الآية الأولى
من سورة البقرة عدة آيات في بسط أحوالهم، وقبيح مرتكباتهم، [كان]
أقرب^(٧) ذلك إلى الآية المقصود توحيه^(٨) الوارد فيها قوله تعالى عنهم:
﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ - إِلَى قَوْلِهِ -
يُوقِنُونَ﴾^(٩)، ثم عرّف من حال الكتابيين^(١٠)، وتُعديهم عن الإيمان بقوله:
﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾^(١١). فبعد هذا

(١) ح: مِذْحَتُهُمْ.. ب: مِذْحَةٌ.

(٢) سقط من ب بانتقال النظر: (بعضه على قول من قال - إلى -) ومن الأحزاب من ينكر
بعضه.

(٣) ج: ومن أحزابهم من قال.. هـ، م، ك، ب: ومن أحزابهم، على من قال

(٤) ع: ووجز.

(٥) ج، هـ، م: التجريد.. ع: التحديد.

(٦) هـ، م، ب: هي بدون الواو.

(٧) ب: أفرد.. ج: مكانها بياض.

(٨) هـ، م: المقصود توجب.. ب: المقصود فوجب.. ج: المقصودة وجب

(٩) البقرة / ١١٨.

(١٠) ك: حال أهل الكتابين.

(١١) البقرة / ١٢٠.

الإطّباب في وصفهم قال تعالى: ﴿وَلَّيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. وهذا مناسب لما قبله من الإطّباب لفظاً، كما أن آية الرعد مناسبة لما قبلها، لإيجاز لفظ «ما» فإنها على حرفين؛ وأما «الذي» فعلى خمسة أحرف. ثم إن معنى «نصير» أوسع من حيث إن «فعيلاً» من أبنية المبالغة فيعطي كثرة، «وفاعل» [٢٠/ظ] ليس كذلك. ثم إن لفظ: «واق»، أوجز فقد تبين فرقان ما بينهما، وناسب الإسهاب الإسهاب، والإيجاز الإيجاز. ولما ذكر بعد هذه الآية من مرتكبات أهل الكتاب وعنادهم ما بسطته الأي بعد، وجاء قوله بعد: ﴿وَلَّيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، بعد إطّباب زائد، وتعريف بأكثر مما تقدم، وردت المتكررة، مُراعِي فيها ذلك، فجاء فيها بمن التي للغاية أو لابتدائها، والمقصود أوفى^(١) وأمعن، وحيء بـ «ما» عوضاً عن الذي لأنها هنا بسياقها بعد مِنْ كيفما قدرتها، مِنْ موصولية، أو موصوفية تعطي الاستيفاء وتقتضيه، فروعي^(٢) معناها، وروعي فيها تقدّم لفظها. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، يتضمن أشد مما^(٣) يتضمن^(٤) نفى الولي والواقى والنصير. ألا ترى قوله سبحانه: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٥). فقد انتفى هنا الولي والنصير مع زيادة الوصف بالظلم. وليس نفي الظلم حاصلاً من انتفاء الولاية والنصرة حصُولُهُ بالذكر والتنصيص. فهذه الآية أبلغ من الآيتين فناسب ذلك زيادة الإطّباب فيما قبلها. ولشدة موقعها، ما قدّم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم تنزيهه عن

(١) ج: أمر.

(٢) هـ: فروعي في معناها.

(٣) م، ع، ج: ما

(٤) ب: تنصير، وكذا نظيرها الساقطة

(٥) الشورى / ٨.

اتَّبَاعُ أَهْوَائِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ﴾. فقد وضح افتراق المقاصد في إيراد (١) هذه الآية على الأنحاء الثلاثة، ويحتمل ذلك توجيهاً آخر إن ثبت أن آية الرعد من المَكِّيِّ. وذلك لأن المُنْزَلَ (٢) بعد المَكِّيِّ زاده صلى الله عليه وسلم في علم أحكام شريعته، وغير ذلك مما لم يكن عنده، فترتيب الآية الثلاث بحسب الحاصل عنده صلى الله عليه وسلم، فكانت آية الرعد أوجزها مناسبة للحاصل قبل نزول سورة البقرة. ثم كانت آية البقرة الأولى أبلغ في الإسهاب لما زاد بعد تلك الآية، ثم كانت الآية الثالثة أبلغ في ذلك لما زاد أيضاً ويمكن (٣) التفات (٤) التوجيهين، وربنا أعلم بما أراد.

٢٤ - الآية الحادية والعشرون (غ) قوله تعالى:

﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (١٢٥).

وفي سورة الحج (٢٦): ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

للسائل أن يسأل عن تخصيص سورة البقرة بقوله: ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾، وتخصيص سورة الحج بقوله: ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾، مع اتحاد الأمر بتطهير البيت لمن ذكر في الموضعين.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن المراد بالقائمين [و/٢١] هنا ذُوروا

(١) ج، هـ، ك، ع، ب: أفراد.

(٢) ج، ب، ع: المنزل من هذا المكي.

(٣) ج، ب، ع: ولكن.

(٤) هكذا في جميع النسخ ولعلها زائدة أو لعلها (اكتشاف).

الإقامة والملازمة على صفة مخصوصة. وإذا أريد بالقائمين ما ذكر^(١)، فهو^(٢) والعكوف مما يصح أن يعبر عنه بأحدهما عن الآخر، مع أن لفظ العكوف أخص بالمقصود، فيكون خصوص آية الحج بقوله: ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ لتقدم ذكر العكوف متصلاً بالآية، وقع الاكتفاء بذلك وعدل عن التكرار الذي من شأن العرب العدول عنه إلا حيث يراد تعظيم أو تهويل، نحو قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ. مَا الْحَاقَّةُ﴾^(٣)، وشبهه^(٤).

ولما لم يقع ذكر العكوف قبل آية البقرة ولا بعدها، وهو مراد لكونه أخص بالمقصود لم يكن بد من الإفصاح به^(٥)، وكان قد قيل في آية الحج: والقائمين معتكفين فأغنى^(٦) ذكره^(٧) متقدماً عن الإتيان به حالاً مبيّنة. وأغنى قوله في آية البقرة: والعاكفين، عن قوله: والقائمين^(٨)، لأن العكوف الملازمة، وهو المراد بالقيام فورد كل على ما يجب ويناسب.

وقوله: ﴿وَالرُّكْعَ السُّجُودَ﴾ يراد به المصلّون. ومن قال: إن المراد بقوله: «والقائمين» المصلّون، فوجهه أن ذكر العكوف قد حصل فيما تقدم فاكتفى به^(٩) ولم يكن وقع قبل آية البقرة ولا بعدها فلم يكن بد من ذكره. وعبر عن المصلين بالركع السجود، وتحصل أنه المقصود في الآيتين، وَوَرَدَتْما على ما يجب ويلائم، والله أعلم^(١٠).

(١) ساقط من هـ، ك، ع، ب، م: «ما ذكر»

(٢) ك: هدا.

(٣) الحاقة / ٢، ١.

(٤) ك، ب، ع: وشبه ذلك.

(٥) زيادة من ج.

(٦) هـ، م، ب: وأغنى.

(٧) هكذا في ج، وفي بقية النسخ: ذكرهم، والصواب الأفراد لعودة الضمير إلى العكوف.

(٨) بالواو في ج، وبقية النسخ بدونها.

(٩) هـ، م: فيه.

(١٠) زاد في ك: بما أراد.

٢٥ - الآية الثانية والعشرون قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ (١٢٦).

وفي سورة إبراهيم (٣٥): ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ فنكر في سورة البقرة، وعرف في سورة إبراهيم بأداة العهد؛ فيسأل عن ذلك. ووجهه - والله أعلم - أن اسم الإشارة الذي هو هذا في سورة البقرة البقرة لم يقصد تبعيته اكتفاء بالواقع قبله من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا﴾^(١)، وقوله: ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ - الآية^(٢)، وتعريف البيت حاصل منه تعريف البلد، لا سيما بما تقدم من قول إبراهيم عند نزوله بولده بحرم الله، ودُعَائِهِ أولاً بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ - الآية^(٣). فتعريف البيت تعريف للبلد^(٤) فورد اسم الإشارة، غير مفقود إلى التابع المبين جنسه^(٥) في أسماء الإشارة، اكتفاء بما تقدمه مما يحصل منه^(٦) مقصود البيان فانتصب «بلدًا» مفعولاً ثانياً، و«آمنًا» [٢١/ظ] نعتاً له^(٧)، واسم الإشارة مفعولاً أول غير محتاج إلى تابع لقيام ما يقوم مقامه. ولو تعرّف لفظ بلد^(٨) بالالف واللام، وجري على اسم الإشارة، لم يكن ليحرز بياناً زائداً على ما تحصل مما تقدم، بل كان يكون كالتكرار. فورد الكلام على ما هو أحرز للإيجاز، وأبلغ في المقصود، مع حصول ما كانت التبعية تعطيه فجاء على ما يجب.

(١)، (٢) البقرة / ١٢٥.

(٣) إبراهيم / ٣٧.

(٤) م، هـ البلد.

(٥) ب: جنسيته، ج، ع: حيث.

(٦) ساقط من ج، ك، ع، ب.

(٧) ك، ع: نعت.

(٨) هـ: بعد.

وأما آية سورة إبراهيم فلم يتقدم فيها ما يقوم لاسم الإشارة فقام التابع المعروف بجنس ما يُشار إليه، فلم يكن بدّ من إجراء البلد عليه تابِعاً له بالألف واللام على المعهود الجاري في أسماء الإشارة من تعيين جنس المشار إليه باسم جامد في الغالب، عطف بيان على قول الخليل^(١)، ونعتاً^(٢) على الظاهر من كلام سيويه، وانتصب اسم الإشارة المنبوع على أنه مفعول أول، وآمناً على أنه مفعول ثان، ولم يكن عكس الوارد بحسن^(٣) ولا يناسب.

وقيل في الوارد في سورة البقرة أنه أشار إليه قبل استقراره بِلداً، فأراد جعل هذا الموضع أو هذا المكان بِلداً آمناً واكتفى عن ذكر الموضع بالإشارة إليه، واسم الإشارة على هذا مفعول أول، و«بِلداً» مفعول ثان، و«آمناً» نعت. وأشار إليه في سورة إبراهيم بعد استقراره بِلداً، فجرى البلد على اسم الإشارة نعتاً له، وآمناً مفعول ثان. قال صاحب الدرة: وهو عندي بعيد، إذ ليس بمفهوم من لفظ الآي، وهو بعد ممكن والله أعلم.

٢٦ - الآية الثالثة والعشرون (غ) قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (١٢٩).

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، رائد علم العروض العربي، وصاحب أول معجم لغوي صوتي يجمع المفردات صوتياً ابتداءً بحروف الحلق واسمه (كتاب العين) والخليل من رؤوس نخلة البصرة ت / ١٦٠. انظر: مراتب النحويين / ٥٤، إنباء الرواة ١ / ٤٤ طبقات النحويين واللغويين / ٤٧، نزهة الألباء / ٢٩، الوفيات ١ / ١٧٢، إنباء الرواة ١ / ٣٤١، الخور العين / ١١٢، السيرافي / ٣٨.

(٢) ك: أو - نعتاً.

(٣) ك، ب: ليحسن.

وفي آل عمران (١٦٤): ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ وفي الجمعة (٢): ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾. فقدم في الأولى: ويعلمهم الكتاب والحكمة، وأخر: ويزكيهم، وورد في السورتين بعد على العكس من ذلك.

فللسائل أن يسأل عن وجه ذلك^(١). والجواب عنه - والله أعلم - أنه لما كانت دعوة إبراهيم عليه السلام قبل وحود الضلال في الذرية المدعو لها، وإنما تحصل^(٢) لهم تزكيتهم ورفع ضلالهم المتوقع وقوعه بما يُمنحونه في التعليم وما يُتلى عليهم من الآيات؛ لأن ذلك هو السبب في حصول التزكية والسلامة من الضلال، إذا وفَّقوا للانقياد له. ألا ترى ارتباط [٢٢ / و] التزكية بأعمال الطاعات، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾، وإنما كانت تركية لهم بانقيادهم للطاعة فيما يطلبهم به من ذلك ويأخذه منهم فتأخر ذكر التزكية المسيبة عما به تحصل، وذلك بعد هدايتهم للإيمان، فجاء على الترتيب من بناء المسبب على سببه.

ولما كان مقصود الآيتين الأخيرتين إنما هو ذكر الامتثال عليهما بهدايتهم بعد الضلال الذي كان قد وُجدَ منهم، والتعريف بإجابة دعوة إبراهيم عليه السلام أخر ذكر تعليمهم الكتاب والحكمة المزيلان لإضلالهم، ليكون تلوه ذكر الضلال الذي أنقذهم الله منه بما علمهم، وأعطاهم وأُمتنَّ عليهم وهو ثاني المسبيين^(٣)، فكان الكلام في قوة أن لو قيل ويعلمهم ما به زوال

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك).

(٢) هـ، ب، ع، ح: يحصل.

(٣) ج: السنين.

ضلالهم، وآخر في هاتين الآيتين ذكر السبب يُوضّل^(١) بمسيبه^(٢) الأكيد^(٣) هنا الذي قد كان وقع، وهو رفع ضلالهم وإنقاذهم^(٤) من عظيم محتته، ولو آخر ذكر التزكية لما أحرز هذا المعنى المقصود هنا. فاختلاف الترتيب هنا إنما هو بحسب اختلاف القصدين^(٥)، فروع^(٦) ما ذكر فورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم بما أراد.

٢٧ - الآية الرابعة والعشرون قوله تعالى:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٤).

فللسائل أن يسأل عن وجه تكرار^(٧) هذه الآية بنصها فيما بعد^(٨).

ووجه ذلك - والله أعلم - أنهم لما تعلقوا بأسلافهم ممن كان على سنن إبراهيم وإسرائيل ومن كان فيهم من الأنبياء عليهم السلام، وظنوا أن تعلقهم بهم نافع لهم، قيل لهم: لن^(٩) ينفعكم إلا عملكم. وأما التعلق بأولئك من غير اقتداء بهم ولا امتداء يهديهم فليس بنافع؛ بل لهم عملهم ولكم عملكم، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ - الآية. ثم لما قرروا على ما يعتقدون فيهم، وقيل لهم: أتقولون أنهم كانوا على كذا^(٩)، ليس على ما ظننتم،

(١) ج، ع. لوصول.

(٢) ج، ب، ع: مسيبه.

(٣) ج، ب، ع: الأكيد.

(٤) ج: انقيادهم.

(٥) ج، ب، ع: المقصدين.

(٦) ك: وروعي.

(٧) الآية / ١٤١.

(٨) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تكرار).

(٩) ك: على كل.

أنتم أعلم أم الله، فهل أظلم منكم، إذ قد علمتم تحريفكم واجترامكم. وبعد هذا فكلُّ مطلوبٍ بنفسه وما اجترحه، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ - الآية. فتكريرها لتنوع^(١) ما نُصِّ عليهم من مرتكباتهم الدائرة على جامع واحد من تعلق التخيل^(٢) بهم مع مخالفتهم فيما كانوا عليه. وستزيد هذا بياناً إن شاء الله.

٢٨ - الآية الخامسة والعشرون قوله تعالى:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَّبِّهِمْ وَإِنَّا لَمُشْرِكُونَ﴾
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (١٣٦).

وفي سورة آل عمران (٨٤): ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ﴾^(٣) مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

[٢٢/ظ] في هذا ثلاث سؤالات: [الأول]: قوله^(٤): ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾، وفي الثانية: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾، [الثاني]: قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾، وما عدى بعده بإلى، وفي الثانية: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾، وما عدى بعده بعلی. [و] الثالث قوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، وفي الثانية: ﴿وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

والجواب عن الأول أن قوله تعالى: ﴿قُولُوا﴾، أمر لجميع المخاطبين

(١) ج، ك، ب، ع: فتكرير هذا التنوع.

(٢) ج، ع: تخيل التعلق.

(٣) في جميع النسخ بقراءة نافع: النبيون مهوزة.

(٤) ب: (يقال ما وجه قولوا) في موضع (في هذا - إلى - قولوا)

المقصودين بها. وأما قوله: ﴿فَقُلْ﴾ فأمر^(١) للنبي عليه الصلاة والسلام،
فلحق ضمير الجمع أولاً لخطابهم، ولم يلحق ضمير الثاني^(٢) لإفراد
الخطاب، وضمير الواحد لا يبرز.

والجواب عن الثاني أن قوله في البقرة: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾، لما قيل
قبله ﴿قُولُوا﴾، وهو أمر للرسول ومن اتبعه على التشريك^(٣)؛ كالوارد في
قوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾. ثم قال: ﴿وَقَالُوا
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾^(٤)، فشرک بينهم، وأخبر سبحانه أن الجميع قالوا ذلك،
وكذا^(٥) أمر هنا جميعهم فقال: ﴿قُولُوا﴾. وإذا كان الأمر للجميع، وجرى
على حقيقته فإنما أنزل إليهم لأن المنزل عليه حقيقة هو الرسول لا
المؤمنون. وإذا قلنا أنزل على المؤمنين فمجاز، كما أننا إذا قلنا: أنزل إلى
الرسول لم يقع موقع أنزل عليه، وإن^(٦) كان كل منهما جائزاً، إلا أننا إذا
أخذنا الكلام على ألا^(٧) تضمين ولا تقدير، فإنما نقول أنزل على الرسول
وأنزل على المؤمنين مع فصاحة^(٨) ﴿أُنْزِلَ عَلَى الرَّسُولِ﴾. ووروده في
المقرآن.

فلما قال في سورة البقرة: ﴿قُولُوا﴾، وأمر الجميع باسمه (إلينا) كما
ورد في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾، حين خطب

(١) ج، ع: أمر.

(٢) ج، ك، ع: ب الثاني.

(٣) هـ، م، ب: التشريف.

(٤) البقرة / ٢٨٥.

(٥) هـ، ج، ب: وكذلك.

(٦) ج، ع: إذا كان.

(٧) جميع السخ: أن لا.

(٨) ح، ب: فصاحته.

الجميع . ولما قال في آل عمران : ﴿قُلْ﴾ ، وكان^(١) الخطاب للرسول ناسبه (علينا) ، لأنه أنزل عليه ، فجاء كل على ما يجب .

والجواب على السؤال الثالث ؛ أن زيادة قوله في البقرة : ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ، وسقوط ذلك في السورة^(٢) الأخرى . وجه ذلك أن الأمر في البقرة لما كان للرسول وللمؤمنين ناسبه تأكيد ذكر الإنزال على النبيين ، لأن المؤمنين لا يفرقون بين أحد منهم ، وقد فرق غيرهم ، فتناسب حالهم وإيمانهم^(٣) بالجمع تأكيد مقالهم ، وثبتت اعتقادهم فقالوا وما أُوتِيَ النبيون من ربهم .

ولما كان توجه الأمر في السورة الأخرى ببادي الخطاب من قوله : ﴿قُلْ﴾ ، خاصاً به ، وبعد ذلك وقع لتعميم ؛ نسب عدم التأكيد لثمة الرسول عليه السلام حالاً ومقاماً عن التفريق بين أحد الرسل .

٢٩ - الآية السادسة والعشرون قوله تعالى :

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (١٤٤) .

وقال بعد^(٤) (١٤٩ ، ١٥٠) : ﴿وَمِنْ حَيْثُ [و/٢٣] خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ غَمَّا

(١) هـ ، ك : فكان .

(٢) ج : في السورتين .

(٣) ك : وسجل إيمانهم .

(٤) ب : وقال تعالى .

تَعْمَلُونَ. وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴿١﴾

للسائل (١) أن يسأل عن الوجه فيما تكرر في هذه الآيات (٢) من الأمر بالتولي وهل ذلك لحامل من المعنى أم لا؟

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن كل قضية تكليفية إن كانت مما يتأكد فإنها ترد ملحوظة الجهات (٣) منها (٤) على ما يحوز (٥) مطلوبها على الكمال، مدفوعاً عنها - وإن ضعفت - طوارق الاحتمال اعتناء منه سبحانه بهذه الأمة لتحصيل سلامتها من الإضرار (٦) المحمول على من قبلها. ألا ترى أن بني إسرائيل إما لحقهم الامتحان في أمر البقرة من جهة الإصلاق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ (٧)، فورد (٨) الأمر مطلقاً مع ما جُبِلَتْ عليه نفوسهم من التناقل في تلقى الطاعات من المأمورات فتابعوا طلباً لتحرير المطلوب وشَدُّوا فَشَدُّدَ عَلَيْهِمْ وَهَذَا مِمَّا حُفِظَتْ مِنْهُ (٩) هذه الأمة. ألا ترى قوله تعالى في فرضية الصيام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ - الآيات (١٠) كيف حُدَّ بشهر، وعُيِّنَ بالتسمية، وبُيِّنَ وقت الإمساك لضبط طرفيه، وبُيِّنَ لهم حال

(١) ح، ع: فللسائل.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تكرر هذه الآيات).

(٣) ح، ع: للجهات.

(٤) ك: منها.

(٥) ك: يحوز.

(٦) ج، ع: لأمر، م: الأجر.

(٧) البقرة / ٦٧.

(٨) هـ، م: فرد.

(٩) هـ، ك: فيه.

(١٠) البقرة / ١٨٣ - ١٨٥.

المرض^(١)، وحال السفر، وأمروا^(٢) بتكميل العدة على ما أوضح الشرع، إلى غير ذلك مما يحصل به على المطلوب؛ فيرفع^(٣) حكم الإطلاق الداخل منه الاختلاف بالاحتمال^(٤). فكل^(٥) هذا أو أكثره قبل أن يُسألوا. وكذا جرى في أمر القبلة عند التحويل بقوله تعالى في أول الأمر بالتوجه^(٦) قِبَلَ الْبَيْتِ: ﴿قُولُوا وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وإن كان قد تقيّد بالأداة المعيّنة للجهات^(٧)، فإن فيه احتمالاً أن يكون خاصاً به^(٨) صلى الله عليه وسلم، أو عاماً له ولأمته. فإن قيل: قد عُلِمَ من قبليه صلى الله عليه وسلم أن حكمه على الواحد حكم على الجميع؛ وأن الخطاب خطاب له ولأمته، وذلك كله مما لم يرد [به] تخصيص. فجوابنا عن هذا أن الكلام في هذه الآية^(٩) ليس خاصاً بمن سَلَّمَ القواعد المستقرأة^(١٠) من الكتاب والسنة وإنما كلامنا مُعْتَمِدٌ فيه القطع لذوي الزيغ والارتياب ممن يتعلق بما تشابه منه طعناً في الدين، وأتباعاً لسبيل الملحدين. وشأن هؤلاء التعلق بأدنى احتمال من غير تسليم لما وراء ذلك.

وعلى هذا نقول: إن قوله تعالى: ﴿قُولُوا وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، ثم [إِتْبَاعُهُ]^(١١) بقوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾،

(١) ج، هـ، ب، ع: المرضي.

(٢) ب: بدون الواو.

(٣) ج، ك، ع: فيرجع.

(٤) ك: للاحتمال.

(٥) ك: وكل.

(٦) ح، ع: بالتوجيه، ك: بالتوحيد.

(٧) ح، ع: بالجهات، ك: للجهة.

(٨) ساقط من ج، ب.

(٩) ك: الايات.

(١٠) ج، ب، ع: المستقرآت.

(١١) في جميع النسخ: أتبع.

أمر بدفع احتمال خصوصه صلى الله عليه وسلم دون أمته [٢٣/ظ] بالأمر بالتولي، ثم تحصيل^(١) مع هذا من قوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾، أن ذلك لا يختص^(٢) بمكان دون مكان، ثم تبقى^(٣) احتمال نذكره وما يزيله بعد.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، فإعلام له صلى الله عليه وسلم بتسوية^(٤) حالتي^(٥) الظعن^(٦) والإقامة، وأنه إن خرج عن المدينة مسافراً فحاله حيث توجه^(٧) كحاله في المدينة مقيماً. ولم يكن هذا ليحصل نصاً لا احتمال فيه مما تقدم من^(٨) الأمر، فقد حصل من هذا ما لم يحصل نصاً مما تقدم. وقوله بعد: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ هذا مما كرر لا لمجرد^(٩) التوكيد^(١٠)، وإن كانت القصة لها تعلق بيهود^(١١) وإنكارهم التحويل، فالتأكيد يلائم، ولكن ذكر ليحصل منه التوكيد، وبناء ما^(١٢) بعده عليه من قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾. والمراد بهذا وحيث ما كنتم من البلاد والمواضع التي خرجتم إليها حيث كانت من الأرض كلها.

(١) هـ، ك، ب: يحصل.

(٢) ك: يخص.

(٣) هـ، ك، ب: يبقى.

(٤) هـ، ب: بتسويتي.

(٥) ج، م، ب، ع: حالتي.

(٦) ج: الضعن.

(٧) هـ، ب: توجد.

(٨) ج: ومن - براو العطف.

(٩) هـ، م، ك: بمجرد.

(١٠) ج، ع، هـ: التولية وزاد في ب بعدها (ومن وإلى).

(١١) ج، هـ، م، ع: ليهود.

(١٢) ساقطه من ج، ب.

فإن قيل: إن هذا قد تقدم حيث ذكر هذا اللفظ بعينه الذي هو: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ فالجواب^(١) إن ذلك محتمل أن يراد به: وحيث ما كنتم من نواحي المدينة وما يرجع إليها، إذ لم يتقدم ذكر الخروج عنها كما تقدم هنا. فارتفع بهذا التكرار، ذلك الاحتمال المتقدم مع انجرار التوكيد.

فإن قيل: فقد^(٢) تكرر قوله أخيراً، ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قلت: لما أعقب^(٣) قوله أولاً ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ﴾^(٤) الحَرَامِ، بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وجاءت هذه الآية، بين آية الأمر من قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وبين ما شأنه أن يكون مبنياً^(٥) عليها من قوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾. فلما تاعد عنها كرر^(٦) توكيداً، ولينبني عليه ما ينبغي اتصاله به. وهذا كقوله تعالى: ﴿أُيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾^(٧) فأعيد (أنكم) تأكيداً^(٨) ولينبني عليه الخبر. وكذا أعيد قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾، لينبني عليه: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾.

وبهذا اللحظ لم يتكرر شيء في الآية لمجرد تأكيد، بل كل مما يفيد

(١) ج، ب: فالواجب.

(٢) ك: قد.

(٣) ج، هـ، م، ب، ع: أعقب.

(٤) سقط من ج: (قلب - إلى - شطر المسجد).

(٥) ك: مبنياً.

(٦) هـ: كرراً.

(٧) المؤمنون / ٣٥.

(٨) سقط من ج بانتقال النظر (ولينبني عليه - إلى - نكم تأكيداً).

تكراراً^(١) مفيداً معنى لم يحصل مُحَرَّزاً مما قبله، ووضح التناسب في ذلك كله والله أعلم.

٣٠ - الآية السابعة والعشرون (غ) قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (١٦٤).

وفي سورة العنكبوت (٦٣): ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾. وفي سورة الجاثية (٥): ﴿وَاخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه اختصاص^(٢) آية العنكبوت بمن دون الآخرين. وعن قوله في سورة الجاثية ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ فسمى الماء النازل من السماء رزقاً بخلاف ما في آية البقرة والعنكبوت.

والجواب عن الأول أن زيادة (مِنْ) في قوله في العنكبوت: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ زيادة بيان وتأکید نوسب به ما تقدم من قوله: ﴿مَنْ نَزَّلَ﴾ فإن بنية «فَعَلْ» للمبالغة والتكثير. وذلك بِمَا يَسْتَجِرُّ الْبَيَانُ وَالتَّأَكِيدُ فَنُوسِبَ بَيْنَهُمَا. ولما لم يقع في الآيتين الآخرين^(٣) إلا لفظ^(٤) أَنْزَلَ، ولا مبالغة فيها ولا

(١) ك: مما يظن تكراراً يفيد، وفي ب: مما يظن تكراراً مفيداً.

(٢) ب: صيغة السؤال (ما وجه اختصاص...).

(٣) ج، هـ، ع: الآخرين وفي م: الآخرين.

(٤) ح: لفظة.

تأكيد، ولا انجر في الكلام ما يعطيه لم يكن فيها ما يستدعي زيادة (من) ليناسب بها، فلم تقع^(١) في الآيتين. ولو قدر ورود العكس الواقع بزيادة (من) في آيتي البقرة والجاثية، وسقوطها من آية العنكبوت، لما ناسب ذلك أصلاً؛ فوضح تناسب الوارد وامتناع خلافه.

والجواب عن^(٢) الثاني، أن آية الجاثية لما تأخرت في الترتيب الذي استقر عليه القرآن، كانت مظنة البيان وإنما الرزق عن الماء. قال تعالى: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾^(٤). فقال في سورة الجاثية تسمية للماء بما عنه يتسبب، ويكون مبالغة في بيان ما تقدم، كما قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(٥).

٣١ - الآية الثامنة والعشرون قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ عِبَادَةً﴾ (١٧٠).

وفي سورة لقمان (٢١): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عِبَادَةً﴾.

(١) ج، ع: بضع.

(٢) ساقط من هـ، م، ب.

(٣) النحل / ١١.

(٤) ق / ٩ - ١١.

(٥) الذريات / ٢٢.

فللسائل أن يسأل عن الفرق ووجه اختصاص^(١) كل من الموضعين بالوارد فيه .

والجواب أن يقال^(٢) : أُلْفِيَ بمعنى وجد التي في قولهم : وَجَدْتُ الضَّالَّةَ ، فيتعدى إلى واحد ، ولا يقال أُلْفِيَ بمعنى وجد التي بمعنى علم ، متعدياً إلى اثنين^(٣) . ولا يقع منتصباً بعد مفعوله في مثل قولك : أُلْفِيتَ [٢٤/ظ] زيدا عالماً ، وإنما انتصابه على الحال بدليل أنه لا يوجد إلا نكرة فوجد لفظ مشترك بمعنى العلم ، وبمعنى العثور على الشيء الذي هو الوجدان . تقول من هذا : وجدت الضالة ، أي عثرت عليها . وإذا تقرر هذا فنقول إنه قد تقدم قبل آية البقرة قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾^(٤) ، ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٥) وخطوات الشيطان وأمره أهواء مضلة . وذلك كله في طرف نقيض من مقتضى العلم . وحصل من هذا أن الشيطان هو الذي يأمرهم ، ويدعوهم إلى أن يقولوا^(٦) على الله ما لا يعلمون ، فحصل^(٧) من هذا أنه لا علم عندهم ، ولا توهم علم ، وأنهم اعتمدوا اتباع آباؤهم فيما يأمر به^(٨) الشيطان ، فناسب هذا

(١) ب : صيغة السؤال (يسأل عن الفرق ووجه اختصاص ...) .

(٢) ساقط من م .

(٣) تحيى أُلْفِيَ بمعنى وجد ، وفي تعديتها إلى مفعولين خلاف . أنظر : البحر المحيط ١/٣٧٧ ، الكشف ١/٢٥٠ ، جامع البيان ٣/٣٠٦ ، شرح شواهد المفني / ٣١٦ ، الخزانة ٤/٥٥٤ ، الكتاب ١/١٦٩ ، ومن شواهد قول أبي الأسود :

فَالْفَيْتُهُ غَيْرَ مَسْنُونٍ وَلَا ذَاكِرَ اللَّهِ إِلَّا قَبْلًا

في المصادر المذكورة وفي ديوانه / ٤٩ .

(٤) آية / ١٦٨ .

(٥) آية / ١٦٩ .

(٦) ب : تقولوا .

(٧) ب : وحصل .

(٨) ساقط من ح .

قولهم: ﴿بَلْ تَتَّبِعْ مَا آَلَفْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾؛ لأن ما آلفوا عليه آباءهم وخذان لا علم معه حاصلًا، ولا متوهمًا، فناسب جوابهم ما عليه حالهم، وما هم عليه.

ولما تقدم في سورة لقمان قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ﴾^(١)، فحصل ذكر علم وإن كان منفيًا، ولأن جدالهم منبئ أنهم توهموا أن ذلك علم، وأنهم على شيء. فقد حصل من مجادلته أنهم يظنون أنهم على علم، كما قال تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾^(٢)، ولا يحادل إلا متعلق بشبهة يظن أنها علم، فناسب^(٣) قوله تعالى مخبراً عنهم: ﴿بَلْ تَتَّبِعْ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾، لاشتراك لفظ (وجد)؛ إذ يكون^(٤) بمعنى العلم.

جواب ثان: وهو^(٥) أن ألفى أكثر حروفاً من وحد، فناسب لفظ ألفى طول آية البقرة، وناسب لفظ وجد إيجار آية لقمان، مراعاة لفظية ملحوظة في البلاغة، فحصل التناسب في اللفظ والمعنى والله أعلم بما أراد^(٦).

٣٢ - الآية التاسعة والعشرون^(٧) قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ

(١) لقمان / ٢٠.

(٢) المجادلة / ١٨.

(٣) ك: فناسبه.

(٤) هـ، م، ك: أن تكون.

(٥) ك، ج، ع، ب: بدون واو.

(٦) بما أراد - ساقط من ج، ب، ع.

(٧) يقابلها في الدرة الايتان الخامسة عشرة، والسادسة عشرة.

وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطُرَّ بِغَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٢، ١٧٣﴾.

وجاء في ثلاثة مواضع، ﴿وَمَا أَهْلٌ لغيرِ اللَّهِ بِهِ﴾. أولها في سورة
المائدة (٣): ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لغيرِ اللَّهِ
بِهِ﴾^(١). والثاني في سورة الأنعام (١٤٥): ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ
مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مُسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ
فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلٌ لغيرِ اللَّهِ بِهِ﴾^(٢). والثالث في سورة النحل (١١٤)،
(١١٥): ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ [و/٢٥] وَمَا
أَهْلٌ لغيرِ اللَّهِ بِهِ﴾.

يتعلق بهذه الآي خمس سؤالات:

أحدها: تقديم المجرور الذي هو «به»^(٣) في سورة البقرة وتأخيرها فيما
سواها.

الثاني: تخصيص آية البقرة بقوله: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾.

الثالث: تخصيص آية الأنعام بقوله: ﴿فَإِنْ رَبُّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الرابع: زيادة ما زيد في آية المائدة من المحرمات.

الخامس: تخصيص آية المائدة بقوله: ﴿فَمَنْ أَضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ

مُتَجَانِبٍ لِإِثْمٍ﴾.

(١) بقية الآية: ﴿وَالْمُنْخَبِفَةُ وَالْمَوْفُونَ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ
عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْبِلُوا بِالْأَرْسَامِ ذَلِكَ يَوْمَ يَفْسُ الْيَوْمِ يَفْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
تَخْشَوْنَهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ
دِينًا فَمَنْ أَضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِبٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(٢) بقية الآية: ﴿فَمَنْ أَضْطُرَّ بِغَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(٣) ساقط من ع

والجواب عن الأول أن العرب مهما اعتنت بشيء، أو قصدت به قصد زيادة من تأكيد، أو تشريف، قدَّمته أو قَدَّمَتْ ضميره. وليس من كلامهم إجراء هذه الأغراض مجرى غيرها، فلكل مقام مقال. ألا ترى قول قائلهم: **إِيَّاكَ أَغْنِي، وَقَوْلٌ مَجَاوِبُهُ: وَعَنْكَ أُعْرِضُ.** وأنشد سيبويه - رحمه الله تعالى: (رجز).

لَتَقْرَبُنَّ قَرَبًا جَلْدِيًّا^(١) مَا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ^(٢) حَيًّا^(٣)

فتقديم^(٤) فيهن يحرز معنى لا يحرزه التأخير. قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٥). وَبَسَطَ هَذَا فِي مَظَانِّهِ. وقال تعالى: ﴿فَبِذَلِكَ^(٦) فَلْيَفْرَحُوا﴾^(٧). وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٨) وهو كثير في المَضْمَرَاتِ، والظُرُوفِ والمَجْرُورَاتِ. ومن نحوه قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾^(٩)، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾^(١٠) ولكون هذا

-
- (١) في جميع السخ بالبدال المهملة وصوابها بالمعجمة.
(٢) في جميع السخ فصيلاً.
(٣) البيتان من رجز لابن ميادة بقيته: فقد دجا الليل فيها هيا.
وقد صرح بهذه النسبة ابن السيرافي، وابن خلف. انظر: ديوانه / ٢٨١، الخزائن ٥٩/٤، شرح المفصل ٣٣/٤، ٩٦/٧، ١١٥. واللسان (جلد، دوم، هيا) وغير منسوب في كتاب سيبويه ٥٦/١.
(٤) ج: بتقديم.
(٥) الإحلاص / ٤.
(٦) ج: هذا لك، وصوابها ما أثبتناه.
(٧) يونس / ٥٨.
(٨) الفاتحة / ٥.
(٩) يوسف / ٢٠.
(١٠) الشعراء / ١٦٨.

في صلة الموصول، تكلف بعض النحويين في تعلقه تقدير^(١) اسم فاعل يفسره^(٢) ما بعد الموصول، وإذا حَقَّقَ رجع إلى^(٣) الأول. قال سيويه - رحمه الله - كأنهم يقدمون الذي هو أهم، وهم بيانه أعنى. وآية البقرة قد تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، فورد تعريفهم بذكر ما أبيض لهم وُرُود ما^(٥) يُقصدُ إيجابه، وقد بينه^(٦) وإن كان إنما يراد به هنا الإباحة مُفتِحاً بندااء المخاطبين ومعقباً فيه ما أُعْلِمُوا بإباحته لهم الأمر بالشكر لجليل تلك النعمة وعظيم التوسعة فيها من قوله: ﴿مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾. وقوله: ﴿مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، فلتوسعة الإحسان والإنعام ما أمروا بالشكر فلما تحصل بهذه المقاصد الجليلة ما ليس في شيء من تلك المواضع والآيات الأخرى، وخصر ما ذكره بعد بما^(٧) حَرَّمَ عليهم بكلمة (إنما) المقتضية للحصر، والرافعة لضعف المفهوم حسبا تقرر في فن^(٨) الأصول، إذ ليس قوله: إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَتَقَى، مثل قوله: فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشْرَ، وفي سَائِمَةِ الْغَنَمِ، الزَّكَاةُ؛ في قوة المفهوم المسمى بدليل الخطاب^(٩).

فلما تحصل في هذه الآية مما أشير إليه من تأكيد هذا المحرَّم ما ليس في الآي الأخرى، ناسبه تقديم المضمرة [٢٥/ظ] المجرور في قوله: ﴿وَمَا أَهْلُ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾، ليكون الكلام بتقديم المجرور في قوة أن لو قيل: إِنَّمَا

(١، ٢) ساقطان من ج.

(٣) ساقط من ج، هـ، ع.

(٤) آية / ١٦٨.

(٥) ج، ع: وورد، ب: وورود.

(٦) ك، ب: أو نديته.

(٧) ك: مما حرم.

(٨) هـ: في من، ح، ك، ب، ع: تقرر من الأصول.

(٩) انظر كشف الأسرار ١ / ٤٧ - ٥٠.

حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَالْمُهْلَ^(١) بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ . هذا مقصود الكلام، ولم يكن تأخير المجرور ليحرز هذا الذي قدرناه^(٢) أولاً، ليناسب ما تقدم فجرى الكلام كله من أول القصة إلى آخرها على أسلوب من البلاغة ملحوظ في آخره أوله.

أما الآي الآخر فليس فيها ما في هذه فتأخر^(٣) الضمير المجرور إلى محله الذي هو موضعه، إذ لم يقصد هذا القصد ولم يكن ليلائمه التقديم. ولهذا^(٤) المجموع، وما جرى في الآية من الإطناب الجليل ما أعقب هذا الكلام بقوله: ﴿فَلَا إِيْمَ عَلَيْهِ﴾، ليناسب ما ذكر، ووقع الاكتفاء في غيرها بما فيها. كل ذلك على ما يناسب، وهذا هو الجواب عن السؤال الثاني.

والجواب عن السؤال الثالث، أن الله سبحانه لما قدم في آية الأنعام زَجَرَ من قدم ذكره، وتعنيفهم بقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَاهُ اللَّهُ بِهَذَا. فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٥)، أتبعه بقوله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيْمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ﴾^(٦)، ثم قال: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ [غَفُورٌ رَحِيمٌ]﴾^(٧). وهذا التفات، لأن الجاري على (لا أجد فيما أوحى إلي) أن لو قيل: فإن ربي، أو فإن الله، فعدل إلى الخطاب التفاتاً ف قيل: فإن ربك، لأن^(٨) الكلام إذا تنوع حرك الخواطر إلى^(٩) تفهيمه فقال

(١) م: وما أهل به.

(٢) ك: قررناه، ب، ع، ج: قدمناه.

(٣) هـ: بتأخر.

(٤) ج: وهذا.

(٥) الأنعام / ١٤٤.

(٦، ٧) الأنعام / ١٤٥.

(٨) ج، ك، ع: فبد.

(٩) ج، ع: التي.

تعالى : ﴿فَإِنْ رَبُّكَ﴾ . ومع قصد الالتفات لم يعدل عن تخصيص الخطاب ، لأنه موضوع تعنيف وزجر لمن تقدم . فورد الالتفات باسم الربوبية مع الإضافة إلى ضمير خطابه صلى الله عليه وسلم ، ولم يقل : فإن الله ؛ وكان يكون فيه الالتفات لما قصد فيه من نحو الوارد في قوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾^(١) ، وما ورد من مثله ليكون ذلك معرفاً بمكانته عليه السلام ، ومحكماً للإعراض عنهم ، وعدم التفاتهم ، وتناسب آخر الكلام وأوله .

والجواب عن الرابع والخامس ، أن آية المائدة من آخر ما نزل فيها ، فورد فيها استيفاء ما حكم بتحريمه وإلحاقه بالميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وأعقب الكلام بقوله تعالى : ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَمَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ﴾^(٢) ، تمييزاً لبيان حال المضطر ، ومظنة الاضطرار زيادة على ما ورد في الآي الأخر ليرتفع ما عسى أن يكون باقياً فيها من إجمال أو إشكال ليجري^(٣) مع قوله : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٤) .

٣٣ - الآية الموفية ثلاثين قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (١٥٩) [٢٦ / و] .

وبعد هذه الآية بأزيد من عشر آيات (١٧٤) : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ

(١) محمد / ١١ .

(٢) المائدة / ٣ .

(٣) ع : لتحري .

(٤) المائدة / ٣ .

إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾
سورة آل عمران (٧٧): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

للسائل أن يسأل عن تخصيص آيتي ^(١) البقرة بذكر الکتَم بقوله في
الآيتين معاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ وهؤلاء بالسابق من ظاهر الآية هم ^(٢)
المذكورون في ^(٣) آية آل عمران، ولم يذكر فيها الکتَم، وعن الاختلاف
الواقع فيما ذكر في الآي الثلاث من الوعيد مع ^(٤) البادي من اتحاد
مرتكبهم، وعن تخصيص كل موضع من ^(٥) هذه بما ورد فيه مرتكباً وجزاء،
فهذه ثلاثة أسئلة.

والجواب عن الآيتين الأوليين - والله أعلم - أنه تقدم قبلها في السورة
نفسها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾ ^(٦)، فنهاهم سبحانه عن الکتَم، ولم يجر مع هذا النهي ذكر جزاء
في هذه الآية، بل تذكير ودعاء إلى ما به نجاتهم، واستلطاف في الدعاء.
ألا ترى أنه تعالى أمرهم بسلوك طريق المتقين، فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ﴾ ^(٧)، إلى ما بعدها فتضمن من التلطف في الدعاء مع الإيماء إلى
مرتكباتهم والإضراب عما يستوجب فاعل ذلك ما يوضح للمعتبر عظيم رفقته

(١) ب: صيغة السؤال: يقال ما وجه اختصاص آيتي ...

(٢) هـ: مع.

(٣) هـ، ج، ب، ع: من.

(٤) ساقطة من: ج، م، ع.

(٥) من هذه: ساقط من ج، هـ، ك.

(٦) البقرة / ٤٢

(٧) البقرة / ٤٣.

سبحانه، وجليل حلمه. فلما لم يُجِدْ ذلك عليهم، وكنتموا بعد أن حذروا عن الـكتم، وردت الآية بعدُ معرفةً بجزاء من كنتم بعد أن حُذِر، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ - الآية، فذكر حال الكاتمين وجزاءهم المترتب^(١) على فعلهم من استحقاق اللعن من الله سبحانه، وممن ذكر من عباده، واللعن الطرد والإبعاد. ثم إنه تعالى تدارك من تاب منهم وأصلح وبَيَّن بعد أن كان كنتم. فلما بَيَّن في هذه الآية أمر هؤلاء، أعقب في الأخرى بعدُ، فذكر^(٢) حال المتمادين على مرتكبهم من الـكتم، وما زادوا إلى ذلك من اشتراطهم به ثمناً قليلاً، وحظاً من دنياهم لا خطر له، وذكر ما زيدوا في الجزاء من العقاب موازنة لزيادة المرتكب، فقيل: ﴿أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ولم يذكر لهؤلاء حال توبة إن تابوا كحال المرتكب. وليس المراد أنهم لا [٢٦/ظ] توبة لهم، ولكن عدم ذكرها أوقع في الإغلاط^(٣)، لما ذكر من سوء مرتكبهم. وليجري مع قوله تعالى: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ فإن التزكية تطهير من المآثم^(٤) ونحوه، وذلك هو الذي تثمره التوبة النصوح، فلم يكن ليلائم هنا ذكر التوبة. وليناسب بذلك أيضاً ما عرفت به الآية بعدُ من حالهم الأخرى قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(٥). فلما عُرِف بهذه الغاية من جزائهم، لم يكن ليناسب ذلك ذكر التوبة ووجه الوارد في هذه الآية من قوله: ﴿أُولَٰئِكَ مَا

(١) ج: المترب.

(٢) ك: بذكر.

(٣) ب: الأغلاط.

(٤) ح: الإثم.

(٥) البقرة / ١٧٥

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴿١﴾ وتخصيصها^(١) بهذا، إنما هو لما تقدم من قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٢)، فذكر تعالى لهؤلاء ما أحل لهم أكله وما حرم عليهم. فلما تقدم هذا أثبت به بإعلام هؤلاء الأكلين بالتحريف والتبديل بخبث مأكليهم، وشنيع مشتراهم، وأنه لو كشف عن أبصارهم لراوا أنهم إنما يأكلون ناراً. وقيل في بطونهم، لأن الأكل كأنه ضَمَّن معنى الجَعْل، إذ النار في المعهود المعلوم لا تؤكل، وكان قد قيل: إنما يجعلون بذلك المأكَل الحَيْث في بطونهم ناراً، كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾^(٣)، فالأكل مقصود وملفوظ به. ودل السياق وقوله ﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾ على الجَعْل، وكأنه من باب التضمين، فدل اللفظ على ما وضع له من المعنى، وعلى ما يعطيه من حيث ما يتم به المعنى وَيَعُضُّدُهُ السياق.

ومن هذا النحو من دلالة اللفظ على ما تحته من المعنى وعلى غيره من معناه مما به يتم المعنى ويحصل المقصود قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(٤). المعنى - والله أعلم - وما فعلوا ذلك ولا يفعلونه إلا لإيمانهم. ألا ترى أن «أَنْ» في قوله: ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ من حيث إن مقتضاها الاستقبال لا بد من تعلقها بفعل مناسب ولا يتعلق بالماضي؛ فلا بد من تقدير فعل مستقبل يدل عليه الماضي الملفوظ به، فكان قد قيل: ولا ينقمون إلا لأجل إيمانهم. وعلى هذا هو المعنى، لأن المراد تعاديبهم على

(١) هـ، ب، ع: تخصيصاً.

(٢) البقرة / ١٧٢.

(٣) النساء / ١٠.

(٤) الروح / ٨.

ذلك الفعل؛ وبذلك يحصل ذمهم على مرتكبهم. ومن نحو هذا قول الشاعر^(١): (وافر).

وَنَذْمَانِ يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيباً سَقِيْتُ إِذَا تَغَسَّرَتِ النُّجُومُ

إنما يريد سقيت وأسقيه، لأن إذا من حيث هي ظرف زمان مستقبل لا يعمل فيها إلا فعل مستقبل وبذلك يتم المعنى، إذ لم يرد أنه فعل ذلك مرة، إذ لا يمتدح بذلك، وإنما يريد أن ذلك^(٢) ذأبه وعادته. وقد شهد المعنى للمقدّر من اللفظ. ومن هذا قول الكندي: (طويل)

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً وَأَهْوَالَ مَعْشَرٍ عَلَى حِرَاصٍ لَوْ يُشِيرُونَ مَقْتَلِي^(٣).
ثم قال: [٢٧/و]

إِذَا مَا الثَّرِيًّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضْتُ - الْبَيْت^(٤)

ولا يعمل تجاوزت في إذا لما تقدم، فالتقدير تجاوزت، وأتجاوز، حتى يُعلم أن تلك عادته ودأبه، وبه تحصل ما أراد وهذا كثير بديع، في القرآن منه كثير، وقد خرج بنا الكلام^(٥)، وحصل الجواب عن السؤالين.

والجواب عن السؤال الثالث أن آية آل عمران إنما وردت في مُرْتَكِبٍ مخصوص غير الكتم، وقد يكون من غير الكاتمين وإن كان أنسب لحالهم،

(١) هو البرج بن مَهْر الطائي، والبيت منسوب إليه في: مجاز القرآن ٢١/١، شرح شواهد

المفني / ١٨، شرح ديوان الحماسة / ١٢٧٢، اللسان (عرق).

(٢) هـ: كرر بعد ذلك (مرة - إلى - يريد أن ذلك) بانتقال النظر.

(٣) البيت لامرئ القيس الكندي في ديوانه / ١٣، غير أن روايته مضطربة في نسخ المخطوطة.

ففي هـ، م: يسرون، وفي ك: مقتل.

وفي ج: الشطر الثاني: كأحراس يسرون مقتل.

وفي ب: الشطر الثاني: كأحراس لو يشيرون مقتل.

وفي ع: الشطر الثاني: كأحراس لو يشرون مقتل.

(٤) ديوانه / ١٤. والشطر الثاني من البيت: تعرض أثناء الوشاح المفصل.

(٥) ج، هـ، م، ع: فقد خرج من الكلام، ب: خرج عن الكلام.

وأجرى مع مرتكبهم، فهو يقع منهم ومن غيرهم فانفرد هذا المرتكب الشيع بما تُوعِدُوا عليه. ولكونه أجرى في مرتكبات من قُدِّم في آيتي البقرة، امتد فيه الوعيد، وأُتِيت الآية بما يشعر أنهم الأهلون لهذا^(١) المرتكب. فقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ - الآية^(٢) فليتهم ألسنتهم من ضرب الکت. وبالجمله فالآية مرتبطة بما يفصلها عن آيتي البقرة ومناسبتها موضعها بين لما تقدمها من قوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ [إِنْ تَأْمَنُّهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ] إِنْ تَأْمَنُّهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾^(٣) إلى ما يتلو هذا. فخصوص هذه الآية بموضعها أوضح شيء، وكل من هذه الآيات جارٍ على أوضح مناسبة والله أعلم.

٣٤ - الآية الحادية والثلاثون قوله تعالى:

﴿وَلَا تَبْشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ (١٨٧).

وفيما بعد من هذه السورة (٢٢٩): ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾.

للسائل أن يسأل عن الفرق الموجب لقوله في الأولى: ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ وفي الثانية ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾^(٤).

وقد يجاب عن هذا - والله أعلم - بأن يقال: إن النهي^(٥) عن مقاربة

(١) ج: بهذا.

(٢) آل عمران / ٧٨.

(٣) آل عمران / ٧٥.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما).

(٥) ب. إلى هنا اختصره الناسخ بقوله (والخواب والله أعلم أن النهي).

الشيء عنوان على تأكيد التحريم وتغليظه^(١). ولما كان قرب النساء بالمباشرة بالأجساد وما يجاري ذلك داعياً إلى المواقعة، وقُلْ من يملك في ذلك نفسه ويغلب هواه. ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: «وَأَيْكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ» الحديث^(٢). والمقصود منه في أمثال هذا المواطن، إنما هو الجِماع، وهو مؤكد التحريم نهى عما هو أقرب شيء وأدعاه تحذيراً من مواقعه وتعريفاً بتأكيد تحريمه. وتأمل أطراد ذلك فيما يرجع إلى نحو هذا كقوله تعالى في الخِيَضِ: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾^(٣)، وإنما حرّم الجِماع، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَ﴾^(٤)، ومن هنا كان منع الطَّيِّبِ لِلْمُحْرَمِ لأنه داعيه^(٥) إلى الجِماع.

ففي هذا الصرب وما يلحق به مما يراد شدة تحريمه من مال، أو مرتكب محرّم مؤكد التحريم، يرد النهي عن المقاربة، وإذا نهى عن مقاربة محرّم ما، عَلِمَ من ذلك تأكيد تحريم ذلك المحرّم. فأما إذا قَصِدَ بَيَانُ عامٍ وفارق^(٦) بين ما يحل ويحرّم، فلا يقع النهي عن مقاربه، إذ لم يُقَصَدُ فُرْقَانُ حاجز^(٧) بين ما يحل ويحرّم، ولم يُقَصَدَ بَيَانُ حالٍ مُحْرَمٍ ما من شدة أو خفة، فإنما النهي في مثل هذا [٢٧/ظ] عن تجاوز حدّ مضروب من مُحْرَمٍ

(١) ج، ب: تغليظه.

(٢) نص الحديث في صحيح مسلم من طريق ابن أبي شيبة، عن علي بن مسهر عن عبد الله بن عمر، عن القاسم عن عائشة أنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُنِي وَهُوَ صَائِمٌ، وَأَيْكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْلِكُ إِرْبَهُ» ج ٣ رقم ٦٦. وفي البخاري ٣٨/٣ - ٣٩، والترمذي / ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩ الدارمي ٢ / ١٢، أحاديث أخرى عنها في معنى الحديث.

(٣) البقرة / ٢٢٢.

(٤) الإسراء / ٣٢.

(٥) ك: داعياً.

(٦) ج، ك: فارق - بدون واء.

(٧) هـ: فإن حاجز، ب: الأمر حاجز، ح، ع: الأمر (باض) فارق.

وَمُحَلٌّ^(١). ومن هذا قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾^(٢)، ثم قال: ﴿بَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾. فحصل من الآية الكريمة أنه سبحانه حرم أموالهن على الأزواج بغير حق، ما لم يقع منهن نُشُوزٌ وإِبَاطَةٌ^(٣) عن القيام بما يجب عليهن، ويطلبن به من حقوق الأزواج، وإقامة الحدود. فإن أُبَيِّنَ، وخيف منهن ألا يقمن حدود الله، أو خيف ذلك منهما معاً، وورثت ذمة الرجل من الإضرار، جاز له إذ ذاك ما يأخذه مما تعطيه المرأة من مالها مفتدية به، قال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾. فليس هنا إلا حلال أو حرام لا واسطة بينهما، ولا ما هو سبب^(٤) للحرام قصد تحريمه لتغليظ ما يتسبب عنه. فمثل هذا إنما يرد النهي فيه عن الاعتداد الذي هو مجاوزة ما يحل إلى ما يحرم. وتأمل الضربين يُلَحُّ لك ما ذكرت، وورود كل واحد منهما على ما يجب ويناسب.

٣٥ - الآية الثانية والثلاثون قوله تعالى:

﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٩٣).

وفي سورة الأنفال (٣٩): ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(١) ك: ومحل ومحرّم.

(٢) البقرة / ٢٢٩.

(٣) ك، ب، ع: أو إِبَاطَةٌ.

(٤) ج، هـ، م، ع، ب: مناسب.

للسائل أن يسأل عن تخصيص^(١) سورة الأنفال بالتأكيد الحصري، فقيل: ﴿كله﴾، تأكيداً للدين ولم يرد ذلك في آية البقرة. وعن تعقيب آية البقرة بقوله: ﴿فَلَا هُدًى لِّلْظَالِمِينَ﴾، وآية الأنفال بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. فهذان سؤالان^(٢).

والجواب عنها معاً أن آية البقرة نزلت في مخصوصين وهم الذين كانوا بمكة ممن نُصِبَ لعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعرض بالظلم والتشكيل لمن آمن به صلى الله عليه وسلم وطردهم كل مطرد، فأذن الله لرسوله في قتالهم، لظلمهم^(٣) إياهم، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾، وهي أول آية نزلت في القتال^(٤). وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾، فأكد ما تقدم من التخصيص، وقال تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾^(٦) والضمير للمذكورين ويعضد ذلك ويبين خصوصه بمن ذكر قوله تعالى: ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾^(٧)، وإنما أخرجهم أهل مكة. وقال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(٨)، فأشعر بأن قتالهم جراء على فتنهم إياهم، وأنهم قد بدأوا المؤمنين بالفتنة، كما قال: ﴿وَهُمْ يَدَّأَوْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٩) وفتنتهم المؤمنين

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تخصيص...).

(٢) ب: حذف (فهذان سؤالان).

(٣) ج، هـ، ك: كرر هنا من (وتعرض بالظلم - إلى - لظلمهم...) بانتقال النظر.

(٤) الحج / ٣٩. وانظر أسباب النزول للواحدي / ١٧٧، ولباب النقول / ١٥١، حيث روى

ابن عباس عن أبي بكر (رض) أنه بعد اشتداد إيذاء المشركين للنبي وصحابته هاجر فقال أبو

بكر: أخرجوا نبيهم ليهلكن. رواه أحمد في مسنده، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم، وزاد

الواحدي عن أبي بكر قوله: فعرفت أنه سيكون قتال.

(٥) البقرة / ١٩٠.

(٦ - ٨) البقرة / ١٩١.

(٩) التوبة / ١٣.

في دينهم أشد من قتال المؤمنين إيسأهم، ثم حذر المسلمين من قتالهم عند المسجد الحرام [٢٨ / و] حتى يبدأهم المشركون بذلك، ثم قال: ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾^(١)، أي عند المسجد الحرام فاستحلوا حرمة ﴿فَقَاتِلُوهُمْ﴾^(٢) فقد علموا صنع الله بمن استحل ذلك، وهتك حرمة بيته. فإن فعلوا فقاتلوهم عنده جزاء على فعلهم. ثم قال آخر الآية: ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُذْرَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، باستحلال قتالكم، وفتنة المسلمين، وتعذيبهم بحرم الله وبيته. فالآية هنا واردة في مخصوصين، والكلام مقيد، فلم يكن ليناسبه الإطلاق والتعميم الحاصل من التأكيد بكل المحرزة للعموم والمقتضية للإحاطة^(٣) والاستغراق.

وأما آية الأنفال فقد قال قبلها: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مِمَّا قَدْ سَلَفَ﴾^(٤)، وهذا^(٥) بمقتضى اللفظ في كل كافر. ومثل هذا وإن ورد على سبب خاص فإن وروده على ذلك السبب غير مانع من دعوى العموم فيه، وهذا متفق عليه في فن الأصول^(٦)، وقد استقر معلوماً في الشريعة أن كل كافر بأي كفر كفر، فإنه إذا أسلم، فإن إسلامه يجب ما قبله ويمحوه^(٧). فلما اقتضت الآية الاستغراق والعموم ناسب ذلك التأكيد المعتم، فقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾، ثم لما كان قتال عامة الكفار على أن يدخلوا في الدين وينبذوا ما سوى الإسلام، وكان الحاجز عن قتالهم تظاهرهم بالإسلام، ونطقهم بالشهادتين، وتوكل^(٨) سرائرهم إلى

(١) البقرة / ١٩١

(٢) ك: الإحاطة.

(٤) الأنفال / ٣٨.

(٥) هـ: وهلا.

(٦) انظر الأحكام في أصول الأحكام ٢ / ٣٣٠ - ٣٥٢.

(٧) وهذا ما ورد به نص الحديث النبوي الشريف: «الإسلام يجب ما قبله». في المجازات

السوية / ٥١.

(٨) هـ، ب: ويوكل.

اللَّهُ، أُعْقِبَتِ الْآيَةُ بِمَا يَشِيرُ إِلَى ذَلِكَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا﴾، أَي عَنْ كُفْرِهِمْ ﴿فَإِنْ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، أَي لَا تَخْفَى ^(١) عَلَيْهِ أَعْمَالُهُمْ، وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِهِمْ. فَجَاءَتِ الْآيَةُ مَعَ الْحَدِيثِ الْمَفْسُورِ لَهَا مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَقَابِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَجَسَابَتُهُمْ عَلَى اللَّهِ ^(٢). فَلَمَّا اخْتَلَفَ الْمُقْصُودُ ^(٣) فِي الْآيَتَيْنِ، أُعْقِبَتِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَا يَنْسَبُ مُقْصُودَهَا عَلَى مَا يَجِبُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٣٦ - الْآيَةُ الثَّلَاثَةُ وَالثَّلَاثُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٢١٤).

وَقِيلَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ (١٤٢): ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾. وَفِي سُورَةِ بَرَاءة ^(٤) (١٦): ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾.

فَفِي ^(٦) الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ: ﴿أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ﴾، وَفِي بَرَاءة: ﴿أَنْ

(١) لَك: أَي بِخَفْيِهِ.

(٢) رَوَاهُ الشَّيْخَانُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ بِسَبْعَةِ طُرُقٍ مُتَقَارِبَةٍ
الْأَلْفَاظُ. صَحِيحُ مُسْلِمٍ ٣٩/١ - ٣٦، الْبُخَارِيُّ ١٣/١.

(٣) م، ك، ب، ع: الْمَقْصِدُ.

(٤) هِيَ سُورَةُ النَّوْبَةِ.

(٥) ب: إِلَى آخِرِ الْآيَةِ مُحذُوفٌ.

(٦) مِنْ هُنَا إِلَى وَلِيجَةٍ، سَاقِطٌ مِنْ هـ، م، ع، ب بِإِنتِقَالِ الطَّرِيقِ.

تَرْكُوا»، وفي سورة البقرة: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، وفي آل عمران، وبراءة: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا [٢٨/ظ] مِنْكُمْ﴾، وفي سورة آل عمران: ﴿وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ﴾، وفي براءة: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾. فهذه ثلاث سؤالات.

والجواب عن جميعها على الجملة^(١)، أن وجه اختلافها - والله أعلم - ورودها أعقاب قصص مختلفة، وقضايا متغايرة. فأية البقرة واردة على ما تقدمها من خطاب المؤمنين على العموم، والتنويه^(٢) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾^(٣)، ثم حذرهم بقوله: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ - الآية^(٤) وأشار الواقع جواباً من قوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، إلى قدرته تعالى على من زلّ وحاد، وتنكب بعد وضوح الأمر، وكان الكلام في قوة أن لو قيل بحسب أفهامنا القاصرة: فإن زللتم، فحدثم وتنكبتم^(٥) سلوك المنهج^(٦) الذي أمرتم به^(٧) بعد بيان الأمر، فاعلموا أنه قادر^(٨) على أخذكم وعقابكم، لا يفوته هاربكم^(٩)، ولا يخرج عن قهره أحد منكم، عليم بما تخفونه وتسرونه. ثم ذكرهم بحال غيرهم، فقال تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ - الآية^(١٠). ثم عرفهم بتزيين الدنيا للكافرين تسلياً للمؤمنين فيما حَفَّ بمطلوبهم الأخروي من المكاريه، وأخبرهم بما لهم في الآخرة.

(١) ب: ثلاثة أسولة والجواب عنها على الجملة.

(٢) ك: والتنويه.

(٣) البقرة / ٢٠٨.

(٤) البقرة / ٢٠٩.

(٥) زادت جميع النسخ هنا حرف الجر «عل».

(٦) ب، ع: المنهج.

(٧) م: بها.

(٨) ج، هـ: قدير.

(٩) ج، هـ، ب، ع: تغلوتكم.

(١٠) البقرة / ٢١١.

إِنْ صَبَرُوا، وَاتَّقُوا فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١). ثم أحبرهم بما كان الأمر عليه أولاً^(٢)، من كون الناس أمة واحدة، ثم اختلفوا ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ - الآية^(٣). قلما خاطبهم بهذا كله، وحصل من ذلك، ومن إحالة الآية على^(٤) أحوال من تقدم، وإشارتها إلى ما ابتلوا به ما وضح فيه صعوبة التخلص إلا بعد الصبر وتحمل المشقة مع سببية التوفيق، أعقب بقوله إشارة إلى تسلية المؤمنين فيما يصيبهم، فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ - الآية^(٥)، فعرّفهم أنه لا بد من الابتلاء والاختبار: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾^(٦)، وأتبع بقوله تعالى: ﴿مُسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ إلى^(٧) ما ذكر سبحانه في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاَهُمْ بِالْبَاسِ وَالضَّرَّاءِ﴾^(٨).

فهذه الآية - أعني آية البقرة - لم يقع فيها تخصيص بغير المستجيبين في إجابتهم لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى، فناسبها الإطناب، وذكر حال من تقدم من الأمم في ابتلائهم. وأما آية آل عمران فخطب بها أهل أحد تسلية فيما أصابهم، وخص فيها ذكر الجهاد والصبر، ولم يقصد في الآية إخبار بغير ذلك لأنها ترتبت على واقعة مخصوصة. فهذا وجه ما انفردت به، واختصت عن آية البقرة، فقال تعالى: [٢٩/و] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ فلم يذكر هنا غير الجهاد والصبر.

-
- (١) البقرة / ٢١٢.
(٢) جميع النسخ وأول.
(٣) البقرة / ٢١٣.
(٤) ج، هـ، ب: عن.
(٥) آل عمران / ١٤٢.
(٦) محمد / ٣١.
(٧) ج، هـ، م، ع: أي.
(٨) الأنعام / ٤٢.

وأما آية براءة فخطاب للمؤمنين ممن شاهد فتح مكة، وإعلامهم^(١) بأنهم لا يكمل إيمانهم إلا بمطابقة ظواهرهم بواطنهم في ألا يقع منه ضغوة إلى غير ما بايعوا الله عليه من الإخلاص، فلا يتخلدون^(٢) ولا يعتمدون من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين ما يعتدونه موثلاً أو مرجعاً، فإنه سبحانه لا يخفى عليه ما أسرّوه. وتحريم^(٣) الآية على ذم من اتصف بصفة النفاق، فأظهر خلاف ما أبطن، وقد تقدم قبلها ما يدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿يَرْضَوْنَكُمْ بِأَنفُسِهِمْ وَتَأَيُّ قُلُوبِهِمْ﴾^(٤)، فحذر المؤمنين من هذه الصفة، وعرفوا أنه لا بد من ابتلاهم واختبارهم، لتخلص^(٥) أحوالهم وتمتاز من أحوال المنافقين وأنهم لن يتركوا دون ابتلاء واختبار، ليميز الله الخبيث من الطيب. وهذا من بعضهم لبعض أعني الاطلاع بعد الاختبار، والله سبحانه غني عن هذا، وعليم بما تنطوي عليه كل نفس، وما تكبه الضمائر، وإنما ثمة الابتلاء، والاختبار عائدة علينا، ليطلع بعضنا من بعض على ما لم يكن يطلع عليه لولا الاختبار، وعلمه سبحانه لا يتوقف على ابتلائنا، ولا يتجدد^(٦) عليه شيء، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فالمراد بالآية: أم حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا دون اختبار يفصل بين أحوالكم وأحوال المنافقين المذكورين فيما قبل. ولم تتعرض الآيتان من سورة البقرة وآل عمران للذكر نفاق لا بإفصاح ولا بإيماء، بخلاف آية براءة. فلما اختلفت^(٧) المقاصد اختلفت العبادات في مطالع الآي وختامها بحسب ذلك - والله أعلم - فتأمل

(١) ج، هـ، ك، ع: إعلامه.

(٢) هـ، ك، م، ب: لا يجهلون.

(٣) هـ، م، ب، ع: تحريم.

(٤) التوبة / ٨.

(٥) من هنا إلى (ابتلاء واختبار) ساقط من ج، ب، ع.

(٦) ح، ب: لا يتجدد، ك: يشجبه.

(٧) ج: اختلف.

اتخاذ الوليعة، وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وتخصيص اسمه سبحانه
الخير، يُلح لك ما قُصِد بهذه الآية.

فصل

وأعلم أن «أم» الواقعة في هذه الآية هي الواردة في قولهم: «إِنَّهَا لِإِبِلٍ
أَمْ شَاءَ». أخبر المتكلم بهذا من العرب أنها إبل، ثم لحقه الشك فأضرب
عما أخبر به واستفهم عما بعد (أم) فكأنه قال: بَلَى هي شاء، فمعناها
الإضراب عما قبلها والاستفهام عما بعدها^(١). يسميها النحويون المنقطعة
والمنفصلة. وأما المتصلة فهي الواقعة في العطف والوارد^(٢) بعدها وقبلها
كلام واحد، والمراد بها الاستفهام عن التعيين، تتقدر^(٣) بأي، والمنقطعة
خلافها وهي المقدمة [٢٩/ط]. في الآية، وأن الواقعة بعدها^(٤)، ساذة مسدّ مفعولي
حَبِثْتُ^(٥) عند سيبويه. وأبو العباس^(٦) يراها ساذة مسدّ المفعول
الواحد، والثاني عنده مقدّر. ويشهد لسيبويه أن العرب لم يُسمع من كلامهم
نطق بما ادّعاه، ولو كان على ما يقوله لنطقوا به يوماً ما وبسط الرد عليه في
غير هذا.

(١) ب: الإضراب عما بعدها والاستفهام عما قبلها، وانظر الكتاب ١٧٢ / ٣.

(٢) ج: الواردة.

(٣) ج، هـ: تقرر.

(٤) ج: بها.

(٥) ب، ع: حسب.

(٦) هو محمد بن يزيد المبرد النحوي (ت / ٢٨٥ هـ). وانظر: إملأ ما مَنُ به الرحمن ٩١/١،
والطبري ٢٨٧ / ٤ - ٢٩١، معاني القرآن ١ / ١٣٢، البحر المحيط ٣ / ٦٥، ٦٦ لمعرفة وحده
الآية الإعرابية.

٣٧ - الآية الرابعة والثلاثون (غ) قوله تعالى :

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْتُمْ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَخُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ (٢٣١).

وفي سورة الطلاق (٢) : ﴿فَإِذَا بَلَغْتَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

للسائل أن يسأل عن الفرق بين قوله : ﴿أَوْ سَرَخُوهُنَّ﴾ ، وقوله : ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾ ، واختصاص كل من الموضعين بما نُحَصُّ به من ذلك.

والجواب - والله أعلم - أن آية البقرة اكتنفها النهي عن مضارة النساء، وتحريم أخذ شيء منهن ما لم يكن منهن ما يُسَوِّغ ذلك، من ألا يقيما حدود الله. فلما اكتنفها ما ذكر، وأتبع ذلك بالمنع عن عَظْلِهِنَّ، وتكرر أثناء ذلك ما يُفهِمُ الأمر بمجاملتهن والإحسان إليهن، خالي^(١) الاتصال والانفصال، ولم يكن ليناسب ما قصد من هذا أن يعبر بلفظ ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾، لأن لفظ الفراق أقرب إلى الإساءة منه إلى الإحسان، فعدل إلى ما يحصل منه المقصود مع تحسين العبارة وهو لفظ التسريح، قال تعالى : ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَخُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾^(٢)، وليجري مع ما تقدم من قوله تعالى : ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾. وقيل هنا بإحسان ليناسب ما تعلق به المجرور من قوله، ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾، وقد روعي في هذه الآية كلها مقصد التلطف وتحسين الحال في الصحبة والافتراق. ولما لم يكن في سورة الطلاق تعرض لفضل^(٣)، ولا ذكر

(١) هـ، ج، ع، ب: حال.

(٢) هـ، ب: وأمسكوهن، وهو لحن في الآية - ٢٣١ / البقرة.

(٣) ك: لعطل، ب، ع: لفصل.

لمضارة، لم يُنكر ورود التعبير بلفظ ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾ عن الانفصال، ودفع^(١) الاكتفاء فيما يراد من المجاملة في الحالين بقوله: ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ وبأن افتراق القضيتين^(٢) في السورتين، وورد^(٣) كل من العبارتين على ما يجب من المناسـة والله أعلم.

٣٨ - الآية الخامسة والثلاثون قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ﴾ (٢٣٢).

وفي^(٤) سورة الطلاق^(٥): ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ﴾. فقال في آية البقرة: ﴿ذَلِكَ﴾، فأفرد^(٦)، وقال: ﴿مِنْكُمْ﴾، وفي
آية الطلاق: ﴿ذَلِكَ﴾، بأداة خطاب الجميع، ولم يقل منكم. ووجه ذلك
- والله أعلم - أن آية البقرة ترتبت على تعنيف المضرين بالزوجات،
واحتيالهم على أخذ أموالهن بغير حق. ألا ترى إلى ما تقدمها^(٧) من قوله
تعالى: ﴿وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا [٣٠/و] مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾^(٨)، وقوله
بعد ذلك: ﴿وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدُوا﴾^(٩)، وقد بالغت الآية في
زجرهم حين قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾، وهذا من أشد

(١) ك، ب: ووقع.

(٢) ج: بافتراق القضيتين.

(٣) ج، هـ: وورد؛ م، وورد.

(٤) من هنا إلى آخر الآية ساقط من ب.

(٥) ك: فأفرد الخطاب، وقال منكم في آية الطلاق بأداة خطاب الجميع.

(٦) ك: يتقدمها.

(٧) البقرة / ٢٢٩.

(٨) البقرة / ٢٣١.

شيء في تعنيف المضررين فمن ثم نهى سبحانه عن عَضْلِ النساء^(١)، وهو ممن فعله من الضرر^(٢) والاعتداء^(٣) ومناسب لأخذ أموالهم، لأنه قطع عن قصد شرعي به قوام دينهن ودنياهن، إذا نكحن من [لا] يُقْدَرْنَ^(٤) فيه ذلك، فَعَضْلُهَا^(٥) ظلم لها^(٦). فحصل من مجموع هذا أن المنهي عنه المتوعد عليه في سورة البقرة أبلغ في^(٧) التعدي وأسوأ^(٨) في المرتكب من الواقع عليه الزجر في آية الطلاق. ومن المعلوم أن المطلب إذا اعتاض كانت السلامة فيه أعز، ومالك طريق النجاة فيه أقل - إن غم - فأولى المخاطبين بأهليته، والذين هم كأنهم هم المعنيون به على الخصوص، إنما هم المُمْتَلُونَ وكأن الممثل غير داخل تحت حكم الخطاب. فعلى رَعي هذا، ورد أفراد الخطاب في البقرة، فقيل: ﴿ذَلِكَ﴾ بحرف^(٨) الخطاب الذي هو للواحد إشارة لتقليل المستجيبين المتورعين عن الطمع في أموال الزوجات، والإضرار بهن عَضْلاً واحتيالاً على ما لديهن. وعلى هذا الرعي ورد في هذه الآية ﴿مِنْكُمْ﴾، المُشعر أن المُسْتَجِيبِينَ ليسوا الكل، بما يعطيه مفهوم منكم، ولما كان الوارد في سورة الطلاق أخف في المطلب، وأيسر في التكليف. ألا ترى أن الأحكام المتعلقة بالطلاق، وهي التي دارت عليها أي

(١) العضل له معان ترجع كلها إلى المنع، والمقصود هنا منع المرأة عن نكاح من ترضاه. وهو عادة جاهلية، كان الرجل منهم يمنع زوجة أبيه من النكاح حتى تموت ليرثها أحكام القرآن لابن العربي ٢٠١/١، ٣٦١، والقرطبي ١٥٨/٣، ١٥٩.

(٢) ك: الضرار.

(٣) هـ، م، ب: يقدرون.

(٤) ج: فعظّلها.

(٥) م: ظلم لما يحصل.

(٦) ح، ب، ع: من.

(٧) ج: الاعتداء م: ابتداء، هـ، ب، ع: وابتداء في.

(٨) هـ، ج، ع، م، ب: في حرف.

هذه السورة، كلها فروع ثوان^(١)، فالسلامة فيها أيسر، وسالك طريقها أكثر،
فمناسب ذلك ورود الخطاب بالحرف الذي يخاطب به الجميع ويشملهم،
فقل: ﴿ذَلِكُمْ﴾ وقيل: ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ﴾، ولم يرد هنا من كان منكم، إذ
لم يرد هنا إشعار بتبعض، وهو الذي يعطيه المفهوم، فروع في كل من
السورتين ما بنيت عليه القصة في الأخرى، والله سبحانه أعلم.

٣٩ - الآية السادسة والثلاثون قوله تعالى:

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ
بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢) (٢٣٤).

وفي الآية الأخرى بعد (٢٤٠): ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَأُزْوَاجًا
وَصِيَّةً لَأُزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فيهما ثلاث سؤالات^(٣):

الأول: ما وجه التعريف في قوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، والتذكير في الثانية
من قوله: ﴿مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾؟

والثاني: ما وجه خصوص الأول بالباء، والثاني بمن؟

والثالث: ما وجه تعقيب الأولى بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾،
والثانية بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؟

والجواب عن الأول، أن الواقع في الآية الأولى من قوله: ﴿وَالَّذِينَ
يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيُذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ يتربصون [٣٠/ظ] بأنفسهن أربعة أشهر

(١) مكانها بياض في ج، ع.

(٢) بقية الآية: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

(٣) ب: ثلاث أسئلة.

وعشرًا، ثم قال ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ﴾، أي باستيفائهن أربعة الأشهر والعشر، والمراد، يخرجن عند ذلك من تمام الأجل المضروب لِعَدَّتِهِنَّ. فهذا كله مما^(١) يقتضيه^(٢) إذا قد أحرز أمدًا محدوداً^(٣)، معلوم القدر، معروف الغاية، يتقيد به خروجهن، فناسبه التعريف في قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي المعلوم من موجب الشرع.

وأما قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ فلم يذكر بلوغ الأجل، وليس التقيد الحاصل من بلوغ^(٤) الأمد المضروب، قيل وهو الحَوْل، قبل التقيد الحاصل من الظرف^(٥) المستقبل الذي هو (إذا)، إذ ليست (إِنْ) كإِذَا. ألا ترى أنك تقول: أقوم إذا قام زيد، فأقصى ما يقتضي هذا أن قيامك مرتبط بقيامه، لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه، بل يُعَاقِبُهُ^(٦) على الاتصال. أما إذا قلت: أقوم إِنْ قام زيد، فأقصى^(٧) ما يقتضي هذا إن قيامك بعد قيامه، وقد يكون عقبه وقد يتأخر عنه. فإنما يحصل من (إِنْ) التقيد بالاستقبال دون اقتضاء أو مباحة. فحصل في ظاهر اللفظ إيهام^(٨) من جهتين: إحداهما، كون الرجل لم يُذَكَّرْ بلوغه، والثانية ما تقتضيه^(٩) (إِنْ) على ما تبين، فناسب التنكير في قوله: ﴿مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾.

فإن قيل: الحول المذكور في قوله في أول الآية ﴿مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ﴾

(١) ع: بما.

(٢) هـ، ب، م، ك: تقتضيه.

(٣) ج، ع: معدوداً.

(٤) م، ب: من أن.

(٥) ج، ب، ع: الضرف بالضاد.

(٦) ج، ع: لا تتقدم عليه، ولا تتأخر عنه، بل تعاقبه.

(٧) هـ: ما قضى.

(٨) هـ، ك: إيهام.

(٩) ح: يقتضيه.

معروف^(١) الوقت^(٢)، وهو كأن الأجل المضروب لهن في العدة قبل أن يُنسخ بأربعة الأشهر والعشر، وقد اتصل بقوله: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾، قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، برفع الحرج وأنهن لم يقع منهن معصية في الخروج؛ وإنما ذلك لخروجهن^(٣) عند الأمر، فقد تقيّد خروجهن بوقت معلوم، وهو تمام الحول، فارتفع الإيهام.

قلت: بقي رَغِيُ المناسبة في اللفظ، وذلك مما يتأكد التفاته، فوضّح وُضُوح^(٤) كُلُّ من^(٥) العبارتين على ما يجب من المناسبة.

وجواب ثانٍ وهو أن قوله في الآية الأولى ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، المراد به^(٦) الوجه الذي لا ينكره الشرع، فوقع^(٧) قوله ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، موقع أن لو قيل بالوجه الذي لا ينكره الشرع ولا يمنعه، ولهذا وصل الفعل هاهنا^(٨) بالباء، والإحالة^(٩) على متقرر معلوم، وهو الشرع فورد معروفاً بأداة العهد، وَعُدِّي فَعَلْنَ^(١٠) بالباء، ثم جاءت الآية الثانية لتأخرها في التلاوة مشيرة إلى تفصيل ما يفعلن في أنفسهن من التزيين^(١١) والتعرض للخطاب، وما^(١٢) يحاري ذلك من معروف، مما ليس بمنكر شرعاً. والمنكر هنا محرر للمعنى المقصود

(١) ك: معلوم.

(٢) هكذا أصلها في هامش ج، وفي جميع النسخ: الوقف ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) هـ، ج، ع، ب: بخروجهن.

(٤) ك: ورود.

(٥) ساقط من ج.

(٦) ساقط من ح، هـ، ب، ج.

(٧) من هنا إلى قوله (لا ينكره الشرع) ساقط من ك.

(٨) ج، هـ، ك: هنا يسقط هاء التثنية.

(٩) ج، ع: والا حال (؟).

(١٠) ج، هـ، ب: فعلهن.

(١١) ك: التزيين.

(١٢) من هنا إلى - ويتعرضن للخطاب، ساقط من ك بانتقال النظر.

من^(١) التبعية وهو تفسير. وكان قد قيل في الوجه المباح لمن الذي لا يمنعه الشرع، فْجُوبٌ بتفصيل مثير إلى أنه ليس [٣١/و] وجهاً واحداً لا يَتَعَدَّيْنَهُ بل لَهُنَّ أَنْ يَتَزَيَّنَّ، ويتعرضن للخطاب، ويُفَصِّحْنَ بما يطلبنه من صَدَاقٍ، وغير ذلك من مصالحن المباحة لهن شرعاً، فهذا موضع (من) وموضع التنكير، والأول موضع الباء والتعريف بحسب ما قُصِدَ في كل من الموضوعين على ما تقدم. وقد وضح جواب السؤالين.

والجواب عن السؤال الثالث أن تعقيب الأولى بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، مناسب لما قبله، من تَأْمِينِهِنَّ على أنفسهن فيما يلزمنهن في مدة العدة المذكورة من إحدادٍ، وما يتعلق به، وفيما يعلن بعده. فَإِنْ أَضْمَرْنَ^(٢) أو كَتَمْنَ ما لا يجوز فعلم الله سبحانه محيط بذلك، وهو الخير به. ولما وقع في الآية بعد قوله: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ وقام فيه احتمال أن يخرجن غير طائعات فَيَسْتَعْجِلْنَ، أو يَتَعَدَّيْنِ، ناسبه ذكر قدرته سبحانه عليهن بالمعاقبة^(٣) بما شاء، أو العفو عن^(٤) مرتكبهن، فهو العزيز الذي لا مُغَالِبَ له، والذي لا يفوته هارب، ولا يغيب عنه شيء.

٤٠ - الآية السابعة والثلاثون (غ) قوله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَفًا مِنْ نَبْلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ (٢٦١).

وقال تعالى في سورة يوسف (٤٣): ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ

(١) هـ، م، ب: ومن.

(٢) ج: أضهرن (٩)

(٣) ح، ب، ع: بالمعاقبة.

(٤) ح: من.

بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنْبُلَاتٍ خُضِرَ ﴿١﴾، فالمعدود واحد،
والعدد واحد^(١)، وقد اختلف المفسر للمعدود، فورد في سورة البقرة:
سُنَابِلُ، وبنيته «فَعَائِلٌ» فعائل من أبنية جمع الكثرة، وفي سورة يوسف:
سُنْبُلَاتٍ، وباب ما يجمع بالالف والتاء أن يكون للقليل ما لم يُقْتَصَرُ عليه أو
يعرض عارض.

فللسائل أن يسأل عن الفرق^(٢) الموجب لتخصيص كل واحد من
الموضعين بما ورد فيه.

والجواب أن آية البقرة منية على ما أعده الله تعالى للمنفق^(٣) في
سبيله، وما يضاعف له من أجر إنفاقه، وأن ذلك ينتهي إلى سبعمائة^(٤)
ضعف، والله يضاعف لمن يشاء. قد يفهم الزيادة على ما نص عليه من
العدد كما أشارت إليه آيات وأحاديث. فبناء هذه الآية على التكرير،
فناسب^(٥) ذلك ورود المفسر على ما هو من أبنية الجموع للتكرير، لحظاً
لللغاية المقصودة، ولم يكن ما وضعه للقليل في الغالب ليناسب ما تحفظ فيه
الغاية من التكرير.

أما آية يوسف فإنما بناؤها على إخبار الملك عن رؤياه سبع سنبلات،
فلا طريق هنا للحظ كثرة ولا قلة، لأنه إخبار برؤيا، فوجهه الإثبات من أبنية
الجموع بما يناسب [٣١/ظ] المَرثِيّ وهو قليل؛ لأن ما دون العشرة قليل.

(١) ج، ع: فالمعدود واحد، والمعدود واحد.

(٢) ب: صيغة السؤال (بسان عن الفرق...).

(٣) ك: للمنفقين.

(٤) هـ، م، ك، ع، ب: سبع مائة، على الأصل بالفصل وصوابها الوصل.

(٥) ح، ع: فناسب.

فَلُحِظَ فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ مَا بَعْدَهُ مِمَّا^(١) بِتَضَاعُفٍ إِلَيْهِ هَذَا الْعَدَدُ، وَلَيْسَ فِي آيَةِ يُوسُفَ مِمَّا يُلْحَظُ، فَافْتَرَقَ الْقَصْدَانِ، وَجَاءَ كُلُّ عَلَى مَا يَجِبُ وَيُنَاسِبُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٤١ - الآية الثامنة والثلاثون قوله تعالى:

﴿يَمْحَقُ^(٢) اللَّهُ الرُّبُوءَ وَيُزِيهِ الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٢٧٦).

وفي سورة النساء (٣٦، ٣٧): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا. الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾. وفي موضع ثانٍ (١٠٧): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾. وفي سورة الحديد (٢٣، ٢٤): ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. الَّذِينَ^(٣) يَتَخَلَّوْنَ﴾.

للسائل أن يسأل في هذه^(٤) الآية عن شيئين:

أحدهما: ما وجه اختصاص كل آية من هذه الأربع بالوصف المذكور فيها، الموجب لكونه تعالى لا يحب المتصيف به.

السؤال الثاني: أن تلك الأوصاف - إذا كانت موجبة لما حكم به تعالى عليهم من أنه لا يحبهم وقد استوت في إيجاب^(٥) هذا الحكم، فما وجه اختصاص آيتي النساء منها بتأكيد ذلك الحكم، بأن ورد^(٦) في آية

(١) هـ: ما لاية بعده مما.

(٢) كل النسخ: يمحو.

(٣) الذين يتخلون: محذوفتان من ب.

(٤) ب: صيغة السؤال (فيقال عن الفرق...).

(٥) هكذا في ك وعلى هامش ح، وفي: ح، م، ب: الحب، وفي هـ، ع: الحب.

(٦) م: فإن ورود، ك: بأن وورود.

البقرة وآية الحديد معطوفاً^(١) فيهما، وأورد^(٢) في آيتي النساء مؤكداً^(٣) بأن، وهل^(٤) لذلك لموجب يقتضيه؟

والجواب عن الأول، أن وجه اختصاص كل آية منها بما ورد فيها من الوصف الموجب لكونه لا يحب المتَّصف به^(٥)، مناسبة كل آية منها لما تقدمها. أما^(٦) آية البقرة فإن قبلها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾^(٧). فوصفهم بأكل الربا حتى أعقبهم ذلك تخبطهم في قيامهم كفعل المجانين وأنهم سَوُوا بين البيع المشروع والربا الممنوع؛ وذلك كفر وتكذيب قوصفوا بما يقتضي المبالغة في مرتكبهم من منع حب الله تعالى إياهم، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾^(٨). وفعال وفعل من أبنية المبالغة، وهو وصف مناسب لحالهم. وقد ورد قبل آية النساء قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٩)، فأمرهم سبحانه بعبادته وتوحيده بالإحسان إلى المذكورين في الآية. ومن الإحسان إليهم خفض الجناح، ولين المقال والانتصاف بما وصف الله به من يحبهم ويحبونه في قوله: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١٠)، والاختيال والعجز خلق

(١) م، ن، ب، ع: معطوف.

(٢) م: فيها ورد، ك، ب، ع: فيها ما ورد.

(٣) ع: مؤكداً.

(٤) م: وصل.

(٥) هـ، م، ع، ج: بها.

(٦) هـ، م، ع، ب، ج: وأما.

(٧) البقرة / ٢٧٥.

(٨) البقرة / ٢٧٦.

(٩) النساء / ٣٦.

(١٠) المائدة / ٥٤.

مضادة لهذه الأوصاف الحميدة مانعة منها، ولا يمكن معها الإحسان المطلوب في الآية. فلهذا أعقب في الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾، فإن المتصف بهذا متصف بنقيض الإحسان، فمناسبة هذا بيّنة [٣٢ / و].

وأما الآية الثانية من سورة النساء، فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ، إِمَّا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾^(١) ثم قال: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٢)، قدم الخائبيين، وحذر نبيه صلى الله عليه وسلم من معاونتهم والجدال عنهم، وأعقب أنه لا يحب من اتصف بصفاتهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾، وتناسب هذا أوضح شيء.

وأما آية الحديد فإن قبلها قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ - الْآيَةُ﴾^(٣)، فناسب هذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، فقد وضعت مناسبة كل آية من هذه لما اتصلت به، وأن كل آية من هذه المعانيات لا يلائمها غير ما اتصلت به، والله أعلم. وقد وضع في هذا الجواب، جواب السؤال الثاني، وهو أن آية البقرة إنما ترتبت على آكلي الرِّبَا، والمسؤولين بينه وبين البيع المشروع، وهؤلاء صنف واحد ومرتكبهم واحد، وأن آية الحديد ترتبت على حكم الخيلاء والفخر، وذلك إذا حُقِّق أيضاً راجع إلى الكِبَر، فالمادة واحدة. أما آية النساء، فلأن الأولى منهما تقتضي بحسب من ذكر فيها واختلاف أحوالهم

(١) النساء / ١٠٥.

(٢) النساء / ١٠٧.

(٣) الحديد / ٢٠.

(٤) م، ب: أكل.

تفصيل المرتكب، وتعداد المطلوب فيها وقد اشتملت على أمر ونهي،
 فناسب اتباع المطلب تأكيد المترتب عليه من الجزاء، فأكّد بأن^(١) المقتضية
 تأكيد الخبر، وكذلك الآية الثانية، لأن خيانة النفس تنتشر مواقعها، فتارك
 الطاعة قد خان نفسه، وفاعل المعصية كذلك وأفعال الطاعات^(٢) كثيرة لا
 تُحصَر^(٣)، وكذلك المخالفات، فناسب كثرة التأكيد. وهذا كله بخلاف آية
 البقرة، وآية الحديد في المرتكب فيهما، كما تقدم. فجاء كل على ما يجب
 ويناسب، والله أعلم.

٤٢ - الآية التاسعة والثلاثون (غ)^(٤) قوله تعالى:

﴿وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ

اللَّهُ﴾ (٢٨٤).

وفي سورة آل عمران (٢٩): ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوُهُ
 يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ فتقدم في هذه الآية ذكر الإخفاء، وتأخر في آية البقرة،
 والحاصل من الآيتين تعريف العباد بإحاطة علمه سبحانه بما ظهر وما بطن
 على حد سواء، كما قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ
 بِهِ﴾^(٥).

فللسائل أن يسأل عن وجه الخلاف في الآيتين^(٦).

(١) من ك، وفي ب: فأكّد من إن، وبقية النسخ: أكّد من المقتضية.

(٢) هـ، ب، ع، ج: الطاعة.

(٣) م، ك: تنحصر.

(٤) ساقطة من ج.

(٥) الرعد / ١٠.

(٦) ب: صيغة السؤال (يفاء ما وجه الخلاف في الآيتين...).

والجواب عنه - والله أعلم - أن إبداء الشيء وإخفاء خلافه في المعتقد، صفة المنافقين وبها امتيازهم [٣٢/ظ] من غيرهم من الكفرة. وقال تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾^(٢)، وهذا كثير في القرآن. وقد أعلم سبحانه أن المنافقين هم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وتوعدهم على ذلك باليم العذاب. قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) وحذر المؤمنين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٥) - إلى غير هذه الآي. فلما تقرر هذا النهي وتكرر، وقد تقدم آية آل عمران قوله تعالى ناهياً وزاجراً، ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦)، حذر من ذلك أشد التحذير، إلا عند التقيّة، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾^(٧)، ثم أتبع تعالى بتأكيد التحذير، فقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(٨)، ثم قال: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٩). فلما نهاهم عن المرتكب الذي به امتياز المنافقين كان أكد شيء وأهمه^(١٠)، إعلامه بأنه سبحانه يعلم ما يخفون^(١١) كعلمه بما يبشرون^(١٢)، لبناء المنافقين كفرهم على ما جهلوه من علمه

(١) آل عمران / ١٥٤.

(٢) البقرة / ١٤.

(٣) النساء / ١٣٨، ١٣٩.

(٤) النساء / ١٤٤.

(٥) الممتحنة / واحد.

(٦ - ٩) آل عمران / ٢٨.

(١٠) م، ب: وأبغضه، وقريب منها بدون أعحام في ع.

(١١، ١٢) ك: يخفونه، يبشرونه.

سبحانه سخفيات ضمائرهم^(١) وإلحادهم في ذلك جهلاً بما يجب لله
سبحانه وتكذيباً لرسوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ
عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٢) ، فهذا وجه تقديم الإخفاء في آية^(٣) آل عمران. وتأمل
تقديمه في الجاري مجرى هذه الآيات، كقوله سبحانه في قصة حاطب بن
أبي بلتعة - رحمه الله - ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا
أَعْلَيْتُمْ﴾^(٤). أما آية البقرة فلم يُجر فيها ذكر النفاق ولا صفة أهله، وإنما
الخطاب فيها وفي آية الذين قبلها، وفيها أُعْقِبَتْ به بعد للمؤمنين فيها
يُخْصِمُهُمْ مِنَ الْأَحْكَامِ فورد فيها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ
تُخْفَوُهُ يُخَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾، فقدم فيها بادي أعمالهم بناء على سلامة
بواطنهم وتزهرهم عن صفة المنافقين. ومنه قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ^(٥) مَا تُبْذُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾^(٦)، فتقدم ذكر ما يبدو منه؛
لأنه خطاب للمؤمنين. ومنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا
بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْذُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾^(٧)،
والخطاب للمؤمنين. وهذا جارٍ مطرد فيما يلحق بهذا الضرب كما أن المراد^(٨)
بالبدء بالإخفاء على الإعلان، حيث يتقدم ذكره^(٩) أهل الكفر وينتظم^(١٠)

(١) ج، ب: ضمائرهم.

(٢) التوبة / ٧٨.

(٣) هـ، م، ب، ع، ج: سورة.

(٤) المتحنة / واحد، وانظر في قصة حاطب: أسباب النزول للواحد / ٢٣٩، ولباب النقول / ٢١٦.

(٥) ك: أعلم.

(٦) المائدة / ٩٩.

(٧) النور / ٢٩.

(٨) ك: كما طرد، ب: محذوف منها (أن).

(٩) ك، ب: ذكر.

(١٠) ج: وينظم، م: أو ينتظم، ومضطربة في هـ.

الكلام بذكرهم كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرُكُمْ﴾^(١)، [٣٣ / و] بعد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾^(٢)، وكقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾^(٣)، بعد قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾^(٤)، وكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾^(٥)، وقد تقدمها قوله تعالى: ﴿أَيُّدَا كُنَّا تَرَابًا وَأَبَاؤُنَا آيُّدَا لَمُخْرَجُونَ﴾^(٦)، فاطرد ما ذكرناه في الطرفين على رعي الإيمان والنفاق، وجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم بما أراد.

٤٣ - الآية الموفية أربعين^(٧) (غ) وهي من تمام ما قبلها قوله تعالى:

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ (٢٨٤).

وفي سورة آل عمران (١٢٩): ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾. وفي المائدة (١٨) قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُل فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾. وفي سورة^(٨) الفتح (١٤): ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾. فورد في هذه الآية الأربع، تقديم الغفران، وتأخير التعذيب، وورد في سورة المائدة: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن

(١) الأنعام / ٣.

(٢) الأنعام / واحد.

(٣) التغابن / ٤.

(٤) التغابن / ٢.

(٥) النمل / ٧٤.

(٦) النمل / ٦٧.

(٧) ك: أربعون.

(٨) مساقطة من ح، ب، ع.

يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ^(١) بتقديم التعذيب وتأخير المغفرة على خلاف ما ورد في الآي الأربعة^(٢) المذكورة.

فللسائل أن يسأل عن ذلك^(٣). والجواب عنه - والله أعلم - أن هذه الآية لما تقدمها قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(٤)﴾. ثم بعد ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نِكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(٥)﴾. فقدم^(٦) في هاتين القضيتين^(٧) من خبر المحاربين والسارقين ذكر تعذيبهم جزاء على فعلهم، ثم ذكر المغفرة لهم إن تابوا، وأتبع ذلك بقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^(٨)﴾ - الآية^(٩). وبنائها على ما تقدم قبلها يليها كما تبين، فقدم ذكر العذاب على المغفرة لمناسبته^(١٠) لما اتصلت به، وبيّنت عليه.

وأما الآي الأربع فلم يقع قبل شيء منها ذكر مثل الواقع في سورة^(١١)

(١) الآية / ٤٠.

(٢) ساقطة من م.

(٣) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن وجهه).

(٤) المائدة / ٣٣، ٣٤.

(٥) المائدة / ٣٨.

(٦) ك: فتقدم.

(٧) هـ، م: القضيتين.

(٨) المائدة / ٤٠.

(٩) ك: مناسبة لما.

(١٠) ك: آية.

المائدة، وإنما تقدمها ما يفهم قوة الرجاء [٣٣/ظ] لمن أحسن وأنا ب كقوله في آية البقرة: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ﴾، والخطاب للمؤمنين. وورد قبل^(١) الآية الثانية من الأربع قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(٢)، وقبل الثالثة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ - إلى قوله - ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾. وفي هذا - وإن كان خطاباً لأهل الكتابين - تنبيه^(٣) لهم، وأنهم إن أسلموا وأنابوا لربهم رجوا عفوه ومغفرته. وقبل الآية الرابعة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَابِعُونَكَ إِنَّمَا يُتَابِعُونَ اللَّهَ﴾^(٤)، ولم يخرج الكلام إلى غير هذا من تعريف نبيه صلى الله عليه وسلم بعلية حاله، وما مُنحه، والإعلام بحال المخلفين^(٥) من الأعراب، وما جرى في ظنهم^(٦). وكل ذلك تثبيت للمؤمنين ومنبئ بما يعقبهم^(٧) الاستجابة لله ولرسوله، ثم أتبع ذلك بالإعلام بأنه سبحانه المالك لكل، والمتصرف فيهم بما يشاء، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وأفهم ذلك أن فعل المخلفين من الأعراب غير خارج^(٨) عما أَراده وقدره، وأن مخالفتهم لا تضره تعالى، وأنها صادرة عن قضاائه، فناسب هذه الآي الأربع بجملتها تقديم ذكر المغفرة، وجاء كل على ما يناسب، والله أعلم.

(١) هـ، م، ب، ع، ج: في.

(٢) آل عمران / ١٢٨.

(٣) ج، م: تنبيهاً.

(٤) الفتح / ١٠.

(٥) هـ: المختلفين، م، ب: المختلفين.

(٦) م: عليهم.

(٧) في جميع النسخ: نعتهم.

(٨) ج، هـ بإسقاط (غير) وفي هامش ح: جار على ما.

سورة آل عمران

٤٤ - الآية الأولى منها (غ) ^(١) قوله تعالى :

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ^(٢) وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ^(٣)﴾ .

فيسأل عن تخصيص الكتاب بلفظ ﴿نَزَّلَ﴾ المضاعف ^(٤)، وتخصيص التوراة والإنجيل بلفظ ﴿أَنْزَلَ﴾ .

والجواب عن ذلك، أن لفظ نَزَّلَ يقتضي التكرار لأجل التضعيف . تقول : ضَرَبَ مُخَفِّفًا لِمَنْ وَقَعَ مِنْهُ ذَلِكَ ^(٥) مرة واحدة، ويحتمل الزيادة، والتقليل أسبب وأقوى . أما إذا قلنا ضَرَبَ بتشديد الراء، فلا يقال إلا لمن كثر ذلك منه . فقوله تعالى : ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، مشير إلى تفصيل المنزل، وتنحيمة بحسب الدواعي ^(٦)، وأنه لم ينزل دفعة واحدة . أما لفظ أنزل، فلا يعطي ذلك إعطاء نَزَّلَ وإن كان محتملاً ^(٧)، وكذلك جرى ^(٨) في أحوال هذه الكتب، فإن التوراة إنما أوتيتها موسى صلى الله عليه وسلم ^(٩) جملة واحدة في وقت واحد، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ - الآية ^(٩)،

(١) ساقطة من ج .

(٢) هـ، ك، ع : فصل بين يديه، وأنزل بقوله : (ثم قال) .

(٣) من هنا إلى أنزل ساقط من ح، هـ، ع .

(٤) ج، هـ، م، ع : ذلك عليه، وبهامش ح : ذلك منه، ب . عليه ذلك

(٥) ج، م : الدعاء، ب، ع : الدعوى .

(٦) هـ : عفلاً .

(٧) هكذا في ح، م، وفي ع . وكذا أجراً في، وبقيّة النسخ وكذا جرى .

(٨) هـ، م صلى الله عليه، ب : صلوات الله وسلامه عليه .

(٩) الأعراف / ١٤٥ .

أي المجموع. أما الكتاب العزيز، فنزل مقسّطاً من لدن ابتداء الوحي، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾^(١) الذي خلق^(٢)، إلى آخر عمره صلى الله عليه وسلم ونزول قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^(٤). ولنزوله مقسّطاً ما قال الكفار: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾^(٥)، فقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾^(٧)، وهو القرآن، ثم قال [٣٤/و] ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٨)، والمراد التوراة. فورد ذكر الكتابين بأداة^(٩) العهد في الكتاب وفي المنزل قبله، وأوضح ذلك أن المراد به^(١٠) التوراة، فحاء كما ورد حين أفصح بذكرهما في^(١١) قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، ثم قال: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ وحيث يُذكر أحد هذه الكتب مفرداً عن غيره، أو بغير الألف واللام العهدية فتأتي بلفظ «أنزل» فيهما، وأن أريدًا معاً كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾^(١٢). ومنه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(١٣). وهذا كثير في القرآن حيث يعبر عن

(١) لك: ربك - السورة إلى آخر عمره، ج: الخ عمره.

(٢) الخلق / واحد.

(٣) المائدة / ٣.

(٤) البقرة / ٢٨١.

(٥) المرقان / ٣٢.

(٦) النساء / ١٣٦.

(٧) ع: بأداة.

(٨) ساقط من ج، ع.

(٩) هـ، م، ب: ثم في.

(١٠) المائدة / ٥٩.

(١١) البقرة / ٤.

ذلك بـ «ما» وإن كانت موصولة؛ إذ ليس فيها من العهد ما في الذي، وفي^(١) الألف واللام، ولأ وقع الإفصاح باسم المنزل وهذا فرق واضح، لأن (ما) تفارق الموصولية فتخرج إلى الإبهام^(٢)، فلا تكون^(٣) فيها عهدية^(٤). أما الذي فلا تفارق ولا تخرج. فالعهدية فيها لازمة، وكذا إذا ذكر أحد^(٥) هذه الكتب مفرداً عن غيره، لم يُنكر ورودها بلفظ «أنزل»، «نزل». لأنهما يكونان بمعنى واحد، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾^(٦). وأما حيث يجتمع ذكرهما مُفصَّحاً باسم كل واحد، أو بأداة العهد كما تقدم، فلا يكون إلا على ما تقدم من حيث أن لفظ التضعيف أقوى في إعطاء معنى^(٧) التنجيم والتفصيل كما تقدم. وهذا مطرد على كثرة ما ورد^(٨) منه وتكرره^(٩)، ولم يرد إنزال^(١٠) التوراة بالتضعيف إلا في قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزَلَ التُّورَةُ﴾، وله وجه، وهو أن المراد ثبوت أحكامها وتنفيذها^(١١) وذلك أن بني إسرائيل حرم عليهم ببيغهم وظلمهم ما حرم في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ﴾ - الآية^(١٢)، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ

(١) هكذا في ك، وفي هـ، ب: وفي الألف واللام، وبقيّة النسخ: ما في الألف واللام.

(٢) ج، ع: الإبهام.

(٣) ب: يكون.

(٤) ج، ع: عهد.

(٥) ك: آخر.

(٦) الكهف / واحد.

(٧) ك: لفظ.

(٨) م: وقع.

(٩) ج، ع: تكرر.

(١٠) ج: نزل، ب: أنزل.

(١١) هـ، م، ك: تفعيدها.

(١٢) النساء / ١٦٠.

- الآية (١)، وعرف الله سبحانه نبيه والمؤمنين بذلك، أنكرت بنو إسرائيل تخصيصهم بذلك، وزعموا أنهم لم يُخصَّصوا به، وأنه قد كان محرماً على نوح وإبراهيم، وكل من تقدم بني إسرائيل من الأمم (٢)، فأكذبهم الله تعالى في ذلك وقال: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالاً لِّنَبِيِّ إِسْرَآئِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَآئِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ﴾ (٣)، أي من قبل حصولها منزلة، وتنفيذ حكمها وثبوتها. فلما قصد معنى استقرارها وتنفيذ حكمها، ورد اللفظ مضعفاً ليشير إلى حكم ثبوتها واستقرارها - والله أعلم بما أراد.

ولهذا - والله أعلم - لم يرد في غير هذا الموضع ذكر إنزالها بالتضعيف. قلت: تعرض أبو الفضل بن الخطيب لقوله تعالى: ﴿نُزِّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ (٤)، وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، ووجه ذلك على ما ذكرته، ثم اعترض (٥) ذلك بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ (٦)، ولم يفصل (٧)، وقال إنه مشكل، وقد بينا أنه لا إشكال في ذلك على ما قد تقعد، والحمد لله.

٤٥ - الآية الثانية قوله سبحانه:

﴿كَذَّابٌ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا [٣٤/ظ] فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١١).

(١) الأنعام / ١٤٦.

(٢) في جميع النسخ: الأمة. وما أثبتناه هو مقتضى السياق.

(٣) آل عمران / ٩٣.

(٤) ساقط من ك، ب.

(٥) ك: اعترض علي.

(٦) الكهف / واحد.

(٧) هـ، ك، ح، ب. يفصل.

وفي سورة الأنفال^(١) (٥٢): ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ
إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. وبعدها (٥٤): ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَاثِبٍ ظَلِيمٍ﴾.

للسائل أن يسأل عن^(٢) هذه الآي في ستة^(٣) مواضع:

السؤال^(٤) الأول: الإخبار عنهم في سورة^(٥) آل عمران، وفي ثانية
الأنفال بقوله: ﴿كَذَّبُوا﴾، وقال في الأولى من الأنفال: ﴿كَفَرُوا﴾، ما وجه
ذلك؟

والثاني: ما وجه اختلاف الإضافة في كذبيهم وتكذيبهم. ففي آل عمران
﴿بِآيَاتِنَا﴾، وفي الأولى من الأنفال: ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، وفي الثانية: ﴿بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ﴾.

والثالث قوله في ثانية الأنفال^(٦): ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾^(٧)، وفي
الأخرين، ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

والرابع: قوله في سورة آل عمران: ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، وفي
الأولى من الأنفال ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، ولم يرد في الثانية هذا
الوصف.

(١) ج: أجمع الأئمة ﴿كفروا بآيات ربهم... الخ﴾.

(٢) ك: من.

(٣) هـ، م، ع: ست.

(٤) سقطت من ب.

(٥) ك: آية.

(٦) ب: ثانية الأول (٢).

(٧) سقطت من ح، ع.

والخامس: تفصيل العقاب في ثمانية الأنفال، ولم يرد في الآخرين^(١) ذلك التفصيل.

والسادس: تعلق المجرور من قوله، ﴿كَذَّابٌ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، وليس هذا مما بُني^(٢) عليه هذا الكتاب^(٣)، إلا أنه تيمُّته.

والجواب عن الأول، أن آية آل عمران لما تقدم قبلها ذكر تنزيل الكتب الثلاثة والإشارة إلى ما تضمنته من الهدى والفرقان، وإنما أتى على من كفر بصده عنها، وتكذيبه، ناسب ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾. ولما لم يقع في سورة الأنفال من أولها إلى الآية الأولى من الآيتين، ذكر شيء من الكتب المنزلة، ولا ذكر إنزالها. وإنما تضمنت حال المسلمين مع معاصريهم من كفار العرب ومعظم ذلك في قتالهم وحربهم، ناسب ذلك التعبير بقوله^(٤) تعالى: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، ثم لما تلتها الآية الأخرى من غير طول بينهما، وقع التعبير فيها بالتكذيب فقال: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، وعدل عن لفظ كفروا، لثقل التكرار مع القرب، وليحصل وشمهم بالكفر والتكذيب.

والجواب عن السؤال الثاني: أن الآية الأولى من سورة الأنفال، إنما جيء فيها بالاسم^(٥) الظاهر ف قيل^(٦): ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، لتقدم ذكر الملائكة في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ

(١) ج، ب، ع: الآخرين.

(٢) ج، ك، ع: يبنى.

(٣) ع: كتب الناسخ في الهامش: (لعمد الكلام) ولعلها قراءته للفظه الكتاب في الأصل.

(٤) ك: فقال.

(٥) ب: باسم.

(٦) م: فقال.

أُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ^(١)، ونسبة الفعل للملائكة. وتقدم أيضاً قوله: ﴿وَإِذَا زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٢)، ولم يتقدم في آل عمران، ذكر فعل لغير الله سبحانه، ولا نسبة شيء لسواه، فجاء بآيات الله مضافة إلى ضميره تعالى فقال: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، على طريقة الالتفات. وجاء في الأنفال: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، بالإضافة إلى الاسم الظاهر، ليُعلم أن الأمر له - عز وجل - وأنه مُرَبِّهِمُ الآيات، ولا فعل إلا له، وأن الملائكة مسخرون بأمره، وفعلهم [٣٥/و] من خلقه، وتزيين الشيطان لهؤلاء الكفار إنما هو بقدر الله وسابق مشيئته، وكل ذلك خلقه وملكه، والآيات آياته وله المثل الأعلى. وقيل^(٣) في الثانية ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، لجري^(٤) ما تقدمه متصلاً به من قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نُّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾^(٥)، فذكر ابتداءه بالنعمة، فناسب ذكر ملائكته سبحانه لهم بقوله: ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ فهو المحسن والمالك. ثم جرى القدر بما سبق لهم، فإيراد^(٦) قوله ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ مع ما تقدم، أوقع في نفوسهم، وأشد في تحسرهم وندامتهم، إذا شاهدوا الأمر فعلموا أنه مالکهم، وأنه ابتدأهم بالنعمة، فغيروا فحصل من ذلك أنهم قابلوا نعم ربهم بالكفر مع بيان الأمر ووضوحه. ولو قيل ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، لما أحرز هذا المعنى المعروف بملكيته لهم، والمشير لندامتهم وتحسرهم ولا خفاء^(٧) في الفرق بين قول القائل لمن كفر بنعمة الله: إنما كفرت بنعمة مالکك المحسن إليك، ومُبتدِيك بالنعمة، وبين أن لو

(١) (٢، ١) الأيتان / ٥٠، ٤٨.

(٣) م: وقيل الكائنة

(٤) ب: بآية.

(٥) م: يجري، ك: لجري مع.

(٦) الأنفال / ٥٣.

(٧) ب: بإفراد.

(٨) ج، ع، هـ: والإخفاء.

قيل: إنما كفرت بنعمة الله، فتأمل ما بينهما. ولهذا ابتداء دعاء الخلق في سورة البقرة إلى الإيمان بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ - إلى آخر^(١) الآيات.

والجواب عن السؤال الثالث، أنه قصد في الآية الثانية من الأنفال^(٢)، تفصيل عقابهم بإغراق آل فرعون وأخذ من عذابهم بغير ذلك. وقال: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾، ليخالف قوله في الآية قبل: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾، لاستثقال لفظ التكرار فيما تقارب ولما قصد من التفصيل، وقد ضمَّ الفريقين من المهلكين بذنوبهم والمفرقين في قوله: ﴿وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

[والجواب] عن الرابع أن قوله تعالى في الآية الأولى من الأنفال، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، مُقابل قول الشيطان لمن قدم ذكره من الكفار: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾^(٣)، فقبيل قوله المضمحل بإسناد القوة لله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ - الآية^(٤). ولما لم يرد في سورة آل عمران مثل هذا وقع الاكتفاء بقوله: ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، وزيد التأكيد في أولى^(٦) الأنفال، بأن زيادة اسمه سبحانه^(٧) القوي، لما ذكرنا^(٨)

(١) ج، هـ: الخ. وانظر الآيات / ٢١ - ٢٤

(٢) هـ، م، ب: الانفصال.

(٣) الأنفال / ٤٨.

(٤) في جميع النسخ (تري)، وهي قراءة عامة أهل المدينة والشام. انظر جامع البيان ٢٨١/١ - ٢٨٣.

(٥) البقرة / ١٦٥.

(٦) ح. في أول الأولى الأنفال، وأصلحها النسخ في هامش (في الآية الأولى والأنفال). هـ، م، ب في الأول والأنفال، ك: في أول الأنفال.

(٧) م: سبحانه وتعالى.

(٨) ك: ذكرناه.

أنفاً من رُعي التقابل.

والجواب عن السؤال الخامس، ما قدم في الجواب عن السؤال الثالث من قصد التفصيل^(١)، ثم إنَّ الوجه في تخصيص [٣٥/ظ] هذا الموضع بذلك، أنه آخر موضع وقع التذكير فيه بعدة آل فرعون في تكذيبهم وأخذهم بكفرهم، والترتيب الذي استقر عليه الكتاب العزيز متوقف على الآتي به صلى الله عليه وسلم، وقد بينا ذلك في غير هذا. وأن من ظن أن الترتيب من قبل الصحابة، فقد غفل وذهل عما بني عليه من جليل الاعتبار، وسنذكر ذلك في سورة القمر، إن شاء الله تعالى.

والجواب عن السؤال السادس، أن الكاف^(٢) متعلقة بمحذوف، وهو الخبر للمبتدأ، إذ التقدير، دأبهم، أو دأب هؤلاء، أو هذا كذاب آل فرعون.

وما قدره الناس من لتعلق بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ^(٣) وَقُودُ النَّارِ﴾^(٤)، أو غير هذا من التقدير، لا يرجح عند الاعتبار، ويصعب^(٥) تقدير^(٦) ذلك في ثانية^(٧) الأنفال، ويتكلف في الأولى منها، ولا يحسن معه المعنى^(٨). وفي استقلال الجملة من قوله: ﴿كَذَابُ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، وعدم التعلق الإعرابي بما قبله في جملة أخرى جزالة اللفظ^(٩)، وقوة المعنى فتأمل.

(١) إلى هنا في ب حرفه الناسخ إلى: والجواب عن السؤال (كلمة غير مفروضة) من قصة التفصيل....

(٢) م: الكتاب.

(٣) ساقط من ج.

(٤) آل عمران / ١٠

(٥) ج، ب، ع: بضعف.

(٦) ساقطة من ك.

(٧) ج: آيتي، ب: آية.

(٨) ك: زاد بعدها (ولا يقوى)

(٩) ك: النظم.

٤٦ - الآية الثالثة (غ) قوله تعالى :

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(١) (٢٧).

وكذلك في سورة يونس (٣١) : ﴿أَمْ نَجْعَلُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ﴾. وكذا^(٢) في سورة الروم (١٩)، وحيث وقع [و]ورد في سورة الأنعام (٩٥) : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَمُخْرِجُ الْمَمِيتِ مِنَ الْحَيِّ﴾. فوقع هنا^(٣) اسم الفاعل موقع الفعل وعاقبه فقال : ﴿وَمُخْرِجُ﴾.

فيقال عن هذا^(٤)، ووجه ذلك - والله أعلم - بناء آية الأنعام على آية بنيت على اسم الفاعل، وإن كان خبراً، وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾، ثم أعقب ذلك بقوله : ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ مَكْنًا﴾. فلما اكتنفت^(٥) الآية أسماء فاعلين، جيء فيها باسم الفاعل في قوله : ﴿وَمُخْرِجُ الْمَمِيتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ ليناسب ذلك، فعطف : ومخرج، على فالق، إذ هو معطوف على ما عطف عليه، فهو معطوف عليه ثم جيء بعد باسم فاعل وهو قوله : ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾، فتناسب هذا، ولم يقع في الآية الآخر المتضمنة لإخراج الحي من الميت، والميت من الحي، مثل^(٦) هذا، فلذلك لم يُعَدَّلْ إلى اسم الفاعل والله سبحانه أعلم.

(١) هـ، م، ك، ب، يولج، ويخرج في الآية بدل تولج ومخرج، لحن لا وجه له في القراءات.

(٢) ج : كذلك.

(٣) ساقطة من ج، هـ، ع.

(٤) إلى هنا محذوف من ب.

(٥) ك : اكتنفت.

(٦) ح : قيل.

فإن قلت: فما بال قوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾، في هذا الموضع
وَرَدَ بالفعل، وقد اكتنفه قوله: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ إلى قوله: ﴿وَمُخْرِجُ
الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾، وهما اسمًا^(١) فاعِلَيْنِ؟

فالجوابُ عن ذلك ما قاله الزمخشري قال: موقع قوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ
مِنَ الْمَيِّتِ﴾، موقع الجملة المبيِّنة لقوله: [٣٦/و] ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾،
لأن فَلَقَ الحب والنوى بالنبات والثمر اليابس من جنس إخراج الحي من
الميت، لأن اليابس في حكم الحيوان. ألا ترى قوله ﴿يُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا﴾، انتهى قوله^(٢)، ذكر هذا عقيب قوله ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾،
أنه معطوف على فَلَقَ الحب والنوى كما تقدم، وهذا من حسناته.

٤٧ - الآية الرابعة (غ) قوله تعالى:

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨).

ثم قال في الآية الثانية^(٣) (٣٠): ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ
بِالْعِبَادِ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه تعقيب الأولى بقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾،
وتعقيب الثانية بقوله: ﴿وَاللَّهُ^(٤) رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أنه لما تقدم قبل الآية الأولى قوله
تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. فنهاهم

(١) هـ: أسماء.

(٢) الكشاف ١/٥١٧ - ٥١٨.

(٣) م: الأخرى.

(٤) ك: بدون واو.

سبحانه عن ذلك ثم أردف بالتحذير بقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾، ثم استثنى سبحانه حال الثقة^(١)، فقال: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾^(٢). ثم قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ - أي عذابه - ﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أي ومرجعكم إليه، فلا يفوته هارب. فهذا كلام ملتجئ، جليل النظم والتنضيد، ثم أتبع هذا بإعلامه أنه سبحانه لا يخفى عليه شيء مما أكتنوه وأظهروه، فقال: ﴿قُلْ إِنْ تُخَفُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣)، فأعلم فيما يُعَلِّمُهُ بعِلْمِهِ المحيط بالأشياء وقدرته. والعلم والقدرة هما القاطعان لمنكري^(٤) العودة، وعلى إنكارهما بنى المنكرون حشر الأجساد شنيع مقالهم، وبشباتهما^(٥) اضمحل باطلهم، وقد أشارت هذه الآية العظيمة إلى علمه سبحانه بالمجربات^(٦)، وقدرته^(٧) عليها. وفي ذلك الشأن كله. ولعل الكلام يعود بنا إلى مقصود هذه الآية العظيمة، فنبسط من ذلك ما يشفي صدر المؤمن، ويقطع بالملحد، وإن كان أثمتنا من أهل الفن الكلامي قد شفووا في ذلك - رضي الله عنهم - فعرف سبحانه بالرجوع الأخروي إليه، ثم أخبر بأنه لا يغادر من أفعال عباده صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فقال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ - الآية^(٨). ثم قال معيداً^(٩) ومحدراً: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾. وأعقب بقوله: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ

(١) لك: التقية، تقية. والثقة هي القراءة الصحيحة، وقرأ يعقوب تقية، كمطية. جامع البيان ٦ / ٣١٧، الانحاف ١٧٢.

(٢) آل عمران / ٢٨

(٣) م: منكوي، لك: منكوي.

(٤) هـ، ج، ب، ع: بشباتها.

(٥) لك، ب: المجربات.

(٦) ج، هـ، ب: وقدرتها.

(٧) آل عمران / ٣٠.

(٨) ج، هـ، مقيداً، م: معيداً بالذال المعجمة.

بِالْعِبَادَةِ ﴿ لما تقدم من التذكير والوعظ والبيان والتحذير المبني على واضح الأمر والبيان وذلك إتمام منه سبحانه وإحسان يَسْتَجِرُّ خَوْفَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَابِدِينَ، فَنَاسِبُهُ التَّعْقِيبُ بِذِكْرِ رَأْفَتِهِ بِعِبَادِهِ - رَفَقًا بِهِمْ وَإِنْعَامًا وَتَلَطُّفًا - فَقَالَ ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادَةِ﴾، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ قَبْلَ الْأُولَى [٣٦/ظ] مَا تَقَدَّمَ هَذِهِ مُتَّصِلًا بِهَا، وَإِنَّمَا تَقَدَّمَهَا النَّهْيُ عَنِ مَوَالَاةِ الْكُفَّارِ، وَالتَّبَرُّيِّ مِنْ مُوَالِيهِمْ^(١) بِالْكَلِمَةِ، فَنَاسِبُهُ مَا أَعْقَبَ بِهِ، وَنَاسِبُ هَذِهِ مَا أَعْقَبَتْ بِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٤٨ - الآية الخامسة (غ) قوله تعالى في قصة زكريا عليه السلام:

﴿أَنْتَى يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ (٤٠).

وفي سورة مريم (٨): ﴿أَنْتَى يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَكَانَتْ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾.

للسائل أن يسأل عن اختلاف السياق في الآيتين مع اتحاد معنهما^(٢).

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن المعنى وإن كان في السورتين واحداً وفي قضية^(٣) واحدة، فإن مقاطع آية سورة مريم وفواصلها استدعت ما يجري على حكمها ويناسبها من لدن قوله تعالى في افتتاح السورة: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكْرِيَّا. إِذْ نَادَى رَبُّهُ نَدَاءً خَفِيًّا﴾^(٤) - إلى قوله في قصة عيسى عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ

(١) هـ: قولهم، ك: مواليهم (٢)

(٢) ب: صيغة السؤال (يقول ما الفرق بينهما مع اتحاد معنيهما).

(٣) ج: قصة.

(٤) كل النسخ (زكرياء) ممدودة وهي قراءة مافع وابن كثير وأبو عمر وابن عامر مرفوعة ممدودة،

وقراها عاصم ممدودة منصوبة. وقرأ حفص وحمزة والكسائي بالفصر. الانحاف / ٢٩٧،

والسبعة / ٢٠٤ - ٢٠٥.

حَيًّا^(١)، لم تخرج فاصلة منها عن هذا المقطع ولا عدل بها إلى غيره ثم عادت إلى ذلك من لدن قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٢) إلى آخر السورة، فاقتضت هنا مناسبة هذه السورة ورُود قصة زكريا عليه السلام على ما تقدم، لم يكن غير ذلك ليناسب. أما آية آل عمران، فلم يتقيد ما قبلها من الآي وما بعدها بمقطع مخصوص، فجرت هي إلى مثل ذلك، والله أعلم.

٤٩ - الآية السادسة (غ) قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ (٤١).

يريد والله أعلم آية على الحمل، يستعجل^(٣) الإشارة ف قيل له: ﴿ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾.

وفي سورة مريم (١٠): ﴿ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، مع اتحاد القصة، فيسأل عن ذلك^(٤).

والجواب - والله أعلم^(٥) - أنه - لما كان مقصوداً به التعريف بمنعجه الكلام^(٦) منصوباً على ذلك حتى لا يقع احتمال أن يكون المنع في الليالي دون الأيام، أو الأيام دون الليالي. وهذا كما في قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾^(٧)، فوقع^(٨) التنصيص

(١) مريم / ٢ - ٣٣.

(٢) الآيات / ٤١ - ٩٨.

(٣) ع: ليستعجل.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما مع اتحاد القصة).

(٥) ب: سافطنان.

(٦) ك: زاد بعدها (ثلاثة أيام بلياليهن).

(٧) الحاقة / ٧.

(٨) ك: لرفع.

على الوقتين، ليرتفع توهم أفراد أحد الوقتين دون الآخر، وكذا في آية آل عمران ومريم. فلما قصد هذا، وقع التعريف به من مجموع الآيتين وخصت آية آل عمران بذكر الأيام لمناسبة^(١) قوله: ﴿إِلَّا زَمْرًا﴾، إذ الرمز لا يفهم المقصود دون نطق، كالإشارة بالعين أو باليد. وقال مجاهد^(٢): بالشفقتين وكيفما كان، فإنما يُدرك بالعين. ولما^(٣) لم يذكر الرمز في آية مريم، ذكر فيها الليل، وحصل التعريف باستيفاء الوقت الممنوع^(٤) فيه الكلام، وما جعل له عوضاً منه وهو الرمز، وزيد في آية مريم التعريف باستواء الليالي في ذلك، فالمراد مستويات. فسوياً من صفات^(٥) ليل، انتصب على الحال، أو يكون المراد لا حرس بك ولا مرض؛ فيكون سوياً حالاً من الضمير في تكلم. فورد هنا سوياً [و/٣٧] مناسباً للفواصل ومقاطع الآية، وليس في آل عمران ما يستدعي ذلك، فورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

٥٠ - الآية السابعة قوله سبحانه:

﴿وَيَعْلَمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ. وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ

(١) ك، ب: ليناسب.

(٢) هو مجاهد بن جبر، من كبار التابعين، ثقة لقبه مفسر - مات سنة مائة أو بعدها بقليل. بقي من آثاره: كتاب في تفسير القرآن، برواية عبد الرحمن اهملاني، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية، برقم - ١٠٧٥ / تفسير.

(٣) ج، ب: وما.

(٤) هـ، ب، ع: مسوغ، بالباء للمجهول، م: مصوغ.

(٥) ب: صفة.

وَالْأَبْرَصَ وَأَخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴿٤٨﴾ (٤٩).

وقال في سورة المائدة (١١٠): ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا بِإِذْنِي فَتَكُونُ^(١) طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ - الآية.

للسائل أن يسأل عن تذكير الضمير^(٢) وتأنيثه، وعن وجه تكرير قوله سبحانه: ﴿بِإِذْنِي﴾ في آية المائدة، مضافاً إلى ضميره سبحانه في أربعة مواضع، مع وجازة الكلام وتقارب ألفاظ الآية. وقد جرى هذا الغرض في آية آل عمران، فورد فيها ذلك في موضعين خاصة، مضافاً إلى الظاهر من اسمه سبحانه.

والجواب عن السؤال الأول بعد تمهيد الجواز في تذكير الضمير في قوله: ﴿فَاتَّفَحُ فِيهِ﴾ في الآية الأولى وتأنيثه في الآية الثانية في قوله: ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾، مع اتحاد ما يعود عليه. فأقول - وأسأل الله توفيقه - قال الزمخشري في الأولى: الضمير للكاف، أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة^(٣) الطير فيكون طيراً^(٤)، أي فيصير طيراً^(٥) كسائر الطيور^(٦). وقال في قوله ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾، الضمير للكاف، لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى عليه

(١) في كل النسخ: فيه فيكون، والقراءة الثابتة ما أثبتناه.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تذكير الضمير).

(٣) ح، ب: هيئة.

(٤) هكذا في الكشف، وجميع النسخ: طائراً.

(٥) هكذا في الكشف، وفي ك، ب، وبقية النسخ طائراً.

(٦) انكشف ٣٢٤/١.

السلام] ^(١) وينفخ فيها، ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه ولا [من] ^(٢) نفخه في شيء. قال: وكذلك الضمير في ﴿فَتَكُونُ﴾ ^(٣). انتهى نص كلامه وهو واضح بين ^(٤).

وبقي السؤال عن وجه تخصيص كل من الموضعين بالوارد فيه، وهو من مقصودنا في هذا الكتاب، وعن وجه التكرار في قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في أربعة مواضع، مع وجازة الكلام، وتقارب ألفاظ الآية.

والجواب عن وجه التخصيص - والله أعلم - أن الترتيب الذي استقر عليه القرآن في سوره وآياته أصل مراعى، وقد تقدم بعض إشارة إلى ذلك، ولعلنا سنزيد في بيانه إن شاء الله. وعودة ^(٥) الضمير على اللفظ وما يرجع إليه أولى ^(٦)، وعودته إلى المعنى ثانياً عن ذلك، وكلا الرغبتين عال ^(٧) وصحيح. فعاد في آية آل عمران على الكاف؛ لأنها تعاقب «مثل» وهو مذكر. فهذا لحظ لمظي، ثم عاد في آية المائدة إلى الكاف من حيث هي في المعنى صفة، لأن المثل صفة في التقدير المعنوي، فحصل [ط/٣٧] مراعاة اللفظ أولاً ومراعاة المعنى ثانياً على ما يجب ^(٨)، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ^(٩) بعودة الضمير من «يَقْنُتْ»

(١) زيادة من من نص الكشاف.

(٢) هكذا في الكشاف، وفي ب. وبقية السخ: (تكون) بدون فاء.

(٣) الكشاف ١/٩٠.

(٤) ج: وعود.

(٥) ج، هـ، ع: ولا.

(٦) هـ: عالي، وساقطة من ك.

(٧) على ما يجب: زيادة من هـ، ك.

(٨) الأحزاب / ٣١.

مذكراً، رعيًا للفظ ﴿مَنْ﴾ ثم قال: ﴿وَتَعْمَلُ﴾^(١)، بالتاء رعيًا للمعنى، وهو كثير^(٢). وقد بينا أن رعي اللفظ في ذلك هو الأولى. فجرى في آية آل عمران على ذلك، لأنها متقدمة في الترتيب. وجرى في آية المائدة على ما هو ثانٍ، إذ هي ثانية في الترتيب الثابت، وذلك على ما يجب.

وجواب ثانٍ، وهو أنه قد ورد قبل ضمير آية آل عمران من لدن قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَعَهُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾^(٣)، نحو من عشرين ضميراً من ضمائر المذكر، فورد الضمير في قوله: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ مذكراً^(٤) ليناسب ما تقدمه، وليُشَاكِلَ^(٥) الأكثر الوارد قبله. أما آية العنقود^(٦) فمفتحة بقوله تعالى: ﴿أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾، وخلقه الطائر ونفخه فيه من أجل نعمه تعالى عليه^(٧)، لتأييده بذلك، فناسب ذلك تأنيث الضمير، ولم تكثر الضمائر هنا ككثرتها^(٨) هناك^(٩)، فجاء كل من الآيتين على أتم مناسبة.

والجواب عن السؤال الثاني، وهو تكرار قوله سبحانه ﴿يَا ذُنَيْي﴾ في آية المائدة أربع مرات، مع تقارب الألفاظ. ووجهه أن آية آل عمران، إخبار وبشارة لمريم^(١٠)، بما مُنِحَ ابنُها عيسى عليه السلام، وبمقاله^(١١) عليه السلام

(١) ك: بدون واو.

(٢) وهو كثير: ساقط من ج.

(٣) الآيات / ٤٤ - ٤٩.

(٤) مذكر: بالرفع في جميع النسخ.

(٥) هـ، م، ك: يشاكل.

(٦) يريد آية سورة المائدة، لأن «العنقود» من أسمائها.

(٧) ع، ج: نعمة الله تعالى، ب: نعم الله تعالى.

(٨) ب: لكثرتها.

(٩) ج: هنا.

(١٠) ح: إخبار لمريم وبشارة، وقد سقط لفظ «مريم»، في: هـ، م، ب، ع.

(١١) هكذا في ك، وبقية النسخ (ومقاله)، وفي هامش ح: ومقاله.

لبنی اسرائیل، تعریفاً برسالتہ، وتحدياً بمعجزته^(١)، وتبرّياً من دعوى استبداد، وانفراد لقدرة في مقاله: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ - إِلَى قَوْلِهِ - إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ﴾، إلى ما بعده^(٢). ولم تتضمن هذه الآية غير البشارة والإعلام. وأما آية المائدة، فقصد بها غير هذا^(٣)، وبنيت على توبيخ النصارى، وتعنيفهم في مقالهم^(٤) في عيسى عليه السلام، فوردت متضمنةً عدّه سبحانه إنعامه على نبيه عيسى عليه السلام^(٥)، على طريقة تجاري العتب، وليس بعتب، تقريراً يقطع^(٦) بمن وقع في العظيمة ممن عبده. ومثال ذلك فيما^(٧) يجري بيننا - ولكلام الله المثل الأعلى - قول القائل لعبده الأحب إليه، المُتَبَرِّي من عصيانه: ألم أفعل لك كذا^(٨)؟ ألم أعطك كذا؟ ويُعدّد عليه نعماً، ثم يقول: أفعل لك ذلك غيري، هل أحسنت إلى فلان إلا بما أعطيتك؟ هل قهرت عدوك إلا بمعونتي^(٩) لك. فيقصد السيد بهذا قطع تخيل من ظن أن ما كان من هذا العبد من إحسان إلى أحد، أو إرغام عدوّ، أن ذلك من قبل نفسه، مستبداً به، وليس من قبل سيّده. فإذا قرره السيد على هذا، واعترف العبد بأن ذلك^(١٠) كما قال السيد، انقطعت حجة من ظن خلافه، وتوهم استقلال

(١) ك: بمعجزاته.

(٢) الآية / ٤٩.

(٣) غير هذا - زيادة من ك.

(٤) في مقالهم - زيادة من ك.

(٥) فوردت - إلى هنا: ساقط من ج، ع.

(٦) هامش ج: يقطع حجة من.

(٧) ج، ب، ع: بما.

(٨) زاد في ح: وكذا.

(٩) ج، هـ، ب، ع: بمعاونتي.

(١٠) ك: أن ذلك، هـ: مضى.

العبد. فعلى هذا النحو - والله أعلم - وردت الآية [٣٨/و] الكريمة ولذلك تكرر فيها مع تكرر الآيات قوله تعالى: ﴿يَاذُنِي﴾^(١)، وتكرر ذلك أربع مرات، عقب أربع آيات مما خُصَّ به عليه السلام من خلق الطير، والنفخ فيه فيحيا^(٢)، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وهي الآيات التي ضل بسببها من ضل من النصارى، وحملتهم على قولهم بالتثليث، تعالى الله عما يقولون^(٣) علواً كبيراً، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾^(٤)، فأعلم^(٥) سبحانه أن تلك الآيات باذنه، وأكد ذلك تأكيداً يرفع توهم حول، أو قوة لغير الله سبحانه، أو استبداد ممن ظنه، ونزوة نبيه^(٦) عليه السلام عن نسبة شيء من ذلك لنفسه مستقلاً بإيجاده^(٧)، أو ادعاء فعل شيء إلا بقدره ربه سبحانه، وإذنه، وبرأه^(٨) من شنيع مقالاتهم. ويزيد^(٩) هذا الغرض بياناً، ما أعقبت به هذه الآي من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ - الآيات^(١٠) فهل هذا للنصارى إلا أعظم توبيخ وتقريع. والمقصود منه جواب عيسى عليه السلام بقوله في إخبار الله سبحانه عنه ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾^(١١)، فافتح بتزويه ربه، ثم نفى عن نفسه ما نسبوا إليه، وأتبع بالتبري والتسليم لربه تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُهُ﴾^(١٢). فآية آل

(١) هـ، م: ككرر لفظ (ياء ذني).

(٢) ك: فيحيى.

(٣) هـ، ك: يقولونه، ب: يقول الظالمون، وصوابها ما ألتناه.

(٤) المؤمنون / ٩١.

(٥) ك: فأعلم الله سبحانه.

(٦) زاد في ك بعدها: عيسى.

(٧) ج، ب: بالتحاده.

(٨) وإبراه من من (٩).

(٩) هـ ويزيد.

(١٠-١٢) المائدة / ١١٦ - ١١٩.

عمران بشارة وإخبار لمريم، وآية المائدة واردة فيما يقوله سبحانه لعيسى عليه السلام توبيخاً للنصارى كما بينا. فلما اختلف القصدان اختلفت العبارتان.

٥١ - الآية الثامنة قوله تعالى مخبراً عن عيسى عليه السلام:

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ (٥١).

وفي سورة مريم (٣٦): ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾^(١)، فعطف الآية على ما قبلها بواو النسق. وفي سورة الزخرف (٦٤): ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾، بغير حرف النسق، مع زيادة الفصل بالضمير من قوله، هو ولم يقع ذلك في الآيتين قبل، كما لم يقع العطف في الأولى والثالثة، فانفردت كل آية من الثلاث بما وردت عليه، مع اتحاد المقصد^(٢) فيما أعطته كل واحدة^(٣) منها^(٤).

فللسائل أن يسأل عن ذلك^(٥).

والجواب - والله أعلم - أن آية مريم لما تضمنت مقالة عيسى عليه السلام^(٦)، وآية كلامه في المهد، عبّر^(٧) عن حاله النبوية، وما منحه الله من الخصائص الاصطفائية، فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.

(١) ساقطة من هـ، ع.

(٢) ك: الفصد

(٣) ك: آية.

(٤) ك، ع: منها.

(٥) ب: صيغة السؤال (فيقان ما أوجه ذلك؟ ..).

(٦) زيادة من ك.

(٧) ك: محراً.

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا^(١)، إلى ما أعقب به هذا من الخصائص الجليلة^(٢)، مستوفاً^(٣) بعضها على بعض ليتبين تعداد تلك النعم - إلى قوله - ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ [٣٨/ظ] أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾^(٤). فذكر ما حفظ الله عليه من كرامته في هذه الأحوال الثلاثة: البشرية وهي حال الولادة، وحال الموت، وحال البعث بعده. وهذه أحوال تتزه الربوبية عنها، ويتعالى عن تجويزها عليه سبحانه، وإذا صحبتها السعادة لم تكن نقصاً في البشرية، إذ بها امتيازها وهي من حيث الحيوانية الحادثة فضلها^(٥). ثم لما كان من تمام إخبار عيسى عليه السلام، وتعريفه بما عرف به، وتكميل ما قصده [بـ] إقراره^(٦) لله سبحانه بالربوبية للكل في قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾، وكان متصلاً بما تقدم، وكان قد قال: إني عبد الله ومخصوص منه بكذا وكذا، ومعترف^(٧) بانفراد خالقي بملك الكل، وقهرهم، وخلقهم، فهو ربهم، ومالكهم، والمعبود الحق. فلما كان الكلام من حيث معناه متصلاً، وقد ورد^(٨) حين أخبر تعالى عنه بقوله عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ أن كلام عيسى عليه السلام^(٩) قد تم، وانقضى، وشرع في قضية أخرى من التعريف بحقيقة أمر عيسى عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ

(١) مريم / ٣٠ - ٣١.

(٢) ج، ب، ع. الجليلة.

(٣) م، ب: مسوقاً.

(٤) مريم / ٣٣.

(٥) هـ، ب: فضلها.

(٦) م: إفراده، وفي ك: ما قصد به إفراده.

(٧) هـ، معرف، ب، ع: ومعرف.

(٨) زاد بعدها في ك: (أثناء ما يعطي بمطهره).

(٩) هـ: من أول الآية إلى ما ساقط بانتقال النظر.

مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^(١). فورد هذا مورد الجمل التي كأنها مفصلة عما قبلها، مع الحاجة إليها، واتصال ما بعدها بما قبلها، لم يكن بُدَّ من حرف النسق، ليحصل منه أنه كلام غير منقطع بعضه من بعض، ولا مستأنف، بل هو معطوف على ما تقدمه من كلام عيسى عليه السلام، فلم يكن بد من حرف النسق، لإحراز هذا الالتحام إذ لم يكن ليحصل دون حرف النسق حصوله معه، فقيل: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾، وهو حكاية قول عيسى متصلاً من حيث معناه بقوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾، فالوجه عطفه عليه مع الحاجة إلى ما توسط^(٢) الكلامين. فهذا وجه ورود الواو هنا، ولم يعرض في آية آل عمران فصل بين الآية وما قبلها، يوم انقطاعاً، فتحتاج^(٣) إلى الواو. وهذا وجه دخولها في هذه الآية، والله أعلم. وأما زيادة الضمير الفصلي في سورة الزخرف، فيجوز مفهومه معنى ضرورياً دعى إليه ما تقدم في الآية قبله. وذلك ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾^(٤)، إلى ما يتلو هذه. ففي التفسير، أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ - الآية^(٥)، نعلق بها الكفار وقالوا: قد عُبدت الملائكة، وعبد المسيح، وأنت يا محمد تزعم أن عيسى نبي مقرب، وأن الملائكة عباد مقربون. فإذا كان هؤلاء مع آلهتنا في النار فقد [٣٩/و] رضينا، وجادلوا

(١) مريم / ٣٤، ٣٥.

(٢) ك: توسط بين الكلامين.

(٣) هـ، ك، ب: فيحتاج.

(٤) الزخرف / ٥٧ - وما بعدها.

(٥) الأنبياء / ٩٨.

بهذا فانزل الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾^(١) أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ^(٢)، وهذا مبسوط في كتب التفسير^(٣). فلما كان قد تقدم في سورة الزخرف ذكر آلهتهم، وقولهم : ﴿إِلَهُتَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾^(٤) يعنون المسيح، ناسبه ما أعقب به من قوله حاكياً عن المسيح^(٥) عليه السلام : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ فكان قد قيل هؤلاء غيره، فأحرز هو هذا المعنى. ولم يرد^(٦) في آية آل عمران وآية مريم من ذكر آلهتهم ما ورد^(٧) هنا، فلم يُحتج إلى الضمير المحرز لما ذكرنا، وسنورد إن شاء الله في قوله تعالى في سورة «والنجم»^(٨) : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى. وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾^(٩)، وقوله بعد : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَى. وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾^(١٠) بإثبات هذا الضمير في أربعة المواضع^(١١). وكونه لم يثبت في قوله : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ﴾، ولا في قوله : ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخِرَى﴾، ولا في قوله : ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾^(١٢). وتوجيه ذلك والفرق بين ما ورد فيه منها الضمير، وما لم يرد فيه ما يوضح وجه وروده في آية الزخرف، وسقوطه من الآيتين^(١٣) قبلها أتم إيضاح، وأشفاه. ومن هذا قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي

-
- (١) بعدها في ك (الآيات) وحذف بقية الآية.
(٢) الأنبياء / ١٠١، وبعد مبعدون في م : (الآيات).
(٣) راجع : أسباب النزول للواحدي / ١٧٥، ولباب النقول / ١٤٩، ١٥٠.
(٤) ج : أَمْ هُمُ.
(٥) م : بعد المسيح (عيسى بن مريم عليها السلام)، وفي ج : عليه السلام.
(٦) ك : ولم ير - بالضم فالفتح.
(٧) ج، ب : فأورد.
(٨) ب : في سورة النجم في قوله تعالى.
(٩، ١٠) الآيات / ٤٣ - ٤٤، ٤٨ - ٤٩.
(١١) ج، ع : الأربعة المواضع، ب : أربعة مواضع.
(١٢) الآيات على الترتيب. في سورة النجم / ٤٥، ٤٧، ٥٠.
(١٣) ج : الآيتين.

كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ»^(١)، فانت^(٢) هنا^(٣)، كهو فيما ذكر^(٤)، ومحركة ذلك المعنى، من أفراد المشار إليه بالضمير، بما حصله الخبر، فتأمله فإنه بين فيما ذكرناه، والله أعلم.

٥٢ - الآية التاسعة [قوله تعالى]:

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾ (٥٢).

وفي سورة المائدة (١١١): ﴿وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِمِىَ وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾. فحذفت النون من (أنا)، في آية آل عمران تخفيفاً، وثبتت في آية المائدة، فقل (أنا) مع أن التخفيف بالحذف جائز^(٥) فيهما، والإثبات جائز، وهو الأصل.

فللسائل أن يسأل عن وجه^(٦) تخصيص كل من الموضعين بما ورد فيه. والجواب عن ذلك - والله أعلم^(٧) - أن آية المائدة لما ورد فيها التفصيل^(٨) فيما^(٩) يجب الإيمان به وذلك قوله: ﴿أَنْ آمِنُوا بِمِىَ وَبِرَسُولِي﴾،

(١) المائدة / ١١٧.

(٢) ج، ب: فانت.

(٣) ج، هـ، م، ع: هناك.

(٤) ب: هنا فيها هو مذكر (؟).

(٥) ما بعدها إلى وجائزه الثانية ساقط من ب بانتقال النظر.

(٦) صيغة السؤال (يقال ما وجه تخصيص . .).

(٧) ساقطة من ب.

(٨) هـ ك: الفصل.

(٩) ج، ع: بما.

فجاء على أتم عبارة في المطلوب وأوفاهما، ناسب ذلك أننا على أوفى الحالين، وهو الورود على الأصل. ولما لم يقع إفصاح بهذا التفصيل في سورة آل عمران، حين قال تعالى: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [٣٩/ظ]، فلم يقع هنا «وبرسوله»، إيجازاً للعلم به، وشهادة السياق، ناسب^(١) هذا الإيجاز الإيجاز، كما ناسب الإتمام في آية المائدة الإتمام، فقبل هنا: ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾، وجاء كل على ما يجب، ولو قدر ورود العكس، لما ناسب^(٢)، والله سبحانه^(٣) أعلم بما أراد.

٥٣ - الآية العاشرة (غ)^(٤) قوله تعالى:

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ (٨٦).

وفي سورة براءة (٧٤): ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾. إن قيل: إن الآيتين قد اتفقتا في أن المذكور^(٥) فيهما^(٦) قد وقع منه^(٧) كفر بعد إجابة وإذعان، فلم عبر عنه في آية آل عمران بالإيمان، وفي آية التوبة بالإسلام؟

فالجواب أن ذلك الاختلاف حال من عني بهما. وقد ذكر المفسرون أن آية آل عمران نزلت في الحارث بن سويد^(٨) الأنصاري، وكان قد أسلم ثم

(١) ك: وناسب.

(٢) ك: لما تناسب.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) هكذا في ك وسقطت غ من بقية النسخ، والآية من المغفلات في درة التنزيل.

(٥) ك: المذكورين

(٦) ب: فيها.

(٧) هـ، م، ك: منها، ب: منها.

(٨) ح: الأسود، وصوابها سويد كما في أسباب النزول لوحيد / ٦٤، ٦٥، وللب / ٤٨.

ارتدّ وليحق بالكفار، ثم ندم فأرسل إلى قومه ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هل له من توبة، فسألوا فنزلت الآية، فكتبوا^(١) بها إليه^(٢)، فأسلم وحسن إسلامه. فكانت حاله حال إيمان، ولم يكن في إسلامه أولاً بمن^(٣) عُرف بنفاق، ولا أنه أبطن خلاف ما ظهر منه من^(٤) إسلامه، فكانت حاله حال إيمان وتصديق، ولم يظهر خلافه^(٥)، وذلك هو الإيمان، فناسب حاله وصفه بالإيمان، وهو التصديق بالقلب. أما آية التوبة، فنزلت في الجلاس حين قال في غزوة تبوك^(٦): لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمُر، فنمي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستدعاه فحلف ما قال - وكان منافقاً معروفاً بالنفاق، يتظاهر بالإسلام ويبطن خلافه - فأنزل الله في قصته^(٧): ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾، فقل هنا بعد إسلامهم، مناسبة للحال، إذ الإسلام يقع في الغالب على الانقياد في الظاهر، وقد لا يكون المتصف به، مصداقاً بقلبه قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٨). وروى أن الجلاس^(٩) أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه. فاختصاص كل آية منها بالوصف الوارد فيها بين،

(١) هـ، ك، ع، ب، ج: وكتبوا.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) ج، هـ، ب، ع: من.

(٤) ج، هـ، ب، ع: لي.

(٥) ك: وتصديق صحيح لم يظهر خلافه.

(٦) زيادة من ك تطابق ما ورد في سبب نزول الآية.

(٧) هـ، ك: قضيته.

(٨) الحجرات / ١٤.

(٩) ج، هـ، ع: الجلاس بالخاء، وصوابها بالحيم، فهو الجلاس بن صويد بن الصامت. انظر:

جامع البيان ١٤ / ٣٦١ - ٣٦٥، أسباب النزول / ١٤٤، الباب / ١١٩، ١٢٠.

لاختلاف^(١) الحالين^(٢)، وفي^(٣) كل من السبعين قصة ذكرها المفسرون،
وأهل السُّير.

٥٤ - الآية الحادية عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٧)

وفي النحل (٣٣): ﴿وَلَكِنْ كَانُوا^(٤) أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

للسائل^(٥) أن يسأل عن ورود كان الناقصة^(٦) في آية النحل^(٧)، وعُرُوْ
آية آل عمران^(٨) عنها، مع اتحاد [٤٠/و] المعنى المقصود في الموضعين،
لاجتماع المذكورين فيهما^(٩) في ظلمهم أنفسهم.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن آية آل عمران إنما نزلت في
المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حاضرين عند نزول الآية،
فورد الإخبار مساوفاً لحالهم في وقت نزول الآية، وما يلي ذلك متصلاً به
من الزمان، فلم يكن لدخول كان التي تقتضي وقوع الشيء فيما تقدم من
الزمان معنى تحرزه. وأما آية النحل فإخبار عَمَّن^(١٠) تقدم زمانهم، وعُظِّمَ به
غيرهم. يبين ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، ثم قال:

(١) ج: للاختلاف، م: الاختلاف.

(٢) زيادة من ك يقتضيها السياق.

(٣) هـ، م، ع، ب، ج: في بدون عاطف.

(٤) ما بعدها محذوف من: ج، ب، م.

(٥) ج، ع: فللسائل.

(٦) ب: صيغة السؤال (ما وجه ورود كان الناقصة).

(٧) هـ، م، ب: آل عمران.

(٨) هـ، م، ب: النحل.

(٩) هـ، ع، ب، ج، م: فيها.

(١٠) ع: عن من.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾، فالإخبار عن هؤلاء القبيلتين أشبه^(١) بهم من بعدهم من معاصريه صلى الله عليه وسلم، فأحرزت كان هذا المعنى، ولانتمت الموضع، ولم تكن لتلائم آية آل عمران، ولا الوارد في آية آل عمران، ليناسب ما قصد في آية النحل، فجاء كل على ما يجب، والله أعلم.

٥٥ - الآية الثانية عشرة قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ^(٢) وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١٢٦).

وفي الأنفال^(٣) (١٠): ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُم وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٤).

للسائل أن يسأل فيقول: مقصود الآيتين^(٥) واحد^(٦) في لموضعين من حيث المعنى، وهي لقوم بأعيانهم، وهم أهل بدر رضي الله عنهم، فما وجه زيادة (لكم) في سورة آل عمران، ولم يرد في الأخرى، وتقديم القلوب على المجرور هنا، وتأخيرها عنه في آية الأنفال، واستئناف^(٧) تأكيد الإخبار بالصفتين العليّتين في سورة الأنفال بيان، ولم تردا جاريتين^(٨) على اسم الله سبحانه كما في آية آل عمران؟ فهذه ثلاث سؤالات.

(١) هـ، ك: المشبه بهم.

(٢) ساقط من ج، هـ، م، ب.

(٣) ك: وفي سورة الأنفال: وساقطة من ب.

(٤) هـ: سقط منها قوله (وفي الأنفال - إلى آخر الآية).

(٥) هـ، م، ب، ج: الاثنين.

(٦) ب: صيغة السؤال (يقال مقصود الآيتين واحد . . .).

(٧) ج: بدون الواو، وقد حذف في ب ما بعدها إلى قوله (في سورة الأنفال).

(٨) م، ع: هذه الكلمة وساققتها مضطربتان لا تستقيم قراءتهما.

والجواب عن الأول والثاني - والله أعلم - أن آية آل عمران لما تقدم [قبلها] ^(١) قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيَكُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ﴾ ^(٢)، والإخبار عن عدوهم، فاختلط ذكر الطائفتين وضمهما كلام واحد، فحررت ^(٣) البشارة لمن هي منهما ^(٤)، وأنها لأولياء الله المؤمنين؛ فجاء بضمير خطابهم متصلاً بلام الجر المقتضية للاستحقاق فقيل: ﴿بُشِّرَى لَكُمْ﴾ وبين أن قلوبهم هي المطمئنة بذلك فقيل: ﴿وَلَتَطْمِئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾، فقدمت القلوب على المجرور اعتناءً، وبشارة، ليمتاز أهلها ممن ليس له ^(٥) فيها نصيب. أما آية الأنفال فلم يتقدم فيها ذكر لغير المؤمنين، فلم يحتج إلى الضمير الخطابى ^(٦) في «لکم». وأيضاً فإن آية الأنفال قد تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ ^(٧)، فأغنى عن عودته فيما بعده، اكتفاء بما قد حصل فيما ^(٨) تقدم من تخصيصهم بذلك.

والجواب عن السؤال الثالث، أن آية الأنفال [٤٠/ظ] تقدم فيها أوغاداً جليلاً، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ ^(٩)، ثم قال: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ ^(١٠) ثم قال ^(١١): ﴿لِيَحِقَّ الْحَقُّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ^(١٢). فهذه أوغاد

(١) ج، ك: فيها، وغير مثبتة في بقية النسخ، وما أثبتناه بناسب السياق.

(٢) آل عمران / ١٢٥.

(٣) ج: فحرزت، م: فجردت.

(٤) هكذا في جميع النسخ.

(٥) ك: لهم.

(٦) ج، ب، ع: ضمير الخطاب.

(٧) الأنفال / ٧.

(٨) م، ك: عما.

(٩، ١٠) الأنفال / ٧.

(١١) ساقطتان من ج، ع.

(١٢) الأنفال / ٨.

عليه، لم يتقدم إفساح بمثلها في آية آل عمران فناسبها تأكيد الوصفين العظيمين، من قدرته جل وتعالى على كل شيء، وحكمته في أفعاله^(١)، فقال^(٢) : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. ولما لم يقع في آية آل عمران إفساح بما في آية الأنفال، وردت الصفتان تابعتين دون تأكيد، وجاء كل على ما يناسب، ولم يكن عكس الوارد في تعقيب الآيتين ليناسب، وذلك واضح والله أعلم.

٥٦ - الآية الثالثة عشرة (غ) قوله تعالى :

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ﴾ - الآية. (١٣٣).

وفي سورة الحديد (٢١) : ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ - الآية. والمراد في الموضعين، الحث على
المبادرة إلى أفعال البر، وجزيل الثواب للمُتمثل، وقد اختلفت عبارة الأمر بذلك في
الموضعين، فحذف المضاف في الأولى، وجيء في الثانية بكاف التشبيه عوضاً منه، وقيل
في الأولى ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ﴾، على الجمع، وأفردت^(٣) في الثانية، فقيل :
﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فبيهما ثلاثة أسولة.

والجواب عن الأول - والله أعلم - أن المصارعة إلى الشيء قبل
مسابقتها. قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا
سَابِقُونَ﴾^(٤)، وقد أوضحنا في كتاب «البرهان» أن ترتيب السور متوقف على

(١) ج، ب، ع: أقواله.

(٢) في ك فقط.

(٣) ك: أفرد.

(٤) المؤمنون / ٦١.

أَصَحُّ الْمَأْخُذَيْنِ، وَأَمَّا تَرْتِيبُ الْآيِ فَلَا^(١) تَوْقُفٌ^(٢) فِيهِ، وَأَنْ ذَلِكَ كُلُّهُ مُعْتَمَدٌ فِيهِ غَيْرُ تَرْتِيبِ النُّزُولِ.

وَإِذَا ثَبِتَ هَذَا، فَوَجْهُ تَقْدِيمِ لَفْظِ: سَارِعُوا، تَقْدِيمٌ^(٣) الْمَسَارِعَةِ، وَوَجْهُ تَأْخِيرِ^(٤) سَابِقُوا، بِنَاءُ الْمَسَابِقَةِ عَلَى الْمَسَارِعَةِ. أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَسَارِعَ إِلَى الشَّيْءِ قَدْ يَحْصُلُ لَهُ مَا سَارِعَ إِلَيْهِ وَقَدْ لَا يَحْصُلُ، وَلَا يُقَالُ فِي الْغَالِبِ سَبَقَ إِلَّا فِيمَنْ تَحْصُلُ^(٥) لَهُ^(٦) مَطْلُوبُهُ. هَذَا هُوَ الْأَكْثَرُ، فَالْمَسَارِعَةُ مُتَقَدِّمَةٌ^(٧) فِي التَّرْتِيبِ^(٨)، قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(٩)، أَيِ ثَبِتَتْ، وَحَقَّتْ لَهُمْ. وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سَبَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، [وَصَلَّى] أَبُو بَكْرٍ وَثَلَّثَ عُمَرُ»^(١٠). وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَالسَّابِقَاتُ سَبْقًا﴾^(١١)، إِنَّهَا الْمَلَائِكَةُ تَسْبِقُ الْجَنَّ فِي [اسْتِمَاعِ

(١) ب، ع. فلما

(٢) ك. توقف.

(٣) ك: تقدم.

(٤) هـ، ب: تأخيرها.

(٥) ب: يحصل.

(٦) ساقط من ج، ب، ع.

(٧) ك: فالمسارع متقدم.

(٨) هـ، م، ك: الرتبة.

(٩) الأنبياء / ١٠١.

(١٠) ورد الحديث في مسند الإمام علي رضي الله عنه برواية أبي نعيم من طريقين: أولهما شريك،

عن الأسود بن قيس، عن عمرو بن سفيان عن علي، والثاني: عن سفيان، عن القاسم بن كثير

أبي هاشم، عن قيس الخارفي عن عبي. وبقية الحديث في الرواية الأولى: «ثم خلطتنا فتنة

بعدهم، يصنع الله فيها ما شاء» وفي الرواية الثانية: «ثم خبطتنا فتنة، أو أصابتنا فتنة فكان ما

شاء الله» المسند ١/ ١٢٥٥، ١٢٥٨، والمصلى هو الثاني في السابق.

(١١) البازعات / ٤.

الوحي] ^(١). فلما كانت المسارعة والمسابقة علي ما ذكرنا، ورد المتقدم في الترتيب أولاً، والمتأخر ثانياً [٤١/و] مراعاة للترتيب.

والجواب عن الثاني، أن آية آل عمران على حذف المضاف، كما تقدم، أي عرضها مثل عرض السموات والأرض. وقد أفصحت آية الحديد بما يقوم ^(٢) مقام هذا المضاف ويحصل معناه، وهو كاف التشبيه، إذ معناها معنى: مثل، وحذف المضاف مما يكون كثيراً [عند] ^(٣) قصد المبالغة، وكذا جعل الشيء نفس الشيء وهو مما ينقذح ^(٤) في آية آل عمران، وهو نحو قول الشاعر ^(٥)، عند قصد المبالغة: (رجز).

إن: الربيع، الحود، والخريف، بدا إلى العباس، والضيوفاً ^(٦) وهذا كثير، وإليه يرجع الوارد من قولهم: «نهارك صائم وليلك قائم» ^(٧)، وباب ذلك مما يقصد في المبالغة، فيجعل نفس الشيء. وأنشد سيبويه - رحمه الله ^(٨) - نحواً من ذلك ^(٩): (بسيط).

أما النهارُ ففي قيدٍ وسلسلةٍ والليلُ في بطنٍ منحوتٍ من السَّاجِ ^(١٠)

(١) بياض في الأصول. انظر: القاموس «سوق البحر ٨/٤١٩، اس كثير ٤/٤٦٧، نزعة القلوب ١٥٤/١.

(٢) ج، ع: بما هو يقوم.

(٣) في جميع النسخ: عن. ومقتضى السياق ما استأنه.

(٤) ج، ع: يبعد. هـ، م، ب: يتقدم، ولعل يتقدم تصحيف ينقذح. والقذح اسم من اقتداح النار واشتمالها، ويقال القذبح وهو السرق، أو ما ينفي في أسفل القدر، فيعرف بجهد. وفعل تأني بمعنى فاعل، وبمعنى مفعول.

(٥) ما بعدها إلى أو البيت ساقط من: هـ، ك، م، ب.

(٦) هـ، م: يدا. ك، ب: أبي العباس والضيوفاً بالمهنة.

(٧) الكتاب ١/١٦٠.

(٨) ساقط من ج، هـ، ب، ع.

(٩) ك: من نحو ذلك، ب: نحو من ذلك.

(١٠) نسب ابن السرياني البيت للحرفش بن يزيد بن عدة الطائي، وهو من أبيات الكتاب =

فجعل النهار في قيد وسلسلة، وجعل الليل في بطن منحوت من الصباح
مبالغة، وإنما المجعول الشخص. وقوله تعالى: ﴿عَرَضُهَا السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ﴾، يمكن إلحاقه بهذا القبيل وإن ظن أنه يباينه - والجامع قصد
المبالغة، كأن السموات والأرض، إذا وُصِلَ بعضها ببعض مصطفًا، نفس
عرض الجنة. ومن أبيات الكتاب^(١): (طويل).

لقد لُمِيتنا^(٢) يا أم غيلان، في السرى ونميت^(٣)، وما ليل المطي ينائم.

فنفى النوم [عن]^(٤) الليل، حين جعله نفس الشخص، مبالغة كما في
البيت. قيل: ويمكن في هذا كله حذف المضاف، أي: ذو ليل المطي،
ودو النهار، وذو الليل فإن الإمام - رحمه الله - لما أنشد هذا البيت،
جعله للاسم^(٥). ومن هذا الضرب ما يتخرج على حذف المضاف ويمتنع ما
سواه، نحو قوله^(٦): (وافر)

كأن غديرهم بجنوب^(٧) سلي نعام^(٨) قاق في بلد^(٩) قفار

الخمسين غير المسوية، والشج شجر هندي انظر: الكتاب ١/١٦٠، ١٦١، شرح أبيات
سيبويه لاس السيرافي ١/١٦١، المقتضب ٤/٣٣١، المحتسب ٢/١٨٤، شرح الأبيات المشككة
الإعراب / ٧١، الشتمري ١/٨٠.

(١) البيت لجرير في ديوانه / ٥٥٣، وفي النقائض / ٧٥٣، وانظر الكتاب ١/١٦٠، وبجاء القرآن
١/٢٧٠، ٢/٩٦، الخزانة ١/٢٢٣. وأم غيلان، بنت الشاعر، والسرى، السير بالليل،
والمطي ما يركب من اخطايا، ويريد الشاعر بليل المطي، ليل ركاب المطي.

(٢) ج: مميتنا.

(٣) ب: ولت.

(٤) في جميع النسخ: على.

(٥) ج، هـ، م، ك: الاسم.

(٦) البيت للنايفة الجعدي. وقيل إنه لشقيق الباهي، ونسبة ابن بري لشقيق بن جزء بن رباح في

اللسان (ق و ق). انظر: ملحقات ديوانه / ٢٤٢، شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي
١/٢٠٤، الكتاب ١/٢١٤، الشتمري ١/١٠٩، شواهد النحو رقم / ١٣١٨. وفاق النعام

بفوق، صوت.

(٧) ج: فجنوب، وغير معجمة في ع.

(٨) هـ: بغام، ب: نغام ذوق؟

(٩) ب: نار.

أي كأن غديرهم غدير نعام قاق، والغدير^(١) الصوت. ونخرج آية آل^(٢) عمران على هذا أوضح، وكلا الضربين يحرز المبالغة. وبالجملية فقصد المبالغة في مثل ما تقدم يستلزم في الغالب الإيجاز، إما بالحذف، وإما بجعل الشيء نفس الشيء، أو بتكرار لفظ يفهم بتكرره التهويل والتعظيم، ويقوم مقام أوصاف، وذكر أهوال، كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾^(٣)، و﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾^(٤). وقد ذكر سيبويه - رحمه الله - هذه الضروب في أبواب شتى، لافتراقها في أحكام تقتضي التبويب^(٥) مع اتفاقها [٤١/ظ] فيما ذكرنا، وفي جري الإيجاز في جميعها. ولما اتصل بقوله: ﴿عَرْضُهَا﴾ في آية آل عمران وهو مبتدأ، والخبر عنه مجموع، فقيل: ﴿السَّمَوَاتُ﴾، فأفصح الجمع بما^(٦) مهّدناه من قصد المبالغة والتعظيم، ثم أتبع ذلك بما يحرز مقصود ذلك من التعظيم والمبالغة أيضاً، وهو وصف من أعدت له الجنة الموصوفة، ووصفهم^(٧) بالمتقين وهم الذين وفوا بالإيمان وتوابعه التي بها يكمل مما ذكر في آية: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾، من لدن قوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ - إني قوله - ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٨)، ولم يكن قوله تعالى: ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ﴾ بالجمع، كقوله في آية الحديد: ﴿كَعَرْضِ السَّمَاءِ﴾، فأفرد، ولا قوله: ﴿أَعِدْتُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، كقوله في آية الحديد: ﴿أَعِدْتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾. فلما تضمنت آية آل عمران^(٩) من قصد

(١) ج: الغدير - بلا واو.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) الحاقة / واحد.

(٤) القارعة / واحد.

(٥) ج: المرتب، ب: الثوب، وغير مقروءة في ع.

(٦) ج، ب، ع: كما.

(٧) م، ك: ووصفهم.

(٨) البقرة / ١٧٧.

(٩) ح، ك، هـ: زللاً فيها (٩).

المبالغة من هذه الجهات والقرائن التي ذكرنا، ما لم تتضمن^(١) آية الحديد، ناسب ذلك جعل الغرض^(٢) نفس السموات والأرض، ومن غير إفصاح بالمضاف المقدّر^(٣) الذي لا بد منه عند بيان المعنى على ما تقدم. ولما لم يقصد في آية الحديد ذلك، أفصح فيها بما يعطي معنى: مثل، وهي كاف التشبيه، وورد كل على ما يناسب^(٤)، والله أعلم^(٥).

فإن قيل: [لم^(٦)] خُصَّتْ آية آل عمران بما تمهد من قصد المبالغة والتعظيم، دون آية الحديد؟ قلت: لبنائها على الخوض على الجهد، وعظيم فضله، وذكر قصة بدر وأحد من لدن قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ بِبَنِي الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ - إلى ما بعد الآية المتكلم فيها. ولما لم يكن في آية الحديد شيء من ذلك ناسب كلاً ما ورد فيه، والله أعلم.

٥٧ - الآية الرابعة عشرة قوله تعالى:

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (١٣٦).

وفي سورة العنكبوت (٥٨): ﴿لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

(١) ج: يتضمن.

(٢) ج، م: الغرض.

(٣) ج، هـ، م: المقرر.

(٤) ل: زاد هنا - ويلائهم.

(٥) ساقطتان من ب.

(٦) في جميع النسخ: لما.

للسائل أن يسأل عن وجه العطف في الأولى، وقوله في الثانية^(١) :
﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾، غير معطوف على ما قبله. ووجه ذلك - والله أعلم -
أن الآية الأولى لما وقع فيها ذكر الجزاء مفصلاً، معطوفاً، ف قيل: ﴿أُولَئِكَ
جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(٢)
ناسبه أن عطف الجملة الممدوح بها الجزاء ف قيل: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ
الْعَامِلِينَ﴾. ولما لم يفصل الجزاء [٤٢/و] في سورة العنكبوت، ولم يقع^(٣)
فيه عطف جاءت جملة المعطوف^(٤) غير معطوفة ليناسب^(٥) النظم^(٦)، والله
أعلم.

٥٨ - الآية الخامسة عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ
أَنْفُسِهِمْ﴾ (١٦٤)

وفي الجمعة (٢): ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾.

للسائل أن يسأل عن أن مقصد الآيتين^(٨)، الإخبار بامتثانه على^(٩)
العرب، بأن بعث فيهم رسولاً منهم ولم يكن من غيرهم، ثم اختلفت العبارة

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه العطف في الأولى والثانية .) .

(٢) ساقطة من ك.

(٣) ك، ب: ولا وقع.

(٤) ك: المدح.

(٥) ك: ليتناسب.

(٦) ج: المتنظم، ب: المتكلم، ع: المنتظم.

(٧) ساقطة من ع.

(٨) هـ: صيغة السؤال (لسائل أن يقول أن مقصد)، وفي ب (يسأل عن مقصد الآيتين).

(٩) ح، هـ: عن.

في البيان فقل في الأولى ﴿مَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، وفي الثانية: ﴿مِنْهُمْ﴾. فيسأل عن وجه ذلك.

والجواب عن ذلك أن قولك: [فلان] من أنفس القوم، أوقع في القرب والخصوص من قولك: فلان منهم. فإن هذا قد يراد للنوعية فلا يتخلص لتقريب المنزلة والشرف إلا بقريئة. أما من أنفسهم، فأخص، فلا يفتقر إلى قريئة. ولذلك ورد حيث قصد التعريف بعظم النعمة به صلى الله عليه وسلم، وجليل إشفاقه وحرصه على نجاتهم، ورأفته ورحمته بهم. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾^(١). وقال تعالى: فيمن كان على الندى من حال المؤمنين المستجيبين ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ﴾^(٢). فتأمل موقع قوله هنا ﴿مِنْهُمْ﴾، لما قصد أنه إنعام عليهم لم يوفقوا لمعرفة قدره ولا للاستجابة^(٣) المثمرة النجاة^(٤)، فقل هنا: ﴿مِنْهُمْ﴾^(٥). وأما^(٦) قوله صلى الله عليه وسلم: «سلمان منا أهل البيت»^(٧)، فإنه لما لم يكن رضي الله عنه من قريش، وأراد عليه السلام تقريبه وتشريفه عبر بما يعطي ذلك، ولا يخص خصوص قوله: من أنفسنا. وإنما تخلص لجذب الخصوصية بقريئة قوله عليه السلام: سلمان منا أهل البيت. وأما قوله عليه

(١) التوبة / ١٢٨.

(٢) النحل / ١١٣.

(٣) ب، ع: الاستجابة.

(٤) ب، ك: للنجاة.

(٥) هـ، م، ك، ب: تكرر فيها (لما قصد إتمام عليهم) بانتقال النظر.

(٦) هـ، م، ك، ب: فأما.

(٧) لم أجد هذا المتن في مناقب سلمان في صحاح الحديث الستة، ولم يذكره «فئسك» في معجم الفاظ الحديث النبوي. والثابت الصحيح في مناقب سلمان قوله عليه السلام: «سلمان ابن الإسلام، سلمان حلة بين غيبي». وقد حقق ألفاظ الحديث شمس الدين الذهبي، ونسها إلى علي بن أبي طالب في تاريخ الإسلام ١٦٠/٢، وانظر: المحاذات النبوية / ٢٤٧ رقم ٢٥٩.

السلام في فاطمة: «إنما»^(١) هي بَضْعَةٌ مِنِّي»^(٢)، فقد تحصل منه أتم
خصوص من وجهين:

أحدهما: قوله عليه السلام: مِنِّي، وهذا أخص من قوله عليه السلام^(٣)
مِنَّا. فتأمل^(٤) فهو منافٍ للشياع^(٥) الداخل في قوله مِنَّا.

والثاني: قوله بَضْعَةٌ، فجعلها عليه السلام جزءاً منه، وذلك أعلى
خصوص.

وأما قوله: «مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ»^(٦)، فالمراد منه تقريب الولاء من النسب،
وليس من أنفسهم، وقد تقدم قوله: «مِنْ أَنْفُسِهِمْ»، وفي مقابلة قوله:
«مِنْهُمْ»، وأد (مِنَّا) دونه في الشياع. وهي أخص وأبعد من الشياع، فتأمل
هذا.

ولما كان لفظ الأمين يتناول قريشاً وغيرهم من العرب ممن ليس من
أهل الكتاب قيل: «مِنْهُمْ»، فأنسبت^(٧) هذه الآية^(٨) بما فيها من الشياع
الذي مهّدناه^(٩)، عموم^(١٠) الأمين من العرب ممن أسلم وممن^(١١) لم يسلم.

(١) ح: إنها، وساقطة من ب.

(٢) الحديث متفق عليه من طريق أسود بن مخرمة مع اختلاف في لفظه. ففي البخاري ٢٦/٥:
«فاطمة بصعة مني»، وفي مسلم ٩٥/٥. «فإنما ابنتي بصعة مني»، ٩٦: «فإنما فاطمة بصعة
مني»، ٩٧: «إن فاطمة مني»، ٩٨: «ب فاطمة بنت محمد بصعة مني».

(٣) في ك فقط.

(٤) ساقطة من ك.

(٥) الشياع ككتاب بَقُّ الحطب - بكسر الدال - تشيع به النار، وقد يفتح. وفي هامش النسخة هـ
بخط غير خط النسخة: شيع، وهي مصدر الفعل شاع، بمعنى فشا وذاع. . .

(٦) الحديث في صحيح البخاري ٢٢١/٤، من طريق أسد لفتادة لشعبة لسليمان بن حرب
فالبخاري في باب ابن أخت القوم ومولى القوم منهم في حديثه صلى الله عليه وسلم إلى
الأنصار وابن أخت القوم منهم وانظر: سنن الترمذي ٣٩٠١/٥.

(٧) ج، م، ع: فأناسب. هـ، ب: فتاسب.

(٨) ك، ب: الكناية

(٩) ج: عهدناه. ك، ب: مهّدناه.

(١١) ك: ومن.

(١٠) ب: لعموم.

ولما قال في آية آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، فخص من أسلم. ناسب ذلك قوله: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ بخصوصه^(١)، كي [٤٢ / ظ] تقدم، ولم يكن العكس ليناسب، والله أعلم.

٥٩ - الآية السادسة عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (١٦٧).

وفي سورة الفتح (١١): ﴿يَقُولُونَ بِالسِّتِّهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

للسائل أن يسأل فيقول: إن مقصود الآيتين قد اتحد، لأن حاصله التعريف بأن كلاً من المذكورين في الآيتين أظهر خلاف ما أبطن، فلم قيل في الأولى: ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ وفي الثانية ﴿بِالسِّتِّهِمْ﴾، مع اتحاد المعنى؟

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن قوله في الأولى ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، ينبىء عن مبالغة واستحكام وتمكّن في اعتقاد أو قصد لا يحصل من قولهم بالسنتهم. ألا ترى قولهم: «تكلّم بملء^(٢) فيه» حين يريدون المبالغة. وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ^(٣)﴾، والمراد المبالغة في منعهم عن الكلام. وإذا خُتِم على الأفواه، امتنعت الألسنة عن الطق، وكان أحكم في المنع. ولما كان المراد في الآية الأولى الإخبار عن المنافقين، كعبد الله بن أبي وأصحابه، ممن استحکم نفاقه وتقرر، فقال يوم أحد ما حكى الله في المخالفين لهم من الأنصار ممن أكرمه الله بالشهادة في ذلك اليوم: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾^(٤).

(١) ك: لخصوصية، ب: بخصوصية.

(٢) ك: على.

(٣) يس / ٦٥.

(٤) آل عمران / ١٦٨. وانظر: أسباب النزول / ٧٣ - ٧٥، اللباب / ٥٣، ٥٤، جامع البيان ٣٧٨/٧ - ٣٧٩.

- إلى ما قالوه من هذا. ثم وَرَّوْا عنه بقولهم لصاحبي المؤمنين: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْتَكُمْ﴾^(١) فأحبر الله تعالى عنهم بما أكنَّوه من الكفر فقال تعالى: ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٢).
 فناسب الإبلان في قوله تعالى: ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، ما انطَوَّا عليه واستحكم في قلوبهم من الكفر. وأما آية الفتح فإخبار عن أعراب ممن^(٣) قال تعالى فيهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(٤). وهؤلاء لم يستقر نفاقهم كالآخرين، وإنما أخلَّ بهم قرب^(٥) عهدهم بالكفر وإن لم يتقرر الإيمان في قلوبهم لكن لا عن نفاق كنفاق الآخرين. قال تعالى محمراً عن هؤلاء الأعراب: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾^(٦)، فمر هؤلاء قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٧)، فعبر بالآلسة إشعاراً بأن حال هؤلاء ليس كحال المنافقين المقصودين في آية آل عمران فلاختلاف حال الطائفتين اختلفت العبارة^(٨) عما صدر منهم، وورد كل على ما يناسب، ولم يكن عكس الوارد ليناسب، والله أعلم.

٦٠ - الآية السابعة عشرة قوله تعالى:

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
 وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (١٨٤).

(١) ٢، آل عمران ١٦٧.

(٢) ك: ملهين.

(٣) الحجرات / ١٤.

(٤) ك: أقرب.

(٥) ٧، الفتح / ١١.

(٦) ك: العبادة.

وفي سورة الملائكة (فاطر / ٤) : ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [٤٣ / و] ورد في هاتين الآيتين المفعول المقام^(١) مقام الفاعل، وهو رُسُل مُكْسَرًا. والاسم المجموع جمع تكسير، يجوز فيه التذكير والتأنيث. فورد في الآية الأولى : ﴿فَقَدْ كُذِّبَ﴾، على رعي عدم^(٢) التأنيث ولم يُقرأ^(٣) بغيره. وفي الآية الثانية : ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ﴾ على معنى^(٤) التأنيث لزوماً أيضاً مع وحدة اللفظ في المرفوع المفعول وما يجوز فيه من التذكير والتأنيث، فيسأل عن ذلك.

والجواب - والله أعلم - أن كلا^(٥) من الآيتين مراعى فيه، ما يلي تابعا للمرفوع من الوصف في الأولى، وما عطف في الثانية.

أما الأولى فقال تعالى : ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾^(٦)، ولا^(٧) يمكن هنا إلا هذا، فجرى على ما هو الأصل في جمع المذكر^(٨) من التذكير، فلم تلحق الفعل علامة التأنيث.

وأما آية الملائكة فَلَجِئَتْ النَّاءُ الْفِعْلَ رَعِيًّا لما عطف على الآية من قوله : ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾، وليس في هذا إلا التأنيث، سواء بُني الفعل للفاعل أو للمفعول، فنوسب بين الآيتين ف قيل «كُذِّبَتْ» على الجائز الفصيح في تأنيث المجموع المكسر، ليحصل التناسب، ولا يمكن عكس الوارد في الآيتين، والله أعلم.

(١) ساقطة من ج، ب.

(٢) ساقطة من م، ب.

(٣) ع: يُقرأ.

(٤، ٥) ساقطان من ك.

(٦) ساقطة من م، وزاد في ك بعدها «مقط».

(٧) م، ك: ولم.

(٨) زاد بعدها في ك: المكسر.

٦١ - الآية الثامنة عشرة (غ) قوله تعالى :

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٨٦)

وفي سورة لقمان (١٧) : ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ، بغير لام في خبر إن في الآيتين .

وفي سورة الشورى (٤٣) : ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ . فزيد في هذه الآية اللام المذكورة^(١) في الخبر ، فقل : ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ .

فللسائل أن يسأل عن الفرق^(٢) .

والجواب - والله أعلم - اختلاف ما وقع الحضر على الصبر عليه في هذه الآيات وأشير إليه بذلك فإنه^(٣) من عزم الأمور .

أما الأولى فإن قبلها : ﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ^(٤) مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾^(٥) . فوقع الإخبار بالابتلاء في الأموال والأنفس^(٦) ، وسمع^(٧) الأذى^(٨) ممن ذكر ، فعرفوا بثلاثة ضروب ، وأمروا بالصبر عليها ، وهي أربعة أشياء باختلاف^(٩)

(١) ساقطة من ب .

(٢) ب : صيغة السؤال (فيسأل عن الفرق) .

(٣) ك : وانه .

(٤) ب : الى آخر الآية محذوف واستبدله النسخ بكلمة (الآية) .

(٥) آل عمران / ١٨٦ .

(٦) ج ، ع : وفي الأنفس .

(٧) ك : سمع .

(٨) ب : الأدل ممن ذكر فقد فرىء ثلاثة ضروب (٩) .

(٩) هكذا في ح ، ك وبقيّة النسخ : بالتفاوت .

الشخصين ^(١) في المسموع منه الأذى، وأُعلِمُوا أن الصبر عليها من عزم الأمور.

وأما آية لقمان، فأشير فيها بذلك إلى أربع خصال أمر بها لقمان ابنه. وذلك قوله ^(٢): ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾. واتبعت بقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾. والأربعة في الآيتين من العدد ^(٣) القليل.

وأما آية الشورى ^(٤)، فالإشارة فيها بقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾، إلى آثني ^(٥) عشر [٤٣/ظ] مطلوباً من لدن قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ^(٦). وهذه إشارة إلى التنزه عن ذلك ثم قيل: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ^(٧). فأشار إلى الإيمان، والتوكل، والتزام ذلك، ثم قال ^(٨): ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ ^(٩)، فهذه التزامات ثلاث. ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ^(١٠)، فهذه التزامات أربع. ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ ^(١١)، فأشار إلى أن هؤلاء لا يظلمون أحداً، وأن أقصى ما يقع منهم الانتصار ممن يظلمهم، وذلك مباح لهم غير قبيح، وقد قيل بقوله بعد: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ ^(١٢) ثم عُرِف بحال أجل من ذلك وأَعْلَا ^(١٣) فقال: ﴿فَمَنْ عَفَا

(١) ك: التفصيل.

(٢) ساقطة من ج، هـ، ب، ع.

(٣) ج، ب، ع: العدد (٩)

(٤) ب: الشعراء، والصواب ما أثبتناه.

(٥) ب: اثنا عشر.

(٦، ٧) الشورى / ٣٦.

(٨) ساقطة من ج، هـ، م.

(٩، ١٢) الشورى / ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠ على الترتيب.

(١٣) زاد في ج، هـ، م بعدها كلمة وعمل.

وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ^(١) ، وأعلم مع علوّ هذا الملتزم أن المتصر من ظلمه ما عليه من سبيل، وأن^(٢) السبيل إنما هو على ظلمي الناس والباغين. وبعد هذه الخصال المنيعة^(٣) على العشر، قال تعالى في التزام جميعها: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، ولم يكن في الآيتين قبلها كثرة، فناسبها^(٤) عدم زيادة اللام. على أن ما خُتمت به آية الشورى من قوله ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٥) - وهي الخصلة الشاهدة بكمال الإيمان - للمتصف^(٦) بها. فلو لم يكن قبل قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ غيرها، لكانت بمعناها أعم من الخصال المذكورة في آية آل عمران، إذ تلك الخصال داخلة^(٧) تحت هذه الخصلة الجليلة ومن منظوماتها، فناسب ذلك أتم المناسبة، ولم يكن العكس ليناسب^(٨)، والله سبحانه وتعالى^(٩) أعلم.

سورة النساء

٦٢ - الآية الأولى منها^(١٠) (غ) قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ

(١) الشورى / ٤٠.

(٢) ج، ك: وإنما السبيل، ع: إنما.

(٣) في جميع النسخ (النيعة)، والصواب ما أثبتناه.

(٤) ك: يناسبها.

(٥) الشورى / ٤٠.

(٦) ج: إيمان المتصف، ع: الإيمان المتصف.

(٧) ساقطة من ج.

(٨) ب: مناسب والله أعلم.

(٩) ساقطة من هـ، م، ك.

(١٠) ساقط من ب.

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١﴾ .

وفي سورة الأعراف (١٨٩): ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾. وفي الزمر (٦): ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾.
فيها ثلاث سؤالات^(١):

أحدها: الفرق بين الخلق، والجعل، ووجه تخصيص الأخيرتين بجعل، والأولى بخلق، ووجه ورود «ثم» في آية الزمر عوضاً عن الواو.

والجواب عن الأول أن العبارة بخلق واردة على ما ينبغي، ومطابقة للمعنى^(٢) المقصود وهو المراد بجعل، إلا أن (جعل) ثانية^(٣) عنها، لتوقف الجعل على ما يتقدمه، لأن العبارة بخلق تكون^(٤) عند المتشرعين عن عدم سابق حيث لا تتقدم^(٥) مادة ولا سبب محسوس. واستيفاء الكلام وتحرير التمثيل بطول، وله مَظَانٌّ. وأما الجعل فيتوقف على موجود [٤٤/و] مغاير للمجعول يكون منه المفعول، أو عنه كالمادة والسبب. ولا يَرُدُّ في الكتاب العزيز^(٦) لفظ جعل في الأكثر مراداً به الخلق، إلا حيث يكون^(٧) قبله ما يكون عنه أو منه، أو سبباً فيه محسوساً عنه^(٨)، يكون^(٩) ذلك المخلوق الثاني بخلاف خلق، فإن العبارة تقع كثيراً به عما لم يتقدم وجوده وجود

-
- (١) أسولة.
(٢) ج، هـ، ع: للشيء.
(٣) ج، ع: نائبة.
(٤) ساقط من ك.
(٥) ج، ب: يتقدم.
(٦) ساقط من ح، هـ، ع.
(٧) ساقط من ح، ب: ع.
(٨) ساقط من ح.
(٩) ساقط من هـ، م، ع.

مغاير يكون عنه هذا الثاني . وقل ما تقع واحدة من العبارتين في القرآن على خلاف ما ذكرناه . قال تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(١) ، وإنما الظلمات والنور عن^(٢) اجزاء توجد بوجودها وتُعدم^(٣) بعدمها . أما السموات والأرض فليست كذلك ، أعني أنها لا ترتبط بوجود حادث [توجد]^(٤) بوجوده وتُعدم بعدمه . وإن قلنا بتقديم^(٥) مادة حسبها وردت^(٦) في القرآن في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾^(٧) . وفي الخبر المذكور في خلقها . وقال تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾^(٨) وفي هذه الآية والمنصلة بها قبلها^(٩) شَوْبُ^(١٠) تَصِيرُ^(١١) ، لتقارب المعنى في التصوير^(١٢) وما يكون من المادة . فقد لآخ الفرق بين خَلَقَ وَجَعَلَ ، ووجه تخصيص كل آية مما تقدم بالوارد^(١٣) فيها . وأما ورود جَعَلَ في آية الأعراف في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ، فلما قصد هنا من معنى السُكْنِ ، وكأنه^(١٤) أريد نَفْيُ المغايرة تقريباً وتأنيساً ، لحصول^(١٥) الركون والسكن الذي جعله الله من

(١) الأنعام / واحد .

(٢) ج ، ب ، ع : على

(٣) ج : تنعدم .

(٤) جميع النسخ : يوجد .

(٥) ب : تقدم .

(٦) ك : ورد .

(٧) فصلت / ١١ .

(٨) الزخرف / ١٢ .

(٩) ك : مثلها .

(١٠) ج : ثبوت ، وقد سقط ما بعدها إلى قوله «التصوير» من ك .

(١١) ج ، ع : تصير .

(١٢) م ، ك : التصير .

(١٣) ك : مما تقدم بالوارد فيها (٩)

(١٤) ما بعدها إلى قوله «والسكن» ساقط من ك .

(١٥) م : بحصول .

آياته ونعمه، لتستحكم^(١) سبيبة^(٢) التناسل والتكثير، فكانت جعل أوقع في هذا الغرض. ثم إن الخبر وارد بخلق حواء^(٣) من ضلع آدم^(٤)، فهذا نحو من المتقدم في سورة الأنعام. وعبر في سورة النساء بخلق، لمقصود الآية من التعريف بالأولية والابتداء، ولمناسبة ما اتصل بها من قوله ﴿خَلَقَكُمْ﴾، حتى يوافقه^(٥) في اللفظ وما قصد من المعنى.

وأما الجواب عن السؤال الثالث، وهو زيادة^(٦) «ثم» في سورة الزمر^(٧)، فلما قصد من الامتتان والإنعام على هذا الجنس الآدمي، ولتفاوت ما بين الآيتين العجيبتين من خلق الصنف الإنساني من شخص واحد وخلق زوجه منه، فجاء بـ «ثم المنبهة»^(٨) على معنى الاعتناء بذكر ما عطف بها، والتأكيد لشأنه للمزية على المعطوف عليه القائمة مقام التراخي في الزمان. قال الزمخشري: فإن قلت، ما معنى^(٩) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، وما يعطيه^(١٠) من معنى التراخي؟ قلت: هما آيتان من جملة الآيات التي عدّها دالاً على وحدانيته وقدرته، وهما^(١١) تشعب هذا الخلق [٤٤/ظ] الفائق للحصر وانتشاره^(١٢) من نفس آدم، وخلق حواء من قصيراه^(١٣)، إلا أن

(١) ج، ك، ع: لتستحكم.

(٢) م: بسببه.

(٣) ك: حوى.

(٤) هـ: ضلع من آدم.

(٥) ب: توافقه.

(٦) هـ، ب: الزيادة.

(٧) ك: الأنعام، والصواب ما أثبتناه.

(٨) ع: المنبهة، ك: المنية.

(٩) في الكشف ٣ / ٢٤: ما وجه.

(١٠) في الكشف ٣ / ٢٤: تعطيه.

(١١، ١٢) ساقطتان من الكشف.

(١٣) قصيراه: القصيرى، مقصورة أسفل الأصلاع، أو آخر ضلع في الجنب.

إحداهما^(١) جعلها^(٢) الله^(٣) سبحانه عادة^(٤) ، والأخرى لم^(٥) يُجر بها
العادة، ولم يخلق أنشئ غير حواء من قَصِيرَى رجل. فكانت أَدْخَلَ في كونها
آية، وأَجْلَبَ لعجب السامع، فعطفها بضم على الآية الأولى، للدلالة على
مباينتها^(٦) فضلاً ومزِيَّةً، وتراخيها^(٧) عنها فيما يرجع^(٨) إلى زيادة كونها آية؛
فهو من التراخي في الحال والمنزلة^(٩) لا من التراخي في الوجود^(١٠). قلت:
وعلى هذا المأخذ يسقط الاعتراض بأن ثم قد تجري^(١١) مجرى الواو، فلا
تقتضي^(١٢) ترتيباً ولا مُهَلَّةً لأن هذا الاعتراض إنما ينزل على أن ثم تقتضي
الترتيب الزمني وجوباً^(١٣). أما إذا قلنا، إنها تَرُدُّ لقصده^(١٤) التفاوت والتراخي
عن^(١٥) الزمني، فلا يحتاج^(١٦) إلى انفصال عن ذلك الاعتراض، ولا أن
نقول^(١٧): إن ثم قد تكون بمعنى الواو. قلت: ومن ورود «ثم» لما ذكر من
تراخي الرُّبَّة، قوله جل وتعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(١٨).

- (١) ك. أحدهما.
- (٢) م، ب، ع، هـ جمع.
- (٣) زيادة في م، ك.
- (٤) م، ب: عادة.
- (٥) ما بعدها إلى قوله «وأجلب» ساقط من ك، هـ، ب.
- (٦) ك: مباينتها.
- (٧) م: وتراخياً عنها.
- (٨) ب: يرجع.
- (٩) م، ك، ب: المزية، وما أثبتناه من الكشاف.
- (١٠) إلى هنا ينتهي نص الكشاف ٢٤/٣، وما بعده كلام لمؤلف.
- (١١) ج، ب: جري.
- (١٢) ج، ب: يقتضي.
- (١٣) هـ، م، ك: لروما.
- (١٤) ج: لقصر، م: يقصد.
- (١٥) ج: على، وفي هامش: غير.
- (١٦) ب، ك: ولا.
- (١٧) ح: نقول.

قال الزمخشري: ومنه ^(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ ^(٢)، وكلمة التراخي دلت على تباين ^(٣) المنزلتين دلالتها ^(٤) على تباين المرتبتين ^(٥) في: جاءني زيدٌ ثم عمرو، أعني أن منزلة الاستقامة على الخير ^(٦) مביئة لمنزلة الخير ^(٧) نفسه؛ لأنها أعلى ^(٨) منها وأفضل ^(٩). ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَعَرَ وَقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ^(١٠).

قال الزمخشري: إن قلت: فما معنى ثم، الداخلة في تكرار ^(١١) الدعاء؟ قلت: الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الأولى ونحوه قوله: (طويل).
ألا يا أسلمي ثم أسلمي ثم أسلمي ^(١٢)

أنشده النحويون على إلحاق تاء التانيث «ثم»، وأنشده الزمخشري ^(١٣).
ومثل ذلك ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ^(١٤) قال: جاء بِثُمَّ لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة على العتق والصدقة لا في الوقت، لأن الإيمان

(١) الكشاف: ونحوه.

(٢) فصلت / ٣٠.

(٣) م، ك، ع: ثبات.

(٤) م: دلالتها.

(٥) م، ب، ع: المرتبتين.

(٦، ٧) الخير.

(٨) هـ، م، ب. أغنى، وما أثبتناه من الكشاف.

(٩) النص في الكشاف ٣١٠/٢، وانظر: ٧١/٣ في تأويل آية «فصلت».

(١٠) المدثر / ١٨ - ٢٠.

(١١) ج، ب: تكرار، وفي الكشاف: تكرير.

(١٢) م: ثم تسلمى. والبيت لحميد بن ثور في ديوانه / ١٣٣، ورصف الجاني / ٤٥٣، وشرح

المفصل ٣٩/٣ وشطره الثاني:

ثلاثُ نحياتٍ وإن لم تكلمي

(١٣) النص في الكشاف ٢٨٧/٣.

(١٤) البلد / ١٧.

هو السابق المقدم^(١) على غيره، ولا يشت عمل صالح إلا به^(٢).
 فثم حيث لا يقصد مهلة الزمان^(٣) تحرز تنبيهاً على حال ما يعطف بها
 ومحله. والإشارة إلى أنه بحيث^(٤) لو لم يذكر ما قبله لكان كافياً في
 المقصود. هذا ما نحصله^(٥) [ثم]، حيث لا يقصد مهلة الزمان^(٦) فلما
 قصد في سورة الزمر الإنعام والامتنان، وتعداد ذلك تعظيماً وتفضيلاً، ورد
 بـثُمَّ، وقال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأُنْزَلَ
 لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾.

فإن قلت: فقد كان الوجه على هذا أن لو^(٧) قيل: ثم أنزل لكم من
 الأنعام. قلت: هذه نعمة لا تفتقر لبيان أمرها إلى التنبيه^(٨) بـثُمَّ، وليست
 موضع تَغْفُل^(٩) أو تَخْفِي وإنما موضع «ثُمَّ» حيث يراد الاعتناء والتنبيه على
 قدر المعطوف^(١٠) بها، لاحتمال أن تخفى. فإذا كان غير خافٍ وبيّن
 الاستقلال بنفسه [٤٥/و] لم يفتقر إلى هذا^(١١). ومن حيث قصد معنى
 الامتنان، كان جَعَلَ أَوَّلَى لما تقدم^(١٢) من معناها. وقد^(١٣) وضح ورود كل آية

-
- (١) م: المتقدم.
 (٢) زاد بعده في ك - الآية.
 (٣) هـ: م، ب: الزماني.
 (٤) زاد بعدها في ج، ع: وأنه.
 (٥) ج، هـ، م، ع: يحصله.
 (٦) ب: الزماني.
 (٧) ج، هـ، ب، ع: الو - موصولة.
 (٨) ج: اليئة.
 (٩) ك: بحيث تغفل، ج: تفضل.
 (١٠) م: المعطوفة.
 (١١) إلى هذا - زيادة من ك.
 (١٢) ك: قدم.
 (١٣) ك: فقد.

من الثلاث على ما يناسب المقصود من كل واحدة^(١).

٦٣ - الآية الثانية (غ) قوله تعالى:

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا
وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٥).

وفي آية أخرى بعد (٨): ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.

للسائل أن يسأل عن^(٢) زيادة ﴿وَاكْسُوهُمْ﴾، في الأولى، وسقوطه في
الثانية.

والجواب أن قوله تعالى: ﴿وَلَا^(٣) تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾، إنما المراد به
السفيه المتصرف إليه المال^(٤) ولا يحسن القيام عليه، فيحجر عليه^(٥) ماله إبقاء
عليه، ولا يمكن منه إلا بقدر ما يأكله ويلبسه فالنهي إنما هو للأوصياء،
ونسبة المال^(٦) إليهم مجاز بما لهم فيه من التصرف والنظر. أما الآية الأخرى
فليست في شأن أحوال السفهاء وحكمها، وإنما المراد بها المقتسمون لميراث
يخصهم، لا حق فيه لغيرهم، فيحضرهم قريب^(٧) فقير، ويقيم محتاج
ومسكين، فندبوا إلى التصديق عليهم، والإحسان لا لحق هؤلاء في المال. فمن

(١) ب: وحدة.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه زيادة . . .).

(٣) ساقطة من ج.

(٤) زاد بعدها في ك، ع. بإث.

(٥) م: في.

(٦) ح، هـ، ع: الملك.

(٧) ساقطة من ب.

أَيْنُ تَلَرَمُ كُسُوتَهُمُ وَالتَّنْصِيسُ عَلَيْهَا، إِنَّمَا نَدُّنَا إِلَى الْإِحْسَانِ بِالْمَعْرُوفِ^(١)، مِمَّا يَخْفُفُ عَلَيْهِمْ، وَيَسَّعُ ذَلِكَ كُسُوتَهُمْ أَوْ لَمْ يَسَّعْ. فَافْتَرَقَ مَقْصِدُ لَايَتِينَ، وَجَاءَ كُلُّ عَلَى مَا^(٢) يَنَاسِبُ.

٦٤ - الآية الثالثة (غ) قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٣).

وفي سورة المائدة (غ)^(٣) (٨٥) قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وفي آخر هذه السورة [غ] (١١٩) قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وفي سورة براءة [غ] (٨٨، ٨٩): ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا^(٤) مَعَهُ جَاهِدُوا^(٥) بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. اعِزُّوا لِلَّهِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وفي آية منها فيما بعد [غ] (١٠٠) قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ

(١) هـ، م، ك، ب: بالعفو.

(٢) ج: وجاء كل عاماً.

(٣) ساقط من ج، ب.

(٤) ساقط من ج.

(٥) ما بعدها إلى قوله ﴿خالدين فيها﴾ محذوف من ب، وفي موضعه «الآية» - إلى قوله -.

مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ^(١) وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

وفي سورة إبراهيم (غ)^(٢) (٢٣): ﴿وَأَدْخِلْ الَّذِينَ آمَنُوا وَاعْمَلُوا
الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ
رَبِّهِمْ﴾.

وفي سورة الكهف (غ)^(٣) (٣٠، ٣١): ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا^(٤)، أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ - الآية.

وفي سورة الحديد [غ] (١٢): ﴿بُشِّرْكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ^(٥) خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وفي سورة المجادلة [غ] (٢٢): ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ
وَأَيَّدَهُمْ^(٦) بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ﴾.

وفي سورة الصف (غ)^(٧) (١٠-١٢): ﴿يَنَّايَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ

(١) ما بعدها إلى قوله ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ محذوف من ب، وفي موضعه «إلى قوله»

(٢) ساقط من ج، ب.

(٣) ساقط من ج.

(٤) ما بعدها إلى قوله ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ محذوف من ب.

(٥) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».

(٦) ما بعدها إلى قوله ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».

(٧) في ك فقط، وساقطة من بقية النسخ، وهي من مغلطات «الدرة».

عَلَى نَجْرَةٍ تُنَجِّيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. تَوَمِّنُونَ ^(١) بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينُ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَذْنٍ.

وفي سورة التغابن (٩): ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ - الآية ^(٢).

وفي سورة الطلاق (١١): ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾.

وفي سورة البروج (غ) ^(٣) (١١): ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾.

وفي سورة البرية ^(٤) (غ) ^(٥) (٨): ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَذْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

فهذه ثلاث عشرة ^(٦) آية يجمعها التعريف بالجزاء الآخروي للمؤمنين، والإشارة إلى حال الجزاء ووجهه. وقد غرّض فيها مما يسأل ^(٧) عنه: مما اتفقت فيه أو اختلفت، وانفرد به بعضها دون بعض، ست سؤالات:

-
- (١) - بعدها في قوله ﴿الْأَنْهَارُ﴾ محذوف من ب، وفي موضعه «إلى قوله».
 - (٢) آية التغابن في م فقط ونصها: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.
 - (٣) في ك فقط، والآية من مغفلات الدرة.
 - (٤) هي سورة البرية.
 - (٥) ساقطة من ج، ب، وهي من مغفلات الدرة.
 - (٦) ب: ثلاثة عشرة. وهذا العدد بدون آية السماء فيدخل فيه آية التغابن التي انفردت بها (م).
 - (٧) هـ: يسأل (؟).

الأول: وهو اتفاق ^(١) أكثرها في ^(٢) ذكر الخلود ^(٣)، وقد كثر اختلافها فيما سوى ذلك.

والجواب عنه، أن وجه اتفاق أكثرها على ما ذكر، أن كل نعيم ينقطع فليس بنعيم في الحقيقة، وكذلك العذاب. وهذا واضح، فلولا الخلود لما كان نعيماً. فلهذا كثر تردده مع ضروب الجزاء.

والسؤال الثاني: ما وجه اجتماع الرضا والتأييد ^(٤) في الآية الثانية من المائدة، وثانية براءة، وآية ^(٥) البرية، ولم يجمع بينهما في البواقي. ووجه ذلك - والله أعلم - أن هذه الآيات [واردة] على ما يُذكر.

أما آية المائدة، فقد قال تعالى فيها: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾، وورد ^(٦) التصديق بعيسى ^(٧) عليه السلام ^(٨)، فوسمهم فيها بالصدق، وهو أسنى حالات الإيمان. وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ^(٩). فالصدق حال الأنبياء [٤٦/و] والرسل، وأولي ^(١٠) السوابق.

وأما الآية الثانية من سورة براءة ففيها: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، وسبقية هؤلاء رضوان الله عليهم وما عُرِفَ من حالهم،

(١) هـ، م، ب، ع: اختلاف.

(٢) هامش ج: على.

(٣) م، ب: الخلق.

(٤) ب: التأمل.

(٥) ل: وسورة.

(٦) ج، ب، ع: وورد.

(٧) م، ب، ع: لعيسى.

(٨) هـ، م، ب، ع: عليهم (٩).

(٩) التوبة / ١١٩.

(١٠) ج، هـ، م: بدون الواو.

وأنهم صفوة المحسنين^(١) من هؤلاء الأمة، معلوم ملحق لهم بنمط^(٢) الأعلين من الصادقين من أتباع الرسل. فلما كان المشار إليهم في الآيتين هم الأسوة والقُدوة لمن سواهم، ناسب حالهم الإطناب بذكر الرضا والتأييد، ولم يقع في الآيات البواقي وصف يلحق أصحابه^(٣) بهؤلاء وإن شملهم الرضا، والخلود في الجنة، لكن تجديد^(٤) الذكر والإفصاح بالمقدر المفهوم من سياق الكلام وعمومه له حكم قد بين في نحو قوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾، وبابه.

وأما آية البرية، فإنها - على مقتضى الترتيب الثابت - آخر آية ذكر فيها حال المؤمنين في الجزاء الأحراري، مُعقَّباً به^(٥) ذكر جزاء من كان في طرف من حالهم، من مُستَوْجِبِي النار على التأييد، فكانت^(٦) هذه الآية مظنة استيفاء للحال، فوردت ورود الآيتين قبلها.

والسؤال الثالث: وهو ما وجه تخصيص الآيات الأربع: آية المائدة، والثانية من سورة براءة، وآية الطلاق، وآية البرية، بذكر التأييد مع الخلود^(٧) فقيل: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، ولم يقع ذلك في البواقي.

والجواب عن ذلك استدعاء هذه المواضع الأربعة ذكر ذلك. أما آية المائدة وثانية براءة، فلما بُيِّنَا عليه من الإطناب، ولما^(٨) حُجِّل^(٩) فيهما^(١٠)

(١) ج، ب، ع: المحين، ولعل صوابها المجيين.

(٢) ج، هـ، ب، ع: بحظ.

(٣) هـ، م، ع، ج، ب: أصحابهم.

(٤) هـ، ك، ب: تجديد، بالحاء المهملة.

(٥) م: معقب به.

(٦) ج، هـ، ب، ع: وكانت.

(٧) ب: الخلق.

(٨) ج: ولها.

(٩) ب: جهل، وفي هامش ج: حصل.

(١٠) هكذا في م، وبقية النسخ (فيها) بالافراد.

على جمع^(١) التأييد والرضا حسبما تقدم في السؤال قبل هذا.

وأما آية الطلاق فوجه^(٢) ذكر^(٣) التأييد فيها ما تكرر في هذه السورة من ذكر غايات أبينها قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٤). فلما أشارت - أي السور - إلى غايات ونهايات، ناسب ذلك التعريف بأن خلود الجنة متأبّد لا انقضاء له، ولم يجمع بينه وبين ذكر الرضا. أي: لم يجمع لمن ذكر هنا ما اجتمع لأولئك الموصوفين في آية المائدة، وثانية^(٥) براءة، ولم يبلغوا مبلغهم.

وأما آية البرية، فإنها كما تقدم ختام حال الفريقين، فاقتضت الاستيفاء.

والسؤال الرابع: ما وجه اختصاص آية المجادلة بالرضا فقط، دون التأييد؟

والجواب عنه، أن المذكورين في هذه الآية وُصِفوا بما يلحقهم بأعلى نمط، وذلك قوله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾، ثم قال بعد: [٤٦/ظ] ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. والفلاح: الفوز والظفر بما يبغيه الراغب، وحيث يذكر الفوز، فهو مُغْنٍ عن ذكر التأييد إلا أن يقصد الإطناب. ولذلك لم يقع ذكر التأييد في آية النساء، والأولى من براءة، وسورة الحديد، والمجادلة، إذ الفلاح الفوز. فذكر الفوز أو الفلاح^(٦) مُغْنٍ عن ذكر التأييد فلم يجمع بينهما. ولما

(١) ب: جميع.

(٢) م: فوجه.

(٣) ب: ذلك.

(٤) الطلاق / ٣.

(٥) ح، ب، ع: آية.

(٦) ج: الفلاح والفوز.

لم يذكر في آية الطلاق الفوز، ولا ما يرادفه^(١) لم يكن بُدُّ من ذكر التأييد.

فإن قلت: فإن مقصود آية المجادلة الإطناب، فلم لم يجمع فيها بين التأييد والرضا؟

قلت: عدل إلى أوصاف، حصل منها خصوص وإطناب، فوقع الاكتفاء بها^(٢)، والله أعلم.

والسؤال الخامس، وهو وجه اختصاص آية المجادلة بقوله: ﴿أُولَئِكَ جَزَبُ اللَّهِ﴾. ووجه ذلك أنه قول قول فيمن قبل^(٣): ﴿أُولَئِكَ جَزَبُ الشَّيْطَانِ﴾، ثم لما طال الكلام بهذا المسوق للمقابلة مع دلالة ودلالة ما قُدم من كتب الإيمان والتأييد بروح^(٤) منه سبحانه، وذكر الفلاح لم يحتاج إلى ذكر أبداً كما أشير قبل.

والسؤال السادس، قد تحصل جوابه، وهو اختصاص التأييد فقط بآية الطلاق.

٦٥ - الآية الرابعة (غ) قوله تعالى:

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

وفي^(٥) سورة الإسراء (٣٢): ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

(١) م: يراد به، ك: يردفه.

(٢) ك: فيها.

(٣) هـ، م، ع، ج، ب: أن قوله فيمن.

(٤) هـ، م، ع، ج، ب: والتأييد خروج منه.

(٥) إلى آخر الآية في ك فقط وساقط من بقية النسخ.

للسائل أن يسأل عن زيادة ^(١) قوله : ﴿وَمَقْتًا﴾ في سورة النساء، وسقوط ذلك في سورة الإسراء.

والجواب عن ذلك أن نقول: إنَّ المَقْتَ هو النقص والاستحقار، ومتزوج امرأة أبيه فاعلٌ رذيلة ^(٢) يُمَقَّتُ فاعلها، وَيُشْنَأُ ^(٣)، وَتَسْتَحْشُهُ ^(٤) الطباع السليمة، فوصفت فعلته بالمقت، وساوت الزنا فيها وراء ذلك. فلهذا زيد في آية النساء قوله : ﴿وَمَقْتًا﴾.

٦٦ - الآية الخامسة [غ] قوله تعالى:

﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ (٢٥)

وفي المائدة (٥) ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾.

لا إشكال في هذه الآية، لأنَّ مُصْرَفَ الوصف في الأولى للإماء المتزوجات عند عدم الطُّول، ومُصْرَفَ الوصف في المائدة للمتزوجين من الرجال. وهذا السؤال، والذي قبله لا إشكال فيهما ^(٥).

٦٧ - الآية السادسة (غ) ^(٦) قوله تعالى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤١).

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه زيادة).

(٢) ب، ج، ع: رذيلة.

(٣) ب: ويشئ.

(٤) ج، ب: تستحشنه، هـ: تستحشنه.

(٥) هـ، م، ع، ج، ب: فيه.

(٦) ساقط من ج.

وفي سورة النحل (٨٩): ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه اختلاف^(١) ما اختلف في هاتين الآيتين في التقديم والتأخير من قوله^(٢): ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، وقوله: ﴿وَجِئْنَا [٤٧ / و] بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾، مع اجتماعهما في معنى واحد من شهادة الرُّسل على أممهم وشهادة نبيِّنا صلى الله عليه وسلم على أمته^(٣).

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن آية النحل تقدمها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فتقدم اسم الشهيد على المشهود عليه فورد ما^(٤) نُسِقَ على ذلك^(٥) من الإخبار بشهادته على أمته مرتباً على ما تقدم^(٦) من مقتضى المظم في التناظر والتناسب فقيل: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾، متوازن^(٧) مع قوله: ﴿شَهِيدًا عَلَيْهِمْ﴾، وذلك على ما يحب والله أعلم^(٨).

أما آية النساء فلم يرد فيها إفصاح بذكر المشهود عليهم، ولا كناية عنهم بضمير، ولا اسم إشارة، بل في آية النساء داع إلى تقدم المجرور بعلى، وهو أنه لما تقدم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختلاف . . .).

(٢) ب: حرف النسخ العارة إلى (وجئنا بك شهيداً على هؤلاء. وفي الأولى وجئنا بك على هؤلاء، متوازياً مع قوله شهيداً عليهم . . .).

(٣) ساقطة من ك.

(٤) هـ، م: لما.

(٥) ج، ع: بياض.

(٦) ك: ما تقدمه.

(٧) هـ، م: متواتراً، ج، ب، ع: متوازياً.

(٨) الله أعلم - ساقطة من هـ، م، ك.

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ^(١)، وذلك من صفات^(٢) المنافقين، ناسب هذا تقدم^(٣) المجرور في قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، حتى كأنه بحسب المفهوم لم يُقصد به غيرهم، ولا شهد على من سواهم وقد تقدم نحو هذا. ومنه:

لَتَقَرَّبُنَّ قَرْبًا^(٤) جَلْدِيًّا^(٥) مَا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيًّا^(٦)

وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٧)، وليس في آية النحل ما يقتضي ذلك، بل مقتضاها إطلاق شهادته عليه الصلاة^(٨) والسلام للجميع من صالح وطالح، إذ لم يتقدم قبلها التقييد، بل الظاهر مما تقدمها، أن المراد جميع من بُعث صلى الله عليه وسلم إليه فهذان حاملان من الآيتين على وجوب ورود النظم^(٩) على ما ورد. وأيضاً فإن قوله: ﴿شَهِيدًا﴾، في آية النحل، لم يقع في الفواصل بل^(١٠) [في] اثنائها. وتأمل ذلك من لَدُن قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا - إِلَى قَوْلِهِ - لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١١). ثم قال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ - إلى قوله - ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١٢). واستمرار الآية

(١) الآية / ٣٨.

(٢) م، ك، ب: صفة.

(٣) ك: تقديم.

(٤) هـ: قرناً.

(٥) غير معجمة في كل النسخ.

(٦) راجع تخريج البيتين في الآية رقم: ٣٢.

(٧) الإخلاص / ٤.

(٨) ساقطة من م، ك، ب.

(٩) ب: ورود وجوب النظم.

(١٠) ساقط من هـ، م، ب، ع.

(١١، ١٢) النحل / ٧٨، ٧٩.

على ذلك إلى آخر السورة^(١) ، ولم يتخلل^(٢) فيما اكتنفت الآية قبلها وبعدها فيما قرب منها غير ذلك. فقد تقررت فواصل هذه الآية من سورة النحل^(٣).

أما آية النساء فبناءً نظماً على فواصل، روعي فيها مجيء المُنُون المنصوب من غير التزام حرف بعينه، واستمرت الآية قبلها^(٤) على ذلك. وقوله: ﴿جِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فاصله استدعى^(٥) ورودها على ذلك ما تقدمها من الفواصل، وما تأخر عنها، وانتظم ذلك على أعلى^(٦) نظام وأجل [٤٧/ظ] مناسبة. ولم يكن عكس الوارد في الآيتين ليناسب، والله أعلم.

٦٨ - الآية السابعة (غ) قوله تعالى:

فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾.

وفي سورة المائدة (٦): ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ^(٧) مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

(١) هـ: الصورة.

(٢) هـ: يتحلل، ب: تتخلل.

(٣) ج: زاد الناسخ بعدها قوله (على النون الساكنة) بين معقوفين.

(٤) هـ، م، ع، ج، ب: قبله.

(٥) ج، ع: استدعاء.

(٦) هـ، م، ع، ج، ك: أعلا.

(٧) ج، ك: زاد بعدها (في الدين)، وصواب الآية ما أثبتناه.

للسائل أن يسأل عن زيادة^(١) ﴿مَنْهُ﴾ في سورة المائدة، وعن الواقع فيما أُعْقِبَتْ به كل آية منهما^(٢)، وعن الواقع من الطُّول^(٣) فيما أُعْقِبَتْ به آية المائدة. فهذه ثلاث سؤالات^(٤).

والجواب عن الأول منها، أن زيادة ﴿مَنْهُ﴾ في آية^(٥) المائدة، زيادة بيان. ألا ترى أن قوله تعالى^(٦): ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾، لا يحصل منه ما يحصل من زيادة ﴿مَنْهُ﴾، فزِيدَتْ بياناً. واختُصَّت بذلك آية المائدة، لتأخرها في الترتيب الثابت عليه المصحف. والبيان يتأخر عما هو بيان له، فجاء على ما يجب.

والجواب عن السؤال الثاني، وهو وجه التناسب بين هذه الآي وما أُعْقِبَتْ به، وهو أن آية النساء نزلت قبل تحريم الخمر^(٧). وقد ذكر المفسرون وغيرهم السبب في نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٨)، وأنها نزلت قبل التحريم كما تقدم. وكان شاربها قبل أن تُحَرَّمَ، ربما عَرَضَ له بسببها التأخير لصلاته^(٩)، كما أشارت إليه الآية، وفي تأخيرها^(١٠) عن أول وقتها

(١) ب: صيغة السؤال (يسأل عن زيادة...).

(٢) هـ، م، ع، ج، ب: بها.

(٣) ج، ب، ك: القول.

(٤) ب: ثلاثة أسئلة.

(٥) ج، هـ، م، ع: سورة.

(٦) في ك، فقط ومخلوطة من بقية النسخ.

(٧) نزلت في جماعة من الصحابة كانوا يشربون الخمر ثم يحضرون الصلاة بنشوتها. انظر: أسباب النزول / ١٠١، ١٠٢، الباب / ٦٣، ٦٤، جامع البيان ٣٧٦/٨، ٣٧٧.

(٨) النساء / ٤٣.

(٩) ج، هـ، ب، ع: بصلاته.

(١٠) ج، ب، ع: تأخرها.

نقص^(١) الفضل الموجود في أدائها أول وقتها. فلما كان ذلك مطّة لنقص الأجر، والوقوع في أدائها في آخر وقتها وبعد وقتها - وربما كان فيهما^(٢) الإثم^(٣)، والآية قد أعقبت بآية التيمم - ناسب ما تقدم التعقيب بقوله: ﴿إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا غَفُورًا﴾، إذ^(٤) العفو والمغفرة مرّجؤون في نحو ما تقدم.

وأما آية المائدة فإنه لما تقدم قبلها حليّة طعام أهل الكتاب وجواز نكاح نسائهم على الحاصل من قوله تعالى^(٥): ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾^(٦) وحال بني إسرائيل من تحريم الشحوم عليهم وغير ذلك مما شدّد^(٧) عليهم فيه مما هو مرفوع عنّا، ناسب ذلك تعقيب آية المائدة بقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فجاء كل على ما يناسب.

والجواب عن السؤال الثالث أن آية [٤٨/و] النساء غير مقصود بها ما قصد في آية المائدة من الإطباب. وتأمل ما انطوت عليه كل آية منها من عدد الكلّم والحروف من لدن قوله تعالى في النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ - إلى قوله - ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾^(٨)، وقوله في

(١) ب: نقص.

(٢) ساقط من: هـ، م، ع، ح، ك.

(٣) ج: الأثم.

(٤) ب: عمور.

(٥) هكذا في ع، وبقيّة النسخ (إذا).

(٦) محذوفة من ج.

(٧) آية / هـ.

(٨) ج، هـ، ك، ب: يشدد.

(٩) النساء / ٤٣

المائدة^(١): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ - إلى قوله - وَأَيْدِيَكُمْ مِنْهُ﴾^(٢)، تجد آية العقود^(٣) يزيد^(٤) عدد حروفها على آية النساء بضعا وثلاثين حرفاً. فلما أطيل في هذه، ناسبها ما أعقبت به، وبني^(٥) عليها من قوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ﴾^(٦) قِنْ حَرْجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُظْهِرَكُمْ وَلِيُثِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وناسب إيجاز آية النساء ما بني^(٧) عليها من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾، إيجازاً بإيجاز، وإطناباً بإطناب.

فإن قيل: إن الإيجاز في أي الكتاب، عهد^(٨) ما بني عليه، وهو الجاري في بلاغته، وإنما تم^(٩) أطناب الكلام لحامل وداع، فما الحامل على ذلك في آية المائدة؟ قلت: الحامل على ذلك فيها تفصيل ما وقع في الآي قبلها مما حلّ وحرّم من لدن قوله عز وجل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾، إلى تفصيل ما حلّ لهم في قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ إلى الآية المتكلم فيها^(١٠). فلما أحرى^(١١) ذلك كله مفصلاً مستوفى، ناسبه الوارد في الآية وليس في آية النساء من مثل هذا

(١) من أول آية النساء إلى هنا ساقط من ج، هـ، م، ب، ع بانتقال الطور.

(٢) المائدة / ٦، وقد سقط الجار والمجرور (منه) من هـ، م.

(٣) يزيد سورة المائدة، فالعقود من أسمائها، لافتتاحها بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بالعقود﴾.

(٤) ب: تزيد.

(٥) ب، ع: بني، ج: يثني.

(٦) راد بعدها في ج، ك وفي الديرة والصواب ما أبتناه.

(٧) ب، ع: ما يثني.

(٨) هـ م: عهد، وفي ك: عهد بني عليها، ب: عهد على ما بني عليه.

(٩) م، ك ب: تم، وسقط من ج، ع.

(١٠) الآيات / ٢ - ٦.

(١١) ك: حرى.

شيء مما حَلَّ أو حَرَّمَ، فجرى حكمه على نسبة ما تقدمها بناء على رُعيِ
المناسبة والله أعلم بما أراد^(١).

٦٩ - الآية الثامنة (غ) قوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٤٨).

وفي^(٢) نصف [الحزب العاشر]^(٣) قوله تعالى (١١٤) : ﴿لَا خَيْرَ فِي
كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ ، [وقوله] (١١٦) : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا
دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه اختلاف تعقيب الأولى بقوله : ﴿فَقَدْ افْتَرَىٰ
إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ، وتعقيب الثانية بقوله : ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٤).

والجواب أنه لما وقع قبل الآية الأولى ذكر أهل^(٥) الكتاب، ذكر^(٦)
[اعتداءهم]^(٧) وتحريفهم من لدن قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا
نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾^(٨) . ثم قال
بعد هذا : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(٩) ، وهذا إفصاح
بكذبهم وافتراءهم ثم أتبع ما ذكر بقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ

(١) بما أراد: محذوفة من ج، ع.

(٢) من هنا إلى آخر ما تقدم قوله «وتعقيب الثانية» ساقط من: هـ، م، ع، ب، ج.

(٣) زيادة يستقيم بها الكلام.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما).

(٥) هكذا في ع وساقطة من بقية النسخ.

(٦) ع: وذكّر.

(٧) جميع النسخ: اعتداءهم.

(٨، ٩) النساء / ٤٤ ، ٤٦ على الريب.

﴿...﴾، ناسب ما تقدم من أوصاف الشرك، الافتراء الذي هو أخصر صفات مَنْ كَذَّبَ من أهل الكتاب، مع أن [٤٨/ظ] المشرك مُفْتَرٍ، فقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

ولمَّا لم يتقدم مثل^(١) ذلك في الآية الأخرى، إنَّما تقدم قبلها قوله^(٢): ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾^(٣)، وقبلها ما يخص مُنَافِقِي^(٤) أيام نَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم^(٥) من لدن قوله سبحانه^(٦): ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ^(٧) الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾^(٨)، ثم قال: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ - الآية^(٩)، فلم يقع في هذه الآية ذكر تحريف ولا افتراء^(١٠)، إنَّما ذكر مُنَافِقُو أيامه عليه الصلاة^(١١) والسلام، لنفاقهم^(١٢) وما صدر منهم من غير الكذب والافتراء. فناسب ذلك ما^(١٣) بني عليه من قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، كما ناسب قوله في الأولى: ﴿فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾، ما تقدمه وبني عليه، وحاء كل على ما يجب ولو أعقبت الأولى بما أعقبت

(١) زيادة في ك فقط.

(٢) ساقط من ح، هـ، م، ك.

(٣) النساء / ١١٥.

(٤) هكذا في ب، ومحرقة في بقية النسخ الى (ما في).

(٥) ك: عليه السلام.

(٦) ج، ب، ع: تعالى.

(٧) جميع النسخ (عليك)، تحريف في الآية.

(٨) النساء / ١٠٥.

(٩) النساء / ١٠٧، وزاد في ب بقية الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ مِنْ كَانَ خَوَاتِمًا﴾.

(١٠) ك: افترى.

(١١) محذوفة من هـ، م، وفي ب صلى الله عليه وسلم.

(١٢) هـ: نفاقهم.. ح، ك، ع: بنفاقهم.

(١٣) ج: مما.

به الثانية^(١)، والثالثة^(٢) بما أعقبت به الأولى، لما ناسب على ما تقدم، والله أعلم.

٧٠ - الآية التاسعة (غ) قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُشْفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (٦١).

وفي المائدة^(٣) (١٠٤): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾^(٤) قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا^(٥).

للسائل أن يسأل عن وجه ما ورد في هاتين الآيتين من قوله في الأولى: ﴿إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾، والاكتفاء في الثانية بقوله: ﴿إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾^(٦)، مع استوائهما في دعاء المخالفين^(٧)، ممن ذكر قبل كل آية منهم إلى متابعة الحق والرجوع إليه.

والجواب أن حال المدعويين مختلف فإن^(٨) الآية الأولى في منافق ويهودي تخاصما وتحاكما إلى كعب بن الأشرف، ورضيا بحكمة^(٩). فالمراد

(١) م، ك: بما أعقت. وفي ب حرف (ب) إلى (غية).

(٢) ح، ك، ع، والثانية.

(٣) ك: وفي سورة المائدة.

(٤) هكذا في ك، وسقط من بقية النسخ الحار والمجرور وحرف العطف (وإلى الرسول) وهو تحريف في الآية.

(٥) هـ: جمع بين آيتي النساء بانتقال النظر قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ - قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا.

(٦) هكذا في جميع النسخ، وليس صحيحاً، فقد ذكر في المائدة المنزل والرسول. ولعل المؤلف يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ في سورة البقرة / ١٧٠، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ في سورة لقمان / ٢١، حيث اكتفى فيها بالمنزل دون ذكر الرسول.

(٧) ب: صيغة السؤال (للسائل أن يسأل عن وجه ما ورد في هذه الآية) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾. ويقدر: ما الفرق بينهما مع استواء دعاء المخالفين.

(٨) م، ك: بأن.

(٩) راجع الباب / ٦٧، ٦٨، أسباب النزول / ١٠٦ - ١٠٩.

بالآية المنافقون لأنهم المظهرون أنهم آمنوا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى موسى عليه السلام، والقائلون ذلك بالسنتهم، ولكون ذلك نطقاً^(١) بالسنتهم، عبر بالزعم، وكُنِيَ بالطاغوت فيما ذكره المفسرون عن كعب بن الأشرف، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَتَى مِنَ الْقَبْلِ يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾^(٢)، ولم تُؤْمَرْ يَهُودُ أَنْ يَكْفُرُوا بِأَخْبَارِهِمْ مَا لَمْ يَحْرِفُوا، وإنما المأمور بالكفر بهم المؤمنون، حين ظهر تحريفهم وتبديلهم. ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾، أي ليحكم^(٣) بينهم بما في كتاب الله^(٤) صدّوا عنه، ونفروا إلى^(٥) كعب بن الأشرف، أو عند الكاهن على الاختلاف في ذلك.

وأما آية المائدة فمبنية على ما بعدها من مُرْتَكَبَاتِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا سَنُوهُ تَقْلِيداً وَاتِّبَاعاً لَعَمْرَوْكَ بِنَاحِيٍّ^(٦). وأشباهه [٤٩/و] مِمَّنْ سَنَ مِثْلَهُ تَغْيِيراً لِمَلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَذَانِ^(٧) بفعلهم في البجيرة، والسائبة والوصيلة،

(١) ج، هـ، م، ع: مطلقاً.

(٢) النساء / ٦٠. وانظر: جامع البيان ٨ / ٥٠٧ - ٥١٣، ومبهمات القرآن / ١١.

(٣) هـ، ليحل، ب: لتحكم.

(٤) ك: بما أنزل الله صدوا، ب: بينهم بحكم الله صدوا، م: في إسجيل الله، ومكان كتاب بياض في (٤).

(٥) ك: إلى التحاكم عند كعب.

(٦) هـ، م: عمرو بن يحيى، ب: لعمر بن يحيى... وهو عمرو بن يحيى بن قسعة بن خنيدف أحد رؤساء خزاعة سذنة البيت بعد جرحهم، وهو أول من غير دين إبراهيم الخليل فأدخل الأصنام إلى الحجاز ونحو البحيرة ونسب السائبة وهي الحامي. انظر: ابن كثير ١٠٧/٢، جامع البيان ١١٩/١١ - ١٢٠.

(٧) م: فكان.

وَالْحَامُ^(١). أما الْبَحِيرَةُ، فهي المشقوق أذنها طولاً^(٢) بنصفين، متروكة ترعى وترد الماء، لا ينتفع بشيء منها، فإذا ماتت أكلها الرجال، وحُرِّمت على النساء. وذلك إذا ولدت أبطناً، قيل: عشرة، وقيل غير ذلك، وكل ضلال^(٣) وباطل. وأما السَّائِبَةُ، فالناقة تُسَيَّبُ لِلْأَهِلَةِ، وذلك^(٤) أيضاً إذا أتت أنثاً اثنتي^(٥) عشرة، لا ذَكَرَ فيها. وأما الوَصِيلَةُ، فالشاة إذا ولدت ثلاثة بطون، أو خمسة إن كان آخرها ذكراً^(٦) ذبحوه لآلهتهم، وإن كانت أنثى استخيوها وقالوا: إن الأنثى قد وصلت أخاها ومنعت أن يذبح، وقيل غير هذا. والحامي فحل الإبل إذا ضرب فيها عشرة أعوام، أو وُلِدَ من ظهره عشرة^(٧)، قيل حمى ظهره فُسِيَّبَ، فالضمير من قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾، راجع إلى القائلين بهذه الأشياء المُتَّبِعِينَ فيها لأبائهم فَيُنَّ تعالى وحكم فيها بقوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾^(٨) وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ. - إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾^(٩) فحكم هذه الأشياء وأصح^(١٠) في^(١١) كتاب الله، لا يُقْتَرَفُ في تعرفه^(١٢) إلى غير سماعه، إذ

(١) ك: الحامي وعن ابن عباس أن الحمى المحل الذي لقح عشر فتركوه، والحام الذي وُلِدَ لولده فكانوا لا يحملون عليه ويقولون حمى هـ طهره. انظر: ابن كثير ١٠٨/٢، جامع البين ١٢١/١١ - ١٣٦، لبيان هذه التسميات.

(٢) ب: طولها.

(٣) ك: ظلال.

(٤) ساقط من ك، ب، ع.

(٥) م: اثنتي، ب: إذا أتت ثنتي.

(٦) ج، هـ، م، ع: ذكر - بالرفع.

(٧) ج، هـ، م، ع: ظهر.

(٨) ما بعدها إلى عدم محذوف من ب.

(٩) المائدة / ١٠٣ والآية متصلة.

(١٠) ب: وأوصح.

(١١) ك: من.

(١٢) ب: نصره.

حصل^(١) التصديق به. وسواء سُمع ذلك منه صلى الله عليه وسلم أو من غيره، لتواتر نقله. فلهذا لم يذكر هنا دعاء إلى زائد على المنزل.

أما آية النساء ففي قضية^(٢) تخصّص، لا بد من التحاكم فيها إلى مجتهد، يفصل فيها ما فهمه الله من كتابه. والآتي به صلى الله عليه وسلم هو المبين ما فيه، والمعصوم فيما يبين منه فيه^(٣) ويحكم به، والقضية واقعة^(٤) حال وجوده وحضوره، فإليه صلى الله عليه وسلم المرجع. فلهذا قيل في تلك الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾، ولم يكن عكس الوارد في الآيتين ليناسب، والله أعلم.

٧١- الآية العاشرة (غ) قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (٨٧).

وبعد هذا (١٢٢): ﴿وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾.

للسائل أن يسأل عن اختلاف التعبير^(٥) في الآيتين، مع أن^(٦) المتقدم في كل من الآيتين إخبار أخراوي. ففي الأولى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وفي الثانية ما وعد الله به المؤمنين في قوله: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، ثم جيء بالتمييز مختلفاً^(٧)، فقبل في الأولى: ﴿وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾، وفي الثانية: ﴿وَمَنْ

(١) ج: زاد هنا لفظ الجلالة.

(٢) ج: قصته.

(٣) م، ك: به، وزاد في ج بعدما (لعل الضمير للبيان المفهوم وبين) وبين معقوفين.

(٤) ب: واقعة.

(٥) م: التفسيرين، ك: التعبيرين.

(٦) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه الاختلاف في الآيتين مع أن. م).

(٧) م، ك: العبارة.

أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا)، مخولف في العاريتين^(١) مع وحدة المعنى، فيسأل عن ذلك، وهل كان يجوز العكس.

والجواب أن التعبير الثاني مبني على ما يجب ربطه به من قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾. فقيل^(٢) ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾، وناب^(٣) مناب وعُدَّ، فكان [٤٩/ظ] قد قيل: ومن أصدق من الله وعداً^(٤)، وهو ما وعدهم تعالى به من العيم، وعظيم الإحسان، فجاء^(٥) بلفظ يُوازن المصدرين قبله وهما وَعَدًا وَحَقًّا، ويشابههما^(٦) في الخفة بسكون عين الكلمة، وعدد^(٧) حروفها كالمصدرين قبلها. وكأنه إنما أوجد تكرار المصدر بلفظه، فاستقل^(٨) التكرار المتقارب^(٩)، وعادة العرب في ذلك، فعُدل إلى ما يجاريه خفة ويحرز المعنى؛ ولتحري المصادر الثلاثة مجرى واحداً، خِفَّةً وَوَزْنًا؛ إحرزاً للتناسب والتلازم. ولما لم يتقدم^(١٠) في الآية الأولى ما يستلزم هذا، وأن قوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، إخبار وحديث عن العث بعد الموت وجمع الخلق^(١١) لحسابهم ومجازاتهم على الخير والشر فهو إخبار

(١) ما بعدها إلى آخر لسؤال محذوف من ب، وقد اختصره السامع بقوله (عمداً) والمعنى واحد فهل يجوز العكس...).

(٢) هكذا في ك، وبقيّة النسخ (وقيل) - وزاد بعدها في ج حرف الجر (في).

(٣) ك: وأنيب. هـ، م، ب، ع: وأناب.

(٤) من هنا إلى هـ - ساقط من هـ، م، ب بانتقال النظر.

(٥) ك: فحي.

(٦) هـ، م، ع، ب، ح: يشابهها.

(٧) ج، هـ، م، ع: عد.

(٨) ج، ب، ع: بلفظ ما يستقل.

(٩) ك: للتقارب، ج، ب، ع: المتعارف.

(١٠) ج، ع: يقدم.

(١١) هـ، ب: الخبر.

والإنباء. ومثله ما ورد في قوله تعالى، إخباراً عن^(١) قول مُنْكَرِي البعث: ﴿هَلْ نَذَلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾ - الآية^(٢) فللإنباء بها بعد ذلك^(٣)، الخبرُ الصدق منه تعالى بقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ - الآية^(٤) فقد وضح ورود^(٥) كل واحدة^(٦) من الآيتين على ما يناسب وبلائهم، والله أعلم.

٧٢ - الآية الحادية عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ - الآية (١١٥).

وفي سورة الانفال (١٣): ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وفي الحشر (٤): ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

للسائل أن يسأل عن إدغام الوارد في الحشر، وفك الإدغام في^(٧) السورتين قبل، ما وجه ذلك مع أن الفك^(٨) والإدغام فصيحان. والجواب أن الإدغام تخفيف وليس بالأصل، فورد في النساء على

(١) ج: عل.

(٢) سبأ / ٧.

(٣) ك: فالإنباء هنا ذلك، ب: تعدد، ومضطربة اضطراباً شديداً في هـ، م.

(٤) النساء / ٨٧.

(٥) زيادة من ب، ك.

(٦) هكذا في ك، وبقيّة النسخ (واحد) مذكراً.

(٧) ج، هـ، م: وفي السورتين - بالواو.

(٨) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن الإدغام الوارد في السورتين مع أن الفك ...)

الأصل ولم يقترون به ما يستدعي تخفيفه^(١)، ولا سؤال في ذلك. ولما تقدم في سورة الحشر قوله تعالى^(٢): ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، وتقدم الماضي مدغماً، ولم يسمع في الماضي إلا تلك اللغة، فجاء بما حُبل عليه من قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ﴾، مدغماً ليحصل التناسب على ما ينبغي.

وأما سورة الأنفال، فتعارض فيها شيان، فجاء الإدغام قبله في الماضي من قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، وعُطف: ورسوله، على اسم الله تعالى^(٣)، ووردت نسبة المُشَاقَّة لله ورسوله، وورد ذلك بالعطف بالواو الجامعة وهو مما يناسب الفك فاستدعى الموضع داعيان: أحدهما: ما قبله من الإدغام.

والثاني: ما بعده من العطف المُشَبِّه للَفَك، فروعِي البُعْدِي^(٤) لأنه أقوى في الرعي كما فعلوه في الإمالة، فلم يُميلوا نحو: مَنَاشِيط، وما كان مثله مما تأخر فيه حرف الاستعلاء وإنَّ حَالً بينه وبين الألف حرفان^(٥)، ومع ذلك فإنه يمنع الإمالة [و/هـ] وليس كذلك في قوة المنع، إذا تقدم مع حائل. فكذا فعلوا فيما تقدم، فراعوا ما بعد، كما ذكرنا، فلم يدغموا، إذ المتقدم في قوة المفروغ منه، المتقطع، والمتصل بعد في النطق أقرب فورد ما ذكر على ما يجب ويناسب^(٦)، والله أعلم^(٧).

(١) ب: تحقيق.

(٢) في ك فقط.

(٣) محذوفة من ب.

(٤) ب: البعد.

(٥) ج، هـ، م، ب، ع: حرفاً.

(٦) ح: وتناسب.

(٧) محذوف من ك قوله: والله أعلم.

٧٣ - الآية الثانية عشرة قوله تعالى :

﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا ثُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١٢٨).

وفي آية أخرى بعد (١٢٩) : ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ^(١)﴾ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

فيهما سؤالان :

قوله^(٢) في الأولى : ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا^(٣) وَتَتَّقُوا﴾، وفي الثانية . ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾، والختامان ﴿خَيْرًا﴾ في الأولى، و﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٤) في الثانية.

والجواب - والله أعلم - أن الآية الأولى فيما بين المرأة وزوجها، إذا خافت منه، وأرادت تألفه وبقائه، وكيونتها في عصمته، فلا جناح عليها أن تعطي شيئاً من نفسها وتترك بعض حقها، كي تؤثر ضررتها في القسمة، أو تترك هي حظها، كما فعلت سودة رضي الله عنها^(٥). أو تهب له من مالها،

(١) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه (الآية).

(٢) ب : أحدهما قوله.

(٣) ك : إلى هنا محذوف ابتداء من قوله : ﴿فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾ ثم وصل الآية بالشرح فقال : ﴿ولحسنوا وتتقوا﴾.

(٤) ساقط من ك.

(٥) ذكرت قصة سودة، وإيثارها عائشة بمليتها في جامع البيان ٢٦٧/٩ - ٢٧٩، واللباب / ٨٠ -

٨٢، وفي البخاري ٤٣/٧، ولم يذكرها الواحد في أسباب الروول / ١٢٣ - ١٢٤

لا جناح عليها^(١) في هذا، ولا على زوجها في قول ذلك منها^(٢). وإن كان الطمع^(٣) يأتي^(٤) من إسقاط حق أو تنقصه، لما جُبلت عليه النفوس، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَأَخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا﴾، فندب كلا منهما إلى الإحسان والتقوى، والزوج أخص بذلك وأولى وأن يحتمل كل واحد من صاحبه ويصبر فإن الله مطلع عليه خبير بما يكنه ويخفيه. ثم قال: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَضْتُمْ﴾، لأن^(٥) القلوب لا تملك، ولا بيد الإنسان فسادها ولا إصلاحها فإن عدل في القسمة، والمحادثة، والإنفاق، والنظر، وبشاشة الوجه، وجميل الملاقة، وفرضنا اجتهاده في ذلك كله حتى تحصل المساواة، لم يقدر أن يميل بقلبه إلى كُلِّهنَّ على حدٍّ^(٦) السواء، ﴿فَلَا تَعْبِلُوا كُلاًَّ الْفَيْلِ﴾، بل على الإنسان أن يجتهد. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم^(٧) «اللهم^(٨) هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما [تملك] ولا أملك»^(٩). ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾، لا ممسكة ولا مطبقة. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا﴾، والمراد ما استطعتم وكان في إمكانكم، فإن الله

(١) ب: عليها.

(٢) ب: فيها.

(٣) ج، ك، ع: الطمع.

(٤) هكذا في ب، وبقي النسخ (بأ).

(٥) هكذا في ك، وبقي النسخ (إن).

(٦) ك: حال.

(٧) ك: عليه السلام.

(٨) في ع فقط.

(٩) أخرج الحديث أبو داود في سنه في كتاب النكاح ٣٢٦/٢ حديث ٢١٣٤، والنسائي في السنن:

كتاب جثرة النساء ٦٣/٧، ٦٤، والترمذي في السنن: باب ما جاء في التسوية بين لضرائر

٤٣٧/٥ حديث / ١١٤١، ورواه الطبري في التفسير ٩/ أحاديث ١٠٦٣٧، ١٠٦٥٦،

١٠٦٥٧. ومدر هذه الروايات كلها أبو قلابة الحرمي وهو من الثقات.

يغفر لكم ما سوى [٥٠/ظ] ذلك. والآية الأولى مقصودها يستدعي ما ختمت به من أنه تعالى خبير بأفعال عباده الظاهرة والباطنة، ومساق هذه الأخرى يستدعي مغفرته تعالى، أن^(١) قد عرفت الآية أن العدل لا يُستطاع، فإن لم تكن المغفرة هلك المكلف. فورد إعقاب كل آية بما يناسب. وأما ورود ، ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ في الآية^(٢) الأولى، وورود^(٣) ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ هنا فمفهوم مما تمهد، وأنسب شيء والله أعلم.

٧٤ - الآية الثالثة عشرة قوله تعالى :

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا. وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ^(٤) وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِبْرَاهِيمَ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ غَنِيًّا حَمِيدًا. وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (١٣٠ - ١٣٢).

للسائل أن يسأل عن وجه^(٥) اختلاف ما أعقبت به هذه الآية الثلاث من أوصافه العلية سبحانه وتعالى، ففي الأولى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾، وفي الثانية: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾، وفي الثالثة: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، فيسأل عن ذلك، وعن تكرار إخباره سبحانه^(٦) وتعالى بقوله:

(١) ك، ع: إذ.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) ك: وقد ورد.

(٤) ما بعدها إلى قوله ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الآية الثالثة مخدوف، وفي موضعه «إلى قوله».

(٥) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه).

(٦) مخدوفة من ك.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. ثلاث مرات، مع تقارب الكلام واتصاله.

والجواب عن الأول أنه لما قال سبحانه في الزوجين عند^(١) عدم انقيادهما لحسن المعاشرة ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾. قال الزمخشري: «يرزقه زوجاً خيراً عن زوجه، وعيشاً أهنأ من عيشه»^(٢). ولما قال: ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾، ناسب هذا ذكر ما يقتضي من صفاته عموم وجوه الإحسان، وأنه لا تفاد لما عنده مما به قوام عيشتهم^(٣)، وكمال حال كل واحد منهم من الرزق، والسكن^(٤) والتأنيس^(٥)، وأنه سبحانه المنفرد بعلم وجه الحكمة في تألفهم وتفرقهم، فقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾، أي كثير العطاء جم الإحسان، عليم بخفيات مصالح العباد فقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾، عقب ما تقدمه من قوله: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾، أوضح شيء في المناسبة. ثم أتبع بما يلائم ذلك ويزيده وضوحاً من إخباره تعالى من إن السموات والأرض وما فيهما ملكه تعالى، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. ثم أتبع سبحانه بما يرجع إلى عموم إحسانه إلى من^(٦) تقدم من المخاطبين بكُتبه المنزلة رحمة لعباده، وإحساناً كما أحسن إلى المواجهين بهذا الكتاب والمُهمِّين من^(٧) عليّ هذا الخطاب، فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾، وأعلم سبحانه أنه محسن بذلك إليهم، لأن

(١) ج، ع: عن.

(٢) الكشف ١/٤٢٨.

(٣) ك، ب: عيشتهم.

(٤) ج، ع: السكنى.

(٥) ج: التأنيث.

(٦) هكذا في ك، وبقية النسخ (ما تقدم).

(٧) بياض في ج، ع.

تقواهم إياه تعالى مثمرة لهم السلامة من عذابه، والسحابة من أليم عقابه،
 وأنه ليس به إلى تقواهم من^(١) حاجة [٥١ / و] ولا تعود إليه سبحانه من
 ذلك منفعة، إذ هو الغني عنهم وعن عبادتهم فقال: ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ
 مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، فهو الغني عنكم وعن عبادتكم، كما
 قال سبحانه في آية أخرى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
 جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿فَكْفُرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى
 اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(٣). وإذا كان الكل ممن في السموات والأرض ملكاً
 له سبحانه وتحت قهره، وفي^(٤) قبضته يفعل فيهم ما يشاء^(٥)، ولا يكون
 منهم إلا ما يشاء ويريده، وهو الغني الحميد. ثم أكد بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، لما^(٦) بُني عليه^(٧) من قوله^(٨): ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ
 وَكِيلًا﴾، أي حافظ لجميع ذلك، مفرداً تدبيره، وإمساك السموات
 والأرض، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، فختام الآيات بهذا
 أنسب^(٩)، من أنسب شيء وبيّنه، والله أعلم

(١) ب: عن.

(٢) إبراهيم / ٨.

(٣) النبا / ٦.

(٤) ساقط من هـ، م، ب، ج.

(٥) هـ: ما شاء.

(٦) جاء في هامش ج إحالة الى هذا الموضع ما نصه (كان أي واسمها، وكفى، أي قوله وكفى
 وخبرها من أنسب شيء والجملة جواب إذا تأمل) (هكذا^(٩))

(٧) ساقط من ج، هـ، ع.

(٨) من قوله: ساقطان من ج، هـ، ب، ع

(٩) من قوله (وإمساك السموات) الى هـ في ك فقط

٧٥ - الآية الرابعة عشرة قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ﴾

(١٣٥).

وفي المائدة (٨) : ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ ، فقدم في آية النساء قوله ^(١) : بالقسط ، وأخر في آية ^(٢) المائدة ^(٣) . فيُسال عن وجه ذلك ^(٤) .

والجواب عنه ^(٥) - والله أعلم - أن الآيات المتصلة بآية سورة النساء مَبْنِيَّةٌ عَلَى الأمر بالعدل والقسط . قال تعالى : ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ - الآية ^(٦) . وقال تعالى : ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ ^(٧) . ثم قال : ﴿وَإِنْ تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِٱلْقِسْطِ﴾ ^(٨) ، وتوالت الآي بعدُ على هذا المعنى ، فقدم قوله ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ ، ليناسب ما ذكر .

وأما آية المائدة فثبت قبلها الأمر بالطهارة ، ثم تذكيره سبحانه بتذكر ^(٩) نَعَمِهِ والوقوف مع ما عهد به إلى عباده ، والأمر بتقواه فناسب قوله : ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ﴾ . ثم أتبع بما بُنِيَ عَلَى ذلك من الشهادة بالقسط ، فتأمل ما بُنِيَ عَلَى هذه ، وما بُنِيَ عَلَى آية النساء يتضح لك ما قلته ، والله أعلم بما أراد .

(١) ب : (في الأولى) بدلاً من (في آية النساء قوله) .

(٢) ساقطة من هـ ، ب ، ع .

(٣) هـ ، ك : العقود . . وهو من أسماء سورة المائدة كما سبق .

(٤) ب : السؤال كله محذوف .

(٥) ساقط من ج ، هـ ، ب .

(٦) النساء / ١٢٣ .

(٧ ، ٨) النساء / ١٢٧ .

(٩) ج ، م ، ب ، ع : بتذكير .

٧٦ - الآية الخامسة عشرة ^(١) (غ) قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَارَدُوا
كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ (١٣٧).

وفيما بعد من هذه السورة نفسها (١٦٨ ، ١٦٩) : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَوَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ
جَهَنَّمَ﴾ - الآية .

للسائل أن يسأل عن وجه ^(٢) اختلاف الكنايتين عما إليه الهداية
الممنوعة عمن ذكر في الآيتين مع استواء حال من ذكر فيهما من ^(٣) التلبس
بالزيادة على الكفر، وفي الجزاء بعدم الغفران ومنع ^(٤) الهداية . ومع
أن مسمى السبيل والطريق واحد، فما وجه اختلاف الكناية عنه باسم السبيل
في الأولى ، والطريق في الثانية؟ .

والجواب - والله أعلم - [٥١/ظ] أن السبيل والطريق، وإن استويا
واتحد معناهما فيما ذكر، بينهما فرق واضح من حيث إن مواقع ^(٥) السبيل
أكثر تردداً في الكلام ففي إطلاق لفظه توسعة وعموم ليست في إطلاق لفظ
طريق . فقد ورد ذكر السبيل في الربع الأول من الكتاب العزيز ^(٦) في بضع
وخمسين موضعاً، أو ^(٧) نحو ذلك . في سورة البقرة أربعة عشرة موضعاً :

(١) م : عشر .

(٢) ب : صيغة السؤال (يسأل عن وجه . . .) .

(٣) ج ، هـ ، ع : في .

(٤) ج : ومنه .

(٥) م : موانع .

(٦) يبدأ الربع الأول من القرآن بالفاتحة وينتهي بنهاية سورة الأنعام، ويشمل خمسة عشر جزءاً .

(٧) ساقط من ك .

أولها قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّبِدْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(١) ،
 وآخرها قوله تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢) . وفي آل
 عمران [سبعة]^(٣) مواضع ، وفي النساء ستة [عشر] موضعاً^(٤) ، وفي المائدة
 والأنعام ستة مواضع^(٥) . ولم يقع ذكر الطريق في كتاب الله كله إلا^(٦) في
 [أربعة مواضع]^(٧) . ثم إن اسم السبيل مع ما تقرر من كثرة ترداده أغلب
 وقوعاً في الخير وسبيل السلامة إفصاحاً وإشارة ، ولا يكاد اسم الطريق يرد
 مراداً به السلامة والخير مقترناً^(٨) بوصف أو^(٩) إضافة ، أو ما^(١٠)
 يخلصه^(١١) لذلك^(١٢) ، كقوله تعالى : ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ
 مُسْتَقِيمٍ﴾^(١٣) .

وإذا تقرر هذا فقوله في الآية الأولى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ

-
- (١) البقرة / ١٠٨ .
 (٢) البقرة / ٢٧٣ ، وبقية الأربعة عشر موضعاً هي ١٥٤ ، ١٧٧ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢١٥ ، ٢١٧ .
 ٢١٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ موضعان ، ٢٦١ ، ٢٦٢ .
 (٣) في كل النسخ ستة ، وصوابها سبعة مواضع طبقاً لما في الصحف ، هي الآيات ١٣ ، ٧٥ ، ٩٩ ،
 ١٤٦ ، ١٥٧ ، ١٦٧ ، ١٦٩ .
 (٤) في كل النسخ : ستة وعشرون موضعاً ، والصواب ما أثبتناه ، وهي الآيات : ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٧٤
 موضعان ، ٧٥ ، ٧٦ موضعان ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١١٥ ، ١٦٠ ، ١٦٧ .
 (٥) ب : سبعة ، وبقية النسخ تسعة ، وصوابها ستة ، في المائدة أربعة هي : ١٢ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٧٧ ،
 وفي الأنعام موضعان : ٥٥ ، ١١٦ .
 (٦) ساقطة من ك .
 (٧) يباض في جميع النسخ ، والآيات في سورة النساء / ١٦٨ ، ١٦٩ ، الأحقاف / ٣٠ ، طه / ٧٧ .
 (٨) ك : مقروناً .
 (٩) ك : واو عطف ، بدل حرف التحيير والإباحة .
 (١٠) ساقطة من م ، ك .
 (١١) ج ، هـ ، ع : يخصه .
 (١٢) هكذا في ك ، وفي بقية النسخ (كذلك) .
 (١٣) الأحقاف / ٣٠

آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا^(١) ثُمَّ ارْزَادُوا كُفْرًا^(٢)، حاصل منه هؤلاء بشنيع^(٣) وصف وأعظمه وأبلغه بأقصى غاية في شناعة المرتكب. فليست حال من كفر بعد إيمان، كحال من لم يتقدم كفره إيمان. فقال تعالى فيمن توعد به بأشد الوعيد: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ^(٤) مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ^(٥) مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صُدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ^(٦)﴾. إلى ما وُصفوا به من استحبابهم الحياة الدنيا على الآخرة وإنما وقع ذلك منهم بعد علمهم ببيان^(٧) الآخرة، وتصديقهم بها ثم اختاروا الدنيا عليها، فحالهم حال من أضله الله^(٨) على علم. ولا أسوأ حالاً من هؤلاء.

أما الموصوفون في الآية الثانية بالكفر والظلم فدون هؤلاء في شناعة المرتكب والمبالغة في الضلال. ألا ترى أن حال الكافر الذي^(٩) لم يتقدم منه^(٩) إيمان، ليست كحال من تقدم منه إيمان، لكُفر هذا على علم، ولا حال من وُصف بالظلم - وإن كان يقع على الكفر وما دونه - كحال من وصف في الآية الأولى بعوده إلى الإيمان، ثم إلى الكفر بعد ذلك، ثم الازدياد في الكفر. فلما بلغت حال هؤلاء فيما وُصفوا به أشنع غايات الكفر والضلال، وأشدّها تخبطاً، ناسب ذلك^(١٠) الكناية عما صَدُّوا عنه ومنعوه بالسبيل مناسبة

(١) ما بعدها من الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».

(٢) هـ، ك: بشر، ب: شيء.

(٣) ساقط من ج، ب.

(٤) إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».

(٥) النحل / ١٠٦.

(٦) ساقط من ج.

(٧) ساقط من ج، م، ب، ع.

(٨) ج، ب، ع: الكافرين الذين.

(٩) هكذا في ب، وبقي السبع (منهم).

(١٠) في ب فقط.

بين حالهم والممنوع^(١) من محسود مالهم. ولما لم يكن وصف الآخرين بالظلم والكفر يبلغ [من] شناعة المرتكب [٥٢/و] مبلغ أولئك، عدل في الكناية عما مُنعوه إلى ما يناسبه^(٢)، وجرى كل على ما يجب ويناسب، ولم يكن عكس الوارد ليلائم ولا يناسب^(٣)، والله سبحانه أعلم.

٧٧ - الآية السادسة عشرة قوله تعالى:

﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (١٤٩).

وفي سورة الأحزاب (٥٤): ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

للسائل أن يسأل هنا في ثلاثة^(٤) مواضع:

أحدها قوله: ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا﴾، وفي الأحزاب ﴿شَيْئًا﴾، فيسأل عن وجه الفرق.

والثاني: ما الموجب لاختلاف^(٥) جواب الشرط في الآيتين. ففي الأولى، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾، وفي الثانية، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

والثالث^(٦): زيادة قوله في الأولى ﴿أَوْ تُعْفُوا﴾^(٧) عَنْ سُوءٍ.

(١) ج، ع: زاد هنا (منه في سوء).

(٢) م، ك: يناسب.

(٣) ما بعدها محذوف من ك، ب.

(٤) ب: صيغة السؤال (يسأل هنا عن ثلاثة...).

(٥) هـ، م، ب: بخلاف.

(٦) ب: والثالثة.

(٧) ب: يعفوا.

والجواب عن الأول، أن قوله: ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ﴾، مقصود به خصوص طُرُق الخير وعمل البر جرياً^(١) على ما دارت عليه سورة النساء، وتردّد فيها من إصلاح ذات البين، والنّذب إلى العفو والتجاوز عن السيئات^(٢). ألا ترى قوله لمقتسمي الميراث فيمن حضرهم من ذي القربى، وذوي الحاجات: ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٣)، وقوله في الآيتين^(٤) الفاحشة: ﴿فَإِنْ تَابَا وَأُصْلَحَا فَاغْرِضُوا غَنَّهُمَا﴾^(٥)، وقوله في النساء: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٦)، وقوله: ﴿فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾^(٧)، وقوله: ﴿فَاغْرِضْ عَنْهُنَّ وَعِظْهُنَّ﴾^(٨) وَقُلْ لَهُنَّ فِي أَنْفُسِهِنَّ قَوْلًا بَلِيغًا^(٩)، وقوله: ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١٠)، إلى أمثال هؤلاء الآي مما يطول ذكره، ولا يكثّر في غير هذه السورة ككثرتة فيها. ومن هنا لم يتعرض فيها لأحكام الطلاق، وإن كانت السورة مبنية على أحكام النساء، لكن خُصّ من ذلك ما فيه التّألف^(١١) والإصلاح، وما يرجع إلى ذلك ولم يرد فيها من أحكام الطلاق إلّا^(١٢) ما أشار^(١٣) إليه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾، فذكر هذا

(١) ب: حريه.

(٢) م: الهنات، ك: الهيئات، ب: الهيأت، بشهيل همزة الهيئات.

(٣) النساء / ٨.

(٤) هـ: الآيتين، ج، م، ك، ب: الآيتين

(٥) النساء / ١٦.

(٦) النساء / ١٩.

(٧) النساء / ٣٤.

(٨) ب: وعظهم، وما بعدها في م فقط، ومعدوف من بقية النسخ

(٩) النساء / ٦٣.

(١٠) النساء / ١٢٩.

(١١) ب: التّأليف.

(١٢) ب: ولا.

(١٣) ح: أشارت.

القدر عند استدعاء معنى الكلام وتتمام المقصود به إليه بأوجز لفظ، وبما يؤنس الفريقين ولم يذكر فيها اللعان ولا الظهار ولا الخلع ولا طلاق الثلاث، بل ذكر فيها استصحاب العشرة^(١) إلى التوارث. فلما كان مبنى السورة على هذا ناسب ذلك طرق الخير، غير مشار إلى ضده إلا بالعفو كما وقع بالمكلف^(٢) فيه فقال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفَوْهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾، فنوسب بهذا الخصوص، أي^(٣) خصوص ما تكرر في السورة بما ذكر من العفو وما يحزره في سورة البقرة: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ وذلك في مثل ما تقدم هنا من أحكام النساء.

وأما آية الأحزاب فمقصود بها ما يعم الطرفين من الخير والشر. ألا ترى ما تقدمها من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ [٥٢/ظ] اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا﴾، وما تقدم^(٤) في هذه السورة من ذكر المنافقين، وسوء مرتكبهم في قصة الأحزاب وقولهم: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٥)، وقولهم في الاستئذان: ﴿إِنْ بَيَّوتَنَا عَوْرَةً﴾^(٦)، وكذبهم في ذلك فحذر الله المؤمنين من مرتكبات المنافقين وأعلمهم أنه تعالى لا يخفى عليه شيء سواء منكم من أسر القول ومن جهر به، فقال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفَوْهُ﴾^(٧). فلما قصد في هذه الآية عموم الطرفين ورد بلفظ^(٨) مطلق يعم الخير والشر، فقال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا

(١) ب: للعشرة.

(٢) م: بالمكلفة.

(٣) ساقطة من م، ك، ب، ع.

(٤) ما والفعل ساقطان من ك.

(٥) الأحزاب / ١٢.

(٦) الأحزاب / ١٣.

(٧) الأحزاب / ٥٤.

(٨) ك: بلفظ.

شيئاً»، والشيء يقع على كل موجود من ذات أو معنى حتى إن بعض المتكلمين يطلقه على المعدوم المُقَدَّر الوجود فيقول بشيئة المعدوم^(١). وليس هذا من قولنا ولكن الإطلاق حاصل كيف ما قيل والشيء المخفي المشار إليه في الآية إنما هو عمل قلبي موجود بمحلّه، فلا اعتراض علينا به، والخير والشر داخلان تحت ذلك. وأما لفظ: خير في آية النساء، فقد تقدم خصوصه ومناسبته، فورد كل على ما يجب ويناسب، ولا يمكن فيه العكس.

والجواب عن السؤال الثاني، أن اختلاف جواب الشرط في الآيتين بحسب ما يستدعيه. فقوله تعالى في الأحزاب: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، يبيّن الجوابيّة، لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ﴾. وأما قوله في آية النساء: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوءًا قَدِيرًا﴾ فنزل على قوله: ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾، فنذب سبحانه العباد إلى العفو بمفهوم هذا الكلام بإعلامهم أن تلك سُوءه في^(٢) خلقه من عموه عن المسيء مع القدرة على أخذه والانتقام منه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾^(٣). وهذا الجواب لقوله: ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾، يفهم جواب الأمرين من إبداء الخير وإخفائه، وأن ذلك مما^(٤) يحبّه تعالى، ويشب عليه. فقد بَانَ^(٥) التناسب في هذا كله، في كل واحد من الشرطين وجوابهما.

(١) المعدومية هم أتباع أبي الحسين الخياط من المعتزلة وكانوا يقولون بأن المعدوم شيء، والشيء ما يُعْلَم ويخبر عنه. ومنهم تألفت فرقة الخياطية من المعتزلة، وأما المعدومية فلقب أطلق عليهم لإفراطهم في وصف المعدوم بأكثر صفات الموجود. توفي الخياط / ٢٩٠ هـ. انظر: تفسير المعتزلة / ٣٩، من مدخل البحث

(٢) ج، ب، ع، من.

(٣) فاطر / ٤٥.

(٤) ك: بما.

(٥) ك: كان.

والجواب عن السؤال الثالث، أن قوله تعالى : ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾، من تمام ما قصد بالآية من الذنب إلى تحصيل أفعال البر، وأن العفو عن السوء^(١) من أجلها. وبذلك أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾^(٢)، في غير ما آية، فقد بان التناسب في هذا كله ووضح أن كل ما ورد في الآيتين، لا يلائمه غير موضعه، والله أعلم بما أراد^(٣).

سورة المائدة

٧٨ - الآية الأولى منها (غ) قوله تعالى :

﴿أُجِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَمِ﴾ (١)

وفي سورة الحج (٣٠) ﴿وَأُجِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَمُ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه^(٤) ما ورد في هاتين الآيتين، مع اجتماعهما في التعريف بجِلَّةٍ هذا الضرب، أمين الحيوان البهيمي^(٥)؟ مفصلاً فيهما بتقرير حكم التحليل بالماضي، وهو قوله ﴿أُجِلَّتْ لَكُمْ﴾، ثم خُصت آية المائدة بزيادة لفظ: بهيمة، ولم يرد^(٦) ذلك في آية الحج، فيسأل عن وجه ذلك^(٧) [٥٣/و].

والجواب عنه - والله أعلم - أن المقصود في الآيتين مختلف، فوردت

(١) ك: المسيء.

(٢) المائدة / ١٣.

(٣) محذوف من ب - قوله : بما أراد.

(٤) ب : صيغة السؤال (يقال ما وجه).

(٥) ج، م : الهيم.

(٦) ح، م : يذكر.

(٧) ب : حذف النسخ (فيسأل عن وجه ذلك).

الأخبار بما يحرز ذلك. وبيانه أن اسم الأنعام إنما يقع على ما ذكر في آية سورة الأنعام من الأزواج الثمانية، حين تفسرت مفصلة فقال تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾^(١)، ثم قال تعالى^(٢): ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾^(٣)، وهي أصناف أربعة: الإبل، والبقر، والضأن، والمعز، تفصلت بحسب التذكير والتأنيث إلى ثمانية. والحمولة منها ما أطاق الجمل على ظهره وهي الإبل، والفَرْثُ ما سواها. وقيل غير هذا. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لِّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾^(٤)، وإنما اللبن المراد به هنا المُنْعَم به علينا لبن الأنعام، وهي الأزواج الثمانية. أما لبن الوحشي^(٥) من^(٦) غير الإنسي، فلم يقصد هنا، وإن كان حلالاً، لتعذر إدراكه، وليس هو المراد في الأنعام وإن جاز إطلاق اسم الأنعام على الوحش مجازاً، لجامع سنذكره بعد. قال الهروي^(٧): الأنعام المواشي من الإبل والبقر والغنم وإذا وضع أن الأنعام هي الأزواج الثمانية، فمن المعلوم أن^(٨) من الوحش الذي لا يدرك إلا بالصيد محرم على الحاج ما دام في عمله. قال تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾^(٩). ولما كانت

(١) الأنعام / ١٤٣.

(٢) ساقطة من ج، هـ.

(٣) الأنعام / ١٤٤.

(٤) النحل / ٦٦.

(٥) ج، ك، ع: الوحش.

(٦) ساقطة من ك.

(٧) هو عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور بن مت، شيخ الإسلام، أبو إسحاق البصري الهروي. كان إماماً كاملاً في التفسير وكان يقول: إذا ذكرت التفسير فإني أذكره من مائة وسبعة تفاسير. توفي ٤٨١ هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي ٢٤٩/١، ٢٥٠.

(٨) ساقطة من هـ، م، ب. وفي ك: أن غيرها من الوحش.

(٩) المائدة / ٩٦.

آية سورة الحج مُطابقة بما أمر به الحاج في قوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(١)، والأمر بتعظيم تلك الحرمات والشعائر الإيمانية في قوله: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾^(٢)، وصل^(٣) بها ما يجلب به أكل لحمه للمحرّم حال إحرامه، فقال تعالى: ﴿وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَامَ﴾، ولم^(٤) يكن ليلائم هذا الموضع ما ورد في آية المائدة من قوله: ﴿أَجَلْتُ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ﴾، لأن المراد بهيمة الأنعام الوحشي^(٥). قال الغزنوي^(٦) بهيمة الأنعام وحشيتها. وقال الزمخشري في أحد تفسيره^(٧): الطّباء^(٨) وبقر الوحش ونحوها^(٩). ووجه^(١٠) وقوعها في آية المائدة، أن^(١١) المائدة من آخر ما نزل، وقد تضمنت مُتَمَمَات من الأحكام كآية الوضوء، والتميم، وتفاصيل الصيد، واستيفاء المحرمات من المأكولات والمشروبات على التحرير. وأحكام هذه السورة كثيرة ومحكمة غير منسوخة، وفيها وَرَدَ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١٢)، فناسب هذا ذكر جلّية بهيمة الأنعام^(١٣)، إذ لم يذكرها^(١٤) الله في غيرها على ما ورد

(١) الحج / ٢٩.

(٢) الحج / ٣٠.

(٣) ح، هـ: ووصل - بالواو.

(٤) هـ، م، ع: لم.

(٥) ج، هـ: الوحش.

(٦) غير معجمة في ج، ع.

(٧) النص في الكشاف ١/ ٤٤٤.

(٨) ج: أيضاً.

(٩) ساقطة من هـ، م، ب.

(١٠) هكذا في ك وبقية النسخ: ووجب.

(١١) هكذا في ك وبقية النسخ: وأن.

(١٢) المائدة / ٣.

(١٣) بعدها في ب: لها بالأنعام.

(١٤) ك: يذكره.

هنا من تحرير^(١) ذلك، وبيان العوارض التي قد تحرّم^(٢) لأجلها، وذلك قوله تعالى^(٣) : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ [٥٣/ظ] وَلَحْمُ الْخَيْزِيرِ﴾،^(٤) ثم أتبع بقوله : ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ﴾^(٥) ، لأن هذه عوارض تكثر في الوحشي لمخالفة حاله في التزكية^(٦) وما تحل^(٧) به الإنسيّة من الأنعام. ثم أتبع ذكر ما يعرض مما ذكر مما وقعت الإشارة إليه بقوله : ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾. ثم أشار قوله : ﴿غَيْرَ مُجْلَى الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرِّمٌ﴾^(٨) ، إلى ما أفصح به قوله تعالى : ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾^(٩) . فوضع التناسب، وأن عكس الوارد في الآيتين لم يكن ليناسب، والله أعلم بما أراد.

٧٩ - الآية الثانية^(١٠) من سورة المائدة^(١١) (غ)^(١٢) قوله تعالى :

﴿يَسْتَفُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ (٢).

وفي سورة الفتح (٢٩) : ﴿يَسْتَفُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾،

(١) ج، ع: محريم.

(٢) ج، ع: يحرم.

(٣) ساقط من ب.

(٤) (٥، ٤) المائدة / ٣.

(٥) ع: التذكية.

(٦) ج: مجل.

(٨) ج: زاد هنا (إلى ما كان).

(٩) المائدة / ٩٦.

(١٠) هـ: الثالثة.

(١١) سقط من م (من سورة المائدة)، ومن ك (المائدة).

(١٢) ساقطة من ب، ع.

وكذلك^(١) في سورة الحشر^(٢).

فيسأل^(٣) عن موجب اختصاص سورة المائدة بما ورد فيها من إضافة اسم الرب تعالى إليهم. بخلاف السورتين.

والجواب - والله أعلم - أن آية المائدة مبنية على تأنيس، وتخويف، واستلطاف. وقد أحرز قوله من ربهم هذه المعاني الثلاثة حسبما يتبين بعد. ومن التأنيس أيضاً افتتاح خطاب من قصد بها بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، مع أنهم نُهوا عدة منهيّات، والنهي مما يثير الخوف لمن قصد بالنهي، ثم يحكمه^(٤) ويقويه ما وُصف به أم البيت الحرام، من ابتغاء^(٥) الفضل والرضوان إلى ما تعضده^(٦) إضافة التخصيص في قوله: ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾، إذ لا يحصل ذلك من أن لو قيل: ﴿يَتَتَفَوْنَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْواناً﴾، عوض قوله: ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾، وإذاية^(٧) من خص بتقريب، ليست^(٨) كإذاية من ليس كذلك. والمعصية قد تكون واحدة ثم تعظم^(٩) بإيقاعها على صفة ما. وتأمل ما ورد في الزنا بحليلة الجار، والزنا كله كبيرة، ولكن لوقوعه بحليلة الجار زيادة، وذلك لحرمة. وكذلك ما عظم الشرع من الإلحاد في البيت الحرام، والإلحاد كله حرم، ولكن في وقوعه في البيت الحرام زيادة. وتأمل هذا في الكتاب العزيز، وفي صحيح الأخبار، تجد ذلك كثيراً، كما

(١) ك: وكذا.

(٢) آية / ٨.

(٣) ب: يسأل.

(٤) جميع النسخ: بحكمه.

(٥) هـ، م، ع: انتفاء.

(٦) م، ب: تقصده.

(٧) هكذا في جميع النسخ. ومصدر آذى، أي فعل الأذى آذى، وإذاة، وإذية ولا يقال: إذاء.

(٨) ساقطة من ج، ك، ب، ع.

(٩) ح: يعظم.

أن هذه الإضافة في قوله: ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾، مشيرة - إذا اقترن بها بعض القرائن - بالتلطف^(١) والتقريب وتأنيس مَنْ عُنِيَ بها، وتخويف من انتهك حرمة من جرت الكناية عنه بها تخصيصاً وتأنيساً. فلهذا خُص هذا الموضع بها، وقدم أيضاً تأنيس من خطب بالنهي، إذا هم امثلوا فأنسوا من شدة الخوف الحاصل من^(٢) مجموع ما ذكرنا. فلمجموع^(٣) ما قصد في هذه الآية من التأنيس والتخويف والاستلطاف، خُصت بما ورد فيها.

فإن قلت: قد تَرُدُّ هذه الإضافة^(٤) حيث لا يقصد التلطف ولا التأنيس كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ [٥٤ / و] الْمَصِيرُ﴾^(٥)، إلى أمثال هذا مما يكثر^(٦).

قلت: أما آية الفتح فلم يَنْجُرْ فيها تخويف مرتكب، ولا بنيت على ذلك، ولا داعية إلى ما يستدعي التأنيس، كما في آية المائدة. وهذا مع أن المذكورين في آية الفتح أعظم الأمة قدراً وأجلهم حظراً، وهم أهل المزية والاختصاص، فلم تُبْنِ الآية إلا على مدحهم وبيان مرييتهم التي لا يدركها غيرهم، ولا ينجر فيها تخويف مرتكب يدعو إلى تأنيس من حوَّط بها كما في آية المائدة، بل وردت هذه مورد البشارة، وتعريف حال الإنعام، وعلى ذلك وردت آية الحشر، من الثناء والمُدْحَة، ولم يتخللها نهْي ولا تخويف، ولا ورد تفصيل بذكر مخالف في تلك الحال. فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ - إلى قوله - يَتَّبِعُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ

(١) ك: للتلطف.

(٢) ك: لي.

(٣) ك: فكمجموع.

(٤) ك، ب: الأوصاف.

(٥) الملك / ٦.

(٦) على هامش ج: ولعله بقى هنا كلام ٢١١.

وَرَسُولُهُ أَوْلَىٰ بِكُمُ اللَّاحِقِينَ ﴿١﴾

وقد وضح الوجه في ورود كل من هذه الآي على ما ورد، وأن عكس الوارد فيها لا يناسب، على ما تمهد، والله سبحانه أعلم.

٨٠ - الآية الثالثة من سورة المائدة (غ) (٢) قوله تعالى :

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاؤُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاؤُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ (٣)، فاتفقت الآيتان على وصية المؤمنين، وحضهم على مكارم الأخلاق، والعفو عمن تقدمت منه إساءة أكست بغضه، فكان قد قيل لهم - لا (٤) يحملنكم ما وقَر في صدوركم من بغضكم إياهم على متقدم إساءتهم، بصددهم إياكم عن المسجد الحرام عام الحديبية، ومنعكم عن (٥) الاعتمار، ولا يحملنكم ذلك على الانتقام منهم والانتصار لأنفسكم، فالعفو أقرب للتقوى، وقد ملكنكم فأسجحوا (٦). خطب المؤمنون بهذا بعد فتح مكة وقهر كفار العرب وإغلاء كلمة الله، فندبوا إلى العفو عما تقدم وألا يحاسب من أنقذ واستجاب ودخل في دين الله بما كان تقدم من عداوتهم، وإن وقَر في النفوس من بغضهم (٧)

(١) الحشر / ٨.

(٢) سقط من ب، ع: قوله «من سورة المائدة غ».

(٣) المائدة / ٨.

(٤) ج، ع: ولا.

(٥) ج، هـ، ك، ب: على.

(٦) الأسحج: الحسن المعتدل والشجحة، والسجحة، والمسجوحة، والمسحوح الخلق. والإسحاج: حسن العفو.

(٧) ج، هـ، ب، ع: بعضهم.

على إساءتهم ما وَقَرَ. فاستوت الآيتان بأمر المؤمنين بمكارم الأخلاق، ثم احتلف تعليق ما حذروا منه أن يحملهم عليه بخطأ ما في نفوسهم، ف قيل في الآية الأولى: ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾، وفي الثانية: ﴿عَلَى الْأَتْعَدُوا﴾، والاعتداء أشد وأعظم من عدم العدل عن وجه ما ورد في كل من الموضعين ومناسبتة لما تقدمه.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن الآية الأولى ورد فيها الإفصاح بعلة البغضاء الحاملة على الانتصار والانتقام، وهي صدُّهم عن البيت عام الحديثية، وذلك قوله تعالى: ﴿أَنْ ضُدُّوكُمْ﴾، أي من أجل [٥٤ / ظ]؛ ﴿أَنْ ضُدُّوكُمْ﴾ أي منعوكم، فإن هنا مصدرية في موضع المفعول من أجله. فلما وقع الإفصاح بسبب الشئان ناسب النظم الإفصاح بالعقوبة عليه وهو الاعتداء بالانتقام والمجازاة^(١) السيئة بالسيئة، لولا ما ندب سبحانه إليه من التخلق بالإيماني المشروع للمؤمنين تقديمه وحتيائه ف قيل: ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾، أي لا يحملنكم ذلك على أن تعتدوا، أي على الاعتداء، ولا يكسبنكم ذلك المرتكب الفارط منه^(٢) الاعتداء ولما لم يرد في الآية الثانية إفصاح بجريمة، بل بنيت على أمر المؤمنين بالعدل فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾^(٣) فلما أمرُوا بالعدل^(٤) ناسب ذلك وصيتهم وأمرهم ألا يحملهم شيء على ترك العدل الذي أمرُوا به ف قيل: ﴿عَلَى الْأَتْعَدُوا﴾، فوضع جليل اللثام والمناسبة، وورد كل من المنهي عن ارتكابه في الآيتين على ما يجب ويناسب ولا يمكن خلافه، والله أعلم.

(١) جميع النسخ: المجازات.

(٢) هامش ج: منهم.

(٣) النساء / ١٣٥.

(٤) ساقطة من ح، ك.

٨١ - الآية الرابعة من سورة المائدة (غ) قوله تعالى :

﴿وَلَيْتُمْ بِغَمَتِهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦).

وفي النحل^(١) (٨١) : كَذَلِكَ يُتِمُّ بِغَمَتِهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسَلِّمُونَ،
فورد في الآيتين إتمام نعمته سبحانه على عباده بعبارة متحدة. ثم اختلف
المُترجِّون منه سبحانه جزاءً على ذلك. ففي الأولى قال : ﴿لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ﴾، وفي الثانية : ﴿لَعَلَّكُمْ تُسَلِّمُونَ﴾، فيسأل عن وجه ذلك^(٢).

والجواب - والله أعلم - أن آية المائدة خطاب للمؤمنين بما يجب
عليهم من الطهارة، نُصَلَّاتِهِمْ، وتعليم لهم كيفية عملهم في ذلك. وإتمام
عليهم برخصة التَّيَمُّم إذا عَدِمُوا الماء. وكل هذا مستوجب الشكر^(٣) لله
سبحانه، وقيل في تمام هذه الآية : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. وأم آية^(٤)
سورة^(٥) النحل فإن السورة كلها مكية إلا آيات^(٦) من آخرها، وغالب حالها
خطاب لكفار قريش ومن كان مثلهم ألا ترى افتتاحها بقوله تعالى ﴿أَنِّي
أُمِرُّ آلَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾^(٧)، وإنما هذا خطاب للمُرتابين في الساعة تكذيباً
وكهراً. ثم قال : ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٨) : وقرئء بابت^(٩)،
فأوضح أن الخطاب كما قنن للمرتابين. وقوله بعد ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا
يَخْلُقُ أَفَلَا تَذْكُرُونَ﴾^(١٠)، وقوله : ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ

(١) هـ : النمل.

(٢) ب : صيغة السؤال (يقال ما وجهه).

(٣) هكذا في م وبقي السخ : لشكر.

(٤) ساقطة من ج، م، ب، ع.

(٥) ساقطة من ك.

(٦) هـ، ب، ع : آية. والصواب ما أثبتناه، فالآيات الثلاث الأخيرة من سورة النحل مدنية.

(٧) (٨١٧) الآية الأولى منها.

(٨) وهي قراءة حمزة، والكسائي، وحلَّم في أربعة مواضع يونس / ١٨، النحل / ٣٠١، الروم /

٤٠. وقرأ الباقر بالباء على الغياب. الشر ٢٨٢/٢، الحجة / ١٨٠.

(٩) (١٠) النحل / ١٧.

شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ»^(١)، إلى ما بعد. ثم قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رُبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ»^(٢)، ثم قال: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَائِدِ»^(٣)، وقال: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ»^(٤)، ثم قال: ﴿وَأَقْسِمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ»^(٥)، ثم قال: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ»^(٦)، ثم قال بعد أي تذكر ما امتنَّ به سبحانه فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا» - الآية^(٧)، وعلى هذا [٥٥ / و] استمرت آية سورة النحل، وقد تخللها من تذكيرهم بإنعام الله عليهم كثيراً - إلى قوله - ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا»^(٨). وكل هذا تذكير بمعائبه من إنعامه تعالى لا يمكن نسبة شيء منها لغيره. ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ»^(٩)، أي تدخلون في دين الإسلام الذي لا يقبل في الآخرة سواه، فهذا أوضح تناسب والسورة مكيَّة

أما آية المائدة فلم يقع قبلها خطاب لغير المؤمنين ولا ما قصد به سواهم، ولم يخاطبوا باسم الإيمان إلا وإسلامهم حاصل، ثم علموا طهارتهم بعد بيان ما أُجِلَّ لهم وحُرِّمَ عليهم. ثم أعقب تعليمهم برخصة

(١) آية / ٢٠.

(٢) آية / ٢٤.

(٣) آية / ٢٦.

(٤) آية / ٣٧.

(٥) آية / ٣٨.

(٦) آية / ٦٢.

(٧) آية / ٧٣.

(٨) من الآية ٦ - ٨١.

(٩) آية / ٨١.

التَّيْمُّمُ عند تعدُّر الماء فناسب ذلك رحاء إنعامه عليهم بهدايتهم للشكر،
ف قيل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، ولم يكن ليلائم في كل من ختام الآيتين، إلا
الوارد فيه، ولا يناسب عكس الوارد بوجه. فورد كل على ما يجب
ويناسب، والله أعلم بما أراد^(١).

٨٢ - الآية الخامسة من سورة المائدة قوله تعالى ^(٢):

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ﴾ (٩)

وفي سورة الفتح (٢٩): ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ف قيل هنا^(٣): ﴿مِنْهُمْ﴾، ولم يقل في آية^(٤)
المائدة: منكم، على مقتضى الخطاب، ولا منهم على الالتفات فيخصر كما
في آية الفتح، بل قطع ﴿وَعَدَ﴾ عن نصب مفعوله، وجيء بالجملة في
موضعه، ف قيل ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، وجرى ذلك على ما يُعمُّ الكل ولا
يُحصُّ فيسأل عن ذلك.

والجواب عنه^(٥) - والله أعلم - أن آية المائدة لما تقدمها خطاب المؤمنين في
قضيتين:

الأولى: منهما: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ - إلى قوله -
﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٦).

(١) محذوف من ب قوله: بما أراد.

(٢) عنوان الآية كله ساقط، من ب.

(٣) ك: هاهنا.

(٤) هكذا في ك، وبقية النسخ: سورة.

(٥) ج، عن ذلك.

(٦) المائدة / ٩.

والثانية قوله تعالى ^(١): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ - الآية ^(٢).

وقد وقع فيما بين هاتين الآيتين قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ ^(٣)، ولم يقع أثناء هذه الآية إشارة إلى غيرهم، ولا أنجر معهم أحد ممن سواهم، لم نحتاج إلى تخصيص الخطاب الوعدي فأطلق القول ولم يُقيد بأن يقال منهم، ولا عملت: وَعَدَ في مفعولها الثاني، كما جاء ذلك كله في آية الفتح، بل عُدل عن عملها في لفظ: مغفرة، وجيء بالجملة في موضع المفعول، وقُطع قوله: لهم على الابتداء والخبر؛ ليكون أبلغ في استحقاقهم ذلك.

وأما آية الفتح فأعقب بها التمثيل الجاري في ذكر الزرع في قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ ^(٤)، مع أن العلية ^(٥) الموصوفين بقوله: ﴿أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ ^(٦) إلى ما وصفوا به، وعرف أنه مثلهم في التوراة [٥٥/ظ] وأن مثلهم في الإنجيل قد كان كذا. فمع ما وصفوا به قد عاصرهم، وكان في أيامهم ومعهم من علم بفاقه ممن كان يتظاهر بالإيمان ويسر الكفر: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ حَرَجُوا بِهِ﴾ ^(٧). وقد صاروا معهم ^(٨) بظاهر أمرهم منهم ^(٩)، وأعلم بذلك قوله

(١) من أول الآية السابقة إلى هنا ساقط من ج، ك، ع.

(٢) النساء / ١٣٥.

(٣) المائدة / ٧.

(٤) الفتح / ٢٩.

(٥) ج، ع: أهلية.

(٦) الفتح / ٢٩.

(٧) المائدة / ٦١.

(٨) ساقط من ج، ب.

(٩) هكذا في ح، وساقطة من بقية السبع.

تعالى: ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾^(١)، وعرف سبحانه بأحوالهم وحذر نبيه والمؤمنين منهم فقال: ﴿وَلَا تُطْعِمُوا الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾^(٢)، وقد شمل الكل عموم قوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، بظاهر الإيمان، إذ كانوا يتظاهرون بما وُصف به المؤمنون، فجاء هنا بالوعد^(٣) [مُخْرَجًا] منه^(٤) مَنْ كَانَ يَتَظَاهَرُ^(٥) بالإيمان، ويلزق بالمؤمنين وليس منهم، وقيل ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾^(٦) فجاء بقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾^(٧)، ليحرز هذا المعنى الجليل، فمن دالة^(٨) على التبعض.

أما آية المائدة فلا يتناول^(٩) ما قبلها مما ذكر من الآيات غير المخلص في إيمانه، لخصوص^(١٠) خطابهم بما لا^(١١) يتناول غيرهم من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فخصصوا بالبدء، ولا يتناول إلا مؤمنًا. أما «مع» فيتناول المجتمعين في الظاهر من حيث تألف أشخاصهم، وإن اختلفت قلوبهم. ويدل على ذلك قول المنافقين في القيامة للمؤمنين: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾، وجواب المؤمنين هم بقولهم: ﴿بَلَى﴾، أي قد كنتم معنا، ولكن لم تكونوا مخلصين. هذا معنى قولهم: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنَّا أَنْفُسَكُمْ﴾ - الآية^(١٢)، فقد كانت مَعِيَّة في الظاهر،

(١) التوبة / ٥٦.

(٢) الأحزاب / ٤٨.

(٣) بعدها في ج، هـ، م، ب، ع محرراً، وفي ك: محرراً.

(٤) ساقط من م.

(٥) ك: يتظاهرون.

(٦) الفتح / ٢٩.

(٧) ساقط من ج، ع.

(٨) ساقطة من هـ، ع. وفي م، ك، ب: فمن على هذا التبعض.

(٩) ج، ع: تناول.

(١٠) هكذا في ك، وبقي النسخ: بخصوص.

(١١) ج، م، ب، ع: فلا.

(١٢) الحديد / ١٤.

وَصَحَّ إِطْلَاقُهَا لُغَةً، وَبِهَذَا الْقَدْرُ مِنَ الاحتمال في اللفظ ^(١) - وإن لم يكن مقصوداً في المعنى - حَسُنَ التَّجْرِيرُ، وَالتَّحَرُّزُ فِي آيَةِ الْفَتْحِ، بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْهُمْ﴾. أما قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، بعد أن لم يتقدم إلا ذكر من أفصح بلسانه، وإنما الإيمان عَمَلٌ قَلْبِيٌّ لَان ^(٢) التصديق وإن اتَّسَعَ في إطلاقه على الإيمان والإسلام، فالتصديق حاصل على كل حال كما لو قيل في آية الْفَتْحِ: «وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ».

وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا، فَلَا حَاسِلَ إِلَى التَّحَرُّزِ بِأَن يُقَالَ: مِنْهُمْ، لِأَنَّهُمْ مُسْتَمَرُونَ، غَيْرُ مُخْتَلِفِينَ فِي ظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ، بِخِلَافِ آيَةِ الْفَتْحِ، لَمَّا فِي ظَاهِرِ لَفْظِ «مَع» مِمَّا تَقَدَّمَ.

فَإِنْ قِيلَ: وَصَفُهُمْ مِمَّا وَصَفُوا بِهِ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ يَدْفَعُ مَا ذَكَرْتُ مِنَ الاحتمال. قُلْتُ: إِذَا أُمِكنَ رَجُوعُهُ إِلَى الْأَكْثَرِ وَاحْتِمَالُ لَمْ يَنْدَفِعْ ذَلِكَ الاحتمال، فَوَرَدَ كُلُّ مِنَ الْآيَتَيْنِ عَلَى مَا يَنْسَبُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٨٣ - الْآيَةُ السَّادِسَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى ^(٣):

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ، مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (١٣)

وَقَالَ فِيهَا بَعْدَ (٤١): ﴿سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾، فِي الْأُولَى: ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾، فَيَسْأَلُ عَنْ مُوجِبِ ذَلِكَ.

(١) ساقطة من هـ.

(٢) جميع النسخ: لأنه.

(٣) قوله تعالى: ساقطة من هـ ب، ع، وسقط عنوان الآية كاملاً من ك.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن الفرق بين الموضعين، أن الآية الأولى تضمنت إخبار الله سبحانه لنبيه عليه السلام [٥٦/و] بمرتكب من تقدم من كفار بني إسرائيل حين أخذ عليهم الميثاق فيما عرفه سبحانه، في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ - إلى قوله - ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(١)، فأخذ تعالى عليهم الميثاق، وأخبرهم^(٢) أنه تعالى معهم مواليتهم بالتأييد، وتكفير السيئات، إن هم وفوا بما أخذ عليهم في^(٣) قوله^(٤): ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ - الآية^(٥)، فنقضوا العهود، وقتلوا الأنبياء، وحرفوا كلام الله، فجعل الله قلوبهم قاسية، ولعنهم على لسان داود، وعيسى ابن مريم. فهذا كله تعريف بمرتكب سلف المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإخبار بحالهم من تحريفهم وتبديلهم.

وأما الآية الثانية، فتعريف له عليه السلام بأحوال معاصريه منهم. وكل هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم لكلا يحزنه قولهم، ويشق عليه ارتكابهم، وليعلم أن ذلك من^(٦) فعلهم جارٍ على ما قدر عليهم في الأزل، قد تبع في ذلك الخلف السلف. فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [ثم قال بعد] ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾^(٧)، فلما كان هذا إخباراً بحال خلفهم، والأول إخبار^(٨)

(١) المائدة / ١٢.

(٢) ج: وأخبره.

(٣) ج: من.

(٤) ساقط من ج، ب، ع.

(٥) المائدة / ١٢.

(٦) ساقط من ج، هـ، م، ع.

(٧) المائدة / ٤١، ٦١ على الترتيب.

(٨) هكذا في ك، وثيقة النسخ: بخبراً، بالصب.

بحال سلفهم ناسب حال الأولين ذكر ما تناولوه بأنفسهم وبأشروه من التحريف والتبديل، فقليل^(١) : ﴿يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ فهم المزيلون لما خوطبوا به عما أريد به، لم يتقدمهم في ذلك غيرهم. وأما المعاصرون، فقد حرفوا أيضاً هذا الاستقرار. ألا ترى إنكارهم صفة عليه السلام بعد مشاهدته ورؤيته. وهذا مما اختص^(٢) به الخلف دون السلف، إذ^(٣) لم يباشر أمره عليه السلام هؤلاء^(٤)، بعد أن كان سلفهم يعترفون بذلك. فقد حُرف هؤلاء بعد الاعتراف والثبوت، زائداً^(٥) إلى ما ارتكبه سلفهم. فانهقلدون لأسلافهم في التحريف والتبديل قائلون^(٦) بما قالوه، فناسب الإخبار عن مرتكبهم ذكر البعديّة، إذ قد تقدمهم غيرهم لما ذكر. فالسلف منهم مُبتدِعُ مُخْتَرِعِ، والخلف مُحَرِّفٌ أيضاً، ومقلد متبع. فالبعديّة لم بعد، والحاليّة المحكيّة لمن قبل على ما يناسب، والله سبحانه^(٧) وتعالى^(٨) أعلم.

٨٤ - الآية السابعة قوله تعالى :

﴿يَنَاهِلُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (١٥).

وفيما بعد (١٩) : ﴿يَنَاهِلُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى

(١) ج، ع: فقال.

(٢) ك: أخص.

(٣) ج، هـ، ب: أو.

(٤) ح: زاد هنا (ال).

(٥) جميع النسخ. زائد - بالرفع.

(٦) ح، ب، ع: قابلوه.

(٧) ساقط من ك، ب، ع.

(٨) ساقط من ح، هـ، ك، ب، ع.

فَتَرَةً مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴿١﴾.

للسائل أن يسأل عما ورد^(١) في هاتين الآيتين من الاختلاف فيما حُوطب به^(٢) [٥٦/ظ] بنو إسرائيل، ووجه خصوص كل من الموضعين بالوارد فيه، مع اتحاد مقصودهما: من تذكيرهم، وتعنيفهم على إعراضهم، وانحرافهم عن الجادة من اتباع من أُعْلِمُوا^(٣) بأمره، وقُدِّمَ لهم فيه: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^(٤). على هذه المقدمة من المعنى مَذَارُ الآيتين.

وإذا وضع هذا فلا سؤال في غير تخصيص كل واحدة من الآيتين بما ورد فيها. والجواب - والله أعلم - أنه لما تقدم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ - الآية. فبين تعالى ما عهد إليهم فيه، أي في معرفة نُبُوتِهِ^(٥) وأن^(٦) يؤمنوا به، «لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ»^(٧) وَالزُّمُوا الوفاء به وَعُلِمُوا بما يكون من أمرهم إِنْ وَفُوا، ففيل هم. ﴿لَا كُفْرَنَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَدْخَلْنَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٨) فالتزموا ما أُلْزِمُوا^(٩)، بدليل: ﴿قَالُوا أَقَرَّرْنَا﴾، ثم نقصوا وحرّفوا، وأخفوا، فجُورُوا باللعنة وفساوة القلوب^(١٠)، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ما ورد).

(٢) ب: حوطبوا به.

(٣) هـ، م، ب، ع: أعلموه.

(٤) البقرة / ٨٩.

(٥) ج، هـ، ع: نُبُوتِهِ، وكلاهما جائز صحيح.

(٦) ج، هـ: وإن لم.

(٧) ما بين القوسين اقتباس من الآية / ٨١ في سورة آل عمران.

(٨) المائدة / ١٢.

(٩) ح، ك: التزموا.

(١٠) ج، م، ب، ع: القلب.

قَاسِيَةً^(١) . فلما تقدم هذا ناسبه قوله تعالى لهم : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ، وهذا أوضح تناسب

ولما تقدم الآية الثانية قول النصارى في المسيح عليه السلام وإخباره تعالى عنهم بذلك في قوله : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٢) ، وبين تعالى حال المسيح في عبوديته ، وانسحاب القهر الرباني عليه ، كسائر المخلوقات فقال^(٣) تعالى : ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُبْعَثَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ - الآية^(٤) ثم جمع أهل الكتابين في التعريف^(٥) بقولهم^(٦) : ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾^(٧) ، وليس هذا الإخبار كالمُخبر له من حال يهود في قبيح عنادهم ، وشنيع تحريفهم ، يجر خطاب النصارى وما عرّف به من حالهم في الكتاب العزيز على حد^(٨) ما جرى من ذلك في يهود من التعنيف والتوبيخ ، وضرب الذلة واللعنة عليهم ، والبؤ^(٩) بالغصب . فلما^(١٠) كان هذا التعريف المتقدم على الآية الثانية أوطأ مساقاً ، ودون ما تقدم الآية المتقدمة من التوبيخ ، والمبالغة في شناعة^(١١) المرتكب ، ناسب هذا ما بُني عليه ، وأتبع به من قوله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ - إلى قوله - ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ . وفي هذا الخطاب استلطاف ورفق . ولم

(١) المائدة / ١٣ .

(٢) المائدة / ٧٢ .

(٣) ج : قال .

(٤) المائدة / ١٧ .

(٥) ساقطة من ج ، ع .

(٦) ب ، ع : بقوله .

(٧) المائدة / ١٨ .

(٨) ساقطة من ج ، ب .

(٩) ب : البؤ . والبؤ ولد الناقة ، وجلده يحشى نهماً أو نبأ إذا مات لتدبر اللبن ؛ فلزم التنويه .

(١٠) م : ولما .

(١١) ج ، ب ، ع : شنيعة .

يرد هنا ذكر تحريف ولا تبديل ليلائم ما تقدمه في لين القول، ووطءة الإخبار. وتأمل التناسب بين الخطابين وما بُيِّنَا عليه يُلْحَق [٥٧/و] لك جليل الانتظام وعظيم التلاؤم^(١)، وأن عكس الوارد لا يمكن، ولا يلائم، والله سبحانه وتعالى^(٢) أعلم بما أراد^(٣).

٨٥ - الآية الثامنة من سورة المائدة^(٤) قوله تعالى:

﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (١٧).

وفي سورة الفتح (١١). ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾.

للسائل أن يسأل عن^(٥) زيادة: ﴿لَكُمْ﴾، في سورة الفتح، وحذفه^(٦) في سورة المائدة.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن في آية المائدة، عموم^(٧) يستدعي الإطلاق وعدم التقييد بالمخاطبين. وفي سورة الفتح خصوص يستدعي التخصيص بإفادة^(٨) الخطاب للمواجهين^(٩) به. وذلك أن الإخبار في سورة

(١) ج، ع: وعليهم التلاؤم.

(٢) هكذا في ك، وساقطة من نية النسخ.

(٣) بما أراد: محذوف من ك.

(٤) سقط من ب قوله (من سورة المائدة).

(٥) ب: صيغة السؤال (يسأل عن).

(٦) هكذا في ب، وفي نية النسخ (حذف ذلك).

(٧) ج، هـ، م، ع: عمومًا ما.

(٨) هكذا في ك، والباقي: آية.

(٩) ك: للمواجهين.

المائدة، إنما هو عن النصارى قال الله ^(١) تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ^(٢). وهذا حكاية قولهم، ثم أعلم تعالى بقدرته وقهره للكل فقال: قل لهم يا محمد من يملك من الله شيئاً، إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه، ومن في الأرض جميعاً، أي فمن يدفع مراده في خلقه، إن أراد إهلاكهم. ثم ذكر سبحانه خلقه المقهورين من سكان الأرض، فبدأ بالمسيح وأمه عليهما السلام، ثم قال، ومن في الأرض جميعاً، فعم الكل، فلم يكن ليناسب هذا العموم أداة خطاب تخصّص.

أما آية سورة الفتح فقبلها ^(٣) إخباره سبحانه عن المتخلفين عن غزوة الحديبية قال سبحانه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ ^(٤). ثم أعلم تعالى نبيه عليه الصلاة ^(٥) والسلام، والمؤمنين، أن قول هؤلاء المخلفين قول بالسّتهم غير مطابق لما في قلوبهم. فقال تعالى: قل لهم يا محمد من يملك لكم معشر المحلفين من الله شيئاً، أي من ^(٦) يدفع عنكم الضر إن أراد ^(٧) بكم ضرراً، أو يوصل إليكم النفع إن منعه عنكم. فالإخبار إنما هو عنهم، وتقدير الضرر والنفع - مدفوعاً أو لاحقاً - خاصّ بهم، لم يُرد بذلك غيرهم. فورد بحطاب المواجهة، فقال ^(٨): ﴿لَكُمْ﴾ ولم يكن بُدّ من ذلك، ليُعلّم أن الإخبار عنهم، والخطاب بما يُعدّ ^(٩) لهم،

(١) هكذا في م، وساقطة من بقية النسخ.

(٢) المائدة / ١٧.

(٣) ك: قبلها.

(٤) الفتح / ١١.

(٥) ساقطة من هـ، م، ك، ب.

(٦) ساقطة من هـ، ب، ع.

(٧) هـ، ك: إرادة.

(٨) م: فقل، ب: فقل.

(٩) ب: تابعة لهم، ع: بما بعد بالتجنية الموحدة.

فجاء كل على ما يجب ويناسب^(١)، ولا يتصور فيه العكس، والله أعلم بما أراد^(٢).

٨٦ - الآية التاسعة:

وهي من^(٣) تمام هذه التي فرغنا منها، وهي قوله تعالى، إثر قوله: ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، فقال:

﴿وَالِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧).

وقال تعالى فيما بعد (١٨): ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا قُلُوبَهُمْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

للسائل أن يسأل عن^(٤) تعقيب الأولى بقوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وتعقيب الثانية بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

والجواب عن ذلك، أنه سبحانه لما ذكر في الأولى قدرته وعظيم سلطانه في قوله تعالى^(٥): ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ

(١) ك: على ما يناسب ويجب.

(٢) بما أراد: محذوفة من ك.

(٣) ساقطة من ك.

(٤) ب: صيغة المؤول (يقال ما وحه تعقيب...).

(٥) ساقطة من ك.

مَرِيَمَ وَأُمَّهُ وَفَزَّ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا^(١)، وَعَرَفَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا مُعَانِدَ لَهُ^(٢)، وَلَا مَانِعَ لِمَا يَرِيدُهُ، إِشَارَةً^(٣) بِقَوْلِهِ: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، إِلَى مَا أَفْصَحَ بِهِ قَوْلُهُ: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾^(٤) وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٥)، فَصَارَتْ^(٦) الْآيَةُ بِهَذَا فِي قُوَّةِ أَنْ لَوْ قِيلَ: قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ مِنْ ذَكَرٍ، وَيَأْتِ بِآخَرِينَ سِوَاهُمْ، فَأَعْقَبَ^(٧) هَذَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وَهَذَا وَاضِحٌ.

وَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ تَعْلِيلَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، أَعْقَبَ هَذَا بِمَا يَشِيرُ إِلَى وَقْتِ التَّعْذِيبِ، وَظُهُورِ الْمَغْفِرَةِ وَالْمُجَازَاةِ^(٨)، فَقَالَ: ﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾، وَهَذَا وَاضِحٌ أَيْضًا.

فَلَمَّا اخْتَلَفَ مَقْصُودُ الْآيَتَيْنِ أَعْقَبَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِمَا يَنْسَبُ مَقْصُودَهَا، فَالْقَهْرُ فِي الْأُولَى، وَالِاخْتِرَاعُ يَنْسَبُ وَصْفُهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُدْرَةِ، كَمَا أَنَّ التَّعْذِيبَ وَالْغَفْرَانَ فِي الثَّانِيَةِ يَنْسَبُهُمَا^(٩) ذِكْرُ الْمِثَالِ^(١٠)، فَجَاءَ كُلٌّ عَلَى مَا يَنْسَبُ.

٨٧ - الْآيَةُ الْعَاشِرَةُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ

(١) فِي كَ فَقَطْ وَسَاقِطَةٌ مِنْ بَقِيَّةِ النَّسْخِ.

(٢) هـ، م: أَشَارَ.

(٣) النِّسَاءُ / ١٣٣.

(٤) الْآيَةُ فِي سُورَةِ: إِبْرَاهِيمَ / ١٩، فَاطِرَ / ١٦.

(٥) ج، هـ، ع: وَصَارَتْ.

(٦) ب: فَأَعْقَبَتْ.

(٧) ج، هـ، م، ع: الْمَجْزَاةُ.

(٨) ك: ب: يَنْسَبُهَا.

(٩) ك: الْمَثَلُ، ب: الْمَثَلُ.

فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾

وفي سورة إبراهيم (٦): ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَذُبُّونَ آبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾. فافتتح قول موسى لقومه في سورة المائدة بندائهم، ولم يقع نداؤهم في سورة إبراهيم، فيسأل عن الموجب لذلك^(١)، وعن وجه الفرق^(٢).

والجواب عن ذلك، أنه لما اعتمد في آية المائدة تذكيرهم بضروب^(٣) من الآلاء والنعم الجسام، من جعل الأنبياء فيهم^(٤) وجعلهم ملوكاً، وإعطائهم ما لم يُعْطَ غيرهم، كان ذلك تعريفاً باعتناهم سبحانه بهم وتفضيلهم على من عاصرهم وتقدمهم من^(٥) أمم الأنبياء قبلهم، فناسب ذلك نداء موسى [٥٨/و] عليه السلام بقوله: ﴿يَا قَوْمِ﴾، بالإضافة إلى ضميره، إنباءً بالقرب والمزية، وناسب هذا النداء المنبئ^(٦) بالاعتناء، ما تقدم من تخصيصهم بما عُقِبَ به النداء من التشريف بما منحهم من الآلاء والنعم الجسام، ولما قصد به في آية سورة إبراهيم تذكيرهم بنجاتهم من آل فرعون وما كان يسومهم به من ذبح ذكور أبنائهم، واستحياء نسايتهم للمهانة^(٧). ولم يُذكر هنا شيء مما في آية المائدة لما اقتصر عليه هنا من التذكير بمجرد الإنجاء، فناسب ذلك

(١) ج، ب: في ذلك.

(٢) ب: صيغة لسؤال (يقال ما الفرق بينهما).

(٣) ج، ع. وضروب.

(٤) ج، ع: منهم.

(٥) م: لي.

(٦) هـ، م، ب: المبا.

(٧) ح، هـ، م: للمنة، ب، ع: للمية.

الاقتصار على خطابهم دون الداء، رغباً للمناسبة، والله أعلم.

٨٨ - الآية الحادية عشرة: (غ) قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤٠)

وفي سورة الفتح (١٤): ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾. فتقدم في المائدة ذكر التعذيب، وأخر في سورة الفتح، وأعقت الأولى بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ والثانية بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾، فهذا سؤالان.

والجواب عن الأول أنه لما تعدد المائة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً﴾ (١)، وقوله ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ - الآر - وقد وقع في الآية ذكر تنكيل الطائفتين^(٢)، فمن حارب أو سعى في الفساد، فويل في الطائفة الأولى. ﴿أَن يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ جِلْدٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٣)، فهذا ما يجعل لهم في الدنيا، ثم أعم تعالى بوعيدهم الآخر أي وجزائهم^(٤) إن هم وافوا على فعلهم هذا، مستجلين لذلك^(٥) المرتكب أو غير مستجلين إن أنفد الوعيد عليهم، وأعقب تعالى بذكر إقالتهم، أن يأتوا قبل أن يُقَدَّرَ بما أعطاه الاستثناء، وأشار إليه قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا

(١) المائدة / ٣٣، ٣٨ على الترتيب.

(٢) هكذا في جميع النسخ ولعل صوابها: تنكيل بالطائفتين.

(٣) المائدة / ٣٣.

(٤) ك: وحائزهم.

(٥) ك: ذلك.

أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(١). وقيل في الطائفة الثانية: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً^(٢)﴾. ثم قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾، أشار إلى من أقلع منهم تائباً وأصلح، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ^(٣)﴾. فقد تقدم في هاتين القضيتين ذكر الامتحان قبل ما به رجاء الغفران، وهذا في مآلهم الدُّنياوي، ثم أعقب تعالى بالآية التي أعلم فيها بانفراده بملك السموات والأرض، وأنه تعالى يعذب من يشاء، فقدم ذكر العذاب على المغفرة تنظيراً لما تقدم، ومقابلة تطابق، إذ كل ذلك بقدرته تعالى [٥٨/ظ] وسابق مشيئته فهذا وجه تقدم^(٤) التعذيب^(٥) في سورة المائدة. وأما آية الفتح^(٦)، فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعيراً^(٧)﴾. وبالإيمان رجاء^(٨) الغفران وهو مُتَشَبِّهٌ به، كما أن العذاب مرتبط بالكفر ومُطَاطَبٌ به، فتقدم في هذه الآية مُثْمِرُ الغفران وهو الإيمان، وتأخر مُوجِبُ التعذيب من الكفر والخُذلان. ثم أعقب تعالى بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فناسب^(٩) بين الآيتين بالتناظر في الجزاءين من المغفرة لمن أناب^(١٠)، والتعذيب لمن كفر وارتاب وبحسب

(١) المائدة / ٣٤.

(٢) ل: سقط من الآية قوله: حراء.

(٣) المائدة / ٣٩.

(٤) ب: عنهم.

(٥) م: تقديم.

(٦) هـ: العذب، ب: لعذاب.

(٧) ب: وأما آية المائدة في سورة الفتح (٩).

(٨) آية / ١٣.

(٩) هكذا في ك وبقي السخ (جاء).

(١٠) ب: ناسب، ل: فوسب.

(١١) ل: تاب.

مَشِيَّتُهُ^(١) سبحانه، وما قَدَّر لكل من الفريقين أولاً.

٨٩ - الآية الثانية عشرة قوله تعالى:

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٤)

ثم قال بعد (٤٥): ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ثم قال بعد (٤٧): ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

فلسائل أن يسأل عن موجب^(٢) افتراق هذه الأوصاف الوعيدية بوسم من وُصِف^(٣) بها بما يستلزم العقاب الأخراوي من الكفر والظلم والفسق، وإن لم يكن إقلاع ولا^(٤) غفران، ولم اختلفت^(٥) وحدة الموصوفين^(٦) بها؟، وكيف ورد فيها الأخف بعد الأثقل، وذلك ضد التَّرقِّي^(٧) في مقابل الوعيد الذي تشير إليه هذه الصفات وهو الوعد - وطريقته التَّرقِّي من حال إلى أعلى. وعلى ذلك ورد^(٨) آي الكتاب كقوله^(٩) تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ - الآية^(١٠)، فَبَشِّرُوا أولاً

(١) هـ: عَشِيَّتُهُ، ج، ب، ع: نَحْسِيَّتُهُ.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما موجب افتراق...).

(٣) ب: وسم.

(٤) ساقطة من ك.

(٥) ب: اختلف.

(٦) ج: الموصفين (٩).

(٧) م: التَّي.

(٨) ك: ورود.

(٩) ح، هـ، ع: لقوله.

(١٠) البقرة / ٢٥، وقد حذف منها في هـ، ب، ع ﴿مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، وحذف في ك ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

بالجنات ثم وصفت بحري أنهارها وبذلك حياتها، ثم بموالة رزقها وتشابهه، لتأنس النفوس بما ألفت، لأن غير المألوف من المَطْعَم^(١)، ينافره الطبع، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الضُّبِّ حين قُرِبَ إليه فردّه: «لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه»^(٢). ثم أتبع ذكر الرزق والمأكول بالأزواج المطهرة، فازداد النعيم، واتسعت الملاذ ثم أعقب بالخلود، وذلك كمال النعيم. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُضْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(٣). فتأمل ورود الغفران بعد صلاح^(٤) الأعمال، وكلاهما جزاء على ما مُنَحُوهُ من التقوى وسَدَادِ الأقوال. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ [٥٩/و] لَكُمْ﴾^(٥) وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(٧). فتأمل ختام الجزاء^(٨)

(١) هـ، م، ك: المتطعم.

(٢) روي هذا الحديث لابن عباس، خالد بن الوليد وقد دخل معه صلى الله عليه وسلم على أم المؤمنين ميمونة خالته وخالة ابن عباس، فقدمت له ضئاً قدمت به أختها حفيدة بنت الحارث من نجد، فأكل مما سواه وتركه، فسألوه عن الحل والحلوة فيه فقئها. هذا ما اتفق عليه الشيخان، وزاد مسلم في صحيحه من طريق ابن عمر روايات في إباحة أكله وتحليله. البخاري ٩٢/٧، مسلم ٦١٣/٤ - أحاديث / ٣٦ - ٤٥.

(٣) الأحزاب / ٧٠، ٧١.

(٤) ج، ع: إصلاح.

(٥) الحديد / ٢٨.

(٦) التوبة / ٧٢.

(٧) البقرة / ٧ - ٨.

(٨) ج، ب، ع: الخير.

المذكور في آية الحديد بالغفران وعظيم ما يثمره. والترقي من ذكر ما تقدمه إليه وختام هاتين الآيتين^(١) بعد^(٢) بالرضى وهو أعظم ما يُعطاه أهل الجنة، والحديث الصحيح في ذلك مشهور^(٣) ومفهوم الرضى^(٤) - لو لم يرد الحديث - أعظم نعمة. والترقي في هذه الآي بين، ولم ينكسر هذا المطرد^(٥) في أي الوعد على تكررها، وعلى ذلك جرت آيات الوعيد. وإلى^(٦) الوعيد مرجع^(٧) أي المائدة المتكلم فيها لما ذكرنا من السيئة، ومقابل الوعيد الوعد، وقد اطرء ذلك فيه في كل آي^(٨) القرآن وكذلك في الآي الوعيدية.

ومن أين الوارد في ذلك وأقربه شَبَهاً تأتي المائدة قوله - عز وجل: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ﴾ - الآيات إلى قوله - ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^(٩)، فقد وقع في هذه الآي ذكر ثلاثة أصناف اجتمعوا في الكفر بعد الإيمان، ثم اختلف حكمهم فيما بعد، وقد نحصل في وعيدهم الانتقال من أخف إلى أثقل، فقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ - إلى قوله - ﴿أُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾^(١٠)، هؤلاء مع

(١) ساقطة من ح، هـ، م، ع.

(٢) ج، هـ، ب، ع: بقرب.

(٣) صحيح الحديث مسلم ٦٩٠/٥ - حديث ٨ من طريق أبي سعيد الخدري عن النبي عليه الصلاة والسلام ومثله: إن الله يقول لأهل الجنة: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟! فيقول ألا أعطيتكم أفضل من ذلك فيقولون: يا رب وفي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أجل عليكم رضواني، فلا أشحط عليكم بعده أبداً.

(٤) ب: المرضى.

(٥) ب: الطرد.

(٦) هكذا في ك، وبقية لنسخ: على.

(٧) ج، ع: مرجع.

(٨) ح، ب، ع: أي في القرآن.

(٩، ١٠) آل عمران / ٨٦ - ٩١.

وعيدهم وما ذُكر^(١) من لعنهم قد أعقب بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾^(٢) فهذا إبقاء خُفَّتْ به حالهم عن المنكرين^(٣) المذكورين بعدهم، وكذا ورد في سبب هذه الآية، أن الذي نزلت بسبب كُتِبَ بها إليه^(٤)، بعد سؤاله: هل له من توبة، حين كفر بعد إسلامه ولحق بمكة. فلما وقف عليها، راجع الإسلام، وحسنت توبته^(٥). ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ارْزَأُوا كُفْرًا﴾^(٦). فذكر هؤلاء بازدياد الكفر بعد الكفر، المعقب به إيمانهم، ثم أعقب ذلك بقوله تعالى: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾^(٧)، فأبقى تعالى على^(٨) الأولين حين قال تعالى^(٩): ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾، واشتد^(١٠) حال المذكورين بعدهم، حين قيل فيهم: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾^(١١) ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا﴾^(١٢)، فأعلم من حال هؤلاء بموتهم على الكفر، فانقطع رجائهم، وهؤلاء أشد حالاً ممن ذُكر قبلهم في الآية المذكورة قبلها، إذ لم ينص فيها على موتهم على الكفر، ونَصَّ^(١٣) في هذه الأخيرة، فكانت أشد فقد وضع في هذه الآيات^(١٤)،

(١) هـ، ع دكروا.

(٢) ب عمران / ٨٩

(٣) في ك فقط.

(٤) ج، هـ، م، ك، ع: كتب بها إلى مكة.

(٥) هو رجل أنصاري يدعي الحارث بن سويد، ارتد بعد إسلامه، ولحق بالمشركين في أرض الروم،

وقيل حق بفريش في اثني عشر مرتداً. انظر: جامع البيان ٥ / ٥٧٢ - ٥٧٤، أسباب النزول /

٧٤، ٧٥، والباب / ٤٨.

(٦، ٧) آل عمران / ٩٠، وقد سقطت (إن) من: ج، هـ، م.

(٨) ب. فأبقى تعالى عن.

(٩) في ب فقط.

(١٠) ج، م: اشتمل.

(١١) آل عمران / ٩٠.

(١٢) آل عمران / ٩١.

(١٣) هـ، م، ب: خص.

(١٤) ساقطة من ك

الانتقال من أخف إلى أثقل، وهذا مُطَرَّد في الوعد والوعيد^(١)، والتعريف بالامتنان والأحوال، وما يرجع إلى ذلك^(٢)، [٥٩/ظ] وعلى هذا كلام العرب في هذه الضروب التي أشرنا إليها. ومن آي الامتنان قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾^(٣)، وفي^(٤) هذه الآية الترقّي، وهي من قبيل ما ذُكِرَ، وإنما يرد عكس^(٥) الترقّي، بذكر الأخف بعد الأثقل في التكاليف والأوامر والنواهي، وما يرجع إلى ذلك. ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ - الآيات^(٦). فهذا الضرب وما يرد منه ويرجع إليه لا يُشْتَرَطُ فيه ما قُدِّم من الترقّي والانتقال من أخف إلى أثقل ومن حُكِمَ إلى ما هو أعلى منه. أما الوعد والوعيد فالمطرّد فيهما وفي الضروب المذكورة معهما^(٧) ما بيّناه^(٨) من الترقّي، وهو كلام العرب. فللقائل أن يقول: إذا ثبت ذلك فما جوابكم^(٩) عما ورد في آية المائدة وطاهره على خلاف ما زعمتهم أطراده، فأقول: أما القول بخروج آية المائدة عما أطرّد في نظائرها وأنها^(١٠)، مما ورد فيه^(١١) الأخف بعد الأثقل، فمرتكب لا يُسَلَّمُ لقائله، وغفلة عما عليه أي القرآن وكلام العرب، وإن كان قد^(١٢) اعتمده بعض الجُلَّة - رحمهم الله - والجواب عنه جواب عن السؤال الأول.

(١) ك: راد هنا (والوصف).

(٢) ب: ذكر.

(٣) النساء / ١١٣.

(٤) هـ، ب، ع: من، وساقطة من ج.

(٥) هـ، ج: على.

(٦) المائدة / ٤٥.

(٧) ج، هـ، ع: منها.

(٨) ج: ما بينا - لا - من (؟).

(٩) ب: واجواب.

(١٠) ج، ب، ع: فيها.

(١١) هكذا في ك، وبقية السخ (فيها).

(١٢) كان وقد: ساقطتان من ج، هـ.

وحاصل كلام من أشرنا إليه سؤالاً وجواباً، أن قال: إن قيل: لم قال في الأولى، ﴿هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، والكفر أعظم من الظلم، فما الفائدة في ذكر الأخف بعد الأثقل. ثم جاب بما معناه: إنه لما تقدم الآية الأولى قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا نَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُونَ وَلَا تُشْرِكُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(١)، وإن ارتكاب شيء مما نُهِوا عنه، وعدم خشيته تعالى، تقصير فيما يجب له سبحانه^(٢) وجحد الواجب له، وإنكار نعمه تعالى كفر، فأعقب قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وأما^(٣) تقدم الآية الثانية قوله تعالى^(٤): ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ - الآية﴾، فلم تتضمن هذه الآية غير الحقوق المتعلقة بالنفوس، والوقوع في شيء من ذلك يوجب إبلامها^(٥)، ودوام عقابها، وذلك ظلم لها، فأعقبت هذه بقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. انتهى معنى كلامه، وفيه بادي^(٦) النظر مناسبة وملاءمة في النظم إلا أن ما تمهد من المطرد في أي القرآن، وما عليه كلام العرب في الوعد والوعيد، يرد ما اعتمده هذا القائل. وقد تقدم في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ - الآية^(٧)، ما فيه شفاء فيما ذكرته هنا. ثم إن الكلام لو كان جارياً على ما قال لبي^(٨) عليه اعتراض يلزمه تكميلاً لما ألزمه نفسه في

(١) لمائدة / ٤٤.

(٢) ج، ع: تعالى.

(٣) ج، ك، ع: ولما.

(٤) في ك فقط.

(٥) ك: تلافها.

(٦) ج، ع: لبدي.

(٧) آيه / ٥٨.

(٨) م، ب، ع: لبي.

هذه الآي، من توجيه الوارد^(١) فيها من الأوصاف الثلاثة، وهو قَصْرُه السؤال والجواب على^(٢) الوجهين من الكفر والظلم، وكان قوله تعالى في الآية الثالثة بعد: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، غير مُنَاطٍ بما قبله وليس الأمر كذلك فإن المذكورين في الآي الثلاث قد اجتمعوا في الحكم بغير ما^(٣) أنزل الله، وقد شملهم ذلك. فهم من حيث ذلك صنف واحد، ومدار^(٤) الآي في الثلاث، إنما هو على [٦٠/و] فعل يهود المنصوص على حكمهم بغير ما أنزل الله، ومخالفتهم مَنْصُوصَ كتابهم في الرُّجْم وغيره^(٥)، وما قبل هذه الآي وما بعدها لم يخرج عنهم، فَهُمْ أهل الأوصاف الثلاثة، وقد نقل المفسرون عن ابن عباس أنه قال: الكافرون والظالمون والفاسيقون أهل^(٦) الكتاب^(٧). وعن ابن مسعود: هو عام في اليهود وغيرهم^(٨). وقال الزمخشري: مشيراً إلى وجه الترتيب في هذه الأوصاف، وتفسيراً لقول ابن عباس، وأن يهود هم الأهلون لهذه الأوصاف والمرادون بها فقال: «الكافرون، والظالمون، والفاسيقون وصف لهم بالْعُتُوِّ في كفرهم حين ظلموا [آيات الله] بالاستهانة، وتمردوا بأن حكموا بغير^(٩) ما أنزل الله»^(١٠)، فجعل الظلم استهانة، والفسق تمرداً، وقد فسر الفاسقين من قوله تعالى في سورة البقرة:

(١) ج، هـ، ب، ع: المراد.

(٢) ب: عن.

(٣) ب: بما.

(٤) هكذا في ك، وبقية النسخ (مراد).

(٥) ما بعدها إلى قوله. وقد نقل، محذوف من ج، هـ، ع.

(٦) ج: من أهل.

(٧) جامع البيان ١٠ / ٣٥٦، ٣٥٧. وانظر أقوال السلف بمثل قوله ١٠ / ٣٤٥ - ٣٥٨.

(٨) نفسه / ٣٥٢، ٣٥٣.

(٩) الكشف بغيرها.

(١٠) الكشف ١ / ٤٦٣.

﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾، بأنهم المتمردون من الكفرة^(١). قلت: جعل الزمخشري الاستهانة مسيرة^(٢) ظلمهم ومادته، فظلمهم المسبب عنها بعد حصول كفرهم أشد من الكفر. ثم إن التمرد المعبر عنه في الآية بالفسق وإن تقدمته الاستهانة، وكانت له كالمادة، فإنه أشد من الاستهانة، لأن التمرد تَفْعُلُ مَنْ مَرَدٌ^(٣)، أي عتاً. والتَفْعُلُ يَنْبِيْ عَلَى^(٤) التَعُوْدُ والتَّعْمَلُ. فتأمل حصول الترقى في كلامه من أخف إلى أثقل، وانسحاب كلامه على^(٥) الأوصاف الثلاثة من الكفر، والفسق والظلم^(٦)، وإن لم يفصح بسؤال ولا جواب، وكثيراً^(٧) ما يعتمد وينقل كلامه مَنْ قَدَّمْنَا مَأْخُذَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وهو أبو الفضل بن الخطيب. ثم إنه عدل عن اعتبار كلامه هنا، وارتكب خلافه ولم يستوف توجيه الأوصاف الثلاثة^(٨) وقصر السؤال على فصل ما بين الكفر والظلم دون الفسق، وأرى^(٩) ذلك غير ما ينبغي، والله أعلم.

وقد تعرض صاحب الدرّة لهذه الآية من حيث خصوص مقصده، وبني جوابه على ذلك، فانفصل في الأولين، بأن الظلم في الآية الثانية واقع على الكفر والظلم، فهو أشد من الكفر مجرداً. هذا معنى ما أراد، وقد جرى منه على المطرد في الترقى، إلا أنه لم يخلص ما بعد ذلك، وجعل الآية الثالثة

(١) انظر الكشف ٢٣٠ / ١ - آية / ٩٩.

(٢) هكذا في جميع النسخ وهامش ج، وفي ح: مثيرة؛ ولعلها ما يريد المؤلف.

(٣) ج، ع: تَمَرَّدَ. وتمرد بقي زمناً أمرد، دون لحية ثم التحى.

(٤) هـ، هامش ج: يَنْبِيءُ عَنْ، ك: يَنْبِيْ مِنْ.

(٥) جميع النسخ: عَنْ.

(٦) ك: الظلم والفسق.

(٧) ك: وكثير.

(٨) ب: الثلاث.

(٩) هـ، ب، ع: الى.

منقطعة عن الآيتين قبلها. وحاصل كلامه بالجملة أن ما تقدم عن الوصف بالكفر والظلم، خاص بيهود، لتقدم ذكرهم قبل هذه الآيت من غير التفات^(١)، قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ - إلى قوله نبياً لهم - ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ﴾ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً^(٢) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون^(٣) ولم يتقدم ذكرهم بغير كفرهم وتحريفهم بغير التفات إلى ذكر ظلمهم غيرهم، وإنما مجرد كفرهم ظلم^(٤) لأنفسهم، فأعقب هذا بقوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. ثم لما اجتمع في الآية الثانية ظلمهم لأنفسهم ولغيرهم، بما ذكر من مخالفتهم في القصاص المشار إليه بقوله: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا إِنَّ النَّفْسَ﴾ - إلى آخره^(٥)، أعقب هذا بقوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لظلمهم أنفسهم بالكفر، وزيادة ظلمهم غيرهم، فكان أشد من وصف الكفر، إذ هو كفر وزيادة؛ فعبر بالوصف العام للكفر وغيره. ثم لما أعقب [٦٠/ظ] بذكر إنزال الإنجيل وكأن الكلام انقطع عما قبله. ومن المعلوم أن الحكم بغير ما أنزل الله، قد يكون من غير الكافر - وإن لم تبلغ منزلته الكفر - فهو فاسق لا كافر، ف قيل هنا: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ انتهى معنى كلامه. ثم أعقب هذا بأن قال: فقد بَانَ لك أن^(٥) كل موضع من الآي الثلاث أُخبر فيه عن المذكورين قبل^(٦) بالكفر والظلم والفسق، ولم يحسن غير ذلك^(٧).

قلت: فقد حصل من كلامه أن الكفر والظلم في الآيتين خاص بيهود،

(١) قوله: من غير التفات، في ك فقط.

(٢) في كل النسخ؛ زيد هنا (إلى قوله) والآية متصلة لم يحذف منها شيء.

(٣) ما بعدها إلى قوله: ظلمهم لأنفسهم ساقط من ج: هـ، ب، ع بانتقال النظر.

(٤) ج: الخ.

(٥) ب: بَانَ، وساقطة من ج، هـ، ك، ع.

(٦) م: المذكور من قبل.

(٧) راجع درة التنزيل / ٨٤، ٨٥.

وهم المقصودون بذلك، وأن الفسق يعمهم مع غيرهم، وهو مأخوذ بنأه على ما حكاه عن غيره من أن ﴿مَنْ﴾ في ثلاث الآي موصولة بمعنى «الذي»، واعتمده هو في الأوليين^(١). واختار في الثالثة أن تكون ﴿مَنْ﴾ شرطية، ليحصل في الموصولة خصوص وعهد فيمن تقدم، وليحصل في الشرطية عموم كما تقدم. ثم إنه لم يتعرض لبيان ترقّي، ولا انتقال.

فإن قيل: إنما بنى كتابه على مقصد^(٢) خاص، وهو فرق ما بين المشابهات من الآي، ونصر السؤال الذي فرض، أن قال: للسائل أن يسأل فيقول، الموضع الذي وصف فيه مَنْ لم يحكم بما أنزل الله بالكفر، هل بآيّن الموضع الذي وصف فيه تارك ذلك الظلم والفسق، ثم أجاب بما تقدم، فجوابه مطابق لما فرض من السؤال.

قلت: هذا صحيح، ولكنه لم يتخلص له جوابه فيما^(٣) بين الآيتين إلا باعتماد طريقة^(٤) الترقّي، وهو لم يقصده بسؤال ولا جواب، وإنما قصد الفرق الموجب لاختلاف الوصفين وحصل^(٥) له بما في الآيتين من الانتقال. فلو اعتبر ذلك ومشى عليه في الآية الثالثة، لكان أنسب وبيّن في جواب ما فرض من السؤال، مع زيادة فائدة أهم وأكبر. ولمّا لم ينح له ذلك، ارتكب التفصيل في الجواب، فجعل مَنْ في الآيتين الأوليين موصولة، ليحصل^(٦) له من خصوص هاتين الآيتين بيهود، ما اعتمده كما تقدم من كلامه، وجعلها^(٧) في الآية

(١) ج، هـ، ك: الأولين

(٢) ج، ب، ع: مقصود

(٣) م: في ما.

(٤) ب: طريق.

(٥) ك: فتحصل.

(٦) ب: فتحصل

(٧) ج، ع: في جعلها.

الثالثة شرطية ليحصل له ما قصد من العموم، وليس ذلك كما ذهب إليه، ولا انفصلت منها آية عن^(١) الأخرى، إلا ما أعقبته به من الوصف، وتوجيهه حاصل منه ما أراده على ما نبينه^(٢) مع رعي الترتي الثالث، على ما تقدم وهو أوضح في توجيهه^(٣) هذه الأوصاف، وأولى في الجواب عن عين ما فرض صاحب كتاب الدرّة من السؤال. ووصف^(٤) يهود بالفسق أعظم من وصفهم بالظلم، ووصفهم بالظلم هنا أعظم من وصفهم بالكفر.

وقد نقل المفسرون عن الحسن^(٥) أنه قال: إذا استعمل في نوع من المعاصي - يعني الفسق - وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره. ثم في آية سورة البقرة ما يبين وجه ختم آية سورة^(٦) المائدة بوصف الفسق قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ^(٧) وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ إلى قوله - ﴿وَمَا يَكْفُرُ [و/٦١] بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ^(٨)﴾. فتأمل ما تضمنته هذه الآيات، فقد ورد فيها بضع عشرة خصلة من شنيع مرتكباتهم. ومنها اتّباع ما هويته^(٩) أنفسهم، أشار^(١٠) إليه^(١١) قوله تعالى^(١٢): ﴿أَفَكُلَّمَا

(١) ساقطة من ك.

(٢) هـ، ع، ب، نبه.

(٣) م: توجيه.

(٤) هكذا في ك، وبقية النسخ (أو وصف)

(٥) هو الحسن بن يسار البصري - توفي - ١١٠ هـ، ويسبب إليه ابن النديم كتاباً في التفسير. انظر الحسن البصري / ١٤٦ فما بعدها.

(٦) ساقطة من ك.

(٧) ما بعدها إلى البيّنات، محذوف من ب، وفي موضعه: (الآية إلى قوله تعالى).

(٨) البقرة / ٨٧ - ٩٩.

(٩) جميع النسخ: هونه.

(١٠) ج، م، ب: ثم أشار.

(١١) ج، م، ب، ع: إلى.

(١٢) ساقطة من ج، م

جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ^(١) ﴿٢﴾ وَمِنْهَا^(٣)
 اسْتِكْبَارُهُمْ، وتكذيبهم لرسول، وقتلهم إياهم، وقولهم قلوبنا غُلْفٌ، إلى ما
 بعد من المرتكبات. وقد وقع في هذه الآية ذكر عيسى عليه السلام، والتَّفْئِةِ
 من بعده بالرسول. وفي^(٤) آية المائدة قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى
 ابْنِ مَرْيَمَ﴾^(٥) والضمير في آثارهم لمن تقدم [في] قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا
 النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾^(٦). فورد مفصلاً في آي البقرة ما ورد مجملًا في
 المائدة. وَخُتِمَتْ آيَةُ^(٧) البقرة بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ وآية
 المائدة بقوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. فإلى
 مجموع^(٨) ما في آية البقرة أشارت آية^(٩) المائدة. وختمت هذه من وصفهم^(١٠)
 بالفسق عما^(١١) ختمت تلك، وحصل من وصفهم به أنه أعظم بالكفر والظلم،
 لأنه كفر جامع لكل شيع من^(١٢) مرتكباتهم ولذلك اختير التعبير به عن
 مرتكب إبليس في إتيائه عن السجود واستكباره، فقيل: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ
 الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾، فلم تقع هنا عبارة بكفره ولا ظلمه، لأن الفسق
 بما يعتضد به من القرائن أعظم من الكفر والظلم^(١٣). وقد حصل الجواب عما

(١) في ك فقط.

(٢) ٨٧ / البقرة.

(٣) ح، ب، ع، وبها.

(٤) ج، هـ، م، ك: في - بدون واو.

(٥) بة / ٤٦.

(٦) آية / ٤٤.

(٧) هـ، ك: آيات.

(٨) ح: بما مجموع، ب: بما في، ع: بما... مجموع.

(٩) م، ع، ب، ج سورة.

(١٠) ما بعدها إلى قوله ومن وصفهم، ساقط من ب.

(١١) ج بما.

(١٢) ب: ومن.

(١٣) م: التحكم.

فَرَضِ السُّؤَالُ عَنْهُ مَنْ تَقْدِمُ، وَزَادَ إِلَى ذَلِكَ بَيَانُ التَّرْقِي الْمَطْرُدِ، وَهُوَ السُّؤَالُ الْأَوَّلُ. وَأَمَّا التَّفْصِيلُ^(١) فَخَطَأُ بَيْنَ^(٢)، وَنَسَأَ اللَّهُ تَعَالَى تَوْفِيقَهُ.

إِنَّ الْمَفْسِرِينَ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْوَعِيدَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَتَنَاوَلُ يَهُودَ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ إِنْكَارُهُمُ الرَّجْمَ مَعَ ثَبُوتِهِ فِي التَّوْرَةِ^(٣)، وَفِعْلُهُمْ فِيهَا نَعَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنْ مَخَالَفَةِ مَا عَاهَدَ إِلَيْهِمْ فِيهِ، وَنَصَّ فِي كِتَابِهِمْ، حَسْبَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِتَغْيِيرِ الْكِتَابِ وَتُكْفِرُونَ بِبَعْضِ﴾^(٤) إِلَى مَا بَعْدَ. وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ [٦١/ظ] حُكْمِهِمْ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَهَمُّ الْكَافِرُونَ، وَالظَّالِمُونَ، وَالْفَاسِقُونَ. فَفِيهِمْ وَبِسَبَبِ مَرْتَكِبِهِمْ نَزَلَتْ آيَةُ الْمَائِدَةِ، ثُمَّ نَقُولُ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ الْحُكْمَ إِذَا أُنْزِلَ^(٥) بِسَبَبِ خَاصٍّ لَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ^(٦) مِنْ دَعْوَى الْعُمُومِ فِي الْمُنْزَلِ. وَهَذَا اتِّفَاقٌ حُذَاقُ الْأَصُولِيِّينَ وَقَدْ رَدُّوْا فِي ذَلِكَ^(٧) التَّمَثِيلَ بِشَاةٍ مَيِّمُونَ^(٨).

وَهَذَا مَعَ عَدَمِ شَهَادَةِ الْقَرَّائِنِ، أَمَّا فِيمَا سَحَنَ بِسَبِيلِهِ فِي آيَةِ الْمَائِدَةِ، فَقَدْ عَضَّدَ الْعُمُومَ فِي ذَلِكَ غَيْرُ مَا مَوْضِعَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. فنقول - بناءً عَلَى مَا^(٩) ذَكَرْنَا - إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ، وَإِنْ نَزَلَتْ بِسَبَبِ فِعْلِ يَهُودَ، وَمَرْتَكِبِهِمْ فِي الرَّجْمِ وَغَيْرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ عَامٌ فِي كُلِّ مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، مَا لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ

(١) هـ: الفصل.

(٢) ما بعدها إِلَى قَوْلِهِ «تَوْفِيقَهُ» مَحْذُوفٌ مِنْ ب.

(٣) ضَخَّحَ مُسْلِمٌ فِي هَذَا عِدَّةَ أَحَادِيثَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ الْأَنْصَارِيِّ، انْظُرْ صَحِيحَهُ: ٢٨٣/٤، ٢٨٤ - أَحَادِيثُ / ٢٤، ٢٥، ٢٦.

(٤) الْبَقَرَةُ / ٨٤، ٨٥.

(٥) سَاقَطَ مِنْ ج، ب.

(٦) ما بعدها إِلَى قَوْلِهِ (فِي ذَلِكَ) سَاقَطَ مِنْ ح.

(٧) الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ سَاقَطَانِ مِنْ ك.

(٨) رَاحَعَ الْإِحْكَامَ ٣٤٧/٢، وَلِتَفْصِيلِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ انْظُرْ: ٣٤٥/٢ - ٣٥٢، الْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ مِنْ بَابِ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ.

(٩) سَاقَطَةُ مِنْ ك.

جاهلاً غير متعمد للمعصية، أو عاصياً متعمداً مع صحة اعتقاده وسلامة إقراره بلسانه، فقد خُصَّت الشريعة هذين^(١). وقد تعلّقت الخوارج بعموم هذه الآي وأشباهها في تكفيرهم مُرتكب الكبيرة وليس شيء من ذلك نصاً في مطلوبهم، وهم محجوجون بغيرها.

وإذا كانت هذه الآي^(٢) على عمومها فيمن^(٣) بيّنا^(٤)، فمن في هذه المواضع^(٥) شرطية، وهي^(٦) من المتفق عليه في ألفاظ العموم عند أربابه، وهم الجمهور.

وأما القول بتفصيل حكم ﴿مَنْ﴾ في هذه الآي، وأنها مع اجتماع المذكورين في الآيات، فيما تقدم من حكمهم بغير ما أنزل الله، ووَحدة^(٧) السبب في نزول الآيات، فلا يصح بوجه. فقصر السؤال على فصل ما بين الكفر والظلم دون الفسق كما ذكرنا عمن تعرّض لهذه الآية من الجلة، وجعله الآيتين الأولين مما^(٨) ورد في^(٩) الانتقال من الأثقل إلى الأخف غير صواب، والله أعلم.

وأطراد ما تقدم من الترقّي والانتقال في الوعد والوعيد، وبحكم^(١٠) ما تقرر من ذلك هو الحق الذي لا ينبغي أن يُعدّل عنه. ثم أقول - وأسأل الله

(١) ب: هاتين.

(٢) ج، هـ، م، ب، ع: الآية.

(٣) م: لي من.

(٤) ب: بينا.

(٥) ك، ب: زاد هـا (الثلاثة).

(٦) ساقطة من ك.

(٧) ج، ب، ع: ووجه.

(٨) ج، ب، ع: بما.

(٩) ك: فيه.

(١٠) ك: تحكيم، ج، ع: تحكم

التوفيق - إن هذه الآي جارية على المطرد في الوعد والوعيد، والانتقال من الموصف بالكفر والظلم والفسق من أخف إلى أثقل جارٍ على ما قد تبين بحول الله، وإنما يدخل الغلط من أمر هذه الصفات مجردة عن القرائن وما يثمره الاشتراك. فالكفر إذا ورد مجرداً عن القرائن إنما يقع على الكفر في الدين، ثم إنه قد يقع على كفر النعمة، ويفتقر إلى قرينة. ومنه: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

وأما الظلم فلفظ مشترك، فإذا ورد مجرداً عن القرائن لم يكن نصاً في شيء من مواقعه^(٢)، وإنما يتخلص بالقرائن، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٣)، وقال تعالى تحجباً عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤)، ومعاد الله من الكبيرة، فكيف بالشرك الذي لا فلاح معه. ولم يخالف أحد من أهل السنة عن يُعتمد نظره، أنهم معصومون من الكفر قبل الوحي وبعده، وجمهورهم متفقون أنهم معصومون من الكبائر وجلة أهل السنة على عصمتهم مما^(٥) فيه دناءة^(٦) من الصغائر، وبعضهم في طائفة كبيرة من سنية المتصوفة يقولون بعصمتهم من الصغائر على الإطلاق. وكل^(٧) هذه الضروب يصح وقوع اسم الظلم عليه. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^(٨)، أوضح شهادة [٦٢/و] على ذلك.

(١) الشعراء / ١٩.

(٢) ك: موانعه.

(٣) لقمان / ١٣.

(٤) الأنبياء / ٨٧.

(٥) ع: ممن.

(٦) ساقط من ب: مما فيه دناءة.

(٧) ح، هـ، ب، ع: فكل.

(٨) النساء / ٤٠.

وأما الكفر فلا تنتشر مواقعه، وكأن دلالة على كفر النعمة من قبيل ما يدل بتشكيك كدلالة موجود على العَرَضِ، وأما الظلم فعلى ما تقدم. فإذا اقترن بالظلم الكفر كان أعظم من الكفر. قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْعَلُ بَيِّنَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾^(١) إنهم المتوَعِّلُونَ في الظلم الكافرون^(٢) فهذا كفر وزيادة، وقد تقدم تسمية الشرك ظلماً. وأما الفسق فلم^(٣) يرد في القرآن واقعاً على صغيرة، وقد يقع على الكبيرة حيث يقصد تعظيمها كقوله^(٤) تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ - الآية^(٥)، وقد ختمت بوصفهم بالفسق ولا أذكر غيرها، وقد عدّه^(٦) عليه السلام في السبع الموبقات، وإنما يقع^(٧) في الأكثر على الكفر، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾^(٨)، لأن المراد هنا الطرفان، كقوله تعالى: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾^(٩)، وأكثر وقوعه في القرآن، إنما هو في وصف يهود والمنافقين، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾. نزلت في ابن صوريا، لعنه الله^(١٠)، وكقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١١) وكقوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ

(١) العنكبوت / ٤٩.

(٢) هـ، م، ك: المكافرون.

(٣) ج، ب، ع، لم.

(٤) ب، ج، هـ: بقوله.. ب: لقوله.

(٥) النور / ٤.

(٦) م، ك، ب: عدّه.

(٧) ب: وأما تقع.

(٨) السجدة / ١٨.

(٩) التذنب / ٢.

(١٠) البقرة / ٩٩. وانظر: أسباب النزول / ١٩، الباب / ١٤.

(١١) آل عمران / ١١٠.

الْفَاسِقِينَ^(١) ، وكقوله تعالى . ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٢) ، في بضع وعشرين آية .

وورد الوصف بالفسق في قوم لوط عليه السلام ، كقوله^(٣) تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾^(٤) ، وكقوله : ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٥) . وقد وردت فيمن خُتِمَ^(٦) عليهم بالكفر ، كقوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ^(٧) كَلِمَةُ^(٨) رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٩) ، وقد تقدم أمر^(١٠) إبليس بالفسق^(١١) فهذا الوصف لا يقع أبداً في كتاب الله إلا على ذوي التمرد من الكفرة ، وأكثر ذلك في يهود والمنافقين ، ولا أرذل منهم^(١٢) ولم يجر الوصف بالظلم في كتاب الله مجرى الفسق فيما ذكرنا ، وقلما يوصف يهود والمنافقون^(١٣) . وإن كانوا ظالمين لأنفسهم - إلا بالفسق

والظلم^(١٤) والفسق ، وإن وقع^(١٥) على المتوغلين في الكفر^(١٦) حيث ذكرنا

(١) المائة / ٢٦ .

(٢) المائة / ٨١ .

(٣) ح ، هـ : بقوله .

(٤) الأنبياء / ٧٤ .

(٥) المتكوت / ٣٤ .

(٦) هـ ، م ، ك : ختم .

(٧) ساقط من ج .

(٨) ج : كلمات .

(٩) يونس / ٣٣ .

(١٠) ك : وصف .

(١١) ساقط من ب ، وفي ك : في الفسق .

(١٢) ك : مخلوف منها ولا أرذل منهم .

(١٣) ب : المنفقون .

(١٤) م ، ك : فالظلم .

(١٥) ج ، م : وقع .

(١٦) الحار والمجرور ساقطان من ج ، م .

وبالقرائن، فالفسق أشد وأعظم ولا يوصف به من الكفرة في كتاب الله إلا شرهم. لما بلغ قوم نوح عليه السلام في إصرارهم على الكفر وتماديهم عليه إلى قطع رجائه عليه السلام منهم حتى قال: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(١)، قال تعالى فيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^(٢)، ولما ارتكب قوم لوط عليه السلام من فحش المرتكب، ما لم يُسَبِّقُوا إليه وُسِمُوا بالفسق، ولما بلغ يهود والمنافقين ما أعلم به القرآن من حالهم، واستحقوا اللعنة والغضب، تكرر وصفهم بالفسق.

فقد وضح أبين الوضوح، أن الظلم بالقرائن حسبما تقدم أشنع من الكفر مجرداً، وأن الفسق أشد وأعظم إذا شهدت له القرائن، فحصل الانتقال [٦٢/ظ] في آي المائدة من أخف إلى أثقل على المطرد في آي الوعيد، وفي المقابل من الترقى في آي الوعد، وأن عكس الوارد على ما وضح لا يناسب، والله أعلم.

٩٠ - الآية الثالثة عشرة، وهي من^(٣) تمام ما قبلها (غ) قوله تعالى:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (٤٦).

وفي سورة الحديد (٢٧): ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾. فللسائل أن يسأل عن^(٤) وجه ما اختلف في الآيتين^(٥)، من التفصيل فيمن قُفِّيَ بهم.

ووجه ما زيد في آية الحديد من المُقَفَّى بهم مثل عيسى عليه السلام،

(١) نوح / ٢٧.

(٢) النرايات / ٤٦.

(٣) ساقطة من م.

(٤) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن).

(٥) هـ، م، ك: السورتين.

ولم يقع ذلك في سورة المائدة مع اتحاد ما قصد في الموضعين عن تواتر الرسل وتَقْفِيَةِ بعضهم ببعض .

والجواب^(١) - والله أعلم - أن آية المائدة، ورد الكلام فيما تقدمها في بني إسرائيل من لدن قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ^(٢) اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ - إلى الآية التي نحن فيها^(٣)، ثم استمرت^(٤) الآيات بعد فهم، إلى قوله : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾ - الآيات^(٥) .

فلما كان أكثر^(٦) هذه السورة، إنما نزلت فيهم، تعريفاً بمرتكباتهم، وتحريفهم ونقضهم الميثاق، وحكمهم^(٧) بغير ما أنزل الله، وفي أثناء ذلك تَسْلِيَةُ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم عنهم، كقوله^(٨) تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ - الآية^(٩)، وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ فَتَنَهُ فَلَنْ تَمْلِكُ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾^(١٠)، وقوله : ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾^(١١)، وقوله بعد الآية المتكلم فيها : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(١٢)، وقوله^(١٣) : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمَنَّ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن

(١) هـ : مكابها بياص .

(٢) ساقطة من الآية في ج .

(٣) المائدة / ١٢ - ٤٦ .

(٤) ك : استمر .

(٥) المائدة / ٤٧ - ٨٢ .

(٦) م : فلما كثر أي، ك : فأكثر أي .

(٧) ج، ب، ع : حكم .

(٨) ج، هـ، ع : بقوله، ب : لقوله .

(٩) المائدة / ٤١، وكلمة الآية محذوفة من ج، ع .

(١٠) المائدة / ٤١ .

(١١) المائدة / ٤٢ .

(١٢) المائدة / ٤٨ .

(١٣) ساقطة من ج، هـ، ع .

يُصِيبُهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ»^(١) وفيما قبل هذا. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾^(٢) - الآيات^(٣)، ولم يقع في هذه الآية ذكر لغير بني إسرائيل، ومن كان فيهم^(٤) من الأنبياء من بعد موسى عليه السلام إلى قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، ولا توقف في تعقيب الرسل والأنبياء بعيسى عليه السلام، فلهذا لم يقع هنا ذكر واسطة.

وأما آية الحديد فمقصدها غير هذا؛ إذ هي وما اتصل بها قبلها وبعدها خطاب للمؤمنين، وعظات، وترغيب، وتمثيل^(٥)، وتحذير أن يكونوا كمن عُرِفُوا^(٦) به ممن طال عليه الأمد وقسا قلبه. فهذا وما يتلوه، إلى أول^(٧) قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٨) إلى آخر السورة. خطاب للمؤمنين فيما لهم وعليهم، وما وعدوا به، وحذروا عنه، وكذا سورة الحديد بحملتها، وهم المعروفون بقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾^(٩)، فالمراد عامة الرسل عليهم السلام [٦٣/و] ممن كان عن بني إسرائيل وقلوبهم تعريفاً لما أنعم الله سبحانه على العباد من رحمتهم بإرسال الرسل، ونص من جميعهم على نوح وإبراهيم، إعلاماً بحالهما في الرسل، كما قيل: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾^(١٠). بعد دخولهما تحت قوله

(١) المائدة / ٤٩.

(٢) المائدة / ٤٤، وزاد في م من الآية قوله ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾.

(٣) المائدة / ٤١ - ٤٩.

(٤) ب: قبلهم.

(٥) ك: تمثل.

(٦) ج: عرف.

(٧) ساقطة من ح، هـ.

(٨) الحديد / ١٦.

(٩) الحديد / ٢٥.

(١٠) البقرة / ٩٨.

وملائكته، وشمول لفظ الملائكة لهم ولغيرهم. ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾^(١)، وذكر ما جعل في ذريتهما من النبوة^(٢) والكتاب، أتبع تعالى بتوالي الإنعام لمن^(٣) بعدهم فقال: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا﴾ إشارة إلى من كان بعد نوح وإبراهيم، وبينهم^(٤) وبين عيسى كثير، ثم قال: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى﴾، وهذا مقصد مبين^(٥) ما^(٦) قصد بآية^(٧) المائدة، فاختلف ما ورد في الموضعين لاختلاف المقصد فيهما، ولم يكن عكس الوارد ليناسب، والله أعلم بما أراد^(٧).

٩١ - الآية الرابعة عشر (غ) قوله تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا
أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ (٩٢).

وفي سورة التغابن (١٢): ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ
فَأِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾.

فورد في الأولى زيادة ﴿وَاحْذَرُوا﴾، وزيادة ﴿فَاعْلَمُوا﴾، مع اتحاد ما
تضمنته الآيتان^(٨) من الأمر^(٩) بطاعة الله وطاعة رسوله، والتحذير من التَّنَكُّبِ

(١) الحديد / ٢٦.

(٢) ج، هـ، م، ك: نُبُوَّة. وكلاهما جائز، وما أثبتناه هو استخدام القرآن.

(٣) هـ، م، ك: بمن.

(٤) م: بينهم.

(٥) م: لما.

(٦) ج، هـ، م: في آية.

(٧) ب: أراد. محذوفة من ب.

(٨) هـ، م: فاعلموا بما تضمنته الآيتان، وفي ج، ع: تضمنته الآيتان.

(٩) ب: صيغة السؤل (يقال ماوجه ورود في الأولى زيادة وحذروا، وزيادة فاعلموا بما تضمنته في الآيتان من الأمر) (هكذا).

عن ذلك والتولي^(١)، فيسأل عن ذلك.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن آية المائدة، لما أعقب بها آيات الأمر باجتناب الخمر وما ذكر معها، ثم أتبع ذلك بذكر العلة في تحريمها، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ - الآية^(٢) إلى قوله تعالى^(٣): ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَّهُونَ﴾^(٤)، فختمت من التهديد بما يشعر بتهديد الوعيد؛ ناسب ذلك قوله تأكيداً لما تقدم من الإشعار بمخوف^(٥) الجزاء، قوله: ﴿وَاحْذَرُوا﴾ وقوله: ﴿فَإِنْ^(٦) تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا﴾ لما في ذلك من التأكيد لما تقدم.

أما آية التغابن فلم يرد قلها ما يستدعي هذا التأكيد ألا ترى الوارد فيها من قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٧). فلما لم يرد هنا نهْيٌ عن محرمٍ متأكد التحريم بما أتبع النهي من التهديد والتأكيد، لم يرد هنا من الزيادة المحرزة لمعنى التأكيد، ما ورد هناك^(٨)، فجاء كل على ما يجب وبإسب^(٩)، وليس عكس الوارد بمناسب، والله أعلم.

(١) إلى آخر السؤال محذوف من ب.

(٢) محذوفة من ب.

(٣) زيادة في م.

(٤) المائدة / ٩١.

(٥) م: بمخوف (٩).

(٦) هكذا في ب، وفيه نسخ (وإن).

(٧) إلى آخر الآية محذوف من ب.

(٨) التغابن / ١١.

(٩) ج، ب، ع: هنا.

(١٠) ما بعدد إلى قوله: مما نسب محذوف من ب.

[٦٣/ظ] ٩٢ - الآية الخامسة عشرة (غ) قوله تعالى^(١) :

﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١١٨).

وكذا ورد في آية الممتحنة (٥) : ﴿وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

فورد في هاتين الآيتين وصفه تعالى : بهاتين الصفتين^(٢) المشيرتين^(٣) إلى العزة والقهر. وإنما^(٤) المطرد في الكتاب العزيز - مهما جرى ذكر المغفرة طلباً، أو^(٥) إخباراً - ورود^(٦) ما به يقوى رجاء السائل، ويطمع تعلقاً به المتدلل الراغب كقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ [٦٣/ظ] خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٧). فقوله هنا ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾، توسل مناسب لما تقدم من طلب المغفرة والرحمة. وفي سورة يوسف قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٨)، وفي سورة القصص : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٩). فهذا^(١٠)

(١) ساقطة من هـ.

(٢) ب : بهذين الوصفين.

(٣) ج، ب، ع : المشيرة.

(٤) م : وأما

(٥) ب : وإخبار

(٦) ج : ورد

(٧) المؤمنون / ١٠٩.

(٨) آية / ٩٢.

(٩) آية / ١٦.

(١٠) ج، ع : وهذا.

كله مناسب للطلب، وهو كثير في الكتاب العزيز وجارٍ^(١) على ما^(٢) تمهد.

وأما وصفه سبحانه بالعزة والملكية والحكمة، فإنما يراد حيث يراد معنى الاقتدار والاستيلاء وإحاطة العلم وإفراده سبحانه بالخلق والأمر، والربوبية والتعالي، وما يرجع إلى هذا، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَذَكَّرُ^(٤) الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى^(٥) فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيزاً حَكِيماً﴾^(٧)، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٨)، وهذا كثير مطرد حيث يراد معنى القهر والملكية والإحاطة والاقتدار.

فللسائل أن يسأل عن وجه ورود آيتي المائدة والممتحنة معقبة بما ذكر.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - بتفصيل^(٩) في الآيتين.

أما آية المائدة، فمبنية على التسليم لله سبحانه، وأنه^(١٠) المالك لكل يفعل فيهم ما شاء. فلو ورد هنا عقب آية المائدة: «وإن تغفر لهم فإنك أنت

(١) ب: فجاء عن ما تقدم.

(٢) ساقطة من ح، ع.

(٣) آل عمران / ٦٢.

(٤) هـ، م: يبدو.

(٥) بعدها بي ب (إلى قوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾). وما بينهما محذوف.

(٦) الروم / ٢٧.

(٧) الممتح / ٧.

(٨) الحشر، والصف / واحد.

(٩) ح. بتفصيل، ب: تفصيل.

(١٠) ح، هـ، ب: والله.

الغفور الرحيم، لكان تعريضاً يطلب^(١) المغفرة ولم يقصد ذلك في الآية. وإنما قيل ذلك على لسان عيسى عليه السلام تبرياً وتسليماً لله سبحانه، وليس موضع طلب مغفرة لهم، وإنما هو تنصّل^(٢) من حالهم وتسليم لله فيهم. قال الفرغوني^(٣) - رحمه الله -: لم يقل الغفور الرحيم، لأن مخرجه على التسليم، ولأن في ذكر العفو تعريضاً للسائل والكلام لتسليم الأمرين، والحكمة تقتضيهما وكأنه قال: فالمغفرة لا تنقص من^(٤) عزك^(٥)، ولا تخرج عن حكمتك.

وأما قوله في سورة الممتحنة: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. فالجواب عندي هنا، أن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، مبني على قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾. فإن المراد لا تظهرهم علينا، فيظنوا أنهم على الحق، فيكون سبب فتنتهم، فلا تفعل ذلك بنا فانت القادر على كفهم ونصرنا عليهم، فإنك أنت^(٦) العزيز الذي لا معارض لما تريده، ولا مانع مما تشاؤه^(٧). ولما كان المؤمنون يعلمون أن ما يصيبهم من مصيبة، إنما هي مما كسبت أيديهم سألوا المغفرة من مجترحاتهم، وأورد سؤالهم مورد جمل الاعتراض فقدم، وهو قوله: ﴿وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا﴾، فكان الكلام في تقدير التقديم والتأخير: ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا إنك أنت العزيز الحكيم واغفر لنا

(١) ج: لطالب.

(٢) ج، هـ، ع: تفصيل، ب: نفضل.

(٣) ج، ع: العربي، هـ: الفرغوني.

(٤) ج، هـ، م، ع: عن.

(٥) ج: عذك.

(٦) ساقط من ك.

(٧) ج، هـ، م: تشاء.

ربنا، [٦٤/و] اعتراضاً بين^(١) أثناء الكلام، إحراراً لأدائهم^(٢)، ومعتقدهم الإيماني. فقد تبين حال المناسبة في آية العقود، وآية الممتحنة بين الآيتين، وبين ما أعقبنا به وأنه لا يمكن على ما تقرر سواه، والله أعلم بما أراد.

فإن قلت: فما جوابك عما ذكر عن بعض المتأخرين من أن جواب قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ محذوف، أي: وإن تغفر لهم فإنهم عبادك، ثم عطف عليه قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وأن المناسبة إنما تحصل بهذا التقدير.

قلت: هذا خطأ من وجهين: توجيه المناسبة، وتوجيه الإعراب..

أما المناسبة فقد تبينت على أتم وجه.

وأما الإعراب فيمتنع تقديره فيه، على ما نبئناه. ثم في هذا المرتكب فساد المعنى، إذ ليس الكلام وارداً مورد الاستلطاف، وقد بين. وأما امتناع ما اختاره في الإعراب، فمن وجهين:

أحدهما: التهيئة والقطع وهو متفق على منافرة إذا أمكنت المندوحة.

والثاني: وهو عاصدٌ لهذا، وقاطع في المسألة، وهو أن سيويه - رحمه الله - قد نص أن العرب لا تتكلم به إلا في الشعر. قال في باب الجزاء: «وقبَح في الكلام أن تُعْمَلَ إن، أو شيء من حروف الجزاء في الفعل حتى تجزّمه^(٣) في اللفظ، ثم لا يكون له جواب ينجزم^(٤) بما قبله. ألا ترى أنك تقول: آتيتك^(٥) إن آتيتني، ولا تقول: آتيتك إن تأتيني، إلا في شعر، لأنك

(١) ج، ع: بين.

(٢) جميع النسخ: لأدائهم.

(٣) م: يجزّمه.

(٤) م، ك: فيجزم.

(٥) م، ب: آتيتك.

أُخِّرَتْ إِنَّ وَمَا عَمِلْتَ فِيهِ، فلم^(١) تجعل لها جواباً ينجزم بما قبله^(٢). فهكذا جرى هذا في كلامهم، وقد زاد الإمام بسطاً في الكتاب. فهذا قاطع من كلام سيبويه، وقد تقدم قبله ما يحصل في الكلام من التهيئة^(٣) والقطع^(٤)، وهو كافٍ، لاتفاق النحويين على قبح التهيئة^(٥) والقطع. ثم قد انضم إلى ذلك من نص^(٦) سيبويه، أن العرب لا تتكلم بهذا، فلا تأتي بكلام قد انجزم فيه الفعل بلادة الشرط، ثم لا يأتي بجواب مجزوم في اللفظ. أما إذا أتيت بالفاء في الجواب، فلا خلاف في هذا ممّا في الآية. وعلى ما قاله سيبويه - رحمه الله - كافة النحويين، من متقدميهم ومتأخريهم، فوضح خطأ القول.

سورة الأنعام

٩٣ - الآية الأولى منها قوله تعالى :

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٥).

وفي سورة الشعراء (٦) : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا^(٧) فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾، فانفردت^(٨) آية الأنعام بزيادة قوله : ﴿بِالْحَقِّ لَمَّا

(١) في الكتاب : ولم.

(٢) النص في الكتاب ٦٦/٣.

(٣) ب : الهية.

(٤) ك : وانقطع.

(٥) ب : الهية.

(٦) م : مرتضى.

(٧) إلى هنا ساقط من الآية في ج.

(٨) ب : صيغة السؤل ال (فيسأل عن انفراد آية الأنعام بزيادة قوله : بالحق لما جاءهم، وقوله : فسوف، من حرفي التثنية بدل السين والحاء . . .)

جَاءَهُمْ، ويقول: ﴿فَسَوْفَ﴾، من خَرَفِي التنفيس بدل السين، فيسأل عن وجه ذلك.

والجواب - والله أعلم - أن سورة^(١) الأنعام، لما ترتبت على إطناب، وبسط^(٢) آيات من قهره^(٣) سبحانه، وانفراده بالخلق والاختراع، فقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ﴾^(٤)، فذكر سبحانه خلق [٦٤/ظ] السموات والأرض، وخلق الظلمات والنور. فالظلمات عن أجرام هذه المخلوقات، والأنوار^(٥) عن أجرام ما جعل في السموات وزينها بها من شمس وقمر وكواكب للاقتداء والضياء ثم ذكر خلقهم من طين. وقد تردد في الكتاب العزيز تنبيه المكلفين بما صُدِّرت به سورة الأنعام، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(٧)، ثم قال تعالى في^(٨) آية الأنعام: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾^(٩). فلما تقدم هذا الإطناب ناسبه ما أتبع به من قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾^(١٠)، فناسب الإطناب

(١) ك: آية.

(٢) ج، هـ: بسطة.

(٣) ك: حمده.

(٤) الأنعام / واحد.

(٥) ك: الأنوار (مقصورة يريد الأنواء).

(٦) ج، م، ك، ب: زاد في الآية هـ (خَلَقَ) وليس من.

(٧) الجاثية / ٣.

(٨) الفرقان / ٦١.

(٩) ك: بعد.

(١٠، ١١) آية / ٤.

الإطناب. وقال تعالى قبل آية الشعراء: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾^(١) ثم اعترض بتسليّة نبينا صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢). وليس هذا المعترض مما^(٣) ذكروا به. ثم قال بعد: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ^(٤) أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(٥)، وهذا راجع إلى تسليته عليه السلام، فلم يبق مجرداً لتذكيرهم سوى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، وما بعد من وعيدهم وتهديدهم بقوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ - الآية، وهذا إيجاز^(٦)، فناسبه^(٧) ما يبط به من قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ إيجازاً لإيجاز، وإطناباً لإطناب^(٨).

٩٤ - الآية الثانية، قوله تعالى^(٩):

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ (٦)

وفي سورة الشعراء (٧): ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾^(١٠).

(١) آية / ٢.

(٢) الشعراء / ٣.

(٣) ج، هـ، م، ب، ع: بما. ك: المعترض به مما.

(٤) ج: ظلت.

(٥) الشعراء / ٤.

(٦) ك: أجاز.

(٧) ج: فناسب.

(٨) ج: إيجاز. بإيجاز، وإطناب بإطناب. ع: بإيجاز لإيجاز وإطناب للإطناب.

(٩) ساقط من ج، هـ (قوله تعالى).

(١٠) ساقطة من ج، هـ، م، ك، ع.

(١١) ج، م، ك، ع: رزق كريم - تحريف، وصوابها ما أنبشاه.

للسائل أن يسأل هنا عن شيئين :

أحدهما : ثبوت الواو العاطفة في آية الشعراء ، وسقوطها من آية الأنعام .

والثاني : وجه اختصاص كل واحدة منهما بموضعها ، وإبداء

المناسبة^(١) .

والجواب عن ذلك أن آية الأنعام لم يتقدم قبلها التنبيه على ما به التذكار ، والاعتبار مفصلاً به^(٢) تنبيهاً مع تخويف ونهديد ، متأكد مقرر يستدعي التقرير^(٣) والتوبيخ بمقتضى الهمزة الداخلة على واو العطف كما في سورة الشعراء ، وإن كان المتقدم في كل واحدة من السورتين متضمناً ما يحصل به الاعتبار ، مع ما في المتقدم في الأنعام^(٤) من التفصيل والإطناب ، إلا أن المتقدم في سورة الشعراء أوضح وأنص من حيث التخويف لعدم الاعتبار بالدلائل المنصوبة مشاهدة للمُعْتَبِرِينَ . فلما لم يكن وضوح التنبيه فيما قبل آية الأنعام كوضوحه في السورة [٦٥/و] الأخرى بما أنجز معه من التخويف المتمكن^(٥) ، وإنما المتقدم قبل قوله : ﴿الْمَ يَرَوُا﴾ إيماء إلى الاعتبار بأحوال القرون السالفة - وليس كالواقع قبل آية الشعراء - لم يرد ما بعده مما هو تنبيه مخوف^(٦) ، معطوفاً عليه ، إذ يناسبه لِعُرْوُ^(٧) المتقدم من شديد التخويف^(٨) .

(١) ب : صيغة السؤال (يقال ما وجه ثبوت الواو . . وما وجه اختصاص . . بموضعها وإبداء المناسبة) .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ك . التفریع .

(٤) الجار والمجرور ساقطان من ج .

(٥) ك : المتكرر .

(٦) ج ، هـ : محوفاً .

(٧) ج ، هـ : لا يناسبه والمتقدم ، م : كفر .

(٨) ك : زاد هنا (المنحر فيها بعده) .

أما آية الشعراء، فإن قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، تحريك وتنبيه. ثم إن ما^(١) يتلوه من قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، وإن كان تسلياً لنبينا صلى الله عليه وسلم، ففي^(٢) طيه أعظم وعيد وتهديد لمن اعتبر. ثم بعد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ تَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ - إلى ما بعده. فهذا أوضح تنبيه بما ضجبه من مخوف، التهديد بعطف عليه قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ - الآية، وناسبه أوضح مناسبة.

فصل

ومما يتعلق بهذه الآية من المغفل زيادة ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، وفي سورة السجدة^(٣): ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾، وفي ص^(٤): ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا﴾. وردت هذه الآي الثلاث بزيادة ﴿مِنْ﴾ فيها، وسائر ما ورد في القرآن مثل^(٥) هذه الآي، لم يرد^(٦) فيها ﴿مِنْ﴾ كقوله^(٧) تعالى في سورة مريم^(٨): ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِثِيًّا﴾، وفي آخرها^(٩) ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا

(١) م: إما.

(٢) ك: في.

(٣) آية / ٢٦.

(٤) آية / ٣.

(٥) ك: من مثل.

(٦) ك: ترد.

(٧) ج، هـ، ب، ع: قوله تعالى.

(٨) آية / ٧٤.

(٩) قوله: وفي آخرها، في ك فقط.

قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِصُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ^(١)، وفي طه: ^(٢) «أَفَلَمْ يَنْهَدِ لَهُمْ
كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ»، وفي يس: ^(٣) «أَلَمْ
يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ»، وفي سورة
ق: ^(٤) «وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا». فهذه
خمسة مواضع لم ترد فيها «مِنْ»، فيسأل^(٥) عن وجه زيادتها في الآي
الثلاث^(٦) وسقوطها في هذه الخمس مع اتحاد المقصود أو تقاربه^(٧).

والجواب - والله أعلم - أن مِنْ^(٨) تُزاد في هذه الآي حيث يراد تأكيد
مضمّن الآي من العَظِيَّات^(٩) والإشارة إلى الوعيد وهي أبدأ في أمثال هذه
المواضع محرزة معنى التأكيد لا تنفك^(١٠) عن ذلك، ثم إن حذفها أو حُزْ^(١١)
من إثباتها، ولكل مقام مقال. فحيث ورد مِنْ^(١٢) هذه الآي ما قبله [مِنْ]
استيفاء تفصيل وعيدي في آية بعينها أو أكثر، أو تكرّر التهديد وسُدّة
التخويف^(١٣) من مقتضى السياق، وفحوى الكلام، فذلك موضع زيادتها،
والتأكيد بإثباتها. وحيث لا يتقدم تفصيل على ما ذكرناه، أو تكون أي

(١) آية / ٩٨

(٢) آية / ١٢٨.

(٣) آية / ٣١

(٤) آية / ٣٦.

(٥) ساقطة من ج، ك.

(٦) ب: يسأل.

(٧) ك. زاد هنا كلمة (الأَوْن) جمع أول.

(٨) ج، ك، ع: وتقاربه.

(٩) م: من إنما تراد.

(١٠) ك: العظّات.

(١١) هكذا في ك، وبقيّة النسخ (بنفك).

(١٢) م: أو - جزء.

(١٣) م: في.

(١٤) ج، ب: الخوف.

التهديد لا تبلغ في اقتضاء مقتضاها نفوذ الوعيد، فهذا يناسبه^(١) الإيجاز بحذفها، إذ لا يراد من تأكيد الوعيد ما يراد^(٢) في الآي الأخر. فهذا إن شاء الله يوضح ما ورد من الحذف^(٣)، ولا يناسب [٦٥/ظ] في هذا الحذف ثم نقول: أما آية الأنعام فقد تقدمها قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(٤)، وقد كانوا يعترفون بأنه تعالى الخالق: ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٥). ثم تابع من بعد هذا إلى قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾^(٦)، على بيان الأمر ووضوحه. ثم قال: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾^(٧)، فحصل التسجيل ببقائهم على الإعراض وإنفاذ الوعيد عليهم، ولا أشد من هذا. ونحوه، بل مثله في الشدة والإشارة إلى إنفاذ الوعيد، قوله تعالى في سورة السجدة^(٨): ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾. ثم قال في آخر السورة^(٩): ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُتَعَبُونَ﴾، واكتنفت^(١٠) الآية ما تضمنته الآيتان من الوعيد والتهديد^(١١)، فناسب ذلك ما اقتضته زيادة

(١) ح، هـ، ك، ع. يناسب.

(٢) ج، ب، ك، ع: يرد.

(٣) ك: زاد هنا (والإثبات في هذا الحرف...).

(٤) الآية الأولى.

(٥) الزحرف / ٨٧.

(٦) الأنعام / ٤.

(٧) في جميع النسخ: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَاءَ لَهُمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾. وما أثبتناه هو الآية الخامسة من سورة الأنعام وهي ما يقتضيه السياق.

(٨، ٩) الأيتان / ٢٢، ٣٠ على الترتيب.

(١٠) ك: فاكتنفت.

(١١) هـ: التهذيب.

﴿مِنْ﴾، مِنْ^(١) مناسب^(٢) التأكيد، فقيل: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

وأما آية ص، فحسبك ما تضمنته من أولها - إلى قوله: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَبْحَةً وَاجِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾^(٣). ثم قال تعالى مخبراً عن حالهم في تكذيبهم واستبعادهم ﴿عَجَلْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾^(٤). ولعظيم تمردهم ووعيدهم المتحكي عنهم في هذه الآي ما أمر به صلى الله عليه وسلم من الصبر^(٥) في قوله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾^(٦) ثم أعقب تعالى بقصة داود عليه السلام إعلاماً لِنَبِيِّهِ بأن ذلك مراده منهم بما قدر لهم في الأزل فقد سخر الجبال والطير لداود، والآن له الحديد، فلو شاء لهدى هؤلاء فللعظيم ما ورد في هذه الآي من مرتكبات كفار قريش وغيرهم، لذلك ما^(٧) ورد التأكيد في زيادة^(٨) ﴿مِنْ﴾ بعد ذكر^(٩) شقاقهم^(١٠) واغترارهم: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾، فهذا وجه زيادة ﴿مِنْ﴾ في هذه الآي. أما الآي الأخر خمستها، فلم يرد فيها، ولا فيما اتصل بها ما ورد في هذه من التغليظ في الوعيد، ومتوالي التهديد - وإن كانت قلماً^(١١) ترد إلا لذلك - ولكن اشتداد التهديد إنما هو بحسب ما يقارن، أو

(١) في ك فقط وساقطة من بقية السح.

(٢) ك: مناسبة، ع: تناسب.

(٣) الآيات / ١ - ١٥.

(٤) ص / ١٦.

(٥) في جميع النسخ: المصبر.

(٦) ص / ١٧.

(٧) ساقطة من ج، ع.

(٨) ك: بزيادة.

(٩) ج: ذكره.

(١٠) ح، هـ، ع: شقاقهم.

(١١) في جميع النسخ (قل - ما) بالفصل، وما الكافة توصل ب (قل).

يكتنف^(١)، أو يتقدم، أو يَنْجَرُ معها من التغليب في الوعيد، فبحسب^(٢) ذلك يَقْوَى الرجاء أو يضعف. وإذا تأملت قوله تعالى في الآية الأولى من سورة مريم: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاً وَرِثَاً﴾، لم تجدها في نفسها^(٣)، وفيما انتظم معها، متقدماً أو متأخراً توازن^(٤) في^(٥) التهديد واحدة من تلك الآيات^(٦) الثلاث [٦٦/و]. ألا ترى فيما نُوظَرُ بين المَعْنِيَيْنِ بهذه الآية، والمهلكين قبلهم من القرون السالفة، وأن ذلك إنما هو فيما غرهم من سعة الحال وكثرة المال، حسبما أشار إليه قوله تعالى عن المهلكين قبل هؤلاء، أنهم كانوا أحسن أثاثاً ورثياً. فهذه الآية كقولهم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾^(٧) ولو استبصروا لَاهْتَدَوْا من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُعَلِّيْ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾^(٨). ومع ما أعقبت به هذه الآية من المستظم معها من قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾^(٩)، فليست في التغليب كذلك الآيات^(١٠) إذا حُقِّقَ ما قبلها. وكذا الآية الثانية، وهي^(١١) قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ - الآية، في نفسها، وفيما انتظمت به.

وأما آية طه فأوضح في إبقاء الرجاء في نفسها وما انتظمت به. ألا ترى

(١) م، ك: يكيف، ب: يكيف.

(٢) ج، ب، ع: بحسب.

(٣) ما بعدها إلى قوله: معها؛ ساقط من ب.

(٤) هـ، م، ب: توازن، ج، ع: تكراراً.

(٥) ج، ع: ولي.

(٦) ك: الآية.

(٧) سبأ / ٣٥.

(٨) آل عمران / ١٧٨.

(٩) مريم / ٧٥.

(١٠) ك: الآية.

(١١) ج، هـ، م: وبين.

ما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾، وما تضمن تذكيرهم بهذا إلى قوله: ﴿لِأُولِي النُّهَى﴾ من عظيم^(١) الجلم، وعلبي الرفق، وكذا ما بعد فإن هذا من منتظم تلك الآيات^(٢) الثلاث.

وأما آية يس، وآية «ق» فأوضح فيما ذكرنا. وتأمل مفهوميها^(٣)، وما انتظم معهما^(٤)، وإنما حاصلها بما اتصل بها تحريك الاعتبار وتذكير بالآلاء والنعم. وتأمل قوله في المنتظم بآية يس، والمعقبة به من قوله: ﴿أَفَلَا تَشْكُرُونَ﴾ وعلى ما يترتب الشكر^(٥) إذ لا يمكن إلا مرتباً على حصول الإيمان والتصديق وقوله عقب آية «ق»: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٦). فقد وضع فرقاً ما بين الضربين، وورد^(٧) كل منهما على ما يناسب ويجب، والله أعلم.

٩٥ - الآية الثالثة من سورة الأنعام^(٨)، قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (١١)

وفي سورة النمل (٦٩): ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٩) فانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ، وفي سورة العنكبوت (٢٠): ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

(١) ج، هـ، ب، ع: لعظيم.

(٢) ك، ب: الآي.

(٣) هكذا في ك، وبقية النسخ: مفهوميها.

(٤) هكذا في ك، وبقية النسخ: معها.

(٥) ك: لي شكر.

(٦) آية / ٣٧.

(٧) ك: وورد.

(٨) قوله (من سورة الأنعام) محذوف من ب.

(٩) إلى هنا محذوف من الآية في ح، هـ، م، س، ع.

فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴿٤٢﴾ وفي سورة الروم (٤٢): ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ﴾.

هنا سؤالان :

أحدهما: اختلاف حالاتهم فيما وُسِمُوا به في أعقاب الآي من التكذيب والإجرام، ومن التّعامي عن النظر في البدأة والنشأة والإشراك، مع أن الأمر لكل بالاعتبار، إنما وقع بلفظ واحد، وهو قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾، ثم تنوع ما أُجِيل^(١) عليه في النظر [٦٦/ظ] واختلف. وإذا لُحِظَ الجواب عما وقع به التعقيب في كل واحدة من هذه الآي، تفصل إلى أربعة أسئلة.

والسؤال الثاني: اختلاف حرف العطف.

والجواب عن السؤال الأول على رعي التفصيل؛ أنه لما تقدم آية الأنعام قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، والإشارة إلى أصناف المكذبين من المخاطبين وغيرهم ثم أشير إليهم بعد في قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾^(٢) وكلهم إنما أهلك بإعراضه^(٣) وتعاميه المؤدّيين إلى تكذيبه، أُجِيل من بعدهم حال من تقدمهم فيما ذكر مُكْتَفًى من الإعراض^(٤) والتعامي بما تقدم في الآي المذكورة قبل مفصّحاً^(٥) بالتكذيب المُسَبَّب^(٦) عن ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

(١) هكذا في ك، وبقية النسخ. أجمل بالجيم المعجمة.

(٢) الأنعام / ٦٥.

(٣) ح، هـ، ع: هلك بإعراضه.

(٤) ح، هـ، م، ب، ع: ذكر من مكثف الاعتراض.

(٥) م، ب، ع: ومفصّحاً - بلووا.

(٦) هـ، م، ب: والمسبب - بالو.

المُكْذِبِينَ ﴿١﴾، والتحم هذا بقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ على أنهم مناسبة وأصحها.

وأما آية النمل فمُتَزَلَّةٌ على ما تقدم من قوله تعالى: ﴿بَلْ إِدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ عَنْهَا غَمُونَ﴾^(١)، وإنكارهم العودة بقولهم: ﴿إِنِّدَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ. لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٢). وذلك بعد ما ذُكِرَ بِمَا بَسَطَ لَهُمْ من واضح الدلالات^(٣)، وقدم لهم من الشواهد البينة من لدن قوله: ﴿أَمْنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إلى الآية المتكلم فيها^(٤). فذكروا بما يشاهدونه ويعلمون أن آلهتهم لا تفعل ذلك، فكان مُرْتَكِبُهُمْ بعد هذا إجراماً وتعامياً عن^(٥) الاعتبار بما ذُكِرُوا به، فقليل لهم: سيروا في الأرض؛ فانظروا عواقب أمثالكم من المتعالمين عن النظر. ولم يقع قبل تفسير صريح وتكذيب، وقد بَسِطَ من الاعتبار في هذه الآية ما لم يبسط قبل آية الأنعام، فورد التعقيب هنا بوسمهم - أعني المُحَالَّ^(٦) عليهم - بالإجرام، فقبل، ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، مناسب^(٧) لما تقدم، من اجترامهم مع الوضوح، ومتابعة التذكير، وإراءة البراهين.

وأما آية العنكبوت، فإن الله سبحانه لما قدّم ذكر العودة الأخراوية بما^(٨)

(١) آية / ٦٦.

(٢) الأيتان ٦٧، ٦٨.

(٣) ج، ب، الدلالة.

(٤) النمل / ٦٠ - ٦٩.

(٥) م: على.

(٦) ج، هـ، ب، ع: الخا.

(٧) ح، ناسب، ع: فناسب، ك: مناسبة، ب: بياص.

(٨) هكذا في ك، وبقية النسخ: مما.

يقوم مقام الإفصاح، وتحصل^(١) المقصود من ذلك في أربعة مواضع من هذه السورة على القرب والاتصال. منها^(٢) قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَآئِبَةً﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلْيَسْأَلُنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٥) وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾^(٦)، ولم يتقدم في السور الآخر على الاتصال مثل هذا، فناسب إحالتهم^(٧) وتذكيرهم بالاستبدال بالبداة على العودة، فقال تعالى: ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [و/٦٧].

وأما آية الروم فقد تقدم قبلها قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وقوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾، وقوله: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾، وقوله: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٨). فلما تقدم ذكر من امتحن بالشرك وسوء عاقبتهم، ولم يتقدم مثل هذا في السور المتقدمة، ناسبه ما أعقب به من قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ﴾، فجاء كل على ما يجب.

وأما ورود ما أعقب به كل آية من هذه من^(٩) المأمور بالنظر فيه،

(١) ج، ب، ع: يحصل.

(٢) ج، ك: فيها.

(٣) العنكبوت / ٥.

(٤) العنكبوت / ١٣.

(٥) العنكبوت / ١٧.

(٦) العنكبوت / ١٩.

(٧) ح: حالتهم.

(٨) الروم / آيات ٣١، ٣٣، ٣٥، ٤٠ على الترتيب.

(٩) ساقطة من ك.

والاعتبار به بالفاء من حروف العطف سوى آية الأنعام، فذلك بين لأنهم أمروا أن يعقبوا سيرهم بالتدبر والاعتبار^(١)، وحضر نظرهم واعتبارهم في المعقب المذكور بعد الفاء، ولم تقع إشارة إلى اعتبارهم بغير ذلك. فكان مجيء ذلك بحرف التعقيب محرزاً^(٢) هذا المعنى ولم يصح غير ذلك.

وأما آية الأنعام فإنما افشحت بذكر خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور. وإنما ذكر هذا من المخلوق الأكبر، ليعتبر بذلك، فإنه أعظم معتبراً وأوسعاً. قال الله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾^(٣)، فكان الآية في قوة أن لو قيل: سيروا في الأرض فاعتبروا بخلقها، وكيف دحّاها، ودّلّلها لسكناكم وجعل فيها رواسي أن تميّد بكم، وفجر فيها الأنهار، إلى عجائب ما أودع فيها، وكيف جعل السماء فوقها سقفاً محفوظاً بغير عمد، وزينها بالنجوم، لتهتدوا بها في الظلمات، وجعل الشمس والقمر حُسباناً وضياءً، وزينة^(٤) للسماء، وكيف مَحّا آية الليل لمصلحة العباد، وجعل آية النهار مبصرة إلى ما لا يُحصى من منافعها وعجائبها لمن مُنِحَ لاعتبار. قال تعالى: ﴿أَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥). ثم انظروا عاقبة من كذب ونَبّه فلم يعتبر، فعطف هذا بـ ثُمَّ المقتضية مهلة الزمان حيث يُراد ذلك، وتفخيم الأمر، وتفاوت المنظور فيه، وتجريد^(٦) الأمر لكل من الضربين مما قبلها وما بعدها، فليس موضع

(١) ما بعدها إلى قوله: (إلى اعتبارهم) في ك فقط وبه تستقيم العبارة.

(٢) ج: محرجاً.

(٣) غافر / ٥٧.

(٤) م، ك، ب: وزينا.

(٥) الجاثية/ ٣

(٦) ك: مجديداً، ب: تحديداً.

تعقيب^(١) بالفاء، إذ^(٢) لم يُرد أن يكون سيرهم لمجرد الاعتبار بمن كذب فأخذ بتكذيبه فقط، بل بالضررين مما ذكرناه ومهدناه، وفي كل منهما أشقى^(٣) دلالة. وقصد في الآي الآخر تذكيرهم واعتبارهم بأخذ المكذبين، وهو المعقب بالفاء. فلما افرق القصدان^(٤) [٦٧/ظ] عطف كل بما يناسب، والله أعلم.

٩٦ - الآية الرابعة (غ) قوله تعالى:

﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (١٦)

وفي الجاثية (٣٠): ﴿ذَلِكَ هُوَ^(٥) الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ بزيادة «هو»^(٦)، وسقوط وار العطف.

لما تقدم في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. ثم أعقب بقوله: ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ^(٧)﴾، والمراد من يصرف عنه العذاب في الآخرة فقد رَحِمَهُ، عطف عليه قوله: ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ﴾، وكأن الكلام في قوة قوله: فقد رَحِمَ وفاز، كما في قوله: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ^(٨)﴾. والفاء هنا، وفي قوله: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾، جواب الشرط، والفوز مسبب عن الرحمة، فأكتفي بذكره في

(١) هكذا في ك، وبقية النسخ (تعقب)

(٢) ب: أو.

(٣) ج، ع: أنسى.

(٤) ج، ع: المقصدان.

(٥) ساقط من ج، ك.

(٦) ساقط من ج.

(٧) الأيتان / ١٥، ١٦.

(٨) آل عمران / ١٨٥.

سورة آل عمران، وذكراً معاً في آية الأنعام، فعطفه عليه بـ"وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى هُنَا مَا يَتَوَهَّمُهُ الْعَاقِلُ فَوْزاً فَيَتَحَرَّزُ مِنْهُ بِمَا يَعْطِيهِ ضَمِيرُ هُوَ مِنَ الْمَفْهُومِ، فَلَمْ يَقَعْ الضَّمِيرُ هُنَا.

أما آية الجاثية فقد ورد^(١) قبلها قوله تعالى مخبراً عن قول مُنْكَرِي الْبَعْثِ: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا^(٢) نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ^(٣)﴾، فافهم قوله: إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا، أَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ هِيَ الْحَاصِلَةُ لَهُمْ وَلَا حَيَاةَ وَرَاءَهَا فَمَنْ تَنَعَّمَ فِيهَا فَذَلِكَ فَوْزُهُ، فَأَخْبِرُوا أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا ظَنُّوا^(٤)، وَذَكَرَ تَعَالَى أَمْرَ السَّاعَةِ وَتَفْصِيلَ الْأَحْوَالِ فِيهَا، فَقَالَ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ^(٥)﴾، ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾، لَا الْحَيَاةَ الَّتِي هِيَ لَهْوٌ وَلَعِبٌ، فَكَأَنَّ قَدِ قِيلَ لَهُمْ هُوَ الْفَوْزُ لَا مَا ظَنَنْتُمُوهُ فَوْزاً، فَأَحْرَزَ مَفْهُومَ الضَّمِيرِ هَذَا^(٦) الْمَقْصُودَ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ فِي آيَةِ الْأَنْعَامِ^(٧) مَا يَسْتَدْعِيهِ، كَمَا لَمْ يَتَقَدَّمْ فِي آيَةِ الْجَاثِيَةِ مَا يَسْتَدْعِي الْعُطْفَ، فَجَاءَ كُلُّ عَلَى مَا يَنْاسِبُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٩٧ - الآية الخامسة قوله تعالى:

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧)

(١) ساقط من ج.

(٢) ما بعدها إلى قوله: ﴿حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ ساقط من ج، بانتقال النظر.

(٣) الجاثية / ٢٤.

(٤) ك: ظنوه.

(٥) الجاثية / ٣٠.

(٦) ج، ع: ما.

(٧) ما بعدها إلى كلمة: الجاثية في ك فقط، وساقط من بقية النسخ.

وفي سورة يونس (١٠٧): ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، فورد جواب الشرط الثاني في الآية الأولى بقوله: ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وفي الثانية بقوله: ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾، وقال في الأولى ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ﴾، وفي آية يونس: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ﴾، وأعقبت آية يونس بقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، فخص هاتين الصفتين العليّتين من صفاته تعالى، فهذه ثلاثة أسولة.

فللسائل أن يسأل عن^(١) توجيهها، وموجب ما ورد [٦٨/و] عليه ما ذكر.

والجواب عن الأول، والله أعلم أن مدار^(٢) الآية الأولى وهي آية الأنعام على أنه سبحانه المنفرد بالخلق والاختراع والمتصرف في عباده بما شاء، والقدير على كل شيء. ونفّي هذه الصفات عن سواه سبحانه، وتنزيل هذا على ما افتتحت به هذه السورة من قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾. وقوله^(٣): ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾^(٥)، وقوله، فيمن أهلكه من القرون بكفره: ﴿مُكِّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا - الآية﴾^(٦) وقوله: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ - الآية^(٧)، وقوله: ﴿أَغْيَرُ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - الآية^(٨)، فدارت هذه الآي كلها على التعريف

(١) ب: يسأل عن.

(٢) ج، هـ، ب، ع: مراد.

(٣) م، ب، ع: قوله.

(٤-٨) الأنعام / ٢، ٣، ٦، ١٣، ١٤ على الترتيب.

بوجدانيته تعالى وانفراده بخلق الأشياء وملكها وقهرها، ولم يقع فيها تعريض^(١) إلى أن^(٢) أحداً من خلقه يمنع، أو يدفع، أو يتعاطى استبداداً بشيء؛ وإن كان قد يفهم بعض ذلك من الجاري أثناء الكلام، كقوله: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا﴾ - الآية، بل في قوة الجاري في هذه الآية أن المشار إليهم بمخالفة مقتضاها أخلدوا إلى ترك التغير، وأشبهوا البهائم في البعد عن النطق وكأنهم يرون أن الأفعال وما يتجدد في العالم من المدركات المشاهدات من الأجسام والأعراض على كثرة تنوعها، واختلاف هيئاتها وأشكالها وجذت بانفسها لا عن فاعل تقدمها أوجدها بالقدرة والاختيار، بل تكونت بانفسها، فقبول مرتكبهم بالتعريف بقدرته تعالى على كل شيء، وأنه^(٤) الموجد لما في العالم العلوي والسفلي، وقيل له عليه السلام: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ - الآية إعلاماً بأن ما يكون من هذا فمنه تعالى، لأنه المنفرد بالخلق والتدبير^(٥) والقدرة على كل شيء. فهذا حاصل ما تقتضيه آية الأنعام.

أما آية يونس، فقد ذكر قبلها حال من ظن أن غيره تعالى يضر أو ينفع. قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٦)، فقد نسبوا لهم النفع بالشفاعة، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ﴾ - الآية^(٧)، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ

(١) ك، ب: تعرض.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) الأنعام: واحد.

(٤) هكذا في ع، وبقية النسخ (وأن).

(٥) م، ك: التدبير، وسقط من ب قوله: والتدبير.

(٦، ٧) يونس: ١٨، ٢٨.

السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴿١﴾ - الآية (١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ (٢) [٦٨/ظ]، وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ (٣)، فدارت هذه الآيات على أنهم توهموا نفع ما اتخذوه معبوداً من شركائهم، فمحل توهمهم واضمحَل باطلهم، وأتبع ما تقدم بقوله جل وتعالى لنبيه عليه السلام: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ (٤). ثم بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (٥)، وحصل من هذا أن كل ما عُبد من دونه سبحانه، وتوهم أنه يضر أو ينفع ليس كما ظنوه. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ (٦)، فناسب ما تقدم من التنصيص على انفراد تعالى بالخلق والأمر.

والجواب عن السؤال الثاني - والله أعلم - أن قوله تعالى هنا: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾، ولم يقل: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ﴾، كما في سورة (٧) الأنعام، أنه تقدم قبل هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ - الآية (٨) وهو إعلام منه سبحانه بجري الخلائق على ما قُدر لهم أزلاً وسبق به حكمه تعالى، ثم أعقب بقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ (٩). وهذا تأكيد للغرض المذكور من جري العباد على ما قُدر لهم، وما شاء سبحانه فيهم وأن ذلك لا يرُدُّه رادٌّ، ولا يعارضه معارض، فناسب هذا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾، أتم مناسبة. ثم قد وقع بعد هذا قوله تعالى: ﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، وإصابته

(١-٣) يونس / ٣١، ٣٤، ٣٥ على الترتيب.

(٤-٥) يونس / ١٠٦، ١٠٧ على الترتيب.

(٦) الحج / ٧٣.

(٧) ك: آية.

(٨-٩) يونس / ٩٦، ٩٩ على الترتيب.

سبحانه من شاء بالخير هو المراد بقوله في آية الأنعام: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ
بِخَيْرٍ﴾، فاجتمع في آية يونس الأمران معاً. وكان قد قيل فيها: وإن
يمسك بخير ويردك به^(١)، فلا راد لما أصابك به وأرادك بك ففي هذه الآية
من إمعان المقصود وتأكيده^(٢)، ما ليس في آية الأنعام، ليطابق هذا التأكيد
والإمعان ما تقدم من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا
يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً﴾.
ولم يتقدم في آية الأنعام مثل هذا، فتقدم^(٣) الاكتفاء هناك بقوله: ﴿وَإِنْ
يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فجاء كل من هذا على أنم
مناسبة، وأوضح ملاءمة، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الثالث، أنه لما تقدم هذه من^(٤) مؤثرات الخوف
ومهيّجات الرهب والخشية ما اقتضاه الإخبار بغيبة القدر وجهل المشيئة في
قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ - الآية، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً﴾، وعظم موقع ذلك على المؤمنين،
وكان مع ذلك الوفاء^(٥) بمزْدَلَفَاتِ الأعمال مما لا يحصل بالأمال، آنسهم
سبحانه بذكر الصفتين العليّتين فقال: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، فناسب ورود
الوصفين بما تقدم، والله أعلم بما أراد.

٩٨ - الآية السادسة قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِثَابِتِهِ إِنَّهُ لَا
يُقْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢١).

(١) ساقط من ك.

(٢) ج، هـ، ب، ع: تأكيد.

(٣) م: متقدم، وبها مشها: فقدم، ك: فوق.

(٤) ساقطة من ج، هـ، ع.

(٥) ك: للوفاء.

وقال فيما بعد [٦٩/و] من هذه السورة (غ) (٩٣): ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾.

وفي سورة الأعراف (غ) (٣٧): ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِثَابِتِهِ^(١) أُولَئِكَ يَتْلَوْنَ نَصِيحَهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ﴾.

وفي سورة يونس (١٧): ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِثَابِتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

وفي آخر^(٢) سورة العنكبوت (غ)^(٣) (٦٨): ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾.

وفي سورة الصف (غ)^(٤) (٧) قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾.

في هذه الآيات^(٥) سؤالان:

أحدهما: وجه ورود الآيات في هذه المواضع بهذا^(٦) النص من قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ وتعقيب كل آية منها بما اتصل بها.

السؤال الثاني: تعريف الكذب في سورة الصف، وتشكيكه فيما عداها.

والجواب عن الأول، أن الأولى تقدمها قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾^(٧)، ثم قال تعالى بعد:

(١) ما بعدها إلى قوله (أو كذب بآياته - في يونس) ساقط من ج، هـ، ب، ع.

(٢) ساقطة من ج، م، ك، ع.

(٣)، (٤) ساقطة من ب.

(٥) في ك فقط، وبقي النسخ (الآية).

(٦) ب: من هذه.

(٧) الأعم / هـ.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(١). فحصل من هذا افتراءهم في قولهم: إنه سحر، وتكذيبهم. قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، وجعلهم مع الله آلة سواء فجمعوا بين الشرك والتكذيب، فناسب هذا ورود قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ على طريقة التعجب من مُرتكبهم، وسوء حالهم، أي: مَنْ أَظْلَمُ يا محمد من هؤلاء الجامعين بين الافتراء، والشرك، والتكذيب، مع وضوح الشواهد وكثرة الدلائل الواردة أثناء هذه الآي مما لا يتوقف فيه مُعتبرٌ فقد وضع تناسب هذا كله، وحقُّ لُمرتكبِهِ الوصف بالظلم الذي لا يفلح المتصف به، وهو ظلم الافتراء على الله، والشرك والتكذيب.

وأما الآية الثانية من سورة الأنعام، فإن قبلها ذكر الرُّسل عليهم الصلاة والسلام، وتعقيب ذكرهم بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اِقْتَدِهْ﴾^(٢)، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٣)، فأعظمَ تعالى مُرتكبهم في هذا، وفي تعاميههم عن التوراة وما تضمنته من الهدى والنور، ثم أعقب ذلك بقوله تنزيهاً للرسل عليهم الصلاة والسلام عن الافتراء على الله سبحانه، وأدعاء الوحي فصار الكلام بحملته في قوة أن لو قيل: ألا تَرَوْنَ ما تضمن كتاب موسى من الهدى والنور، والبراهين الواضحة، وهل تمكَّن أحد أن يفتري ذلك، أو يدَّعي إنزاله عليه، وهل يكون أحد أعظم افتراء من هذا، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾، فهذا أوضح شيء.

ولمَّا لم يتقدم في الآية الأولى ذُكرُ الأنبياء والوحي إليهم كما في هذه، لم يناسبها ما ورد [٦٩/ظ] هنا، فجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

(١) الأنعام / ٧.

(٢-٣) الأنعام / ٩١، ٩٠ على الترتيب.

وأما (١) آية الأعراف، فتقدمها وعيد من كذب بآيات الرسل، واستكبر عنها، وأنهم أهل الخلود في النار، فناسب هذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ - الآية.

وأما آية (٢) يونس (٣) فتقدمها وعيد من كذب الرسل، واستكبر عنها، وأنهم أهل الخلود في النار، فناسب هذا قوله تعالى في يونس، وتقدم (٤) قبلها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا اثْبِثْ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ - إلى آخر الآية (٥)، ولا أظلم ممن قال من فصحاء العرب العالمين بمقاطع الكلام، وجليل النظم، وعليّ البلاغة: ﴿اثْبِثْ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾، مع علمه بعليّ فصاحته، واعترافهم بالعجز عنه؛ فجمعوا بين إنكار ما علموا صدقه ممن عرفوا عليّ حله، وحليل منصبه بإخباره (٦) تعالى عنهم بقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٧)، فجمعوا بين الإنكار، وبين قولهم في إنكارهم: ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾، فلا أظلم من هؤلاء. ثم في إنكارهم وقولهم: ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾، أعظم إقدام، وأوضح اجترام لأنه كفر على علم. فلما أعقبت الآية هنا بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾، ولم يقع قبل آيتي سورة الأنعام، وقبل سورة الأعراف مثل هذا الإقدام على مثل هذه الجريمة في القول، وإنما تقدم عدوانهم وظلمهم أنفسهم في مرتكباتهم، وتعاميهم، فناسب قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

(١) هـ: من هنا إلى قوله: (فناسب هذا قوله تعالى) ملغى بيمين في أوله وآخره.

(٢) من هنا إلى قوله: (قوله تعالى في يونس) ساقط من ج، ع.

(٣) من هنا إلى قوله: (قوله تعالى في يونس) ساقط من ك، وإلى قوله: (وتقدم قبلها) ساقط من ك،

ب.

(٤) ج، هـ، ك، ب، ع: فتقدم.

(٥) يونس / ١٥.

(٦) م، ك، ب: فلأخباره.

(٧) الأنعام / ٣٣.

وأما آية العنكبوت، وآية الصف فجوابها بين مما تقدم. وجواب ثانٍ، هو أنه قد تقدم مما به الاعتبار في الأولى من آتي الأنعام وآية يونس، ما فيه كفاءة وإن تنوع فقد جمعه^(١) جامع الاعتبار، وفي كل شفاء لمن وفق للاعتبار به. فمن عدل عنه فظالم إلا أن الاجترام يُنبئ عن أشد من الظلم، وإن كان قد أجرى على الظلم عدم الفلاح إلا أن الجرّم أنبأ بالشدة وأخصر بالإشعار لشناعة المرتكب، وقد تقدم أن ترتيب السور والآي مُراعَى وعظيم الموقع، وأنه لا يعارضه ترتيب النزول. فإذا تقرر هذا، فنقول قُدم^(٢) وصفهم بالظلم، ثم تكرر ذلك. فمن افتري وكذب، فقد^(٣) وصف أولاً بالظلم، ووصف^(٤) ثانياً بالاجترام ترقياً في الشر^(٥) كما يُترقى في الخير. وأيضاً ليناسب ما تقدم في يونس متقدماً من قوله: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.^(٦)

والجواب عن السؤال الثاني^(٧)، أن آية الصف قد تفردت عن كل ما تقدم من هذه الآي^(٨) بذكر تعيين المُفترى فيه الكذب مطوقاً به من غير الإجمال الوارد في الآي الأخر، بل ورد على التفصيل والتعيين وذلك بين من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ [و/٧٠] يَأْتِي مِنْ بَعْدِي

(١) ساقطة من ج.

(٢) هكذا في ك، وبقي النسخ: قد.

(٣) هـ: وقد، م: أو كذب فقد.

(٤) هـ، م، ك: فوصف.

(٥) ج: الشرك.

(٦) آية / ١٣.

(٧) ح، ب، ع: الثالث.

(٨) ما بعدها إلى قوله (الأخر) ساقط من ح، ع بانتقال النظر.

اسْمُهُ أَحْمَدُ^(١) ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ^(٢)﴾ أي^(٣) فلما جاءهم الرسول الذي سَمَّاهُ لهم عيسى بالبينات والدلائل القاطعة، والتصديق لما بين يديه من التوراة، ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ^(٤)﴾، فافْتَرَوْا الكذب وارتكبوا البهت فيما لا توقف فيه ولا إشكال. ففيل تعجباً من حالهم على الجاري في لسان العرب: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، فورد الكذب^(٥) معرفاً بأداة العهد، ليقوم مقام الوصف، حتى كان قد قيل هذا الكذب لا أميراً^(٦) فيه ولا توقف. ولما لم يرد في الآية الآخر ما تقدم هنا، كان الوجه أن يرد مُنْكَرًا كما ثبت^(٧)، فورد على ما يناسب ويحب، والله أعلم.

٩٩ - الآية السابعة قوله تعالى^(٨):

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ - الآية (٢٥).

وفي يونس^(٩) (٤٢، ٤٣): ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ. وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَتَّبِعُونَ﴾. فورد الفعل في الأولى مسنداً إلى ضمير المفرد، وفي الثانية إلى ضمير جماعة مع استوائهم في الجمعية في الموضعين، ومع اتفاق

(١) (٢، ١) الصف / ٦

(٢) من هنا إلى قوله (عيسى بالبينات) ساقط من ك.

(٤) الصف / ٦.

(٥) فورد الكذب: في ك فقط.

(٦) ج، هـ، م، ع لا افتراء.

(٧) ج: لما.

(٨) ساقطة من ب.

(٩) ك: وفي سورة يونس.

الغائتين^(١) في أن استماعهم مع قصدهم إيّاه لا يجدي^(٢) عليهم.

فلسائل أن يسأل فيقول: لِمَ وَرَدَ فِي الْأُولَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ﴾ مع اتفاق الآيتين فيما ذكر^(٣).

والجواب - والله أعلم - أن نقول: إن لفظ «مَنْ» لفظ مفرد، ويصلح مع ذلك للآيتين والجميع، على هذا وَضَعَهُ. فإذا ورد في تركيب كلامهم فأول ما يُحْمَلُ على السابق من حكمه اللفظي من الأفراد. فلهذا تَرَدُّ صِلَتُهُ إن كان موصولاً، أو صِفَتُهُ إن كان موصوفاً، أو خبره إن كان شرطاً أو^(٤) استفهاماً، كصلة الذي الواقع على المفرد، فتقول في الصلة والصفة: مِنَ النَّاسِ مَنْ يَفْعَلُ كَذَا، وتقول في الاستفهام: مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ؟ فيرفع الفعل ضميراً مفرداً وسواء كان المراد في المعنى واحداً أو أكثر. ثم قد يكون فيما اتَّصَلَ بالكلام بعد ضمير أو غيره مراعى^(٥) فيه معنى «مَنْ»، حيث يراد أكثر من واحد، فيأتون به على معنى «مَنْ» لا على لفظها كقولك: مِنَ النَّاسِ مَنْ يَفْعَلُ كَذَا، وَيُخْطِئُونَ^(٦) في ذلك. ومنهم مَنْ يَفْعَلُ كَذَا، مستمرين على فعلهم^(٧)، فَيُبَيِّنُ، ضمير الجمع في قولك: وهم يخطئون، والحال في قولك: مستمرين على فعلهم إن المراد أكثر من واحد. وعلى هذا كلام العرب في الكثير المطرد، وعليه جاء القرآن: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَوْمَ الْآخِرِ﴾^(٨) ثم قال: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٩)، فعاد الضمير مجموعاً في قوله: ﴿وَمَا هُمْ﴾، بعد

(١) ك: الغائتين، ب: الغائتين، ج، هـ، م، ع: الغائتين، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) هـ، م، ك، ب، ع: يجب.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجهه).

(٤) ب: واستفهاماً - بالواو.

(٥) ك: يراعى.

(٦) ب: أو يخطئون.

(٧) ما بعدها إلى قوله (على فعلهم) ساقط من ج، ع بانتقال النظر.

(٨)، (٩) البقرة/٨

عودته مُفْرَداً، وهذا كثير. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(١) [٧٠/ظ] فعاد الضمير من يُدْخِلْهُ^(٢) مفرداً على لفظ «مَنْ». ثم قال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(٣)، وهو حال من الضمير فين بهذا الجمع أن المراد جميع. وقد يجري الكلام على^(٤) أوله في الإفراد، كقوله^(٥) تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ - الآيات^(٦)، فورد فيها ضمائر ثمانية كلها عائدة على لفظ «مَنْ»، ولم يرجع منها شيء على معنى «مَنْ»، مع أن المعنى على الكثرة. ثم أعلم بعد أن المراد بما يبينه ما يأتي بعد الضمير المفرد المَحْمُولُ على لفظ «مَنْ»، إنما هو أعني المَبِينُ كَثْرَةُ أو وَحْدَةُ.

أما إِبْهَامُ^(٧) التعمين فمقصود^(٨) لا يرتفع^(٩)، فإن إِبْهَامُ^(١٠) أو^(١١) الخبر في هذا أبلغ في تكميل فائدة الكلام وإحرازها. ألا ترى أن قول الملك لخاصته: **إِنْ مِنْكُمْ مَنْ يَفْعَلْ كَذَا، أَبْهَجُ^(١٢) لِنَفُوسِ السَّامِعِينَ، وَأَبْلَغُ فِي التَّحْرِيزِ عَلَى الشَّيْءِ أَوْ الزَّجْرِ عَنْهُ بِحَسَبِ الْمَرْتَكَبِ.** فإن كان مما يحبه الملك تشوّفت نفوس المخاطبين إليه، وإن كان على الضد من ذلك اشتد خوف جميعهم وحذرهم،

(١) الطلاق / ١١.

(٢) ج، هـ، ك، ع: ندخله.

(٣) ساقطة من هـ، م، ك.

(٤) ج، ع: في.

(٥) هـ، م، ب: فقلوه، ك: بقوله.

(٦) هـ، ك، ب: الآيتين، وصوابها الجمع لأن المؤلف يشير إلى آيات البقرة من ٢٠٤ إلى ٢٠٦ كما سيأتي.

(٧) ج، هـ، م، ب: إيهام.

(٨) ج، هـ، ك، ع: فمقصوده.

(٩) ساقط من ج، هـ، ع قوله (لا يرتفع).

(١٠) ج، هـ، م، ب: إيهام.

(١١) ج، ب، ع: والخبر - بالواو.

(١٢) هـ، ك: أبهج.

وهذا يستدعي طولاً يخرجنا عن مقصودنا، والوارد من هذا في الكتاب العزيز كثير. ونرجع إلى مقصودنا، فنقول: إن آية الأنعام وردت على الأكثر، وقد ورد فيها انتظم بالآية بيان كَوْنِ المستمعين جماعة، وذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾^(١)، فتبين أن المراد جماعة وارتفع الاحتمال. ولما لم يرد فيها انتظم مع آية سورة يونس ضمير^(٢) ولا غير ذلك مما يبين أن المستمعين جماعة وكان ذلك مفرداً مقصوداً أن الضمير أولاً ضمير جمع تحلاً على معنى (مَنْ) ولم يُحْمَلْ على لفظها فيفرد: لكلا يُوهِمُ أن المستمع واحد وذلك غير مقصود؛ فقل: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾، إذ ليس في الكلام بعد ما يُبين^(٣) ذلك.

فإن قيل: فإن^(٤) ﴿مَنْ﴾ تقرر من حكمها أنها يراد بها الكثير، وإن كانت مفردة اللفظ وصالحة له^(٥) وإنما^(٦) كانت في الأكثر من كلامهم يراد بها الكثير، فذلك يدفع إيهام إرادة واحد.

فأجواب أن إرادة الواحدة بها - وإن كان الأقل - مُبَيَّنٌ^(٧) حُكْمُ الإيهام. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ، مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٨) - الآيات إلى قوله - ﴿وَلَيْسَ الْمُبَادُ﴾^(٩)، نزلت هذه الآية [٧١/و] في الأَخْسِرِ بنِ شَرِيقٍ^(١٠)، وقد

(١) الأنعام / ٢٥.

(٢) ساقط من ج، هـ، ع.

(٣) هـ، ك: بَيَّن.

(٤) ك: قد تقرر.

(٥) ساقط من ب.

(٦) ك: وإدا، ب: وإن.

(٧) ب، ع: سبق.

(٨) ب: زاد بعدها من الآية ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾.

(٩) البقرة / ٢٠٤-٢٠٦.

(١٠) ك: رشيق.

تكرر الضمير فيها ثماني مرات ضمير مفرد، وتأكد بذلك أن المعني بها واحد كما قال المفسرون^(١). وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَنْفِتْنِي﴾^(٢). نزلت في الجذ^(٣) بن قيس لمادعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهاد الروم، وقال: هل لك في جِلاَد^(٤) بني الأصفر، وقصته مشهورة^(٥). وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ - الآية^(٦)، نزلت في ثعلبة بن حاطب^(٧)، إلى نظير هذا من المواضع. وقد تقدم أيضاً أنها تصلح للثنتين.

وأنشد سيبويه - رحمه الله تعالى: (طويل).

تعالَ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تُخَوِّنِي نَكُرٌ مِثْلُ مَنْ يَا ذِيبُ يَصْطَطِحَانِ^(٨)

فإذا^(٩) ثبت أن «مَنْ» تصلح^(١٠) للواحد والاثنتين، والجمع، والمذكر والمؤنث، وقد ذكر المفسرون وأهل السير أن المتعرِّضين لسماع القرآن مه صلى الله عليه وسلم كانوا جمعة سمَّاهم المفسرون؛ فتحريروا المراد في الآية محروراً للمعنى المقصود ومتأكداً^(١١)، إذ ليس فيما بعد مما في المنتظم مع الآية ما يبيِّن

(١) هو الأحسن بن شريق الثقفي حليف بني زُهرة انظر. أسباب النزول / ٣٩. الباب ٣١، ٣٢.
(٢) التوبة / ٤٩.

(٣) ج، هـ، م، ع: الحر.

(٤) ج، ع: جهاد.

(٥) القصة في أسباب النزول / ١٦٦، الباب / ١١٧ ذلك أنه عليه الصلاة والسلام لما أراد الخروج إلى غزوة تبوك، وكان يقول: اغزوا تغنموا بنات الأصفر فقال جذُّ بن قيس قوله وتابعه على قوله المنافقون.

(٦) التوبة / ٧٥.

(٧) أسباب النزول / ١٧٠، الباب / ١٢٠، ١٢١.

(٨) البيت منسوب للفرزدق في ديوانه / ٨٧٠، الكتاب ٤١٦/٢، مجاز القرآن ٤١/٢، معاني الحروف / ١٥٨، شرح المفصل ١٣٢/٢، المقتضب ٢٩٥/٢، ٢٥٣/٣، الخصائص ٤٢٢/٢.

(٩) ح: وإي، هـ: وإذا.

(١٠) ج، م: الصلح.

(١١) ج، غ: ومؤكد.

المراد كما في غيرها فوجب رعي ذلك فقيل: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ﴾، ولزم ذلك الإيهام^(١).

فإن قيل: فإن قوله تعالى في آية^(٢) يونس: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ بين^(٣) ذلك كما بينه^(٤) في آية الأنعام قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ وما بعد، إذ الارتباط^(٥) حاصل في الآيتين^(٦).

فالجواب أن ارتباط قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ بما قبله صحيح كارتباط قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾^(٧) بما قبله^(٨)، إلا أن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ يبين^(٩) أن ما وقعت عليه ﴿مَنْ﴾ جماعة وكان الكلام في قوة أن لو قيل: وجعلنا على قلوب السامعين، إذ لا يراد بالضمير^(١٠) غير مَنْ^(١١) وقعت عليه «مَنْ». وأما قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾، فليس كذلك، بل المراد بلفظ الصُّمَّ جنس الصُّمَّ والمستمعون بعض ذلك. فحصل الارتباط بهذا الوجه، لأن الصُّمَّ يراد بهم من وقعت عليه «مَنْ» فقط، وهذا^(١٢) كقولهم: زيدٌ نعم الرجل، فإن الرجل لم يُرَدَّ به زيدٌ وحده، وإنما أريد به جنس الرجال، وإنما زيدٌ واحد منهم، فحصل الربط بهذا

(١) م، ك: الإيهام.

(٢) ج، هـ، م، ب، ع: سورة.

(٣) ك، ع: بين.

(٤) ج: بينه.

(٥) ك: إذ - لا - ارتباط.

(٦) ك: زاد بعدها: (ونظام الكلام ملثم).

(٧) زاد في ب من الآية هنا ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ وَلِي آذَانِهِمْ قُرْأُ﴾.

(٨) إلى قوله: (أكنة بين)، ساقط من ج، هـ، م.

(٩) ك: ميين.

(١٠) ب: زاد هنا (مين).

(١١) هكذا في ك، وبقية النسخ (ما).

(١٢) ج، هـ، م: وهو.

الوجه، فليس كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾. وهذا يَتِمُّ المعنى المقصود من تسلية نبينا صلى الله عليه وسلم وكان قد قيل له عليه الصلاة والسلام: إِنَّ الصُّمَّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ لَمْ تُكَلَّفْ إِسْمَاعَهُمْ، وهؤلاء منهم فلا ذَرَكْ عليك فيهم، فانفصلت آية يونس من آية الأنعام، وورد كل على ما يجب.

فإن قيل: إذا كان الأكثر في «مَنْ» وقوعها على الكثير، فقد وردت آية يونس على ما هو القليل في كلامهم، وفي هذا ما يُسأل عنه.

قلت: ذلك كله فصيح ومعروف من كلامهم، ولا يلزم من كَوْنِ الوارد أقل أن يكون دون الكثير في الفصاحة، بل كلُّ فصيح. وقد بَوَّبَ سيبويه - رحمه الله - على (١) حال «مَنْ» في وقوعها على مَنْ ذكر فقال في كتابه: «هذا باب إجرائهم صلة مَنْ وجره، إذا عُنِيَتْ (٢) اثنين كصلة اللذين (٣)، وإذا أردت (٤) جماعة كصلة الذين. ثم ذكر الآية: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾، وأنشد بيت الفرزدق، وقد تقدم (٥):

تَعَالَى (٦) فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونَنِي - البيت (٧).

وقد تقدم، وذكر مما (٨) أُجْرِيَتْ (٩) فيه «مَنْ» مجرى التي، قول العرب: مَنْ كَانَتْ أُمُكُ، وَأَيْهُنْ كَانَتْ (١٠) وأورد عن [الخليل بن أحمد] (١١) قراءة من

(١) ج، هـ، ع: تعالى.

(٢) هكذا في الكتاب، وفي ك وبقيّة النسخ (عيت).

(٣) ب: الذين.

(٤) هكذا في جمع النسخ، ونص الكتاب «عنيت».

(٥) ب: المتقدم - وقد ذكر هذا البيت في أثناء شرح هذه الآية.

(٦) ساقط من ب.

(٧) ب: إلى آخره، في موضع «البيت».

(٨) ج، ع: ما.

(٩) هـ: جرت، ج، ب، ع: جريت.

(١٠) زاد في هـ: (أُمك) هنا.

(١١) هذه الزيادة من الكتاب ٤١٥/٢، ومكانها بياض في ج، ع.

قرأ: ﴿وَمَنْ تَقْنَتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١). فقد ذكر سيبويه - رحمه الله - هذا كله من كلام العرب^(٢). ودل قوله في الترجمة: هذا باب [٧١/ظ] إجرائهم، بالإضافة إلى ضمير الجميع^(٣)، وإنما يريد العرب^(٤)، وهذا مشير إلى أن العرب تتكلم به كثيراً، وأنه ليس في كلام بعضهم دون بعض. ووضح من جملة هذا، أن قوله تعالى في آية يونس: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَبِعُونَ﴾ بضمير الجماعة، لا يلائم الموضع سواء، إذ ليس بعده ما يبين أن المراد جمع^(٥). أما آية الأنعام، فقد ورد في المنتظم بها ما بعد، مما يبين المراد، فجاء كل على ما يجب، والله أعلم.

١٠٠ - الآية الثامنة^(٦) (غ) قوله تعالى^(٧):

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٢٩)

وفي سورة المؤمنون^(٨) (٣٧): ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾، وفي الجاثية (٢٤): ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ - الآية.

للسائل أن يسأل فيقول: إن هذه^(٩) الآية^(١٠) الثلاث قد اتحد محصولها

(١) الأحزاب / ٣١ ونسب هذه الفقرة لجماعة هم: يعقوب، ولأسواري، والجحدي، وابن عامر، وأبو جعفر، وشيبة، ونافع، وس كثر، وأبو عمرو، وعاصم انظر: البحر ١٢٨/٧، السبعة / ٥٢١.

(٢) الكتاب ٤١٥/٢، ٤١٦.

(٣) ك: الجمع.

(٤) ب: الضرب.

(٥) م، هـ، ب: جميع.

(٦) ب، ع: الثانية.

(٧) قوله تعالى: ساقطتان من ب.

(٨) ج، ب، ع: المؤمن، وسورة المؤمن هي سورة غافر، وليست السورة المستشهد منها.

(٩) م: هي.

(١٠) ب: صيغة السؤال (يقال هذه الآية...).

من إنكارهم البعث الأخرآوي، وزعمهم أن لا^(١) حياة بعد هذه الحياة الدنيوية، ولم يرد فيها عدول عن هذا من قولهم، فما وجه الاختصار في^(٢) آية الأنعام، وزيادة ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ في الأخيرتين^(٣)، وانفراد آية الجاثية بقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، عوض^(٤) قولهم في الأولين: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن آية الأنعام، لم يرد فيما تقدمها زيادة على ما أُخبروا به من حالهم في إنكارهم البعث. ألا ترى أن بناء الآية على ما تقدمها عن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ - الآية^(٥)، فكان قد قيل لهم: إنكم كنتم تنكرون البعث ووجود هذه الحياة الأخرآوية ولم يرد أثناء هذا ما يستدعي زائداً.

أما آية المؤمنين، فترتب الوارد فيها من قولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، على ما تقدم من دعاء الرُّسُل إِيَّاهُمْ، وقد ذكر^(٦) الإمداد في دنياهم، الحمل على عُنُوهِمْ وقولهم في المرسل إليهم: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾^(٧). فلما طال ها الكلام بما أغروا به سفهاءهم، ناسب^(٨) هذا^(٩) الطول ما زيد هنا من قوله: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾،

(١) ب: الأ، واختار أبو حيان المصل، لأنه الأصل وسواء في ذلك «أن» ناصبة أو غير ناصبة. نتيجة الإملاء وقواعد الترقيم / ٤١، عنوان النجاة / ١٠.

(٢) م، ب: في زيادة.

(٣) ك، ب: الآخرين.

(٤) زاد في م (ع).

(٥) الأنعام / ٢٧.

(٦) ك: وذكر.

(٧) آية / ٣٣.

(٨) ج، هـ، م، ب، ع: فناسب.

(٩) ساقط من ج، ب.

أي طائفة تموت، وطائفة توجد وشأن ما يرد في الكتاب العزيز مما ظاهره التكرار^(١) زيادة فائدة، أو تبيين معنى، أو لباء غيره من الكلام عليه، حتى لا يكون تكراراً عند من وفق لاعتباره.

وأما آية الجاثية، فهي المفصحة بمرتكبهم الشنيع، من إنكارهم فاعلاً مختاراً حين قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، فزادوا [٧٢/و] إلى إنكارهم البعث الأخراوي، إنكارهم توقف الموت على آجال محدودة للخلائق، ووقوعه بإرادة وتقدير من الموجد سبحانه. ثم أتبعوا شنيع مرتكبهم هذا بقولهم للرسول - تحكيماً لإنكارهم البعث: ﴿اثْبُتُوا بِآبَاتِنَا إِنَّ كُتُومَ صَادِقِينَ﴾، أي^(٢) إن كنتم صادقين في أننا نحيا بعد الموت، فأرونا دليلاً على ذلك بإحياء من مات من آبائنا. وبما ورد من هذه الزيادة، حصل التعريف بجملة مقالهم الشنيع، واستوفته هذه الآية على ما يأتي في غير هذا مما يتكرر^(٣).

١٠١ - الآية التاسعة [غ] قوله تعالى:

﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (٣٢).

وهذه الآية الأولى^(٤) مُغفلة.

وفي هذه السورة أيضاً (٧٠): ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْوَاً وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾^(٥).

(١) ج، ع: التكرار.

(٢) إلى: صادقين، ساقط من ج، هـ، ع.

(٣) ح، يكرر.

(٤) ساقطة من ج، ع.

(٥) أفرد الإسكافي هذه الآية، وجعلها الآية الثامنة من مشاهة سورة الأنعام.

وفي الأعراف (٥٠، ٥١): ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

وفي سورة العنكبوت (٦٤): ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾.

وفي سورة القتال^(١) (غ)^(٢) (٣٦) ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾.

وفي سورة الحديد^(٣) (٤) (٢٠): ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾.

ففي^(٥) آتَيْتِ الْأَنْعَامَ، وسورة القتال، وسورة الحديد، تقديم اللَّعِبِ وعطف اللَّهْوِ عليه، وثبتت في الأعراف والعنكبوت العكس، فقدم فيها اللهو على اللعب. والواو وإن كانت لا ترتب، فإنه لا يتقدم اللفظ في الكتاب العزيز ذكراً، أو يتأخر إلا لموجب. فوجه تقديم اللعب في الأنعام أنه المتقدم في الوجود الدُّنْيَاوِيَّ على اللهو، لأن أول ابتداء تعقل الإنسان وميزة حال اللعب، وهو المطابق لِسُنَّ الابتداء فإذا استمر [أُلْهِى] ^(٦) عن التدبر^(٧) والاعتبار وشغل تماديه عن التفكير فيما به النجاة والفوز. وقد ينضاف إلى اللعب شاغل أو غيره، أو يعاقبه فيحصل بالمجموع الغفلة عن النظر في الآيات، فيعقب الهلاك. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ - الآية^(٨)، فلما لم يترخ هؤلاء عن الجري على مهتبع^(٩) الصُّمِّ

(١) هي سورة محمد.

(٢) ساقطة من ج، هـ، م، ب، ع؛ والآية من مغلطات الدرة كما ذكر في النسخة (ك). انظر: الدرة / ١٠٢.

(٣) إلى آخر آية الحديد ساقط من هـ، م، ب.

(٤) ساقطة من ج، ع.

(٥) ك: وفي.

(٦) ج، ك، ع: ألهى م، ب، هـ: ألهى؛ وما أثبتناه مناسب للسياق.

(٧) ج، هـ، ك، ع: التدبير.

(٨) الأعراف / ١٧٩.

(٩) المهيع السط والطريقة، إذا وصفت بالوضوح والبيان وطريق مهتبع. ين

البُكم الذين لا يعقلون، جرى الإخبار عنهم في الآية الثانية من الأنعام بمقتضى أحوالهم في أعمارهم^(١)، التي لم تخرج عن أحوال البهائم. فأول أعمارهم لعب، وعقب ذلك هو، فورد الإخبار على حسب تجري الأعمار^(٢) أنهم اعتمدوا البقاء مع مقتضى الطبع الإنساني، إذ لم يُضغِر المكلف إلى داعٍ، ولا تكلف^(٣) الخروج عن مقتضى هو، [٧٢/ظ] ولا جنح إلى مفارقة الموجب الطبيعي^(٤). قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾^(٥) فأمر نبيه عليه الصلاة^(٦) والسلام بالإعراض عنهم، فقال: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لُغِبًا وَلَهْوًا﴾، على^(٧) مقتضى الهوى^(٨). وهذه الحال هي التي نبه سبحانه عباده المؤمنين [إليها]^(٩)، على أنها حال الحياة الدنيا وصفتها التي تمتاز^(١٠) بها، فأعلمهم بذلك ليتجنبوها ويحذروا غرورها، فقال تعالى في الآية الأولى من هذه السورة: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، وقال في سورة القتال: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾. ألا ترى أن الخطاب قبل هذه الآية خطب للمؤمنين بالأمر بالطاعة لله^(١١) ورسوله، ووصية^(١٢) لهم، وإعلام^(١٣) بحال عدوهم من الكفار. وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ

(١) ج، هـ، م، ك، ب: أعمارهم.

(٢) ج: الأعمال.

(٣) م: يكلف.

(٤) هـ، م: الطبيعي، ك: مألوف الطباع.

(٥) الفرقان / ٤٣.

(٦) ساقطة من هـ، م، ك، ب.

(٧) م، ب: وعلى - بالواو.

(٨) ك: زاد هنا «والطبع».

(٩) ج، هـ، م، ب، ع: عنها، وساقطة من ك وما أثبتناه هو مقتضى الشق.

(١٠) ج، ب: يمتاز.

(١١) ج، هـ، ع: بطاعة الله.

(١٢) ب: ووجيه.

(١٣) ب: وإعلامه.

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَضَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١﴾ - الآية (١)، وفي سورة الحديد: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، فعرف عباده المؤمنين فيها^(٢) بالصفة التي هي فضلها، وبها امتيازها عن الترتيب الذي وجودها عليه، من تقديم اللعب وتبعية الله، حسب جري الأعمار ابتداء وانتهاء، كما تقدم. فهذا وجه تقديم اللعب في هذه الآية الأربع.

أما آية الأعراف، فإنها من قول المؤمنين أهل الجنة إخباراً عن حال الكافرين الموجبة لتعذيبهم، فقدّموا في الذكر الله الشاغل عن الاستحابة الجاري مع سبب التكليف والمساوق^(٣) له الثاني^(٤) عن اللعب، إذ وجود اللعب أولاً في السنن التي معظمها غير سبب التكليف، وحرّي الأقدام بالتزام الطاعة، واجتناب المخالفة. فقصدوا أن يخصّوا موجب التعذيب من الأعمال، فذكروا مساوئهم ومطنتهم^(٥)، وهو معاقب اللعب، والذي اتخذه الكفر بالقصد والاختيار من شاق التكليف ولم يذكر اللعب أولاً، لأنه جز في الداء وحين لا تكليف فكان الكلام في قوة أن لو قيل: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ نَعِيمَ الْجَنَّةِ عَلَى مَنْ تَأَبَّطَ الْكُفْرَ، واعتمده وأتبع اللعب باللهو من كفره، فلم يبرح عن ملازمة الطبع والهوى.

وأما آية العنكبوت، فإنه تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿وَلَيْتُنَّ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٦)، ولا يُسأل عن ويحجب إلا مَنْ جاوز سن اللعب، وبلغ السن التي بها يتعلق التكليف

(١) الأيتان / ٣٣، ٣٤.

(٢) ج، هـ، م، ك: منها.

(٣) ب: والمعارف.

(٤) ج، ب، ع: الناشئ.

(٥) ك: ومضنته.

(٦) آية / ٦١.

بالمخاطب، ويصح خطابه وحسابه على تفريطه، فناسب ذلك من ذكر الحياة الدنيا، تقديم ما يساوق تلك السن، فقدم ذكر اللهو التالي للعب، ليناسب وليحصل ذِكْرُ ما يَنْبَغُهم^(١) من الاستجابة [٧٣/و] وتكميل النظر المخلص لهم، وأخر ذكر اللعب الذي لا يساوق؛ مع أنه متبوع اللهو لزوماً لمن لم^(٢) يسبق^(٣) له سابقة سعادة. فهذا وجه التقديم والتأخير^(٤) فيها^(٥) ذِكْر، ولو ورد العكس، لما كان يناسب^(٦)، والله أعلم.

١٠٢ - الآية العاشرة [غ] قوله تعالى:

﴿وَلِلَّذَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفْلاً تَعْقِلُونَ﴾ (٣٢).

وفي^(٧) سورة الأعراف (١٦٩): ﴿وَالَّذَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ^(٨) يُتَّقُونَ أَفْلاً تَعْقِلُونَ﴾ وفي سورة يوسف (١٠٩): ﴿وَلِلَّذَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفْلاً تَعْقِلُونَ﴾.

في هذه الاي^(٩) ثلاثة أسولة، والآية الأولى^(١٠) من مُغْفَلَاتِ صاحب كتاب^(١١) الدُّرَّة.

(١) ع: ما نعلم، ج، هـ: ما نعم

(٢) ساقطة من ج، ع.

(٣) ب، ع: تسبق.

(٤) ساقط من ج، هـ، م، قوله: والتأخير.

(٥) ج، ع: بها.

(٦) ج، هـ، ع: لم يكن ليناسب، ب: لم يناسب.

(٧) إلى آخر الآية ساقط من ج، هـ، ب، ع.

(٨) إلى آخر الآية في ك وساقط من بقية النسخ.

(٩) ج، ب، ع: الآية.

(١٠) ج، ب: والآيات من.

(١١) في ك فقط وساقط من بقية النسخ.

أحدها: قوله تعالى في الأنعام: ﴿وَلِلَّذَارِ الْآخِرَةِ^(١)﴾ باللام الموطئة للقسم، وفي الأعراف: ﴿وَالَّذَارُ﴾ بغير تلك اللام.

الثاني: جَرِي^(٢) الآخرة على الدار نعتاً^(٣) لها في السورتين، وفي يوسف ﴿وَلِلَّذَارِ الْآخِرَةِ﴾ على الإضافة.

الثالث: قوله في السورتين ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، وفي سورة يوسف ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾.

والجواب عن الأول أن آية الأنعام تقدمها قوله تعالى معرفاً بحال الدنيا: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾. ومعنى التأكيد في هذا^(٤) حاصل من جري الكلام وسياقه^(٥)؛ لأنك إذا قلت: مَا الْمَالُ إِلَّا الْإِبْلُ؛ فكأنك نفيت عن غير الإبل أن يكون مالا، وأثبتت ذلك لها^(٦) إثباتاً^(٧) مؤكداً، وأنها المال حقيقة، وكأن ما سواها ليس بمال. وعلى هذا يجري ما دَخَلَتْهُ إِلَّا بعد «ما النافية» من^(٨) مثل هذا، وهو^(٩) المعنى الحاصل من لفظ القسم الصريح، فناسب هذا مجيء اللام الموطئة للقسم دَاخِلَةً على المبتدأ في الآية المعرفة بحال الدار الأخرى^(١٠) في قوله: ﴿وَلِلَّذَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾، وكأنه نصُّ قولك: وَاللَّهِ لِلَّذَارِ^(١١) الْآخِرَةِ خَيْرٌ، وتناسب هذا مع ما تقدم قبله من تقدير القسم

(١) ساقطة من ك، ع.

(٢) ب: جرا.

(٣) ج، هـ، ع: نعت.

(٤) ج، ع، هـ.

(٥) ج، ع: ومساقه.

(٦) ب: لها ذلك.

(٧) ج، هـ، ب، ع، ك: ثباتاً.

(٨) م، ك: ومثل.

(٩) م، ك، ب: هو.

(١٠) ج: الأخروي، ب: الآخرة.

(١١) ب، ك: لا - الدار(؟).

المؤكد، كما تبين. وليس في آية الأعراف ما يقتضي هذا، لأنها مناطة بقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَى﴾^(١) ثم قال: ﴿وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾. على هذا نظم^(٢) هذا الكلام^(٣)، وليس فيه ما يقتضي قسماً^(٤)، فلم تدخله تلك اللام.

والجواب عن السؤال الثاني، أن جرى^(٥) النعت بلفظ الآخرة على الدار في الآيتين وجه^(٦) مطابقته^(٧) ما تقدم قبل^(٨) كل واحدة من^(٩) الآيتين. أما في آية الأنعام فقوله تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَقَالُوا إِنَّمَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾، فطابق هذا قوله تعالى: ﴿وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾^(١٠) وأما آية الأعراف، فقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَى﴾، والمراد به الدنيا، فقوبل بقوله ﴿وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ وهذا بين.

ولما لم يتقدم مثل ذلك قبل آية سورة يوسف^(١١) [٧٣/ظ]، ورد لفظ الدار مضافاً بغير الألف واللام فيه فقيل: ﴿وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾، وجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

(١) الأعراف / ١٦٩.

(٢) ج، ب، ع: النظم.

(٣) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من ج، ب، ع.

(٤) ج، ع: قسماً.

(٥) ج: يجري.

(٦) ك: وجهه.

(٧) م، ك: مطابقة.

(٨) ساقط من ج، ع.

(٩) ج، ب، ع: في.

(١٠) خير: في ك فقط.

(١١) مكانها بياض في ج.

والجواب عن السؤال الثالث أن قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَلَذَارُ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ تقدم قبله قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ﴾ - الآية (١) . والحاصل منهم أنهم ظلموا أنفسهم فأهلكوا ولو اتَّقَوْا
لَنَجَّوْا، فتناسب هذا المعنى المقدر ورود الماضي في قوله تعالى (٢) :
﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، أوضح مناسبة.

١٠٣ - الآية الحادية عشرة (غ) (٣) قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ (٣٧)

وفي (٤) سورة العنكبوت (٥٠): ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ
رَبِّهِ﴾. وفي (٥) قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن عامر (٦)، وحفص (٧)، ولم
يختلف في توحيد لفظ آية في الأنعام والمقصود واحد.

ووجه (٨) ذلك - والله أعلم - أن لولا في الآيتين تحضيض، وإنما يجري
في كلامهم عندما يراه المتكلم به (٩) أولى (١٠)، أو أهم في مقصود ما (١١).

(١) آية ١٠٩.

(٢) في ك فقط.

(٣) ك: الذين.

(٤) في ك فقط، والآية من المغنلات.

(٥) إلى آخر الآية ساقط من ج، ب، ع.

(٦) هـ: وي، م: وهي.

(٧) ب: ابن عاصم - تحريف.

(٨) رقرأها ابن كثير، وحمزة، والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر، وأبو عمرو في رواية علي بن نصر
(آية) بالتوحيد. انظر السبعة / ٥٠١، النشر ٣٤٣/٢، الحجة / ٢٨٠

(٩) ج، هـ: وجه.

(١٠) ساقط من ب.

(١١) ج، هـ، ب، ع: أولاً.

(١٢) ح، ك، ب، ع: ماء (٩).

أو أتم^(١) في مَطْلَبٍ ما، إلى أشبه هذا مما يستدعي التحضيض^(٢).

ولما تقدم قبل آية الأنعام ذكر دلائل من خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، والتنبيه بحال من كذب وعاند إلى ما تبع ذلك من الآيات التي يُحتاج فيها إلى النظر، ولإعمال الفكرة^(٣) والاعتبار كان مِظَنَّةً لتَفْطِيط^(٤) الجاحد فطَلَبُوا آية تَبْهَرُ^(٥) ولا يُحتاج معها إلى كبير نظر، كناية صالح عليه السلام أو شبه ذلك، فافتتحوا فيما^(٦) ذكره سبحانه عنهم^(٧) بأداة لَوْلَا^(٨) التحضيضية جرياً على ما طلبوه، وأتوا بالفعل مضعفاً لما أرادوه من التأكيد، فقالوا: ﴿لَوْلَا^(٩) نُزِّلَ﴾، وأفردوا آية لما قصدوه من أنه عليه السلام لو^(١٠) جاءهم بآية واحدة من الضرب الذي طلبوه وهذا مناسب وقد صرّحوا بما طلبوه من هذا الصرب الذي ذكرنا في مثل^(١١) قولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٌ﴾ - الآية^(١٢)، وفي قولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾^(١٣) إلى^(١٤) ما أشبه هذا، فقال تعالى: قل لهم يا محمد: إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ

(١) ب: أتم.

(٢) ج، ب: التحضيض.

(٣) ج، هـ، م، ب، ع: والأعمال لفكرة.

(٤) ج، هـ، م، ب، ع: لتفطيط.

(٥) ب: نصرو، ومكانها بياض في ج.

(٦) ج، ب، ع: بما.

(٧) ج، هـ، م، ب، ع: عليهم.

(٨) ك: ألا.

(٩) ساقطة من الآية في ج، هـ، ب، ع، ك.

(١٠) ساقطة من ج، ع.

(١١) في ك فقط.

(١٢) (١٢) لَأَسْرَأَ / ٩١، ٩٠.

(١٣) الفرقان / ٢١.

(١٤) ساقطة من ج، هـ، م، ع.

يُنَزِّل آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، أي لا يعلمون ما كان يعقبهم ذلك ولو وقع على وفق اقتراحهم من تعجيل أخذهم وهلاكهم كما جرى لغيرهم من الأمم، كقوم صالح عليه السلام، وغيرهم. وقد قَدَّمَ^(١) لهؤلاء التنبيه على ذلك في قوله: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾^(٢)، وإيضاً ففي ذلك من الحكمة ما سبق في علمه تعالى من هداية من شاء وإضلال من شاء، وليرفع بالعلم والنظر من هداه إليه ووفقه. فلو ورد هنا الفعل غير مضعّف، ولم تُفرد آية، لما أحرز هذا المعنى.

أما آية العنكبوت فقد تقدم^(٣) قبلها قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ [٧٤/و] الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٤)، ثم قال تعالى^(٥): ﴿وَمَا يَجْعَلُ بِآيَاتِنَا﴾^(٦) وتأخر بعدها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٧)، فلم يكن ليناسب بعد اكتناف هذا المجموع، توحيد آية. ثم إن هذه الآية لم يتقدمها من التهديد وشديد الوعيد ما تقدم آية الأنعام، فناسب ذلك ورود الفعل غير مضعّف. وجاء ذلك كله على ما يجب، ولم يكن عكس الوارد ليناسب، والله أعلم.

١٠٤ - الآية الثانية عشرة قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾.

(١) ج، ك، ب، ع: تقدم.

(٢) الأنعام / ٨.

(٣) ج، هـ، م: تقدم.

(٤) آية / ٤٩.

(٥) ساقطة من ح: هـ، م، ع.

(٦) آية / ٤٩.

(٧) آية / ٥٠.

ثم قال بعد (٤٦): ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَابْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾. ثم قال بعد^(١) (٤٧) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾، وفي سورة يونس (٥٠): ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ تَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

ففي هذه الآي الأربع^(٢) أربعة أسولة^(٣):
الأول: ما وجه التكرار في الوارد في سورة الأنعام؟

الثاني: ما وجه اختصاص بعضها بتأكيد الخطاب الحاصل من الضمير بالإتيان بالأداة بعد في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾، وسقوط ذلك من بعضها؟

الثالث: ما وجه تخصيص كل آية منها بما أتت به؟

الرابع: ما وجه الترتيب في الآيات الثلاث وهو قوله في التنبيه أولاً^(٤): ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾، وتأخير التنبيه بمثل ذلك، من ذكر العذاب في قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ - الآية، ونوسيط^(٥) التنبيه بقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَابْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾.

والجواب عن الأول [أنه] إنما أعيد لفظ التنبيه لتنويع^(٦) مُعْتَبَرَات كل

(١) في ع فقط.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ك: أربع أسولة، ج، هـ، ب: أربع أسولة.

(٤) ما بعدها إلى قوله ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ في ك فقط.

(٥) ج، هـ، م، ب، ع: توسط.

(٦) هكذا في ك، وبقية النسخ: لتسوية.

منها كافٍ في الدلالة لمن وُفق. ونظير هذا، ما ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ^(١) الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ؕ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾^(٢)، ثم قال: ﴿وَأَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾^(٣)، أمَّن فعل كذا. فهذه الدلالات^(٤) التي نُبِّهوا على الاعتبار بها نظائر الآي الواردة في سورة^(٥) الأنعام. وأما الإتيان بأداة الخطاب بعد الضمير المحصل لذلك فتأكيد في إيقاظ المنبه إنباءً باستحكام^(٦) غفلته عما يحرك النائم باليد، والمفرط الغفلة باليد واللسان، وشبه هذا. ألا ترى وصفهم قبل هذا بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾^(٧) فذكروا أولاً تذكير الصم البكم، وإنما يُذكر هؤلاء بأبلغ^(٨) ما يقع به التحريك والتنبيه. ثم لما بسط الكلام، وامتد الوعظ إلى الآية الأخرى قيل لهم: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ فلم يُحتج إلى التأكيد، وذكروا بأمر مشاهد في كثير من الخلق، ف قيل لهم: ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾ ثم لما أُجذوا بكل جهة يحصل منها الاتعاض أُتبع ذلك بذكر العذاب، وسوء الجزاء لمن لم يتعظ وكررت أداة الخطاب وأكد. كما يقال - [٧٤/ظ] لمن نُبِّه فلم ينتبه، ولا أجدي عليه التذكار: كيف رأيت ويحرك^(٩) تحريك المتماذي على غيِّه بتكرار^(١٠) أداة الخطاب، فقد حصل الجواب عن الكل.

(١) صافعة من ج، هـ.

(٢) النمل / ٥٩.

(٣) النمل / ٦٠.

(٤) ج: الدلالة.

(٥) ك: آية.

(٦) ك: فاستحكما.

(٧) الأنعام / ٣٩.

(٨) هـ: ما بلغ.

(٩) ح، م، ب: ونحرك.

(١٠) م: بتكرر.

وأما آية يونس فمنفردة، ولم يتقدم قبلها^(١) ذكر ضم ولا بكم، يوجب تأكيد الخطاب. وقد تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ^(٢) مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ^(٣)﴾ - إلى ما بعد هذا، فحصل تحريكهم وتنبيههم بما لم [يتق] ^(٤) بعده إلا التذكير بعذابهم إن لم يُجِدْ ذلك عليهم. فالتدرج هنا حاصل كما هناك، لكن بطريقة أخرى، والله أعلم بما أراد.

فصل

واعلم أن جعل الأداة المؤكدة بها الخطاب في ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ ضميراً، لم يلزمه اعتراض [بَتَعْدِي]^(٥) فعل المضمر المتصل إلى مضمره المتصل، لأن ذلك جائز في باب الظن، وفي فعلين من غير باب ظننت^(٦)، وحسبت، وهما: قَعَدْتُ^(٧) وَعَدِمْتُ. وكذلك تعدي فعل الظاهر إلى مضمره المتصل جائز في الأفعال المذكورة. والآيات المتكلم بها من باب الظن، لأن المراد برأيت رؤية القلب، فهي من الباب المستثنى، وإنما الممتنع مطلقاً تعدي فعل المضمر المتصل إلى ظاهره، فلا اختلاف في منع هذا من كل الأفعال. وأما من جرّد أداة الخطاب المؤكدة بها للحرفيّة، وهو قول الجمهور، فلا كلام^(٨) في ذلك.

(١) ما بعدها إلى قوله (وقد تقدم قبلها) في ك فقط.

(٢) ما بعدها إلى قوله (والأرض) ساقط من الآية في هـ، م، ع.

(٣) آية / ٣٩.

(٤) جميع النسخ: سبق.

(٥) جميع النسخ: لا تعدي.

(٦) ج، ب: ظن.

(٧) م: قعدت.

(٨) ج: مكان قوله (فلا كلام) بياض.

١٠٥ - الآية الثالثة عشرة (غ) قوله تعالى :

﴿فَاخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ (٤٢).

وفي سورة الاعراف (٩٤) : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾، بإدغام تاء^(١) التفعيل في فاء الكلمة مع اتحاد المَرَمَى في الآيتين، فيسأل عن وجه ذلك.

والجواب - والله أعلم - أن العرب تراعي مُجاورة الألفاظ فتحمِلُ^(٢) اللفظ على^(٣) مُجاورِهِ لمجرد المضارعة اللفظية وإن اختلف المعنى. ومنه^(٤) الإِتْبَاعُ فِي : يَسُوءُكَ وَيُنُوءُكَ^(٥). قال سيبويه - رحمه الله - وقد ذكر بعض ما تُتَّبَعُ^(٦) فِيهِ الْعَرَبُ، وتحمل اللفظ على ما قُرِنَ^(٧) بِهِ، ولو أُفْرِدَ عَنْهُ لَمْ يُنْطَقْ بِهِ كَذَلِكَ - فقال : «كما»^(٨) أَنْ يَنْوُوكَ يَتَّبِعُ يَسُوءُكَ^(٩)، يريد أنك تقول : يُنِيئُكَ^(١٠)، بكسر النون وضم الياء، متعدياً، على مثال : يُزِيلُكَ وَزْنًا وتعدية إلى المفعول. فإذا ذكرته بعد يَسُوءُكَ أَتْبَعْتَهُ إِيَّاهُ، فقلت : يَسُوءُكَ وَيَنْوُوكَ، مع

(١) ب : ياء.

(٢) ب، ع : فيحمل، وهذه الكلمة وما بعدها ساقطتان من ج.

(٣) ج : مع.

(٤) هكذا لي ك، وبقية النسخ (وفيه).

(٥) هكذا في ك، وهو الصواب كما نص عليه سيبويه - ٣٣٢/١، وفي بقية النسخ ينوءك، ويسوءك وهو خطأ، فلا يكون ينوءك مبتدأ.

(٦) م : ينبع.

(٧) ج : قرب.

(٨) ساقطة من ج، ع.

(٩) نص كلام سيبويه في كتابه ٣٣٢/١ : «لا تقول قَوْلُهُ لَكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَبْلَهَا رِئْلَةٌ لَكَ، لا تقول :

قَوْلُ لَكَ حَتَّى تَقُولَ : قَوْلُ لَكَ، لِأَنَّ ذَا يَتَّبِعُ ذَا، كَمَا أَنَّ يَنْوُوكَ يَتَّبِعُ يَسُوءُكَ، وَلَا يَكُونُ يَنْوُوكَ مَبْتَدَأً أَهـ.

(١٠) ج : ينك.

اختلاف المعنى فهم^(١) فيما^(٢) اتفق معناه من هذا أجرى^(٣) أن يفعلوا فيه^(٤) ذلك. وماضي الفعل من الضراعة لا إدغام فيه، إنما تقول تضرع، إذ لا حرف مضارعة فيه يسوغ الإدغام. فلما ورد الماضي فيما بُني على آية الأنعام من قوله: ﴿قُلُوبًا﴾^(٥) إذ جاءهم بأنسنا [٧٥/و] تضرعوا^(٦)، ولا إدغام فيه لما ذكرنا، ورد الأول مفكوكاً غير مدغم، فقل: ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾ رغباً للمناسبة.

أما آية الأعراف، فلم يرد فيها ما يستدعي هذه المناسبة، فجاء مدغماً على الوجه الأخف، إذ لا داعي لخلافه، والله أعلم.

١٠٦ - الآية الرابعة عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ (٥٠).

تكرير ضمير الخطاب المجرور من قوله ﴿لَكُمْ﴾.

وفي سورة هود (٣١): ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾، بغير تكرير الخطاب.

فللسائل أن يسأل عن ذلك^(٧).

(١) ج: فهو.

(٢) ح، ب، هـ، ع، م: بما

(٣) هـ: لجرى، ب: أجرا، ج، ع: أجرى.

(٤) ج، ب، ع: في.

(٥) ساقطة من الآية في ج، هـ، ع.

(٦) الأسعاف / ٤٣.

(٧) ب: صيغة السؤال: يقال ما وجهه.

والجواب - والله سبحانه أعلم - أن الوارد في سورة هود، إنما هو حكاية قول نوح عليه السلام، ملاطفاً ومشفقاً من حال قومه. ألا ترى استفتاح خطابه لهم بقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ - الآية^(١)، وقوله: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً﴾ - الآية^(٢)، وقوله: ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ - إلى قوله - ﴿إِنِّي إِذَا لُجِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣). فتأمل جليل ملاطفته عليه السلام لهم، وما يفهم من كلامه من عظيم الإشفاق من حالهم، وإرادته ما به نجاتهم من العذاب، ومن أخذهم بضررتكباتهم. فهذا كله استلطاف في الدعاء، لا يناسب تكرار كلمة تفهم تعنيماً أو توبيخاً، والتأكيد والتكرار يفهم ذلك ويردآن^(٤) حيث يقصد.

وأما قوله تعالى في آية الأنعام: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ فوارد طي^(٥) كلام^(٦) أمر^(٧) صلى الله عليه وسلم بتبليغه عتاة قريش والعرب، توبيخاً لهم، وتقريباً فليل له^(٨): ﴿قُلْ﴾، والمراد: قل لهم يا محمد: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ - الآية^(٩)، ولم يؤمر أن يقول هذا لأبي بكر، وعمر، وحاصه أصحابه، وإنما عني به من يقول: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطُّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾^(١٠) لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً. أو يلقي إليه كثر أو

(١-٣) لأيات ٢٨، ٢٩، ٣٠-٣١ على الترتيب.

(٤) ج، هـ، ع: يرد - أن.

(٥) ب: على.

(٦) ساقطة من ب.

(٧) م، ك، ب: أمره.

(٨) م، ك: لهم.

(٩) محذوفة من ب.

(١٠) ما بعدها إلى آخر الآيتين ساقط من ب.

تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا»^(١). فمن^(٢) يصدر عنه هذا وأشباهه [مما]^(٣) يَنْبِي على الإِزرَاءِ، وفساد الظاهر والباطن^(٤)، فهُم المَقُولُ لَهُمْ: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ - الآية، فتكرَّر فيها قوله: ﴿لَكُمْ﴾، تأكيداً يُفهِم التعنيف^(٥) ويناسب التوبيخ والتفريع.

ونظير هذا وإنْ خالفه في تخصيص المخاطب بمقصود الكلام، وإنما قصد به تعنيف مُسْتَحِقِّي التعنيف ممن لم يخاطب، فهو من قِيل قولهم: إِيَّاكَ أَعْنِي واسْمِعِي يَا جَارَةَ، وقوله تعالى في خطاب [٧٥/ظ] عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأُذُنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأُذُنِي»^(٦) وتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِأُذُنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِأُذُنِي»^(٧). فتأمل تكرار قوله تعالى: ﴿بِأُذُنِي﴾ وما يتضمن من توبيخ من جعل عيسى عليه السلام إلهاً واتَّخَذَهُ مَعْبُوداً، فخطب عيسى عليه السلام، وهو المحفوظ المعصوم من تَوَهُّم استبداد جَلْ قدره صلى الله عليه وسلم^(٨) عن ذلك، ولكن هذا كما قيل له صلى الله عليه وسلم: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٩). والمراد بذلك تفريع من اتَّخَذَهُ عليه السلام إلهاً. ومن أَدْنَى من هذا ما اجتمعت عليه هذه الآي من إشعار التفريع والتوبيخ، الحاصلين من التأكيد والتكرار، ثم يُصَرَّف ذلك في كل من

(١) لفرقان / ٨٠٧.

(٢) ج، هـ: عاء، ع: ممن.

(٣) كل النسخ: ممن، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٤) في ك فقط.

(٥) ب، م: التعقيب.

(٦) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه كلمة «الآية».

(٧) المائدة / ١١٠.

(٨) ب. عليه السلام.

(٩) المائدة / ١١٦.

الآيتين لما^(١) تُؤْمَلُ^(٢) له. ولما لم يكن ذلك مقصوداً في آية هود، لم يرد فيها تأكيد ولا تكرار، وجاء كل من ذلك على ما يناسب والله أعلم.

١٠٧ - الآية الخامسة عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩٠).

وفي سورة التكوين (٢٧): ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

للسائل أن يسأل عن وجه ورود^(٤) الخبر بلفظ التانيث في الأولى، والتذكير في الثانية، مع تذكير^(٥) المبتدأ [فيهما]^(٦).

والجواب عنه - والله أعلم - أن آية التكوين لما تقدمها القسم على القرآن بقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾^(٧)، إلى ما وقع القسم به، ثم ورد ضمير المقسم عليه في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^(٨)، أي: إن القرآن لقول رسول كريم، والمراد به جبريل عليه السلام ثم أتبع بوصفه إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَمِينٍ﴾^(٩)، ثم قيل: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾^(١٠)، والإشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فتزعمه تعالى عن قول أعدائه ونسبتهم إيَّاهُ إلى الجنون، ثم وصفه بأنه على الغيب الموحى به إليه^(١١)، والمأمون^(١٢).

(١) هـ، م: لمن، ج: لم.

(٢) هـ، ب: تأمل، م: تأمل.

(٣) الآية ساقطة من ج، هـ، م.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ورود...).

(٥) ب: التذكير.

(٦) جميع النسخ: (ليها) بالإنفراد.

(٧-١٠) الآيات / ١٥، ١٩، ٢١، ٢٢ على الترتيب.

(١١) هكذا في ك، وبقية النسخ: الموحى إليه به.

(١٢) ج: المأمور.

على تبليغه، غير متهم ولا بخيل على القراءتين^(١)، فقال: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى
الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾^(٢)، ثم أعقب بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾، أي: وما القرآن
﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾، فجرت هذه الضمائر على التذكير على ما يجب،
ثم أتبع بقطع تعلّقهم فقيل: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾^(٣). أي: إن كل ما رُفِئَ من
رَمِيهِ عليه الصلاة والسلام به من السحر والجنون والتفوّل، لا يقوم شيء من
ذلك على ساق، ولا يتوهم ذلك ذو عقل سليم ثم قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَالَمِينَ﴾، والضمير للقرآن، ولا يمكن وروده على خلاف هذا^(٤) لمنافرة
التناسب، ومباعدة التلاؤم.

وأما آية الأنعام فتقدّمها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحُكْمَ [٧٦/و] وَالنُّبُوَّةَ، فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَا فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا
بِكَافِرِينَ﴾^(٥). فتوسب بين^(٦) قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾، وبين ما
تقدم، فكان التقدير: إن هو، أي: الأمر والمراد المقصود، أو ما ذكر من
الكتاب والحكم والنُّبُوَّةَ إلا ذُكِرَ. فمناسبة^(٧) ذكرى هنا لما تقدم
بَيِّنَةٌ^(٨). ولم يتقدم هنا ما يستدعي لفظ التذكير ويناسبه فجاء كل على ما
يجب، والله أعلم.

(١) قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، والكسائي: «بظنين»، وقراءة نافع، وعاصم وابن عامر، وحمة
«بظنين» في المصحف الثابت. راجع السبعة / ٦٧٣، الحجة / ٢٥٥.

(٢) م: بظنين.

(٣) آية / ٢٦.

(٤) ب: هذه.

(٥) الأنعام / ٨٩.

(٦) ب: من.

(٧) ك: فناسبه.

(٨) ب: بيانه.

١٠٨ - الآية السادسة عشرة (غ) قوله سبحانه :

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩٢).

لم يُقرأ هنا بغير هذا اللفظ، وكذا في المعارج^(١). وفي سورة المؤمنين^(٢)، في قراءة الجماعة إلا الشَّيْخَيْنِ: ﴿عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، بالجمع^(٣).

فللسائل أن يسأل عن وجه^(٤) ذلك.

والجواب عنه - والله أعلم - أن ذلك مناسب لما اكتنف هذا الوصف في آية سورة المؤمنين لما كان ذكراً محافظتهم على صلاتهم قد اكتنفه ما تقدمه، وما تأخر عنه من تفخيم الوصف في المتقدم^(٥)، وتفخيم الجزاء في المتأخر، ناسب ذلك تفخيم العارة عن فضلهم^(٦)، فورد بلفظ الجمع في قراءة الأكثرين، فقبل ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ﴾^(٧). أما تفخيم^(٨) الوصف المتقدم، فذكرهم بالفلاح، وهو الظفر المراد، والبقاء^(٩) في الخير، وذكرهم بالخشوع في صلاتهم، وإعراضهم عن اللغو، ولم يقع في متقدم

(١) آية ٣٤، ونصها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

(٢) آية ٩ ونصها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

(٣) الشَّيْخَانِ هما حمزة والكسائي، وزاد ابن الجزري «خلف» في قراءة «صلاتهم» بالتوحيد، والجماعة على قراءة: صَلَوَاتِهِمْ بالجمع. انظر النشر ٢/٣٢٨، السبعة / ٤٤٤.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك...).

(٥) ك: المقدم.

(٦) ك: فعلهم.

(٧) راجع: الحجة / ٢٥٥، والاتحاف / ٣١٧.

(٨) ب: أمر الوصف.

(٩) ك: الفناء.

وصفهم في سورة المعارج ما يُوازن هذه الأوصاف. وأما آية الأنعام فلم يتقدم فيها غير ذكرهم بالإيمان فقط.

وأما نعتهم الوارد في جزائهم، فوصفهم بأنهم الوارثون، ثم تخصيصهم بإرث الفردوس - وهو أعلى الجنة، منه تنفجر أنهار الجنة - ووصفهم بالخلود فيها^(١)، ولا يوازن^(٢) هذا بقوله عقب آية المعارج: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَّمُونَ﴾^(٣).

وأما آية الأنعام، فلم يرد فيها ذكر جزائهم. فوردت^(٤) [بلفظ] الجميع في آية سورة المؤمنين، وإن لم يُقرأ بذلك في الآخرين^(٥)، وظهرت مناسبة ذلك، والله أعلم.

١٠٩ - الآية السابعة عشرة (غ)^(٦) قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (٩٤).

وفي سورة الكهف (٤٨): ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. ومزني الأثنين واحد. فيُسأل^(٧) عن زيادة فُرَادَى في سورة الأنعام^(٨).

والجواب - والله أعلم - أن ذلك مراعى فيه في آية الأنعام ما أعقبت به

(١) ساقط من ب.

(٢) ج، هـ، ب، ع: لا يوازن - بلا واو.

(٣) آية / ٣٥.

(٤) هـ، م: فرحت، ب: رحمة، ج، ع: بياض.

(٥) الآخرين (٩).

(٦) ساقطة من ع.

(٧) م: يسأل.

(٨) ب: صيغة السؤال (فيُسأل عن ذلك..).

من قوله: ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾^(١)، أي أعطياكم من الدنيا ما شغلکم عن آخرتکم. ثم قال: ﴿وَمَا [٧٦/ظ] نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾^(٢). أي: منفردین عما كنتم تؤملون من أنذادکم ومعبوداتکم من دونه سبحانه. فليرغبي هذا المعقب به في سورة^(٣) الأنعام ما^(٤) قيل فيها: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾. أما^(٥) آية الكهف، فقبله^(٦) قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٧)، ثم قال: ﴿وَعَرَّضُوا عَلَىٰ رَيْكَ صَفًا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، أي: مجردين من^(٨) كل متعلق، ولم يقع هنا ذكر ولا إشارة إلى ما عُبِدَ من دون الله، فلهذا لم يقع هنا فُرَادَى، وذلك بَيِّنُ التناسب، وعكس الوارد لا يناسب، والله أعلم.

١١٠ - الآية الثامنة عشرة^(٩)، قوله تعالى:

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٩٧).

وبعد هذه (٩٨): ﴿لَقَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾، ثم بعد

هذه (٩٩): ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه^(١٠) اختلاف هذه الأوصاف التابعة في الآي

الثلاث.

(١) ، (٧) آية / ٩٤.

(٣) ك: آية.

(٤) ساقطة من ج، ع.

(٥) مكانها بياض في ج.

(٦) ج: قبلها.

(٧) الكهف / ٤٧.

(٨) ك: من.

(٩) ساقطة من ك.

(١٠) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختلاف...).

والجواب أنه لما تقدم الآية الأولى قوله جلّ وتعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(١)، فذكر سبحانه من المُعْتَبَرَات التي يُتَوَصَّلُ بالنظر فيها إلى معرفة وحدانيته تعالى ما يحصل الاطلاع عليه، تعقلاً وتنقلاً، ويستند في كثير منها إلى التعاون في تعرفه، والاطلاع عليه من تقدمت لديه المعرفة، فيحصل في ذلك عِلْمٌ منقول فيما يتعلق بذات المتعرف المطلوب به الاستدلال أو في أدواته^(٢) موصلة إليه، إذ ليس عِلْمٌ ذلك راجعاً إلى مجرد الفكر والتفطن. ألا ترى أن إدراك العلم بنجوم^(٣) السماء وتفصيل ذلك بتعيين الكواكب الثابتة والسيارة والمتنقلة في أبراجها، وخنوس الخمسة منها واشتراكها مع الشمس والقمر في انتقالها في منازلها مختلفات الحالات في السرعة والبطء^(٤). فكم بين قطع القمر الفلك في ثمان وعشرين^(٥) ليلة، وقطع زحل إليه في بيت^(٦) وثلاثين سنة، جارية في أفلاكها من غرب إلى شرق، وقذف الملك الأعظم بالكل من شرق إلى غرب على العكس^(٧) ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٨). وبتعرف^(٩) هذا القسط ممّا ذكرنا^(١٠)، يتحصل للمعتبر الاهتداء بها على الكمال في ظلمات البر والبحر بعدد السنين والحساب. والقلب في كثير من

(١) الأنعام / ٩٧.

(٢) ك: أدوات.

(٣) ع: لنجوم.

(٤) ك: البطيء، وبقية النسخ: البطور.

(٥) هـ، م، ب: وثلاثين، وساقطة من ج.

(٦) ج، هـ، ع، م: ستة، وساقطة من ك.

(٧) زاد بعدها في ج (من).

(٨) يس / ٢٨.

(٩) هـ، م، ج، ب، ع: يتعرف.

(١٠) ج، ب، ع: ذكرنا.

هذا الضرب مُذَرِّكٌ عَلَى النَّظَرِ^(١) فيما يُنْهِيهِ إِلَيْهِ، فصار هذا الضرب من الْمُعْتَبَرَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الصَّانِعِ تَعَالَى، كَالْمُخْبِرِ بِهِ الْحَاصِلِ بِوَسَاطَةِ مَنْ خَارِجٍ، فَمُنَاسِبٌ^(٢) ذَلِكَ التَّعْبِيرُ عَنْ^(٣) الْمَتَذَكَّرِ بِهِ بِالْعِلْمِ الَّذِي مَوَادُّهُ^(٤) وَمَحْصَلَاتُهُ الْخَبَرُ الْقَاطِعُ، مَعَ النَّظَرِ السَّيِّدِ^(٥) . فَقِيلَ فِي خَتَامِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

وقيل ما معناه: إِنَّ الْوَاردَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْخَيْبِ وَالنَّوَى﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(٦)، تَنْبِيهِ عَلَى مَعْرِفَةِ [٧٧/و] اللَّهِ تَعَالَى وَالْعِلْمِ بِهِ، وَبِوَحْدَانِيَّتِهِ وَهُوَ أَشْرَفُ مَعْلُومٍ، فَأُعْقِبَ بِأَشْرَفِ مَا يَوْصَفُ بِهِ الْمُعْتَبِرُونَ، فَقِيلَ: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. وَذَلِكَ أَعْلَى مِنَ الْوَصْفِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَقَّهُونَ﴾، وَ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وَلِذَلِكَ^(٧) وَرَدَّ^(٨) وَصْفُهُ تَعَالَى بِالْعِلْمِ؛ وَلَا يَوْصَفُ سُبْحَانَهُ بِالْفِقْهِ وَلَا الْعَقْلَ. فَلَمَّا كَانَ الْعِلْمُ أَشْرَفَ الْمَعْلُومَاتِ^(٩). عُبِّرَ عَنِ الْآيَاتِ الَّتِي نُصِبَتْ^(١٠) لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ بِاللَّفْظِ الْأَشْرَفِ، انْتَهَى. وَهُوَ قَوْلُ حَسَنٍ وَالتَّنَاسُبُ فِيهِ وَاضِحٌ.

وَأَمَّا الْآيَةُ الْآخَرَى فَتَقْدِمُ قَبْلَهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ

(١) م، ب، ك، ع: البصر.

(٢) ك: فتناوب.

(٣) ج، هـ، م، ك: على.

(٤) ج: مراد - مَوَادُّهُ (هكذا).

(٥) م، ب: الشديد.

(٦) الأنعام / ٩٥ - ٩٨.

(٧) ب: كذلك.

(٨) هـ، م، ك: ما ورد.

(٩) ك: المعلوم.

(١٠) ج، م: نصب.

نَفْسٍ وَاجِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ^(١)، ومرجع العلم نشأة الإنسان، وتقلبه من صُلْبٍ إلى رَجَمٍ، وارتباط أعصائه الطاهرة والباطنة، وجميع أجزائه، وتصرف كل عضو فيما له خلق، واحتياج الأعضاء بعضها إلى بعض^(٢)، وجرى ما وُكِّلَ منها بغذاء^(٣) الإنسان اجتذاباً وانتحالاً^(٤)، وطبخاً، وتقسيماً وتجزئة على الأعضاء، وإتقان كل عضو منها، وجرى [كل] لما^(٥) يُسَّرُ^(٦) له، إلى غير هذا مما يبسطه من تكلم في التشریح. فالعلم بهذا كله جملة وتفصيلاً، مما لا يحصل بالسمع ولا بالبصر، وإنما يُطَّلَعُ عليه بالاعتبار والتفكر من ذوي البطن السالمة^(٧)، والنظر العقلي الشديد^(٨)، والفهم المصيب؛ فندب هذا قوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾. والفقّه^(٩): التفهم والتفطّر، وذلك من حمدة ما ألهم^(١٠) إليه وأشار، قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١١).

وأما الآية الثالثة فإنه سبحانه لما ذكر^(١٢) إنزال الماء من السماء، وإخراج النبات به في^(١٣) قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ

(١) الأنعام / ٩٨.

(٢) ساقطة من ج، هـ.

(٣) هـ، ب: بعد ومكانها بياض في ج، ع.

(٤) ج: لو انتحاه، ب: انتحالاً.

(٥) ب: إلى.

(٦) م: يسر.

(٧) م: والتفطن من ذوي الفكر السليمة.

(٨) م، ك: الشديد.

(٩) ج، ك، ب، ع: فالفقّه.

(١٠) ك، لم.

(١١) الذاريات / ٢١.

(١٢) ح، ع: فإنه تعالى ما ذكر سبحانه.

(١٣) ح، ع: بقوله وساقطة من ب.

النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ^(١) .
 فلما ورد^(٢) هذا كان مذكراً بالبعث الآخر أي والنشأة الثانية، كما قال تعالى
 في سورة^(٣) الأعراف: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٤) وإنما
 يحصل العلم بذلك وبسائر أمور الآخرة من قبل الرسل عليهم الصلاة
 والسلام، والإيمان بهم، وبما جاءوا به، فقال^(٥) تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٦) ، أي: يصدقون بالبعث، وأنه تعالى كما بدأهم
 يعودون. فقد وضحت مناسبة هذه الآية الثلاث لما أعقبت^(٧) به، والله
 سبحانه أعلم.

١١١ - الآية التاسعة عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ [٧٧/ظ] انظُرُوا إِلَى
 ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ (٩٩).

وورد فيما بعد من هذه السورة (١٤١): ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا
 وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾.

فورد في الآية الأولى: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾، وفي الثانية:
 ﴿مُتَشَابِهًا﴾. وفي الأولى: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾، وفي
 الثانية: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، فيسأل^(٨) عن

(١) الأنعام / ٩٩.

(٢) هكذا في ك، وبقية النسخ (أورد).

(٣) ك: آية.

(٤) آية / ٥٧.

(٥) ج، ع: قال.

(٦) الأنعام / ٩٩.

(٧) م، ك، ب: أعقب.

(٨) ك، ب: يسأل.

المختلف في الآيتين مع اتحاد مرماهما.

والجواب عن الأول^(١) إِنَّ مُشْتَبِهًا وَمُتَشَابِهًا، لا فرق بينهما، إلا ما لا^(٢) يُعَدُّ فارقاً إذ الافتعال والتفاعل متقاربان: أصولهما الشين، والباء، والهاء من قولك أشبه هذا هذا، إذا قاربه^(٣) [ومثله]^(٤). ورد^(٥) في أولى الآيتين على أخف البناءين، وفي الثانية على أثقلهما، رعيًا للترتيب المتقرر، وقد مرّ نحو هذا في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ في البقرة، وقوله: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ﴾ في سورة طه.

والجواب عن الثاني، أن قوله تعالى في الأولى: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾. مبني^(٦) على ما قبله فيما بناءً على الاعتبار، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ - الآية، وقال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ - الآية^(٧)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾^(٨) في ظلمات البر والبحر^(٩) - الآية^(١٠)، ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ - الآية^(١١) ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قَنَاطِيرُ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾^(١٢). فلما كان مبني هذه الآي على

(١) ج، هـ، ب، ع: الأولى.

(٢) ساقطة من ج، م، ب، ع.

(٣) زيادة في ك فقط.

(٤) ب: ومثله، وبقية النسخ: مثاله، وما أثبتته الصواب.

(٥) زيادة في ك فقط.

(٦) ب: فمبني.

(٧) الأنعام / ٩٦.

(٨) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ج، ب، ع.

(٩-١١) الأنعام / ٩٧، ٩٨، ٩٩ على الترتيب.

الاعتبار والتنبيه بما نُصِبَ تعالى من الدلائل على وحدانيته، لم يكن ليناسب ذلك ويلائمه إلا الأمر بالنظر والاعتبار، لا الأمر بالأكل.

أما الآية الثانية، فمبنية على غير هذا، وقد تقدمها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرَهَا﴾^(١)، أي: مَنَعَ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مِنْ نَشَاءٍ، وجرى ما بعده^(٢) على التناسب إلى قوله^(٣): ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾^(٤) أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَقْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَقْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ - إلى قوله - ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾. ثم قال بعد ذكر الأنعام ﴿كُلُوا بِمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ وجرى ما بعد هذا في تفصيل ما أحل سبحانه لعباده، ورد ما ظنت يهود تحريمه على هذه الأمة. ثم أتبع سبحانه بذكر ما حرم أكله فقال لنبيه عليه الصلاة^(٥) والسلام: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوجِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مَسْفُوحًا﴾ - الآية^(٦). ثم أتبع سبحانه بما حرم على بني [٧٨/و] إسرائيل أكله فقال: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ - الآيات^(٨)، فلم يتخلل هذه الآيات من غير أحكام المأكولات في التنويع والإباحة والتحريم خلاف ذلك سوى الأمر بركة الحرث في قوله تعالى^(٩): ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، فدارت هذه الآي على تفصيل ما أنعم به سبحانه على عباده من ضروب ما خلقه تعالى

(١) الأنعام / ١٣٨.

(٢) ك: بعد.

(٣) هـ، م، ج، ب، ع: لقوله.

(٤) ساقط من الآية في ج.

(٥) في ب فقط.

(٦) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.

(٧) راجع الآيات / ١٤١، ١٤٢، ١٤٥، من سورة الأنعام على الترتيب.

(٨) الأنعام / ١٤٦.

(٩) ساقط من ك.

مما أقام به حياة عياده مأكلاً، وملبساً ومُعونة في حركاتهم وانتقالاتهم، ومُبَاح ذلك ومحرمه، فلم يكن ليلائم ذلك إلا ما يناسبه^(١)، ولم يكن ليناسب الآية المتقدمة لو قيل: كُلُوا، ولا هذه الآية لو قيل: انظروا. فجاء كل على ما يجب ويلائمه، ولا يناسب خلافه، والله أعلم.

١١٢ - الآية الموفية عشرين^(٢) قوله تعالى:

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢).

وفي سورة غافر (٦٢): ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنسِ تُؤْفَكُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن^(٣) وجه التقديم والتأخير فيما قُدم وأُخر في هاتين الآيتين. والجواب عن ذلك أن آية الأنعام لما تقدم فيها قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾^(٤) وَخَرَقُوا لَهُ يَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ^(٥) وقوله تعالى: ﴿أَنسَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾^(٦) كان الملائم نفي ما جعلوه وما ادَّعَوْهُ من الشركاء والصَّاحِبَةِ^(٧) والولد فتقدم ما الأمر عليه من وحدانيته سبحانه وتعالى عن الشركاء والولد فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) م: يناسب.

(٢) هـ: الموفية التاسعة عشرة، ك: التاسعة عشرة.

(٣) ب: صيغة السؤال (يسأل عن...).

(٤) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه والآية.

(٥) آية / ١٠٠

(٦) آية / ١٠١

(٧) ج: المصاحبة.

هُوَ^(١)، وعرف العباد بعد بأن كل ما سواه سبحانه خلقه وملكه فقدم
الأهم^(٢) في الموضع.

وأما آية غافر فتقدمها قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ
خَلْقِ النَّاسِ﴾^(٣)، ثم قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ
وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾^(٤). فلما تقدم ذكر الخلق الأعظم ولم يتقدم هنا ما تقدم في
آية الأنعام، أتبع بالتنبيه على أنه سبحانه خالق كل شيء، فكان تقديم هذا
التعريف هنا أنسب وأهم. ثم أعقب بالتعريف بوحدهائته تعالى؛ فجاء كل
على ما يجب ويناسب، ولم تكن واحدة من الآيتين لتناسب^(٥) ما تقدم
الأخرى، والله سبحانه أعلم.

١١٣ - الآية الحادية والعشرون^(٦) قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١١٢)

وورد^(٧) بعد هذا (١٣٧): ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا
يَفْتَرُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه^(٨) اختلاف الاسمين في قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ
رَبُّكَ﴾، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾.

(١) آية / ١٠٢.

(٢) م، ب: الأعم.

(٣) آية / ٥٧.

(٤) آية / ٦١.

(٥) ب: تناسب، ج، هـ، م: ليناسب.

(٦) هـ، ك: الآية المرفوعة عشرين.

(٧) إلى آخر الآية ساقط من م، ك.

(٨) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه...).

والجواب عن ذلك أنه لما تقدم الآية [٧٨/ظ] الأولى قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا^(١) مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٢) ، فعرف الله سبحانه نبيه عليه السلام بما سبق لهؤلاء ، وما قدره تعالى عليهم في الأزل حتى لا يجدي^(٣) عليهم شيء ، ولا ينفعهم تذكر . فلما تقدم من المقدر على هؤلاء ما يثير أشد الخوف كان مظنة إشفاق ، فأنس نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولاطفه بإضافة اسم ربوبيته سبحانه لنبيه^(٤) عليه السلام مخاطباً فقال : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ ، فسكن جأشه ، وتلطف في تأنيسه^(٥) عليه السلام ، وتأنيس أمته بتأنيسه . ولما لم يقع قبل الآية بعد مثل هذا ، وإنما قلها : ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ^(٦) شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ ، وليس هذا في اقتضاء الحتم عليهم ، المؤذن بقطع الرجاء منهم ، كقوله في الأولى : ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ - الآية^(٧) ، فلذلك قال عقب الآية الثانية : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ فجاء باسمه الأعظم تعالى من غير إضافة ، إذ ليس هذا مثل الأول^(٨) . ولو ورد الاسم الأعظم أولاً ، والاسم الكريم المضاف إليه ثانياً ، لما ناسب^(٩) ، والله سبحانه^(١٠) أعلم .

(١) إلى آخر الآية محذوف من ب ، وفي موضعه والآية ،

(٢) الأنعام / ١١١ .

(٣) ج ، هـ ، ب : بحري .

(٤) ك : لصيره .

(٥) ج ، ع : تناسبه .

(٦) إلى آخر الآية محذوف من ك .

(٧) الأنعام / ١١١ .

(٨) ج ، هـ ، ب ، ع : الأولى .

(٩) ك : زاد هنا وعلى ما تمهد .

(١٠) محذوفة من ح ، ع .

١١٤ - الآية الثانية والعشرون^(١) قوله تعالى :

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١١٧)

وفي سورة النجم (غ)^(٢) (٣٠): ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
سَبِيلِهِ﴾، بزيادة الباء في ﴿مَنْ﴾^(٣) قوله: ﴿بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، وكذا
في سورة القلم^(٤)، بخلاف ما في آية الأنعام. وفي آية الأنعام أيضاً
﴿يُضِلُّ﴾^(٥)، بياء المضارعة، وفي الآخرين «ضَلَّ». ففي هذا سؤالان:

أحدهما: زيادة الباء في آتي النجم والقلم، وسقوطها في آية الأنعام.

والثاني: ورود الماضي في النجم والقلم^(٦)، وورود المضارع في آية
الأنعام.

والجواب عن الأول، أن سقوط الباء الداخلة على «مَنْ» في آية
الأنعام، إنما ذلك - والله أعلم - لاستتقال زيادتها مع الزيادة اللازمة
للمضارع مع التقارب إشاراً للإيجاز والتخفيف، أما آيتا^(٧) النجم والقلم،
فلا زيادة في الفعل، لكونه ماضياً فزیدت^(٨) [باء]^(٩) التأكيد، الداخلة على
من. ويشهد لهذا إطراد زيادتها في الآيتين لورود الماضي فيهما بخلاف آية
الأنعام.

(١) هـ، م، ك: الحادية والعشرين.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ساقطة من ك.

(٤) آية / ٧، ومثله الآية ١٢٥ / من سورة النحل ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

(٥) ساقط من ج، هـ، ع.

(٦) ساقطة من ك.

(٧) هـ، ج، ب، ع: آية.

(٨) ك: فزید.

(٩) هـ: ناء، ب: تاء التوكيد وبقية النسخ: ياء التأكيد.

والجواب عن الثاني أن آية الأنعام قد اكتنفها من غير الماضي من الأفعال والأعلام مما^(١) يكون قطعياً^(٢)، أو يُتَوَقَّعُ في المآل ما يقتضي المناسبة في النظم. ولو ورد^(٣) غير الماضي هنا لما ناسب ولا لاءم^(٤).

وأما آية النجم فمبنية على مطلع السورة من قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ [٧٩/و] صَاجِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾^(٥) فقال مشيراً إلى حالهم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، فبرأ نبيه صلى الله عليه وسلم مما نسبوا إليه. وأثبت لهم ذلك بكناية وتعريض أوقع في نفوسه من الإفصاح بتعنيفهم^(٦).

وأما آية القلم، فإنه لما تقدم فيها، قوله تعالى^(٧). ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾^(٨)، وقوله تعالى: ﴿فَسَتَّبِعِرُ وَيَبْصُرُونَ بِأَيُّكُمْ الْمَقْتُونُ﴾^(٩)، وتعريفاً بكذبهم في قولهم حين نسبوه إلى الجنون أعقب ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ فسحلت هذه الكناية^(١٠) [ضلالهم]^(١١) وكذبهم، وتناسب^(١٢) هذا كله أوضح تناسب^(١٣).

(١) ك: ما، هـ، م، ب: بما.

(٢) ك: قطعاً.

(٣) ج، هـ، م: ولورود.

(٤) ك: ولا - لام، ب: ولا - لام.

(٥) الأيتان / ٢، ١.

(٦) هكذا في م وبقية النسخ: بتعنيفهم.

(٧) قوله تعالى: ساقط من ج، ع.

(٨) آية / ٢.

(٩) الأيتان / ٦، ٥.

(١٠) ج، هـ، ع: الآية.

(١١) جميع النسخ: بضلالهم.

(١٢) ب: وناسبت، ج، هـ، م، ع: وناسب.

(١٣) ب: زاد هنا (والله أعلم).

١١٥ - الآية الثالثة والعشرون قوله تعالى :

﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٢)

وفي سورة يونس (١٢) : ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
للسائل أن يسأل عن الفرق^(١).

والجواب عنه أنه^(٢) لما تقدم قبل آية الأنعام قوله تعالى : ﴿أَوْمِنُ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾^(٣)، والمراد : أومن كان ميتاً في غمرات الجهل والكفر فأحييناه بنور الإيمان والعلم كمن مثله في الظلمات، أي في ظلمات الجهل والكفر متمادياً على غيّه غير مُقلع عن كفره، لا يُجدي^(٤) عليه إنذار، ولا ينتفع بوعظ التذكار، فسواء في حقه الإنذار وعدمه. فلما ذكر في هذا الطرف من لم يشم نارق إيمان، وسجل بعدم خروجه عن مقتضى موبقاته في شنيع ذلك الحذلان، أعقب بقوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فوسم بكفره لليأس من حيره.

أما آية يونس فقد تقدم قبلها : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾^(٥) والمراد هنا جنس الإنسان، ﴿دَعَانَا لِجَنَّةٍ، أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾^(٦)، أي : دعانا على أي حال كان على مقتضى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ﴾^(٧). ثم قال : ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانًا لَّمْ يَذْعَنَا إِلَى ضُرِّ

(١) ب : صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما).

(٢) ساقط من ج، هـ، ع.

(٣) آية / ١٢٢.

(٤) ج، هـ، ع : ولا يجدي، ب : لا يجري.

(٥)، (٦) آية / ١٢.

(٧) الحل / ٥٣.

مُسَّهُ^(١)، فذكر سبحانه من حال الإنسان، حال مُتَدَكِّرٍ، داعٍ عند مَسِّ الضُّرِّ، غير مشرك، ولا كافر حال دعائه. ففي حاله في دعائه عند الضرر ومروبه في المخالفات أو الغفلة^(٢) عند كشفه شَيْءٍ من حال المقول فيهم: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾^(٣). فاعقب ذكر هذا الضرب بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا^(٤) كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فشبهت أحوالهم بأحوال المسرفين ليزدجر المؤمن، ويستعبد من مثل تلك الحال، ويذأب [٧٩/ظ] على الطاعة والتضرع إلى الله سبحانه والمسرف هنا - والله أعلم - يحتمل أن يراد به المسرف في المعاصي دون الكفر. والمسرف في كفره المقول فيه، وفيمن كان على حاله: ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾^(٥). فعدل في آية يونس عن أن يقول^(٦) للكافرين، إلى قوله: ﴿لِّلْمُسْرِفِينَ﴾، لما في صفة الإسرف من الاحتمال لمناسبة ما تقدمه من تَقَلُّبِ حَالَتِي الإنسان عند مس الضر إياه وكشفه عنه.

أما آية الأنعام فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿كَمَنْ مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾^(٧)، فإنما ذكر في هذه الآية طرفان قد بُولِغَ فيهما وهما المَجْعُول له نور يمشي به في الناس لا يفارقه، والمتخبط في ظلمات لا يخرج منها، فلا يمكن أن تكون حال أسوأ من حال هذا، لأن ذكر الطرفين لا واسطة بينهما؛ يقتضي من حيث البلاغة النهاية في كل طرف فعبر هنا

(١) يونس / ١٢.

(٢) ح، هـ، ع: والغفلة - بالواو.

(٣) التوبة / ١٠٢.

(٤) إلى آخر الآية زيادة في ب فقط.

(٥) غافر / ٤٣.

(٦) ح، ك، ب، ع: يقد.

(٧) آية / ١٢٢.

بصفة^(١) الكفر. أما حال المسرف من حيث ما ذكرنا من الإحتمال، فدون حال المتخبط في الظلمات. فعلى هذا يحتمل أن يكون الإسراف فيما دون الكفر فيكون^(٢) المتصيف به غير منقطع الرجاء، إذ^(٣) لم يبلغ الكفر. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٤) فشتان ما بين مسرف راجٍ، ومتخبط في ظلمات كفر ذاجٍ، فجاء كل على ما يناسب، ولم يكن ليناسب العكس بوجه، والله سبحانه وتعالى^(٥) أعلم.

١١٦ - الآية الرابعة والعشرون^(٦) قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ أَنَّ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾
(١٣١).

وفي سورة هود (١١٧): ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾. فقال^(٧) في الأولى: ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾، وقال في الثانية: ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾.

فللسائل أن يسأل عن الفرق في الموضعين.

والجواب - والله أعلم - أنه لما تقدم هنا قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ

(١) ج، هـ، م، ع: بصيغة.

(٢) ساقط من ج.

(٣) ج، م: أولم.

(٤) الزمر / ٥٣.

(٥) ساقط من هـ، م، ك، ب.

(٦) هـ، ك: الثالثة والعشرون.

(٧) إلى قوله «في الموضعين» في الموضعين محذوف من ب، وفي موضعه (يقال ما الفرق بين الآيتين والجواب...).

وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ ^(١) عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ
يَوْمِكُمْ هَذَا ^(٢) ﴿٣﴾ . فقدم سبحانه ذكر بعثة الرسل للجن والإنس،
وإنذارهم وتذكيرهم بالآيات، وتعريف الخلق بالجزاء الآخر أوي، على
مقتضى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ^(٤) . فلا ^(٥) عذر
لذلك. وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا
نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ ^(٦)، فلم يتركوا سدى، ولا عذر لمغضٍ ولا ^(٧)
متغافل ^(٨) بعد تنبيهه ^(٩) . ﴿ذَلِكَ أَنْ لَّمْ يَكُنْ رُبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا
غَافِلُونَ﴾، فهذا مناسب. وتقدم آية هود قوله تعالى: ﴿قُلُوا كَانَ مِنْ
الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا ^(١٠) قَلِيلًا مِّمَّنْ
أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ ^(١١) . [٨٠/و]، ولو كانوا ينهون عن الفساد في الأرض لكانوا
مصلحين، فلم يكونوا ليؤخذوا بالعقاب، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ
بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾. فقد ناسب كلاً من الآيتين ما أعقبت به، ولم يكن
ليناسب آية الأنعام، ﴿وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾، ولا آية هود: ﴿وَأَهْلِهَا
غَافِلُونَ﴾، والله أعلم بما أراد. وسيدكر إن شاء الله فرقاً ما بين قولك
﴿مُهْلِكَ﴾، فعبر باسم الفاعل وبين قولك ^(١٢): ﴿لِيُهْلِكَ﴾، بلام الجحود

(١) إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه الآية.

(٢) ساقط من م، ك.

(٣) الأنعام / ١٣٠.

(٤) الإسراء / ١٥.

(٥) إلى قوله «ولا عذر» ساقط من ك بانتقال النظر.

(٦) المائدة / ١٩.

(٧) ساقط من ج، ك.

(٨) ساقطة من ج.

(٩) ك: تنبيه.

(١٠) ما بعدها إلى قوله: «الفساد في الأرض» ساقط من ح، م، ب، ع.

(١١) هود / ١١٦.

(١٢) ك: قوله.

الداخلية على الفعل المستقبل في سورة هود^(١) إن شاء الله تعالى^(٢).

١١٧ - الآية الخامسة والعشرون (١٠) قوله تعالى :

﴿قُلْ يٰٓقَوْمِ اَعْمَلُوا عَلٰى مَكَانَتِكُمْ اِنِّىْ غَٰمِلٌ فَاِنتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾
(١٣٥).

وكذا في سورة الزمر^(٣) ، وفي قصة شعيب عليه السلام من سورة هود
(٩٣) : ﴿وَيَقَوْمِ اَعْمَلُوا عَلٰى مَكَانَتِكُمْ اِنِّىْ غَٰمِلٌ فَاِنتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾ . فانفردت آية هود
هذه بمجىء حرف التسويف^(٤) غريباً عن اقتران فاء^(٥) التعقيب^(٦) بخلاف الآخرين مع
اتفاق الآيات في التهديد ، وحرف التسويف^(٧).

للسائل أن يسأل عن ذلك^(٨).

والجواب عن ذلك^(٩) - والله أعلم - أن هذه الآيات الثلاث ، وعيد لمن
كفر وكذب ، وآية الأنعام والزمر منها أريد بهما كفار العرب من هذه الأمة ،
وقد افْتُتِحَتْ^(١٠) بأمره سبحانه لنبيه عليه السلام بوعيدهم في قوله سبحانه
وتعالى : ﴿قُلْ يٰٓقَوْمِ اَعْمَلُوا عَلٰى مَكَانَتِكُمْ﴾ ، فقوى^(١١) في هاتين الآيتين

(١) آية / ١١٧ .

(٢) ساقطة من ك .

(٣) هـ : الرابعة والعشرون .

(٤) آية / ٣٩ .

(٥) ج ، ع : التنفيس .

(٦) م : ما .

(٧) م : أعفيت ، وزاد في ك بعدها : به .

(٨) ب : التسوية .

(٩) ب : صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك) .

(١٠) الجار والمجرور ساقطان من ب .

(١١) ج ، هـ ، ب ، ع : افتحها .

(١٢) ح : قوى .

تقدير معنى الشرط المُنَجَّر^(١) تقديره في الأوامر نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٢) ، لافتتاحها بأمره تعالى لنبيه عليه الصلاة^(٣) والسلام، ثم أمره عليه السلام لهم في قوله: ﴿اعْمَلُوا﴾: فاعتَصَد ما يستدعي الجوابية بالفاء. فوردت في الجواب المبني على الشرط المقدر بعد هذا الأمر^(٤) على أحد مأخذي^(٥) النحويين، أو الذي تضمنته^(٦) الجملة، ونابت منأبة على القول الآخر.

ولما كانت آية هود إخباراً عن قول شعيب عليه السلام لقومه وإن تضمنت أمرهم إلا أنه إخبار لنبينا عليه الصلاة والسلام، فضعف فيها تقدير الشرط، فلم تدخل الفاء، وجاء كل على ما يجب ويناسب^(٧)، والله أعلم.

١١٨ - الآية السادسة والعشرون^(٨) قوله تعالى:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (١٤٨).

وفي سورة النحل (٣٥): ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

(١) ج، هـ، ب، ع: المنجز.

(٢) إبراهيم / ٣١.

(٣) ساقطة من ك.

(٤) م: هذه للأمر.

(٥) ج، هـ، ك: مأخذ.

(٦) ك: تضمنه.

(٧) ساقط من ك.

(٨) هـ، م، ك: الخامسة والعشرون.

للسائل أن يسأل^(١) عما اختلف [٨٠/ط] في هاتين الآيتين^(٢)، مع أن المقصود واحد.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أنه لما تقدم آية الأنعام، قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾^(٣)، وهذا إخبار عن بني إسرائيل فيما حرم عليهم. ثم ورد بعدها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمُّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾^(٤)، وهو خطاب لهم أيضاً فقد اكتنف الآية المذكورة ما مرجعه إلى بني إسرائيل مما حرم عليهم وما ألحقوه^(٥) بذلك تحريفاً وتبديلاً، ووردت الآية المتكلم فيها مورد ما يرد من الجمل الاعتراضية، لاتصال ما قبلها بما بعدها^(٦)، فلم يكن ليلائم ذلك الإسهاب وطول الكلام، إذ الوجه فيما يراد اعتراضاً أن يوجز^(٧).

وأما آية النحل فلم يتقدمها خطاب^(٨) لغير العرب، مؤمنهم وكافرهم، وقد أطنب في تذكيرهم ووعظهم وبسط لهم ذكر نعم ودلائل، فناسب ذلك الإسهاب الوارد فيها من قوله: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾. ولم يكن ليباسب آية الأنعام ما ورد هنا، ولا الوارد هنا ذلك الإيجاز، والله^(٩) أعلم.

(١) أن والفعل ساقطان من هـ.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختلاف الآيتين...).

(٣) (٤) الأنعام / ١٤٦، ١٥٠ على الترتيب.

(٥) ك: لحقوه.

(٦) هـ، ك: ما بعدها بما قبلها.

(٧) ك: يؤخر.

(٨) مكرر في ج، م، ك.

(٩) ك: زاد بعدها «سبحانه».

١١٩ - الآية السابعة والعشرون^(١) قوله تعالى^(٢) :

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقُ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ
وَأَيَّاهُمْ﴾ (١٥١).

وفي سورة بني إسرائيل^(٣) (٣١): ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَقِ
نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾. ففي الأولى: ﴿مِمَّنْ إِمْلَقِ﴾، و﴿نَرْزُقُكُمْ﴾، بتقديم
ضمير المخاطبين، وفي الثانية: ﴿خَشْيَةً إِمْلَقِ﴾، و﴿نَرْزُقُهُمْ﴾، بتقديم
ضمير الأولاد، ثم عطف ضمير المخاطبين.

للسائل أن يسأل عن^(٤) وجه هذا الاختلاف في اليتين مع اتحاد
المقصد فيهما.

والجواب عن ذلك^(٥) - والله أعلم - أن المخاطبين بآية الأعمام إنما كان
فعلهم ذلك من أجل الفقر الحاصل حين فعلهم ذلك فالحامل لهم على
قتلهم^(٦) قد كان حاصلًا حين قتلهم فقيل: ﴿مِمَّنْ إِمْلَقِ﴾، أي: من أجل
الإملاق الحاصل، ثم قيل لهم: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فقدم رزقه تعالى
لهم بحصول كذبهم في الحال ليكون أمانع لهم وكان السياق يُشعر بتشفيع^(٧)
الأولاد في رفع فقر الآباء القتالين. فكان قد قيل لهم^(٨): إنما نرزقون بهم،

(١) هـ، ك: السادسة والعشرون.

(٢) ساقطة من هـ.

(٣) هي سورة الإسراء.

(٤) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن...).

(٥) الجار والمجرور محذوفان من ب.

(٦) ج: فعلهم.

(٧) ك: بتشفيع.

(٨) هـا خرم في نسختي ج، ع، قدره ثلاث عشرة صفحة في بقية النسخ ينتهي أثناء الآية السادسة =

فلا تقتلوهم، فتأكد تقديم ضمير الأباء لهذا الغرض.

وأما الآية الأخرى فقصد بها كفار العرب، وكان وأدُّهم البسات خشية الفقر المتوقع والعجز عن مؤنَّتهنَّ^(١) فيما يتوقعونه مستقبلاً. ف قيل: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ فجعلت الخشية هي العلة في فعلهم فانتصبت [و/٨١] ذلك والمعلول الذي هو الإملاق لم^(٢) يقع بعد. وضمن تعالى لهم رزقهم، ورزق أولادهم، ودفع ذلك المتوقع ليرفع ذلك خشيتهم^(٣)، فلهذا قدم هنا ضمير الأولاد، ثم عطف عليه ضمير الأباء، وكان الأهم^(٤) هنا، فقدم^(٥)، وجاء كل في الموضعين على ما يجب ويناسب، والله أعلم^(٦).

١٢٠ - الآية الثامنة والعشرون^(٧) قوله تعالى:

﴿ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٥١).

وفي الآية تليها (١٥٢). ﴿ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وفي الثالثة تليها (١٥٣): ﴿ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه^(٨) الاختلاف في العلل بهذه^(٩) الآيات.

■ من سورة الأعراف. وقد كتب النسخ في ج ١ «وجد بياض بالأصل قدر ورقتين»، وترك النسخ في ع بقية هذه الصفحة والصفحات الثلاث التاليات بضاوات.

(١) م: مؤنَّتهن.

(٢) ك: ولم.

(٣) هـ، م: خشيته.

(٤) هـ، م: الاسم.

(٥) هـ، م: مقدم.

(٦) والله أعلم: محذوف من ب.

(٧) هـ، ك: السابعة والعشرون.

(٨) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن وجه...).

(٩) ك: المعلل به في هذه.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أنه ^(١) لما كانت الخلال ^(٢) الخمس في الآية الأولى وهي: الشرك، والعُقُوق، وقتل الأولاد لأجل الفقراء، وارتكاب الفواحش، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق، خمستها ^(٣) مما يدرك العقل ابتداءً قبورها، ويستقل بذركها؛ أعني أن العقل يستوضح قبهاً شرعياً ^(٤)، لبيان أمرها في استقباح الشرع إياها. وإلا فالعقل عندنا لا يُحسِّن ولا يُقبح ^(٥). فلما كانت على ما ذكرنا أتبعنا بترجي التعقل، لأن السلامة منها لا تكون مع وضوح أمرها إلا بتوفيق الله تعالى. ولذلك جاءت بأداة الترجي. ولما كانت الخمس التالية لها وهي قوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إلى آخرها ^(٦)، مما تؤثر فيها الشهوات والأهواء وذلك مما يُعمي ويصمُّ أتبع برجاء التذكر فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، مَنْ تَذَكَّرَ أَبْصَرَ فعقل، فامتنع. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ^(٧). ولما كان مجموع هذه المرتكبات العشر مما تفقت عليه الشرائع، ولم يُنسَخ منها شيء وهي المُحْكَمَةُ التي من أخذ بها كان سالكاً ^(٨) الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه، ولا أمت، واتَّخَذَ أَسْنَى وقاية من عذاب الله، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ ^(٩)، والأمر عامٌ لكافة الخلق. ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا

(١) ساقط من هـ، م.

(٢) هـ، م، ك، ب: الخلل.

(٣) هـ، ب: خمسها.

(٤) هـ، م، ك: شرعاً.

(٥) القول بالتحسين والتفبيح العقليين، قول المعتزلة الذي ينكره عليهم أهل السنة، والجماعة.

انظر: تفسير المعتزلة للقرآن الكريم / ٣٣٦-٣٤٧.

(٦) الأنعام / ١٥٢.

(٧) الأعراف / ٢٠١.

(٨) هـ، م، ك: ماركاً.

(٩) الأنعام / ١٥٣.

السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ»^(١)، اتبعه بقوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وترتب حاصلاً من مضمّن الآيات الثلاث، أن من عقل وتذكر اتقى، والمتقون هم المفلحون، فسبحان من هذا كلامه.

١٢١ - الآية التاسعة والعشرون^(٢) (غ)^(٣) قوله تعالى:

﴿وَإِنَّا أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٦٣)

وفي سورة الأعراف (١٤٣): ﴿وَإِنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

يُسأل عن الفرق.

والجواب - والله أعلم - أن هذه الآية لما تقدمها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^(٤). وقد قال في سورة [أل عمران]^(٥): ﴿وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٦) وفي وصيته عليه السلام [٨١/ظ]: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٧) وبهذا أوصى يعقوب عليه السلام قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ - الآية^(٨)، وهي جواب بني يعقوب حين قال لهم ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾، فأجابوا بقولهم: ﴿نَعْبُدُ إِلَهُكَ وَإِنَّهٗ آبَاؤُكَ﴾ - إلى قولهم - ﴿إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٩). وقال سبحانه لنبينا محمد صلى

(١) الأنعام / ١٥٣.

(٢) هـ، ك: الثامنة والعشرون.

(٣) ساقطة من هـ، م، ك، ب.

(٤) الأنعام / ١٦١.

(٥) جميع النسخ: البقرة، وصوابها ما أثبتناه.

(٦) آية / ٦٧.

(٧) البقرة / ١٣٢.

(٨) البقرة / ١٣٣.

الله عليه وسلم وعليهم أجمعين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ
اِقْتَدِهِ﴾^(١). وقال تعالى له^(٢): ﴿قُلْ﴾، أي قل يا محمد، ﴿إِنِّي هَدَانِي
رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ - إلى قوله - ﴿وَأَنَا أَوَّلُ
الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣). فإنما قال عليه السلام وعمل، واقتدى ظاهراً وباطناً بما أمر
به، وما دَرَج عليه هؤلاء الصُّفوة المذكورون ومن سلك مسلكهم. وعبرة
الإسلام، تضم الاستسلام بالظاهر والباطن، والإيمان الذي هو التصديق داخل
تحت ذلك. ومن جملة ما ينطلق عليه اسم الإسلام، فقد تحصلت عبارته
عليه السلام مُنْبِئَةً عن الكمال في مُسَمَّى الإيمان والإسلام على الحال التي
دَرَج عليها الْمُصْطَفَوْنَ الْأَخْيَارُ وحالهم في ذلك لا يدركها غيرهم من حيث
الكمال التام صلى الله عليهم أجمعين، ولا قَطَعْنَا عَنْ لَتَمَسُّكَ بِهِدْيِهِمْ. فقد
وصح بما ورد في هذه الآية الجليلة أنه لا يناسب هذا غير هذا الوارد، والله
أعلم.

وأما آية الأعراف، وقوله فيها: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فالقائل ذلك
موسى عليه السلام حين سأل الرؤية، وظن أنها جائزة في الدنيا فلم يسأل
عليه السلام مُحَالاً، وإنما سأل حائزاً ممكناً وحاشاه عليه السلام من أن
يسأل محالاً، ويجهل من ربه مثل هذا، لولا الجوار. فلما استعجل وطلب
ذلك في الدنيا قال ربه تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، في الدنيا وأمره أن^(٤) ينظر
إلى الجبل، وأراه تلك الآية العظيمة، وصار الجبل دَكًّا، وخر موسى عليه السلام
ضَبْعًا، لعظيم ذلك المُطَّلِع، ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾، ولم
يُرِدْ عليه السلام تُبْتُ من معصية، ولا جهل بربه، أن يجوز عليه ما لا

(١) الأنعام / ٩٠.

(٢) ك: وقال له تعالى، وسقط الجار والمجرور من هـ، م.

(٣) الأنعام / ١٦١-١٦٣.

(٤) ب، ك: فأمره بأن.

يجوز. فأقذار الأنبياء عليهم السلام فوق ذلك وهم أعلم الخلق بما يجوز عليه تعالى وما يستحيل. ثم قال: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي أول المصدقين بأنك لا تُرى في الدنيا. وليس موضع التعبير بأن يقول: «وأنا أول المسلمين»، لأن ذلك الوصف حاصل له عليه السلام على الصفة الحاصلة للمُصْطَفَيْنِ ممن تقدم. وإنما أراد ما يعبر عن مجرد التصديق بهذا الذي غاب عنه جواز تعجيله مع علمه بجوازه على الجملة. فقد وضع ورود كل من العبارتين بالإسلام، والإيمان، على ما يجب ولا يناسب العكس بوجه، والله سبحانه أعلم [٨٢/و].

١٢٢ - الآية الموفية ثلاثين^(١) من سورة الأنعام [غ] قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ (١٦٥).

وفي سورة فاطر (٣٩): ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾، بإضافة لفظ خَلَائِفَ في الأولى، ولم يضاف في الثانية، بل جيء بحرف الوعاء^(٢)، فيسأل عن ذلك^(٣).

والجواب عنه^(٤) - والله أعلم - أنه قد تقدم قبل آية الأنعام قوله سبحانه لنيه عليه السلام. ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥). واستمر الخطاب له مُعْرِياً عن حاله، وواضح طريقه إلى قوله: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٦). فَعَمَّ ما سواه سبحانه بالدخول تحت ملكه، وقهره، فتناسب هذا ما ذكر من إنعامه على عباده بجعلهم خلائف الأرض،

(١) هـ: التاسعة والعشرون.

(٢) م، هـ، ب: الدعاء.

(٣) السؤال مخلوف من ب.

(٤) ب: ووجهه ذلك (هكذا).

(٥)، (٦) الأيتان / ١٦١، ١٦٣ على الترتيب.

ولو كان بحرف الوعاء، لم يكن ليفهم التوسعة في الاستيلاء والإطلاق إلا بضميم يحرز ذلك، لأن قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، إنما يفهم أنها موضع استخلاصهم، وهل كلها أو بعضها؟ ذلك محتمل. أما بحرف الوعاء فظاهر في التعميم^(١) وإن لم يكن نصاً، إلا أنه أظهر^(٢) من المتقيد^(٣) بحرف الوعاء، فناسب الإطلاق الإطلاق.

وأما قوله في سورة الملائكة^(٤): ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾، فقد تقدم قبله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ - إلى قوله - ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ﴾ - الآية^(٥)، ثم أعقب قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾، بقوله^(٦): ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ - [الآية^(٧)]. فلما اكتنف^(٨) الآية ما ذكرته مما^(٩) هو^(١٠) نقيض الوارد في سورة^(١١) الأنعام، ناسب ذلك التقيد بحرف الوعاء، إذ لا يلائم البسط القبض، فجاء كل على ما يجب، ولا يناسب العكس^(١٢)، والله سبحانه^(١٣) وتعالى^(١٤) أعلم، بما أراد^(١٥).

(١) ك: التعبير، هـ، م: التعميم

(٢) ساقط من هـ، م، ك.

(٣) هـ: التقيد.

(٤) هي سورة فاطر.

(٥) الأيتان / ٣٦، ٣٧.

(٦) هـ، م، ك، ب: فقوله.

(٧) فاطر / ٣٩. وفي جميع النسخ: الآيات.

(٨) هـ، م: اكتنف.

(٩) ساقط من هـ، م.

(١٠) هـ، م: وهو.

(١١) ك، ب: آية.

(١٢) ساقطة من ب.

(١٣) محذوف من ب.

(١٤) محذوفة من ك، ب.

(١٥) محذوف من ب قوله: بما أراد.

١٢٣ - الآية الحادية والثلاثون^(١) (غ)^(٢) قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٦٥)

وفي الأعراف (١٦٧): ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

للسائل أن يسأل عن اختصاص^(٣) آية الأعراف بزيادة اللام المؤكدة في الخبر وسقوطها من آية الأنعام.

والجواب - والله أعلم - أن آية الأنعام لما تقدمها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، ثم استمر ما بعد على خطابه صلى الله عليه وسلم لما منحه الله إلى قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ - الآية^(٤). فهذا له صلى الله عليه وسلم ولأُمَّتِهِ^(٥) فحاء الخبر من قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾، بغير لام التأكيد، مناسباً للحال، إذ هؤلاء [٨٢/ظ] المذكورون ليسوا بجملتهم ممن استحق عقاباً، ومن عوقب من أهل القبلة فعقابه منقطع بفضل الله، فلا حامل على التأكيد؛ لأن ذكر العقاب هنا تخويف يحمل المؤمن على استصحاب الرعب والرَّهْب^(٦) وما ينبغي للمؤمن أن يكون عليه.

وأما آية الأعراف، فقد وقع^(٧) قبلها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَسْخَرَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾^(٨). وقد تقدم ذكر

(١) هـ، ك، ب: الموفية ثلاثين.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ب: صيغة السؤال (يسأل عن اختصاص...).

(٤) الأنعام / ١٦١-١٦٥.

(٥) إلى قوله مناسباً للحال، مكرر في هـ، ك.

(٦) ب: الرهب والرَّهْب.

(٧) ب: ورد.

(٨) آية / ١٦٧.

المقصودين بهذا الوعيد، وذكر مرتكباتهم السيئات، فتحنّصت الآية^(١) للمستحقّين العقاب بمُجْتَرَحَاتِهِم المفسّحة بكفرهم وعنادهم، فناسب تأكيد الخبر المُنبئ بعقابهم وسوء مآلهم، وجاء كل على ما يجب ويناسب^(٢).

سورة الأعراف

١٢٤ - الآية الأولى منها، قوله تعالى:

﴿مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ. قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (١٢، ١٣).

وقال في سورة الحجر (٣٢-٣٤): ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ إِلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ. قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مُّسْنُونٍ. قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾.

في الآيتين ممّا يُسأل عنه في قوله تعالى في الأولى: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾، وفي الثانية ﴿مَا لَكَ﴾. وفي الأولى استفتاح سؤاله عن امتناعه بقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾، من غير ندائه باسمه. وفي الثانية نداؤه: ﴿يَا إِبْلِيسُ﴾. وفي الأولى قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، وفي الثانية: ﴿وَالْأَلَّا^(٣) تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾. وفي الأولى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾، وفي الثانية: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَلٍ مُّسْنُونٍ﴾. وفي الأولى: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا

(١) ب: الأي.

(٢) زاد بعدها في ب: والله أعلم.

(٣) م، ك: أذ - لا.

فَأَخْرَجَ إِنْكَ مِنَ الصَّاعِرِينَ ﴿١﴾، وفي الثانية: ﴿فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَاثْنًا رَجِيمًا﴾.
فهذه خمس سؤالات (١).

فأقول لما تقدم في الأعراف ذكر خلق الإنسان وتصويره من غير ذكر المادة التي خلق منها. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (٢)، والخطاب لبني آدم، ولم يذكر خلق غيرهم من ملك أو جن (٣). ثم إن الأمر بالسجود ورد للملائكة (٤)، ولم يرد إشعار بأن إبليس من غيرهم، فسبق من ظاهر الكلام أنه منهم ومأمور معهم لاستثنائه منهم، فناسب هذا قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾، لأنه مأمور بظاهر ما تقدم، وناسب ذلك أيضاً وعُضِدَ ما قلناه قوله: ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾. ولما لم يقع ذكر لخلق غير الأدميين، ولا ذكرت مادة خلف الإنسان [٨٣/و] ناسب ذلك ما ذكره سبحانه عن إبليس من قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، فاستوفى ذكر المادتين وبني على ذلك ما توهم من فضل النر على الطين.

أما آية الحجر فقد تقدم قبلها قوله تعالى (٥): ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مُسْتُونٍ﴾ (٦). وَالْجَانُ خَلْقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ (٧)، ثم قال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مُسْتُونٍ﴾ - إلى قوله - ﴿فَقَعُوهُ لِي أَصَابَ مِصْرًا﴾ (٨). فأشارت (٩)

(١) ب: خمسة أسئلة.

(٢) الأعراف / ١١.

(٣) هـ، ب: حي.

(٤) هـ، م: الملائكة.

(٥) هـ، م: سقط منها وقوله تعالى.

(٦) ما بعدها إلى قوله ﴿مُسْتُونٍ﴾ في الآية التالية ساقط من ك بانتقال النظر.

(٧) (٨١٧) الحجر / ٢٦-٢٩.

(٩) ك: فإشارة.

الآية بظاهرها إلى أن إبليس ليس من الملائكة، وقد نطقت الآية أن الملائكة هم المأمورون بالسجود فبحسب هذا البادي الظاهر وردت المعية في قوله: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾. فلما لم يكن في أصل الخلقة والمادة منهم، وكان الأمر بظاهر العبارة لهم - وإن كان مراداً أنه معهم - فبحسب هذا قيل له^(١): ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾، فقيل معهم، إذ ليس منهم. قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(٢). وبحسب ذلك استؤنف نداؤه فقيل: ﴿يَا إِبْلِيسَ مَا لَكَ﴾، ولم يقل: ما منعك، لأن ذلك لو قيل، لكان يقتضي أنه منهم^(٣)، ولم يكن ليناسب ما أشار إليه ضدُّ الكلام من أنه ليس منهم، فتوذي باسمه المُشعر بطرده ومغاييرته لهم، فقيل: ﴿يَا إِبْلِيسَ﴾^(٤)، فتناسب هذا، كما تناسب أيضاً ما ورد في الحجر من تبين خلق إبليس من النار، وفضله من الملائكة ما أعقب به من مُحْكِي^(٥) قوله: ﴿لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مُسْنُونٍ﴾، واحتقاره مادة الطين، وتفضيله مادة النار عليها. فناسب هذا تعقيب أمره بالخروج في قوله تعالى له: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾.

وقيل في آية الأعراف: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾، وليس التعبير بالإخراج كالتعبير بالهبوط، فقد أمر آدم بالهبوط، ولم يقصد من تعنيفه ما قصد بإبليس، فليفرق ما بين العبارتين فيما تُعطِيانه. قيل في الأعراف: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾، إذ لم يتقدم فيها من أنه ليس من الملائكة ما تقدم في الحجر، بل ظاهر ما في الأعراف أنه منهم، فجري الأمر آخراً مناسباً لهذا الظاهر، فعبر بالهبوط.

(١) ساقط من هـ، م.

(٢) الكهف / ٥٠.

(٣) هـ، م، ب: منهم.

(٤) زاد بعدها في هـ: عليه.

(٥) هـ: يحكى.

ولما تقدم في الحجر أنه ليس من الملائكة لخلقه من نار السموم؛ فأشعر ذلك بشرّ المادة نسيبه قوله: ﴿فَاخْرِجْ مِنْهَا﴾ وإتباع ذلك بما يلائمه من الوصف ويناسبه من قوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ ثم بما كتب عليه من الطرد واللعنة، ولم يرد في الأعراف هكذا بل روعي فيه [٨٣/ظ] مناسبة ما تقدم ولئلا يتنافر الكلام، ويتنافر المعنى فقل: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرِجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

فإن قلت: فقد قيل هنا ﴿فَاخْرِجْ﴾ كما قال في سورة الحجر. قلت: تدرج به إلى التعنيف، وسبق هناك من أول وهلة وجاء كل على ما يجب ويناسب ولم يكن ليناسب^(١) ورود العكس في السورتين، والله أعلم بما أراد. وقد حصل جواب السؤالات بأسرها والحمد لله.

١٢٥ - الآية الثانية من^(٢) سورة الأعراف، قوله تعالى:

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ^(٣)﴾
(١٤، ١٥)

وفي سورة الحجر (٣٦-٣٨)، وسورة ص (٧٩-٨١): ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾. فورد في آتي «الحجر، وص»، زيادة^(٤) الفاء في قوله: ﴿فَأَنْظِرْنِي﴾، وفي قوله: ﴿فَإِنَّكَ﴾، وزيادة قوله^(٥): ﴿رَبِّ﴾، ولم يزد ذلك في الأعراف، فيسأل عنه.

(١) هـ: يناسب.

(٢) إلى الأعراف محذوف من العنوان في م.

(٣) ب: زاد هنا في الآية ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ بانتقال النظر إلى آية الحجر.

(٤) ما بعدها إلى قوله «ثم إنه ورد في سورتي الحجر وص» ساقط من ب.

(٥) ساقط من م.

وجواب ذلك - والله أعلم - مناسبة ما تقدم قبل كل واحدة من الآي الثلاث من الإسهاب^(١) والتأكيد، والإيجاز^(٢). الا ترى أن مجموع الكلام الواقعة من لدن قوله في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾، وهو ابتداء القصة إلى قوله: ﴿فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ﴾^(٣)، بضع وأربعون كلمة، والوارد في الحجر من لدن قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ - إلى قوله: ﴿قَالَ رَبُّ فَأَنْظِرْنِي﴾^(٤)، بضع وسبعون كلمة، وفي سورة «ص» من لدن قوله: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾، إلى الآية^(٥) بضع وستون كلمة. فقد وضع ما قصد في الأعراف من إيجاز الأخبار في القصة، وما في السورتين بعد من الإطناب. ثم إنه ورد في سورتي «الحجر، وص»، والتأكيد بكل وأجمع في [قوله^(٦)]: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^(٧)، ولم يرد ذلك في الأعراف بقصد^(٨) ما قلنا، وتناسب الإطناب والتأكيد، ولأن ما ورد من الزيادة في السورتين الأخيرتين^(٩)، ولم يكن ليناسب العكس، والله أعلم بما أراد.

فإن قلت: ما وجه ورود القصة الواحدة موجزة مرة ومطولة أخرى؟ قلت: ليحصل من ذلك الاطلاع على عليّ البلاغة، وجلالة النظم وعليّ الفصاحة في طرفي الإيجاز والإطناب. فإن الفصيح البليغ من البشر، رآه هذا، لم يغب في الطرفين بما يريد، ووضح التفاوت في مرتكبه، ولأن،

(١) هـ، م، ك: الأسباب.

(٢) هـ، م، ب: الإيجاز.

(٣) الآيات / ١٠-١٤.

(٤) الآيات / ٢٦-٣٦.

(٥) الآيات / ٧١-٧٩.

(٦) جميع النسخ: قولهم.

(٧) الحجر / ٣٠، ص / ٧٣.

(٨) م، ك، ب: مقصد.

(٩) هـ، ك، ب: الآخرتين.

وظهر الضعف مهما طال. ولا ينفك كلام الفصحاء والبلغاء عن التفاوت في هذا بوجه.

فإن قلت: فما وجه تقديم الموجز على المطول؟ قلت: شبهة [و/٨٤] ذلك بالمُجَمَّل^(١) من الكلام والمُفَصَّل^(٢). وإنما يرد التفصيل بعد الإجمال. وهذا الجواب مُتَنَزِّلٌ على الترتيب الثابت، والله سبحانه^(٣) أعلم بما أراد.

١٢٦ - الآية الثالثة قوله تعالى، مخبراً عن قول إبليس:

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَأَنْتَهُنَّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (١٦، ١٧).

وفي سورة الحجر^(٤) (٣٩، ٤٠): ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.

إن سأل سائل^(٥) عن وجه اختلاف الوارد في السورتين المُحْكِيَّ من قول إبليس مع اتحاد القصة^(٦).

فجوابه^(٧) - والله أعلم - أن المعنى الحاصل من قوله في السورتين، واحد لا إشكال فيه. ثم اختلف التعبير عن ذلك بحسب ما تقدم في كل

(١) م: الجمل.

(٢) م: الفصل.

(٣) ساقطة من م، ب.

(٤) هـ: الحج.

(٥) ب: هيئة السؤال (يسأل عن...).

(٦) هـ، ك، ب: القضية.

(٧) ب: وجوبه.

واحدة من السورتين، وما استدعاه من المناسبة. ولما تقدم في الأعراف قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾^(١)، والإشارة إلى القرآن؛ لأنه يوضح الطريق إليه، وهو الطريق المستقيم. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾^(٢)، والإشارة بهذا إلى المنزل قرآنًا، لأنه مبين الصراط المستقيم الذي طبع اللعين في الاستيلاء عليه، وقطع سالكه، فقليل عبارة عن مرآيه من ذلك: ﴿لَأَقْعُذَنَّ لَهُمْ صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، إلى آخر المحكى من كلامه. ومراده لأستولين لهم عليه، لا على ما فهمه بعض المتأخرين حين رام إلحاق مثل هذا من الظروف المختصة بالمتهمه منها، وخالف الناس في ذلك ولو كان الأمر على ما قال لكان وصول الفعل الذي هو «لَأَقْعُذَنَّ»^(٣)، على تقدير حرف الوعاء^(٤)، الذي هو «في»، وكان يفسد المعنى، لأن مراد اللعين وطمعه، إنما كان في الاستيلاء على الطريق، بدليل حصره الجهات في قوله: ﴿مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾. فهذا طلب أخذهم بكل الجهات، وطمع^(٥) في الاستيلاء، وأن يكون له سلطان. ولهذا قال عر وجل له: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^(٦)، ولو كان على تقدير حرف الوعاء لاقصر^(٧) هذا الغرض، ولكان تقديره: ﴿لَأَقْعُذَنَّ لَهُمْ صِرَاطُكَ﴾، وهذا ضد ما يقتضيه تقدير «على» من الاستيلاء، وقد بسط^(٨) هذا في موضعه، وأن الصواب ما

(١) آية / ٣.

(٢) الأنعام / ١٥٣.

(٣) ك: لأقمن.

(٤) ب: الدعاء.

(٥) هـ، م: طبع.

(٦) الحجر / ٤٢.

(٧) ك: لتاقصر.

(٨) ك: بسط.

عليه جماعة السحويين، وما فهموا عليه كلام سيويه - رحمه الله - من أن الطريق المختص، لا المبهم^(١)، وأن المعنى هنا في الآية على تقدير حرف الاستعلاء [٨٤/ظ]، لا حرف الوعاء، ولما كان قد ورد في الحجر منعه ومنع جنوده عن تعرف خبر السماء واستراق السمع في قوله - عز وجل - ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَئِيَانَا لِلنَّاطِقِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ﴾^(٢). فلما صد من هذه الجهة، عدل إلى الأخرى فقال: ﴿لَا زَيْنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: إن كنت ممنوعاً من إغوائهم من حيث خبر السماء، وإبداء المقدرات مما يُوحى^(٣) الله إلى ملائكته مما يحدث في عالم الأرض، وقد سبق في العلم القديم، فإن كنت قد منعتني عن إغوائهم من هذه الجهة، رجعت إلى إغوائهم من جهة لم تمنعني عنها، ﴿لَا زَيْنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غَوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلا من عصمته مِنِّي، ولم تجعل لي سبيل إليه، وهم عبادك المخلصون.

ولأجل اختلاف المتقدم في كل من السورتين ما اختلف المني عليه، من المحكى عن إبليس من طمعه، وورد كل على ما يناسب، ولم يكن ليناسب تعقيب ما ورد في الأعراف بما أعقب المتقدم في الحجر، وتعقيب ما ورد في الحجر بما أعقب المتقدم في سورة الأعراف، والله سبحانه^(٤) أعلم بما أراد.

(١) هـ، م، ك، ب: مبهم.

(٢) الحجر/ ١٦ - ١٨.

(٣) هـ، م، ب: يوحى.

(٤) ساقط من ب.

١٢٧ - الآية الرابعة من سورة الأعراف (غ) قوله تعالى (١).

﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرِهِمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٣٩).

وفي سورة الأنفال (٣٥): ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً
وَتَضِيدَةً فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. فورد في الأولى:
﴿تَكْسِبُونَ﴾، وورد في الأنفال أن عذابهم بكفرهم (٢).

فللسائل أن يسأل فيقول: ما الفرق الموجب (٣) للاختلاف.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن المذكورين قبل آية الأعراف
المقول لهم: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، قد خالفت حالهم حال المذكورين في
آية الأنفال. وذلك أن آية الأنفال في قوم بأعيانهم، وهم كفار قريش من
أهل مكة، وحالهم معلومة، إما كانوا عبدة أوثان، ولم تتكرر فيهم الرسل،
ولا كفروا بغير التكذيب به صلى الله عليه وسلم، وبتصميمهم (٤) على عادة
آلهم.

أما آية الأعراف ففي أخلاط (٥) من الأمم وأصناف من المكذبين، تنوع
كفرهم وتكذيبهم، وارتكبوا ضروباً من المخالفات، واقتروا على الله سبحانه.
قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾
- الآية (٦) - وفيها: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ

(١) هـ: قوله جل وتعالى.

(٢) ك: بكسبهم.

(٣) ب: صيغة السؤال (فيقال عن الفرق الموجب...).

(٤) هـ، م، ب: تصميمهم.

(٥) م: اختلاط (٩).

(٦) الآية / ٣٧، وفي هـ، م، ك، ب: لايات.

فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا [٨٥/و] حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً
قَالَتْ أَخِرَاهُمْ لَأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ^(١)، ثُمَّ
قَالَ: هُوَ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لَأَخِرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْسِبُونَ^(٢). فَلِشَيْءٍ مُّجْتَرَحَاتِ هَؤُلَاءِ، وَشَيْعِ مَرْتَكِبَاتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ ضَلُّوا
وَأَضَلُّوا، نَاسِبَ مَا وَقَعَ جَزَاؤُهُمْ عَلَيْهِ ذَكَرَ الْاِكْتِسَابَ لَا سِيَّمَا عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ
الْكَفَّارَ مُخَاطَبُونَ بِالْفُرُوعِ، وَهُوَ قَوْلُ حُذَّاقِ الْأُصُولِيِّينَ، وَقَوْلُ مَا لِكَ رَحِمَهُ
اللَّهُ.

وَلَمَّا انْحَصَرَ مَرْتَكِبُ الْآخِرِينَ فِيمَا ذَكَرُوا، وَكَانَ مَدَارُ أَمْرِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ
بِمَا جَاءَ بِهِ سَيِّئًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَاسِبَ مَا وَقَعَ جَزَاؤُهُمْ عَلَيْهِ تَخْصِيصَ
اسْمِ الْكُفْرِ فَكُلُّ مَنْ الْإِطْلَاقَيْنِ جَارٍ عَلَى مَا يَجِبُ وَيَنَاسِبُ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ
أَعْلَمُ.

١٢٨ - الْآيَةُ الْخَامِسَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ (٤٤)،
(٤٥).

وَفِي سُورَةِ هُودَ (١٨، ١٩): ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ
يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.
فَزَيْدُ^(٢) فِي هَذِهِ الْآيَةِ ضَمِيرُ الْفَضْلِ وَلَمْ يُزِدْ فِي الْأُولَى.

فَلِلْسَائِلِ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ وَجْهِ ذَلِكَ.

(١) آيَةُ / ٣٨.

(٢) ب: (يَقَالُ مَا وَجْهَ زِيَادَةِ ضَمِيرِ الْفَضْلِ فِي الثَّانِيَةِ، وَسَقُوطُهُ مِنَ الْأُولَى؟). وَاجْوَازٌ - وَاللَّهُ
أَعْلَمُ...).

وجوابه - والله أعلم - أن ابتداء الإخبار في الأعراف بحال هؤلاء الملعونين في الآيتين وهو قوله في الأولى: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، وابتداء الإخبار عنهم في سورة هود قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ إِلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. ففي هذه إطناب وتأمل ورود الظاهر في موضع المضمر من قوله: ﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، ولم يقل عليهم، فناسبه زيادة ضمير الفصل. وفي آية الأعراف، إيجاز ناسبه سقوطه، ولو لم يكن ما بين «أَنْ» و«أَلَا»، فإن ذلك مراعى فيما قصدناه. فأن أوجز من «أَلَا» و«أَنْ» هنا حرف عبارة وتفسير وهي كالواردة في قوله: ﴿وَتُودُّوا أَنْ تَلَكُمُ الْجَنَّةُ﴾^(١)، وفي قوله: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَشُوا﴾^(٢)، وتقع بعد ما يراد به القول، وليس بلفظه، وتفسر بأي^(٣). وأم «أَلَا» فاستفتاح، وكل من لموضعين على ما يجب ويناسب، ولو فرض العكس لما تناسب^(٤)، والله أعلم.

١٢٩ - الآية السادسة قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ^(٥) فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ [كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ]﴾ (٥٧).

وفي سورة الفرقان (٤٨، ٤٩): ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ

(١) الأعراف / ٤٣.

(٢) ص / ٦.

(٣) هـ: باب.

(٤) ب: يناسب.

(٥) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».

يَذِي [٨٥/ظ] رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا. لِنُخَيِّ بِه بِلْدَةً مَيَّتًا
وَنُسْقِيَهُ بِمَا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأَنْفَاسِي كَثِيرًا ﴿١﴾.

وقال في سورة الروم (٤٨): ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا
فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ
فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

وقال في سورة الملائكة (٩): ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا
فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾.

وقع في هذه الآي اختلاف مع تشابهها في اللفظ، وتقارب مقاصدها.

فأول ذلك اختلاف مطالعها بورود: ﴿يُرْسِلُ﴾ و ﴿أَرْسِلُ﴾.

لثاني وصف الرياح وإنشاعها بقوله في الأعراف والفرقان ﴿بُشْرًا بَيْنَ
يَذِي رَحْمَتِهِ﴾ ولم يرد ذلك فيما سواهما.

الثالث ما يكون عن^(١) إرسال الرياح. ففي آية الأعراف: ﴿حَتَّى إِذَا
أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ﴾، وفي^(٢) سورة الروم، وسورة الملائكة: ﴿فَتُثِيرُ
سَحَابًا﴾، ولم يذكر ذلك في الفرقان وفي سورة الأعراف بعد إقلال الرياح
السحاب: ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾. وفي سورة الملائكة: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ﴾.
وفي سورة الروم بعد إثارة الريح^(٣) السحاب فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ،
ثم يجعله كِسْفًا. وفي الأعراف: ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾. وفي الفرقان: ﴿وَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾. وفي الروم: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾.
ولم يرد في الملائكة ذكر لإزالة الماء ولا كيفيته. وفي الأعراف: ﴿فَأَخْرَجْنَا

(١) ك، ب: من.

(٢) إلى قوله (إقلال الرياح السحاب) ساقط من هـ، م.

(٣) ب: الرياح.

بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿١﴾. وفي الفرقان ﴿لَنُحْيِي بِهِ بَدَّةً مَيِّتًا وَنُسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾. وفي الروم: ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾. وفي سورة الملائكة: ﴿فَإِخْبِنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. وفي سورة الأعراف: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾. وفي سورة الملائكة: ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾، ولم يقع في الأخيرتين إخلالٌ بالتنبيه. وفي الأعراف: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، ولم يقع في سورة الملائكة مثل هذا الترجي. فهذه جملة سؤالات.

والجواب عن السؤال الأول - والله أعلم^(١) - أن آية الأعراف لما تقدمها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٢)، فذكر سبحانه ما تقرّر وتحصّل من خلق السموات والأرض مما لا تكرر فيه، ومما من أعظم آياته وأعجب سبحانه بقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ محمولاً على ما تقرّر بثمّ لمقتضية التنبيه على جليل الحال فيما يُعطف بها والتحريك للاعتبار بذلك، وموقعه، ورُتبته حيث لا يراد مهلة الترتيب الزماني، لأن موضوع «ثمّ» في اللسان قصد الترتيب الزمني مع المهلة، حيث يراد ذلك. وقصْدُ [٨٦/و] الترتيب الاعتناء، والتنبيه على حال ما عطف بها، حيث لا يقصد زمان ولا يُلحظ كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾^(٣). فهذا وارد مورد الدعاء على ما^(٤) يخاطب به البشر، كما يَرِدُ التعجب والترجي، وربما المنزّه عن ذلك كله، ولكن خطوب البشر على ما يتعارفون ويجري بينهم.

(١) والله أعلم: محذوف من هـ، م.

(٢) آية / ٥٤.

(٣) المدثر / ١٨ - ٢٠.

(٤) لك: من.

فلما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ فذكر ما هو تعالى عليه منزلها عن الأينية، والتمكن المكاني والمماسية، والحلول - جل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. فلما^(١) ذكر تعالى من هذه الأفعال العظيمة ما ذكر مما لا يتكرر، أعقب سبحانه بما يتكرر ويتوالى من إنعامه على الخليفة بما به قوام أحوالهم ومصالح غيبتهم فقال سبحانه: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾^(٢)، وأورد ما يتوالى بطول توالد العالم بمشيئته، ويتجدد عليهم بما به قوام حالهم، إلى انقضاء الأمد المحدود ومجيء اليوم الموعود. وأتبع هذا التعريف بما يجاري الجمل الاعتراضية مما تقتضيه حال الكلام، مما يلائم ويناسب، وذلك تعريفه بقوله: ﴿إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(٣)، فأعلم بانفراده بخلق ذلك كله وتصرف أمره في الجمع بما شاء، وأخر بتعاليه وعظمته، فقال: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) وأمر عباده بالدعاء والتضرع إليه، وحذرهم، وذكّرهم باستصحاب الخوف، وتلك حال الموقنين، إذ لا يؤمن مكره، ولا يئأس من رَوْحِه، ثم رجاؤهم^(٥) بقرب رحمته ممن أحسن. ثم عاد إلى التذكير بجليل التوالي من أنعامه وعظيم لطفه؛ فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، فانتظم آخر الكلام بأوله، وارتبط عوده ببذئه، وتناسب أوضح تناسب، بما يفهمه الفعل المضارع من التكرّر، من حيث لا يسمع ذلك. ولو ورد هنا بلفظ الماضي لما ناسب لما يقتضيه من الانقطاع إلا^(٦) لحامل، والله أعلم.

وعلى هذا النحو جرى الوارد في سورة الروم، فإنه ورد قبل الآية قوله

(١) هـ: فلماذا - ذكر

(٢) الأعراف / ٥٤ .

(٣، ٤) الأعراف / ٥٤ .

(٥) هـ، م، ك، ب: رجاءهم.

(٦) م: مكابها بياض.

تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾^(١)، فذكر من آياته وإنعامه بإرسال الرياح وإجراء الملك لِيُبْتَغَى فَضْلُهُ، ويطلب الرق منه حالي الظعن والإقامة. ثم اعترض بقوله تائيساً لرسوله، ووعداً بنصره: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاتَّقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢). ثم عاد الكلام إلى تمام ما تقدم مما يُرسل سبحانه به، ولأجله الرياح فقال بصورة الاستئناف، لأجل آية الاعتراض: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾؛ وورد من النعم بها غير ما ذكر قبل، وجاء بلفظ الاستقبال [٨٦/ظ]؛ لأنه من تميم ما تقدم، وليناسبه، ولو جاء بلفظ الماضي لما ناسب، والله أعلم.

وأما آية الفرقان، فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ ذَلِيلًا، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِيَأْسَ وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾^(٣)، فورد قبلها ذكر هذه الدلالات وأوضح هذه الشواهد، وقد تقيّد^(٤) بزمان^(٥) خلقها، وجعلها بالمُضِيِّ في خمس كرات مع أنها مما يتكرر من الآيات ويتوالى. وكذا في مطلع السورة، وما وقع بعده مما يُعتبر به، وليس بإخبار أخراوي، فأتبع سبحانه ذلك بموافق مناسب، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا﴾، ولم يكن ورود المستقبل هنا ليناسب.

وأما آية سورة الملائكة فمبنية على مطلع السورة، وذلك قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي

(١، ٢) الروم / ٤٦، ٤٧ على الترتيب.

(٣) الفرقان / ٤٥-٤٧.

(٤) م: تقدم.

(٥) م، ك: زمان.

أَجْنَحَةٍ^(١) و﴿فَاطِرٍ﴾ و﴿جَاعِلٍ﴾ هنا بمعنى المُنْصِي، ولا يمكن فيهما غير ذلك، ولم يقع بعد هذا^(٢) ذكر مقصود به الاعتبار من مخلوقاته سبحانه مما نَصَبَهُ دالاً عليه إلا قوله^(٣): ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾، فجاء ذلك مناسباً لقوله: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ أُولِيَ أَجْنِحَةٍ﴾ لموافقة الفعل الماضي اسمَ الفاعل، بمعنى المُنْصِي ومناسبته، ولا يناسب المستقبل. وأما ما وقع بين الآية، وبين ما بُيِّنَتْ عليه مما ذكرنا، فليس من قبيل المذكور فيه ما نصبه سبحانه دليلاً على الاعتبار، ومُعْتَبَراً لذوي الأفكار كخلق السموات وإرسال الرياح. فهذه المذكورات الثلاث هي المقصودة هنا للاعتبار. أمّا قوله: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ إلى ما بعده إلى آية^(٤) إرسالة الرياح^(٥)، مع حليل التحامه بما اتَّصل به فليس من قبيل ما ذكرناه. ولا يمنع من حمل الآية المتكلم فيها على نحو^(٦) ما ذكر، حَمْلُهَا عليه^(٧)، ولا يناسب المستقبل هنا ما تقدمه، مما بيّنا حَمْلَهُ عليه، وأنه لا يصح حمله على غير ما ذكر، والله أعلم بما أراد^(٨).

والجواب عن السؤال الثاني أن آية الأعراف تقدمها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٩)، ثم قال: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾^(١٠) وقال: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(١١) ثم قال: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١٢) وفي هذا كله استلطاف، وتعطف، وترج.

(١) الآية الأولى.

(٢) ك، ب: بعدها - ذكر.

(٣) م، هـ: دالاً - قوله - ولا قوله^(٤).

(٤) في ك، م فقط.

(٥) فاطر / ٩-٩.

(٦، ٧) ساقطتان من ب، ك.

(٨) ك: أراد.

(٩، ١٠) الأيتان / ٥٥، ٥٤.

(١١، ١٢) آية / ٥٦.

ومن نحو هذا الاستلطاف، ويجاريه^(١) في قوة الترجي، قوله سبحانه في سورة الفرقان: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ - الآية^(٢) ثم قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَاسَا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾. فهذا أعظم^(٣) استلطاف، يناسب الوارد في السورتين. من هذا قوله تعالى عقب إرسال الرياح: ﴿بَشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، ولما لم يرد في سورة الروم ولا في سورة الملائكة، مثل هذا الاستلطاف ولا بعضه، ولم يتبع ذكر إرسال الرياح بما أتبع في آيتي الأعراف والفرقان، إذ لم يكن ليناسب، فجاء كل على ما يجب والله أعلم.

والجواب عن السؤال الثالث أن آية الأعراف لما قيل فيها: ﴿فَأَخْرَجْنَا [٨٧/و] بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾. فعَمَّ بِكُلِّ، وهي من نصوص ألفاظ العموم ناسب ذلك ورود ما يفهم كثرة ماء السحاب؛ إذ لا يحصل منه إخراج ما يقدر إخراجه من كل الثمرات إلا لكثرة فذكر استقلال السحاب بالماء الكثير، وهو الذي يعطيه قوله: ﴿ثِقَالًا﴾. وإنما تثقل بكثرة مائها، وذلك يُقْلِّها، ولا يكون استقلالها بما يثقلها من الماء إلا بعد إثارتها، فكأن قد قيل: أثارت الرياح السحاب، فأقلَّتْها بالماء الكثير، فتناسب^(٤) هذا كله، ولم يكن^(٥) مجرد ذكر إثارة السحاب ليعطي كثرة مائها وتكثير الثمر المخرج به، مع أن الإثارة مفهومة. فحصل في هذا النظم العليُّ الإيجاز، والوفاء بالتوسعة، والتعميم المقصود.

(١) هـ، ك، ب: مجاريه.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ساقط من ك.

(٤) هـ، م: فتناسب.

(٥) هـ، ك، ب: يكون.

ولما لم يقع في الآي الأخر توسعة في المُخْرَج بالماء، وقع الاكتفاء
بذكر إثارة السحاب، وحصل إرسالها الماء مما بعد.

فإن قلت: فقد ورد في سورة الملائكة: ﴿فَأَخِينَا بِهِ الْأَرْضَ بِغَدٍ
مَوْتِهَا﴾، وذلك تعميم، ومع ذلك فقد وقع الاكتفاء فيها بقوله: ﴿فَتُثِيرُ
سَحَابًا﴾. قلت: لفظ الأرض لا يعم في كل موضع، إذ ليس من ألفاظ
العموم، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، وهو لم
يشتول إلا على بعضها. وبدليل قوله تعالى: ﴿أَوْ يُتَّقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٢).
وبالجملة فليس الألف واللام هنا للعموم، ولا هي حيث تفهم العموم بمنزلة
«كل»، و«طراً» و«أجمعين»؛ ولا نزاع في هذا؛ فالإكتفاء في سورة الملائكة
بذكر الإثارة فقط بين.

وأما سورة الروم، فليس فيها عموم، بل فيها خصوص حاصل من
التقييد^(٣)، بقوله: ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، فالإكتفاء فيها بذكر
إثارة الرياح السحاب أثبت شيء، فجاء كل على ما يناسب، ولا يمكن
خلافه، ولم يرد في سورة الفرقان ذكر إثارة السحاب إكتفاءً بشارة قوله:
﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، لأنه قصد هنا ذكر الإنعام، ولم يُنط بذلك ما يقصد^(٤)
به امتداد^(٥) الاعتبار. ألا ترى قوله قبل الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ
لِيَأْسَ وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾. فقصد ذكر الإنعام ثم الاعتبار جارٍ مع
ذلك، ثانٍ عن المقصود من ذكر الإنعام، فلم يذكر إلا بادي الإنعام، فجاء كل على
ما يناسب ويجب، ولا يمكن خلافه والله سبحانه أعلم.

(١) القصص / ٤

(٢) المائدة / ٣٣.

(٣) هـ: التعقيب.

(٤) ك، ب: قصد.

(٥) هـ: ابتداء.

والجواب عن السؤال الرابع، وهو الفرق بين ما في الأعراف، وسورة الملائكة من سَوَّقَ الريح السحاب إلى البلد الميت، وما في سورة الروم من قوله: ﴿فَيَسُطُّهُ^(١) فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا^(٢)﴾، بزيادة ذكر [٨٧/ظ] سَوَّقَهُ إلى بلد ميت في آيتي الأعراف والملائكة، وسقوط ذلك في سورة الروم، مع زيادة بيان حال السحاب في انتشارها في السماء وتقطعها لانبعاث المطر فيقول السائل: إن كان الكلام مقصوداً به قصد الإطالة فلم لَمْ^(٣) يرد فيها الوارد في الآخرين^(٣)، من قوله سبحانه: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ^(٤)﴾، وإن كان قد قصد به الإيجاز، فلم ورد هذا الإطناب هنا بما بسط من حال السحاب.

والجواب عن ذلك أن الآيات الثلاث محرزة أجل إيجاز، وأبلغه أن آية لروم لم يسقط منها شيء من التعريف بسوق السحاب إلى البلد الميت، وإعما الحامل على ما زيد فيها من بيان حال السحاب ما قصد من تحريك المُعْتَبِر، وتنبیه على ما فيه أعظم دلالة، وأوضح برهان. ألا ترى تقديم قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ^(٥)﴾ وجليل موقع هذه الاستعارة، وقوله: ﴿وَلِيَجْريَ الْفُلْكَ بِأَمْرِهِ^(٥)﴾، ثم أشير إلى علة تسخير الفلك بقوله: ﴿وَلِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ^(٦)﴾، فقد ورد هنا تعداد نعم جليلة. فلما عاد الكلام إلى إرسال الرياح وذكر إثارتها السحاب، أتبع ذلك بما يناسب، فقال تعالى: ﴿فَيَسُطُّهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ^(٧)﴾ والإشارة إلى ما يؤمّه السحاب ببسطه إيّاه فتوازي من أقطار الأرض وجهاتها ما يشاء

(١) هـ: يسطه.

(٢) ساقطة من ك.

(٣) هـ، م: الآخرين.

(٤-٦) الروم / ٤٦.

سبحانه إحياءه وسقّيه، ويحعله سبحانه ﴿كِسْفًا﴾، أي: قطعاً متخلخلة^(١) لنفوذ ما تحملت من الماء، فينبعث الماء من تلك المسام كأنبعاث العرق من مسام الأجساد، ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾. وبحسب ما حمدها سبحانه، وأثقلها من الماء، يكون المرسل عنها في الكثرة، وما دونها، ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾. فلما أثبتت هذه الآية على ما قصد من زيادة التنبيه وتوفية الاعتبار، خصت بما لم يقع في آيتي الأعراف والملائكة، وإنما لم يذكر هنا سقّوها للبلد الميت، لحصول ذلك من قوله بعد: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُغِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٢). فلو قيل أولاً ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾، لكان تكراراً فإذا تأملت ما ذكرناه، وعظيم الحاصل منه^(٣)، وضع لك ما انطوت عليه هذه الآية من عظيم التنبيه، مع حليل الإيحاز بحسب ما قصد، وعلى البلاغة، وموجب المزيد من آية الروم، وما يستدعيه المكتنفان لها من قوله قبلها ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾، وقوله بعدها: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ - الآية، وتحريك المُعْتَبِر، ولم يرد ذلك في الآخرين^(٤). ويتبين^(٥) لك أنه ينقص منه شيء، وأن كلاً منها وارد على ما يجب، ولم يكن ليناسب خلافه، والله أعلم.

والجواب [٨٨/و] عن السؤال الخامس، أن قوله في الأعراف: ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾، وفي سورة الملائكة: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ لفارق بين

(١) هـ: يتخلخله.

(٢) الروم / ٥٠.

(٣) ك، ب: عنه.

(٤) هـ: الآخرين.

(٥) ب: ويتبين، ساقطة من ك.

الموضعين وهو أن قوله تعالى^(١) ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سُحَابًا يُقَالُ﴾، كلام يستدعي جواباً. ألا ترى أنه في قوة قول القائل: فلم استقلت السحاب بما فيها من الماء، ومثل هذا في استدعاء الجوابية لا توقف فيه، وليس مما يجاب بالفاء. إنما جواب ذلك مثل هذا مجرداً فيه الفعل عن الفاء، وغيرها. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلِّ وَجَرَّتْ بِكُمْ بَرِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرَحُوا بِهَا﴾^(٢) جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ^(٣). فالجواب هنا قوله: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^(٤). ومنه آيات الأعراف المذكورة، لا مدخل فيها للفاء، لا التي تقع جواباً ولا العاطفة؛ إذ ليس قوله تعالى: ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾، معطوفاً^(٥) على ما قبله. أما قوله تعالى في سورة الملائكة: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثَبِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، فكلام معطوف بعضه على بعض بالفاء المقتضية الترتيب^(٦) والتعقيب، ليطابق اللفظ ما تحته من المعنى، فلزمت الفاء هنا، لإحراز معناها. وقد تقرر أنها لا مدخل لها في آية الأعراف، فورد كل على ما يحب.

ولما استدعى لفظ: ﴿سُقْنَاهُ﴾، المكان المَسُوقُ إليه، وإنما يصل إليه بلام الجر، أو بالي، عُدِّي في الأعراف بلام الجر، ف قيل ﴿لِبَلَدٍ﴾، ليناسب المجرور فعله^(٧) الذي استدعاه في التوجّازة. ولما طال الفعل الآية الأخرى

(١) ساقطة من هـ.

(٢) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».

(٣) يونس / ٢٢.

(٤) البقرة / ٨٩.

(٥) هـ، م: معطوف.

(٦) م: لترتيب.

(٧) هـ: قبله.

بما لزمه من حرف التعقيب، ناسبه تعديته بإلى، إسهاباً مقابل إسهاب، وإيجازاً مقابل إيجاز.

وأما آية الروم ففيها زيادة التعريف بكيفية انفصال الماء من السحاب، وأنه يخرج من خلاله مقسطاً على الأرض مُجْزَأً، لِيَسْتَوِيَ^(١) السَّقْيُ ويتناسب^(٢) كَسْرِيَانِ الغذاء في الأبدان بعد تهيئته. ولو صُبَّ من جانب دون ما أشار إليه التخلُّل^(٣) لأضرَّ، ولم تحصل به المنفعة، وهو زيادة في الاعتبار، وإطلاّع على عظيم الحكمة. وكل هذه الآي متلائمة متعاضدة، لا تعارض^(٤) ولا إشكال [فيها].

وقد تضمّن هذا الجواب أجوبة عن مواضع هذه الآي^(٥). وقوله في الأعراف: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ مناسب لقوله: ﴿حَتَّى^(٦) إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾، لما تقدم ما يشير إلى كثرة ماؤها [٨٨/ظ] ناسبه التعريف بكثرة ما يُخرج سبحانه من مختلف الثمرات. ولما قصد في آية الفرقان سَقْيَ الحيوان العاقل، وغير العاقل، ناسبه ما تقدم من وصف الماء بالطهورة والطيب، وقد حصل إخراج الثمرات بقوله تعالى: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾. وأما قوله في سورة الروم: ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ فجاء مع قوله قبل الآية، ومع آياته، ﴿أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحُ مُبَشِّرَاتٍ﴾. لما ذكر سبحانه إرسال مبشرات أتبع بذكر ما به البشارة، وهو^(٧)

(١) ب: ليستوي.

(٢) ساقط من هـ، م.

(٣) ك: التحلل.

(٤) هـ، م: لتعارض.

(٥) إلى هنا انتهى الحرم في نسختي: ج، ع.

(٦) ساقطة من الآية في: ج، هـ، ع.

(٧) م، ب: وهذا.

الوَدُقِ الْمُرْسَلِ مِنَ السَّحَابِ الْمَشَارِ بِهَا، وَالْإِنْخِبَارِ عَنْ^(١) الْمُبَشِّرِ^(٢) بِهَا، وَهُوَ مَنْ شَاءَ تَخْصِيصَهُ مِنْ عِبَادِهِ بِتِلْكَ الرَّحْمَةِ. فَأَوْضَحَ آخِرَ الْآيَةِ الْمُجْمَلِ قَبْلَهَا، وَحَصَّلَتْ مَا قَصِدَ بِهَا عَلَى أَكْمَلِ تَنَاسُبٍ. وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿فَأَخِيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، فَمَعْنِي عَلَى قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾، وَالْمُرَادُ بِهَذَا^(٣) الْعُودَةُ الْأَخْرَاقِيَّةُ فَأَرَى سُبْحَانَهُ مَثَلًا يَوْضَحُهَا لِمَنْ تَدَبَّرَ وَعَقَلَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿سُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ^(٤) مَيِّتٍ فَأَخِيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾، وَالْأَيُّ قَبْلَهَا لَمْ يَتَقَدَّمَهَا مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ هَذِهِ مِنْ تَحْرِيكِ الْخَلْقِ وَتَخْوِيفِهِمْ بِالْوَعْدِ الْأَخْرَاقِيِّ، فَلَمْ تَعْقِبْ بِمِثْلِ مَا أَعْقَبَتْ بِهِ^(٥) هَذِهِ مِنْ تَحْرِيرِ التَّشْبِيهِ، وَإِنْ كَانَ فِي أَكْثَرِهَا التَّشْبِيهِ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ كَالْوَاقِعِ هَا.

وَالْجَوَابُ عَنْ قَوْلِهِ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ، ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾، أَنَّهُ مُقَابِلٌ بِهِ قَوْلَهُ: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، وَلَمْ يَرِدْ هَكَذَا فِي سَائِرِ الْآيَاتِ، أَغْنِي التَّعْيِيرَ بِلَفْظِ الْإِخْرَاجِ لَمَّا يُنْبِتُ الْمَطَرُ، وَلَمَّا يَخْلُقُ سُبْحَانَهُ فِي الْأَرْضِ.

وَلَمَّا وَرَدَ فِي سُورَةِ الْمَلَائِكَةِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَخِيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، قُوْبِلَ تَشْبِيْهُاً بِقَوْلِهِ: ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾، وَلَمْ يَكُنْ لِيَتَحَوَّرَ الْمُرَادُ لَوْ قِيلَ: كَذَلِكَ الْإِحْيَاءُ، وَلَوْ قِيلَ كَذَلِكَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَى، لِاجْتِمَاعِ فِيهِ الطُّوْلُ مَعَ مُخَالَفَةِ^(٦) الْفَوَاصِلِ فِيمَا قَبْلَ الْآيَةِ وَمَا بَعْدَهَا. أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا

(١) ك: بمن.

(٢) م: البشر.

(٣) ج، هـ: بها.

(٤) ج، هـ، م: لبلد.

(٥) ساقط من ج، هـ.

(٦) هـ، م: مخالفته.

يَغْرُنْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ»^(١)، وقوله بعد الآية: «وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُورُ»^(٢)، وما تخلل الآيتين وما ورد بعدهما. ثم إن النشور هو إخراج الموتى وإحيائهم، مع أنه أَوْجَزُ وَأَطْبَقُ للفواصل فجاء كل ذلك على ما يناسب. وأما سائر الآي فلم تُبَيَّنْ على قصد التشبيه، ولا جَرَى فيها ذلك، فوقع الاكتفاء فيها بمجرد الإيماء، والإحالة على غير طريقة التشبيه.

والجواب عن تعقيب آية^(٣) الأعراف [٨٩/و] بترجي التذكرة^(٤) من قوله: «لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» مناسب لقوله: «فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ»، لأن الماء المنزل من السماء واحد لا يختلف، وإن اختلفت أحواله في الكثرة والقلة، وطول زمن الإنزال وقصره. فالمذاق والطعم والصفة لا تختلف والمُخْرَجُ به بإذن الله من صروب الثمرات مختلف في الطعم واللون والرائحة إلى غير ذلك من صفاته. قال تعالى: «يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ»^(٥). ففي هذا أعظم عبرة لمن استبصر، وأدل دليل على القدرة التي تجلُّ عن الحد والغاية، وأعظم شاهد على إحياء الموتى. فلهذا أعقبت برجاء التذكير ف قيل: «لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».

١٣٠ - الآية السابعة قوله تعالى^(٦):

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (٥٩).

(١) فاطر / ٥.

(٢) فاطر / ١٠.

(٣) هـ: الآية.

(٤) هـ، م، ك، ب، ع: التذكير.

(٥) الرعد / ٤.

(٦) ك: قوله حل ونعاني.

وفي سورة هود (٢٥، ٢٦): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ﴾.

وفي سورة المؤمنين (٢٣): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

في (١) هذه الآية ست (٢) سؤالات:

السؤال الأول قوله في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾، غير منسوق بواو العطف، وفي السورتين ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ بواو العطف.

والثاني: اختلاف مقالیه عليه السلام لهم.

والثالث: وجه اختصاص الواقع في كل سورة من الثلاث من (٣) مقاله بتلك السورة..

والرابع: وجه اختلاف ما خوفهم به (٤) وأنذره (٥) أثر أمرهم بالعبادة في كل واحدة.

والخامس: وجه ندائه في السورتين، وسقوط ذلك في سورة هود.

والسادس: وجه افتتاح أمرهم بالعبادة (٦) في السورتين، وقوله في سورة هود قبل أمره إياهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

فهذه (٧) ست سؤالات.

(١) م: وفي.

(٢) ساقطة من م.

(٣) م: في.

(٤) مكانه بياض في ح.

(٥) ج: وإنذارهم.

(٦) ج: في العبادة.

(٧) إلى قوله «سؤالات» محذوف من م.

والجواب عن الأول أن آية الأعراف لم يتقدمها ذكر إرسال، ولا أمر بدعاء الخلق، ولا جملة يناسبها عطف إرسال إلى الأمم، ودعاء الخلق^(١) إلى الإيمان، إنما تقدم قبلها ذكر أصحاب الأعراف، ثم قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ - إلى قوله - ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾^(٢)، ثم ابتدئت^(٣) قصص الرسل مع أممهم، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾، وتتابع قصصهم. أما آية هود، فقد تقدم قبلها ذكر رسالة^(٤) محمد صلى الله عليه وسلم، وبذلك افتتحت السورة، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ [٨٩/ظ] مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ. أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾. ثم استمر ذكر دعائهم وتحذيرهم من التولي وما يعقبه إن وقع منهم، ثم ذكر تحذيره عليه السلام إياهم بالقرآن^(٥)، وطلبهم بمعارضته والإتيان بعشر سور مثله في البلاغة، وعليّ النظم وإن كان ما يأتون به مفترى ليكون أسهل عليهم، ولم يعدل بالآي عن هذا الغرض وما يرجع إليه، إلى ذكر إرسال نوح عليه السلام، فوردت الآي بذلك منسوقة على ما تقدمها بواو العطف على أتم مناسبة.

وأما آية المؤمنين فقد ورد قبلها ما يناسب عطفها عليه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً لِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ - الآيات^(٦) وبعدها: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ﴾ - الآيات^(٧) فذكرهم بإيجادهم وانتقالهم منقلين في أطوار، مكتنفين

(١) ساقطة من ك.

(٢) الآيات / ٥٤، ٥٨.

(٣) هـ، م، ك، ب: ابتدأت.

(٤) ب: زاد بعدها ونبينا ومولانا.

(٥) ساقط من ج، ع.

(٦)، (٧) الآيات / ١٢-٢٢.

بمتوالي إنعامه منسوقاً بعض ذلك على بعض مفتحة المطالع بما^(١) يتأتى به القسم من قوله^(٢)، ﴿لَقَدْ﴾^(٣) تحكيماً وإظهاراً للظاهر من اكتناف إنعامه وإحسانه. ثم عطف على ذلك ما أنعم به من إرسال الرسل فذكر أولهم إرسالاً إلى الخلق ليناسب ما بيّوا به من النعم الأولية، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾. وكل ما ذكر في هذه الآية نعم متناسبة^(٤)، وآلاء^(٥) متوالية. ولهذا لم يذكر في هذه الآية ذكر عذاب، إلا بالإيماء الوجيز وخصت بقوله عقب الأمر بالعبارة: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، فذكرهم بالتقوى المحرزة لنجاتهم وتخلصهم من العذاب، ولم يكن ليلائم ذكر العذاب والإفصاح^(٦) به، ما تقدم من التذكير بإحسانه سبحانه، وإنعامه من أول السورة إلى هنا.

والجواب عن السؤال الثاني أن دعاء الرسل أممهم مما يتكرر ويتوالى في أوقات مختلفة، ومحال متباينة فمرة يُرْعَوُونَ، ومرة يُخَوَّفُونَ ويُنذَرُونَ، وذلك بحسب حال حال، ولكل مقام مقال. فاختلاف المحكي من مقالهم إنما هو بحسب اختلاف الأوقات، وما يناسب كل وقتٍ وقتٍ، وما يجري فيه، ويشاهد من أقوال المدعّوين وأحوالهم^(٧). وكل المحكي من معنى مقالاتهم، لا إشكال فيه. ألا ترى نبينا صلى الله عليه وسلم، وعليهم

(١) ج، هـ، م، ب: لا.

(٢) سقط من ب قوله ومن قوله.

(٣) سقط من ك.

(٤) ج، ع: مناسبة.

(٥) ب: آلاء.

(٦) ج، هـ، ع: والافتضاح.

(٧) سقط من ج، ك، ب.

أجمعين، كان يدعو^(١) قبائل العرب إذا وفدوا^(٢) على مكة^(٣) ويقف على كل قبيلة قبيلة، فيكلمهم ويُسَمِّعُهُم القرآن ويدعوهم إلى الله بما يناسب أحوالهم ومقالهم. ألا ترى قوله عليه الصلاة^(٤) والسلام لقبيلة كانت تُعرف ببني عبد الله: يا بني عبد الله^(٥) إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَسَّنَ اسْمَ أَبِيكُمْ [٩٠/و]. فكان يفتح دعاء كل طائفة بمثل هذا، فلكل مقام مقال. فلا سؤال في المحكي من قول نوح عليه السلام لقومه^(٦)، واختلاف ذلك، وإنما السؤال في اختصاص كل سورة بالوارد فيها من حكاية كلامه عليه السلام، إذ لا يذكر^(٧) في كل سورة إلا ما يناسب، وهذا^(٨) [هو جواب] السؤال الثالث.

والجواب عنه أنه لما تقدم ذكر اليوم الآخر في غير ما آية من أول هذه السورة إلى ابتداء قصة نوح عليه السلام^(٩)، وقد تضمن ما ذكر من ذلك من أهوال، ذلك اليوم ما يعظم أمره كقوله تعالى^(١٠): ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ - الآية^(١١) وقوله: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ - إلى قوله - ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾^(١٢). وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتُحُ لَهُم أَبْوَابُ

(١) ج، هـ، ع: يدعوا - بالالف.

(٢) ع: وقفوا.

(٣) ج، ب، ع: مكة.

(٤) ساقطة من هـ، م، ب، ك.

(٥) المنادى والأداة ساقطان من ج.

(٦) في ك فقط.

(٧) هـ، م: ينكر، ب: إلا ما يذكر.

(٨) ك: وهو.

(٩) في ب فقط.

(١٠) في م فقط.

(١١) الأعراف / ٨.

(١٢) الأعراف / ٣٨، ٣٩.

السَّمَاءِ ﴿١﴾ - الآية (١)، وقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ - الآية (٢) وقوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ - إلى قوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (٣)، وقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ - الآية (٤)، وقوله: ﴿عَلَىٰ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ (٥)، فلما تقدم من أهوال هذا اليوم ما لم يتقدم في السورتين الأخريتين (٦)، ناسبه في مقالة (٧) نوح عليه السلام لقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وناسب (٨) قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (٩) قول الممتحنين: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ (١٠) وأما افتتاح الآية بأمرهم بالعبادة فبين.

أما (١١) آية هود، فافتتاح دعاء نوح قومه فيها: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، يناسب (١٢) قول نبينا صلى الله عليه وسلم للعرب في إخبار الله تعالى عنه: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (١٣)، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ (١٤)، وأما قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (١٥) فمناسب لقوله تعالى على لسان نبينا عليه الصلاة والسلام، لقومه ممن خاطبه وشافهه: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (١٦) وقوله: ﴿وَلَتُنْ أَخْرَجَنَّ عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لِّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِبُهُ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ (١٧) وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ قَالُوا نَارُ مَوْعِدَةٍ﴾ (١٨) فتكرر ذكر (١٩)

(١-٥) الأعراف / ٤٠، ٤٤، ٤٧-٤٩، ٥٠، ٥٣ على الترتيب.

(٦) م، ك: الأخريتين، ب: الأخريتين.

(٧) ك: مقالات.

(٨) م، ب: وناسبه.

(٩) (١٠، ٩) الأعراف / ٥٩، ٥٣.

(١١) ك: وأما.

(١٢) هكذا في ك، وبقية النسخ «فناسب».

(١٣) هود / ٢.

(١٤-١٨) هود / ١٢، ٢٦، ٣، ٨، ١٧ على الترتيب.

(١٩) ج، هـ: ذلك.

العذاب، فناسبه ما ختمت به آية دعاء نوح عليه السلام من قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

وأما آية المؤمنين، فالجواب عنها قد تقدم مُنجراً^(١) في الجواب عن السؤال الأول، وتحصل من أنه من مقالاته عليه الصلاة والسلام في كل سورة من هذه الثلاث ما يجري مع ما اتصل به ويناسبه^(٢) [٩٠/ظ] حسبما تبين، ولم يكن ليناسب ورود ما في سورة منها ما ورد من ذلك في الأخرى، والله سبحانه أعلم بما أراد.

والجواب عن السؤال الرابع قد انجر فيما تقدم. وعن الخامس أن نداءهم في السورتين، لا كلام فيه لجريانه على ما ينبغي، وإنما يسأل^(٣) عن سقوط ذلك في سورة هود، ووجهه أن ذلك جارٍ مع ما افتتحت به^(٤) السورة من قوله تعالى على لسان نبينا عليه الصلاة والسلام^(٥): ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾^(٦)، فدعاهم إلى عبادة الله، وأن يُفردوه بها، ولم يُنادِهِم، لأن ذلك لم يكن ليلائم مطلع^(٧) السورة إذ^(٨) لم يَجْرِ ذكره عليه السلام، منظوقاً به، فينزل عليه نداؤهم، بل قيل له: هذا ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^(٩) ثم أتبع هذا بأمرهم مُبتدأً، بحرف العبارة والتفسير وهو أن الحرف الواقع بعد ما ينبيء ويحصل منه معنى القول وليس

(١) ب: منجزاً.

(٢) ج، هـ، ب، ع: ويناسب.

(٣) ج، هـ، ع: السؤال.

(٤) ساقط من ك.

(٥) هـ، م، ك: عليه السلام، ب: صل الله عليه وسلم.

(٦) هود/ ٢.

(٧) ج، هـ، ع: مطلع.

(٨) م، ع: إذا.

(٩) هود/ واحد.

صريح قول ولا مرادف له، إلا أنه يُفهمه كقوله تعالى^(١): ﴿وَأَنْطَلَقَ
الْمَلَأُ^(٢) مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا﴾^(٣)، فَأَنَّ الواقعة حرف عبارة وتفسير^(٤) المقدرة
بأي، وإنما تأتي^(٥) بعد ما يُفهم القول: فكما يقع بعدها ما يدل على تقدير
القول، وليس بقول، فكذلك^(٦) يقع بعد ما لا يلتزم معه ذكر القول^(٧)،
ويكون مع ذلك مُغنياً عنه. ومنه مطلع هذه السورة بعد التنبيه بالحروف
المقطعة، فقيل: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ، أَلَّا
تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾، كما قيل في آية ص: ﴿أَنْ أَمْشُوا وَأَضْبُرُوا﴾، فليس
موضع صريح القول الذي يقصد به الحكاية. فلهذا ورد دون صريح
القول^(٨)، ثم وردت قصة نوح عليه السلام على هذا المنهج للمناسبة،
ثم^(٩) جيء بقصة هود وصالح^(١٠) عليهما^(١١) السلام على هذا المنهج
للمناسبة بعد هذا مُفْتَحِينَ بالقول على ما يجب والله أعلم.

والجواب عن السؤال السادس أن افتتاح أمرهم بعبادة الله في سورة
الأعراف والمؤمنين، لا سؤال فيه، لأنه أول ما يُطلب به الخلق. وإنما يسأل
عن افتتاح^(١٢) مكالمتهم في سورة هود بقوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(١٣).

(١) في ك فقط.

(٢) ساقطة من الآية في ج، هـ، م، ب، ع

(٣) ص/٦

(٤) ك: وتصديق.

(٥) ج، ع: يقع.

(٦) هـ، م، ب: وكذلك، ك: كذلك.

(٧) ج، ع: ذكرا - لقول.

(٨) هـ، م، ك: قول، ب: قوله.

(٩) ما بعدها إلى قوله «المنهج» ساقط من ج، ب.

(١٠) ما بعدها إلى قوله «المنهج» محذوف من ك.

(١١) هـ: عليه ع: عليهما الصلاة والسلام.

(١٢) الجار والمجرور ساقطان من ح.

(١٣) الآية / ٢٥.

ووجه ذلك مطابقتها لما افتتحت به السورة من قول محمد صلى الله عليه وسلم بأمر ربه، مخاطباً بكلامه تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ قَيْنٌ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾^(١).

١٣١ - الآية الثامنة، قوله تعالى^(٢):

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. قَالَ يَنْقُومُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٠، ٦١).

وقال في سورة هود (٢٧): ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرُّكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرُّكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَن يُزِيلُوا﴾.

وقال في سورة المؤمنين (٢٤): ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا [٩١/و] بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾.

قلت هذه أجوبة في مقامات شتى وأحوال مختلفة، فلا سؤال في اختلافها وإنما السؤال عن وجه الواقع في كل سورة؛ إذ لا يكون إلا لمناسبة وقد تقدم بيان هذا في الآية قبلها فيسأل عن ذلك، وعن ثبوت الفاء في قوله: ﴿فَقَالَ﴾ في سورة هود، وسورة المؤمنين، وسقوطها في سورة الأعراف، وعن وصف الملأ بالكفر في السورتين^(٣)، وسقوط هذا الوصف من آية الأعراف. فهذه ثلاثة أسئلة.

والجواب عن الأول - والله أعلم - أن نقول: إن تخصيص الواقع من الملأ من قوم نوح عليه السلام، جواباً له عند دعائهم في سورة الأعراف إلى عبادة الله مناسب لما تقدم فيها من قول مكذبي الرسل حين تتوفاهم

(١) الآية / ٢.

(٢) قوله تعالى: ساقط من ح، هـ، م.

(٣) ك: بالسورتين.

الملائكة. فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا آمِنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾^(١)، وقول أخسراهم لأولاهم عند دخولهم النار، وتداركهم فيها جميعاً: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾^(٢)، فصار هذا مألوفاً من كلامهم، وجواباً متكرراً منهم ثم قد جرى على هذا إخبار الله سبحانه عنه عند تمنئهم الشفعاء، والردُّ إلى الدنيا ليعملوا غير عملهم، قال الله^(٣) تعالى: ﴿قَدْ خَبِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٤)، ولم يتقدم في السورتين بعدُ مثل هذا، فناسب هذا ما تقدم.

وأما الوارد في سورة هود من قول الملا المذكورين من قوم نوح فقد تقدم في صدر السورة قوله تعالى مخبراً عن كفار قريش وغيرهم من معاندي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾^(٥)، فأعلم سبحانه بطغيانهم وتمردهم في كفرهم فناسب هذا قول المتمردين^(٦) من قوم نوح: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾^(٧).

وأما الوارد في سورة المؤمنين فإنه قد تقدم فيها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾^(٨)، فذكر سبحانه تطور الإنسان في تقلبات وأحوال تشهد بحالة^(٩) الجضيضية

(١) (٢، ١) الأيتان / ٣٧، ٣٨ على الترتيب.

(٣) ساقط من ج، ع.

(٤) الأعراف / ٥٣.

(٥) هود / ٥.

(٦) ك: المتردين.

(٧) هود / ٢٧.

(٨) الأيتان / ١٢، ١٣.

(٩) ج: بحال.

ومهاتته الأولية إلى أن تلحقه ^(١) العناية الربانية والاختصاص الاصطفائي فيعزُّ بإعزاز مُوجِّده ويختص باختصاص التقريب والتشريف، فتفاوت أقدار [٩١/ظ] الخلق عند ذلك، فمنهم الألق بأشرف المقامات، وأسنِّ الحالات، ومنهم الباقي في خِصِيَّة من غير تَرْقٍ لما ^(٢) فوقها من الانتقالات. ولما لم يتلمَّح الملاء من قوم نوح جليل مزية التشريف، وما مُنِّحه هذا النبي الكريم من عِلِّيِّ قَدْرِهِ العُنيف، وظنوا ^(٣) التساوي على مقتضى الحالة الأولية قالوا يخاطبون أَتْبَاعَهُمْ جواباً لنبيهم عليه السلام: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ - الآية ^(٤). وتأمل ^(٥) باطل مقالة الملاء هنا ومناسبتة لما ^(٦) تقدم ^(٧) من خلق الإنسان تجده أنسب شيء، ولم يكن مقالهم في كل موضع من هذه ليناسب غير ما وقع فيه ^(٨)، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الثاني أن الواقع في سورة هود من قوله تعالى مخبراً عن جواب قوم نوح: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ ^(٩)، إلى آخر كلامهم، كلام لا يستقل مُبتدأ به، بل يستدعي ما يبنى عليه إذ لا يفتح أحدٌ أحداً بمثل هذا مُبتدأ، وإنما يتكلم بهذا جواباً. ولما قال لهم نوح عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ^(١٠)، إلى ما

(١) ع: تلحقه.

(٢) ج: لها.

(٣) ج: وضنوا.

(٤) المؤمنون / ٢٤.

(٥) ساقط من ج، ع.

(٦) هـ: ما، ك: لها.

(٧) م، ك، ب: قدم.

(٨) ساقط من ج، هـ، م.

(٩) هود / ٢٧.

(١٠) الأعراف / ٥٩.

عرفهم به مما حصل به الإعلام بمقامه النبوي وجوابوه بعداً عن تعرف صدقه ومعرفة حقه بقولهم^(١) : ﴿مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ ؛ أي لو كنت كما تزعم لكنت من جنس الملائكة، ولم تكن من جنس البشر، وقد أفصحوا بهذا في سورة المؤمنين. وتكرر هذا المرتكب من غيرهم في غير ما آية. فلبناء هذا الكلام على ما قبله وتمحض الجوابية فيه، ورد بالفاء المقتضية السببية، والمبنية للجوابية. ومثل هذا من غير فرق، هو الوارد من جوابهم في سورة المؤمنين، من قولهم : ﴿مَا مَعَنَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾، ثم قالوا^(٢) : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾^(٣). وهذا هو الذي أشرنا إليه من مقالهم في هاتين السورتين بالفاء، لربط الجوابية ووضوح السببية.

أما قوله في سورة الأعراف : ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِي إِنَّا لَتَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، فإن هذا وإن تضمن الجوابية، فإنه بغير الفاء، وحصلت الجوابية من حيث المعنى مع زعمي ما يناسب في النظم. ونظير هذا في وروده بغير الفاء لما ذكر قوله تعالى في قصة^(٤) هود عليه السلام : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٥). فتأمل جوابهم هنا لما كان الوارد في قصة نوح عليه السلام في أنه يُبتدأ بمثله ولا يفتقر إلى ما يبنى عليه كيف ورد بغير الفاء. فهذا يزيدك وضوحاً فيما قدمناه، والله سبحانه أعلم [٩٢/و].

والجواب عن السؤال الثالث، ويتنزل على تمهيد، وهو أن الله تعالى

(١) ج، هـ : بقوله.

(٢) ج، هـ، ع : قال.

(٣) المؤمنون / ٢٤.

(٤) ج، هـ، م، ب، ع : سورة.

(٥) الأعراف / ٦٦.

أمر رُسُلَهُ عَلَيْهِمُ^(١) السَّلامَ بِالرَّفْقِ فِي دَعَاءِ الْخَلْقِ، وَحَضُّهُمْ عَلَى التَّلَطُّفِ بِهِمْ، وَالصَّبْرِ عَلَى أَذَاهُمْ، فَقَالَ: ﴿أَذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾^(٣) وَقَالَ: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُضَيِّطٍ﴾^(٤)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَذْعُ أَذَاهُمْ﴾^(٥)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾^(٦) ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٧)، وَهَذَا كَثِيرٌ. وَقَالَ تَعَالَى لِمُوسَى وَهَارُونَ ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَئِنَّا لَعَلُّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٨). وَعَلَى هَذَا جَرَى دَعَاءُ الرُّسُلِ أَمَمَهُمْ فِي إِنْخِبَارِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُمْ. وَتَأَمَّلْ مَا تَحْمِلُ مِنَ التَّلَطُّفِ وَالرَّفْقِ بِالْعِبَادِ قَوْلُ اللَّهِ مَبْحَاثُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٩). وَعَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ جَرَى مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ مِنْ دَعَاءِ الرُّسُلِ أَمَمَهُمْ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾ - الْآيَاتُ إِلَى قَوْلِهِ - ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجاً﴾^(١٠). ثُمَّ اخْتَلَفَ جَوَابُ الْأَمَمِ: فَمِنْ مَسْرَعٍ فِي الْإِجَابَةِ بِهَدَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ مَبْطِئٍ، وَمِنْ مَصْمُومٍ عَلَى ضَلَالِهِ^(١١).

(١) ب: عليه.

(٢) النحل / ١٢٥.

(٣) المزمل / ١٠.

(٤) ج: بمضطر. وهي قراءة ابن عامر في رواية الحلواني عنه، والكسائي في رواية ابن الجهم عن الفراء. السبعة / ٦٨٢، الحجة / ٣٦٩، ٦٢، الانحاف / ٤٣٨.

(٥) الغاشية / ٢٢.

(٦) الأحزاب / ٤٨.

(٧) الشورى / ٤٨.

(٨) آل عمران / ١٥٩.

(٩) طه / ٤٣، ٤٤.

(١٠) البقرة / ٢١، ٢٢.

(١١) نوح / ١٠-٢٠.

(١٢) ب: ضلالة.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ^(١) لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾^(٢). ثم لكل نبي مقامات ومقالات^(٣) بحسب اختلاف الموطن^(٤) والمجتمعات، ولكل مقام مقال يناسبه، فجرى اختلاف ما ورد جواباً بنسبة ما وقع الجواب عليه، مع إحراز الأنبياء عليهم السلام^(٥) ما أمروا به من الصبر والتلطف في أكثر أحوالهم متوقفين فيما وراء هذا على ما يرد منه تعالى، كما قيل لنوح عليه السلام: ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾^(٦) فقطع عليه السلام رجاءه منهم، وفهم من ربه تعالى جواز دعائه عليهم، واستشعر انتقامه منهم، فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِبَّاراً﴾^(٧). وذلك بعد مبالغتهم^(٨) في البعد عن الاستجابة وقولهم: ﴿قَدْ جَادَلْتَنَا فَكُتِرْتُ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٩). قال تعالى فيمن سلك مسلكهم في التكذيب: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾^(١٠)، وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ - الآية^(١١). فأقول بناءً على ما تمهد^(١٢): إن قوم نوح لما ذكر تعالى عنهم في سورتي^(١٣) هود والمؤمنين

(١) ساقط من الآية في ج، هـ، م، ع.

(٢) الأنعام / ٣٥.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) ك: الموطن.

(٥) ج، هـ، ب، ع: عليهم الصلاة والسلام.

(٦) هود / ٣٦.

(٧) نوح / ٢٦.

(٨) ج: مبالغته.

(٩) هود / ٣٢.

(١٠) الزحرف / ٥٥.

(١١) يوسف / ١١٠.

(١٢) ب: تقدم.

(١٣) ب: سورة.

إساءة جوابهم لنبيهم، وإطالة في المرتكب حين^(١) قالوا في سورة هود: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا بِرَأْيِهِمْ وَهُمْ عَنِ الْإِطَالَةِ غَوِيٌّ﴾ [٩٢/ظ] بَلْ نَحْنُ نَحْنُ كَاذِبِينَ، فجمعوا في هذا مع الإطالة، توهمهم مساواته عليه السلام فيما وراء البادية من البشرية والصورة الإنسانية إلى استبدال أتباعه، كما قالوا في الموضع الآخر: ﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذِلُونَ﴾^(٢). وإلى التعامي عن فضله عليه السلام عليهم وظنهم كذبه، وقد نزهه^(٣) الله عن ذلك كله. فإذا تأملت مجموع هذا استطلعت منه مكنون كفرهم. ومثل هذا من غير فرق قولهم في آية سورة المؤمنين ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبِّصُوا بِهِ حَتَّى حِجِينَ﴾ فلا إساءة لهم فيما ذكر من الوارد عنهم^(٤) في الموضوعين، ووصفوا بالكفر فقال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾، فوصفهم بالكفر في السورتين.

وأما آية الأعراف، فقولهم فيها ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، ليس^(٥) كجوابهم^(٦) في السورتين لا من جهة الطول، ولا من جهة المعنى، لأن لفظ الضلال ليس ينص في الضلال عن الدين، لأنه يقال: ضل بمعنى تحير وحاد عن دين أو طريق، ويتسع في إطلاق لفظ الضلال على غير^(٧) ما ذكرناه^(٨). وقد قال بعض المفسرين هنا في تفسير الضلال: إنه الذهاب عن

(١) ج، هـ، م، ب: حتى.

(٢) الشعراء/ ١١١.

(٣) ك: نزهة.

(٤) ج، ع: منهم.

(٥) ساقطة من ج، هـ، ب، ع.

(٦) ج، هـ، ب، ع: لجوابهم.

(٧) ساقطة من م.

(٨) ك: ذكرناه.

طريق الصواب والحق. وبالحملة فإنهم لم يريدوا هنا الضلال الذي هو الكفر، وإن كان قد يقع إذا تقدمته^(١) قرينة^(٢) على أعظم من الكفر، وأما هنا فليس كذلك. فلما لم يكن^(٣) في الوارد في سورة الأعراف من الإطالة في العبرة والإبلاغ فيما قصدوه من المعنى مثل ما في السورتين ناسبه الإيجاز. وإن لم يوصفوا هنا بالكفر، فقال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾. ومما يشهد لهذا أن قوم هود^(٤) عليه السلام لما بلغوا في إساءة^(٥) جوابهم لنبيهم في قوله: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سُقَاةٍ﴾^(٦)، أرادوا: في قلعة علم، وخفة حلم، قاله الغزنوي^(٧). وقال غيره في خفة حلم وسخافة عقل^(٨). فلما أساءوا في مقالهم هذا عبر عنهم^(٩) بقوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ فوصفوا بالكفر مناسبة لقولهم. ولما لم يقع في جواب قوم صالح مواجهة نبيهم بمثل هذا، بل عدلوا إلى مخاطبة صغفائهم بقولهم لمن آمن منهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾^(١٠)، فلما لم يواجهوا نبيهم بما واجه^(١١) قوم هود، عبر عن هؤلاء بقوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾^(١٢). فإن قيل: فإنهم قد وصفوا بما يفهم كفرهم وهو الاستكبار.

(١) م، ك: تقدمت.

(٢) ك، ع: القرينة.

(٣) ج، هـ، م: فلم يكن.

(٤) ك، هـ، م، ب، ع: نوح، وصوابها ما أثبتناه.

(٥) هـ، م: إساءته.

(٦) الأعراف / ٦٦.

(٧) ج، ب: الهروي.

(٨) انظر جامع البيان ١/ ٢٩٣-٢٩٥، ٣/ ٩٠، الكشف ١/ ٥٥٤، ابن كثير ٢/ ٢٢٤.

(٩) ك: عنه.

(١٠) الأعراف / ٧٥.

(١١) م: واجهه، ك: وجه.

(١٢) الأعراف / ٧٥.

قلت: قوبل بهذا وصف مخاطبيهم^(١) بالاستضعاف. وليس كالإفصاح بالكفر، فوضح ما بسطناه أولاً، وجرى كل من ذلك على ما يناسب، والله أعلم بما أراد [٩٣/و].

١٣٢ - الآية التاسعة^(٢) من سورة الأعراف قوله تعالى:

﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولٌ مِّنْ رَبِّهِ وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٢).

وفي قصة هود [منها] (٦٨): ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولٌ مِّنْ رَبِّهِ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.

فيهما سؤالان:

الأول^(٣): قوله: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾، وفي الأخرى^(٤): ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.

والثاني: أن كل واحد من هذين النبيين الكريمين يعلم من الله سبحانه، ما لا يعلمه قومه، فهل في قصة نوح ما يحمله على قوله لقومه: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ما ليس في قصة هود.

والجواب عنهما، أن قوم نوح عليه السلام، لما رَمَوْهُ بالضلال، وأكدوا ذلك وزعموا استحكامه بالوصف في قولهم^(٥) له^(٦) عليه السلام^(٧): ﴿إِنَّا

(١) ح، هـ، م، ب، ع. مخاطبتهم.

(٢) ما بعدها إلى الأعراف ساقط من العنوان في ب.

(٣) ب وأحدهما ورود قوله في الأول.

(٤) ب: الثانية.

(٥) هـ، م، ب: قوله.

(٦) في ك فقط.

(٧) عليه السلام ساقطتان من: ج، ع.

لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ». فرعموا أن صلاته غير خافٍ، وهو الذهاب عن طريق الصواب، ولا يكون إلا عدم العلم بما فيه رشاد الضال^(١)، واستقامة حاله نفى عليه السلام كل ذلك عن نفسه بقوله: «لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ» ثم أتبع بأوصاف عليّة تناقض قولهم، وتدمغه، وتشهد للمتصف بها ببراءته من ذلك. وتردّد^(٢) ذلك الوصف عليهم، وأنهم الأهلون لما^(٣) رموه به فقال: «وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ»^(٤)، ولا يرسل رب العالمين، المالك لكل العالم بهم، إلا من جعله في أعلى درجات المهتدين العالمين ينصب^(٥) الرسالة، وما يلزم متحملها ثم بين لهم نصحه واستمراره في إبلاغهم ونصحهم فقال: «أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ»^(٦)، ثم أتبع بتعريفهم بحبلهم^(٧) بما عنده من ربه، ويعلمه هو بذلك فقال: «وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»^(٨)، وإنما قال: «وَأَنْصَحُ» - «وَأَعْلَمُ»، ليعلم تتماديّه على النصح لهم وهم لا يشعرون ولا يهتدون، وبإمداده بزيادة علومه بالوحي وهم عن ذلك في أشنع ضلال وأبعده، فجمع عليه السلام فيما خاطبهم به ردّ مقالهم وزمّهم بأكثر مما رموه به، وردّ ذلك عليهم بالطف رد، وأبينّه، لمن وفّق، ونزّه عليه السلام عبارته المحصّلة^(٩) لذلك على أتم الوجوه عن شنيع عبارتهم، وقبح مواجعتهم.

(١) ج، ب، ع: الضلال.

(٢) ج، ك، ب، ع: وترد.

(٣) ج، ك، ع: بما.

(٤) الأعراف / ٦١.

(٥) ج، ع: ينصب.

(٦) الأعراف / ٦٢.

(٧) ج، ع: تحبلهم.

(٨) الأعراف / ٦٢.

(٩) ج، هـ، م، ب، ع: المحلصة.

وأما جواب هود عليه السلام، فَإِنَّ قَوْمَهُ لَمَّا قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾، فرموه بخفة الحلم وقلة التثبت^(١) وكثرة الطيش، ونفى عليه السلام ذلك عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾، فردّ قولهم، ثم عرفهم برسالته، وقدم ما ينبغي للرسول أن يكون عليه، ثم أتبع بجليل أداء أمانة الرسالة من التبليغ والتمادي عليه فقال: ﴿أَبْلَغُكُمْ﴾، فجاء الفعل المشعر بالتكرّر والاستمرار قياماً [٩٣/ظ] بإبلاغ رسالته وحفظاً لأمانتها. ثم قال: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، فعرفهم بصفيتين جليلتين قد اكتنفه العصمة فيهما ومن كانت صِفَتَاهُ اللَّازِمَتَانِ^(٢) له: النصيحة، والأمانة^(٣) فقد تنزّه قدره عن الطيش وعدم الحلم، ﴿أَلَا أَنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤). وإنما أتى في إخبارهم بنصحة وأمانته بالاسم فقال: ﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، ولم يقل أنصح فيأتي بالفعل، ليحصل منه أن^(٥) ذلك الوصف الجليل لازم له غير مفارق ولم يكن الفعل ليعطي ذلك فجاء^(٦) بالاسم وجعله الخبر عن ضميره الذي هو «أنا». فهذا مقصود ثبت^(٧) الوصف ولزومه مثل الوارد في قوله تعالى مخبراً عن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾^(٨) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ^(٩) ﴿١٠﴾،

(١) ب، ع: الثبت.

(٢) ج: اللزمتان.

(٣) ما بعدها إلى قوله ﴿ولكن لا يعلمون﴾ ساقط من ج، ب، ع.

(٤) الآية / ١٣.

(٥) ساقطة من ج، ك.

(٦) ك: فجيء.

(٧) ج، هـ، م، ب، ع: بثابت.

(٨) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ك.

(٩) ب: زاد من الآية هنا ﴿وَيُعَذِّبُهُمْ﴾

(١٠) الآية / ١٤ - ١٥.

فأخبر^(١) عن قولهم للمؤمنين آمنا بالفعل الماضي وليس من وضعهم إعطاء الدوام في الأكثر؛ إذ قد يقول: «فَعَلْتُ» من أوقع الفعل مرة واحدة، وأخبر تعالى عن قولهم لإخوانهم وشياطينهم بقولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ فجاؤوا بالاسم إعلاماً بصفتهم التي هم عليها مستمرُونَ^(٢). فكذا هذا الإخبار الواقع هنا في هذا المقصود من التماذي والاستمرار حين قال هود عليه السلام: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾. فجاء بالاسم لانتهاء^(٣) ما رموه به من السفاهة جملة، وقابل عليه السلام مقالهم الشنيع بخبره الصادق عن نفسه، فرد مقالهم، ولم يكن الفعل ليحرز هذا المقصد، كما أحرز قول نوح عليه السلام: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الإخبار عن نفي ما رموه به جملة، فجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

ومما يسأل عنه في هاتين الآيتين أن نوحاً وهوداً عليهما السلام^(٤) دَعَوَا إلى العبادة قوماً كفاراً، وقد ورد في قصة نوح عليه السلام: ﴿قَالَ^(٥) الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِي﴾، وفي قصة هود عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِي﴾، فوسموا بالكفر بخلاف قوم نوح. ووجه ذلك - والله أعلم^(٦) - الاكتفاء^(٧) بما وقع في دعاء نوح عليه السلام من قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وخوفه من تعذيبهم، إنما كان لكفرهم، ولم يقع ذلك في دعاء هود؛ لأن قوله: ﴿أَفَلَا يَتَّقُونَ﴾، ليس فيما يعطيه من

(١) إلى قوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ ساقط من ج، ع.

(٢) ج: مستمرين.

(٣) هـ، م، ك: فانتفاء، ع: بانتفا.

(٤) ج، ع. عليهما الصلاة والسلام، وبعدها في ك: «إِنَّمَا دَعَوَا».

(٥) ساقط من ج، ع.

(٦) والله أعلم: مكاتب بياض في ج.

(٧) زاد بعدها في جميع النسخ «هـ».

التخويف [في] (١) قوة: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ إذ قد يؤمر بالتقوى للمؤمن، ويقال للعاصي بصغيرة: ألا تتقي الله؟ فلما كان في دعاء نوح ما يشير إلى الكفر، ويدل عليه، اقتضى الإيجاز الاكتفاء بذلك. ويشهد لهذا أن قصة صالح وقصة (٢) شعيب الوارد [فيهما] (٣) الدعاء إلى الإيمان على هذا المنهج لما لم يقع في دعاء هذين النبيين عليهما السلام ما وقع في دعاء نوح عليه السلام ما ينسب بالكفر، وورد في حكاية مقالة قومهما ما يحصل منه ذلك المقصود، وذلك قوله [٩٤/و] تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾، وذلك جارٍ مع الواقعة في قصة هود من غير فرق، لأن استكبارهم عن إجابته والإيمان به كفر، والله أعلم بما أراد.

١٣٣ - الآية (٤) العاشرة قوله تعالى:

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ (٦٤).

وفي سورة يونس (٧٣): ﴿فَكَذَّبُوهُ فَتَبَّعْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلِيفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾.

فيهما (٥) أربع سوالات يذكر كل سؤال منها متصلاً (٦) بجوابه:

(١) جميع النسخ: ففي.

(٢) ساقطة من ج، ع.

(٣) جميع النسخ: فيها.

(٤) إلى آخر العنوان محذوف من ك.

(٥) ك: فيها.

(٦) ج، ع: منحصلاً.

الأول: قوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾، وفي الثانية^(١): ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾. فختلف نقل
فَعَلَ الهمزة في الأولى، وفي الثانية بالتضعيف.

و[الثاني قوله] في الأولى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، وفي الثانية: ﴿وَمَنْ
مَعَهُ﴾، فختلف الموصول أيضاً.

والجواب عن هذين السؤالين - والله أعلم - أنا قد أوضحنا في كتاب
«البرهان» أن ترتيب سور القرآن أصل مراعى، وترتيب الآي في هذا الحكم
أولى وأبين^(٢). وإذا تقرر هذا فعلم أيضاً أن لفظ الآي وما تصرف منه
للمثنى والمجموع أصل في الموصولات، إذ لا يخرج لفظ الذي عن
الموصولية. أما ﴿مَنْ﴾، فإنها تخرج إلى الاستفهام، والشرط، وغيرهما.
والأصل في النقل أن يكون بالهمزة، وما النقل بالتضعيف والباء وغيرهما
فثان^(٣) عن الأصل. ومن يقول^(٤) بالقياس في النقل، على اختلاف
مذاهبهم، من أن المقيس فيه النقل من الفعل، إنما هو غير المتعدي، أو
المتعدي إلى واحد، أو المتعدي إلى اثنين^(٥) مع الضربين قبله، وهو قول
الأخفش^(٦). فكل هؤلاء إنما المقيس^(٧) عندهم ما يُنقل [بالهمزة]^(٨)،
ويجعلون النقل بالتضعيف وغيره، موقوفاً على السمع. فإذا تقرر ما ذكرناه،

(١) هـ: الثالثة، وصوبها ما أثبتناه.

(٢) ج، هـ، م: أولاً آيين.

(٣) ب: فبان.

(٤) ج، هـ: بقل.

(٥) ك: أو المتعدي إلى واحد - مع غير المتعدي إلى اثنين. . وبقيّة النسخ والمتعدي إلى اثنين. .

(٦) ذكر الزمخشري في «المفصل» / ٢٥٧، أن للتعديه ثلاثة أسباب هي: الهمزة، وثقل الحشو يعني
التضعيف، وحرف الجر. وتختص الهمزة منها بالمتعدي إلى اثنين فتنتقله إلى ثلاثة نحو:
أَعْلِمْتُ ونسب إلى الأخفش أنه أجاز قوهم: اظننت، وأخيبنت وأجلت، وأزعمت إلخاً لها
بقوهم: أَعْلِمْتُ وأزأيت من المتعدي إلى ثلاثة المنقول بالهمزة عن المتعدي إلى مفعولين.

(٧) م: المفسر.

(٨) جميع النسخ: به الهمزة.

فنقول: إنَّ سورة الأعراف ورد فيها قوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، كل منهما على الأصل في نقل الفعل وفي الموصول رُعيًا للترتيب، ولا يمكن العكس على هذا، ثم انجر مع ذلك رعي تناسب التقارن لما ورد في الأولى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾، بزيادة همزة النُّقل المَثْبُت لها صورة الألف في الخط ونُطِقَ بِخُصْصِهَا بحركة الهمزة، فطالت الكلمة بالألف خطأ وبالنطق بحركة الهمزة لفظاً [و] ناسبها^(١) الموصول الذي هو ﴿الَّذِي﴾، لزيادة حروفه على حروف ﴿مَنْ﴾. ولما قيل في الثانية: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾، فجيء بما هو أخصر في الخط، ناسبه^(٢) مِنْ الموصولات، ﴿مَنْ﴾ المفرد، في معنى الذي، وهو أخصر.

السؤال الثالث: زيادة^(٣) ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾، في سورة يونس، وذلك مثال طائفة معينة من المجمل الوارد في أول السورة من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ [٩٤/ظ] بِالْبَيِّنَاتِ﴾ - إلى قوله - ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^(٤)، وقوم نوح عليه السلام أول أمة أهلكت بتكذيبها، ثم خلفها غيرها. فذكر من المتقدم مجملًا أول واقع منه، وأنهم جعلوا خلائف كَمَنْ جَرَى فيمن بعدهم.

والسؤال الرابع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾، وذلك^(٥) مقابل به^(٦) قولهم لنوح عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، فقليل لهم:

(١) ج، ع، ب: فأنشبهها.

(٢) ج، هـ، م، ع: ناسب.

(٣) ج: بزيادة.

(٤) الأيتان/ ١٣، ١٤.

(٥) ح، هـ، ل: ذلك.

(٦) ساقط من ج، ع.

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَمُونَ فَأَنْتَى لَكُمْ بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْهَدَى وَالضَّلَالَةِ. وأما قوله في الأخرى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾، فليجري^(١) مع آية الأعراف، فيما ورد فيها من التعريف بإنذارهم في قوله: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾^(٢)، فوق هنا التعريف بإنذارهم، ثم ورد في يونس بقوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾، فحصل^(٣) التعريف في الآيتين بإنذارهم وعاقبة من أنذر، فلم يرجع عن غيبه، والله أعلم.

١٣٤ - الآية الحادية عشرة^(٤) من سورة الأعراف قوله تعالى في قصة صالح:

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
(٧٣).

وفي سورة هود (٦٤): ﴿وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

وفي سورة الشعراء (١٥٥، ١٥٦): ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شِرْبٌ^(٥) وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

فاختلف الوصف المختوم به الآي الثلاث^(٦). فقد يسأل عن ذلك. والجواب أن^(٧) مثل هذا ليس خلاف ولا مشكك، لأن وصف العذاب

(١) ج، هـ، م، ع: فليجر.

(٢) الأعراف / ٦٣.

(٣) هـ، م: فجعل.

(٤) ما بعدها إلى الأعراف محذوف من العنوان في ب.

(٥) ما بعدها إلى قوله (عذاب) محذوف من الآية في ب، وفي موضعه (إلى قوله).

(٦) ما بعدها إلى آخر السؤال محذوف من ب.

(٧) ساقطة من ك.

بالإيلام لا ينافر وصفه بالقرب، وإنما وصف في سورة هود بالقرب، ليجري مع قوله بعد: ﴿تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾^(١)، فجرى في الوصف رغي هذا، ولا ينافر ذلك الإيلام.

وأما الوصف في سورة الشعراء بعظيم، فمن صفة اليوم، لما فيه من الأهوال، لا من صفة العذاب. فلا إشكال في شيء من هذا.

١٣٥ - الآية الثانية عشرة قوله تعالى في قصة صالح:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (٧٨).

وكذا في قصة شعيب فيما بعد^(٢)، وفي سورة هود في القصة المذكورة قبل^(٣): ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾.

وقال في قصة شعيب في سورة هود أيضاً (٩٤) ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا^(٤) فِي دِيَرِهِمْ جَاثِمِينَ^(٥)﴾. وفي هذه الآية الأخيرة، تسمية عذابهم بالصيحة، وجمع اسم الدار، وفي الآية قيل الرجفة وإفراد [٩٥/و] الدار فأقول: إن وجه اختصاص كل سورة بما خصت به، أن اسم الدار لفظ يقع على المنزل الواحد، والمسكن المفرد، ويقع على مساكن القبيلة، والطائفة الكبيرة، وإن اتسعت وأتفرقت، وتعددت مساكنها وديارها، إذا ضمها إقليم واحد واجتمعت في حكم أو مذهب.

وإذا تقرر هذا، فوجه اختيار لفظ الجمع في الآية [الثانية] من^(٦) هود

(١) آية / ٦٥.

(٢) الأعراف / ٩١.

(٣) آية / ٦٥.

(٤) ما بعدها إلى آخر الآية ساقط من ج، هـ، م، ع.

(٥) ساقطة من الآية في ب.

(٦) ساقطة من ج، ب، ع.

مناسبة ما اقترن به من لفظ الصَّيْحَة، وهي عبارة لها عن العذاب مطلقاً دون تقييد بصفة، وهو من الألفاظ الكلية، فإن لم يكن عاماً، فانتشار الواقعة من حيث الكلية حاصلة. وأما الرجفة فالزُّلْزَلَة، فلهذا اللفظ خصوص، وهو جزئي. ومن المعلوم بالضرورة، انحصار الألفاظ في الضربين وأن اللغات لا تختلف في ذلك، فالصيحة من حيث الكلية تطلق على ما كان من العذاب بالرجفة وغيرها. وإذا عبر بالرجفة لم يتناول لفظها^(١) إلا ما كان عذاباً بها، فناسب عموم الصيحة جمع الديار مناسبة تركيب النظم، وناسب خصوص الرجفة أفراد «الدار» ثم إن وجه تخصيص آية سورة هود بما وقع فيها^(٢) أنه ذكر قبلها في مرتكبات قوم شعيب وسوء ردهم^(٣) على نبيهم عليه السلام، بما^(٤) لم يرد مثله في آية سورة الأعراف. وتأمل قولهم له: ﴿مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾^(٥). فتأمل ما في ردهم هذا من الاستهزاء والإساءة وشيخ المقابلة لجليل^(٦) وعظه عليه السلام لهم، ورافته في دعائه إياهم بقوله: ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾^(٧)، وقوله: ﴿بَقِيْتُ لِلَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ﴾^(٨)، وقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ يَتَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾^(٩) وَمَا أَرِيدُ أَن أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِن أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ^(١٠)، وقوله: ﴿لَا

(١) ج، ك: لفظها.

(٢) ج: منها.

(٣) ج، هـ، م، ب، ع: شرودهم.

(٤) ج، هـ، ك، ب، ع: ما لم.

(٥) هود / ٩١.

(٦) ج، هـ، م، ب، ع: بجليل.

(٧) هود / ٨٤، ٨٦.

(٨) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.

(٩) هود / ٨٨.

يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ^(١) مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ^(٢)، وقوله^(٣) ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾^(٤). فما أجمل تلطف هذا النبي الكريم في دعائه إياهم، وما أشنع ردهم عليه. فلهذا ما عبر عن عذابهم وأخذهم هنا بأعم مما ورد في غير هذه الآية. ولما لم يرد في غيرها مثل هذا في الدعاء والجواب، ناسبه اللفظ الأخف رعيًا لإحراز النظم الجليل وعليّ تناسبه، مع أن لا كبير اختلاف في المعنى الحاصل في العبارتين والله أعلم.

وجواب ثان في اختلاف الوارد فيما أخذ به قوم شعيب وهو أن يكون المراد أخذهم بضروب [٩٥/ظ] من العذاب لقيح^(٥) مرتكبهم وسوء ردهم على نبيهم فبين ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾، والظُّلَّةُ غَيِّمٌ تحته سَمُومٌ. فهذا ولا بد^(٦) عند^(٧) الرجفة، لأنها زلزلة. فعلى هذا يكونون قد أُجْذُوا بعذاب الزلزال، وعذاب الصيحة - وهو عذاب يصحبه صوت - وعذاب الظُّلَّة^(٨). فورد ذلك على التدرج والتناسب، بحسب ما ذكر قبل كل عذاب من هذا من مرتكباتهم. وقد ذكر المفسرون تنوع عذابهم: بالرجفة^(٩)، والصيحة، والظُّلَّة، كما امتحن آل فرعون بالطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمسة.

(١) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.

(٢) هود/ ٨٩.

(٣) ساقط من ج، ب، ع.

(٤) هود/ ٩٠.

(٥) ج: بقيق.

(٦) بياض في ج، هـ، ع مكان «ولا بُدَّ».

(٧) م، ك، ب: غير.

(٨) كذا في جميع النسخ.

(٩) ج، هـ، ب: فالرجفة.

١٣٦ - الآية الثالثة عشرة^(١) من سورة الأعراف قوله تعالى في قصة صالح:

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ التَّصْحِيحِينَ﴾ (٧٩).

وقال في قصة شعيب عليه السلام [منها] (٩٢، ٩٣): ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ. فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

للسائل أن يسأل ويقول^(٢): إذا كان كل من الرسل عليهم السلام قد أبلغ قومه ما أُرسل به، وكلهم في أداء تلك الأمانة وحفظها على نهج سواء من غير تفاضل في هذا، أعني الأمانة والإبلاغ، والعصمة في ذلك، وإنما التفاضل بأشياء غير ما ذكر. فإذا تساووا فيما ذكر، وكلهم أمر بإفراد الله سبحانه^(٣) بالعبادة، واتقاء عذابه بالتزام الطاعات، وامتنثال الأوامر والنواهي، فكلهم أمر ونهى، وأوصح لقومه طريق الحياة، وحذرهم طُرُق^(٤) المهالك ووصف كل واحد منهم برسول، ووصف ما جاء بالرسالة بإفراد، فحصل^(٥) المقصود فما وجه الجمع في قوله في قصة شعيب عليه السلام: ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ ولم يرد على الإفراد، كما ورد في قصة صالح؟

والجواب أن العرب تراعي في أجوبتها ما نبهت عليه من سؤال أو غيره، إن إطالة فإطالة، أو إيجاز فإيجاز^(٦). وربما أتت باللفظ موجزاً ونحته معاني

(١) ما بعدها إلى الأعراف محذوف من العنوان في ب.

(٢) إلى هنا محذوف من ب، وفي موضعه «يقال».

(٣) ب: الله تعالى، ج، ع: الله تعالى سبحانه.

(٤) ك: من.

(٥) م، ك: فالإفراد محصل.

(٦) ك: وإيجاز.

كثيرة. وأيضاً^(١) فأجوبتهم مُراعى فيها المعنى ملحوظ فيها ما وردت جواباً له. ولما ورد في دعاء شعيب عليه السلام، تفصيل في الأمر والنهي، والتحذير، ألا ترى قوله بعد أمرهم بتوحيد الله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(٢)، ثم قال: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُؤْهِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾^(٣)، وذكرهم بتكثيرهم بعد القلة فقال: ﴿وَأَذْكُرُوا [٩٦/و] إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُثِرْكُمْ﴾^(٤)، وأن يتذكروا حال من تقدمهم ممن كذب فقال: ﴿وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٥). وورد عقب هذا من قول قومه له في قوله تعالى حاكياً عنهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾^(٦)، وقولهم: ﴿لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾^(٧). وقد انطوى هذا الكلام من التعريف بقبیح ردّهم وشنيع مرتكبهم في مجاوبتهم على أعظم اجترام فحصل من هذا في^(٨) خطابه^(٩) إيّهم وما ردّوا به وجاوبوه عليه السلام إطناب^(١٠) في العبارة، وإمعان فيما تحتها من المعاني، وفي كلا الضربين تناسب^(١١) ذلك الجمع في قوله: ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي﴾.

وأما قصة صالح عليه السلام، فلم يقع فيها بعد أمرهم بالعبادة غير تعريفهم بأمر الناقة وأمرهم برعيها، وتذكيرهم بقوم هود في قوله: ﴿وَأَذْكُرُوا

(١) ك: وإجمالاً.

(٢) الأعراف / ٨٥.

(٣-٥) الأعراف / ٨٦.

(٦، ٧) الأعراف / ٨٨، ٩٠ على الترتيب.

(٨) ك: فحصل لي هذا من.

(٩) ب: خطابهم.

(١٠) ع: لإطناب.

(١١) ك: فناسب، ح: وفي كل الصربين يناسب.

إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ ﴿١﴾ - الآية (١). ولم تَفْصِلْ (٢) مُكَالَمَتَهُ إِيَّاهُمْ كَتَفْصِيلٍ مَا قَدِمَ. وأما المحكى عنهم كَقَوْلِهِ تَعَالَى مَخْبِرًا عَنْهُمْ مِنْ قَوْلِ كَافِرِيهِمْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ: ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣) وَقَوْلِهِمْ: ﴿يَا صَالِحُ اقْبِئْنَا بِمَا نَعْبُدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٤) فليس هذا مثل المتقدم من جواب قوم شعيب له في المحكى من العبادة، ولا فيما (٥) تحته من المعنى، فناسب الإفراد الوارد في قوله: ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي﴾.

فإن قلت: فقد ورد ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي﴾ (٦)، [في] (٧) قصة نوح، وقصة هود عليهما السلام، ولم يتقدم في القصتين (٨) إطناب، ولا إطالة تقتضي ذلك. فإن (٩) الوارد في قصة نوح من قول قومه له، قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وهذا ليس كجواب قوم شعيب عليه السلام في إطالته. وإذا لم يكن في ذلك طول، فما وجه الجمع في قوله: ﴿رَسُولَاتِ رَبِّي﴾، ولم تفرد كما في قصة صالح إذ هي شبيهتها في الإيجاز؟

فالجواب أن لفظ الضلال وإن كان يرادف الكفر حسبما تقدم، وما يأتي به فإنه يقتضي بحسب كَيْتِهِ وانتشار مواقعه مقتضيات عِدَّة، وأنهم لم يريدوا تخصيصه بقول بعينه من أقواله عليه السلام، بل أرادوا أقوالاً كثيرة مما

(١) الأعراف / ٧٤.

(٢) ك: تنصل، ب، ع: تفصل.

(٣، ٤) الأعراف / ٧٦، ٧٧ على الترتيب.

(٥) ج، هـ، م: في.

(٦) الأعراف / ٩٣.

(٧) جميع النسخ: وفي.

(٨) ج، هـ، م: القضيئين.

(٩) هـ: بن.

أمرهم به ونهاهم عنه، ومِمَّا^(١) حذرهم وأنذرهم من عذاب الآخرة حين قال لهم: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. فلانسحاب اسم الضلال على مسميات شتى، كان في وزان ما طال من الكلام فأشبه الواقع في قصة شعيب عليه السلام. قال الزمخشري [٩٦/ظ]: الضلال، الذهاب عن طريق الصواب والحق. فكأنهم قد أفصحوا بأن قالوا: لا نعتد على قولك في شيء، ولا نعول عليه، لأنك ذاهب فيه عن طريق الصواب والحق. ويشهد لإرادتهم هذا التفصيل قول نوح عليه السلام في ردِّ مقالهم: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾، ولم يقل ليس بي ضلال، فينفي عين ما قالوه، بل عدل إلى ما يدفع قليل ذلك وكثيره في كل قضية. وإذا نفى وجود الضلال في كل قضية من تلك القضايا، فقد انتفى الضلال عن كلها ورثت ذمته الرفيعة عن الاتصاف بشيء رمي به^(٢). ومثله الزمخشري بجواب من قيل له: أَلَيْكَ ثَمَرٌ؟ قال: لا، ولا ثَمَرَةٌ^(٣) وهو تنظير حسن. وقد حصل من هذا إطناب وتفسير^(٤) في المعنى ولطول المجاورة بينه وبين قومه ما قالوا له في آخر مقالهم^(٥) قد جادلنا فأكثر جدالنا فلماذا قال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾، فجمع فكأنه عليه السلام يقول: كل قضية أبلغكم إياها فربي أرسلني بها، وكل منها رسالة أرسلت بها إليكم، محفوظاً في ذلك بعصمة الله إِيَّايَ، منزهاً عما توهمتم من الضلال. ثم أتبع^(٦) بقوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، يريد مما منعكم من تصديقي فيه ما ريمتموني به من الضلال فردَّ

(١) ج، هـ، م: وما.

(٢) ك: رموه به، ب: رمزه.

(٣) راجع النص في الكشف ٥٥٢/١، ٥٥٣.

(٤) ك: تفصيل.

(٥) ج، ك، ع: أمر مقالتهم.

(٦) ساقط من ك.

عليه السلام قولهم بالطف ردُّ وأَرْفَقَه بقوله: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وفي طَيِّ هذا الكلام ما يُفهم توبيخهم، ويشير إلى تعاميتهم وجهتهم، فهو بِرَغْيٍ^(١) ما تمهد موضع جمع رسالة لم تحمل^(٢) مما^(٣) يفهمه النظم الجليل من التفصيل الذي به يتم المعنى المقصود بكلامه عليه السلام، مع ما بُنيَ عليه من التفصيل الذي تضمنه جوابهم، فليس كالوارد في قصة صالح عليه السلام، لأن قول صالح عليه السلام في قضية خاصة والله أعلم. ألا ترى قول ملا قومه من كفارهم لمن آمن منهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾، فقصروا سؤالهم وخصَّوه بصحة الرسالة، ثم قالوا للملا من المؤمنين: ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَاْفِرُونَ﴾ ثم بنوا على هذا سائر ما كان منهم من الكفر والعتق وعقر الناقة. وإما سألوا أولاً ودار أمرهم على صحة إرساله^(٤) عليه السلام، فطابق ذلك الأفراد قوله: ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي﴾.

وأما قوله قوم هود في جوابهم لنبئهم: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سُفَاهَةٍ﴾، والسُّفَاهَةُ الطيش وقِلَّةُ الجِلْم، فحال من اتصف بذلك كحال من اتصف بالضللال فلا يثبت على قول^(٥) ولا يُعتمد عليه فهذه كقصية [٩٧/و] قوم نوح. فالجواب عنها كما تقدم في تلك، وكلُّ وارد على ما يجب ويناسب، والله أعلم بما أراد.

(١) ج، ب، ع: مرعي، م، ك: برعي.

(٢) ج: يحصل.

(٣) م: بما.

(٤) ج، ب، ع: الرسالة.

(٥) ج: مكان الجار والمجرور، بياض.

فصل

قد تقدم لنا في هذه الآية، وفيما قبلها أن الضلال يقع على ما دون الكفر، فيكون مع شناعته فيما يقتضيه بوصفه - وإن لم يرد به الكفر - دون الإفصاح بلفظ الكفر، إذ يصح أن يطلق على متصف بالإيمان بريء من الكفر. وقد قال تعالى مخبراً عن إخوة يوسف في قولهم لأبيهم عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾^(١)، وإنما أرادوا ما يرجع إلى عمارة خاطره عليه السلام برجائه يوسف، وما يرجع إلى هذا. وقد تكرر نحوه في القرآن، فأعلم أن الرسل عليهم السلام لم يجر أمرهم في دعائهم أممهم^(٢) إلى الإيمان أولاً، كما جرى آخرأً، ونسبة^(٣) ذلك جرى جواب أممهم في مراجعتهم في الأكثر. فإن الرسل عليهم الصلاة والسلام، إنما ابتدأوا دعاءهم الأمم بالتلطف، والرفق، والصبر، وبذلك أمرُوا قال تعالى لموسى عليه السلام في رساله إلى فرعون ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾^(٤)، وهذا واضح، والغالب في مجاوبة أممهم إنما جرى بنسبة من هذا. ألا ترى قول قوم^(٥) نوح عليه السلام في أول دعائه إياهم ﴿أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾، وظاهر هذا إنهم إنما أنفوا من^(٦) الانقياد لأمره^(٧). وقد سبقهم في ذلك ضَعْفَؤُهُمْ، ومن لم يروُهُ بحسب التوهم الخيالي الضعيف أهلاً يُقْتَدَى به. وهذا^(٨) كما قال غيرهم في إخبار الله تعالى عنهم: ﴿أَهْوَلَاءُ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ

(١) يوسف / ٩٥.

(٢) ما بعدها إلى قوله «جواب أممهم» ساقط من ج.

(٣) هم، ب: بنسبته.

(٤) طه / ٤٤.

(٥) ساقطة من ب.

(٦) ج: عن.

(٧) ج، هـ، م، ب، ع: إلى أمره.

(٨) مكان «وهذا كما قال» بياض في ح.

مَنْ نَبِّئْنَا^(١) وقول الآخرين ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾^(٢)، وهذا كله ليس إفساحاً بالتكذيب، وإن أرادوه. وكذا قول قوم نوح عليه السلام: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا﴾، إلى ما أتبعوا من هذا، وإنما أفصحوا بالتكذيب أخيراً^(٣) قال تعالى في أمر الكافة من الرسل حين تَوَقَّفَ أممهم عن الاستجابة ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾^(٤)، وقال تعالى في مكذبيهم: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾^(٥). ونأمل دعاء الرسل حيث دعوا أممهم، والتدريج فيما جرى معهم، وسير^(٦) نبينا صلى الله عليه وسلم يلح لك ذلك، وهو أبين من أن نطول بذكره. فعلى هذا قلنا إن قوم نوح في أول جوابهم له: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، ليس كقولهم أخيراً: ﴿قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾، وإنما قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ نَحْنُ كَاذِبِينَ﴾، بعد طول محاورة. ثم إنهم لم يدعوا علماً [٩٧/ظ] بما قالوه من ذلك بل أفصحوا بأن ذلك ظن. فالمراد - والله أعلم - بما رمى به قوم نوح نبئهم^(٧) من الضلالة - وإن تضمن من حيث انتشار مواقع التفصيل واحتمل^(٨) قصدهم الكفر وعيره - ليس كما لو^(٩) فصحا ولا فقالوا^(١٠) إنه^(١١) كاد أو كافر^(١٢). واعتبر هذا النبي أوحشته تحذره وصح شيء، والله سبحانه أعلم^(١٣).

(١) الأنعام/٥٣.

(٢) الأحقاف/١١.

(٣) ج: اسبراً.

(٤) يوسف/١١٠.

(٥) الزخرف/٥٥.

(٦) مكانها بيض في ج.

(٧) ساقطة من ج، ك.

(٨) ساقط من ج، هـ، ك، ب.

(٩) في ك فقط.

(١٠) ع: إليك.

(١١) في ك فقط.

(١٢) زاد في ج «بما أراد».

١٣٧ - الآية الرابعة عشرة (١) من سورة الأعراف قوله تعالى :

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ
مِنَ الْعَالَمِينَ^(٢) . إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ
أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ . وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ
قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ . فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ
الْغَابِرِينَ . وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾
(٨٠-٨٤) .

وفي سورة النمل (٥٤-٥٧) : ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ
تُبْصِرُونَ^(٣) . أَتَيْنُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ
تَجْهَلُونَ . فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ
إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ . فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ . وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ .

وقال في سورة العنكبوت (٢٨-٣٠) : ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ . أَتَيْنُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ^(٤) فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ
قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ
الْمُفْسِدِينَ﴾ .

(١) ما بعدها إلى الأعراف محذوف من العنوان في ب .

(٢) ما بعدها إلى قوله «مطراً» محذوف من الآية في ب ، وفي موضعه «إلى قوله» .

(٣) ما بعدها إلى قوله : «الغابرين» محذوف من الآية في ب ، وفي موضعه «إلى قوله» .

(٤) ما بعدها إلى قوله «من الصادقين» محذوف من الآية في ب ، وفي موضعه «إلى قوله» .

قلت: قد تقدم^(١) البيان أن اختلاف مقالات الأنبياء لأممهم إنما هو لاختلاف مقاماتهم، إذ ليس دعاؤهم إياهم في موقف واحد، ولا لقوم مخصوصين، بل يدعو^(٢) النبي طوائف من قومه في أوقات مختلفة ومواطن شتى. وقد يكون للطائفة منهم خصوص مرتكب^(٣) فيراجي^(٤) بينهم^(٥) ذلك في دعائهم، وقد يخاطب ملاءم الأعظم في موطن، والفئة القليلة^(٦) منهم في موطن آخر وربما أطال في موطن وأوجز في موطن، وذلك بحسب ما يرويه عليهم السلام أجدى وأرجى، فلا يشكل على هذا اختلاف أقوالهم ولا اختلاف مجاوبة أممهم لهم فهذا مما لا يحتاج إلى سؤال عنه، وقد مر بيان ذلك، وإنما يبقى السؤال عن وجه خصوص كل سورة بما خصت به من ذلك، وإنما أجبت عن^(٧) ذلك، وأبدينا بحول الله وجه المناسبة والالتحام حتى يتبين أن كلاً من ذلك لا يصلح تأخير عن الموضع الذي ورد فيه تعويضاً بالوارد في غير ذلك [و/٩٨] الموضع منه، لم يبق في هذه الآيات ما يشكل، والله أعلم^(٨).

وفي قصة لوط^(٩) عليه السلام^(١٠) سبع سؤالات:

أولها: قوله في مطلع الآيات في الأعراف والنمل: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾، وقال في العنكبوت: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾.

(١) الفعل وحرف التحقير ساقطان من ج.

(٢) ج، هـ، ك، ع: يدعو.

(٣) ج، هـ: ومرتكب.

(٤) ج، هـ: براجي.

(٥) ج: بينهم.

(٦) ج، هـ، ب: البقية.

(٧) ج، هـ: على.

(٨) ك: ما يشكل عنه بحول الله، هـ، م، ب: والحمد لله.

(٩) زاد بعدها في ك وهذه.

(١٠) ساقط من ج، ع.

وثانيها: وصف حالهم في مرتكبهم في الأعراف والعنكبوت بقوله: ﴿وَمَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، وفي سورة النمل: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.

والجواب عن هذين السؤالين أن قوله في الأعراف والنمل: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾، الهمزة فيه للاستفهام المقصود به الإنكار والتعظيم في توبيخهم على الفاحشة الشنعاء التي لم يأتها غيرهم. ولما كان قد تقدم في الأعراف من ذكر الأمم المكذبين ذكر قوم نوح وهود وصالح، وذكرت مرتكباتهم السيئة من معاندتهم للرسول، وتكذيبهم، وسوء مراجعتهم، وذلك مما يطلع [عليه] من أتى بعدهم. وقد خص بالذكر من مرتكباتهم أقبحها مما استوجبوا به العذاب، وأخذ كل طائفة بذنبها، قيل لقوم لوط عليه السلام، إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ عَلَى سَوْءِ مَرْتَكِبَتِهِمْ لَمْ يَسْبِقُوكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، وَقَدْ سَمِعْتُمْ بِهِمْ، وَحَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمُ الْمَثَلَاتِ، فَنَاسَبَ مَا تَقْدُمُ^(١) مِنْ أَحْوَالٍ مِمَّنْ قَبْلَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَذَكَرَ تِلْكَ الْأَحْوَالَ عَلَى التَّفْصِيلِ أَلَّا وَتَّخِ قَوْمَ لُوطٍ نَقِيعَ جَرِيمَتِهِمْ، وَأَنَّ مَنْ قَبْلَهُمْ - عَلَى سَيِّئٍ^(٢) أَحْوَالِهِمْ - لَمْ يَرْضَها^(٣). فكان قد قيل لهم هذه قصص من تقدمكم، وذكر من مرتكباتهم^(٤) التي أجذوا بها، فهل وقع منهم ما وقع منكم أو هل سبق أحد منهم إلى مرتكبكم^(٥) الشنيع، فناسب ذكر الأمم المكذبين قبلهم تفريع هؤلاء بكونهم أول من فعل تلك الشناعة، وأنهم لم يسبقهم أحد إليها. ثم^(٦) قيل لهم في سورة النمل: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، أي تدركون فحشها

(١) ك، ب: قدم.

(٢) ك: شئ.

(٣) ج: يرضيها.

(٤) ج، ع: مرتكباتكم.

(٥) م، ك: إلى مرتكباتكم، ح، هـ: إلى مرتكبكم.

(٦) ساقطة من ك.

ببصائرهم، وأمرها غير خاف على كل ذي عقل، فهل يصدر هذا إلا من معاند، مُتَّصِفٌ^(١) بأعظم الجهل. وقيل أنهم كانوا بتجاهرون بها، ولا يستحي بعضهم من بعض، فالمراد^(٢) بقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، أي: ترون ذلك بأعينكم لا يستر بعضكم من بعض، تهكماً واستهزاء^(٣) هذا أعظم الجهل. فلستم ممن يفعل أو يعلم شيئاً، بل أنتم تجهلون. ولما لم يتقدم في هذه السورة تفصيل أحوال الأمم المكذبين، وأخذهم، ولم يذكر ذلك كان ذكرهم كأن لم يتعرفوا حال من تقدمهم، فعدل عن توبيخهم بما وُيُخَوَّأ، حيث ذكر من كان قبلهم إلى ضرب آخر من التوبيخ لم يكن نص عليه في الأعراف من بيان شيع المرتكب [٩٨/ظ] في فعلهم، وأنه غير خاف فقيل: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي أن من شأن من له عقل أو بصر يصر به على المأخذ الآخر أن يكتفي بعقله وإبصاره في مَيِّز ما يشنع. ثم قد تقدم في هذه السورة قوله في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾^(٤)، أي بينة واضحة أو مرئية مشاهدة بالأبصار جمحدوا بها، وهو من أقبح مرتكب. فلما تقدم هذا، ناسبه في قصة لوط عليه السلام قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، ولقبح هذا التعمي، ما أعقب بقوله بعد: ﴿وَأَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾. ولما تقدم في سورتي^(٥): الأعراف والنمل. تقريرهم تقريراً وتوبيخاً وعرفوا بذلك مرة بعد مرة، وردت قصتهم في العنكبوت مؤكدة بأن واللام لثبوتها، فوردت مورد ما يجيء به القسم ملقياً^(٦) به القسم، إذ قد

(١) ك: متصفاً.

(٢) ج، هـ، م، ب، ع: والمراد.

(٣) هـ، م، ك، ع: استهزاء.

(٤) ب: النمل / ١٣.

(٥) ك: سورة.

(٦) م، ع، ب: ملقياً، ب: ملقياً.

تقدم تقريرهم التوبيخ مرتين، فجاء الإخبار بعدُ بما به ^(١) يخبر عن المقرر الثابت، ولم يكن ليناسب العكس. وهذا على مقتضى الترتيب في السور والآي، فجاء كل على ما يجب.

والسؤال الثالث: أنه لما تقرر بقوله في الأعراف والنمل: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ فذكر مرتكبهم القبيح، وأنهم في ذلك من حيث لم يراعوا في فعلهم إلا مجرد الشهوة، ولم يلحظوا ما لحظه العقلاء، ولا ما قررته الشريعة من قصد التناسل والتوالد، وجُبلت عليه البهائم، وجرى التعريف من حالهم في سورة العنكبوت بمثل ذلك فقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾. فللسائل أن يقول ^(٢): ما وجه اختلاف ما بُني عليه هذا الإخبار في السورتين من وصفهم، ف قيل في الأولى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِفُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، والعدول في سورة العنكبوت من قوله: ﴿شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾، إلى قوله: ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾. ما الوجه في هذا وقد اتفقت الأخبار في مطالع الآي في هذه السور الثلاث؟

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أنه قصد بما ذكر في سورة الأعراف الإشارة إلى التعريف بانهماكهم في الجرائم، وقبيح ^(٣) المرتكبات، فنص على أفحشها، وحصل الإيحاء إلى ما وراء ذلك بما ذكر من إسرافهم، ف قيل: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِفُونَ﴾. ولما قيل في سورة النمل: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ كان أهم شيء أن تُنفى ^(٤) عنهم فائدة الإبصار، إذ

(١) ج، هـ، ع: بعدها به.

(٢) ل: إكم وهو نص آية الأعراف: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه...).

(٤) ل: قبح.

(٥) م: ينفي، ح، هـ، ع: انفي.

لم يُغْنِ^(١) عنهم شيئاً، فأعقب بقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُجَاهِلُونَ﴾، أي مرتكبكم مع علمكم بشنيع ما فيه من أقبح ما يرتكبه الجهال، ولم يذكر هنا إسرافهم، إذ [٩٩/و] قد حصل فيما ذكر في الأعراف.

وأما سورة العنكبوت، فقصد فيها^(٢) تفصيل ما أشير إليه في الأعراف من شنيع ما ارتكبه من إسرافه^(٣) فقيل^(٤): ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ وورد أولاً بحسب الترتيب المقرر عليه السور والآيات ذكر أفحش مرتكباتهم ثم أجمل القول في سائر جرائمهم^(٥) ثم أتبع في السورة الثانية^(٦) بشنيع حالهم في تلك الفعلة المنصوص عليها من حيث بيان فحشها للأبصار والبصائر ثم أتبع ذلك في السورة الثالثة بتفصيل بعض^(٧) قبائح أفعالهم^(٨) والتنصيص عليها. وجاء هذا^(٩) كله^(١٠) على ما يجب ولا يكون العكس فيما ورد يناسب^(١١)، والله أعلم.

والسؤال الرابع ما وجه الاختلاف الوارد^(١٢) في جواب^(١٣) قوم لوط عليه

(١) ك، ع: تغن.

(٢) ج: فقد (بياض) فيه.

(٣) ك: إسرافهم.

(٤) ساقطة من ك.

(٥) مكانها بياض في ج، ع.

(٦) ما بعدها إلى قوله الثالثة في ك فقط.

(٧) في ك فقط.

(٨) ك: أفعالهم.

(٩) ساقط من ج، هـ، ع.

(١٠) ب: وجاء كل هذا.

(١١) في ب فقط.

(١٢) ساقط من ج، ع.

(١٣) هـ: جوابه.

السلام له في سورة الأعراف: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ
مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ﴾ وفي سورة النمل: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ
إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾، وفي سورة العنكبوت: ﴿أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

والجواب أنه لما زيد في تعنيفهم في النمل وتعريفهم بإتيانهم الفاحشة
على علم بها، أو مع مشاهدة بعضهم بعضاً وعدم استخفائهم بها، وذلك
أقبح في المرتكب. فلما زيد في تعريفهم زيد في تعجيل الإخراج التنصيص
على الال^(١)، لأن قوله: ﴿آلَ لُوطٍ﴾، أنص في إخراج جميع من للوط
عليه السلام من ذويه^(٢) وأهله من قوله: ﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾، سزيادة^(٣)
التنصيص الأعم بإزاء الأزيد في التقرير. ولما عدّد من قبائح مرتكباتهم في
العنكبوت ما عدّد بقوله: ﴿أَتَيْنَاكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي
نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾، فكان تعداد مرتكباتهم أشدّ توبيخاً في تقريرهم^(٤)، وأنكأ
لتمييز أفئدتهم كان مظنة تهيج^(٥)، واشتعال^(٦) لسيء^(٧) أحلاقهم، وقبيح^(٨)
جوابهم، فجاءوا جواب من استحکم حنقه وطع على قلبه، فقالوا: ﴿أَتَيْنَا
بِعَذَابِ اللَّهِ﴾، تحكيماً وتحقيقاً لتكذيبهم وشاهداً بتصميمهم على المعاندة
والكفر، لأن قولهم في الموضعين قبل: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ يفهم
بفحواه ما يستلزم إخراجهم من مجازاتهم على ذلك. فهو في قوة قول القائل

(١) ك، ع، هـ: الال (٢).

(٢) ب: دونه، ج، ع: ذو... هـ (هكذا) هكذا.

(٣) ك: فزيدة.

(٤) ج، ع: تعريفهم، وقد سقط من النسختين قوله: «وأنكأ لتمييز».

(٥) ج: تهيج.

(٦) ساقطة من ع.

(٧) ج، ع: السيء.

(٨) ج، هـ، ك، ب، ع: قبح.

لمعنده: أنا أعاملُك^(١) بكذا، فإن قدرت على الانتصار لمسك فافعل. وقول القائل: أنا أفعل كذا ولا أبالي بما يكون على ذلك، وكأن قد قالوا: ﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾، فإن كان [٩٩/ظ] عذاب فليأت به. فلما اشتد حنقهم هنا، طلبوا العذاب، وعدلوا عن ذلك السبب، استعجالاً للمسبب فجاء كل من هذا على ما يجب، والله سبحانه أعلم.

والسؤال الخامس قوله: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَافِرِينَ﴾، وفي سورة النمل ﴿قَدَرْنَا مَا مِنَ الْغَافِرِينَ﴾. وقد ورد في إهلاك امرأة لوط عليه السلام في الحجر ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَافِرِينَ﴾^(٢). للسائل أن يسأل عن^(٣) وجه الاختلاف فيما ذكر، وورود كل من هذه العبارات حيث ورد.

والجواب أن ﴿قَدَرْنَا مَا﴾ مُعْطٍ من المعنى ما يعطيه كانت من غير فرق. لأن المراد إلحاقها بالهالكين وإخراجها من الناجين، وهذا المعنى هو المراد بقَدَرْنَا مُشَدِّدًا. وكذلك قوله في الحجر ﴿قَدَرْنَا إِنَّهَا﴾. وأم وجه اختصاص كانت بآية الأعراف فليناسب إيجاز قوله: ﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾، وقوله في النمل: ﴿قَدَرْنَا مَا﴾، ليناسب ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾، وقوله في الحجر: ﴿قَدَرْنَا إِنَّهَا﴾، ليجري مع ما وُكِّدَ بِإِنْ ويناسبه كقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٥)، فقل مناسباً لذلك ﴿قَدَرْنَا إِنَّهَا﴾ وتناسب هذا كله.

(١) ج، هـ، م: أعلمك.

(٢) الحجر/ ٦٠.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه...).

(٤) الحجر/ ٥٨.

(٥) الحجر/ ٥٩.

والسؤال السادس، ما وجه تعقيب قوله في الأعراف: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ بقوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، وفي النمل بقوله ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ وهل كان يحسن العكس؟

والجواب أنه لما تقدم في الأعراف: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، حصل منه^(١) أن ارتكابهم^(٢) ما لم يسبق إليه غيرهم، وقد جمع إلى قبح الفحش الاجترام^(٣)، فأعقب^(٤) بقوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، ولما تقدم في النمل قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، حصل منه تعنيف وإنذار لم يقع مثله في الأعراف، إذ ليس موقع قوله^(٥): ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ في الإنذار والتعنيف كموقع تعريفهم بعلمهم بها وشنعة معانية بعضهم بعضاً في ارتكابها، فناسب إنذارهم^(٦) بهذا ما أعقب به^(٧) من قوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ﴾. ولو أعقبت آية الأعراف بهذا، وآية النمل بما أعقبت به آية الأعراف، لم يكن متناسباً، فجاء كل على ما يجب، والله أعلم.

والسؤال السابع ما وجه قوله في الأعراف: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾، منسوقاً بالواو، وفي النمل والعنكبوت: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ بالفاء مع^(٨) أن القصة واحدة فلا فرق بين الجوابين.

(١) ج، هـ: منهم.

(٢) هـ: ارتكاباتهم.

(٣) ك: راد هنا (من حيث لم يفعل تلك الفعل الشنعاء من تقدمهم فاجتمع إلى الفحش الاجترام فأعقب بقوله).

(٤) ج: فأعقبت.

(٥) هـ، م: قبله.

(٦) ج، ع: الإنذار.

(٧) ساقط من ج، هـ، ع.

(٨) ما بعدها إلى قوله ومع ما ساقط من ج.

والجواب أنه حيث يراد مع ما^(١)، سببية أو ما يشبه معنى المحازاة، وكان الكلام المجاوب بصريح الفعل، إذ هو أوضح إحراز لهذا المعنى [١٠٠/و]، فحيث جيء هذا فالوجه والأولى أن يترتب الجواب الفاء. وسواء تسبب عن الأول^(٢) أو أقيم مقام ما تسبب^(٣) عن الأول. مثال^(٤) الجاري على طريقة السببية قوله تعالى: ﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنسَى﴾^(٥)، وقوله^(٦): ﴿فَأَمْنُوا بِمَتْنَعَانَا إِلَىٰ جِبْنٍ﴾^(٧)، وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ﴾^(٨) وهذا كثير.

ومثال الثاني: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾^(٩)، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾^(١٠) فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١١). ولما تقدم في سورة النمل قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ آلَ فَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، أي: وقد مُنِحْتُمْ بصائر الفهم^(١٢) والاعتبار وأبصاراً لإدراك^(١٣) لأشياء^(١٤)، وإحراز الحياء المانع من مُوَاقَعَةِ العار^(١٥)، فما

(١) ك: معنى

(٢) ما بعدها إلى قوله وعن الأول: ساقط من ح

(٣) ك: يتسبب.

(٤) ب: مثل.

(٥) الأعلى/٦.

(٦) ساقط من ك.

(٧) الصافات/ ١٤٨.

(٨) الأعراف/ ٦٤.

(٩) الإسراء/ ٦٠.

(١٠) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه (الآية)

(١١) الأحقاف/ ٢٦.

(١٢) ع: للفهم.

(١٣) ج، هـ، م، ب: وأبصار - الإدراك.

(١٤) م، ب: للأشياء.

(١٥) ع: المكار.

إثم^(١) ذلك إلا التّعامي عن رشادكم، وتمادي عنادكم. فختام الآيتين^(٢) بقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ﴾، وقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُجَاهِلُونَ﴾. فالجملة الفعلية في^(٣) خبر المبتدأ في الأولى، وفي الصفة الموطئة للخبر في الثانية، مسوَّغ لتقدير معنى السببية، وأنسب لذلك من الوارد في سورة الأعراف، إذ الختم في الآيتين [الآخرين] قبل آية الجواب بالجمل الاسميَّة: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٤)، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾^(٥). فليس هذا في تقدير السببية كالأول. فالجواب هنا بالواو^(٦) وحسن هنا^(٧) مع جواز^(٨) الفاء. والجواب بالفاء حيث تقدم أقوى لمكان الفعل، وتكون المعنى عليه. فورد على ما يقويه السياق، ويشهد له المعنى.

وأما آية العنكبوت، فقد تقدم أيضاً فيها قوله تعالى: ﴿أَتَنْتَكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُم الْمُنْكَرَ﴾. فهذه جُمْلُ فعلية، وتقدير معنى السببية فيها كآية النمل. فالجواب فيها كما في آية النمل أولى وأجربى مع المعنى، وما يعطيه السياق. وكل من ذلك على ما^(٩) يناسب، والله أعلم.

(١) ج، هـ، م، ب، ع: زاد هنا كلمة «أنس».

(٢) يريد آيتي سورة النمل / ٥٤، ٥٥، وانظر في تخريجها وتخرّيج آية الأعراف الكشف ١/ ٥٥٨، ٤٥٦/٢.

(٣) ساقطة من ج، هـ، ب، ع.

(٤) الأعراف / ٨٠، العنكبوت / ٢٨.

(٥) الأعراف / ٨١.

(٦) ج: بالوارد. والمراد هنا آية الأعراف / ٨٢.

(٧) زيادة في ب فقط.

(٨) ب: جواب.

(٩) ساقطة من ج، هـ، م، ك.

١٣٨ - الآية الخامسة عشرة^(١) من سورة الأعراف (غ) قوله تعالى :

﴿وَأِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ (٨٥).

وفي^(٢) سورة هود (٨٤) : ﴿وَأِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ وفي سورة العنكبوت (٣٦) : ﴿وَأِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَبْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ فاختصت^(٣) آية العنكبوت بالفاء في قوله تعالى : ﴿فَقَالَ﴾ ، فيسأل عن ذلك .

والجواب عنه أنه لم يقع في سورة العنكبوت من ذكر إرسال^(٤) الرسل ما بُنيَ على ﴿أَرْسَلْنَا﴾ ظاهراً أو مقدراً منوطاً به ذكر المرسل إليهم بحرف الغاية الذي هو ﴿إِلَى﴾^(٥) ، غير^(٦) قوله تعالى : ﴿[و] لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ ، وقوله^(٧) : ﴿وَأِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ تعلق [١٠٠/ظ] حرف الغاية في الأولى بالفعل الظاهر ، وهو أرسلنا ، وتعلق في الثانية بأرسلنا المقدر . وقد قيل فيما بُني عليه^(٨) الإخبار بالإرسال في الأولى : ﴿فَلَبَثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾^(٩) بالفاء في قوله : ﴿فَلَبَثَ فِيهِمْ﴾ . فقيل في الثانية : ﴿فَقَالَ﴾ بالفاء ليتناسب^(١٠) . وما ورد في هذه السورة [من] ذكر

(١) ما بعدها إلى الأعراف ساقط من العنوان في ك .

(٢) إلى آخر آية هود ساقط من م .

(٣) ب : «يقال ما وجه اختصاص آية العنكبوت بالفاء في قوله تعالى : فقال ، والجواب عنه . . .» .

(٤) ج ، ب ، ع : إرساله

(٥) ساقط من م .

(٦) ب : غيره

(٧) ب : وقال .

(٨) ك : عن .

(٩) العنكبوت / ١٤ .

(١٠) ك : ليس .

إبراهيم ولوط عليهما السلام: فعلى غير البناء على أرسلنا ظاهراً أو مقدراً، وإيصاله إلى المرسل إليهم بإلى، بل عدل في ذلك إلى ما يصح فيه تقدير اذكر^(١) كقوله^(٢): ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾^(٤). فلما انفردت الآيتان أولاً، وهما آية إرسال نوح، وآية إرسال شعيب، لما انفردتا^(٥) بما ذكر، نوسب بينهما، فدخلت الفاء في قوله ﴿فَقَالَ﴾ في قصة شعيب عليه السلام، كما دخلت في قوله: ﴿فَلَبَّثَ﴾ في قصة نوح كما تقدم. وأما آية الأعراف وآية هود، فإنه لما ذكر في كل واحدة من هاتين السورتين جماعة من الرسل^(٦) مبيناً أخبارهم على وتيلة واحدة من ذكر الرسل والمرسل إليهم، وتكرر^(٧) ذلك، بدىء بأول قصة على الاستيفاء فقل: ﴿[و] لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾، ثم أوجز ما بعده فورد بغير الإفصاح بلفظ الإرسال، وبغير الفاء والتحم ذلك وتناسب، لاتحاد المقصد^(٨) في السورتين، والله أعلم.

١٣٩ - الآية السادسة عشرة قوله تعالى:

يَلِكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾.

(١) ج، هـ، ب، ع: تقديراً - ذكر

(٢) ج، هـ، ب، ع: لقوله.

(٣) العنكبوت / ١٦.

(٤) الأعراف / ٨٠، النمل / ٥٤.

(٥) ج، ع: انفردت.

(٦) ما بعدها إلى قوله «ذكر الرسل» ساقط من ج، هـ، ع.

(٧) ك: وذكرت.

(٨) ك: المقصد.

وفي سورة يونس (٧٤): ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾.

ورود في أول هذه السورة^(١) أيضاً (١٣): ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

فيها أربع سؤالات:

الأول: ورود الضمير المجرور في الآية الثانية من سورة يونس، وهو قوله ﴿بِهِ﴾ وسقوطه مما سواها.

والثاني: قوله: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾، فجيء بالاسم الظاهر في سورة الأعراف، واكتفى بالضمير في ثانية^(٢) يونس فقيل ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾.

والثالث: وصفهم في الأعراف بالكفر، وفي ثانية يونس بالاعتداء.

والرابع: قوله تعالى في الأولى من سورة يونس - عدولاً عما في السورتين - ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [١٠١/و].

للسائل أن يسأل عن ذلك^(٣).

والجواب عن الأول أنه لما تقدم في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾^(٤)، ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾^(٥). ثم قال بعد: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا

(١) يريد سورة يونس.

(٢) ب: آية.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك...).

(٤، ٥) الأعراف / ٨٦، ٨٧.

بِمَا كَذَّبُوا، وقع الاكتفاء بما تقدم من قوله: ﴿بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾. والذي أرسل به هو الذي طُلب منهم الإيمان به فحصل المقصود. فلو قيل أخيراً به لكان تكراراً، فاقضى الإيجاز وإحراز البلاغة حذفه، لحصوله، كما حذف من قوله: ﴿وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ مع أنه مراد. فحذف الموصول وصلته وربطهما، إذ التقدير: وطائفة لم يؤمنوا بالذي أرسلت به (١) لحصول ذلك مما تقدم.

أما قوله في يونس: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾، فإنه لم يتقدم هنا ما تقدم (٢) هناك فلم يكن بُدُّ من الإتيان بالضمير ليحصل ما وقع به التكذيب ولترتبط الصلة بالموصول.

والجواب عن الثاني «أن» (٣) قوله تعالى في سورة يونس: ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ مناسب ومرتبط بما افتتحت به الآية من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾، فأخبر تعالى بإنعامه على عباده ممن هداه ببعثة (٤) الرسل إحساناً وامتناناً. ولتقوم الحجة على الحلق فقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾ بإضافة هذا الفعل إلى الكتابة العلية وهي ضمير المتكلم فناسب ذلك ما بني (٥) عليه وارتبط به من قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾ مراعاة للتناظر والتقابل.

وأما آية الأعراف، فمبنية على مطلعها من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾، فلم يتقدم ما يُطلب بورود الفاعل مضمراً على ما يجب، إذ لا طالب بمناسبة.

(١) الجار والمجرور ساقطان من، ج، ع.

(٢) سقط من ج قوله: «هنا ما تقدم».

(٣) ساقطة من هـ، م، ب.

(٤) ك: بركة.

(٥) م: بني.

والجواب - عن الثالث أن آية الأعراف لما تقدمها قصص قد جرى فيها ذكر مكذبي الأمم أنبياءهم، وما ردوا عليهم، وخاطبهم به كقول كفار قوم صالح عليه السلام لمن آمن به منهم^(١): ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾، وقولهم: ﴿يَا صَالِحِ اتَّبِئْنَا بِمَا نَعْبُدُنَا﴾، وقول الملأ من قوم شعيب لمن آمن منهم: ﴿لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾، إلى ما بعد، وما قيل من سيء المحاورة من مكذبي الأمم، فحصل من هذه الآي من التعريف بحال هؤلاء من الأمم وتعقيب هذه القصص بذكر غيرهم من^(٢) الأمم ممن سلك مسلك من تقدمهم من المذكورين، ما ناسبه قوله تعالى عُقِبَ جميعها: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

وأما آية يونس فلم يتقدم قبلها تفصيل، ولا إفصاح لمخاطبة^(٣) نبي ومواجهته بمثل ما في^(٤) [١٠١/ظ] آي الأعراف، بل ورد ذلك مورد الإحمال^(٥) فناسه وصفهم بالاعتداء، وإن لم يقع إفصاح بكفرهم، مع أنهم كفار وأن ذلك حاصل من محمل ذكرهم، إلا أن جليل مناسبة النظم مقتضى ما ورد عليه كل مما في السورتين، وذلك واضح والله أعلم بما أورد.

والجواب عن السؤال الرابع أن قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ لم يتقدم قبله تفصيل قصص، ولا بسط قصة منها بل أوجز معنى ما انطوت عليه تلك القصة فعبّر عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ

(١) زيادة من هـ، م فقط.

(٢) ج، ك: فمن.

(٣) ج، هـ، م، ع: إيضاح لمخاطبة.

(٤) سقطت من النسخة هـ ما بعد ذلك إلى قوله وإن استوضحت ذلك، في آخر الآية الثالثة والعشرين من هذه السورة، ثم وصفت في موضع الصفحات ١٩٧-٢٠٠، أثناء سورة القيامة. ويقابل هذا السقط في م ١٠١/ط - ١٠٤/ظه.

(٥) ك: الأعمال.

قَبْلَكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴿١﴾، فَنَاسِبَ هَذَا الْإِيجَازَ﴿٢﴾ مَا بَيَّ عَلِيهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾. وَمِنَ التَّعْبِيرِ عَنِ الْمُشَارِ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَهْلَكِينَ بِالْإِجْرَامِ - وَهُوَ أَكْبَرُ﴿٣﴾ مَوْقِعاً مِنَ الْإِعْتِدَاءِ - لِيُطَابِقَ وَصْفُهُمْ بِالظُّلْمِ، وَالْمُرَادُ بِهِ تَكْذِيبُهُمُ الرُّسُلَ وَكُفْرُهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِيُطَابِقَ ذَلِكَ الْوَصْفَ بِالْإِعْتِدَاءِ، وَلَمْ يَوْصَفُوا أَيْضاً بِالْكَفْرِ إِذْ لَمْ يَقَعْ بِهِ إِفْصَاحٌ فِيمَا تَقْدِمُ، فَكَانَ وَصْفُهُمْ بِالْإِجْرَامِ أُنْسَبَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

١٤٠ - الآية السابعة عشرة﴿٣﴾ قوله تعالى:

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ. وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ (١٠٩-١١٣).

وَقَالَ فِي الشُّعْرَاءِ (٣٨-٣٤): ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ﴾ (٤) فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٥). فَجُمِعَ السَّحَرَةُ﴿٦﴾.

فِي هَذَا أَرْبَعُ سُؤَالَاتٍ:

أُولَاهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْأَعْرَافِ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾، وَفِي الشُّعْرَاءِ ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ﴾.

(١) ج، هـ، م: إيجاز.

(٢) ج: أكثر.

(٣) ب: الرابعة عشرة.

(٤) ج، م، ك، ب، ع: وأرسل، وصوابها في ك فقط.

(٥) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ج.

والثاني: قوله في الشعراء: ﴿يَسْحَرُهُ﴾، ولم يثبت ذلك في الأعراف.

والثالث: قوله في الأعراف: ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ^(١)﴾، وفي الشعراء: ﴿وَأَبْعَثْ﴾.

والرابع: قوله في الأعراف عقب قوله: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ غَلِيمٍ﴾
﴿وَجَاءَ السُّحْرَةُ فِرْعَوْنَ﴾، وأعقب في الشعراء قوله: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ
غَلِيمٍ﴾ بقوله: ﴿فَجُمِعَ السُّحْرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ^(٢)﴾. وقيل للناس هل
أنتم مُجْتَمِعُونَ. لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السُّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ^(٣)، وبعد ذلك
قيل: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السُّحْرَةُ^(٤)﴾.

والجواب عن الأول أنه لا توقف في أن موسى عليه السلام خاطب
فرعون وملاه، وأنه أمر بخطابهم، وإليهم أرسل. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ^(٥)﴾، وأنه لما دعاهم لتصديقه
والإيمان به^(٦) جواب فرعون وجاوب ملأؤه^(٧) بقول فرعون: ﴿إِنَّ هَذَا
لَسَاحِرٌ غَلِيمٌ﴾ [مما]^(٨) قال لملائه ومن حضره. ثم قال ملأؤه لحاضريهم
وبعضهم لبعض وإذا وضع أن ذلك القول صدر من فرعون وقاله أيضاً ملأؤه
بقي السؤال عن وجه اختصاص كل سورة بما خُصَّت. والجواب أنه لما
تقدم في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى

(١) الجار والمجرور ساقطان من الآية في ب.

(٢) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وبدله «الآية».

(٣) الشعراء / ٤١-٣٨.

(٤) الآية ٤١.

(٥) هود / ٩٦، ٩٧.

(٦) ك: «والإيمان بما قاله ملأؤه وقد حضره»، في موضع «والإيمان به» - إلى - ومن حضره.

(٧) ك: ملأؤه.

(٨) جميع النسخ: إم.

فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ^(١)، فوق ذكر الملاء مع فرعون، ناسب ذلك أن يُذكرُوا في الجواب حتى [١٠٢/و] يكون في قوة إن قيل: بعث إليهم، وخطبوا فقالوا، ولم يكن ليناسب: بعث إليهم، فقال فرعون. ولما تقدم في سورة الشعراء قوله: ﴿فَأْتِيَافِرْعَوْنَ﴾^(٢)، ثم جرى ما بعد من المحاوراة، ومراجعة الكلام بين موسى عليه السلام وفرعون ولم يقع ذكر الملاء هنا ناسب ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾، لأنه الذي راجع وخطب، فجاء كل على ما يجب ويناسب.

فإن قيل: فقد قيل في الأعراف: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ﴾، فقدم فرعون، فهو أعمد من الملاء لأنهم أتباعه وآله فبِمَ سُمِّيَ الجواب على ذلك. فيقال: قال فرعون؟

فالجواب أنه لو قيل. قال فرعون، لبقى التشؤف إلى تعرف قول الملاء وهم قد بعث إليهم، وخطبوا ولا بُدَّ من تعرف جوابهم، وبه يحصل تعرف جوابه هو؛ لأنهم^(٣) ناعوه وإما يتكلمون غالباً بما يريد ويصدر عنه ويبدأ به. وقد تبين ذلك في سورة الشعراء وأن فرعون خاطبهم. وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ خَوْفُهُ﴾، فجواب فحصل من جوابهم جوابه. ولو جواب هو وسكت ملؤه، لأمكن أن يكونوا قد استوضحوا الحق وخالفوا فرعون، كما جرى للسحرة، وقد كانوا ناصرين^(٤) لفرعون ومن معه. فجاء جواب الملاء منصوباً وحصل منه جواب متبوعهم، ولم يكن ليحصل من جوابه على انفراده، وحصلت مناسبة ما تقدم من قوله: إلى فرعون وملئه.

(١) الآية / ١٠٣.

(٢) الآية / ١٦.

(٣) ج، هـ، ك، ب، ع: لأنه.

(٤) ك: مناظرين.

فَإِنْ قُلْتَ: فقد ورد في الشعراء جواب فرعون دون جواب^(١) ملكه.

فالجواب^(٢). أنهم^(٣) قد جاوبوا بعد. وذلك أنه لما خاطب فرعون ملاءه الأقربين وألقى إليهم ما اعتمده بضلاله في أمر نبي الله موسى عليه السلام واستشارهم بقوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟﴾ وجاوبوه بموافقة العائدة على جميعهم بالخسران المبين بين ذلك قوله تعالى مخبراً عنهم: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ﴾. وهذا يوضح أن جوابهم في الأعراف مبني على استطلاع ما عنده وسماع ذلك منه كما وضع هنا، ثم روعي تناسب النظم والتقابل، كما تقدم. فقد تبين أن الوارد في سورة الشعراء لم يكن ليناسب المتقدم في سورة الأعراف، ولا الوارد في سورة الأعراف ليناسب ما تقدم في سورة الشعراء بوجه^(٤)، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٥).

والجواب عن السؤال الثاني أن زيادة ﴿بِسَحْرِهِ﴾ في الشعراء، لأنه من قول فرعون طاغية موسى عليه لسلام وهو أحق عليه من الملاء بجمعهم^(٦) وأعظمهم بغصاً له وكرهه [١٠٢/ظ] لما جاء به موسى فأكد بقوله: ﴿بِسَحْرِهِ﴾، طمعاً في صفوهم لقوله، والثبات على مذهبه الشنيع ومرتكبه. ورجاء أن يعتقد الملاء من قومه أن آية موسى عليه السلام سحر^(٧)، لا توقف فيها^(٨) فلم يقنع بقوله لملكه: إنه لساحر عليهم، وأنه يريد إخراجهم من أرضهم حتى سجل على ذلك وأكد طمعاً في قبول باطله بقوله بسحره. ولما

(١) م بعد ما إلى قوله (خاطب فرعون ملاء) ساقط من ك.

(٢) هـ: قلت، بدلاً من: فالجواب.

(٣) جميع النسخ: أنه.

(٤) ب: ولو كان بوجه.

(٥) النساء / ٨٢.

(٦) ج: بجمعهم، ب فجمعهم.

(٧) ب: بسحر.

(٨) ك: فيه.

لم يكن حال الملا من قومه كحاله فيما ذكر، اكتفوا بقولهم لرسولهم^(١) وبعضهم لبعض: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾. فهذا قول الملا والذي ثبت في الشعراء قول فرعون وزيادة ﴿يَسْحَرُهُ﴾ ليتبين حال الملا من حال فرعون المتولي كبر الأمر والتناسب بين. وكل في السورتين وارد على ما يجب. وقد وضح أن العكس غير مناسب والله أعلم.

ويشهد أن زيادة بسحره من فرعون لزيادة حنقه تكرر ذلك من قوله في سورة طه: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾^(٢).

وأما الواقع^(٣) بعد في هذه السورة من قوله سبحانه مخبراً عن الملا: ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَا يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا﴾^(٤) فإنما قالوه بعد تنازع وتفاوض^(٥) فيما بينهم ، وفرعون في جملتهم. يدل على هذا ما تقدم من قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾^(٦)، وقوله: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ﴾^(٧)، وإما أسروا نجواهم بعد تنازعهم في أعمال المكيدة فيما أحابهم، وفرعون مرجح ارائهم، وأبلغهم احتيالا وكيدا فيما تشاوروا فيه فلم يمكنهم في هذا المجتمع إلا القول بما رآه بعد^(٨) تنازعهم عليه، فقالوه^(٩) بتوقيف منه - وهو حاضرهم -

(١) ج، هـ: أرسلوهم.

(٢) طه / ٥٧.

(٣) ساقطة من ك.

(٤) طه / ٦٣.

(٥) م: وتعارض.

(٦) طه / ٦١.

(٧) طه / ٦٢.

(٨) هـ: رأى المغد.

(٩) ج، هـ: فقالوا.

حال تنازعهم، وقولهم لموسى عليه السلام: فإذا هو القائل لا الملاء.

وأما الوارد في الأعراف فقول الملاء، إذ لا يقتضي قوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ أن فرعون هو القائل وإن كان كذلك، بل الظاهر السابق من هذه العبارة أنه قول الملاء منفردين عن فرعون، والتناسب اللفظي هو المطلوب، وقد تبين.

والجواب عن السؤال الثالث^(١) وهو ورود: ﴿وَأَرْسِلْ﴾، في سورة الأعراف، وفي الشعراء: ﴿وَأَبْعَثْ﴾ فالجواب عنه مبني على الترتيب الذي استقر عليه المصحف فنقول: إنَّ أَرْسَلَ أَخْصَرُ في باب الإرسال من: ابعث، إذ لا يقال: أرسل، إلّا فيما كان توجيهاً فيه معنى الانتقال حقيقة أو مجازاً. أما بَعَثَ فأوسع، فإنه يقع بمعنى الإرسال، وبمعنى البعث الأخراوي ففيه اشتراك. فلما كان الإرسال أخصر، وقع الإخبار به أولاً، ثم وقع ثانياً بالبعث تنويعاً للعبارة وعلى الترتيب [١٠٣/و] في موقع اللفظ المطرد في القرآن ولا يمكن على ما تقرر من ذلك العكس. ونظير هذا مما تقدم: تَبَعَ وَاتَّبَعَ، وَيَذْبَحُونَ وَيَقْتُلُونَ، وقد مرّ بيانه، والاطّراد أوضح شاهد في هذا.

والجواب عن السؤال الرابع، وهو ورود قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾، في الأعراف، عقب قوله: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ غَلِيمٍ﴾، وتأخير الإخبار بمجيئهم في الشعراء، وورود: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ﴾. الآيات المذكورة فاصلة بين ما اتصل في الأعراف، فأعلم أولاً أن كلاً من العبارتين لا بد منها^(٢) في تحصيل المطلوب إذ جمعهم لا يعطى بهذه العبارة أنهم جاءوا فرعون ولا^(٣) مجيئهم فرعون يحصل منه المعنى الحاصل من قوله:

(١) مكانها بيض في ج، ب، ع.

(٢) ك. م. هـ.

(٣) ح، هـ: لا.

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ فلا بدُّ من العبارتين. فاجتمع مجموع ذلك في الشعراء، ولم يذكر^(١) ذلك^(٢) في الأعراف [مِنْ] جَمْع السحرة وما بعده.

[ويبقى]^(٣) السؤال عن وجه اختصاص كل من السورتين بما ورد فيها، واختصاص الشعراء بالاستيفاء.

والجواب عن ذلك أن قوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ إلى ما اتصل بهذا ممَّا يتضمَّن معناه فيه إطناب يناسب ما تقدم من ذلك في محاوراة موسى عليه السلام ومكالمته فرعون من لدن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾، إلى هذه الآية ولم يقع في قصصه عليه السلام في السور الوارد فيها قصصه من الإطالة في مراجعة فرعون مثل الوارد هنا فناسه ما أعقب به، مما لم يقع الإخبار به في الأعراف. ولما كان الوارد قبل آية الأعراف منياً على الإيجاز وتحصل المراد بأوحز كلام ناسبه إيجاز الآية المذكورة وورد كل من ذلك على ما يجب ويناسب، ولا يحسن فيه العكس، والله أعلم.

١٤١ - الآية الثامنة عشرة قوله تعالى في سورة الأعراف:

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَعْنُ الْغَالِيِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (١١٣).

وفي^(٤) الشعراء (٤١): ﴿فَلَمَّا^(٥) جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا

(١) ساقط من ج، وفي ب: يقع بدل يذكر.

(٢) ساقط من ع.

(٣) جميع النسخ: فيبقى.

(٤) إلى آخر الآية ساقط من ج، هـ، ع.

(٥) إلى قوله (نعم) محذوف من الآية في م.

لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ . قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١﴾ .

يسأل عن هذا في زيادة إذا في سورة الشعراء، وسقوطها في الأعراف وتجريد الأعراف في قوله: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا﴾ بخلاف الوارد في سورة الشعراء ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا أَجْرًا﴾ .

والجواب عن الأول أن (إذا) تقع جواباً وجزاء، والمعنى في السورتين مقصود فيه الجزاء، فوقع الاكتفاء في الأعراف بقوله تعالى: ﴿نَعَمْ﴾ . والمعنى نعم لكم ما أردتم من الأجر وزيادة التقريب والحظوة، ولا شك أن المعنى: إِنْ غلبتم فلكم ذلك، فالمعنى على ذلك. ثم ورد في سورة الشعراء مفصلاً بالأداة المحرزة [١٠٣/ظ] له، وهي (إذا)^(١)، لتناسب^(٢) بزيادتها ما مضت عليه أي هذه السورة من الاستيفاء والإطناب، كما تقدم وناسب سقوطها في الأعراف مقصود الإيجاز في هذه القصة، وقد مر هذا. وعلى ذلك^(٣) جرى الوارد من قوله في الأعراف: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا﴾، ويجري في مثل هذا كثيراً عطفه بالماء مناسباً لما يقصد^(٤) في الكلام من الارتباط، أو^(٥) بالواو تحكيماً للاشتراك.

ونظير الآية في سقوط حرف التشريك: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَتْكُونَ . قَالُوا يَا أَبَانَا﴾^(٦) ومجرى الأعراف في الآية أن يكون قوله: ﴿قَالُوا﴾، مقدراً الاستئناف، كأن قد قال قائل لما قال: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾، قيل فما فعلوا، أو ما قالوا؟ فجواب هذا المقدّر بقوله: ﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا

(١) ج: إذ.

(٢) ج، هـ، م، ك، ع: ليناسب

(٣) ج، ب، ع: هذا.

(٤) هامش ك: هنا بيض.

(٥) ع: و - بالواو.

(٦) يوسف/ ١٦.

لأَجْرًا. وهذا الضرب كثير فصيح وموجود حيث يقصد الإيجاز كهذه الآية.

وأما الوارد في الشعراء من قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السُّحْرَةُ قَالُوا﴾ فوارد على ما يُحتاج فيه إلى تقدير، وعلى ما هو الأصل في تركيب مثله من ^(١) الكلام، ومناسب للإطناب ^(٢) المبني عليه ما قبل الآية، وكل على ما يجب ^(٣)، والله أعلم.

١٤٢ - الآية التاسعة عشرة من الأعراف ^(٤) قوله تعالى ^(٥):

﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾
(١١٥).

وفي طه (٦٥): ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾.

وهنا سؤالان:

أحدهما: إن كلام السحرة وتخييرهم في الإلقاء على ظاهر السياق كان في موطن واحد، فما وجه اختلاف ما ورد في السورتين؟

والثاني: ما وجه اختصاص كل من السورتين بما ورد ^(٦) فيها؟

والجواب عن الأول أنه لا يلزم من الآية أن كلام السحرة هذا كان في

(١) ج، ك، ب، ع: في.

(٢) ب: الإطناب.

(٣) زاد هنا في ك «ويناسب».

(٤) الجار والمجرور ساقطان من م، ب.

(٥) محذوف من ب.

(٦) ج، ع: أورد.

موطن واحد، بل لعله كان في موطنين، أو لعله كن قد تكرر منهم، وإن كان في موطن واحد. ولعل بعضهم قال هدا، وقال بعضهم هدا، أو لعل المعنى الذي حكي عنهم تعطيه العبارتان. وهذا أقرب شيء لما بين اللغات من اختلاف المقاصد عند المواضع الأول^(١) أو قصد الإلهام، على الخلاف في ذلك. ومع هذه^(٢) الإمكانيات يسقط الاعتراض رأساً.

والجواب عن السؤال الثاني أن كل واحدة من الآيتين^(٣) جرت على وفق^(٤) فواصل تلك السورة ورؤوس آيها، فالعكس لا يناسب بوجه؛ فوجب اختصاص كل سورة بما ورد فيها [١٠٤/و].

١٤٣ - الآية الموفية عشرين^(٥) قوله تعالى:

﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (١٢١)، (١٢٢).

وكذلك في الشعراء^(٦). وورد في طه (٧٠): ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾.

هنا سؤالان كالمتقدمين، والجواب كالجواب من غير فرق.

١٤٤ - الآية الحادية والعشرون، قوله تعالى:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ (١٢٣)

(١) م، ب: المواضع الأولى.

(٢) ج: هذا.

(٣) ج، هـ، م، ب: الاثنين.

(٤) ساقطة من ج، ب، ع.

(٥) هـ: عشرون، وزاد في ع بعدها: «من سورة الأعراف».

(٦) الآية / ٤٨.

وقال في طه (٧١)، والشعراء (٤٩): ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾.

هنا سؤالان:

أحدهما: ظهور اسم فرعون في آية الأعراف وإضماره في السورتين.

والثاني: قوله في الأعراف ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾، فجر^(١) ضمير موسى عليه السلام بالباء، وقوله في طه والشعراء: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾ فجر^(٢) الضمير باللام، والمقصود واحد.

والجواب عن الأول، أنه لما تقدم في الأعراف قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾، فعرفت هذه الآية أنهم كانوا المتولين للجريمة من تكذيب الآية، ورد ما جاء به موسى عليه السلام ولم يجر هنا ذكر لفرعون، ولا فيما يلي^(٣) الآية^(٤) ويتلوها من المحاوراة والمراجعة بين الملأ وأتباعهم - إلى قوله - ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ فلما لم يقع إفصاح باسمه في هذه الجملة، مع أنه هو القائل على كل حال ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾، إخباراً، أو استفهاماً إنكارياً، ناسب هذا أن يُفصح باسمه ليرتفع الإلباس وهو إمكان أن يكون القائل: ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾ غير فرعون وإن بُعد ذلك. ولو لم يكن لبس البتة، فإن كونه لم يجر له ذكر مما يقتضي أن يذكر. ولما تقدم في سورة طه أمر موسى عليه السلام بإرساله إلى فرعون في قوله تعالى: ﴿وَأَذْهَبْ^(٥)

(١) ب: غير.

(٢) هـ: جرى، ك: فجر.

(٣) ع: تنى.

(٤) ساقطة من ك.

(٥) إلى قوله «طغى» في الآية الثانية ساقط من ج، ع.

إلى فرعون إِنَّهُ طَغَى ﴿١﴾ وقوله تعالى لموسى وهارون: ﴿أَذْهَبَا إِلَى
 فرعون إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿٢﴾ ثم كرر ذلك. ثم وقع بعد ذلك سؤال فرعون
 لهما في قوله: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ ﴿٣﴾، ثم في قوله: ﴿فَمَا بَالُ
 الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ ﴿٤﴾. ثم إن الله تعالى أخبر عنه بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
 كُلَّهَا فَأَكْذَبُوا أَهْلِيهَا﴾ ﴿٥﴾. ثم أخبر أيضاً عنه بقوله: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَكَ مِنْ
 أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ ﴿٦﴾ ثم قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ
 ثُمَّ أَتَى﴾ ﴿٧﴾ فتكرر ذكر فرعون واسمه ظاهراً ومضمراً ولم يجر لملئه ذكر
 مفصّل به ظاهر البتة ولا مضمّر سوى الجاري مضمراً في قوله: ﴿فَتَنَازَعُوا
 أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ ﴿٨﴾، إلى ما بعد هذا من غير إظهار
 البتة. فلتكرر اسم فرعون كثيراً، ظاهراً ومضمراً، وارتفاع اللّسّ الّته حسن
 إتيانه مضمراً في قوله: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ﴾، إذ ليس الوارد هنا كالوارد في
 الأعراف، للافتراق من حيث ذكرنا وكذا جرى في سورة الشعراء من تردّد
 ذكر فرعون في محاورته من أوّل السورة إلى الآية، ولم يحر ذكر ملئه إلّا
 مقولاً لهم في قوله: ﴿لَلْمَلَأِ حَوْلَهُ﴾، فناسب ما ذكر، صهر اسم فرعون في
 قوله: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾.

والجواب عن السؤال الثاني أن الباء في قوله: ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾، واللام في
 ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾، محتاج إلى كل واحدة منهما، من حيث إنّ التصديق والانقياد
 معنيان ^(٩) محتاج ^(١٠) إليهما، والباء تحرز التصديق، واللام تحرز الانقياد
 والإذعان؛ فبدأ ^(١١) بالباء المعطية معنى التصديق وهي أخص بالمقصود من
 اللام، فاقضى الترتيب تقديمها ثم أعقب [١٠٤/ظ] في السورتين بعد

(٨-١) الآيات / ٢٤، ٤٣، ٤٩، ٥١، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٦٢، ٦٣ على لترتيب.

(٩) هـ: معنيان.

(١٠) ك: محتاج.

(١١) ح ١٢، ع: فدأت، ك: فدى، ب: فبدأ

باللام^(١) حتى كان قد قيل لهم . أصدّقتموه مُنقّادين له في دعائه إياكم إلى الإيمان بما جاء به^(٢) من عبد الله ، فحصل المقصود على أكمل ما يمكن ، والله أعلم .

١٤٥ - الآية الثانية والعشرون قوله تعالى^(٣) :

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ . لَا قِطْعَنُ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِّنْ خِلْفٍ﴾
(١٢٣ ، ١٢٤)

وفي^(٤) سورة الشعراء (٤٩) : ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قِطْعَنُ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِّنْ خِلْفٍ﴾ .

وورد في سورة طه (٧١) : ﴿فَلَا قِطْعَنُ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِّنْ خِلْفٍ﴾ .

للسائل أن يسأل عن زيادة^(٥) اللام في قوله في الشعراء : ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ، وسقوطها في الأعراف ، وعن سقوط حرف التسويف واللام في طه جملة . فهذان سؤالان .

والجواب عن الأول منهما أن زيادة اللام^(٦) في الشعراء مناسب لما تضمنته^(٧) من الاستيفاء^(٨) الجاري في هذه القصة ، وقد تقدمت الإشارة إلى

(١) ج ، هـ : اللام .

(٢) ساقط من ج ، هـ ، ك .

(٣) العنوان ساقط من ع .

(٤) إلى آخر الآية ، بعد آية طه في ج ، ع مراعاة لترتيب السور في المصحف المتداول .

(٥) ب : صيغة السؤال (يقال ما وجه زيادة . . .) .

(٦) ب : الأم .

(٧) ج ، هـ ، م ، ب ، ع : تصحته .

(٨) ب : الاستئناف

ذلك. وذلك أن هذه اللام^(١) مقرّنة^(٢) من زمن^(٣) الحال، وتحقيق الوقوع، ولم يكن تقدّم في الأعراف، ولا في طه ما يحرز هذا المعنى فاستوفته هذه السورة^(٤)، ليناسب ذلك استيفاءها لما كان بين موسى عليه السلام وفرعون. وهذا مع ما تعطيه من التأكيد وما سوى هذا المعنى في هذه الآية، فلا فرق بين آية الأعراف وآية الشعراء، إلى قوله: ﴿مَنْ خِلَافٌ﴾.

وأما سقوط حرف التسويف في طه مع اللام، وهو جواب السؤال الثاني فللعوض^(٥) منهما وذلك العوض هو اللام والنون الشديدة المؤكدة في قوله: ﴿وَلْتَعْلَمَنَّ﴾. مع أن معنى التسويف قد تقدم مراعاة الترتيب. وإذا روعي ذلك وجد تدرّيج^(٦) زيادة التأكيد على ترتيب السور فالوعيد الواقع في آية طه أكّد من الذي في آية الأعراف، والذي في الشعراء أكّد من الوارد في طه، وإن استوضحّت ذلك^(٧) فهت^(٨) وجه تخصيص كل من السور الثلاث بما خصّت به.

١٤٦ - الآية الثالثة والعشرون قوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَأَضْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٢٤).

وفي طه (٧١) والشعراء (٤٩): ﴿وَلَأَضْلِبَنَّكُمْ﴾ بالواو، والمتوعّد به واحد في الموضعين.

(١) ب: الأم.

(٢) ج، هـ: معرفة.

(٣) م، ك: زمان.

(٤) هـ، م: الصورة.

(٥) هـ، م، ب: فلا عوض، ك: فلما عوض.

(٦) ك: تأكيد.

(٧) إلى هنا ينتهي خرم هـ الموجود بعد ذلك في الصفحات من ١٩٧ إلى ٢٠٠

(٨) م: وجدت، ب: ونعفت، وغير مفروضة في هـ، ومكسها بيّض في ج، ع.

فيسأل لِمَ لَمْ يَكُن العطف فيهما بحرف واحد، والواو أنسب؛ إذ التوعد^(١) بقوله: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَتُكُمْ﴾ لم يقصد فيه تراخ في الزمان ولا مهلة. فبابه أن يأتي بالواو أو بالفاء إن قصد رَغِي التعقيب. فللسائل أن يقول^(٢): لم عدل في الأعراف إلى «ثم»؟

والجواب أن ثَمَّ للتبائن والتراخي في الزمان. ويعبر النحويون عن ذلك بالمهلة وتكون للتبائن في الصفات والأحكام وغير ذلك ممَّا يُحْمَلُ به ما بعدها على ما قبلها من غير قصد مهلة زمانية، بل ليُعلم موقع ما يُعطف بها وحاله، وأنه لو انفرد لكان كافياً فيما قصد به. ومنه قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قُدِّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قُدِّرَ﴾^(٣) [و/١٠٥] ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ﴾^(٤). ثم عطف بعد ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٥). وقوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٦) ولم يقصد في شيء من هذا ترتيب زمني^(٧)، بل تعظيم الحال فيما عطف وموقعه ومكانته وتحريك النفوس لاعتباره. ولما تقدم في الأعراف تهويل الواقع من فعل السحرة وموقعه من نفوس الحاضرين، ولذلك آنس سبحانه نبيه موسى عليه السلام بقوله: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾^(٨)، ووقع التعبير عما ذكرنا بقوله: ﴿وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾^(٩)، فناسب رعيًا لفظياً وتقابلاً نظمياً تهويل ما توعدهم به فرعون فعطف^(١٠) بـثم لتحرز ما قصد فرعون من تعظيم

(١) ك: التواعد.

(٢) ب: يقال لم عدل.

(٣) المذثر / ٢٠، ١٩.

(٤، ٥) البلد / ١٧، ١١ على لترتيب.

(٦) طه / ٨٢.

(٧) ج، ب، ع، زمان.

(٨) طه / ٦٨.

(٩) الأعراف / ١١٦.

(١٠) ب. معطفه.

موقع ما توعدهم به ثابت في قوله ﴿لَأَصْلَبَنَّكُمْ﴾ عليهم. وأيضاً فإن فرعون وملاؤه حين رأوا ما جاءت به السحرة ووقع منهم موقعاً^(١) أطمعهم، وتعلق به رجاؤهم. ثم لما وقع ما أبطله وأوضح كيدهم فيه وباطلهم الخيالي، وجد الملا كذلك، واستشعر فرعون ما حلّ به وبملكه فهول في توعدده^(٢) ومقاله، تجلّداً وتَضَبُّراً، وتعزية لنفسه عما نزل به فأرعد وأبرق^(٣) في تهويله وما توعد به السحرة فقل: ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ﴾، فقد تناسب المتقابلان لفظاً ومعنى. ولما ضُمَّ^(٤) الواقع في سورة الشعراء لم يحتاج إلى هذا الرعي فحُطِفَ بالواو، ولم يكن على ما تقرر ليتمكن العكس، والله أعلم.

١٤٧ - الآية الرابعة والعشرون قوله تعالى:

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾^(٥) (١٢٥).

وفي الشعراء (٥٠) ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾.

للسائل أن يسأل^(٦) عن زيادة قوله ﴿لَا ضَيْرَ﴾ في سورة الشعراء، ولم يزد ذلك في الأعراف.

والجواب عنه أن قوله ﴿لَا ضَيْرَ﴾ مقابل به ما تقدم من قوله ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ لما اعتقدوا أولاً له عزة ونسبوا إليه، وظنوا أنه يقدر على ما يريد ويستبد بفعله. ثم لما وضع لهم الحق، رجعوا عن اعتقادهم وظنهم وعلموا أن القدرة والعزة لله سبحانه وسلموا لخالفهم ولم يُبَالُوا

(١) ج، هـ، ب، ع: موقعها.

(٢) ج، هـ، م، ب، ع: تجلّده.

(٣) ج، م، ب: فأرعدوا - برقاً.

(٤) هامش ك: «هنا بياض، وفي نسخة غيرها لم يكن بياض».

(٥) ج، هـ، م، ك، ع: «الْمُنْقَلِبُونَ» وهي الآية / ١٤ من سورة الزخرف.

(٦) ب: يسأل عن.

بفرعون وملكه فقالوا^(١): ﴿لَا ضَيْرَ﴾، أي لا ضرر، ولا خوف من فرعون، إذ العزة لله وحده. ولما لم يقع من قولهم في الأعراف أولاً مثل الواقع هنا، لم يجيئوا في الجواب بما جاءوا هنا، فافترق الموضعان^(٢)، وجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

١٤٨ - الآية الخامسة والعشرون قوله تعالى^(٣):

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴿١٨٨﴾.

وفي يونس (٤٩): ﴿قُلْ لَا [١٠٥/ظ] أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا
مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا
يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

للسائل أن يسأل هنا عن^(٤) تقديم النفع في الأعراف وتأخيره في
يونس، وعن تعقيب آية الأعراف بقوله ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ - الآية،
وآية يونس بقوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾.

والجواب عن الأول [أنه] لما تقدم سؤا لهم عن الساعة وتكرر في قوله:
﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا﴾^(٥)، أي عالم بها، وكأن ظاهر السياق يشير
إلى أنهم كانوا يظنون أنه عليه السلام يعلمها، فطلبوا تعريفهم بها، وأن
يخصصهم بذلك، ولا شك أن العلم بالشيء نفع^(٦) لصاحبه، فعرفهم بأنه لا

(١) ما بعدها إلى قوله: ضرر، ساقط من ج، هـ.

(٢) ج، هـ، ع: الوصفان.

(٣) العنوان ساقط من ع.

(٤) ب: يسأل عن.

(٥) الأعراف / ١٨٧.

(٦) م، ك: يقع.

يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، وتقدم ذكر النفع، لأنه مشير إلى ما ظنوه أنه عنده من علمها، فأعلمهم أنه سبحانه استأثر بعلمها، وأنه عليه السلام لا يملك من ذلك شيئا إلا ما شاء الله له مما عدا^(١) علم الساعة، لانفراده سبحانه عن خلقه بعلمها، لا يجليها لوقتها إلا هو. ثم تأكد هذا الغرض بقوله تعالى على لسان نبيه عليه السلام: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾، وهذا كله بين^(٢) التناسب. وأما تأخير ما تقدم في الأعراف، وفي سورة يونس، وهو قوله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فقدم الضر، فللمتقدم قبله من قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾^(٣)، فطلبوا هذا العذاب استهانة وتكديبا، ولم يعلموا ما في مطلبهم من المحنة، والمضرة العاجلة، فقال لهم عليه السلام بأمر الله تعالى: إني لا أملك الضر ولا النفع لنفسي، ولا لكم فلا تستعجلون ذلك، فليس بيدي. فقدم الضر لأجل ما تقدم من طلبهم إياه، وأخبروا أن لكل أمة أجلا، شاءه^(٤) الله وقدره لهم، ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. فقد وضع وجه التقديم والتأخير في الضر والنفع، وتوجيه التعقيب بما أعقب به كل من الأيتين.

١٤٩ - الآية السادسة والعشرون^(٥) قوله تعالى:

﴿وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ^(٦) إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٠٠).

(١) هـ، م: عدى.

(٢) ج، هـ، م، ب: من.

(٣) يونس / ٤٨.

(٤) ج، ك، ب، ع: لما شاءه.

(٥) ب، ع: السابعة والعشرون.

(٦) هـ، م، ك، ب: إلى قوله (بالله) من آية السجدة ساقط بانتقال النظر، وقد ختمت فيها الآية

بختام آية سورة السجدة.

وفي سورة حم السجدة^(١) (٣٦): ﴿وَأَمَّا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

فوردت الصفتان في سورة الأعراف على طريقة التنكير، ووردتا^(٢) في السورة الأخرى معرفتين وزيد قبلهما الضمير الواقع فضلاً، ف قيل: ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾.

فللسائل أن يسأل عن وجه التعريف^(٣) والتنكير، وعن زيادة الضمير.

والجواب عن السؤالين أن سورة الأعراف تقدم فيها^(٤) قبل الآية وصف الهتهم المنحوتة^(٥) من الحجارة^(٦) والخشب التي وُجِّعُوا بعبادتها في قوله في موضع آخر ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾^(٧)، فوصف هنا بأنها لا تخلق [و/١٠٦] شيئاً ولا يستطيعون لهم نصراً، ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا، وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٨). فنفي عنهم القدرة، والسمع، والبصر، وآلة البطش^(٩) بقوله^(١٠): ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾^(١١)، ولم يتقدم هنا ما يؤهم أدنى شيء يُنَحِّقُهَا بِشَبِّه الأحياء،

(١) هي سورة فصلت.

(٢) هـ، ج، ب، ك، ع: ورد.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه التعريف...).

(٤) ج: قبلها.

(٥) ساقطة من ج، هـ، ب، ع.

(٦) ح، هـ، ع: النجارة.

(٧) الصافات / ٩٥.

(٨) الأعراف / ١٩٨.

(٩) ك: آلة المشي وآلة البطش، ب: الطيش.

(١٠) ح، هـ، ب، ع: بقولهم.

(١١) الأعراف / ١٩٥.

فضلاً عما فوق ذلك. فورد الصفتان^(١) بقوله ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، مورداً لم يتقدمه ما يؤهم صلاحية شيء من ذلك لغيره تعالى مما عبده من دونه مما قصد هنا ولا ذكر دعوى شيء من ذلك من مدّع، فيستدعي ذلك التوهم مفهوماً بنفيه، فجاء على ما يجب.

أما آية السجدة فتقدم قبلها قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢). وقوله: ﴿وَقَبَضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمُ الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾^(٤)، فحصل من هذا أن مضلّهم^(٥) إنما كان من عالم الإنس والجن، وكلا الصّفين موصوف بالسمع والبصر، ممّن^(٦) يُنسب إليه علم بخلاف المتقدم^(٧) ذكره في الأعراف. فلما تقدم في سورة السجدة ما يظهر منه الغناء^(٨) ويمكن أن يسمع ويُبصر ويعلم، تأسه التعريف في الصفة ليعطي بالمفهوم نفي ذلك من غير الموصوف بهما تعالى. ثم أكد ذلك بصير الفصل المقتضى التخصيص ليقوى^(٩) المفهوم المسمّى عند كثير من الأصوليين بدليل الخطاب. فصار الكلام في قوة أن لو قيل: الله، السميع، العليم لا غيره، وأحرز الفصل بالضمير هذا^(١٠) المعنى مع إعطاء المفهوم إيّاه. ولم يكن ورود ما في سورة الأعراف من التنكير ليناسب الوارد متقدماً في سورة السجدة، ولا التعريف الوارد في الصفتين العليّتين في سورة

(١) هـ، ك: الصفات.

(٢-٤) فصلت / ٢٢، ٢٥، ٢٩ على الترتيب.

(٥) م، ب: مضلّهم.

(٦) ج، هـ: وما، م، ب، ع: وما.

(٧) ك: من قدم، م، ب: المقدم.

(٨) م: الغنى.

(٩) ك: فقوى، ب: قوى.

(١٠) ج، هـ: هو.

السجدة ليناسب ما تقدم آية (١) الأعراف. فجاء كل على ما يناسب والله أعلم بما أراد.

سورة الأنفال

١٥٠ - قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴿٧٢﴾

وفي سورة براءة (٢٠): ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾.

فقدم (٢) في آية براءة قوله: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، على قوله: ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ وفي الأنفال عكس ذلك.

فللسائل أن يسأل عن وجه ذلك (٣)، وخصوص كل من السورتين بما نُحْصِ (٤) به.

والجواب عن ذلك أن آية الأنفال (٥) مقصود بها (٦) - مع المدخلة - تعظيم (٧) الواقع منهم من الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال وتغيبطهم بما من

(١) ج، ب، ع: في سورة.

(٢) ج، م: فتقدم.

(٣) ب: صيغة السؤال (يسأل عن وجه...).

(٤) ك: نُحْصِيتْ.

(٥) زاد بعدها في ج، ك، ع ومعه.

(٦) ك: فيها.

(٧) ج: بمطيم.

الله عليهم به من ذلك [١٠٦/ظ] وتفخيم فعلهم الموجب لموالة بعضهم بعضاً. فقدم ذكر الأموال والأنفس تنبيهاً معرفاً بموقع ذلك من النفوس. وأنهم بادروا بها على حبها، وشحّ الطباع بها لقوله^(١): ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾، وليس تأخير هذا المجرور كتقديمه، لأنه إنما يقدم حيث يقصد اعتناء وتخصيص وتنبيه على موقعه. ومن نحو هذا قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٢). وقد تقدم هذا فإنما قدم تَغْيِطاً لهم وإعظاماً لفعلهم.

أما آية براءة فتعريف بأمر قد وقع، فبني^(٣) على التعريف بالمفاضلة بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وبين من آمن وهاجر وجاهد في سبيل الله بما له ونفسه بقصد^(٤) ردّ من ظن أن السقاية وعمارة المسجد الحرام أفضل، وعرف أن الإيمان وما ذكر معه أعظم درجة عند الله؛ فلم يعرض هنا داعٍ إلى تقديم ما تقدم في الأخرى، فتمحضت فضيلة ذلك المجرور هنا فأخر. وقد نص سيبويه على أن المجرور إنما يقدم حيث يكون مستقراً ويعني بذلك الخبر نحو: عندك مال^(٥)، ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ والقصد^(٦) تخصيص كناية^(٧) الإخلاص. والتخصيص مقصود في آية الأنفال ولم يقصد ذلك في براءة ولا وقع المحرور فيها خبراً؛ فوجب بمقتضى اللسان أن يقدم في آية الأنفال قوله ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ ويؤخر في سورة براءة. وقد وقع في كل واحدة من الآيتين^(٨) في كل من السورتين ما

(١) هـ، م، ب، ك: كقوله.

(٢) الإخلاص / ٤.

(٣) ج، هـ، ع: مبني.

(٤) ج، هـ، م: فقد.

(٥) ج، هـ: بحر سأل.

(٦) ك: ولقص.

(٧) ك: كناية.

(٨) ج، هـ: الايتين.

استدعى إيصال ما بعده به، ولم يكن ليناسب لو ورد بالعكس فوضح وجه^(١)
تخصيص الواقع في كل من السورتين بموضعه، والله أعلم.

سورة براءة^(٢)

١٥١ - قوله تعالى، وهو أول آية من متشابه هذه السورة (غ)^(٣) :

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٥)

وفيما بعد (٢٧) : ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

فاستوت الآيتان في إعلامه تعالى نبيه والمؤمنين أنه يتوب على من
يشاء. وفي ختم الآيتين بالصفيتين من صفاته سبحانه، ثم اختلفت الصفتان
فقل في الأولى : ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، وفي الثانية : ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

ووجه ذلك - والله أعلم - أن الآية الأولى أعقب بها ما تقدمها متصلاً
بها من الآي في كفار مكة، وفعلهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
التصديق والإخراج وبدئهم بالقتال يوم بدر، ونقضهم العهد في قصة خِزَاعَة
في صلح الحديبية. وهذا كله مبسوط في كتب السُّر والتفسير^(٤) فأمر تعالى
بقتالهم ووعد بتعذيبهم وإخزيهم والنصر عليهم وشفاء صدور من آمن من

(١) ساقط من ج، هـ، م، ع.

(٢) هي سورة التوبة.

(٣) ساقط من ج، هـ، م، ب، ع: وهي من المعفلات.

(٤) نزلت الآية المتقدمة في خِزَاعَة حين جعلوا يقتلون بني بكر بمكة عن قتادة وعكرمة، وقال
السُّدِّي: شفي الله صدور خِزَاعَة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم من بني بكر. أما ما
تقدمها من الآيات (٧-١٤) فقد نزلت في أبي سفيان، والحارث بن هشام، وسهيل بن
عمر، وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد وهموا بإخراج الرسول.
انظر الباب / ١١٤، أسباب النزول / ١٦٣، وجامع البيان ١٤ / ١٦١، ١٦٢.

خزاعة وغيرهم ممن آذوه قال تعالى: ﴿فَاتَّبَعْنَاهُمْ بِعَذَابِنَا فَأَبَدْنَا آلَ فِرْعَوْنَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْفَاسِقِينَ﴾ (١). ثم قال: ﴿وَيُخْزِئِهِمْ وَيُنْصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢). ثم قال: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ (٣) كآبي (٤) سُفيان بن حرب وعكرمة [١٠٧/و] ابن أبي جهم إلى من أسلم منهم بعد ما صدر من اجتهاده في الإذابة والصدء عن سبيل الله، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، أي بما في القتال، أو في (١) طي ما جرى من ذلك كله بتقديره السابق أولاً إذ لا تتحرك ذرة إلا بإذنه وتقدم علمه أولاً، وما في ذلك من الحكمة وختم أفعالهم السيئة بالأوبة والرجوع (٥) إليه سبحانه بسابق سعادة لمن شاءها له منهم. فهذا وجه النظم، والتناسب فيه واضح (٦).

وأما الآية الثانية فسبها - والله أعلم - ما جرى يوم حنين من تولي الناس مدرين حين ابتلوا بإعجابهم بكثرتهم فلم تغر (٧) عنهم شيئاً ولم يثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم أحد، إذ لم يبرح عليه السلام من مكانه، فلم يثبت معه إلا القليل من العدد القليل فنادى العباس رضي الله عنه: يَا لَلْأُتْصَارِ، فاستجاب ناسٌ وأنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين ومكن نبيه عليه الصلاة والسلام والمسلمين من أعدائهم، والقصة معروفة (٨). فختمت هذه الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، تأنيساً

(١) التوبة / ١٤.

(٢) الآية / ١٥ وفي ب: ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ - وهي الآية ٢٧ ما بعد هذه الآية.

(٣) ج، هـ، ع. كان.

(٤) ب: وفي.

(٥) ج: الروح.

(٦) هـ، م: أوضح.

(٧) ج: يغش.

(٨) يريد بذلك ما تقدم الآية من ذكر يوم حنين في آتي / ٢٥، ٢٦. وحين ما بين مكة والطائف قاتل فيها النبي صلى الله عليه وسلم هوارن وثقيف، وفيها ظن فريق من المسلمين أن كثرتهم

لمن فرّ من المسلمين في ذلك اليوم، وبشارة لهم^(١) بتوبة الله عليهم، وأنّ ما وقع منهم من الفرار مغفور لهم رحمةً من الله فجاء كل من هذا على ما يناسب ويلائم^(٢) ولا يلائم خلافة، والله أعلم.

١٥٢ - الآية الثانية قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٩)

وورد بعد هذا بآية (٢٤): ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. وبعد الحزب الأول عن هذه السورة (٣٧): ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. وفي ذكر المنافقين عن هذه السورة (٨٠): ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه^(٣) افتراق أوصاف المذكورين في هذه الآية بالظلم والفسق والكفر وهل ذلك لذاعٍ من المعنى؟ والجواب أن كل وصف منها إنما جرى على ما تقدمه لذاعٍ مناسب من المعنى، أما الآية الأولى فإن قبلها^(٤) قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٥). وهؤلاء المقول لهم: ﴿أَجَعَلْتُمْ﴾^(٦)، إنما هم^(٧) كفار قريش، ممّن ظلم نفسه بالتقصير في النظر، وظن أن عمله من

■ ستنصرهم فهزمهم الله، ثم كشف الهزيمة عنهم وأمدّهم بالسكينة والملائكة جنوداً ونصرهم على عدوهم. انظر الباب / ١١٥، ١١٦، وجامع البيان ١٤ / ١٨٠-١٩٠.

(١) ساقط من ج، هـ، ب، ع.

(٢) ساقط من ج، هـ، ك، ع.

(٣) ب: يسأل عن وجه.

(٤) ج، هـ، م، ب، ع: قبله.

(٥) الآية / ١٩.

(٦) ساقطة من ج، هـ.

(٧) ح، هـ: انهم.

سقاية الحاج وإعمار المسجد الحرام كافٍ مخلص عند الله، وأن المؤمن بالله واليوم الآخر المجاهد^(١) في سبيل الله، ليس بأفضل حالاً وعملاً منه. فَرَدَّ اللهُ مَقَالَهُمْ وَقِيلَ لَهُمْ: ﴿لَا يَسْتَوُونَ جُنْدَ اللَّهِ﴾، ومن ظن ذلك كما ظنتم فظالم لنفسه من حيث قَصُرَ في نظره مع تنبيه^(٢) [إلى^(٣)] النظر في وجهه [١٠٧/ظ] ما به خلاصه، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. وهم الذين سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون بظلمهم أنفسهم. وأما الآية الثانية فَكُفَّ وَمَنَعَ لِلْمُؤْمِنِينَ عَنِ ارْتِكَابِ مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ. ألا ترى أن قبلها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ - الآية^(٤). فَنُهِوا عَنِ مُوَالَاةِ مَنْ ذَكَرَ مِنْ آبَائِهِمْ، وَإِخْوَانِهِمْ، إِذْ كَانُوا مُؤَثِّرِينَ لِلْكَفْرِ مُسْتَحْبِبِينَ عَلَى الْإِيمَانِ. ثم قيل لهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٥)، ثم أعقب بقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ^(٦) مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^(٧) وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾^(٨)، أي أنكم إذا اتَّصَفْتُمْ بهذا فقد خرستم عن دينكم وفارقتم إيمانكم ولجقتكم بمر كفر بعد إيمانه^(٩)، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١٠)، والفاسق الخارج.

(١) ج، هـ: المجاهد.

(٢) ك: التنبيه.

(٣) ج: عن، هـ، م، ك، ع، ب: على

(٤، ٥) التوبة / ٢٣.

(٦) ما بعدها إلى قوله ورسوله ساقط من الآية في ك.

(٧) هـ، ب: زاد هنا وأي أن أنتم ما ذكر وكان أحب إليكم من الله ورسوله.

(٨) التوبة / ٢٤.

(٩) ج: إيمانهم.

(١٠) التوبة / ٢٤.

وأما الآية الثالثة فقبلها قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(١) ، ثم ذكر مُرْتَكِبِهِمْ فِيهِ وَتَزْيِينُ ذَلِكَ لَهُمْ لِمَا قَدَرُ لَهُمْ مِنْ تَمَادِيهِمْ فِي كُفْرِهِمْ فَقَالَ : ﴿ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٢) . فَوَسَّيُوا أَوَّلًا بِالْكَفْرِ فَقِيلَ : ﴿ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ تَقْدِمَ لَهُمْ إِيْمَانٌ ثُمَّ خَرَجُوا عَنْهُ ^(٣) بَلْ كَانَتْ حَالُهُمُ التَّمَادِي عَلَى كُفْرِهِمُ الَّذِي لَمْ يَتَقَدَّمْهُ إِيْمَانٌ . وَلَمَّا ذُكِرَ بَعْضُ مَا حَمَلَهُمْ عَلَيْهِ كُفْرُهُمْ ، وَأَنَّهُ مِنْ سُوءِ أَعْمَالِهِمْ ، وَمِمَّا زَيَّنَّهُ الشَّيْطَانُ لَهُمْ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

وأما الآية الرابعة ، فَهِيَ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاثَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ ^(٤) لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ^(٥) . الْآيَاتُ . فَوُصِفُوا بِالتَّظَاهَرِ بِالْإِسْلَامِ ثُمَّ خَرَجُوا ^(٦) بِشَنِيْعِ كُفْرِهِمْ وَقَبِيْحِ مُرْتَكِبَاتِهِمْ ، وَوُصِفَهُمْ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ لَا يَجِدُ إِلَّا جَهْدَهُ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ^(٧) ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ^(٨) . فَلَخَرَجَهُمْ وَمَفَارَقَتَهُمْ مَا قَدْ كَانُوا تَظَاهَرُوا بِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَوُصِفُوا بِالْفُسْقِ الَّذِي هُوَ الْحُرُوجُ وَالْمَفَارَقَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ : فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ إِذَا خَرَجَتْ عَنْ ^(٩) قَشْرِهَا . قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ ^(١٠) ، فَقَدْ وَضَحَ فِي كُلِّ آيَةٍ مِنْ هَذِهِ أَنَّ

(٢، ١) التوبة / ٣٧ .

(٣) ساقط من ج ، هـ ، م .

(٤) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب .

(٥) التوبة / ٧٥ .

(٦) ك : خرجوا عنه .

(٧، ٨) التوبة / ٨٠ .

(٩) ج ، هـ ، ب ، ع : من .

(١٠) الكهف / ٥٠ .

ما أنجر فيها من وُسْم من أريد بها وجرى ذكره قبها بمقتضى ورود ذلك الوصف على ما ورد عليه، وأنه لا يلائم كل آية منها إلا ما أعقبت به، والله أعلم.

١٥٣ - الآية الثالثة، قوله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢).

وفي سورة الصف (٨): ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾. ومعنى الأيتين في السورتين واحد، وقد زادت آية براءة على آية الصف [١٠٨/و] عشرة أحرف صُوراً.

فلسائل^(١) أن يسأل عن وجه^(٢) ذلك.

والجواب عنه والله أعلم أن زيادة آية براءة مقابل بها ما ورد من الطول في المحكي في هذه السورة من قول الطائفتين من اليهود والنصارى. قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٣). فوقع في المحكي هنا^(٤) طول اقتضى طول ما بُني^(٥) جواباً عليه ليتناسب^(٦). وأما آية الصف فمقابل بها قول قوم عيسى عليه السلام، لما قال لهم^(٧): ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ

(١) ج: للسائل.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك..).

(٣) الآية / ٣٠.

(٤) ساقط من ج، ع.

(٥) م: بني.

(٦) ح: ليناسب.

(٧) ساقط من ج، ع.

مُصَدِّقًا^(١) لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ
أَحْمَدُ^(٢) ثُمَّ قَالَ تَعَالَى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
مُبِينٌ﴾^(٣) . وإنما الجواب عن^(٤) المحكي من قولهم خاصة وهو قولهم:
﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ وليس هذا في الطول وعدة الكلم كالْمَحْكِي في سورة
براءة. ألا ترى أن الواقع في سورة براءة بست كلمات، وفي الصف ثلاث
كلمات. ثم إن الواقع في سورة براءة مقال طائفتين وهم^(٥) اليهود
والنصارى مفضحاً به، والواقع في الصف مقال^(٦) طائفة واحدة، وهذا
مراعى. فقد وضع ورود^(٧) كل من الآيتين مناسباً لما اتصل به، وعلى ما
يجب في السورتين^(٨)، والله أعلم بما أراد^(٩).

١٥٤ - الآية الرابعة (غ)^(١٠) قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٤٢)

وفيما بعد من هذه السورة (١٠٧): ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.
وكذا في سورة^(١٢) الحشر (١١) والمنافقين (١)، فورد في الأولى:
﴿يَعْلَمُ﴾، وفي البواقي ﴿يَشْهَدُ﴾، مع أن المقصود في الأربع الآيات

(١) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».

(٢) (٣، ٢) الصف ٦/.

(٤) ك، ب، ع: على.

(٥) ك: منهم.

(٦) ك، ب، ع: مفلة.

(٧) ساقط من ج، هـ، م، ب، ع.

(٨) الجار والمجرور ساقطان من ك.

(٩) محذوف من ب «بما أراد».

(١٠) ساقطة من ب، ع، وهي من المفلات.

(١١) ب: إن المنافقين وهي في الآية الأولى من سورة «المنافقون».

(١٢) ك: سوري.

واحد، وهو أنه سبحانه عليم بما يُحْفَوْنَهُ أو يطهرونه من أعمالهم.
فللسائل (١) أن يسأل عن وجه ذلك (٢).

والجواب - والله أعلم - أن الاستطاعة أو عدمها حُكْم لا يُطْلَع عليه في الغالب، بل ينفرد كل بحاله في ذلك، إلا أن يُعلم ذلك بقرينة. فقول المنافقين في إخبار الله تعالى عنهم: ﴿لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ (٣)، غير مشاهد من ظاهرهم فقد كن يمكن صدقهم، أو صدق بعضهم (٤) لولا أنه سبحانه أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وما يكون من اعتذارهم قبل أن يقع منهم [عيبهم] (٥) وتفاعسهم (٦) عن الخروج فقال تعالى: ﴿لَوْ كُنَّا غَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ (٧) فأعلم تعالى بما يكون منهم قبل أن يكون، وذلك غيب وأعلم بوجه تفاعسهم وتثبطهم، وأعلم (٨) بكذبهم فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، فحصل العلم بحالهم بإخباره تعالى، ثم تكاثرت الشوهد عليهم. فلما [١٠٨/ظ] كان حال الاستطاعة (٩) على ما ذكرنا من الحفاء (١٠) لا يُطْلَع عليها، ناسب ذلك التعريف عن اطلاعه تعالى ما أخبر به (١١) من حالهم بالعلم (١٢) فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ

(١) ح: للسائل.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك . .).

(٣) التوبة / ٤٢.

(٤) هـ، م. نفسهم: أنفسهم.

(٥) في جميع النسخ: غيبهم - ولعل ما أشتاء هو الصواب.

(٦) م، ك، ب. ونفا - عنهم.

(٧) التوبة/ ٤٢

(٨) ك: ثم أعلم، ب: أعلم.

(٩) ح، م، ب: استطاعة

(١٠) ج، ب، ع: الخفى.

(١١) ك: حفوه، والجار والمجرور ساقطان من م.

(١٢) ح، هـ، م، ب، ع: ما يعلم.

لَكَاذِبُونَ»، ولا يناسب غيره.

وأما الآية الثانية فهي في أهل مسجد الضرار، وأمرهم مما قد كانوا تواطئوا عليه ولم يخف حال بعضهم عن بعض، وذلك بخلاف حال الاستطاعة وما يمكن فيها من الخفاء، فكان هذا مما يرجع إلى حكم الظهور والشهادة وهو سبحانه عالم الغيب^(١) والشهادة فكان ورود قوله تعالى هنا: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾، أنب. وكذا الحكم في آية لحشر لبنائها على قوله تعالى^(٢): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ إلى آخر الآية. وكل هذا قول مشاهد معلوم مدرك بحاسة السمع وما وعدوا به إخوانهم من نصرتهم والخروج معهم إلى أن حرقوا. كل ذلك مما كان يشاهد ووقع، وليس بشيء من ذلك كالاستطاعة في حفاها وغيبها؛ فناسب هذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. وكذا الوارد في سورة المنافقين^(٣) لأن قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ قول مدرك بالسمع، مع أن في هذه الآية قولهم: ﴿نَشْهَدُ﴾، وطابق^(٤) هذا وناسبه قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، وجاء كل من هذه الآي^(٥) على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

١٥٥ - الآية الخامسة قوله تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ (٥٤).

(١) هـ، م، ب: العيوب.

(٢) ساقطة من ج، ع.

(٣) إلى قوله ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ ساقطة من ج.

(٤) ك: مطابق.

(٥) ب: الآية.

وفيما بعدُ من هذه السورة (٨٠): ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ وبعد هذه الآيات (٨٤): ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى
أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ
فَاسِقُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن زيادة الباء في قوله^(١)، ﴿وَبِرَسُولِهِ﴾، ولم يرد^(٢)
في الآيتين بعدُ، والظاهر لتساوي في مقصود هذه الأخبار، فما لفرق وليس
في المعقب به بعدُ ما يُسأل عنه، لأنها مقاصد مختلفة.

والجواب أنك إذا قلت مثلاً: المانع من تقريب زَيْدٍ بِنَفَاقِهِ؛ فإنك لم تزد
على أن أخبرت عن علّة مع تقريب زَيْدٍ شَيْئاً. فإذا قلت: إن المانع من
تقريب زَيْدٍ بِنَفَاقِهِ، فقد زدت على الإخبار بالمانع^(٣) من التقريب تأكيداً ليس
في الأول لما زدت إن^(٤) المؤكدة للخبر^(٥). فإذا قلت: ما المانع من تقريب
زَيْدٍ إِلَّا بِنَفَاقِهِ، فقد حصرت المانع من التقريب في النفاق، وأكدت ذلك
تأكيداً أكثر من الحاصل بِإِنَّ. ولهذا اتفق الأصوليون على قوّة المفهوم في
قوله صلى الله عليه وسلم [١٠٩/و] «إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ»^(٦). ولم
يتفقوا في المفهوم الحاصل من قوله عليه السلام: «فِي سَائِمَةِ الْغَمِّ

(١) ب: صيغة لسؤب (يقال ما وجه زيادة في بقوله (هكذا)).

(٢) ك: ترد.

(٣) ج، هـ، ع: بلوقع.

(٤) ساقط من ج، هـ، م، ع.

(٥) ج، هـ: الخبر.

(٦) روى الشيخان هذا الحديث في جارية اشترتها السيدة عائشة لتعتقها فقال أهل الجارية:
نبيكمها هل أن ولاءها لنا، فحدث الرسول عليه السلام فقال: «لا يمنعك ذلك وإنما الولاء
لِمَنْ أَعْتَقَ» وفي رواية البخاري، فقال: «اعتقها فإن الولاء من أعطى نورق». البخاري

١٩٢/٣، ومسلم ٧٣١-٧٣٢، وانظر الترمذي ٤ / رقم ٢١٢٥

الزكاة»^(١). وذلك سبب ما تقتضيه إنما من معنى الحصر. وقد جرّده بعضهم عن المفهومات، وجعله دليلاً برأسه، لقوته وأبى أن يجعل^(٢) هذا من دليل الخطاب. وفي معنى قوله: إنما الولاء لمن أعتق، قولك: ما الولاء إلا لمن أعتق، فإن معناه حصر الولاء في المعتق^(٣)، وأنه لا ولاء لغيره. ومن هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٤)، أي: ما يخشاه تعالى حق الخشية إلا العلماء. وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(٥)، فنزه سبحانه نطق نبيه أن يكون بغير^(٦) وحى. وليس قولك في الكلام: هو وحى يُوحى، [ولاً] قولك: إنه وحى يُوحى^(٧)، في^(٨) قوة الإخبار القرآني من قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، لما بين قبل. فإذا وضع هذا فقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾، فقد ورد على أبلغ وحوه التأكيد، وحصل حصر المانع من القبول في كفرهم وأنه لو لم يكن الكفر لكان^(٩) القبول، فناسب هذا التأكيد الذي بلغ به الغاية، زيادة الباء في قوله: ﴿وَبِرَسُولِهِ﴾، لإعطائها معنى التأكيد وإحرازها إيّاه ولما لم يكن هذا التأكيد الحصري واقعاً في الآيتين بعد وإنما وكّد فيهما بأن قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا

(١) الحديث بلفظه في تخریج الفروع عن الأصول / ٧٣ وقد اختلفت الصحاح في الفاظه من حديث أس بن مالك عن أبي بكر: «وفي صدقة العنم لي سالتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة، شاء البخاري ١٤٦/٢، والترمذي ٣ / رقم ٦٢١.

(٢) ك: يحمل.

(٣) م: العتق.

(٤) فاطر: ٢٨.

(٥) النجم / ٤.

(٦) ج، هـ، ع: غير وحي.

(٧) ك: زاد هنا لما زدت من التأكيد بأن ولا قولك إنه وحى يوحى.

(٨) ح، ب، ع: وبي.

(٩) ك: لا كان.

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ^(١) . وقال تعالى : ﴿أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ، فلم يبلغ هذا^(٢) الإخبار مع تأكيده ، وقوته مبني على الأول [لما] لم تلحقه الباء ، وجاء كل على ما يجب والله أعلم بما أراد .

١٥٦ - الآية السادسة^(٣) من سورة براءة قوله تعالى في المنافقين :

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ . فَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٥٥-٥٤) .

وقال فيما بعد (٨٥) : ﴿وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ ، فحملت الآية الأولى على ما قلها بالفاء ، والثانية بالواو وزيدت لا النافية في الأولى ، وسقطت من الثانية ، وقيل في الأولى : ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ^(٤)﴾ ، وفي الثانية ﴿أَنْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ . وقال في الأولى : ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ، واكتفى بالوصف في الثانية فقيل : ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ ، فتلك أربع سوالات .

والجواب عن الأول أنه لما وصف تعالى أقوال المنافقين في كفرهم ، ونسبهم مرتكباتهم وقرر ما هم^(٥) عليه في آيات إلى قوله : ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ . فلما عرّف بأحوالهم قال لنبه عليه السلام فلا تعجبك أموالهم وكأن الكلام في قوة أن لو قيل : إذا عرفت أحوالهم فلا تغتر بما لديهم ، فتظن أن ما مكنائهم فيه ، ومنحناهم إياه

(١) م : ورسوله .

(٢) ك : بهذا .

(٣) ما بعدها إلى (براءة) محذوف من ب .

(٤) ما بعدها إلى قوله يعذبهم سقط من ك .

(٥) ح : ومن رماهم ، والصحيح سقط من ب .

[١٠٩/ظ] من مال وولد، إحسان عجلناه لهم: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١) ﴿إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾^(٢) والكلام في قوة الشرط والجزاء فكان موضع الفاء.

أما قوله في الآية الأخرى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾، فمنسوق على قوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾. وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ. وكل هذا نهى له صلى الله عليه وسلم أن يفعله وليس كالأول^(٣) في أن ذكر^(٤) مرتكباتهم ما بنى نهيه عليه السلام عليه فيتصور فيه معنى شرط وجزاء. فلا مدخل للفاء هنا، ولا هو موضعها.

والجواب عن الثاني أن الآية الأولى مقصود فيها من التأكيد ما لم يقصد في الثانية لما قيل له عليه السلام: وما منعهم أن تقبل منهم^(٥) نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله، وذكر له من قبيح^(٦) مرتكباتهم أشنعها، أكد نهيه عليه السلام عن أن يلتفت إليهم، تريباً لقدره^(٧) العلي عن الصغوة^(٨) إلى ما حاصله إملاء لأهله في الحقيقة استدراجاً ومناً^(٩)، فدخلت لا تأكيداً يناسب^(١٠) هذا القصد^(١١). ولما لم يكن في الآية الأخرى معنى اشتراط

(١) المؤمنون / ٥٥، ٥٦.

(٢) آل عمران / ١٧٨.

(٣) م: الأولى.

(٤) ساقطة من ك.

(٥) ساقط من ج.

(٦) ك: قبح.

(٧) ج، ع: بقدره.

(٨) ك: الصغوة.

(٩) جميع النسخ: استدراج وعنا^(٩).

(١٠) ج، ع: ناسب.

(١١) ك: المقصد.

وجزاء يقتضي التأكيد^(١) فلم تدخل لا فجاء كل على ما يجب ويناسب

والجواب عن السؤال الثالث، أن قوله في الآية الأولى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾، بلام الجر منسب لما في الآية من التأكيد، إذ لا يقتضي تراخياً، فناسب هذا ما ذكر من التأكيد. أما قوله في الآية الثانية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فيقتضي أن التأكيد لما لم يبلغ في هذه الثانية مبلغ الأولى بما تقدم فيها أشعرت أن بما فيها من التراخي، بأن هذه ليست من التأكيد في نمط الأولى. وهذا رعي مناسبة لفظية، إذ الإخبار بحالهم ومآلهم واحد في الآيتين^(٢) من غير فرق.

فإن قيل: فإن لَمْ كَيَّ في قوله: ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ تقدّر بعدها^(٣) أن على قول الجمهور^(٤)، فقد تساوت الآيتان. قلت: ليس المعنى مع تقديرها هو المعنى مع ظهورها، بل لظهورها حكم لا يكون في تقديرها، وقد نص سيويه - رحمه الله - على ذلك في باب الجواب بالفاء من كتابه، وأنه كلام العرب فتيّن أن قوله: ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾^(٥)، ليس كقولنا^(٦): ﴿أَنْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فيما يعطيه ظهور أن من التراخي، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الرابع أن قوله تعالى: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في الآية الأولى بالجمع بين الصفة والموصوف مناسب أيضاً، وملأتم أوضح ملاءمة للتأكيد الجاري. أما الآية الأخرى فلا تأكيد فيها، فناسب ذلك الاكتفاء بقوله: ﴿فِي الدُّنْيَا﴾، وجاء الكل على ما يجب ويناسب.

(١) ما بعدها إلى قوله (من التأكيد) في جواب السؤال الثالث، ي ك فقط.

(٢) ج، هـ، م: الاثنين.

(٣) جميع النسخ: بها.

(٤) انظر الكتاب ٧-٥/٣، «باب الحروف التي تضر فيها أن»

(٥) بعدها في جميع النسخ (إنه).

(٦) ك: كقوله.

١٥٧ - الآية السابعة من سورة براءة قوله سبحانه وتعالى .

﴿وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولَئِكَ الطُّوَلُ مِنْهُمْ، وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ [١١٠/و] رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٨٦-٨٧).

وقال بعدها (٩٣): ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَنتَازُونَكَ وَهُمْ أَغْيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. فيهما ^(١) سؤالان:

الأول ^(٢): قوله في الأولى: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، بناء الفعل للمفعول، مكثف به، وفي الثانية: ﴿وَطُبِعَ اللَّهُ﴾، بناء الفعل للفاعل على الأصل.

والثاني: قوله في الأولى: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾، وفي الثانية ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

والجواب عن الأول، أن مطلع الآية قبلها قوله: ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً﴾، على بناء ^(٣) الفعل للمفعول، فجاء قوله: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، على ذلك، ونوسب بختام هذه الآية بدء ^(٤) ما قبلها. وأما الثانية فلم يقع قبلها فعل بُني للمفعول، وقد ذكر الفاعل فيها، فجرى الكلام على ما يجب، فقيل: ﴿وَطُبِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.

والجواب عن الثاني أن قوله: ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ

(١) ج، هـ: فيها.

(٢) ساقطة من هـ، م، ك.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) ح، هـ، م، ك، ب: بداءة.

وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ﴿١﴾، لَمَّا اجتمع ذكر إنزال السورة والإشارة إلى ذكر المراد بها بقوله: ﴿أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ﴾ استدعى ذلك نظرَ مَنْ بَلَغَهُ هذا المنزَل، واعتباره، وتفهم المقصود به على الكمال ليقع الامتثال على وجهه. فلما تَرَامَوْا إلى الخلود إلى الراحة، وترك الجهاد الذي تحمَّلت الآية الأمر به (١)، ناسب ذلك أن يُنفَى عنهم الفهم والتدبر، ف قيل: ﴿وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾، والتفقه التفكير والاعتبار. ولما لم يقع في الآية بعد ذكر ما يحتاج إلى تدبره وتفهمه لقرب المعنى المراد منه؛ وذلك قوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ صُرف النفي إلى الحامل إلى التفهم وهو العلم ف قيل: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

١٥٨ - الآية الثامنة من هذه السورة قوله تعالى

﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٤).

وقال بعد هذا (١٠٥): ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ - الآية.

فيهما (٢) أربع سؤالات:

الأول قوله في الأولى: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾، بواو النسق، ولم يرد

(١) ساقط من ج.

(٢) ح، ب، ع: فيها.

فيها: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، وقال فيها: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾، وقال في الثانية: ﴿فَسِيرَى اللَّهِ﴾، بفاء التعقيب وفيها: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، ولم يقل في الأولى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، وقال: ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾، بالواو، وفي الأولى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾. فاختلفت الأبتان في ثلاثة [١١٠/ظ] مواضع^(١). فيسأل عنها، وهل كان يصح وقوع الأولى في موضع الثانية، والثانية في موضع الأولى وكل منهما على ما بُني. فهذه أربعة أسئلة^(٢).

والجواب عنها على^(٣) الجملة، أن الآية الأولى في المنافقين لم يخالطهم سواهم، والثانية في طائفة من المؤمنين كان فيهم تقصير، ولهم إيمان فأنسوا وقوي رحاؤهم. قال لطبري: «هي فيمن تاب من لمحلّفين»^(٤) قلت: ويشهد لهذا ما اتصل بالآية مما قلها، وابواق [في]^(٥) الأولى من قوله: ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾، أي لستم صادقين في اعتذاركم. ثم قال: ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أخباركم﴾، أي قد أطلعنا الله على نفاقكم، وسوء سرائركم. ثم قال: ﴿وسيرى الله عملكم ورَسُولُهُ﴾، وهذا تهديد عطف على مثله، وقصد تعريفهم^(٦) بالمحموع مما استوجبوا به المقت ولم يُعْطَفَ بالفاء، إذ ليس ما تعطيه من المعنى مقصوداً بها، ولم يقل هنا: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، إذ الاتفاق عمل يُخْفِيهِ المناق فلا يطلع عليه إلا الله سبحانه وقد يطلع عليه رسوله ومن شاء من عباده. وإنما كانوا يتظاهرون بخلاف ما [يسطنون]^(٧). ثم قال: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ

(١) ب: في المواضع.

(٢) ج: أربعة سؤالات، ع: أربع أسئلة.

(٣) ج، هـ، م: عن.

(٤) ج، ك، ع: المخالفين، وانظر جامع البيان ٤٦٢/١٤.

(٥) جميع النسخ: قل.

(٦) هـ: تقرعهم.

(٧) جميع النسخ: يطهرون.

الْغَيْبِ»^(١). فعطف رزهم إلى الله شَمَّ المعطية مع مهلة الزمن هنا، تفاوتاً في التهديد والوعيد، ولم تكن الواو لتعطي هذا المعنى وتحرزها، وقد تبينت الموضوع الثلاثة التي خالفت^(٢) فيها هذه الآية^(٣) الآية التي بعدها. وأما الثانية فهي في المتخفين عن غزوة تبوك. قال الطبري: [إنها] فيمن تاب منهم، كما تقدم، وقد وقع قبلها قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾^(٤)، ثم قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾^(٥) فأمره^(٦) سبحانه بأخذ زكواتهم وأخبرهم أنها تطهير لهم وتزكية وأمره^(٧) أن يدعو لهم بقوله ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، ثم زادهم تانيساً بقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾^(٨).

فإن قيل: إلك قد عضدت^(٩) هذا المأخذ في هذه الآية بما اتصل بها من قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، وهذه مطلقة يراد بها جميع من أمر بالركاة وهم المؤمنون، ولم تحتص^(١٠) بأهل توك ولا غيرهم قلت: إنما دليلي في اتصالها بالآية عقيب المتكلم فيها وفي اتصالها بها تحصل الشهادة، ويعتصم المراد، ويلتزم الظم، لأن من كان مقصوداً بالآية الثانية

(١) التوبة / ٩٤

(٢) ك: خلقت.

(٣) ج، هـ، م، ب، ع: الآيات.

(٤) التوبة / ١٠٢.

(٥) التوبة / ١٠٣، وطر جمع الباء ١٤ / ١٤٩-١٥٢.

(٦) ج، هـ، ع: فامر.

(٧) ج، هـ، م، ب، ع: وأمر.

(٨) التوبة / ١٠٤.

(٩) ج، هـ، م، ب، ع: عقدت.

(١٠) ج، ع: يختص.

وهي قوله: ﴿اعْمَلُوا﴾، على ما تمهد من جملة^(١) المؤمنين المخاطبين بالزكاة، فالمعنى^(٢) ومقتضى الظم وجلالة التركيب [١١١/و] وتناسب السياق تحصيل^(٣) الشهادة. ثم نرجع فنقول: قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا﴾، والمراد أمرهم بالذَّاب^(٤) على أعمال البرِّ لتمحو ما سلف من تقصيرهم. ونظير هذا ما وقع عقب قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ - الآية^(٥)، ثم قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾^(٦). فليس قوله: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا﴾، وإن كان قد يبدو منه تهديد كالواقع في الآية قبل، إنما هو في الحقيقة أمر بالعمل المرجوِّ مَحْوُهُ لما سلف من تقصير وتهديد لمن لم يتب، وقوله: ﴿فَسِيرِ اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾، جواب للأمر من قوله: ﴿اعْمَلُوا﴾، فالفاء جواب وكان قد قيل تانياً: اعملوا، فلن يُضَيِّعَ الله عملكم. وقيل هنا: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، لأن الأعمال الإسلامية يشاهدها المسلمون بعضهم عن بعض كالصلاة والزكاة والحج وغير ذلك من الأعمال فيرى المسلمون ما تُظهِرُ به من هذه الأعمال. ويشهده لما وراءها مما يرجع إلى قيل الإيمان من الاعتقادات القلبية وما يرجع إليها قال عليه السلام: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَشْهَدُ الْمَجْلِسَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ»^(٧)، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ

(١) م: حمه.

(٢) ج، م، ع: بالمعنى.

(٣) هـ: ويحصل. م: ويحصل، ك: ويحصل.

(٤) في جميع النسخ: للذَّاب.

(٥) (٦، ٥) الزمر/ ٥٣، ٥٤.

(٧) ج، ع: بالإسلام، وكما أثبتناه في بقية النسخ، وقد خرج الإمام أحمد، والفرطبي، وابن كثير الحديث عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَمْنَاهُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ» وخرجه ابن كثير بالفاظ أخرى من روايات: الترمذي، وابن مردويه، والحاكم انظر ابن كثير ٣/ ٣٤٠، ٣٤١، أحكام القرآن للفرطبي ٨/ ٩٠.

اللَّهُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ - الآية (١). ولهذا قيل في هذه الآية ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، ولم يقل ذلك في أعمال المنافقين، لأنها مما لا (٢) يتظاهرون بها للمؤمنين (٣). وهذا مما يعضد قول الطبري، لأن الآية في الثابتين من المتخلفين، لأن أعمال المنافقين قلما (٤) يتظاهرون بها للمؤمنين، إنما يُبدونها لإخوانهم قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ (٥). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ (٦)، وقال تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُتَدُونَ لَكَ﴾ فإنما يشاهد المؤمنون، ويرون ما يتظاهرون به من الأعمال. وفي هذا يشاركون نبيهم عليه السلام في رؤيته (٧) فتلك أعمال المسلمين لا أعمال المنافقين. فقوله: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ على هذه الصفة من التشريك بينهم وبين نبيهم عليه السلام في رؤيته (٨) بما هي أعمال الطاعة فهي التي تُشاهد، ويشاهد فيها (٩) بين المحافظ (١٠) والمقصر ألا ترى قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أخباركم﴾. فإنما نبأهم سبحانه وتعالى بما لم يشاهدوه، ولا رأوه من مضمرات المنافقين. ولما كان وصول المؤمنين إلى تعرف (١١) ذلك بإخبار الله تعالى من غير رؤية من

(١) التوبة / ١٨.

(٢) ساقطة م ج، هـ.

(٣) زاد هنا في ك (إنما يبدونها لإخوانهم - إن الآية في الثابتين من المتخلفين...).

(٤) جميع لنسخ: قل - ما.

(٥) البقرة / ١٤.

(٦) المائدة / ٦١.

(٧) (٨، ٧) ج، هـ: رأيته، ع: رأيته، م، ك، ب: رؤيته.

(٩) جميع النسخ: فيها.

(١٠) ح، هـ، ك، ب، ع: المحافظ.

(١١) ح، هـ، ك، ب، ع: تعريف.

المؤمنين. لذلك^(١) قال تعالى: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾، ولم يقل
هنا: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، لأنهم لم يحصل لهم شيء من أخبار المنافقين إلا
بإنباء الله تعالى لا^(٢) بإدراك رؤية [١١١/ظ] أما الآية الثانية، فقبل فيها:
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، لأن الواقع من هؤلاء - والله أعلم - أعمال مرئية كما قدمنا،
فشهد هذا السياق - والله أعلم - أن الآية الأولى في المنافقين المستمرين
على نفاقهم، وأن الثانية في التائبين المستمرين بعدُ على أعمال محمودة
تُشاهد وتُرى، هذا حاصل قول الطبري. وإن قلنا بما قال أبو محمد بن
عطية^(٣)، وزعم أنه الظاهر من المراد بقوله: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا﴾ - الآية،
الْمُتَعَذِّرُونَ^(٤) الذين لم يتوبوا، المتوعدون المعنيون بقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ فيعارضنا اتصالها^(٥) بما اتصلت به. وأما على
قول الطبري فلا إشكال وهو أظهر، والله أعلم بما أراد وقد استمر كلام من
وقفنا على كلامه من المفسرين على عوار هذا الموضوع دون نزول
للاعتبار^(٦)، وهو من^(٧) المواضع التي يحب أن يُتعرَّض لها، وقد حرى فيها
كلام الزمخشري على مقتضى قول الطبري من غير تعرُّض لغير ذلك^(٨)،
وهو ظاهر، والله أعلم.

(١) ج، هـ، ع: كذلك.

(٢) ساقطة من ج، هـ، ب، ك، ع.

(٣) هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي، المالكي، له تفسير بعنوان
«المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ويعد من طبقة الرغشري في تفسيره ويحتاجه. كان ابن
تيمية يثبته بالليل إلى آراء المعتزلة - توفي / ٥٤١ للهجرة - التفسير والمفسرون ١/ ٢٣٨-٢٤٢،
التفسير ورجاله / ٦٠-٦٤، الدودي ١/ ٢٦٠-٢٦١.

(٤) ج، هـ، م، ب، ع: المعتدون.

(٥) ج، هـ: اتصاله، ب: اتصالا.

(٦) ج، هـ، م، ب، ع: الاعتبار.

(٧) ح، هـ، ث، ب، ع، في.

(٨) انظر لكشاف ٢/ ٥٦، ٥٧.

١٥٩ - الآية التاسعة (غ) (١) قوله تعالى :

﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (١١٤)

وفي سورة هود (٧٥) : ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾. فتقدم في الأولى الوصف بأواه، وتأخر في الثانية وتقدم فيها وصفه بحليم.

ووجه ذلك - والله أعلم - أن الأواه الكثير التأوه. وفي كتاب ابن عطية إن التأوه (٢) التَّفَجُّع، فالمراد بالآية أن إبراهيم عليه السلام مع غلظة (٣) أبيه وقساوته [طَفِقَ يَذْعُوهُ] حتى قال له : ﴿لَنْ لَمْ تَنْتَبِهْ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ (٤)، وإبراهيم عليه السلام يتأوه تأسفاً وتحسراً على إياية أبيه عن إجاته واتساعه مع (٥) تَلَطَّفَ إبراهيم عليه السلام في قوله دعاءً لأبيه إلى الإيمان في إخبار الله تعالى عنه : ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ إلى قوله : ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾ (٦) وكان عليه السلام لهرط ترحمه ورافته (٧) وجلمه يتعطف على أبيه ويستغفر له، ولم يزل على ذلك إلى أن قطع [الرحاء] من حاله وتبين له أنه عدو لله فترأ (٨) فأخبر الله تعالى بيته محمد (٩) بما كان من أبيه إبراهيم في ذلك ليقتدي به، ويهتدي بهديه فقال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

(١) ساقطة من ج.

(٢) إن واسمها ساقطان من ج، هـ، ك.

(٣) ج : عضله.

(٤) مريم / ٤٦.

(٥) ج، هـ، م، ب، ع : عس.

(٦) مريم / ١٢-١٥.

(٧) ج، هـ، ع : رفته.

(٨) ج : فسر.

(٩) جميع النسخ (محمد) مرفوعة.

لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ»^(١) وأعلمه تعالى بعُذر إبراهيم في استغفاره^(٢) وأن ذلك كان^(٣) عن موعِدةٍ تقدمت منه، لأبيه فتقدم وصف إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بأنه أوَّاه وذلك مناسب لما بيَّناه.

أما آية هود فمُنزلةٌ على ما ذكره سبحانه من مجادلته في قوم لوط جرياً على وصفه سبحانه [١١٢ / و] من الحلم. فكان تقديم وصفه هنا بالحلم أنسب وأجرى ورودَه على ما بُني عليه. فوضح ورود كلا الموضعين على ما يجب ويناسب، ولا يمكن عكس الوارد على ذلك، والله أعلم بما أراد.

سورة يونس عليه السلام

١٦٠ - الآية الأولى منها (غ) قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (١).

وفي مطلع^(٤) سورة لقمان (١-٢): ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾.

وفي مطلع سورة يوسف (١): ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

فافتتحت هذه السور الثلاث بعد الحروف المقطعة في مطالعها بالإشارة إلى الكتاب المُذكَّر به والمنبّه بآياته، فقل: ﴿يَكُنْ لَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾، ثم وصف في السورتين، بـ﴿الْحَكِيمِ﴾، وفي سورة يوسف، بـ﴿الْمُبِينِ﴾، فيسأل عن ذلك.

(١) التوبة / ١١٣

(٢) ب: استغانة (هكذا).

(٣) ساقطة من ح، هـ، ب، ع.

(٤) ساقطة من هـ، م، ك، ع.

والجوب - والله أعلم - بأن سورتَي^(١) يونس ولقمان تردّد فيهما من الآيات المعتبر بها المطلع على عظيم^(٢) حكمته، وإتقانه للأشياء ما لم يرد في سورة يوسف كقوله: ﴿إِنَّ رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٣). وخلق السموات والأرض، وما انطوت عليه من أعظم المعتبرات قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾^(٤)، وقال: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥)، وقد تبع الآية المذكورة من سورة يونس ما يجاريها في التنبيه بما به الاعتبار كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عِذَّ السَّيِّئِينَ وَالْحِسَابِ﴾ - إلى قوله - ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٦)، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ. إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾^(٧)، لم يتخللها ما يحرّج عن باب الاعتبار من حكم أو غيره ولا من القصص إلا ما تضمن اعتباراً كالوارد في^(٨) قصة نوح من قوله لقومه: ﴿إِنْ كَانَ كِبَارُكُمْ مَقَامِي﴾ - الآيات إلى قوله - ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ﴾^(٩). والمراد من هذا الكلام تعجيزهم وقطعهم عما كانوا يرومون من المكرب عليه السلام، وإرادة إهلاكه وقد قطع عليه السلام ببصرة الله إياه عليهم وقطعهم دون ما يرومونه^(١٠)، وإن

(١) ج، هـ، م، ك، ع: سورة.

(٢) ج، هـ، م، ك، ع: عظم.

(٣) يونس / ٣

(٤) غافر / ٥٧.

(٥) الحاقة / ٣.

(٦) يونس / ٥.

(٧) يونس / ٦، ٧.

(٨) ك: من.

(٩) يونس / ٧١.

(١٠) ح، هـ، يرومونه.

تألفوا^(١) واجتمعوا، وذكر عليه لسلام شركاءهم وأن يكونوا معهم تهكماً بهم، وتوبيخاً على اعتمادهم على ما لا يعقل ولا يضر ولا ينفع، وفي هذا كنه أعظم معتبر. ثم ذكر تعالى نجاته نوح عليه السلام منهم في الفلك، هو ومن آمن معه، وجعلهم خلألق وإغراق أعدائهم المكذبين، ولم يُغْنِ عنهم كيدهم، ولم يرد هذا [١١٢/ظ] الصُّرْب المقتضب من قصة نوح عليه السلام، على هذه الصفة في غير هذه السورة لما قدمنا ذكره، ولم يكن ليناسب ما بُنيت عليه السورة غير هذا الورد. ومن نحو ما ورد من قصة موسى عليه الصلاة والسلام، ودعائه في قوله: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ﴾^(٢)، فكان ذلك حسبما دعاه إلى ذكر إغراقه في ملئه وطمعه في الإيمان حين أدركه العرق فقال: ﴿أَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾^(٣)، فلم يسمع ذلك لقوت وقته، فافتصر أيضاً على هذا لقدر من قصة موسى عليه السلام لما تقدم من مناسبة هذه السورة.

وأما سورة لقمان فورد فيها قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِعِزِّ غَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ - إلى قوله - ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾^(٤)، وبعد ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - الآية^(٦)، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ - الآية^(٧). وفي هذه السورة أيضاً ما مُنِح لقمان من الحكمة، وما انطوت عليه قصته من حكمة، وما صدر عنه في وصيته ولم تخرج أي هذه السورة عن هذا، فهذا وجه وصف الكتاب في هاتين لسورتين بالحكيم.

(١) هـ، م، ن، تألفوا.

(٢) يونس / ٨٨.

(٣) يونس / ٩٠.

(٤-٧) الآيات / ١٠ - ١١، ٢٠، ٢٥، ٣٤ على الترتيب.

وأما سورة يوسف عليه السلام، فلم تنطو على غير قصته، وبسط
لتعريف بقضيته، وبيان ما جرى له مع أبيه في فراقه وامتحانه بإيقائه في
لُجْبُ والبيع والتعرض له بالفتنة وتخلصه بسابق اصطفاؤه مما كيد به وابتلائه
بالسجن وجمعه بأخيه واشتعال^(١) شمله بأبيه وإخوته^(٢) عليهم^(٣) الصلاة
والسلام، ولم تخرج آية من آي^(٤) هذه السورة عن^(٥) هذا من بسط هذه
القصة. فهذا أتبع الكتاب بالوصف الميسر. فقد وضح ورود كل من
الموضعين على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

فإن قيل: ما وجه ورود الميم في سورة لقمان مكان الراء^(٦) في قوله
تعالى في السورتين، فقيل في مطلع لقمان ﴿آلَمْ﴾، مع موافقتها سورة
يونس عليه السلام فيما تمهد، ثم خالفها في هذا فقيل ﴿آلَمْ﴾. فلسائل
أن يسأل عن وجه ذلك

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن سورة لقمان تضمنت من تنبيه
والتحريك للاعتبار إصباحاً وإيماء للمؤمن والكافر ما لم تتضمن سورة يونس
على طولها، وإن كانت أيها كلها أي اعتبار إلا أنها ليست كالورد في ذلك
في سورة لقمان فمن التنبيه المتضمن تقريع من عده غيره سبحانه وتعالى
بعد ذكر خلق السموات بغير عمد وإرساء لأرض بالجبال وذكر ما [١١٣/و]
فيها من الدواب وإنزال الماء وذكر ما أثبت سبحانه من كل زوج بهيج، فقال
تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ ولا تجد

(١) ح، ب: اشتعال.

(٢) في ب فقط.

(٣) ج، هـ، م، ك، ع: عليهم الصلاة والسلام وإخوته

(٤) في ك فقط.

(٥) هـ، م، ب: عن.

(٦) ك: الرائي.

مثل^(١) هذا إلا حيث يُراد المبالغة في توبيخ من عند مع الله غيره. ويجري هذا في هذا المقصد - إلا أنه أرفق في التعنيف - قوله تعالى في سورة يونس^(٢): ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ - الآيات إلا أنها ليست كآية لقمان، ولا خُتِمت بمثل ما خُتِمت به. وقد تكرر هذا في آيات وآية لقمان من أشدها وعيداً. ولعظيم ما انطوت عليه أتبعها تعالى بتأنيس نبيه صلى الله عليه وسلم بعد قصة لقمان بقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾^(٣). وبإخباره أنهم لو سئلوا عن خلق السموات والأرض لم يجدوا مصرفاً غير الاعتراف فقال تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٤)، ليعلم عليه السلام أن ذلك من حالهم جارٍ بقدر الله، وما سبق في علمه، وهو الحكيم في أفعاله، ومن التنبيه للمؤمنين، ولغيرهم^(٥) فمن سبقت لهم السعادة قوله محاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(٦). وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ - الآية^(٧). فورد هذا التنبيه بهمة التقرير، ولم الجازمة، وهي الأداة المتكررة في آي التنبيه، فكَرَّرَتْ^(٨) في هذه السورة في ثلاث آيات، ولم تقع متكررة في شيء مما أتى بعدها من السور إلى آخر القرآن، ولا في سورة مما قبلها وما يماثلها في عدد كَلِمَتِهَا، ولا فيما هو الضَّعْف منها

(١) ساقط من ع.

(٢) الآية / ٣٤

(٣) لقمان / ٢٣، ٢٥

(٤) ح، هـ، م، ب، ع: وغيرهم.

(٥) لقمان / ٢٠.

(٦) زاد في ب من الآية هـ: ﴿ويولج النهار لي الليل﴾.

(٧) لقمان / ٢٩.

(٨) لقمان / ٣١.

(٩) ج، م: وكررت.

إلا في سورة فاطر وهي أطول من سورة لقمان فتناسب^(١) ذلك مع ما في هذه السورة من التنبيه الذي لم يرد ما يماثلُه فيما ذكر قبل في سورة يونس ورود^(٢) صورة أداة التنبيه في مطلعها^(٣) بوقوع الميم مكان الراء الواردة في مطلع سورة يونس.

وأما سورة يونس فمبنية على التعريف بربوبية الله تعالى وقهره. وقد ابتدئت ثالث آياتها بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ثم تكرر فيها اسم الرب سبحانه في بضعة عشر موضعاً. أولها هذا، وآخرها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمُ﴾^(٤)، ولم يرد من هذا في سورة لقمان غير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ - الآية^(٥) ثم إنه تكرر في سورة يونس من الكلام الواقع فيها الراء مائتا كلمة وعشرون كلمة، أو نحوها وأقرب السُّور إليها ما يليها [١١٣/ظ] بعدها من غير المفتحة بالحروف المقطعة سورة السحل وهي أطول منها. والوارد فيها [بمّا^(٦)] تركب على الراء^(٧) من كلمتها مائتا^(٨) كلمة، مع زيادتها في الطول عليها. فلمجموع ما ذكرنا وردت في الحروف لمقطعة في مطلعها الراء مكان الميم الواردة في لقمان، وجاء كل على ما يحب ويناسب والله أعلم.

(١) ج، هـ، م، ب، ع: تناسب.

(٢) ج، هـ، م، ب، ع: وورد.

(٣) ب: ومطلقها.

(٤) الآية / ١٠٨.

(٥) الآية / ٣٣.

(٦) جميع النسخ: لها.

(٧) ج، هـ، م، ب، ع: زاد هنا قوله «من الراء».

(٨) ك: مائة.

١٦١ - الآية الثانية من سورة يونس قوله تعالى :

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ (١٨)

وقال في الأنبياء (٦٦) : ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾.

وقال تعالى في سورة الفرقان (٥٥) : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾.

فقدم في سورة يونس، ما أخر في سورة الأنبياء والفرقان فيسأل عن ذلك.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن الموجب لتأخير : ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ في سورة يونس ما وُصل به من قولهم ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾. فكان قد قيل : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾. ويرعمون أن ذلك ينفعهم، ولم يكن ليناسب لو قيل : «ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم»، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [فتناسب^(١)] الوارد من متصل قوله ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾، بقوله : ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾. فما كان الاتصال فيما ذكر أنسب، وردت الآية بحسب ذلك.

أما آية الفرقان فإن قلها ذكر دلائل وشواهد من مصنوعات تعالى يهندي^(٢) المعتبر بالنظر^(٣) فيها إلى تخلصه من وطأة^(٤) الشكوك، ويستقيم له دينه وذلك أعظم النفع وأجله قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ

(١) جميع النسخ : تناسب.

(٢) ج، هـ، م : يهندي.

(٣) ج، هـ، م : بالظم.

(٤) ك : ورطت.

الظِّلُّ ﴿١﴾ - إلى قوله - ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾^(١). فلما تقدم التنبيه بهذه الآيات الواضحات الموقظات من سِنَاتِ الغَفَلَات، والمحَصَّلَاتِ أعظم النفع في امْتِثَالِ الواجِبَات، والنجاة من الضَّلَالَات، ناسبها تقديم ما قدم في الآية من قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾. وصار الكلام بقُوته مجاوباً لقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ﴾^(٢)، وورد كل على ما يجب، والله أعلم.

١٦٢ - الآية الثالثة^(٣) من سورة يونس (غ)^(٤) قوله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (٣١)

وفي سورة سبأ (٢٤): ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. فأفرد لفظ السماء في الأولى، وجمع في الثانية، مع اتحاد المعنى والتساوي في الفاظ الآية غير ما ذكر، فيسأل^(٥) عن ذلك.

والجواب أن الإفراد الوارد في سورة يونس محصّل للمعنى مع الإيجاز، فورد هنا على ما يجب.

وأما الوارد في سورة سبأ على الجمع فروعى فيه ما تقدم من قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ، وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ﴾^(٦). والمراد بذلك نفى الشركاء له تعالى ثم عاد الكلام إلى ذلك

(١) الفرقان / ٤٥-٥٤.

(٢) النحل / ١٧.

(٣) ما بعدها إلى يونس ساقط من م، ب.

(٤) ساقطة من ب.

(٥) ك: يسأل.

(٦) سبأ / ٢٣.

أيضاً فقال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على الجمع مناسبة لما تقدم إذ الآية قبلُ، وهذه في قضية واحدة هي نفي الشركاء والأنداد فجاءت على ما يناسب التي قبلها.

فإن قيل : فلم ورد الجمع في قوله في الأولى : ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾، وقد كان لفظ الأفراد يحرز هذا المعنى مع أنه أوجز. فالجواب أن ما قصد من قطع توهمهم أن شركاءهم^(١) ينفعونهم أو يملكون شيئاً، إن قُلْ، والتصرف في شيء مما قصد من هذا يقتضي تعميم النفي وتأكيد هذا الغرض بأعم مما يعبر به في ذلك، فتناسب ذلك جمع السموات ولم يكن^(٢) الأفراد ليناسب ثم نوسب بين هذه الآي التي بعدها في الجمع، ولم يكن في آية يونس ما^(٣) يستدعي ذلك، فجاء كل على ما يحب ويناسب، والله أعلم.

١٦٣ - الآية الرابعة من سورة يونس قوله تعالى :

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣)

وقال في سورة المؤمن (٦) : ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

للسائل أن يسأل هنا عن قوله في الأولى : ﴿كَذَلِكَ﴾، بغير حرف عطف^(٤)، وفي الثانية : ﴿وَكَذَلِكَ﴾ وعن قوله في الأولى : ﴿عَلَى الَّذِينَ

(١) بعدها بياض بقدر كلمة في كل النسخ.

(٢) سقط من ج، هـ (لم يكن).

(٣) هـ، م، ب : فلم.

(٤) ب : صيغة السؤال (يسأل عن ورود الآية الأولى بغير حرف عطف . . .).

فَسَقُوا، وفي الثانية ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وعن قوله في الأولى ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله في الثانية. ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾، فتلك ثلاث مسائل.

والجواب، أنه لما تقدم في سورة يونس قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ - إلى قوله - ﴿فَأَنَّى تُصِرُّونَ﴾^(١) [١١٤/و] فذكر^(٢) سبحانه عباده بما لا يجدون مَجِيصاً عن إضافة ذلك كله وإسناده إليه، إذ الرزق كالخلق، وقد كانوا يقرؤون بإسناد الخلق إليه سبحانه. قال تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٣)، وأخبر هنا سبحانه باعترافهم بإسناد ما قرؤوا عليه، إليه، بقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾^(٤)، قيل لهم: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٥)، أي عجباً لكم كيف تجمعون بين الإقرار بهذا كله، ثم لا تحافون من إليه [مصير]^(٦) ذلك كله، وتتخذون وقاية من عداه على مخالفتكم. ثم قيل لهم: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ﴾^(٧) أي: مالك ذلك كله، والمنفرد بتدبيره، هو ربكم الحق فكيف تصرّفون عه. ثم أخبر تعالى أن كلمته التي لا تُبَدَّلُ لما حَقَّتْ زُلاً على من انصرف عن الحق وتركه بعد بيانه بحسب ما قُدِّرَ له في الأرض ولم يُقْلَعِ عن ذلك إذ لا يُؤْمَنُ أبداً أن الذين حَقَّتْ عليهم كلمة^(٨) ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية. ولما لم يتقدم قبل هذه الآيات فيما اتصل بها مقال من ذكر مَنْ حَقَّتْ عليه كلمة^(٩) العذاب أتى بقوله: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ﴾، بصورة

(١) الأيتان / ٣١، ٣٢.

(٢) بعدها به - في ع فقط.

(٣) الزخرف / ٨٧.

(٤، ٥) يونس / ٣١.

(٦) مكانها بياض في كل النسخ.

(٧) يونس / ٣٢.

(٨) في جميع النسخ (كلمات) وصواب من لآية.

(٩) ج، هـ، ك: كلمات.

لاستئناف غير معطوف^(١)، إذ لم يتقدم ما يُعطف عليه وقيل فسقوا. لأن^(٢) ما تقدم مما قرروا عليه مع ما جعل لهم من الأسماع والأبصار والأفئدة ومُكِّنُوا من لظُر بما خلق لهم من الأدوات ووضوح^(٣) المنظور فيه. بمجموع هذا كانوا بمنزلة من تحصل له الأجر، وكأنه قد اتصف به وتمكَّنت حاله فيه، ثم تركه وخرج عنه. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾^(٤). فلام هذه الحال وسمُّهم بالفسق، فقيل: ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾. فاستحقوا على فسقهم بقدر الله عليهم أن يُبعثوا لتصديق وهو الإيمان فأضلَّهم الله على علم.

أما آية عاشر، فإنه تقدم قسماً قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٥)، ثم أعقب بذكر قوم نوح والأحراب وهم كل أمة برسولهم ليأخذوه، وجدلوا بالسُّلَّ ليدحضوا به الحق فأحذهم الله وأهلكهم بما حقَّ عليهم. ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ وأنها فكيف يصح منهم^(٦) الإيمان وقد حقت الكلمة: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾^(٧) فلما تقدم في هذه السورة، ذكر من حقت عليه كلمة العذاب، عطف عليه، ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ﴾ ولم يتقدم ذلك في يونس. ولما تقدم قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ولم يتقدم بسط دلالات مما به اعتبار لم يكن

(١) ك: معطوفة.

(٢) سافطة من ج، ع.

(٣) ج، هـ، ب، ع: ووضوح.

(٤) البقرة/١٦.

(٥) الآية/٤.

(٦) هـ، ك، ع: مه.

(٧) الزمر/١٩.

هؤلاء بمنزلة المذكورين في يونس وإن كانت الدلالات^(١) عنده في حق لكل، ولكن مراعاة اسطعم أمر ملتزم^(٢) الإصحاح [١١٤/ط] بالذكر كما أفصح في آية يونس [و] لم يقع هنا. فيما لم تكن هذه الآية كذلك^(٣) فيما ذكر وسم هؤلاء بالكفر. وقيل ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ونم يقر فسقوا، إذ لم يتقدم هنا ما تقدم هناك مما يتقدم معه ذكر الفسق. وأيضاً فقد تقدم في غافر قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾، ونسبه، ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وإذا كانوا كافرين، فهم أصحاب النار. فاما الفسق^(٤) فإن كان فسقه يخرج عن الإيمان كن كافراً، وإن كن بالخروج إلى معصية دون الكفر لم يكن كافراً، إلا أن المراد بفسق من ذكر في سورة يونس، إنما هو ترك الاعتبار لحامل عبي الإيمان، إذا وفق للمعتبر. ولبارك لذلك خارج عن التصديق، فكان كفر، فقد حصل الجواب عن [المسائل]^(٥) الثلاث، ووصوح محي، كل على ما يناسب، وأن الوارد في سورة يونس لا يناسب ما تقدم قبل الآية في سورة غافر، ولا الوارد في سورة عاف، يناسب ما تقدم في سورة يونس، والله أعلم

١٦٤ - الآية الخامسة قوله تعالى^(٦):

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٥)

(١) ج: الدلالة

(٢) في جميع النسخ: ملتزم.

(٣) ج، ب، ع: كذلك

(٤) م، ب، ع: الفسق.

(٥) جميع النسخ: السؤال.

(٦) عنوان الآية منقطة من هـ

وقال فيما بعد (٦٦): ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾، ثم قال بعد (٦٨): ﴿قَالُوا
اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَلَئِنْ سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ
عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ بِهَذَا﴾.

هنا ثلاث سؤالات:

يُسأل عن سقوط «ما» من قوله في الآية الأولى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ووجه ثبوتها في قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ﴾، وعن ورود «مَنْ» مكان ما في الآية المتوسطة في قوله: ﴿أَلَا إِنَّ
لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.

والجواب عن السؤال الأول أنه تقدم قبل الآية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ
لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾^(١). وليس ذلك لها بل كل
ذلك لله سبحانه، ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. فدما كانت
مبنية على هذه التي قبلها والمعنى يبين ذلك وقع الاكتفاء بوقوع «ما» في
الأولى^(٢) واجتزأ بذلك^(٣) عن تكررها، في الثانية وليس الموضع موضع
تأكيد فتكرر لذلك. وأما ثبوتها في الآية الثالثة وهو السؤال الثاني فوجهه أن
التأكيد مقصود في هذه الآية، لأن قبلها حكاية قول الكفار: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ
اللَّهُ وَلَدًا﴾، فنزه تعالى نفسه عن مقالهم فقال سبحانه: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٤) وإذا ورد في القرآن [١١٥/و] ذكر

(١) زاد في ك: (وهذه الآية مبنية عليها ومجموع الآيتين في قوة أن لو قيل: ولو أن لكل نفس ظلمت
ما في الأرض لافتدت به. . .).

(٢) ب: الأول.

(٣) ب، م: بدا.

(٤) يوس / ٦٨.

مقال^(١) هؤلاء المعتدين في صلاتهم تبعه ذكر ملكه سبحانه لكل من في السموات والأرض، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾^(٢)، ثم قال: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾^(٣). ثم ذكر سبحانه عظيم مرتكبهم في شنيع مقالهم فقال: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾^(٤). أي من أجل دعائهم الولد لله سبحانه. ثم قال تعالى^(٥): ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾^(٦)، وكيف والكل عبده وملكه، إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً، وهو الغني عن العالمين، فلما كان موضع تأكيد ناسبه الإتيان بما، والتأكيد بها وإن كان المعنى محاصلاً بدونها.

والجواب عن السؤال الثالث، أن ورود «مَنْ» في الآية المتوسطة مناسب لما قصد بها ونيت عليه. ألا ترى أن ما ثبت قبل هذه الآية من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾^(٧) فأسسه تعالى وثبته، كما قال في موضع آخر: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^(٨). فتأمل عظيم هذا التأسيس وما تضمنه قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾، من وضوح صدقه عليه السلام وتصديقه. فلم يبق إلا الحسد، وقصد إطفاء نور الله، ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ﴾. فلما قال له تأنيباً وتكفلاً بحفظه إياه: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾، اتبع ذلك سبحانه بإعلامه إياه أن العزة لله - جل جلاله - لا يشاركه^(٩) في ذلك أحد ولا يعتز

(١) ج، هـ: فقال.

(٢-٤) مريم / ٨٨، ٨٩، ٩٠-٩١ على الترتيب.

(٥) ساقط من ج، هـ، ك.

(٦) مريم / ٩٢.

(٧) يونس / ٦٥.

(٨) الأنعام / ٣٣.

(٩) هـ، م، ك، ب: يشاركه.

مخلوق إلا بإعزازه [فيعزُّ] ^(١) من يشاء وينذر من يشاء. وإلى ذلك أشار قوله: ﴿جَمِيعًا﴾. ثم قال: ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، أي لا يحفى عليه مقالهم فيك، وما يسرونه من مكر أو مكيدة ثم أعلمه باحتواء ملكه سبحانه على ما أعلمه به في قوله: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ فهو يعزك بإمداده إياك بمن ^(٢) شاء من مخلوقاته، والله جنود السموات والأرض. ولما كان تأييده ^(٣) عليه السلام في الغلب عند لقاء أعدائه. إنما يكون بالملائكة والمؤمنين. لذلك ما ورد التعبير بمن، وكُرِّرَتْ تأكيداً، فقليل ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، وهو مؤيده وممده بمن شاء من عباده، فلا يحرنك قولهم. وقد وضح أن كل آية من هذه الآيات لا يناسبها غير ما اتصلت به، ولا يمكن على ما تبين وقوع واحدة منها في موضع الأخرى، والله أعلم بما أراد.

١٦٥ - الآية السادسة من سورة يونس (غ) قوله تعالى:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٤٧)

وفيما بعد من هذه السورة (٥٤): ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [١١٥ / ظ].

وفي سورة الزمر (٦٩): ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، وفي آخر السورة (٧٥): ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ خَافِينَ مِنْ

(١) جميع: النسخ: ويعز.

(٢) ح: ع: ث: س: ب: على من.

(٣) ح: ع: تأكيد.

حَوْلَ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾

فورد في الموضعين من سورة يونس ﴿بِالْقِسْطِ﴾، وفي الموضعين من
سورة الزمر ﴿بِالْحَقِّ﴾، فدللسائل أن يسأل عن الفرق (١).

ووجه ذلك - والله أعلم - أن القسط يراد به العدل والتسوية في الحكم
فمِظَنَّةٌ وروده، حيث يراد منه موازنة الجزاء بالأعمال من غير زيادة كما قال
تعالى في جزاء الكافرين: ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ (٢)، أي موازنًا لأعمالهم موافقاً
لها، ولا يظلم ربك أحداً والحق الصدق فوروده حيث يراد تصديق وعيد،
أو إخبار متقدماً، وأن الله سبحانه وعد المؤمنين بزيادة الأجور وإحسان بما
يفوت الغايات، ويفوق (٣) الحضر ولم يجعل جزاءهم على أعمالهم الدينية
وفاقاً لأعمالهم في مقادير الجزاء، بل قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ
أُجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٤)، قال تعالى: ﴿وَسَنُزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥)، وقال
تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ
فَضْلِهِ﴾ (٦) ومه جعل الحسنة بعشر أمثالها، وهذا كثير في لكتاب والسنة ولما
كان الوارد في آيتي الزمر منزلاً على الحكم حقاً بين السيئين والشهداء
والملائكة والمؤمنين. قال تعالى: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
بِالْحَقِّ﴾. وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ خَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما فرق ما ورد في الموضوعين من سورة يونس بالقسط وفي سورة

الزمر بالحق.)

(٢) النسا / ٢٦.

(٣) ج، هـ، م، ع: يفوت.

(٤) الزمر / ١٠.

(٥) البقرة / ٥٨.

(٦) النساء / ١٧٣.

يُحْمَدُ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ ﴿١﴾. والضمير في الأولى إما أن يكون للنبيين والشهداء [ولكونه] (١) في أن هؤلاء مما تضاغف أجورهم، فجيء بقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾، تصديقاً لما ورد - ورود القسط. وإما أن يكون للخلق كافة، وفيهم المؤمن والكافر، فورد قوله بالحق تصديقاً لما ورد في حق الفريقين من الزيادة في أجر المؤمن، والعدل في حق الكافر فلا يظلم مثقال ذرة وإنما جزاؤه، وفاق عمله ولا يصح هذا أن لو (٢) قيل: وقضي بينهم بالقسط. وعلى هذا يجري ما ورد في الآية الأخيرة من غير فرق.

وأما آيتا يونس، فقد تقدم الأولى منها غير ما آيات في تأنيس نبينا صلى الله عليه وسلم، وتعسف كفار قريش، ووعيدهم، وتسليته عليه السلام في أمرهم. ألا ترى ختام لاي قبلها بقوله: ﴿وَأَمَّا تُرَيُّنَكَ بَعْضُ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيكَ فَآلَيْنَا مَرْجِعَهُمْ﴾. [فيسفر] (٣) تكذيبهم عياناً، لا يجدون محيصاً عنه. ثم قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ، فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾، أي حضرهم في القيامة وقد كذبوه في الدنيا، قضي بينهم وبينه بصدقه (٤) وكذب معادوه فنُجِّي المصدق وهلك المكذب ولما لم يقصد هنا تفصيل أحوال المصدقين بل لُحِظَ الطرفان [١١٦ / و] من التصديق والتكذيب كان موضع التعبير بالقسط، الذي هو العدل بين المصدق والمكذب. وإنما بناء الآي على إرغام المكذبين ولا يناسب هذا إلا ذكر العدل بحسب ما بنيت عليه الآية قبله (٥).

وأما قوله في الآية بعد: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ [وقضي

(١) هـ، م، ك، ب: لا - كونه، ومكانها بياض في ج، ع.

(٢) هـ، م، ب: أل.

(٣) مضطربة في هـ، م، ك، ب، ومكانها بياض في ج، ع. وما اثبتناه أقرب قراءة للسياق.

(٤) م، ب، ع: بصدق، ك: فصديق.

(٥) ح، هـ: قل.

يَتَّبِعُهُمْ^(١) هم المكذبون وهم المشاهدون للعذاب. والضمير في قوله: ﴿وَقُضِيَ يَتَّبِعُهُمْ﴾، عائد عليهم فليس موضع التعبير بقوله ﴿بِالْحَقِّ﴾ لما قد تبين. فقد وضح ورود كل من هذه الآي على ما يناسب ويلائم، وأنه لا يناسب خلافه.

١٦٦ - الآية السابعة [غ] قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾
(٦٠)

وقال في غافر (٦١): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

فللسائل أن يسأل عن ذلك^(٣).

والجواب - والله أعلم - أن آية غافر لما تقدمها قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤) ومقصود هذه الآية تحريك الخلق للاعتبار والتذكير^(٥) بما نصبه من الدلائل والآيات فاقترض ذلك تكرار الظاهر كما في آية التذكير والتنبيه. ثم جيء بعد هذا بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾، فنوسب بين هذا وبين ما تقدم لتجيء هذه الآي، على منهاج واحد من التذكير فاقترضت الثانية تكرار^(٦) الظاهر.

(١) ك: ندامتهم، بدا - منهم، هـ، م، ب: قد آمنهم، وصوابها نكلمة الآية.

(٢) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.

(٣) ب: صيغة السزال (يقال ما الفرق بين الإصهار في الأولى والإظهار في الثانية، والجواب ...).

(٤) الآية / ٥٧.

(٥) ما بعدها إلى قوله (آية التذكير)، ساقط من ج، ع.

(٦) ك، ب: تكرير، وكلاهما جائز.

وأما آية يونس وإنما تقدمها تأنيس بقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ - الآية (١). ثم رجع الكلام إلى تعنيف الكفار في تحكيمهم فقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ - الآية. ثم قال: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٢). ولم يتقدم تكرير يطالب (٣) بمناسبة. فذلك ورد الكلام على ما هو الأصل من الإتيان بالضمير ليحصل به ربط الكلام فجاء كل من الموضعين على ما يقتضيه ما قبله رعيًا لتناسب الكلام.

١٦٧ - الآية الثامنة من سورة يونس (غ) قوله تعالى:

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦١)

وفي سورة ساء (٣): ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. وقال فيها فيما بعد (٢٢): ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظهيرٍ﴾.

للسائل أن يسأل عن تقديم (٤) الأرض على السماء في سورة يونس، وعكس ذلك [١١٦/ظ] في الموضعين في سورة ساء.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن آية يونس مقصود فيها من تأكيد الاستيفاء والاستغراق ما لم يقصد في الآخرين وإن كان العموم مراداً في

(١) يونس / ٥٨.

(٢) المتضايقان مخلوقان من الآية في ك.

(٣) هـ، م، ك، ب: يطلب.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تقدم...).

الجميع إلا أن آية يونس قصت^(١) بزيادة التأكيد، ولذلك تكررت فيها مع ما قبلها ما النافية الملتقى^(٢) بها القسم في قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْلَمُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾^(٣)، فقوي بذلك قصد تأكيد الاستغراق وتضمن الكلام معنى القسم فقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ بزيادة «مِنْ» في الفاعل وهي مقتضية معنى الاستغراق في مثل هذا وبنائها على الملتقى^(٤) بها القسم يُفهم ما قدناه من معنى القسم وتأکید الاستغراق، بل أقول^(٥) إنَّ مِنْ فِي مِثْل هَذَا نَصٌّ فِي ذَلِكَ. قال^(٦) سيبويه - رحمه الله - إذا قلت: ما أتاني رجل، فإنه يحتمل ثلاثة معان:

أحدها: أن تريد أنه ما أتاك رجل واحد؛ بل أتاك أكثر من واحد.

ولثاني: أن تريد ما أتاك رجل في قوته وبهذه، بل أتاك الصعفاء.

والثالث: إن تريد أنه ما أتاك رجل واحد ولا أكثر من ذلك.

فإن قلت: ما أتاني من رجلٍ كان نبياً^(٧) لذلك كله. هذا معنى كلامه، والحاصل منه أن مِنْ فِي سياق النفي تَعْمُ وتستغرق. ثم إنه قد تقدم قبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾^(٨) إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا، فزيدت في المفعول وهو اسم نكرة وارد في سياق النفي وذلك محصل للاستغراق ثم حُملَ عليه قوله

(١) ك: نصت.

(٢) ج، م، ع: الملقى.

(٣) يونس / ٦١.

(٤) م، ع: الملقى.

(٥) ج: بل أقول.

(٦) ساقط من ج، ب.

(٧) ساقط من ج، ع.

(٨) ما بعدها إلى آخر الآية ساقط من هـ، م، ك، ب.

تعالى : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ - الآية ، فناسب تقديم ذكر الأرض على السماء ، لأن السماء يصعد الأمر ومحل العُلُو ، ومسكن الملائكة ، وهي مشاهدة^(١) لهم ، ومستقبل الداعين ، ومنها ينزل الأمر ورزق العباد ، وفيها الخزنة من الملائكة ، وإليها يصعد بأرواح المؤمنين ، وتخرج^(٢) الملائكة السيّاحون في الأرض المسؤولون عن أفعال العباد . فكان العلم بما فيها أجلى وأظهر ، وكان العلم بما في الأرض أخفى ، وهذا بالنظر إلينا^(٣) ، وبحسب متعارف أحوالنا ، وإلا فعلم بآرثنا سبحانه بما في الأرض وما في السماء على حد سواء . كما أن علمه السر والظهر مُستَوٍ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ولكنّا إنّما نخوطينا على أحوالك ، وبما نتعاهده ونتعارفه من المعاي واللغات ، ولذلك ورد في القرآن التعجب والدعاء والترحّي^(٤) وغير ذلك ، فخوطينا العباد بما يتعارفون ويألفون فيما بينهم ، فهذا بيان ما تقدم . فلما كانت الأرض بالنسبة إلى السماء فيما ذكرنا كان^(٥) أمرها أخفى ، وكان أمر السماء أوضح وأقرب من حيث ذكرنا خوطينا الخلق على ذلك فقدّم ذكر ما هو عندنا [١١٧/و] كأنه أخفى فقل عند قصد المبالغة في تأكيد الاستغراق والقسم على ذلك : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ . ونظير هذا الوارد قوله تعالى : ﴿رَبُّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ، وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٦) . وهذه الآية في الذي تعطيه من إفهام القسم والاستغراق ،

(١) ك : مشاهد .

(٢) ك : يخرج .

(٣) زيادة من ك .

(٤) هـ : الترحي .

(٥) ساقطة من ج .

(٦) إبراهيم / ٣٨ .

والابتداء بما هو عندنا أخفى^(١) كآية يونس من غير فرق وعلمه سبحانه بما
خفي عندنا، أو ظهر سواء، تعالى ربنا عن شبه الخليفة.

فإن قيل: فإن قوله سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ غَائِيَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا
فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، قد اجتمع فيه زيادة «مِنْ» الاستغراقية بعد ما النافية
المشيرة إلى معنى القسم كما في الآيتين قبل وقد تقدم فيها ذكر السماء
بخلاف ما في الآيتين. قلت: لما تقدم هذه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَيَعْلَمُ
مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾^(٣)، وقد تقدم في سبأ إحراز ذلك المعنى
من تقديم^(٤) الأخفى أتبع بما^(٥) يحرز التسوية من غير فرق؛ فقد ذكر
السماء وإنما كانت تكون كالأيتين^(٦) لو لم يتقدمها ما ذكر. وإذا قد تبين
وجب تقديم الأرض في سورة يونس مما بحرر تأكيد العموم والاستغراق ولم
يكن فيها داعٍ من المعنى لتقديم الأرض على السماء. ثم إن ورود
السموات بلفظ الجمع يجري في الآيتين من سورة سبأ، [على] معنى
العموم الاستغراقي، إذ هو مراد في كل الآيات الواردة في هذا المعرض^(٧)
فأعطاه، وأحرزه في آية يونس، وآية إبراهيم ما أنجز في هاتين الآيتين من
مُحَرِّز معنى القسم والاستغراق وأعطاه^(٨) وأحرره في آيتي: سبأ من جمع
السموات، وجاء كل على ما يجب ويناسب^(٩).

(١) ج: أخفى.

(٢) النمل / ٧٥.

(٣) النمل / ٧٤.

(٤) ج، هـ: تقدم.

(٥) ج، ك: ما.

(٦) ك، ع: في الآيتين.

(٧) ك: الغرض، ب: التعرض.

(٨) م: فأعطاه.

(٩) زاد في ب هـ: والله أعلم.

١٦٨ - الآية التاسعة من سورة يونس [غ] قوله تعالى .

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ
فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٩٣).

وفي سورة الجاثية (١٦، ١٧): ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ
وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ^(١) وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ^(٢) وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
الْعَالَمِينَ. وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه الاختلاف^(٣) الوارد في هاتين السورتين وزيادة
﴿ما﴾ في الوارد في سورة الجاثية من الألفاظ مع اتحاد المعنى المقصود في
الموضعين من منحهم واحتلافهم

والجواب عن ذلك - والله أعلم أن آية يونس تقدم قبلها^(٤) قوله
[١١٧/ظ] عليه السلام على فرعون وملئه بقوله ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ
وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ - الآية^(٥)، فأجاب سبحانه دعاء نبيه
وطمس على أموال فرعون^(٦) وملئه وأغرقهم وآل ونجى بني إسرائيل من
الغرق وقطع دابر عدوهم^(٧)، وأورث بني إسرائيل أرضهم وديارهم يتبوءون
منها حيث شاءوا فقال سبحانه معرفاً لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا

(١) في جميع النسخ: النُّبُوَّةُ وهي قراءة وقد سبق الحديث عنها.

(٢) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه «الآية».

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه الاختلاف...).

(٤) ج، هـ: نقلهما، م، ب، ع: تقدم فيها.

(٥) يونس / ٨٨.

(٦) ج، هـ، م، ع: آل فرعون.

(٧) ج، هـ: عدو.

بني إسرائيل مُبَوِّأً صِدْقٍ^(١) أي مَكْنَاهُمْ^(٢) ومهدت لهم أمرهم بإهلاك
عدوهم وبما أورثهم بعد ضعفهم^(٣) من مشارق الأرض ومغاربها. فبعد
تَمَكُّن أمرهم واستحكام حالهم واستقرار أمر دينهم بما شاهدوه من الآيات
وعظيم البراهين المعقبة لمن شاهدها اليقين اختلفوا جرياً على ما سبق لهم
ولغيرهم ممن أشار إليه قوله تعالى في هذه السورة: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا
أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾^(٤). وتناسب هذا كله تناسباً لا توقف في وضوحه ولم
يتقدمه في السورة ما يستدعي من حالهم أكثر من هذا.

وأما آية الجاثية فتقدم قبلها بسط الدلالات والبراهين من لدن قوله
تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥)، إلى ما تبع هذا
من التبيه بخلقهما، وما بَتَّ سحانه فيهما من أصناف المخلوقات واختلاف
الليل والنهار وتعاقبهما، وإنزال الرق من السماء، وإحياء الأرض بعد موتها،
بما^(٦) يزل من الرزق إليهما وتصريف الرياح^(٧). ثم ذكر سبحانه أنَّ هذه
الآيات إنما يَعتَبَرُ بها، ويهتدي بأنوارها من منحه تعالى العقل وهداه إلى
الاعتبار فقال: ﴿آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. ولم يرد ذكر هذه الحملة للاعتبار
بها في موضع من كتاب الله أوعب من هذه، في هذه السورة وفي سورة
البقرة، وهي هناك أوعب، لذكر القُنُك وجريها في منافع العباد وتسخير
السحاب بين السماء والأرض وذكر تصريف الرياح. ولهذا عقب ذكر هذه
الآيات في الموضعين بقوله في سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ

(١) يونس / ٩٣.

(٢) ج: سكتاهم.

(٣) م: صفقها، ب: ضعفها.

(٤) يونس / ١٩.

(٥) الآية / ٣.

(٦) ج، هـ، م، ب، ع: ما، ك: ي.

(٧) ك: الريح.

دُونِ اللَّهِ أَنْذَادًا ﴿١﴾ - الآية (١)، إشارة إلى كفار العرب وسوء مرتكبيهم،
وتعاميهم عن الاعتبار والاستدلال مع وضوح الأمر، إذ لا يقبل العقل تَكُونُ
هذه المخلوقات العظام بأنفسها، ولا أن بعضها أوجد بعضاً لتساويها فيما قام
بها من دلائل الحدوث، فلا بد من صانع مُريد، مختار، عالم، قادر، منزّه
عن شبه هذه الجملة وإلا لافتقر إلى موجد آخر. وذلك يؤدي إلى
التسلسل، وهو محال عقلاً، والاثنيّة متمنعة عقلاً، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا
اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (٢)، فتعين توحيد الموجد الحق، وأنه (٣) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ
شَيْءٌ﴾ (٤). ولما كان الاستدلال بهذه الحُمل المفصلة [١١٨/و] أوضح
شيء أتبعها سبحانه بقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ولكونه
من أسسط ما ذُكِّر به من حوطب بالقرآن، ثم لم يُجَدِ ذلك في حق من سبق
له الشقاء منهم إلا المسافرة والمخالفة أعقب (٥) نذكر من ترادفت (٦) وتوالت
عليه الآيات، وكثُرَت في حقه الشواهد ثم لم يعقبه ذلك إلا الاختلاف
والعدول عن سلوك المنهج الواضح وهم الممتحنون بالحلاف من بني
إسرائيل فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ
فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِمَّن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَبِغْتُهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٧) فاقضى ما تقدم من بسط الآيات وواضح

(١) البقرة / ١٦٥.

(٢) الأنبياء / ٢٢.

(٣) ك: أجز، ولأنه.

(٤) الشورى / ١١.

(٥) ك: أعفت.

(٦) ح، هـ، ك: ترادف.

(٧) الجاثية / ١٦، ١٧.

ما قصه تعالى من واضح الآيات^(١) في صدر هذه السورة بسط ما منحه بنو إسرائيل وما بين لهم بما أشار إليه قوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾، بعد ذكر ما أوتوه من الكتاب والحكم وتوالي^(٢) النبوة^(٣) فيهم، وكثرة الرسل منهم، وما بسط لهم من الرزق. وإذا رأوا^(٤) النعم فعتوا واعتدوا وقتلوا الأنبياء بغير حق لينفذ فيهم ما قُدِّرَ على فاعل ذلك منهم من ضرب الذلَّة، والمسكة عليهم ومسخهم قردة وخنازير ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم، فلا يأتلف شملهم ولا تجتمع جماعتهم إلى يوم القيامة ليعلم المعتبرون بالآيات، أنه لا يجري على أحد إلا سابق سعادة إن قُدِّرَ له إلا^(٥) أن الانقياد للاعتبار والإذعان لموجب الدلالة عنوان رجاء، والمنافرة لذلك عنوان مشقة^(٦) وهما شاهد حال. والشأن كله في الخواتم والكتاب والسنة موضحان لهذا الإحمال. ولما لم يكن تقدم آية سورة يونس من الدلالات مثل ما بسط في^(٧) سورة الجاثية من الاعتبار، لم يناسبه الواقع في الجاثية من الإطناب، فنوسب الإيجار بالإيجار، والإطناب بالإطناب، وجاء كل على ما يجب ويناسب، مع اتحاد المقصود في السورتين.

١٦٩ - الآية العاشرة^(٨) من سورة يونس قوله تعالى :

﴿وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٤)

(١) ك: الدلالات.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) ج، هـ، ب، ع: النبوة.

(٤) هـ، ب، ع: وإذا رأوا.

(٥) ساقطة من ج، هـ.

(٦) ج، هـ: ومشقة.

(٧) ج، هـ، م، ب، ع: من.

(٨) ما بعدها إلى يونس محذوف من ب.

وفي آخر^(١) سورة النمل (٩١): ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

للسائل أن يسأل عن الفرق الموجب لافتراق الوصفين^(٢) في الآيتين.

والجواب أن الآية الأولى قبلها^(٣) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤) وبعد هذا: ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥)، وبعد [١١٨/] هذا الآية المذكورة من قوله: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وتناسب هذا كله بين ثم من المعلوم أن اسم الإيمان إنما يقع لغة على التصديق، وعلى هذا يطلقه الأشعرية^(٦) ومنه: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^(٧). ثم قد يُتَّسَع^(٨) في إطلاقه فيوقع على التصديق والاستسلام. ومنه: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، والأصل في اسم الإسلام وقوعه على^(٩) الاستسلام والترام الأعمال الظاهرة ثم يُتَّسَع فيه فيطلق على مجموع التصديق والاعتقاد، والاستسلام. ومنه ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. وقد يختص كل من الاسمين بمسماه^(١٠) من غير اتساع ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ

(١) ساقطة من ج، هـ، ك.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما موجب افتراق الموضعين...).

(٣) ج، هـ، م، ع: فيها.

(٤) يونس/ ٩٩، ١٠٠، وزاد هنا في ب (وبعد هذا: وما تغى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وهي من الآية/ ١٠١.

(٥) يونس/ ١٠٣.

(٦) عبارة الإمام الأشعري في بيان عقيدة الأشاعرة في الإسلام والإيمان: «ونقول أن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيمان». الإبانة في أصول الديانة/ ١٠.

(٧) يوسف/ ١٧.

(٨) ك: يتسع.

(٩) ج، ع.

(١٠) ج، ع: سماه.

قُولُوا أَسْلَمْنَا^(١). وفي حديث سؤال^(٢) جبريل عليه السلام: ما^(٣) الإسلام قال: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَتَقِيْمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتُحْجَ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قال: صدقت، فما الإيمان؟ قال أَنْ تُوْمِنَ بِاللَّهِ - الحديث^(٤) فوقه فيه التفصيل إجراءً على أصل التسمية.

فإذا تقرر هذا، فاعلم أن ما تقدم قبل آية يونس من تكرر اسم الإيمان، لم يكن ليسلائمه إطلاق اسم الإسلام^(٥)، لأن رتبة الإيمان فوق رتبة الإسلام، ومقامه أعلى. وهذا على إطلاق كل واحد من الاسمين على مسماه لغة وعلى رعي التفصيل، فكان يكون عكس الترتيب إلى الأعلى أبدى^(٦) فلا يمكن في آية يونس إلا ما ورد عليه.

أما آية النمل، فَإِنْ قَبْلَهَا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا أَمِِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾^(٧)، وقوله^(٨): ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ يقتضي تسليم كل شيء له، والتبري من توهم شريك أو نظير، فاسب هذا قوله: ﴿وَأَمِِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، وجاء على ما يجب.

(١) الحجرات / ١٤.

(٢) في ك فقط.

(٣) ج، هـ، م، ك، ب: وما.

(٤) الحديث متفق عليه رواه الشيخان بطرق عديدة عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر عن أبيه عمر،

ومالك بن أنس، وطلحة بن عبيد الله. البخاري ١٩/١-٢٠، مسلم ١/١ / أحاديث أرقام: ١،

٥، ٦، ٧، ٨، ٩.

(٥) هـ: الإيمان، ج، ع، ب: إلا إطلاق اسم الإيمان.

(٦) جميع النسخ: أبداً.

(٧) النمل / ٩١.

(٨) ح، ع: فقله.

١٧٠ - الآية الحادية عشر قوله تعالى :

﴿فَمَنْ أَهْتَدَى فَأَنْمًا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَأَنْمًا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٨).

وفي سورة النمل (٩٢) : ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى فَأَنْمًا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.

فورد^(١) في الأولى عقب قوله : ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَأَنْمًا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ وفي الثانية عقب قوله : ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾، فللسائل^(٢) أن يسأل عن الفرق^(٣).

والجواب أن آية يونس مرتبطة بقوله تعالى ، فيما قبلها : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. فلما تقدمها هذا ومعناه هو المعنى الوارد في قوله تعالى في سورة الزمر : ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فقل هنا على لسانه صلى الله عليه وسلم : ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾. وتناسب هذا وارتبط ارتباطاً لا يلائم الموضع خلافه والله أعلم.

وأما آية النمل ، فإنها راجعة إلى قوله تعالى فيما تقدمها : ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا [١١٩ / و] وَلَوْ أَمْدَحِرِينَ. وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾. فناسب هذا أتم مناسبة قوله

(١) إلى قوله (من المنذرين) ساقط من م.

(٢) ج، هـ، م، ب، ع؛ للسائل.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقدر ما الفرق بينها...).

تعالى: ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَلْهُ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾، ولم يكن قوله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾، ليناسب المتقدم في سورة يونس، ولا قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ ليلائمه ما تقدمها، والله أعلم^(١).

(١) ك: «تم السفر الأول والحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه الكريم وعنده وعلى آله وصحبه الموفين بعهده وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، على يدي العبد الفقير إلى رحمة مولاه الراجي عفوهِ وغفرانه أحمد بن محمد الفخار، اللهم اغفر لنا ولوالديه ولجميع المسلمين آمين. ينلوه - إن شاء الله - السفر الثاني [وأوله] سورة هود عليه السلام.

مِلَالُ النَّافِلِ

القاطع بذوي الاحياء والتعطيل في توجيه
المتشابه اللفظ من أي التنزيل

الدكتور جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الدندسي الغزالي

١٢٧-٧٠٨ هـ

السفر الثاني

تحقيق

الدكتور محمد كامل أحمد

مدرس الدراسات الإسلامية بآداب عين شمس
وعضو لجنة تحقيق التراث بالمجلس الأعلى لشؤون الإسلامية
بالقاهرة

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر
تجروت ١٠٠ ص ٨٧٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة هود عليه السلام

١٧١ - الآية الأولى منها [غ] قوله تعالى:
﴿وَلَّيْنُ أَذَقْتُهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءَ مَسْتَهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ الْـسَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ
لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ (١٠)

وفي سورة [حَم] السَّجْدَةُ^(١) (٥٠): ﴿وَلَّيْنُ أَذَقْتُهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضِرَاءَ
مَسْتَهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي^(٢) وَمَا أَضُنُّ لَلسَّاعَةِ قَائِمَةً﴾.

للسائل أن يسأل عن زيادة^(٣) ﴿مِنَّا﴾، وزيادة ﴿مِنْ﴾ في^(٤) سورة حَم
السَّجْدَةُ^(٥)، وسقوطهما^(٦) معاً في سورة هود.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أنه لم يرد في سورة هود ما يستدعي
تلك الزيادة. وأما سورة [حَم] السَّجْدَةُ، فتقدم قبلها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ
يُنَادِيهِمْ أَئِنَّ شُرَكَائِيَ﴾^(٧)، قطعاً بهم وتنبيهاً، على سوء مرتكبهم، وقد عاينوا

(١) يريد سورة فَصَّلَتْ، وتسمى أحياناً وحَم السجدة، للفرق بينها وبين سورة السجدة.

(٢) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ك.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما . . .).

(٤) ساقطة من ب.

(٥) ح، هـ، ك، ب، ع: السجدة.

(٦) جميع النسخ: سقوطها.

(٧) فَصَّلَتْ/٤٧.

الحق وُضِلَّ عنهم ما كانوا يدْعُون من قبلُ من الشركاء لله سبحانه وظنوا،
 أي: أيقنوا وعلموا أنه لا محيص لهم، ولا مفر^(١). فلما تقدم ذكر الشركاء
 قال تعالى: ﴿وَلَيْتَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾، فنبه تعالى بقوله: ﴿مِنَّا﴾، على أن
 لا شريك له^(٢) ولا مُعْطِي غيره، وأنه لا يأتي العبد شيء من سواء سبحانه.
 ولما لم يتقدم في سورة هود ذكر شريك، لذلك لم يرد فيها التنبيه بقوله:
 ﴿مِنَّا﴾، وأما زيادة ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْئَةٍ﴾، فمناسب^(٣)
 لإطناب^(٤) هذا الغرض في هذه السورة فتاسب ذلك الزيادة، وإيجاز^(٥) هذا
 القصد في سورة هود، ناسبه سقوط مِنْ، فجاء كل على ما يجب ويناسب^(٦)
 ولم يكن ليلائم كلا من الموضعين إلا ما ورد فيه، والله أعلم.

١٧٢ - الآية الثانية منها^(٧) [غ] قوله تعالى^(٨):

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٧)

وفي آخر السورة إثر قوله: ﴿عِظَاءَ غَيْرِ مُجْدُوذٍ﴾: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ
 مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾^(٩).
 وفي سورة السجدة (٢٣): ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تُكِنُّ فِي
 مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ﴾ بثبات نون تُكِنُّ وحذفها في آيتي^(١٠) سورة هود.

(١) ج: لا مفر.

(٢) ج، هـ، ع: مثله.

(٣) ج، هـ، ع: فتاسب، ك: ومناسب.

(٤) ج، هـ، ع: الأطناب.

(٥) ج، هـ، م، ك، ب: الإيجاز.

(٦) ج، هـ، ع: يناسب ويجب.

(٧) ك: من سورة هود عبه السلام.

(٨) ساقطة من ك.

(٩) الآية/١٠٩.

(١٠) م. آية.

فللسائل أن يسأل عن ذلك^(١).

والجواب عنه - والله أعلم - أن العرب تصرفت في تَكُونُ^(٢) عند دخول

الجازم تصرفاً لم تفعله في نظائرها [١١٩/ظ] مما يشبهها. وبسط هذا في

مَظَانِّه فكان الجواب في تَكُونُ^(٣) عند دخول الجازم تسكين النون فتُحذف

الواو، عند التقاء الساكنين كما ورد في سورة السجدة، إلا أن حذف النون

في تَكُونُ^(٤) من فصيح كلامهم ما لم تكن متحركة. فإن كانت متحركة لم

تُحذف لقوتها بالحركة؛ وإن كانت عارضة كقوله^(٥) تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ

كَفَرُوا﴾^(٦) ولا تُحذف إلا في الشعر نحو قوله: (رمل).

لَمْ يَكُ الْحَقُّ بِسْوَى أَنْ هَاجَهُ رَسْمٌ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى بِالسُّورِ^(٧)

فورد في سورة هود على ما اعتمدوه من تخفيف هذا اللفظ ليناسب^(٨)

بذلك إيجاز الكلام المتعلق بقوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾. والمتصل به

تمامه تمام المعنى المقصود؛ وذلك قوله: ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ

النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٩) وكذلك قوله في آخر السورة: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا

يَعْبُدُونَ هَؤُلَاءِ - إلى قوله - غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾^(١٠). وورد في سورة [حَم] السجدة

على أصل الكلمة قبل الحذف، ﴿فَلَا تَكُنْ﴾، ليجري ذلك مع ما ورد في

هذه السورة من طول الكلام المتعلق بقوله: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾،

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك...).

(٢) ٢، ٣، ٤ هـ، م، ك: يكون.

(٣) ح، هـ، م، ب، ع: في قوله.

(٤) لبينة / واحد.

(٥) البت غير منسوب، ويروي: «نعت بالطلل». الدرر ١/٩٣، المقاصد الحوية ٢/١٥٦، الديبج

١/١٢١، ونظر: معجم الشواهد ١/٢٦٢، شواهد لحو الشعرية رقم ٢٤٠٧.

(٦) ج: فاس، ب: لباسه.

(٧) الآية / ١٧.

(٨) الآية / ١٠٩.

ألا ترى أن الكلام واحد الى قوله: ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، فناسب الإيجاز بالإيجاز، والطول بالطول، والله أعلم.

١٧٣ - الآية الثالثة منها قوله تعالى:

﴿لَا جَزَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ﴾ (٢٢)

وقال^(١) في سورة النحل (١٠٩): ﴿لَا جَزَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه^(٢) تخصيص آية هود بقوله: ﴿الْآخَسِرُونَ﴾، وآية النحل بقوله: ﴿الْآخَسِرُونَ﴾، وهل كان يمكن العكس.

والجواب أن آية هود قد تقدمها ما يُفهم المفاضلة. ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾^(٣) يُفهم^(٤) من سياقها أن المراد: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ كمن كفر وجحد، وكذب الرسل. ثم اتبع هذا بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾^(٥)، فهذا صريح مفاضلة، ثم استمرت الآي في وصف من ذكر، وعرضهم على ربهم، وقول الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٦)، الى ذكر مضاعفة العذاب لهم، واستمر ذكرهم الى قوله: ﴿لَا جَزَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ﴾، فناسب لفظ الأخسرين بصيغة التفاضل ومقصود التفاوت ما تقدم مما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ

(١) إلى آخر آية النحل ساقط من ك.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تخصيص...).

(٣) هود / ١٧.

(٤) م، ب: لأنه يفهم، ك: الآية يفهم.

(٥) هود / ١٨.

(٦) هود / ١٨، ١٩.

عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴿١﴾ . وَأَفْعَلُ مِنْ كَذَا^(١) فِي قَوْلِهِ : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى^(٢) عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ . وَالآيَاتُ مِنْ لَدُنْ قَوْلِهِ : ﴿أَقْمِنُ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ - إِلَى قَوْلِهِ - هُمْ الْآخِسِرُونَ﴾ ، مُبَيِّنَاتٌ^(٣) عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ غَيْرَ خَارِجَةٍ مِنْ هَذَا الْمَقْصُودِ . وَلَوْ وَرَدَ هُنَا الْخَاسِرُونَ مَكَانَ الْآخِسِرِينَ لَتَنَافَرُ^(٤) النِّظْمُ [١٢٠/و] وَتَبَايَنَ السِّيَاقُ ، وَلَمْ يَتَنَاسَبْ .

وَأَمَّا آيَةُ النُّحْلِ فَلَمْ يَقَعْ قَبْلُهَا أَفْعَلُ الَّتِي^(٥) لِلْمُفَاضَلَةِ وَالتَّفَاوُتِ ، وَلَا مَا يَفْهَمُهَا ، وَإِنَّمَا قَبْلُهَا : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ^(٦) ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(٧) . وَبَعْدَ هَذَا : ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٨) ، وَبَعْدَ هَذَا : ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٩) . فَتَأْمَلُ هَذِهِ الْفَوَاصِلَ وَاتِّفَاقَهَا فِي اسْمِ الْفَاعِلِ الْمَجْمُوعِ جَمْعَ السَّلَامَةِ فِي قَوْمٍ مُتَّفِقِي الْأَحْوَالِ فِي^(١٠) كُفْرِهِمْ إِلَى أَنْ خَتَمَ وَصَفَهُمْ ، وَمَا قَصَدَ مِنْ ذِكْرِهِمْ بِقَوْلِهِ : ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فَتَنَاسَبَ الْآيُ فِي السِّيَاقِ وَالْفَوَاصِلِ ، وَخَتَمَتْ بِمِثْلِ مَا بِهِ بَدَأَتْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَتَنَاسَبَ مَا وَرَدَ هُنَا لَفْظُ الْمُفَاضَلَةِ ، إِذْ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ مَا يَسْتَدْعِي ذَلِكَ ؛ لَا مِنْ لَفْظِهِ وَلَا مِنْ مَعْنَاهُ وَوُضِحَ اخْتِصَاصُ كُلِّ مِنَ الْعِبَارَتَيْنِ [فِي]^(١١) مَكَانِهِ ، وَأَنَّ الْعَكْسَ لَا يَلَاطِمُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) ساقط من ج ، هـ ، ع .

(٢) ما بعده إلى آخر الآية ساقط من هـ ، م ، ك ، ب .

(٣) أي قوله : (مكان الآخسرين) ساقط من ث .

(٤) ك : لتنافى .

(٥) بعدها في ج ، هـ (كان) .

(٦) ما بعدها إلى آخر الآية ساقط من ك .

(٧، ٨، ٩) سجل / ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ عن الترتيب .

(١٠) ساقطة من ح .

(١١) جميع السخ من .

١٧٤ - الآية الرابعة من سورة هود عليه السلام في قصة نوح عليه السلام:

﴿قَالَ يَنْقُومِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتُ عَلَيْكُمْ﴾ (٢٨).

وفي قصة صالح بعد (٦٣): ﴿قَالَ يَنْقُومِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾.

للسائل أن يسأل عن مجاوبة^(١) كل واحد من هذين النبيين الكريمين لقومه، لِمَ تقدم المجرور في قول صالح عليه السلام: ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾، على المفعول الثاني من مفعولَي آتاني^(٢)، الذي هو رحمة، والوجه تأخير، لأنه فضلة كما ورد متأخراً في قول نوح عليه السلام: ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾.

والجواب عن ذلك أن قوم صالح عليه السلام بالغوا في إساءة الجواب حين قالوا: ﴿قَدْ كُنْتُ فِينَا مَرْجُوءاً قَبْلَ هَذَا﴾^(٣)، أي قد كنت مرجوئاً أن تسود فينا حتى نقطع عن رأيك، ونرجع اليك في أمورنا. فَرَمَوْا مقامه النبوي بحط مرتبته عنهم فلما بالغوا في إساءة الجواب، جاوبهم عليه السلام رداً لمقالهم الشنيع بقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾، ولا شك^(٤) أنه عليه السلام كذلك، وأنه على بصيرة من أمره، وأنه خاطبهم على ما يجري في^(٥) المناظرات^(٦) من فرض ما لا يعتقده المناظر على حسب

(١) ب: (يقال ما وجه مجاوبة...).

(٢) م: آتي.

(٣) هود / ٦٢.

(٤) ج، هـ: يشك.

(٥) ح، ع: تجري فيه.

(٦) ك: المناظرة.

نطقه؛ ولكنه يستنزل بذلك مناظرة ليقيم الحجة عليه فيقول: هَبْ كَذَا عَلَى مَا تَقُوله. فعلى هذا جرى قول هذا النبي الكريم ﴿وَأَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ أي كيف ترون إن كنت على واضحة، وعلى يقين من ربي وآتاني منه رحمة فعصيته بموافقتكم. فإن فعلت ذلك فمن ينصُرني ويمنعني من عذابه [١٢٠/ظ] فخطبهم عليه السلام بطريقة فرض هذا إن كان كذا وهو عليه السلام العليم بحاله الجليل، وعلى بينة من ربه وأكد بتقديم المجرور في قوله: ﴿وَأَتَانِي بِنُورٍ رَحْمَةً﴾، لما يحزره^(١) من التأكيد ويعطيه بمفهومه من أن الرحمة منه سبحانه، لا يشاركه^(٢) فيها سبحانه غيره، وهو مخصوص^(٣) لا يحصل مع تأخيره. فتقديم هذا الضمير المجرور كتقديمه في قوله سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وقد تقدم مثله وإنشاد سيويه - رحمه الله:

لَتَقَرَّبَنَّ قَرَبًا جَلْدِيًّا مَا دَامَ فِيهِمْ فَصِيلٌ حَيًّا^(٤)

فلما بالغوا في قبح الجواب بالغ عليه الصلاة والسلام في رد مقالهم، فقدم المجرور لتأكيد أن الرحمة من عند الله تعالى [قال]: وآتاني منه رحمة. ولما لم يكن في مراجعة قوم نوح مثل هذا في شناعة الجواب - لأن أقصى المفهوم من قولهم: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا يَشْرَأُ مِثْلَنَا﴾ الحاقه بهم، ومماثلته إياهم، وكانهم يقولون لو كنت رسولاً لكنت من الملائكة ولم تكن لتماثلنا. فلم يكن في قول هؤلاء ما في قول^(٥) قوم صالح؛ فجرى جوابه عليه السلام على نسبة ذلك، فقال: ﴿وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِي﴾، فأتى بالمجرور مؤخرًا في محله

(١) ك: يجوز.

(٢) ك: يشاركه.

(٣) ح، هـ، ب: حصون.

(٤) راجع تخريج البيت في الآية رقم ٧.

(٥) ساقطة من هـ، م، ب.

على ما يجب حيث لا يقصد من احراز المفهوم، ما^(١) قصد في الآية الأخرى. فورد كل على ما يلائم والله أعلم.

١٧٥ - الآية الخامسة من سورة هود قوله تعالى:
﴿وَحَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ
أَثْنَيْنِ﴾^(٢) وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ^(٣) (٤٠).

وفي سورة قد أفلح المؤمنون^(٤) (٢٧): ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ
فَأَسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ - الآية.

للسائل أن يسأل عن قوله في سورة هود: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾، وفي
السورة الثانية: ﴿فَأَسْلُكْ﴾ والقصة واحدة^(٥). فهل ذلك لمقتضى^(٦) كل^(٧)
واحد من الموضعين^(٧) ما وقع فيه؟

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن لفظ احمل أوسع مواقع في اللغة،
وأكثر تصرفاً في الكلام تقول: حملت الشيء الى دنان، وحملت على
كاهلي. وحملت العلم عن فلان، وحمل فلان الأمانة، وحملت القصب
على كذا، وحمل الفارس على صاحبه، وحملت المرأة، والشجرة. ولا
تقول في شيء من هذا سلك، إلا أن يكون المحمول فيه جسمًا، فيتعاقب
سلك وحمل إن لم يعرض من المعنى ما يمنع. وأما سلك، فإن العرب

(١) ج، هـ: وما.

(٢) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.

(٣) ب: سورة المؤمنين، وكلاهما تسمية للسورة.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بين الأولى والثانية مع أن القصة...).

(٥) هـ، ع: لمقتضى، ك: مختصر.

(٦) ج، هـ، م، ع: لكل.

(٧) ب: العصاة.

تقول: سلكت الشيء في الشيء، وأسلكته أي أدخلته. قال تعالى: ﴿أَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾^(١)، أي أدخلها. وقال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾^(٢) أي ما أدخلكم، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُغْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ هَذَابًا ضَعِيفًا﴾^(٣). أي ندخله فيه وقُلْ ما يخرج سلك عن هذا المعنى من الدخول حقيقة أو مجازاً [١٢١/و] من حيث المعنى خصوصاً. وأما حمل ففيها اتساع لا يكون في سلك، فوجه ورودها في سورة هود مناسبتها من حيث المعنى ومن حيث ما اقترن بها من لفظ قلنا، فطال الكلام لفظاً على ما أشرنا إليه من سعة المتخامل وإن لم يرد جميعها هنا؛ لكن ناسب مجموع هذه العبارة ما ورد في سورة هود من استيفاء قصة نوح عليه السلام وطول الكلام بذلك.

وأما آية المؤمنين ففي قصة نوح فيها إيجاز، وإجمال ألا ترى أنها في كلمها وعدد حروفها - أعني آية هود - على الضعف، أو أطول مما في سورة المؤمنين. فلذلك ورد في سورة المؤمنين لفظ^(٤) اسلك لإيجازه من حيث معناه وعُرويه عن اقتران لفظ قلنا وغيره مما يحرز الطول بخلاف ما في سورة هود. ومما يعضد هذا المقصد، ويشهد له قوله تعالى في سورة هود: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، وفي سورة المؤمنين^(٥): ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، فتأمل^(٦) تنظير حتى [وإذا]، وهي أربعة أحرف بفاء التعقيب في سورة المؤمنين في قوله ﴿فَإِذَا﴾، وانما الفاء على حرف واحد فنوسب بالفاء

(١) القصص / ٣١.

(٢) المدثر / ٤٢.

(٣) الحن / ١٧.

(٤) ج، ب، ع: بلفظ.

(٥) زاد بعدها في ح، ب، ع: (في قوله).

(٦) ك: تأمل.

موضعها المبني^(١) على الإيجاز، ويختي^(٢) موضعها المبني على الاستيفاء والطول، فقد وضح ورود كل ما في السورتين على ما يجب ويناسب والله سبحانه أعلم بما أراد^(٣).

١٧٦ - الآية السادسة من سورة هود قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ (٥٨)

وقال في قصة شعيب عليه السلام (٩٤): ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾، فعطفت^(٤) ﴿لَمَّا﴾ على ما قبلها بواو النسق في هذين الموضعين وخالفت قصة صالح وقصة لوط عليهما السلام في الحرف المعطوف به هذه الجملة المصدرة بحرف الوجود^(٥)، فقل في قصة صالح عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾^(٦) بعطف^(٧) ﴿لَمَّا﴾ على ما قبلها في هاتين الآيتين بفاء التعقيب.

فللسائل أن يسأل عن وجه اختصاص آيتي هود وشعيب بالواو، وآيتي صالح ولوط^(٨) بفاء التعقيب وهل ذلك بواجب؟

والجواب عن ذلك - والله اعلم - أن آيتي صالح ولوط عليهما السلام ورد فيهما ما يقتضي معناه أن يربط بالفاء المقتضية للتعقيب. أما قصة

(١) ما بعدها إلى قوله (موضعها المبني) ساقط من ب.

(٢) ج، هـ، ع، و بحق.

(٣) ساقط من ج، ع (قوله: (بما أراد)).

(٤) ك: فقطعت.

(٥) ج، هـ، ب، ع: الوجود.

(٦) هود / ٨٢.

(٧) ب، ع: فعطف، ح، هـ: فقطعت.

(٨) ما بعدها إلى قوله آيتي صالح ولوط عليهما السلام ساقط من ك.

صالح منهما^(١) فتقدمها قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ فقال: ﴿تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ فكان قد قيل: [١٢١/ظ] فلما انقضت، فالموضع للفاء لقصد^(٢) التعقيب. هـ

ومثل هذا من غير فرق قوله تعالى في لوط عليه السلام: ﴿إِنْ مَوْعِدُهُمْ الصُّبْحُ﴾ ولا شك ان المعنى يستدعي تقدير: فلما أصبح، تحقيقاً لصدق الوعيد، وإعقاباً لا يتحصل بغير الفاء^(٣)، فهذا يوجب خصوص الفاء بهذين الموضعين.

وأما قصة هود عليه السلام، فلم يرد فيها ما يستدعي تعقيباً، بل قبلها ما يقتضي ما ينسق ما بعده عليه بواو العطف. وذلك قوله تعالى مخبراً عن قوم هود: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾^(٤)، ثم قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، فعطفت هذه الجمل بعضها على بعض بما يعطي ذاك، ويناسب العطف بالواو. وعلى هذا وردت آية شعيب عليه السلام فورد قبلها: ﴿وَيَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾^(٥)، ثم بعد ذلك: ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾. وليس هنا ما يقتضي تعقيباً، بل بابه حمل الآي بعضها على بعض بحرف التشريك فجاء كل^(٦) على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

١٧٧ - الآية السابعة من قصة هود قوله تعالى:

﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ (٦٠)

وفي قصة موسى بعد من هذه السورة (٩٩): ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ

(١) ج، هـ، م، ب: منها.

(٢) هـ، م: لقصد.

(٣) ما بعدها إلى قوله (خصوص الفاء) ساقط من ج، هـ، ع.

(٤، ٥) هود / ٥٧، ٩٣.

(٦) في ك فقط.

لَعْنَةً، فجمع في قصّة هود بين اسم الإشارة ولفظ الدنيا الجاري عليه وصفاً، واكتفى في قصة موسى باسم الإشارة دون التابع.

فللسائل ان يسأل عن وجه ذلك، وهل كان يجوز عكس الوارد.

والجواب عن ذلك أن الوارد عليه كل من الأيتين لا يحسن خلافه ولا يناسب. وذلك لوجهين:

أحدهما: أن قصة هود عليه السلام، في هذه السورة أكثر استيفاء من قصة موسى عليه السلام بكثير؛ فناسب الطول الطول، والإيجاز الإيجاز، ولا يليق العكس.

والوجه الثاني: أن قوله تعالى في قصة هود عليه السلام: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾، وارد على الأصل من الجمع بين التابع نعتاً، أو عطف بيان وبين متبوعه. وجاء في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً﴾، على حذف الوصف والاكتفاء باسم الإشارة، وكلّ فصيح فجيء بما هو الأصل أولاً، ثم جيء ثانياً بما هو ثان عنه على ما ينبغي ولا يحسن العكس؛ لأن ذلك سبب^(١) التفسير وبابه أن يتقدم، فما يحذف يكون لما تقدم مما يدل عليه، ولا يحذف لما سيأتي بعد، إلا في قليل نحو:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا، وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ، وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ^(٢)

وهذا الوجه كافٍ، والوجه الأول أنسب لرعي النظم والله أعلم.

(١) ج، م، ب، ع: شبه.

(٢) البيت في ديوان قيس بن الخطيم / ٢٣٨، الكتاب ٧٥ / ١ وقد صوب الأستاذ عبد السلام هارون نسبه إلى عمرو بن أمية القيس كما في الخزانة ١٩٠ / ٢١، وجمهرة أشعار العرب / ١٣٧، ومحاز القرآن / ٣٩، والندرة / ٢٣، وينسب البيت للمرار الأسدي، ولدرهم من زيد الأنصاري. انظر: معاني الفراء ٣٦٣ / ٢، الأنصاف / ٦١، معجم الشواهد / ٢٣٩، وشواهد النحو / ١٧٢٥.

١٧٨ - الآية الثامنة من سورة هود قوله تعالى في قصة صالح :

﴿قَالُوا يَنْصَلِحْ قَدْ كُنْتَ [١٢٢/و] فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (٦٢).

وقال في سورة إبراهيم عليه السلام (٩) : ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

للسائل أن يسأل عن ثبات^(١) النونين، وهما نون المضاعفة الداخلة للتأكيد، ونون الضمير^(٢) في ﴿إِنَّا﴾ في سورة هود^(٣) وسقوط إحدى النونات في سورة إبراهيم من ﴿إِنَّا﴾، وعن إفراد النون في سورة هود في ﴿تَدْعُونَنَا﴾^(٤) وإلحاق نون ثانية في ﴿تَدْعُونَنَا﴾ من سورة إبراهيم.

والجواب عن ذلك أن ﴿إِنَّا﴾ الواردة في سورة هود المضموم فيها إلى إن المشددة الناصبة للاسم والرافعة للخبر نون الضمير المنصوب واردة على ما يجب، وعلى الأصل في اتصال الضمير المنصوب^(٥) بها ثم يجوز حذف أحد المضاعفين تخفيفاً فنقول: ﴿إِنَّا﴾ فنكتفي بالضمير عن^(٦) النون المحذوفة، وذلك من فصيح كلامهم، والأصل الأول. وإذا تقرر هذا فاعلم أن الضمير المتصل بالفعل في ﴿تَدْعُونَا﴾ في سورة هود ضمير مفرد مستتر، وهو ضمير صالح عليه السلام، ورفع هذا الفعل بالضمة المقدرة في الواو، ودنا^(٧) ضمير قوم صالح، ولا نون هنا غير هذه.

(١) ب: يقال ما وحه ثبات...

(٢) ساقط من ج.

(٣) ما بعدها إلى قوله (تدعوننا) زيادة من ك.

(٤) ك: تدعوننا.

(٥) ع: بالنصوب، ك: المنصوب.

(٦) جميع النسخ: على.

(٧) الضمير محذوف من ك.

وأما قوله في سورة (١) إبراهيم ﴿مِمَّا تَدْعُونَنَا﴾^(٢)، فالواو ضمير الرُّسُل المقول لهم ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾، ورفع هذا الفعل بالنون الأولى، والنون الثانية ضمير المَدْعُوعِينَ فلا بد هنا من التَّوْنين (٣) في تدعوننا، فَكَانَ في مظنة (٤) الاستثقال، فحسن الحذف حيث يجوز فقيلاً: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا﴾^(٥)، ولما لم يكن في «تدعوننا» في سورة هود إلا نون واحدة وهي نون الضمير، لم تستثقل. فجاء بإتينا على الأصل فجاء كل على ما يجب والله أعلم بما أراد.

١٧٩ - الآية التاسعة من سورة هود قوله تعالى:

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ (٦٧)

وقال في هذه السورة في قصة شعيب عليه السلام (٩٤): ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾.

يسأل عن سقوط علامة التانيث من الفعل في قوله: ﴿وَأَخَذَ﴾ في قصة صالح، وثبوتها فيه في قصة شعيب مع التساوي في الفاعل وهو (٦) الصيحة، والتساوي في الفصل الواقع بين الفعل وفاعله الرافع له.

والجواب عن ذلك أن التانيث على ضربين: حقيقي، وغير حقيقي. فالحقيقي [١٢٢/ظ] لا تحذف تاء التانيث من فعله غالباً إلا أن يقع فصل

(١) ك: قصة.

(٢) ما بعدها إلى قوله: (رفع هذا) ساقط من ج، هـ.

(٣) ك: التَّوْنين.

(٤) ك: مضلة.

(٥) زادي ك بقية الآية.

(٦) ك: وهي.

نحو: قام اليوم هند. وكلما كثر الفصل حسن الحذف ومن كلامهم: «حضر القاضي اليوم امرأة» والإثبات مع الحقيقي أولى^(١) ما لم يكن جمعاً. وأما التانيث غير الحقيقي، فالحذف فيه مع الفصل حسن. قال تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾^(٢)، وهو كثير. فإن كثر الفصل ازداد حسناً. ومنه: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾. فالحذف والإثبات هنا جائزان والحذف أحسن فجاء الفعل^(٣) في الآية الأولى على الأول. ثم ورد في قصة شعيب، وهي الثانية بإثبات علامة التانيث على الوجه الثاني جمعاً بين الوجهين - إذ الآيتان في سورة واحدة - وتقديم^(٤) لـ «لَاؤَلَى»^(٥) على ما ينبغي، والله أعلم. وهذا ما لم يكن الفاعل ضمير مؤنث، فله أحكام تخصه^(٦).

١٨٠ - الآية العاشرة من سورة هود قوله تعالى:

﴿إِلَّا أَنْ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا نُبَعَّدَا لِمُودَ﴾ (٦٨).

قرئ^(٧) تمود في الموضعين بالوجهين من الصرف وعدمه^(٨)، إلا أن أكثر القراء^(٩) على الصرف في الأول ومنعه في الثاني^(١٠). فترتب^(١١) على

(١) ج، هـ، ك، ع: أولاً.

(٢) البقرة / ٢٧٥.

(٣) ج، ع: الفصل.

(٤) ك، ب: تقدمها.

(٥) ج، هـ، م، ع: للأول.

(٦) ك: لمصداً.

(٧) ك: وقرئ.

(٨) ك: وعليه.

(٩) ك: القرى.

(١٠) ذكر أبو حيان في البحر المحيط أن قراءة الصرف تنسب للأعمش وابن وثاب، والصرف قراءة الجمهور.

وذكر ابن محاهد حمزة عمن ترك الصرف، واستوى الخلاف في قراءة الآية. انظر: البحر / ٢٢٨،

والسبعة / ٣٣٧، سيويه ٢٥٢ / ٣، ٢٥٣.

(١١) ج، هـ: فترتبت.

قراءة الأكثرين سؤال وهو^(١): لم صُرف الأول في قراءة غير حفص وحمزة، ومنع الثاني الصرف في قراءة الجماعة غير الكسائي. ووجه ذلك - والله أعلم - التفات شيء فيه خفاء يراعي^(٢) مثله. وذلك أن الاسم النكرة^(٣) إذا كرر، وأريد بالثاني الأول ولم^(٤) يرد غيره، لزمته^(٥) الألف واللام التي للعهد، فصار معرفة؛ تقول: رأيت رجلاً فضربت الرجل، تريد المذكور، ولا تعيده نكرة بوجه. ولك أن تأتي به مضمراً، فتقول: رأيت الرجل فضربت. فإذا تكلمت بهذا في المعرفة^(٦)، فالأكثر أن تأتي به مضمراً، أو موصوفاً بقولك: المذكور^(٧). أما^(٨) ما لا يخرج عن الأول حتى لا يظن أنك تريد سواء فتقول: رأيت زيداً فكلمته، ولقيت عمراً فضربت المذكور، أو فضربت عمراً المذكور. فالثاني المكرر أبداً، إن كان الأول نكرة، كان هو معرفة بأداة العهد، وإن كان الأول معرفة كان الثاني أمكن في التعريف إذ قد يدخل الأول اشتراك لوجود أمثاله ممن تسمى^(٩) باسمه. وأما الثاني فلا يدخله اشتراك من حيث هو، إلا أن يسري له الاشتراك من الأول فقد ثبت^(١٠) على كل حال أنه أبعد من الاشتراك والالتباس من الأول وذلك شفاف له عليه فكأنه أعرف منه. فإذا كرر غير مضمّر ولا منعوت، وكان

(١) ج، ع: وهم، وفي هامش ج: سؤالان وهما.

(٢) م، ك، ب: يراعى.

(٣) ج، ع: الثاني.

(٤) ج، هـ، ك، ع: لم.

(٥) ك: لزمته.

(٦) ك: فإذا غدا في المعرفة.

(٧) ك: لقولك للمذكور.

(٨) جميع النسخ: أو.

(٩) ك: سمى؛ ح: يسمى.

(١٠) ك: فقط.

علماً مما يجوز في مثله الوجهان من الصرف وعدمه - وذلك الثلاثي^(١)
ساكن الوسط. والعرب قد تصرفه لخفته^(٢)، ومنهم من يمنعه [١٢٣/و]
الصرف لوجود علتين، ولا يراعي خفته وقد أنشدوا عليه:

لَمْ تَتَلَفَعْ بِفَضْلِ مِثْرِهَا دَعْدُ وَلَمْ تُسَقِّ دَعْدُ فِي الْعُلْبِ^(٣)

فصرف أولاً، ولم يصرف آخرأً فاذا كان أكثر^(٤) تعريفاً، كان الوجه
منع^(٥) صرفه اشعاراً بتمكن تعريفه، إذ هذا الضرب من التعريف من موانع
الصرف، ولا اعتبار بما دونه من المعارف في منع الصرف، إلا لمانع^(٦)
آخر. فلهذا كان الثاني في قوله: ﴿أَلَا بُعْدًا لِمُودَةٍ﴾، أولى بمنع^(٧) الصرف
والله أعلم. وعلى هذا ورد ما أنشدوه من قوله:

لَمْ تَتَلَفَعْ بِفَضْلِ مِثْرِهَا دَعْدُ وَلَمْ تُسَقِّ دَعْدُ فِي الْعُلْبِ^(٨)

فالمؤنث الثلاثي الساكن الوسط إذا لم يكن منقولاً من مذكر، فيه
الوجهان: الصرف وعدمه. إلا أن في اختصاص مكرره بالمنع تأنيساً لما
ذكرناه وإن لم ترد به الشواهد؛ إذ باب هذا معروف ومفهوم، لا^(٩) توقف
فيه.

(١) ج، هـ، م، ب، ع. الثاني.

(٢) هـ، م، ب. خفة.

(٣) البيت في ديوان جرير / ٨٢، وينسب لابن نيس في ملحقات ديوانه / ١٧٨. وأنظر: الخصائص

٦١/٣، التصريح ٧٧/٢، شرح المفصل ٧٠/١، الاقتضاب ٣٦٧، اللسان: لفع.

(٤) ك: أكد، وساقط من ج، ع.

(٥) هـ، م: مع.

(٦) ك: لموانع.

(٧) ج، هـ، ب: من منع، ع: في مع.

(٨) ك: فيأتي توقف.

١٨١ - الآية الحادية عشرة (غ) قوله تعالى :

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (٧٧).

وفي سورة العنكبوت (٣٣) : ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ^(١) إِنَّا مُنْجِيُونَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتَكَ﴾.

فللسائل أن يسأل عن ذلك^(٢).

والجواب عنه - والله أعلم - أن «أن» هذه الخفيفة، كثيراً ما تزداد وزيادتها على ضربين : بقياس، وغير قياس. فالذي بغير قياس نحو قوله^(٣) :

﴿كَأَنَّ ظِلِّي تَعْطُرُ إِلَيَّ وَارِقِ السَّلَمِ﴾

فزيدت [مع] كاف التشبيه بينها وبين مجرورها. وأما التي^(٤) تزداد بقياس فبعد لمّا^(٥). ولما ورد في^(٦) آية هود قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾. ثم ورد هذا اللفظ بجملة في سورة العنكبوت متكرراً بعينه، ورد أولاً بغير أن على الأصل، وورد ثانياً بزيادة أن على الثاني

(١) ما بعدما إلى آخر الآية في ك فقط.

(٢) ب : يقال ما وجهه.

(٣) البيت مختلف في نسبه إلى خمسة شعراء هم : باعث بن صريم الشكري، وأرقم بن علباء الشكري، وكعب بن أرقم، وزيد بن أرقم، وراشد بن شهاب وصدره :
ويوماً توافينا بوجه مُقْسَم

أنظر : الجمع ١/١٩٢، ١٤٣، سيبويه ٢/١٣٤، شرح المفصل ٨/٧٣، الانصاف ١/١١٣، اللسان (قسم)، المحتسب ١/٣٠٨، المصنف ٣/١٢٨، الخزانة ٤/٣٦٤، العين ١/٢٩٣، الأشمونى على الألفية ١/٢٩٣، شواهد النحو/ ٢٨٣٥.

(٤) ك : الثاني.

(٥) ك : لا.

(٦) ج، هـ، م، ب، ع : وردت آية.

ليحصل بين^(١) التوارد بين ما يرفع تناقل اللفظ المتكرر.
 فإن قيل: فإنه قد تباعد ما بين الأيتين، ومثل هذا لا يحصل^(٢) ما ذكرت.
 فأقول: لما كان اللفظ وكانت زيادة أن وعدم زيادتها هنا، هيئ فصيح^(٣)، جيء
 بالجائزين معاً^(٤)، وتأخرت الزيادة، إذ هي غير الأصل إلى المتأخر من الأيتين.
 فإن قلت: فإن قوله تعالى: ﴿لَلَّامَا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾^(٥)، لم يقع فيه تكرار،
 فلم زيد فيه «أن» ولم يأت على الأصل؟ قلت: لما كان مجيء البشير إلى
 يعقوب عليه السلام، بعد طول الحزن وتباعد المدة، ناسب ذلك زيادة أن، لما
 في مقتضى وضعها من التراخي فورد كل من هذا على ما يجب، والله أعلم.

١٨٢ - الآية الثانية عشرة من سورة هود قوله تعالى:

﴿قَالُوا يَا لَوُطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ
 بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ، وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا
 أَصَابَهُمْ﴾ (٨١).

وقال في سورة الحجر (٦٥): ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ
 أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾.

هنا ثلاث^(٦) سؤالات:

أحدها: استثناء^(٧) ﴿إِلَّا أَمْرَاتُكَ﴾ في سورة هود، ولم يقع هذا الاستثناء
 في الحجر.

(١) ساقطة من ك.

(٢) ك: لا يلاحظ.

(٣) ج، ك، ع: هيئ فصيحاً. والمعنى المقصود هنا هو أن اللفظ هيئ فصيح مع الزيادة وعدمها.

(٤) ج، هـ، م، ك، ب: معاً.

(٥) يوسف / ٩٦.

(٦) ك: ثلاثة.

(٧) ي: ك فقط.

والثاني : ما ورد في الحجر من قوله تعالى : ﴿وَاتَّبِعْ أَذْيَارَهُمْ﴾ .

والثالث قوله تعالى : ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ ، ولم يذكر ذلك في سورة هود .

والجواب عن الأول أن آية الحجر قد ورد قبلها في قصة إبراهيم عليه السلام قال : ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ . قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ . إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ^(١) . فلما ورد هنا استثناء المرأة وذكر حالها وقع بذلك الاكتفاء فلم يذكر في الآية بعد ، إذ^(٢) ذلك كله كلام متصل بعبءه ببعض ولم يتقدم لامرأة لوط عليه السلام في سورة هود ذكر فاحتج الى استثنائها^(٣) .

والجواب^(٤) عن السؤال الثالث^(٥) أن قوله في سورة الحجر : ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَآمَضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ ، زيادة إخبار بما ليس في سورة هود ، وقد تأخرت سورة الحجر عنها ، فَوَقْتُ بما لم يذكر في سورة هود ، ومثل هذا لا سؤال فيه .

١٨٣ - الآية الثالثة عشرة (غ)^(٦) قوله تعالى :

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ﴾ (٨٢) .

وفي الحجر (٧٤) : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾^(٧) . ففي الأولى : ﴿وَأَمْطَرْنَا

(١) الآيات / ٥٧ - ٦٠ .

(٢) ح ، ك ، ان .

(٣) ك استنابها .

(٤) ك : فالجواب .

(٥) م ، ك ، ب . الثاني ، ولم يُجِبْ عنه المؤلف .

(٦) ساقطة من هـ ، م ، ب ، ع .

(٧) إلى هنا ساقطة من هـ ، وأعاد في م من أنه هود : ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ . الخ

عَلَيْهَا»، والضمير للقرية، والمراد أهلها، وفي الثانية: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾، والضمير لقوم^(١) لوط.

فللسائل أن يسأل عن وجه^(٢) اختلاف الضمير مع اتحاد المقصود.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن كلا من الموضعين مراعى فيه مناسبة ما تقدمه. ولما تقدم آية الحجر قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ مُجْرِمِينَ﴾، فذكر قوم لوط موصوفين بالإجرام الموجب لهلاكهم فروعى هذا المتقدم فقيل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾. ونظير هذا قوله في سورة الذاريات: ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ مُجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن طِينٍ﴾^(٣)، فقيل عليهم لما تقدم قوله: ﴿إِلَى قَوْمِ مُجْرِمِينَ﴾.

أما آية هود فلم يتقدم فيها مثل هذا فاكتفى^(٤) بضمير القرية^(٥) فقيل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ وأغنى ذلك عن ذكر المهلكين إذ هم المقصودون بالعذاب، فورد كل على ما يناسب والله أعلم.

١٨٤ - الآية الرابعة عشرة من سورة هود قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا^(٦) أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (٩٦ - ٩٧).

وفي سورة غافر (٢٣، ٢٤): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ [و/١٢٤] وَهَمَّزٍ وَقُرُونٍ لَّقَالُوا سَجِرٌ كَذَابٌ﴾.

(١) ج، هـ، ع: والمراد قوم.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه...).

(٣) الآية / ٣٢.

(٤) ك: فالله.

(٥) ب: الفريخ.

(٦) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف في ك.

وقال في سورة الزخرف (٤٦): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقد ذكر صاحب الدرة هذه الآيات الثلاث لاستوائها في الافتتاح والمطالع وانفراد آيتي غافر وهود بزيادة قوله: ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، ولم يرد^(١) ذلك في آية الزخرف وقد ورد من مثل هذا^(٢) مثلها^(٣) في العدد وإن خالفه في المطالع والافتتاح، إلا أنها من ضربها وذلك قوله في سورة المؤمنين^(٤): ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ. فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾. وتقدم في سورة الأعراف^(٥): ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾. وفي سورة يونس^(٦): ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾. فورد في سورة^(٨) هود^(٩) وسورة المؤمنين وسورة غافر زيادة قوله: ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، ولم ترد^(١٠) هذه الزيادة في السور الثلاث الأخرى. وورد في سورة يونس وسورة المؤمنين ذكر تأييد موسى وأخيه^(١١) هارون عليهما السلام ولم يرد ذلك في غيرهما. وانفردت سورة

(١) ك: يذكر.

(٢) ساقطة من هـ، ج.

(٣) ساقطة من ع.

(٤) الآيات / ٤٥ - ٤٧.

(٥) الآية / ١٠٣.

(٦) الآية / ٧٥.

(٧) هـ: أعاد من قوله. ﴿عَالِينَ﴾ في سورة المؤمنين إلى آخر آية يونس، وفي ب: أعاد من قوله: وتقدم في سورة الأعراف إلى آخر آية يونس أيضاً.

(٨) ساقطة من ج، هـ، ب، ع.

(٩) ج: هذه.

(١٠) ك: لم ترد.

(١١) ك: بأخيه.

المؤمنين بالجمع بين تأييده عليه السلام بأخيه وسلطان مبین .

فللسائل أن يسأل عن توجيه ذلك كله لاتحاد الأخبار ^(١) .

والجواب عنه - والله أعلم - أنه حيث يذكر سوء رد المرسل اليهم وقبح جوابهم يقابل أبدأ بتأييده بأخيه أو عضدو بالآيات مما يقتضي القهر والإرغام وهو المعبر عنه بالسلطان المبين فيكون ذلك في مقابلة شنيع مجاوبتهم وسوء ردهم بالجملة . فانه إذا اجتمع إفساحهم بالتكذيب واستكبارهم جُبع في التمهيد ^(٢) المتقدم ^(٣) بين التأيد بهارون والسلطان المبين، وحيث يصرح ^(٤) بالتكذيب أو ما يعطيه بيّنا ^(٥) كقوله : ﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ ، قدم ذكر التأيد بالسلطان المبين، وحيث ذكر صفتان مُحَرَّمَتَانِ ^(٦) على التكذيب من غير إفساح، يقدم ^(٧) ذكر التأيد بهارون عليه السلام وما كان دون ما ذكر لم يذكر هارون ولا السلطان المبين فمن ذلك قوله تعالى : ﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ فإنه أخبر تعالى عنهم بأنهم لم تجد عليهم ^(٨) البراهين والآيات إلا اتباع فرعون ^(٩) وقوله مخبراً عنهم في سورة المؤمنين بقوله : [١٢٤/ظ] ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ الى ما تبع هذا من قبيح قولهم : ﴿أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ ، وإخباره تعالى عنهم في سورة غافر بقولهم : ﴿سَاجِرُ كَذَّابٌ﴾ . فهذه المواضع لما ذكر فيها من شنيع مرتكبهم في تلقي دعاء موسى عليه السلام إياهم قدم

(١) ب : صيغة السؤال (يقول ما وجه ذلك كله مع اتحاد الأخبار . . .) .

(٢) ج ، ك ، ب ، ع : التهديد .

(٣) ك : المتفكر .

(٤) هـ ، م ، ك : يصرح .

(٥) ك : بياناً .

(٦) ك : محرمتان .

(٧) ج ، م : تقدم .

(٨) ج ، هـ ، ع : عنهم .

(٩) ك : أمر فرعون .

توطئة لسوء مرتكبهم، تأييده عليه السلام بالسلطان المبين ليُفهم ذلك أخذهم وهلاكهم بسوء مرتكبهم.

وقدّم في سورة يونس توطئة لما ذكر من ^(١) استكبارهم واجترامهم تأييد موسى بأخيه هارون عليهما السلام وذلك من السلطان المبين. ولما تضاعف المحكي عن مرتكبهم وقبيح مقالهم في سورة المؤمنين قدم في ذكر إرساله تأييده بأخيه والسلطان المبين مقابلة للإخبار عنهم بقوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ فَكَذَّبُوهُمَا﴾، فإخبار تعالى عنهم بالتكذيب والاستكبار والاجترام والعلو تمرداً وعُتواً وادّعاء ^(٢) للمائلة لهم في البشرية والاحتقار ^(٣) لأقدارهما ^(٤) العلية، فقبل هذا الإسهاب من مقالهم السيء بالاطالة في ذكر التباين ^(٥) ليتناسب الطرفان. أما حيث ذكر السلطان فتجد ^(٦) جوابهم في ذلك دون ما تقدم من التشديد كقوله في سورة الأعراف: ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾، وقوله في سورة الزخرف: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ ^(٧) فليس موقع جوابهم في هاتين السورتين كموقع ما تقدم في الآيتين، فنوسب بين طرفي الدعاء والجواب ^(٨).

١٨٥ - الآية الخامسة عشرة، قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (١١٧)

(١) ساقطة مرج، ب.

(٢) في ع فقط ونفية النسخ: ادعاء.

(٣) ب الاحتصار.

(٤) ج، هـ، ب، ع. لأقدارهم.

(٥) ك: التأكيد.

(٦) في ك، فقط ونفية اسح: فبحر.

(٧) الزخرف / ٤٧.

(٨) ب: زادها (والله اعلم).

وفي سورة القصص (٥٩): ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن قوله في (١) الأيتين. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾، وفي [الثانية] (٢): ﴿وَمَا كُنَّا﴾، وعن قوله في الأولى: ﴿لِيُهْلِكَ﴾، بالفعل الداخلة عليه لام الجحود وفي [الأخرى] (٣): ﴿مُهْلِكَ﴾، ﴿وَمُهْلِكِي﴾، باسم الفاعل، وعن قوله في الأولى: ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا﴾ - الآية (٤). ﴿إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾، فتلك ثلاثة (٥) أسئلة والجواب أن آية هود تقدمها قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ (٦)، أي فهلاً كان منهم خيار ينهون عن الفساد والظلم فلو (٧) كان منهم ذلك (٨) لما هلكوا. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾، أي ما كان ليفعل بهم ذلك، وإن وقع فيهم ظلم، إذا كان فيهم مغير للظلم (٩)، ونأه (١٠) عن الفساد، ولكنهم كانوا كما أخبر تعالى عن المعتدين من [١٢٥/و] بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ (١١) وجيء بالفعل في قوله:

(١) ب: صيغة السؤال (يسأل عن قوله في . . .).

(٢) جميع النسخ. الثالثة.

(٣) ج، ب، ع: الأخرتين، هـ، ك، م: الأخرتين.

(٤) بعده في جميع النسخ وفي الثالثة.

(٥) ج، هـ، ع: ثلاث.

(٦) الآية / ١١٦.

(٧) ج، هـ: فلولا.

(٨) ك: تلك.

(٩) ح، ب، ع: معبر الظلم.

(١٠) ح: ونأه.

(١١) المائدة / ٧٩.

﴿لِيُهْلِكَ﴾، إشارة الى التكرار بحسب ما يكون منهم. فلو كان في كل أمة وقرن بعد قرن من ينهي ^(١) عن الفساد والظلم لما أُخِذُوا بدوي الظلم منهم ولكان تعالى يرفع ^(٢) بعضهم ^(٣) عن بعض ولكن تكرر ^(٤) الفساد عَمَّ ^(٥) كل قَرْنٍ قَرْنٍ فتكرر ^(٦) عليهم الجزاء والأخذ فأشار الفعل الى التكرار، ولم يكن الاسم ليعطي ذلك.

وهذا كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ ^(٧)، ولم يقل: قابضات لما قصد من معنى التكرار.

وأما قوله في سورة القصص: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾ - الآية، فإنه تقدم هذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ^(٨)، أي اتبعنا وأولينا التذكار. ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ^(٩)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ^(١٠). فلما أعلم سبحانه بتتابع التذكار، وتعاقب الإنذار، قال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾. وناسب هذا ^(١١) ذكر اسم ^(١٢)

(١) ك: ينهي.

(٢) ك، ب، ع: يدفع.

(٣) ب، ع: ببعضهم.

(٤) ك: تكون.

(٥) ج، هـ: وعم، وفي بقية النسخ: وعم، ولعل الصواب ما أبتناه.

(٦) ك: فتكون.

(٧) الملك / ١٩.

(٨) القصص / ٥١.

(٩) فاطر / ٢٤.

(١٠) الإسراء / ١٥.

(١١) ك، ع: ها.

(١٢) هـ، م، ب، ع: ذكر الفاعل.

الفاعل لأنه قصد^(١) ذكر^(٢) الانصاف^(٣) بهذا، ولم يقصد التكرار، ولم يكن حاصله^(٤). وقال هنا وفي سورة هود: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾، بإضافة اسم الرب - جل وتعالى - الى ضمير نبينا محمد^(٥) صلى الله عليه وسلم المخاطب بهذا ملاطفة لهذا النبي عليه الصلاة والسلام، وتأنيساً له ولأمته، وإشعاراً بعظيم حظوته ومنزلته لديه سبحانه. ثم أتبع هذا بقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾، فأخبر تعالى أنه ما يهلكهم إلا بعد استحقاق جميعهم العذاب، وتساويهم في الظلم وقيل في هذه الآية الأخيرة ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ﴾ لكلا يتكرر اللفظ بعينه مع الاتصال والقرب وليس من مواضعه وقد حصل جواب الأسئلة^(٦) الثلاثة وبيان خصوص [كُلُّ] آية^(٧) منها بموضعها، والله أعلم.

سورة يوسف عليه السلام

١٨٦ - الآية الأولى منها (غ)^(٨) قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢)

(١) ساقط من ح، ك، ع.

(٢) ساقط من ك.

(٣) ع: للاتصاف.

(٤) نص، العبارة في ك: «وناسب هذا ذكر اسم الفاعل لأنه قد نفى الانصاف بهذا ولم يقصد التكرار وإن كان حاصله أهد.

(٥) ساقط من ك.

(٦) جميع النسخ: الأسئلة.

(٧) ساقطة من ح، هـ، وفي م، ب: أمه.

(٨) ساقطة من ك، ب وهي من مغفلات الدرة.

وفي سورة الزخرف (٣): ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، فورد هنا (١) ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ في (٢) موضع ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ في الآية الأولى . .

. فللسائل أن يسأل عن موجب هذا (٣) التخصيص، لاتفاق الوارد في الآيتين لفظاً ومعنى في (٤) غير ما ذكر.

والجواب (٥) - والله أعلم - أن آية سورة يوسف، لما كانت توطئة (٦) للذكر قصصه عليه الصلاة والسلام، ولم (٧) تتضمن السورة غير ذلك، إلا ما أعقبت به في آخرها، مما يعرف بعجيب ما تضمنته مما كان عيباً عند قريش والعرب، ومستوفياً ما كان أهل الكتاب يظنون [١٢٥/ظ] أنهم انفردوا بعلمه فانزل الله هذه السورة موفية من ذلك أتمه (٨) ومعرفة من (٩) قصصه العجيب، ومؤدية أكمله، وأعمه ولا أنسب عبارة هنا من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، ليعلم العرب وأهل الكتاب أن ذلك مُنَزَّلٌ من عند الله تعالى لموافقته ما عند أهل الكتاب، وليقطع (١٠) العرب والجميع أن محمداً (١١) صلى الله عليه وسلم لم يتلق ذلك القصص من أحد من العرب، إذ لم يكن عندهم من نبأ، ولا رحل في

(١) ساقط من ك.

(٢) ي ك فقط.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما موجب هذا التخصيص).

(٤) ساقطة من ك.

(٥) زاد هنا من ك «عه».

(٦) ساقط من ج، هـ، م، ع.

(٧) ج، م، ع: ولما.

(٨) ج، هـ: لأتمه، وي: ب: لأمه.

(٩) ب: بين.

(١٠) هـ، م، ك، ب: ولقطع.

(١١) ج، هـ، م، ك: محمد.

تعرّفه^(١) إلى أحد، فكان قصصاً وآية مُعلِّماً^(٢) بصحة رسالته صلى الله عليه
وعليه وسلم، وعظيم تلك العناية. فالتعبير بالإِترال هنا بين^(٣).
وأما آية الزخرف فلم تُبن على إخبار بل أعقبت بأي الاعتبار والبلطف^(٤) في
التنبيه والتذكار. قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُتِبَ قَوْمًا
مُتْرَفِينَ﴾^(٥)، وهذا أعظم التلطف. وقال تعالى بعد: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾^(٦). ثم مضت أكثر آي هذه
السورة على نحو هذا الاعتبار وما يناسبه^(٧). وقد ذكر سيبويه - رحمه الله - في
أقسام «جَعَلَ» كونها بمعنى^(٨): صير، ملحقاً لها بظننت وأخواتها ومنه قولهم:
جعلت الطين خزفاً، وذلك انتقال وتُصِيرُ^(٩)، فالمراد في الآية^(١٠) جعل
الكتاب معتبراً هدى ونوراً، والمنتهون به^(١١)، والمعتبرون بآياته والمخاطبون به
بمخلوقون تقدمهم العدم، وإنما صح خطابهم به مشاهدة بعد وجودهم فصيح
بالتفات^(١٢) حالهم التصير، وجل عن التغيير والحدوث كلام الحكيم الخبير.
فكللامه سبحانه قديم ليس بمخلوق فيبين، ولا صفة لمخلوق فينفد^(١٣)، فقد
وضح معنى الجعل هنا ومسوغه، وأنه لا يناسب هنا غيره^(١٤)، فجاء كل على ما
يجب، والله أعلم.

(١) ك: تعرّفه.

(٢) (٣، ٢) ساقط من ك.

(٤) ك: والتلطف.

(٥) الآية / ٥.

(٦) الآية / ٩.

(٧) ج، ب، ع، يناسب.

(٨) ب: معنى كونه.

(٩) ك: وصير.

(١٠) ب: بالآية.

(١١) ج، ب: المنتهون، وفي ع: المنتهون.

(١٢) ك: بانتقال.

(١٣) جمع السخ: فيفسد.

(١٤) ك: غير ذلك ولا يناسب الآية لأخرى غير إترال محاء...

١٨٧ - الآية الثانية من سورة يوسف قوله تعالى :

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٢)

وفي سورة القصص (١٤) : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

للسائل أن يسأل عن ثبوت^(١) قوله : ﴿وَآسْتَوَى﴾، في سورة القصص ولم يثبت ذلك في سورة يوسف، وهل كان يمكن ورود العكس في الآيتين.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن الأشد مختلف فيه من البلوغ الى استكمال أربعين سنة، وقد قيل بالزيادة على الأربعين^(٢). وظاهر القرآن أن الأشد يقع على ما دون الأربعين، لقوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾^(٣) فلو كان الأشد الأربعين لأدى الى عطف الشيء على نفسه فانما الكلام في قوة أن لو قيل : حتى إذا بلغ أشده واستكمل وتم بالزيادة، والله أعلم [١٢٦/و].

وإذا كان وقوع الأشد على ما ذكرنا، ولا يكون إلا على حال من العمر يحصل فيه الضبط والتدبير، والإحكام للأمور، والفهم للخطاب وتحقيق مقادير الأمور، وهذا يجري العادة. أما ابتداءه من البلوغ، أو قبل البلوغ ثم يستحكم الى الغاية التي اليها انتهاء تمام القوة، واستحكام العقل فتلك^(٤) الأربعون، وعلى رأس أربعين سنة بعث الله نبينا^(٥) محمدا صلى الله عليه وسلم ثم إن الله

(١) ب : صيغة السؤال (يسأل عن ثبوت...).

(٢) الأشد هو القوة، وبلوغ الحلم، وقيام الحجة عن المكلف. انقاموس (الشدة)، الحصاص ٣/ ٣٩٠.

(٣) الأحقاف / ١٥.

(٤) ب : وتلك، وبقيّة النسخ. تلك.

(٥) ب : نبيا ومولانا محمدا.

سبحانه قال في قصة يحيى بن زكريا، عليهما السلام: ﴿وَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١)، وهذا ولا بُدَّ في حكم سن غير الأربعين^(٢). وقد قال في قصة يوسف عليه السلام حال إلقائه في الجُب: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٣) وهذا^(٤) حال ابتداء الوحي^(٥) من الله سبحانه، انما يكون بعلم وحكمة. وموسى عليه السلام انما ابتدئ بالوحي وسماع الكلام بعد فراره خوفاً من فرعون قال الله تعالى^(٦): ﴿فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٧) وأفصح آي القرآن أن ذلك بعد رجوعه وإنكاح شعيب عليه السلام اياه ابنته - ولم يخرج من مصر [حتى] اثتبر^(٨) به للقتل - وبعد وكزه^(٩) لذي كان من عدوه وقضائه عليه. ومجموع هذا انما هو بخروجه عليه السلام عن سن الابتداء الى استكمال^(١٠) الأشد، وهو الاستواء؛ فقل في قصته: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآمَنَ وَاتَّقَى﴾، أي استكمل وانتهى الى أحسن الحالات في السن. وأما يوسف عليه السلام في الوحي إليه في الجب فحاله^(١١) - وإن بلغ ما يسمى^(١٢) أشداً - غير حالة الاستواء، فامتنع مجيء الاستواء في قصته، وورد في قصة موسى. وكلام المفسرين إذا تؤمل - وإن لم يكن إفصاحاً - مُشعرٌ بهذا، فجاء كل على ما يجب، والله أعلم.

(١) مريم / ١٢.

(٢) ج، ع: ولا بد من حكم في غير الأربعين، ك: في غير سن الأربعين، ب: في حكم غير الأربعين.

(٣) يوسف / ١٥.

(٤) ك: هذه.

(٥) ج: ابتداء - الوحي، هـ، ك: ابتداء الوحي.

(٦) ساقطة من ج، هـ، ع.

(٧) الشعراء / ٢١.

(٨) هـ، ك: اثتبر، ب: أوتمر.

(٩) ي ك فقط وبقية النسخ: وكزه.

(١٠) ج، هـ، م: الاستكمال.

(١١) ي ب فقط.

(١٢) ك: سقى.

١٨٨ - الآية الثالثة من سورة يوسف عليه السلام قوله تعالى :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ (١٠٩).

وفي سورة النحل (٤٣) : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وفي سورة الأنبياء (٧) : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾.

وفي سورة الفرقان (٢٠) : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾.

للسائل أن يسأل عن^(١) اختصاص هاتين الآيتين الأخيرتين بسقوط ﴿مِنْ﴾
منهما، وثبوتها في الآيتين الأوليين^(٢).

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن آية يوسف قد تقدمها قوله تعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾^(٣)، وقوله : ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤). وقوة السياق في هذه [١٢٦/ظ] الآية يدل على معنى القسم ويعطيه، فناسب ذلك زيادة ﴿مِنْ﴾ المقتضية للاستغراق. وكذلك قوله في سورة النحل^(٥) : ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾، يؤكد ذلك المعنى، فناسبه زيادة من، لاستغراق ما تقدم من الزمان.

أما قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي

(١) ب : صيغة السؤال (يسأل عن . . .).

(٢) ك : الآيتين.

(٣) (٤، ٣) يوسف / ١٠٦، ١٠٨.

(٥) الآية / ٤١.

إِلَيْهِمْ ﴿١﴾، فتقدم قبلها إنكار الكفار كون الرسل من البشر في قوله: ﴿هَلْ (١) هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (٢)، واقتراحهم الآيات في قولهم: ﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْآوَلُونَ﴾ (٣). فلما انطوى هذا الكلام على قضيتين من اقتراحهم الآيات وإنكارهم كون الرسل من البشر وقد تبين لهم حال المقترحين في قوله تعالى: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾. فلما تقدم هذا أتبع بيان الطرف الآخر (٤)، وهو التعريف بأن من تقدم من الرسل إنما كانوا رجالاً من البشر مختصين بتخصيصه سبحانه ولم يكونوا ملائكة فليل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾، فليل هنا ﴿قَبْلَكَ﴾، كما قيل في نظيرتها: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ﴾ (٥) فلم تدخل هنا ﴿مِنْ﴾، كما لم تدخل في النظر الآخر (٦) لإحراز (٧) التناسب، والتحام الجملة المنطوية على طرفي مقصدهم من الاقتراح وإنكارهم كون الرسل من البشر. وكذا الوارد في سورة الفرقان من قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾، وإنما ورد جواباً لقولهم: ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (٨)، ولا داعي هنا للقسم (٩)، إذ هو جواب لقولهم، فلا داعي لورود «من». فورد هذا كله على أبداع نظام وأغنى تناسب. وإذا اعتبر الناظر استوضح أن كلا من هذه الأي لا يمكن كيانه (١٠) في موضع غيره، والله أعلم.

(١) جميع النسخ ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ﴾، وهي في سورة المؤمنون / ٢٤، ٣٣.

(٢) (٣، ٢) الآية / ٣، ٥.

(٤) ساقطة من ك.

(٥) الأنبياء / ٦.

(٦) في ك فقط.

(٧) ج، هـ، م، ب: لا حترار.

(٨) الفرقان / ٧.

(٩) ك: ولا داعي من هذا للقسم.

(١٠) ح، ك، ع: إثباته.

١٨٩ - الآية الرابعة من سورة يوسف قوله عز وجل :

﴿أَقْلَمُ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ (١٠٩)

قلت: تكرر هذا الضرب من الاعتبار بأحوال من تقدم من الأمم، وما أعقب المكذبين تكذيبهم في عدة مواضع: منها ما ورد فيه بعد همزة التقرير بفاء^(١) التعقيب، ومنها ما ورد بواو النسق.

فأما تقدم الهمزة قبلها فلما لها من الصدرية، فلا يتقدم حرف العطف عليها. ولما جرت في عطفها في هذه الآية على ما ذكرنا من تخصيص بعض هذه المواضع بالفاء المقتضية مع التشريك الترتيب والتعقيب وبعضها بالواو المقتضية مجرد التشريك والجمع [١٢٧/و] كان ذلك مظنة سؤال.

فللسائل أن يسأل^(٢) عن وجه اختصاص كل واحد من هذه المواضع بما اختص به^(٣) في عطفه على ما قبله^(٤). فمن^(٥) الوارد بالفاء آية يوسف المذكورة آنفاً، وفي سورة الحج^(٦): ﴿أَقْلَمُ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ^(٧) يَغْفُلُونَ بِهَا﴾ - الآية، وفي آخر سورة غافر^(٨): ﴿أَقْلَمُ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^(٩) كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ -

(١) ج، هـ، ب، ع: فاء، ك: جاء.

(٢) ب: (فللسائل سؤال عن...).

(٣) ي: ك فقط.

(٤) ك: قبلها.

(٥) ك: هؤلاء.

(٦) الآية / ٤٦.

(٧) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.

(٨) آية / ٨٢.

(٩) من ها إلى نظيرتها في آية القتال ساقط من ح، ع، وي: ب. حذفت نية آية غافر.

الآية، وفي سورة القتال^(١) : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ ؛ فهذه أربع آيات مما ورد آنفاً. ومن الوارد بالواو قوله في سورة الروم^(٢) : ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^(٣) كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا﴾ - الآية]. وفي سورة الملائكة^(٤) : ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ - الآية، وفي سورة المؤمن^(٥) : ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ ؛ فهذه ثلاث آيات.

والجواب عن الضرب الأول :

أما آية يوسف، فإن قوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ - الآية^(٦) مربوط^(٧) بما قبله ومبني على ما تقدم كالحال في جواب مبني على ما قبله. ألا ترى أن قبل الآية آيات^(٨) تخويف وترهيب كقوله^(٩) : ﴿وَكَسَائِبٍ مِنْ آيَةِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَمْشُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ^(١٠)﴾، ثم قال تعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِإِلَهِ إِلَّا وَهُمْ

(١) هي سورة محمد، آية / ١٠.

(٢) الآية / ٩.

(٣) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.

(٤) هي سورة فاطر، آية / ٤٤.

(٥) هي سورة غافر، آية / ٢١.

(٦) في ك فقط.

(٧) ج، ب، ع : مربوطاً.

(٨) ك : آية.

(٩) ك : لقوله.

(١٠) يوسف / ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧ على الترتيب وزاد في بقية الآية : ﴿أَوْ تَأْتِيهِمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

مُشْرِكُونَ»^(١)، ثم قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾^(٢). ثم قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾^(٣) أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي»^(٤)، أي^(٥) قل لهم يا محمد^(٦) هذه سبيلي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ - الآية. ثم قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٧). فالكلام^(٨) بجملة في قوة ان لو قيل: «ما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ رِجَالًا مِنْ الْبَشَرِ أَمْثَالِكَ فَكُذِّبُوا فَهَلْكَ مُكَذِّبُوهُمْ وَأَخَذُوا كُلَّ مَا أَخَذَ فَإِنْ شَاءَ هَؤُلَاءِ فَلْيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ»^(٩) من تقدم». فالكلام من حيث معناه في قوة الشرط والجزاء؛ فورد بالفاء وليس موضع الواو. ويشهد لهذا الغرض وَيُبَيِّنُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَىٰ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(١٠)، أي فان شككتهم فسيروا في الأرض [١٢٧/ظ]. وعلى هذا المعنى كل ما ورد من هذا.

ومن هذا القبيل آية سورة الحج. ألا ترى أن قبلها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ. وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ. وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ

(١) يوسف / ١٠٦، ١٠٧.

(٢) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ك.

(٣) الآية / ١٠٨.

(٤) ساقطة من هـ، م، ب، ع.

(٥) سقط المنادى وحرف النداء من ج، هـ.

(٦) الآية / ١٠٩.

(٨) ك: فلا كلام، ومن هنا إلى قوله (فليسيروا في الأرض) ساقطة من ح، ب، ع.

(٩) ك: عاقبة الذين من قبلهم من تقدمهم (هكذا).

(١٠) النحل / ٣٦.

نَكِيرٌ^(١). ثم قال: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَبَقِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىٰ مُعْتَلَّةٌ وَقَضَرَ مُشِيدٌ. أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ^(٢)، أَي فَهَلَا^(٣) سَارُوا فِي الْأَرْضِ قاصدين الاعتبار فعقلوا وانتفعوا بأسماعهم وأبصارهم. فعلى هذا هو المعنى، ولا مدخل لَوَاو العطف هنا، وإنما الملازم الفاء لما تعطيه من السببية والارتباط.

وأما الوارد^(٤) في آخر سورة المؤمن، فقد تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿وَيُزَيِّنُكُمْ آيَاتِهِ فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ^(٥)»، ثم قال تعالى: ﴿أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ^(٦)»، أَي فَهَلَا سَارُوا فاعتبروا بما^(٧) في الأرض من الآيات. قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ^(٨)» فالمعنى على هذا وليس المعنى على العطف المجرد من معنى التسبب^(٩) فالموضع للفاء لا لَوَاو^(١٠) النسق^(١١).

وأما الوارد في سورة القتال فإن قبل الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ^(١٢)». ثم قال: ﴿أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ^(١٣)» فالملازم هنا الفاء، لما في الكلام من معنى

(١) (٢، ١) الآيات / ٤٢ - ٤٤، ٤٥ - ٤٦.

(٢) ج، ب: فهل - لا.

(٣) ج، هـ، ع: الواو.

(٤) عامر / ٨١.

(٥) ك: سقط منها (فاعتبروا بما).

(٦) اللوايات / ٢٠.

(٧) ج، هـ، ع: السببية.

(٨) هـ، ج، م: للواو.

(٩) ساقطة من ج، م، ب، ع.

(١٠) سورة محمد / ٧ - ٩.

التسبب والتحضيض^(١) المحرزين^(٢) هنا ما يناسب^(٣) ويلائم مرتكبهم من التوبيخ^(٤). فالموضع للفاء المقصود بها ربط الكلام بما قبله.

وأما الضرب الثاني مما ورد بالواو فلعطف ذلك على ما قبله تشريفاً لا سبب^(٥) فيه، ولا معنى جوابية، ولا مقصود تعقيب، ولا ربط مقصود^(٦) بها من المعاني بما قبله سوى التشريك خاصة. ففي سورة الروم متقدماً قبل الآية قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٧) فعطف على هذا عطف تشريك لا مسببية في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾. فتشركت^(٨) الأيتان في الحض على الاعتبار، ومقصودهما فعطفت احدهما على الأخرى بما يقتضي ذلك، وليس إلا الواو. وأما الفاء وثم فلا مدخل لواحدة منهما هنا^(٩) والله أعلم.

وأما سورة الملائكة فتقدم فيها قوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾^(١٠) فأحيلوا على ما أطرَدَ فيهم من سُنتِهِ تعالى فيهم من أخذهم بتكذيبهم سُنة الله تعالى التي قد خلت في عبادته ثم أعقب بإحالتهم على من قرب منهم ممن شاهدوا آثاره وتعرفوا على قرب أخباره، ف قيل: ﴿أَوَلَمْ

(١) ج، ب، ع: التخصيص.

(٢) ج، ع: المحرزين ب: المحرر ومن.

(٣) ساقط من ك.

(٤) ج، ع: التوضيح.

(٥) ك: سبب.

(٦) زاد في ك هنا وما.

(٧) الآية / ٨.

(٨) ع: فتشركت، ج: فتشريك.

(٩) في ك فقط.

(١٠) فاطر / ٤٣.

يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴿١٢٨﴾ [و/١٢٨] فقولته: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾، وقولته: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾، مسلك واحد من الاعتبار فُصلَ لهم بحسب ما أمروا بعد (١) باعتبار حاله فعطف أحد الشيتين على الآخر مع اتحاد النوع المعتبر به (٢) ولا يعطف مثل هذا إلا الواو خاصة وما سوى الواو فلا يلائم ولا يناسب، والله أعلم.

وأما الآية الأولى من سورة المؤمن فملحوظ بها ما نيطة به في معناها من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (٣). وليس بعد هذه الآية من معناها إلا قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾. فمن آياته تعالى التي أراها لعباده ما أجراه من سنته فيمن خلا من الأمم، فوقعت الإحالة على ذلك بعطف (٤) الآية من قوله ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ على ما به نيطة حسبما تقدم، ولا يناسب ذلك غير الواو (٥).

سورة الرعد

١٩٠ - الآية الأولى منها (غ) (٦) قوله تعالى:

﴿الْمَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ (١)

(١) جميع النسخ: بحسب بعد ما أمروا (هكذا).

(٢) في ك فقط.

(٣) عمر / ١٣.

(٤) في م، وبقية النسخ: معطف.

(٥) ع: الواو، وفي ج. ولا يناسب غير ذلك، وزاد في ح، ب، غ والله أعلم بما أراد.

(٦) ساقطة من ب.

هنا سؤالان :

أحدهما: السور الخمس المكتنفة لهذه افتتحت بقوله تعالى^(١) :
﴿الر﴾، وخصت سورة الرعد وهي سادستها، بزيادة الميم، فقبل:
﴿الر﴾. فللسائل^(٢) أن يسأل عن ذلك.

والسؤال الثاني، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾
وعطف هذه الجملة على ما قبلها يقتضي أن المعطوف مغاير لما عطف
عليه، وإلا لزم عطف الشيء على نفسه.

والجواب عن الأول - والله أعلم - أنه وإن كان مفهوماً مما تقدم، فلهذا
الوارد هنا ما يخصه، وهو أن السورتين المكتنفتين لهذه السورة، وهما سورة
يوسف وسورة إبراهيم، لم يرد فيهما^(٣) من الكلم المجتمع في تركيبها
الألف واللام والميم والراء ما ورد^(٤) في سورة الرعد^(٥). أما سورة يوسف،
ففيها من ذلك كلمة^(٦) الأمر في قوله: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ
تَسْتَفْتِيَانِ﴾^(٧)، ولفظ المجرمين في قوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾^(٨) عَنْ الْقَوْمِ
الْمُجْرِمِينَ^(٩). وأما سورة إبراهيم ففيها قوله تعالى: ﴿لَمَّا قُضِيَ
الْأَمْرُ﴾^(١٠)، وقوله: ﴿مِنَ الشَّمَرَاتِ﴾^(١١)، وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ

(١) ي ك فقط.

(٢) ج، هـ، ع: للسائل... وهي وما بعدها إلى آخر السؤال محذوف من ب.

(٣) ج، ب: فيها.

(٤) ساقط من ك.

(٥) زاد هنا في هـ: (أما سورة الرعد).

(٦) ك، ب: كله، وساقطة من ج، هـ، ع.

(٧) الآية / ٤١.

(٨) م، ك، ب: بأسه، وهي في سورة الأنعام / ١٤٧.

(٩) الآية / ١١٠.

(١٠-١١) الأيتان / ٢٢، ٣٧.

وَالْقَمَرِ^(١) ، وقوله: ﴿عِنْدَ يَتِّكَ الْمُحَرَّمِ﴾^(٢) ، وقوله: ﴿وَتَرَى
الْمُجْرِمِينَ﴾^(٣) ؛ فهذه خمس كلمات.

وأما سورة الرعد، فقد ورد فيها من ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ﴾^(٤) ، وقوله: ﴿يُذِبرُ الْأَمْرَ﴾^(٥) ، وقوله: ﴿مِنْ كُلِّ
الشَّمَرَاتِ﴾^(٦) ، وقوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ﴾^(٧) ، وقوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ
بِالرَّحْمَنِ﴾^(٨) ، وقوله: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾^(٩) ، فهذه ست كلمات من
هذا التركيب^(١٠) ، لم ترد في مكتبتها^(١١) . فلزيادة ما ورد فيها من
التركيب، ورد في مطلعها ما ورد من^(١٢) زيادة الميم، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الثاني، بعد تمهيد، وهو أننا إن قلنا: إن المراد
بالمعطوف الكتاب بجملة هو [١٢٨/ظ] المنزل كان من عطف الشيء على
نفسه، وإن قلنا: إن المراد بالكتاب التوراة، والإنجيل، [أو] أحد الكتابين،
ففي هذا من البعد ما لا خفاء به إذ لم نتعبد من هذه الكتب إلا بالإيمان
بإنزالها ووجودها على الجملة على ما تقرر في شريعتنا فكيف تقع الإحالة
في الاعتبار عليهما^(١٣) ولم نؤمر باعتبارهما في حكم ولا أمر ولا نهي. وإن
قلنا: إن المراد بآيات^(١٤) الكتاب آيات السورة، وبالكتاب السورة، وبالذي
أنزل إليك سائر القرآن، كما قال الزمخشري^(١٥) كان أقرب، وفيه تحويم

(١ - ٣) الآيات / ٣٣، ٣٧، ٤٩ - على الترتيب -

(٤ - ٩) الآيات / ٢، ٣، ٨، ٣٠، ٤٢ - على الترتيب.

(١٠) ك: المركب، ومن هنا إلى قوله. ورد في مطلعها ساقط من ح.

(١١) ب. مكتبتها، ع. مكتبتها.

(١٢) هـ، ب، ع: في.

(١٣) ج، ك: عليها.

(١٤) ح: بآية الكتاب آية السورة.

(١٥) الكشف ٢/١٥٨، ونص عبرته: «أكثر إشارة إلى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة، أي تلك

الآيات آيات السورة الكامة المحية في بابها».

على المقصود، من غير إفصاح مخلص. فأقول - ونسأل الله توفيقه - ان الدلائل الاعتبارية على تفاصيلها منحصرة في منهجين بهما حصول التوحيد، وإثبات الرسالة. وعلى مضمّن تفاصيلها دارت الآي الاعتبارية، والتذكير في كتاب الله تعالى :

أحدهما: ما يدرك بالحواس، وإطالة التفكير في الموجودات، وارتباطها، ولحظ الابتداءات والانتهاات، وتقلّب^(١) الأكوان واختلاف الأليسة والألوان وحركات الأفلاك وكواكبها الثابتة والسيارة واختلاف حركاتها في السرعة والبطء^(٢)، وخنوس الخمسة منها، ومطارح شعاعها ومقادير الأزمان، وتقلّب الليل والنهار بالطول والقصر، وإيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل وتعاقب الفصول بالحر والبرد، وتسخير الرياح وما هي ذلك كله من عليّ الأحكام، وجليل الاتقان الى ما يرجع الى ذلك مما تستقل^(٣) به وتجزم بدلالته العقول.

والمنهج الثاني: ما يرجع الاعتبار به الى المأثور من احوال الأمم والقرون المتقدمة، ودعاء الرسل اياهم، وما كان من جواب مكذبيهم^(٤) حين تمردوا وعتوا، فكل أخذ بذنبه، ونجاة المؤمنين من كل أمة. فعلى هذين^(٥) المنهجين دارت آيات الكتاب العزيز المنطوية على تذكير العباد وتحريكهم للاعتبار. فمن الأول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ - الى قوله - ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ

(١) ما بعدها الى قوله: «والسيارة» في ك فقط.

(٢) ج. البطو، ب: البط.

(٣) ك: مما تستغل به العقول وتجرم بدلالته.

(٤) ك: من أخذ تكذيبهم.

(٥) ج: هذا.

تَعْلَمُونَ^(١)، وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ^(٢)﴾ - الى قوله - ﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ^(٣)﴾، وقوله: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ^(٤)﴾، وقوله: ﴿وَإِذَا فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي أَنْفُسِكُمْ^(٥)﴾، الى ما يجاري هذه الآي^(٦) مما يشير الى دلائل الآفاق، ودلائل الانفس، وما يرجع الى ذلك من دلائل التوحيد والتذكير به. فالرُّبْع الأول من القرآن أكثر، ثم^(٧) يليه في ذلك الربع الثاني، كما يكثر التذكير الثاني. وانما ذلك - والله أعلم - لأن الضرب الأول معقول، ومستنده ضروري، لأن مبادئه حسية، وبه اعتبر من انتهى الى علم الدلائل^(٨) ممن^(٩) كان في الفترات، فمنهم المصيب والمخطيء، وهو معتبر منصوب للعالم من لدن وجودهم الى قيام^(١٠) الساعة لا يضطر فيها الى نقل ناقل. وعلى الاعتبار به من حيث الدلائل^(١١) يتنزل النظر في آيات^(١٢) الرُّسل، وما جاءوا به^(١٣) متحدين، ويعرف الخارق للعادة من غيره. فلهذا - والله أعلم - تقرر هذا الضرب مبدوءاً به في الترتيب الثابت [١٢٩/و] عليه المصحف، وأتبع بالضرب الأخير. فمن عرف الجائر والمستحيل أمكنه الاعتراف بالبداة

(١) الفقرة / ٢١، ٢٢.

(٢) ما بعدها الى آخر آية الجالية محذوف من ك وفي موضعه الآيات.

(٣) بقرة / ١٦٤.

(٤) الحانية / ٣.

(٥) النريبات / ٢٠، ٢١.

(٦) ك: الآية.

(٧) ك: م.

(٨) ك: الأول.

(٩) م، ك، ب: ومن.

(١٠) ج، هـ، م: مقام. وفي ك: قيام به.

(١١) ك: الاطراد.

(١٢) ح: هـ، ع: آية.

(١٣) ساقط من ح.

والعودة، وارسال الرسل، والثواب والعقاب، فيحصل العقل الجواز، ويحصل التصديق بوقوع هذا الجائز من أخبار الرسل بالنظر في معجزاتهم، [فبدأ^(١)] بالضرب الأول بمقتضى الترتيب^(٢)، ولم يقع في الربع الأول من القرآن بسط اعتبار بالضرب^(٣) الثاني الإخباري، وإنما أمعن بذكره^(٤) في الربع الثاني، وبسط الأخبار عن القرون المهلكة والأمم السالفة مع أنبيائهم، وما أعقبهم التكذيب، وأخذ كل قرن من المكذبين، بما أخذوا به ولم ينقطع التنبيه والتحريك مع ذلك بما في الضرب الأول، وما يرجع إليه، ثم قد نجد السورة الواحدة مجردة لهذا الضرب كسورة الرعد، وللضرب الثاني. كسورة الأعراف، وسورة يوسف عليه السلام. وقد تجمع السورة الضربين على السواء، أو ما^(٥) يقاربه كما في سورة الحجر. وأما سورة البقرة فقد تضمنت من كل من الضربين ما فيه نسقا^(٦) على إجمال فيما أشير إليه من الضرب الثاني. وهذا الضرب إنما استوفي تفصيله في الربع الثاني. ثم إن الضرب الأول هو الذي يدرك بالعيان^(٧) من آيات اللوح المحفوظ المتضمن لكل من الضربين. قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٨). وإذا قلنا إن الإشارة إلى اللوح، إنما يريد ما يُستدل به ويعتبر. مما نصب تعالى من الآيات الدالة على عجائب من مضمّناته^(٩)، إذ لولا

(١) ك: فبدى، وبقية اسح: فهدى.

(٢) زاد هنا في ك: «كما بينا».

(٣) ك: الضرب.

(٤) ك: بتذكره.

(٥) ك: وما.

(٦) ك: شفاء.

(٧) ك: بالقياس.

(٨) هود / ٦.

(٩) ح: مصمّناته.

نُصِبَ تلك الدلائل ووضوح الاعتبار بها لما اطلعنا على ما دلت عليه، فكانها بإدراكها شاهدنا بالعيان طرفاً مما في اللوح^(١) المحفوظ، واطلعنا عليه وبلغ كل بحسب ما قُدِّرَ له^(٢) الوصول^(٣) إليه من مضمّنه، اذ هو مُخْتَوٍ على كل شيء. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٤). وتتباين أحوال المعتبرين، فعلى هذا يفهم المراد من قولنا، الإشارة بقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾، الى اللوح المحفوظ، وهو مراد من قال بذلك في سورة البقرة من المفسرين، وسورة النمل، ومن قال به أيضاً في سورة الرعد وهو الظاهر فيها. وقوله: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾، إشارة الى الضرب الثاني، وهو ما طريق تعرفه الخبر^(٥) الصادق، وتلك^(٦) أخبار الأمم مع أنبيائهم على ما تقدم، ونبيه بعد. وهذا الضرب موصل ايضاً الى المقصود، إلا أنه لا يوصل إليه إلا من جهة الخبر، وإن كان من^(٧) مضمّن ما في اللوح. وإذا وضع هذا التفصيل لم يبق^(٨) إشكال في فهم ما تقدم من الإشارة بقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ الى غير ما أشير اليه بما^(٩) عطف عليه من قوله: [١٢٩/ظ] ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾، وقوله في الحجر: ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾^(١٠). وكذلك

(١) ك: من اللوح.

(٢) ساقط من ك، ب.

(٣) ج، هـ: الطول.

(٤) النمل / ٧٥.

(٥) ك: المخبر.

(٦) جميع النسخ. وذلك.

(٧) ساقط من ك.

(٨) مكان الجازم والمحزوم بياض في ج.

(٩) ك: بما.

(١٠) الآية / واحد.

الوارد في النمل - وإن خالف في التقديم والتأخير - لقوله ^(١) فيها: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ﴾ ^(٢) فقدم هنا الإشارة الى الضرب المؤخر في السورتين قبل. ويشهد لهذا ويوضحه رعي التقابل المناسب في هذه السور ^(٣) وبناء النظم وبيانه على ذلك. ألا ترى إن سورة الرعد لم تنطو من الضرب الثاني على ^(٤) قصة واحدة، وإنما دارت آيها الاعتبارية على ما به الاعتبار من الضرب الأول ^(٥) خاصة، ومنعود الى بيان ذلك بإيراد آيها ^(٦)، وإنما لم يذكر فيها شيء من الضرب الثاني ^(٧)، لأن بناء السورة إنما هو على الضرب الأول. ولهذا لم يشترك المعطوفان في اسم الإشارة. ألا ترى الى ^(٨) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ جملة مستقلة وقد وقع الموصول منها، وهو ﴿الَّذِي﴾ مبتدأ، خبره الحق، وما بينهما صلة، والجملة معطوفة على الجملة قبلها، وكل واحدة منهما مستقلة، ولا تسلط لاسم الإشارة على الجملة الثانية.

أما قوله في سورة الحجر: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾، فقوله ^(٩) ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ معطوف على الكتاب، المضاف الى الخبر عن اسم الإشارة وهو ﴿آيَاتُ﴾ وداخل تحت اسم الإشارة، وهو من عطف المفردات. والواو عاطفة جامعة، حمل بها مفرد على مفرد، والمراد بالآيات، آيات الكتاب،

(١) ج، ب، ع: كقوله.

(٢) الآية / واحد.

(٣) ج، ع: السورة.

(٤) ج، هـ، ك: مع.

(٥، ٦) مكانها بياض في ج.

(٧) ح، هـ، ع. زاد بعدها (لأن الضرب الثاني).

(٨) في م، وبقيّة النسخ (ان).

(٩) إلى قوله في الآية «مبين» محذوف من ك، ب.

وما عطف عليه وشُرِّكُ^(١) معه بخلاف آية^(٢) الرعد، إذ العطف فيها من عطف الجمل. وأما الوارد في سورة النمل فمثل ما في سورة الحجر، وحكم اسم الإشارة منسحب^(٣) على ما أضيف إليه خبر اسم الإشارة، وما عطف عليه، وهو من عطف المفردات أيضاً كآية الحجر وكلا الآيتين مخالف لما ورد في سورة الرعد. فلما وقعت الإشارة في سورة الحجر والنمل إلى الضربين مما تضمنت كل واحدة من السورتين مما به الاعتبار ذكر الضربين معاً. ولما اختُصَّت الإشارة في سورة الرعد بالضرب الأول لم يقع إخبار بغير ذلك الضرب، وهذا يرفع كل اشكال فيما تقدم. ومما يزيد وضوحاً فيما تقدم، أن^(٤) سورة الحجر لما قدّم فيها ذكر الكتاب قدّم فيها من الضربين الضرب المعتبر من آيات اللوح المحفوظ، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ - إلى قوله - ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾ - الآية^(٥)، ثم بعد ذلك ذكر مما به الاعتبار من الضرب الثاني في^(٦) قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ - إلى قوله - ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٧)، فتأخر ما ورد في هذه السورة من هذا الضرب^(٨)، ليطابق تأخر ذكره في قوله: ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾. ولما تقدم في سورة النمل من الاسمين المضاف إليهما خبر^(٩) اسم الإشارة [١٣٠/و]

(١) ج: ب: شرط.

(٢) ك: آيات.

(٣) ك: ومنسوب.

(٤) ج: وان.

(٥) الآيات / ١٦ - ٢٢.

(٦) ساقطة من ك.

(٧) الحجر / ٥١ - ٨٤.

(٨) في ك فقط ونقية السخ (ورد في هذه من الضرب...).

(٩) في ك فقط ونقية السخ (غير).

القرآن وتأخر الكتاب فقال تعالى : ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ، قُوبِلَ بتقديم الضرب المشار اليه أولا فقال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ . إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ^(١) ، وذكر من القصة مجملا . أما^(٢) إذا اعتبر وفي^(٣) بَأْتُمْ ما يحصل المعتبر به على أعلا مقصود مُوفٍ بخلاصه وذلك الى قوله : ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٤) ، ثم اتبع بقصة داود وسليمان وما استَجَرُ ذلك من قصة بَلْقِيسَ وما تلاها ، ثم اعقب بعد بالضرب الأخير^(٥) ، فقال تعالى : ﴿أَمْنَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - الى قوله - ﴿بَلْ هُمْ فِيهَا غَمُونَ﴾^(٦) . ولما لم يقع في سورة الرعد^(٧) إشارة الى غير الضرب الأول ، كما تقدم ، لم يرد فيها من أي الاعتبار ، إلا ما هو منه ، ولم يقع في السورة غير ذلك . [فقد بان بحول الله ما اعتمدناه جواباً عن السؤال الثاني ، ووضح التناسب ، وجلالة النظم^(٨) . ومع^(٩) وضوحه لم أقف على من استقرأه من هذه السورة كما بينته ، ولا توقف فيه والحمد لله على ما ألهم اليه من ذلك . ثم اعلم بعد أن ما اعتمدناه من هذا المأخذ لم [ننفرد^(١٠)] فيه اذا حقق بغير التمهيد ، وإراءة^(١١) النظائر^(١٢) ، وبيان ما أجمله

(١) المل / ٦ ، ٧ .

(٢) ك : ما .

(٣) ح ، هـ ، ع : وفاء .

(٤) النمل / ١٤ .

(٥) ك : الآخر .

(٦) الثمل / ٦٠ - ٦٦ .

(٧) ما بعدها الى قوله «غيره ساقط من ك» .

(٨) ما بعدها الى قوله (ما ألهم اليه من ذلك) في ك فقط .

(٩) ك : منع .

(١٠) غير معجمة في م ، وبقية النسخ (ينفرد) .

(١١) ك : وأراد .

(١٢) ب : النظر .

غير واحد ممن تقدم من المفسرين على اختلاف في ترجمتهم عما^(١) تتضمنه فمنها القريب، ومنها البعيد. وكل منها إذا أُعِين فيه النظر ربما أدى إلى ما^(٢) تقرر ولم انفرد عنهم إلا بتوفية النظم^(٣)، على ما اعتمدته وإظهار المناسبة وإبداء شواهد ونظائر^(٤) موضحة^(٥) لها اعتمدته. فمن ذلك ما تردد للمفسرين^(٦) في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾^(٧)، من ماثور ما حكوه عن تقدم، من أن الإشارة إلى اللوح المحفوظ. ذكره^(٨) ابن عطية وغيره من غير تعرض لزيادة، ونسبوا ذلك إلى^(٩) ابن جبير^(١٠). وقال بعضهم في قوله تعالى في سورة النمل: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾، قال المراد بقوله: ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾، اللوح المحفوظ، وذكره الزمخشري ولا شك أن هذا إيماء إلى ما تقدم بسطه. وزاد الزمخشري على هذا ما ذكره. في سورة الرعد من أن المراد بآيات الكتاب^(١١) آيات السورة، وبالكتاب السورة، وبالذي أنزل إليك سائر القرآن وهو نحو ما قلناه^(١٢). ألا ترى أن آيات السورة لم تخرج عن الضرب الاعتباري المدرك لكل ذي عقل

(١) ك: مما.

(٢) ساقطة من ج، ب، ع.

(٣) ك: إلا بتوجيه النظر.

(٤) ساقطة من ج، ب.

(٥) ساقطة من ك.

(٦) ك: المفسرون.

(٧) الآية / ٢.

(٨) هـ، م، ع: ذكر ابن عطية. ك: ذكر ذلك.

(٩) ساقطة من ج، ك، ع.

(١٠) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، أبو عبد الله. من سادات التابعين، وكبار الفقهاء. قرا على ابن عباس وكان ابن عباس يقدمه على نفسه إذا سئل. قتله الحجاج سنة (٩٥ هـ). تهذيب التهذيب

١١/٤، تذكرة الحفاظ ٧٦/١، طبقات، لقراء لاس الحوزي ٣٠٥/١، الداودي ١٨١/١ - ١٨٢.

التفسير والمفسرون ١٠٢/١ - ١٠٣.

(١١) زاد بعدها في ك (المعزى)، وحذف ما بعده إلى قوله: (وبالكتاب السورة).

(١٢) أنظر الكشف ٤٤١/٢.

سليم على ما تقدم وما نبينه بعد وتلك آيات اللوح وأم^(١) الكتاب فهذا ما قلناه وقد أنطنا به من الوارد في سورتي^(٢) الحجر والنمل ما يشهد بأنه المقصود قطعاً وقال بعضهم في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾، إنه واقع على القرآن وعلى الكتاب الذي هو اللوح المحفوظ. ثم قال بعد ذلك مستدلاً^(٣) [بأن] ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة الى غائب يعني ان الإشارة [١٣٠/ظ] بذلك انما يشار به الى البعيد الغائب. ولوضوح إدراكه صحت الإشارة اليه ثم قال بعد: وأم الكتاب غيب، ولذلك حسن فيه ذلك. ثم استدل على أن الإشارة الى أم الكتاب الذي هو اللوح المحفوظ، بأن القرآن الحاضر المتلوا على ألسنتنا قد ارتاب فيه من لم ير الله هدايته به فقالوا: سحر^(٤)، وأساطير الأولين، وذهبوا به^(٥) كل مذهب. وأم الكتاب يعني^(٦) ما بدا منصوباً، وظهر [أن] ليس كذلك فهو الذي لا ريب فيه اذ هو مشاهد للأبصار ومدرك للعيان لمن هدى واستبصر^(٧). قال الله - جل جلاله - ﴿المر تلك آيات الكتاب﴾^(٨)، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ - الى قوله - ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٩). قلت: وعلى هذا^(١٠) استمرت وتوالت آيات هذه السورة، لم يتخللها من

(١) في ك فقط وبقية النسخ (اسم).

(٢) ج، ب، ع: سورة.

(٣) ك: مستدلاً بعد.

(٤) ك: سحر وشعر.

(٥) ساقطة من ج، ع.

(٦) في م فقط وبقية النسخ (معى).

(٧) ج، ع: استنصر.

(٨) الرعد / واحد، ورادت جميع النسخ بعد الكتاب لفظ (المين) والصواب ما أنشاه.

(٩) الرعد / ٢.

(١٠) في ك فقط، وبقية النسخ (هذه).

غير ما هو آية منصوبة للاعتبار إلا ما استدعاه^(١) مقصود آية منها، أو معناها من غير أن يتخللها مما يدرك بالخبر كبير شيء. على هذا دار كلام من أشرنا إليه وهو ما اعتمدته وبسطته، وقد استشهدت عليه ونظرت فيه فيما ظهر لي مما ليس في كلامه. قلت: ومما استشهد به من ذكرت كلامه على ما اختاره من كون الإشارة بقوله في مطلع سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ إلى اللوح المحفوظ، استحكام ينزل^(٢) ما بعده عليه، ووضوح النظم وبيانه على ذلك. ألا ترى قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، أي بما غاب عنهم من مضمون أم الكتاب استدلالا بما يدل^(٣) من آياته على ما غاب فقبلوا ما أخبر الله به على السنة رسله مما لا يدرك مشاهدا^(٤) استدلالا بما أدركوه وشاهدوه^(٥) لما أخبروا به فأمنوا بالله ورسله واعتقدوا من صفاته سبحانه ما هو عليه، ونزّهوه عما لا يليق به تعالى وصدقوا ما أخبرت به الرسل من كل غائب عنهم^(٦) متلقى^(٧) من أخباره سبحانه فبنوا ذلك على اهتدائهم الأول، ومعتبرهم المشاهد المرئي حين وفقوا للاعتبار فأمنوا بالغيب، كما أخبر تعالى عنهم. ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، والمراد بهذا المنزل إليه^(٨) القرآن. وقوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾^(٩)، أي من الكتب المنزلة كالطوراة والإنجيل. وقال في الجميع: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١٠). فتأمل بيان

(١) ج، هـ، ب، ع: ما هو استدعاه.

(٢) ك: تزيل.

(٣) ك: يرى من الآيات.

(٤) ك: شاهداً.

(٥) م، ك: شاهدته، ب: شهادته.

(٦) ساقطة من ج، ب.

(٧) ج متعلقاً.

(٨) ساقطة من ك.

(٩، ١٠) الفقرة / ٤، ٥.

النظم على هذا، فانه أوضح شيء. قلت: ومن البين أن مدار هذا الجواب بجملته انما هو ^(١) بناؤه على أن اسم الكتاب في سورة البقرة أو حيث وقع من فواتح هذه ^(٢) السور وأشير اليه بذلك أو تلك أو وقع ^(٣) في غير الفواتح فيصح أن يراد به فيها، أو في بعضها اللوح المحفوظ وأن تكون [١٣١/و] الإشارة اليه إذا شهد له ^(٤) السياق، ووضح عليه النظم فاذا سلم هذا فما بنيانه ^(٥) عليه ^(٦) أوضح شيء ولا يمكن إلا تسليمه، إذ لا معارض يمنع من عقل ^(٧) ولا نقل، وإن اعترض معترض بالمنع فقد خالف جميع المفسرين ممن تقدم أو تأخر، وخالف ما يعترف ^(٨) كل ذي عقل سليم بإمكانه. وقد تبين تنزيل النظم عليه على ^(٩) أكمل تلاؤم، والله أعلم ^(١٠) بما أراد.

١٩١ - الآية الثانية من سورة الرعد قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاجِينَ أَرْثِينَ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣).

ثم قال تعالى (٤): ﴿وَلِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ

(١) ساقط من ع.

(٢) ساقط من ح، ع.

(٣) ك: أوقع.

(٤) في ك فقط وبقيت النسخ به.

(٥) ح، هـ، ك، ياء.

(٦) ح، هـ، م، ب: عقبه.

(٧) ك: تعجل.

(٨) ث: يعرف.

(٩) ساقط من ح، ع.

(١٠) زاد بعدها في م: بعد.

وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَتُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى
بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾.

للسائل أن يسأل عن ^(١) قوله في الأولى: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وفي
الثانية ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، وهل كان يصح ورود الأول مكان الثاني، والثاني
مكان الأول؟.

والجواب أن معتبرات الآية الأولى من مد الأرض وما ذكر بعد ذلك
أوضح للاعتبار، ومعتبرات الثانية أغمض. ألا ترى أن تجاور قطع الأرض
وتقاربها ^(٢) في الصفات والهيئات من سهل وحزن ثم تخرج أنواع الجنات
من النخيل والأعناب وضروب الأشجار والنبات والزرع واختلاف الطعوم في
ثمراتها، والألوان والروائح وتفاوت الطيب والمنافع الحاصلة عن ذلك من
غذاء ودواء، ونافع وضار، مع تقارب الأرض وتجاورها وتشاكلها وسقيها بماء
واحد كما قال تعالى: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَتُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي
الْأَكْلِ﴾ فهذا مما تنقطع الأفكار وتقصر العقول عن عجب الصنع الرباني
فيه. وأما معتبرات الأولى ^(٣) فيتوصل بالفكر إلى الحصول على الاعتبار بها،
وتعقلها، وعجب الحكمة فيها. وغموض ما في الثانية بادر، ولا يتوصل إلى
بعض ذلك إلا بعد طول الاعتبار والتأيد منه سبحانه والتوفيق. فلما كان
العقل أشرف وأعلى ناسبه أن يتبع به ما هو أغمض وأخفى، وناسب الفكر
ما هو أظهر وأجلى فقبل في عقب ^(٤) الآية الأولى: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾،
وفي عقب الثانية: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، ولو ^(٥) ورد العكس لم يكن ليناسب
والله اعلم.

(١) ب. صيغة السؤال (يفان ما وجه قوله في الأولى...).

(٢) هاشم (م) نعلها تفاوت.

(٣) ي ك فقط، وبقي السخ: الأول.

(٤) ساقطة من ك.

(٥) ب. ولا يناسب ورود لعكس، والله اعلم.

١٩٢ - الآية الثالثة من سورة الرعد [غ] قوله تعالى :

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (١٥)

وفي سورة النحل (٤٩) : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ [١٣١/ظ] وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ﴾^(١)

فيها سؤالان :

خصوص آية الرعد بمن، وآية النحل بما، وزيادة قوله : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ ولم يرد ذلك في سورة الرعد.

والجواب عن الأول أن ورود ﴿مَنْ﴾ في سورة الرعد، لا سؤال فيه، فإن قبول الأوامر وامتنال الطاعات بالقصد والاختيار^(٢) بمشيئة الله سبحانه^(٣) إنما يكون ذلك من أصحاب العقول وهم الملائكة والإنس والجن وهم المقصودون في الآية. فوردت بمن الواقعة على العقلاء. ولهذا قيل : ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، لأن ذلك إنما يُستَوْضَحُ من العاقل. فالآية واردة على ما ينبغي.

وأما آية النحل فمراعى^(٤) فيها لفظ : ﴿مِنْ﴾^(٥) دَابَّةٍ، الوارد فيها، إذ هو عام للعاقل وغيره فوردت الآية بما الواقعة على الأنواع والأجناس مناسبة لما تقدم من الإطلاق والعموم.

والجواب عن السؤال الثاني أن قوله تعالى في آية النحل :

(١) عذوف من ب.

(٢) ج : الأخيار.

(٣) ك : تعالى.

(٤) ك : فيراعى.

(٥) ساقطة من م، ب.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، تخصيص لهم بجليل حالهم فعُيِّنوا بالذكر مع دخولهم في العموم المتقدم. وهذا كقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ مع دخولهما تحت لفظ^(١) الملائكة، ثم أكد الوارد^(٢) في آية النحل بما^(٣) ورد فيها من لفظ دابة. فان قلت: لِمَ لَمْ يَخَصَّصُوا بالذكر في آية الرعد؟ قلت: لانه لم يقع هناك لفظ دابة، الذي هو الموجب لتعيين^(٤) الملائكة، وتخصيصهم بالذكر، فكل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

١٩٣ - الآية الرابعة من سورة الرعد، [غ] قوله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى
وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ (١٦)

وفي سورة الفرقان (٣): ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ
يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا
نُشُورًا﴾.

للسائل ان يسأل عن^(٥) تقديم النفع على الضر في سورة الرعد، وعكس ذلك في سورة الفرقان.

والجواب عنه - والله أعلم - أن آية الفرقان قد عطف عليها بالواو المشتركة^(٦)

(١) ب: لفظة.

(٢) ج، ب، ع: الواو.

(٣) ك: ما.

(٤) ك: لعكس.

(٥) ب: صيغة السؤال (يسأل عن...).

(٦) ب: المشتركة.

في الاعراب والمعنى ، قوله تعالى : ﴿لَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ .
وقدم قبلها ما عطفت عليه ^(١) بالواو ايضاً ^(٢) . وذلك قوله : ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
إِلَهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ، فقد اتفقت هذه الجمل المعطوفات في
انطواء كل جملة منها على متقابلين كالضدين . ففي الأولى ^(٣) عدم الخلق في
قوله : ﴿لَا يَخْلُقُونَ﴾ ، مقابل ^(٤) لذكر الخلق والإيجاد ^(٥) في قوله : ﴿وَهُمْ
يُخْلَقُونَ﴾ . وفي الثانية ^(٦) ، الضر مقابل ^(٧) للنفع ، وفي الثالثة ^(٨) الموت
والحياة وبني مجموعها على تأخير أشرف المتقابلين . ففي الأولى ^(٩) الإشارة
الى الخلق في قوله تعالى : ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ وقد تأخر عن ذكر عدم الخلق في
قوله : ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ، وكذا في الثانية : الضر والنفع
[١٣٢/و] والنفع ^(١٠) أشرف ، وفي الثالثة الموت والحياة ، والحياة ^(١١) أشرف
فلرعي تناسب الآي - على ما أوضحنا - تقدم ^(١٢) الضر على النفع في آية
الفرقان .

أما آية الرعد فلم يعرض فيها ما يحمل على ما ذكر من التناسب فجاءت من

-
- (١) ك : عليه هي بالواو .
(٢) م ، ب . بالواو - وايضاً .
(٣) ي ك فقط وبقية النسخ (الأول) .
(٤) ج ، ب ، ع : مقابل .
(٥) ج ، ع : الاتحاد .
(٦) ما بعدها إلى قوله : «الثالثة» ، ساقط من ك .
(٧) ج ، ع : مقابل .
(٨) ب : الثانية .
(٩) ي ك فقط وبقية النسخ (الأول) .
(١٠) ساقطة من ج ، هـ ، ب ، ع .
(١١) ساقطة من ج ، ع .
(١٢) ك . مقدم .

حيث أفرِدَتْ على ما يجب ويناسب^(١) من تقديم النفع الذي هو مطلب العاقل وكان قد قيل فيها اذا لم ينفعوا أنفسهم فكيف ينفعونكم ثم أتبع بما يكمل به التعريف بحال من اتخذوهم أولياء من أنها لا تضر ولا تنفع فجاء كل على ما يجب ويناسب، ولا يمكن خلافه، والله أعلم^(٢).

فإن قلت: اذا كان تقديم النفع كما في سورة الرعد وارد على ما يجب من حيث^(٣) هو الذي تطلبه نفوس العقلاء، فلم بنيت تلك الجمل المعطوفات في آية سورة الفرقان، على تأخير الأشرف في تلك المتقابلات حتى لزم أن يتقدم فيها الضر قبل النفع ليتناسب^(٤). وهلاً كان بناؤها على عكس ذلك وكان يحصل^(٥) التقابل^(٦) وورود النفع قبل الضر كما في آية الرعد؟

قلت: لما^(٧) تقدم قبل الجمل المذكورة في سورة الفرقان قوله سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾^(٨)، فناسب هذا من ذكر آلهتهم، وصفها بأنها لا تخلق فقيل: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾، ليحصل من وصفه سبحانه بأنه: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وأن آلهتهم لا تخلق شيئاً، ما أفصح به من توبيخهم وتقريعهم من قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾، وتناسب أوضح تناسب وأبينه، ولا يمكن خلافه ثم^(٩) بنى عليه ما بعده لتناسب ذلك كله وحصل منه أن الوارد في كل من السورتين لا يمكن فيه العكس بوجه وربنا سبحانه أعلم بما أراد.

(١) ساقط من هـ، م، ك.

(٢) ساقطة من ك.

(٣) ج، ك، ب: ليس.

(٤) في ك، وبقية النسخ: بحسن.

(٥) ما بعدها إلى قوله (الضر) ساقط من ك.

(٦) ك: كما.

(٧) الفرقان / ٢.

(٨) ح، ع: لو، وساقطة من ب.

١٩٤ - الآية الخامسة من سورة الرعد [غ] قوله تعالى :

﴿اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٢٦)

وفي سورة القصص (٨٢) : ﴿وَيَكُنَّ اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مِّنْ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاهُ﴾.

وفي سورة العنكبوت (٦٢) : ﴿اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ أَهْلَ كُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وفي سورة (١) سبا (٣٦) : ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾.

وفي الشورى (١٢) : ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

للسائل أن يقول أن هذه الآيات الخمس قد انطوت مطابقة على معنى واحد، وهو إخباره سبحانه بأنه المتفرد بالقبض والبسط كما انفرد بالخلق والأمر فإذا اجتمعت في هذا المعنى، فما وجه انفرد آية العنكبوت، وآية سبا بزيادة ما ورد فيها من التخصيص في قوله : ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾، وقوله : ﴿لَهُ﴾، وَلِمَ لَمْ يرد ذلك في السور الأخرى.

والجواب عنه - والله اعلم - أن آية العنكبوت [١٣٢/ظ] لما تقدم قبلها في قصة إبراهيم عليه السلام قوله لقومه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾^(١)، ثم ضرب سبحانه مثلاً لما عُبد من دونه فقال : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ

(١) ساقطة من ح، هـ، ع.

(٢) الآية / ١٧.

أَتَّخَذْتُ بَيْتًا^(١) - الآية^(٢)، ثم أنس عباده المؤمنين بقوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾^(٣)، ثم قال: ﴿وَكَايْنِ بَيْنَ ذَايَةِ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾^(٤)، فأخبر سبحانه أنه المنفرد برزق الكل كما انفرد بخلقهم، فناسب هذا قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾، فخص بعد أن عمَّ بقوله: ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾، تشريفا للمؤمنين ليستأنسوا بما يجري لهم من الضربين، ويذكروه في حال القبض والبسط، فالإضافة إضافة تشریف. ولما لم يتقدم في السور الآخر مثل ما تقدم هنا بل فيها^(٥) ما يفهم منه أن المؤمنين لم^(٦) يقصد تخصيصهم بذلك الخطاب بوجه ألا ترى قوله في آية الرعد: ﴿وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وليس هذا من شأن المؤمن فإن الدنيا سجنه، وإنما فرَّحه بربه وبما يرجوه منه في آخرته.

وأما آية القصص فمنصوص منها^(٧) على أن الذين تمنَّوا حال قارون ومكانه هم القائلون: ﴿وَيَكُنَّ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، وإنما قالوه عالمين بأن الله^(٨) سبحانه بسط لقارون ما بسط فعلموا أنه القابض البسط، وأنه لا يمتنع عن أحد ما بسط له.

وأما آية الشورى فقد تقدمها ما هو أبين شيء في تعيم المؤمنين والكافر، وذلك قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾، فمن أين يرزق المؤمن والكافر إلا من عنده، فلم يقصد في هذه الآية تخصيص المؤمن وتشريفه،

(١) زاد في ك من الآية: ﴿وَإِنْ أُوْهِنَ الْبُيُوتُ لَيَبْتَ الْعَنَكُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

(٢) (١ - ٢) الآيات / ٤١، ٥٦، ٦٠ على ترتيب.

(٣) ح، هـ: بأن فيها، وسقط لخر والمحروور من ك.

(٤) في ك فقط.

(٥) ح، ب، ع القصص فيها.

(٨) ك: الله تعالى سبحانه.

كما^(١) قصد في تلك. فلما اختلف القصد اختلف الوارد، فجاءت كل آية على ما يجب ولا يمكن خلافه، والله أعلم.

١٩٥ - الآية السادسة من سورة الرعد (غ) قوله تعالى:

﴿فَأْمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (٣٢)

وفي سورة الحج (٤٤): ﴿فَأْمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه^(٢) تعقيب الأولى بقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾، والثانية بقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، مع تساوي الأيتين في مقصود الوعيد بمكذبي^(٣) الرسل عليهم السلام.

والجواب - والله أعلم - أن العقاب أشد موقعاً من النكير لأن الإنكار قد يقع على ما^(٤) لا عقاب فيه بالفعل، وعلى ما فيه العقاب بالفعل. أما مسمى العقاب، فإنما يراد به في الغالب أخذٌ بعذاب مناسب لحال المجرم اثر معصيته^(٥) وعُقُوبٌ جريمته^(٦). وقد تقدم في آية الرعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾، والاستهزاء أمر مرتكب زائد على التكذيب من التهاون والاستخفاف بجريمة مرتكبة، أشنع جريمة، فناسبها الإفصاح [١٣٣/و] بالعقاب.

(١) ك. لا.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه).

(٣) ك، ب، ع: لمكذبي.

(٤) ج، هـ، ب: من.

(٥) ج، هـ، ب، ع: معصية.

(٦) ج، هـ، ب، ع: جريمة.

أما آية الحج^(١)، فإن الوعيد فيها^(٢) للمذكورين^(٣) بالتكذيب، ولم^(٤) يذكر منهم^(٥) استهزاء، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ. وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ. وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى﴾^(٦) فلم يخبر عن هؤلاء بغير التكذيب، وليس كاستهزاء فقد يؤمن المكذب ويصلح حاله. أما المستهزء فلا يصلح، وقد كفى الله نبيه إياهم فقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(٧)، فناسب النظم تعقيب كل آية بما يناسب مرتكب من تقدم فيها ولم يكن عكس الوارد ليناسب، والله أعلم.

١٩٦- الآية السابعة من سورة الرعد (غ) قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ (٣٧)

وفي سورة طه (١١٣): ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، والمراد^(٨) بالْمُنْزَل في الموضعين واحد وهو القرآن ثم اختلفت العبارة عنه في السورتين. للسائل أن يسأل عن وجه ذلك.

والجواب - والله أعلم - أن سورة الرعد لم يتقدم قبلها شيء من القصص الإخبارية، وإنما المتقدم فيها تفاصيل أحكام مرجعها بجملتها إلى اختلاف

(١) ح، هـ: آية الحجر - والصواب ما أنشأه.

(٢) هـ، م: ما، ولم يذكر أحدهما في ك.

(٣) هـ، م، ك: المذكورين.

(٤) ب: فلم.

(٥) ح، ب، ع: فيهم.

(٦) الآيات / ٤٢ - ٤٤.

(٧) الحجر / ٩٥.

(٨) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ذلك مع أن المنزل في الموضعين واحد وهو القرآن ثم اختلفت العبارة عنه في السورتين والجواب ...).

أحوال المكلفين جرياً على ما سبق من قضائه فيهم ، وتفصيل أحوالهم بحسب ما قدره سبحانه في أزمه وما حكم به عليهم ، كقوله سبحانه : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾^(١) . ثم بين تعالى حكم كل من الفريقين بعد وصفهم ثم أعقب بحال^(٢) الفريقين فقال فيمن هذاه يعلم^(٣) : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ - الى قوله - ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾^(٤) وأتبع بحال الآخرين الموصوفين بنقض عهده سبحانه ، وأخبر بأن لهم اللعنة ولهم سوء الدار^(٥) . وبين تعالى حكمه في بسط الرزق لمن يشاء^(٦) وقبضه عمن يشاء فقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ ، وأعلم^(٧) تعالى أنه يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب ، ثم^(٨) وصفهم بايمانهم واطمئنان قلوبهم بذكره ، وما منحهم بقوله : ﴿ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَثَابٍ ﴾^(٩) . ودارت الاي بعد على أن كل جاري في خلقه فبتقديره^(١٠) ، وتناسب ذلك الى الآية . وكل ما تقدم فهو حكمه سبحانه السابق في خلقه فأعقب ذلك بقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ قال الزمخشري : حكمة عربية ؛ أي مترجمة بلسان العرب^(١١) .

ولما تقدم آية سورة طه قصص موسى ، وما جرى من فتنة قومه بعده بفعل

(١) الرعد / ١٩ .

(٢) م : بمال ، ك : بما .

(٣) ساقطة من ج ، هـ ، ع .

(٤) الرعد / ٢٣ ، ٢٤ .

(٥) الرعد / ٢٥ ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ .

(٦) ما بعدها الى قوله « لمن يشاء » في الآية التالية ساقطة من ك .

(٧) ب : ولعلمهم .

(٨) ساقطة من ك .

(٩) الرعد / ٢٩ .

(١٠) ك : بتقديره .

(١١) الكشاف / ٢ / ١٦٨ .

السَّامِرِيُّ، وما كان من قول هارون عليه السلام وتذكيره إياهم وقول بني إسرائيل: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾^(١) - الى قوله - ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾^(٢). والمراد به القرآن. ثم أتبع هذا بما يلائمه، الى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [١٣٣/ظ] أي قصصاً مَقْرُوءاً بلسان العرب مُذَكِّراً مَنْ وَفَّقَ لاعتباره، والانتعاض به لعلهم يتقون، أو يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا فَنَاسِبَ كُلِّ مِنَ الْعِبَارَتَيْنِ موضعه أتم مناسبة ولم يكن عكس الوارد ليناسب، والله أعلم.

١٩٧ - الآية الثامنة من سورة الرعد [غ] قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾^(٣) (٣٨)

وفي سورة الروم (٤٧): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾^(٤) فقدم ذكر الرسل على المجرور في سورة الرعد، فقيل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾، وورد^(٥) في سورة الروم بتقديم المجرور فقيل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا﴾^(٦) إِلَى قَوْمِهِمْ. فلهذا سأل أن يسأل عن وجه ذلك، وما روعي فيه.

والجواب عن ذلك أن المتقرر في الكتاب العزيز أنه إذا ورد اسم نبينا^(٧) صلى الله عليه وسلم مع غيره من الرسل عليهم السلام، مفصلاً

(١) زاد بعد ما في ك «حتى يرجع».

(٢) طه / ٩١ - ٩٩.

(٣) زاد في ك من الآية ﴿وما كان لرسول أن يأتي﴾.

(٤) ب: (يقال ما سبب تقديم ذكر).

(٥) ب: (وفي سورة الروم قدم...).

(٦) ما بعدها إلى آخر السؤال محذوف في ب.

(٧) ك: زاد هما (محمد).

بأسمائهم في آية واحدة فانه يتقدم اسمه - ظاهراً كان او مضمراً - ثم يُذكر بعده من تضمنته^(١) الآية منهم عليهم [السلام] كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ﴾ - الآية^(٣).

فإن قلت^(٤): قد تقدم هنا قوله قبله^(٥): ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾. قلت: المجموع جمع السلامة بالواو والنون رفعاً، والياء والنون نصباً وجراً، من ألفاظ العموم عند الأصوليين^(٦). فقوله: ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾، يعم نبينا صلى الله عليه وسلم، وغيره من النبيين عليهم السلام لما أفصح من ذكر في الآية من أولى العزم إشعاراً بتفضيلهم على من سواهم بدىء^(٧) به عليه السلام، فقبل: ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾^(٨) - الآية^(٩)، ثم قال^(١٠): ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(١١) وقد دخلت تحت عموم: ﴿وَمَلَائِكَتَهُ﴾، مع أن^(١٢) لفظ النبيين بالالف واللام أوضح في العموم إذ ليس المضاف في العموم كالمعروف بالالف واللام فأقول: انما قدم

(١) ح، هـ، ع: تضمنت.

(٢) النساء / ١٦٣.

(٣) الأحزاب / ٧.

(٤) ك: فإن قبل.

(٥) ك: قبله قوله.

(٦) إحكام الأحكام ٢ / ٢٩٠.

(٧) م: بدأ.

(٨) ابن مريم محذوف من ك، ب.

(٩) الأحزاب / ٧.

(١٠) ثم قال: محذوف من ب.

(١١) في م فقط، وثقة النسخ (ميكائيل)، وهما قراءتان صحيحتان في الآية / ٩٨ من سورة البقرة، وما

أثبتاه قراءة المصحف. أنظر السبعة / ١٦٥ - ١٦٦.

(١٢) ساقطة من ح، هـ.

المجرور في قوله: ﴿ مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ ﴾، في آية الروم لمكان^(١) ضميره صلى الله عليه وسلم.

وأما آية الرعد فموازن لها^(٢)، ومناسب ما تقدم قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴾^(٣)، فتأخر الضمير في الآيتين للموازنة والتقابل. والثانية منها محمولة على الأولى في رعي ما ذكر.

فإن قلت: فلم تأخر ضميره عليه السلام^(٤) في الآية الأولى، عن ذكر الرُّسُل.

قلت: لأن ذكرهم هنا عليهم السلام، لم يرد معرفاً بأحوالهم وما منحوا من الاصطفاء والتكريم. ولو ورد ذكرهم لهذا الغرض لكان اسمه عليه السلام مُتَقَدِّمَ الذكر كما في الآية^(٥) الواردة بذلك. وإنما ذكر هنا إساءة^(٦) مكذبي أممهم [١٣٤/و] اليهم ونيلهم منهم ضروب المضرات، وليس ذلك مما يعرف بمناصبهم في التفضيل وإنما^(٧) ذكر ذلك^(٨) ليتأسى بهم نبينا صلى الله عليه وسلم في الصبر والتحمل، وليقتدي بهداهم كما أمر في قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَؤُلَا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾^(٩)، ولا تستعجل لهم. ثم له صلى الله عليه وسلم السيادة المعروفة والمكانة المتقررة فقدم

(١) ج، ك: ولمكان.

(٢) ك: بها.

(٣) الآية / ٣٢.

(٤) ك: صلى الله عليه وسلم، ج، ع: عليه الصلاة والسلام.

(٥) ك: الآية.

(٦) ك: إشارة.

(٧) ج: وإذا.

(٨) سافط من ح.

(٩) الأحف / ٣٥.

ذكرهم في قوله: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، وتأخر ضميره عليه السلام لما ذكر، ثم (١) وردت الآية بعد مجرى الأخبار فيها على ذلك إحرازاً للمناسبة والموازنة. وأيضاً فليس (٢) ذكرهم مُجَمَّلاً غير مُفَصَّلٍ كذكرهم على التعيين بأسمائهم. وقد تقدم الإيماء إلى هذا (٣)، والله سبحانه أعلم بما أراد.

سورة ابراهيم عليه السلام

١٩٨ - الآية الأولى منها (غ) قوله تعالى:

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١)

وفي سورة سبا (٦): ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

وورد في سورة الحج (٢٤): ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾، فورد في هذه السور الثلاث ذكر الصراط مضافاً في السورتين منها إلى ﴿الْعَزِيزِ﴾ من أسمائه، ثم اتبع بالحميد، واقتصر في سورة الحج على اضافته إلى اسمه (٤) ﴿الْحَمِيدِ﴾.

فللسائل أن يسأل عن ذلك (٥).

(١) هـ: لما ذكرتم.

(٢) ج، ع: قلت.

(٣) ما بعدها إلى آخر الكلام محذوف من ك، وحذف في ب (سبحانه).

(٤) ساقط من ج، هـ، ع.

(٥) ب: صيغة السؤال (يقال ما وحه ذلك).

والجواب عنه - والله اعلم - أن آية ابراهيم لما ورد فيها قوله تعالى لنيه عليه السلام: ﴿لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، وكان السابق من مفهوم هذا، أن ذلك الأمر^(١) بيده عليه السلام. وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(٢)، وقال: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤)، فلما كان السابق من مفهوم^(٥) آية ابراهيم - كما ذكرنا^(٦) - أشار وصفه تعالى بالعزة الى قدرته تعالى وقهره وأنه لا يكون من العباد إلا ما سبقت به إرادته التي لا يخرج واقع عن حكمها، وتعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد، ولو شاء لهدى الكل. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾^(٧)، فأحرز الوصف بالعزة هذا المعنى العظيم، ولو لم يرد هذا الوصف لما تحرر هذا المقصود. وكذا الوارد من قوله في آية سبأ^(٨): ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾، والرؤية هنا بمعنى العلم، والحق مفعولها الثاني والضمير فصل لا موضع له من الإعراب. ومحال أن يرى مَنْ وَصَفَهُ بِالْعِلْمِ حكم الله جارياً في خلقه^(٩) إلا على ما يشاؤه ويريده، وأنه لو شاء لجمعهم على الهدى^(١٠). فهذه الآية كآية ابراهيم من غير فرق. وبوصفه سبحانه بالعزة تمام مقصودها كالمتقدمة وليس للمدعويين إلا ما سبقت به

(١) ساقط من ج، هـ، ع.

(٢) آل عمران / ١٢٨.

(٣) النور / ٤٨.

(٤) القصص / ٥٦.

(٥) ج، ب، ع؛ مفهوم.

(٦) هـ، ب؛ ذكر.

(٧) السجدة / ١٣.

(٨) آية / ٦.

(٩) ك؛ حكم الله تعالى في خلقه جارياً.

(١٠) ح، هـ، م؛ وأنه يجمعهم على الهدى.

ارادته ولا يبدئ نبيه صلى الله عليه وسلم إخراجهم ولا هدايم، [١٣٤/ظ]
ولم يُرد في هاتين الآيتين أن الإخراج من الظلمات الى النور والهداية مما
وقع وانقضى وانما مقتضى الآيتين^(١) رجاء إجابتهم وهدايتهم^(٢) عند دعائه
عليه السلام. ثم الرجاء راجع اليها، وربنا المنزه المتعالي^(٣) عن
الاتصاف^(٤) وقد أحاط علمه سبحانه بما يكون منهم وانما خطبنا على ما
نتعارف^(٥). قال سيويه - رحمه الله، وقد تعرض لهذا - وقد ذكر هذا في
قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾^(٦)، و^(٧) ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾^(٨)
فقال: «لأنه لا ينبغي أن تقول إنه دعاء ههنا، لأن الكلام بذلك قبيح»^(٩)،
ولكن العباد إنما كلّموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغاتهم وعلى ما يعنون
فكأنه - والله أعلم - قيل لهم: ﴿وَيْسَلُ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾، و^(١٠) ﴿وَيْسَلُ
لِلْمُكَذِّبِينَ﴾. أي هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم، لأن هذا الكلام إنما
يقال لصاحب الشر والهلكة، فقل هؤلاء ممن دخل في الشر والهلكة،
ووجب لهم هذا.

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلُّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(١١).

(١) ساقطة من ح، ب، ع.

(٢) ك، ب. وهدايم، وما بعدها إلى قوله (الاتصاف) ساقط من ك.

(٣) ج، هـ، ع: المتعال.

(٤) ج، ع: الاتصاف به.

(٥) ك: خطبوا على ما يتعارفونه.

(٦) الرسائل / ١٥، ثم وردت بعد ذلك في نسخة مواضع منها.

(٧) ساقط من ج، ك، ب، ع:

(٨) المطففون / واحد.

(٩) العبارة مضطربة في السسخ وما أثبتناه من الكتاب ج ١ / ٣٣١. ففي ح، هـ: (لأننا نقول: إن الويل

دعاء...)، وفي م. (لا أنا نقول...)، وفي ك: (لا ينبغي أن يقال إن دعاءها هنا...)، وفي ب:

(فقال: لا أن نقول ها هنا)، وفي ع: (لا أن نقول: إن الويل...).

(١٠) هكذا في ك، وسقط العاطف من بقية النسخ.

(١١) طه / ٤٤.

فَالْعِلْمُ^(١) قَدْ أَتَى مِنْ وَرَاءِ^(٢) مَا يَكُونُ، وَلَكِنْ أَذْهَبَا أَنْتَمَا عَلَى طَمَعِكُمَا وَرَجَائِكُمَا وَمَبْلَغِكُمَا مِنَ الْعِلْمِ وَلَيْسَ لِهَمَا أَكْثَرُ مِنْ ذَا^(٣) مَا لَمْ يَعْلَمَا.

ومثله: ﴿قَاتِلْهُمْ اللَّهُ﴾^(٤)، فإِنَّمَا أُجْرِي هَذَا عَلَى كَلَامِ الْعِبَادِ الَّذِي بِهِ^(٥) أَنْزَلَ الْقُرْآنَ^(٦). فَقَدْ تَبَيَّنَ تَسَاوِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ فِي اسْتِدْعَائِهِمَا وَصِفَةِ تَعَالَى بِالْعَزِيزِ لِمَا يَحْرُزُ مِنَ الْمَعْنَى الْمُتَقَدِّمِ.

أَمَّا آيَةُ سُورَةِ الْحَجِّ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطُّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾، إِنْخِبَارٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ بِمَا شَاءَ لَهُؤُلَاءِ مِنْ فَوْزِهِمْ وَفَلَاحِهِمْ، قَدْ تَمَّ حُكْمُهُ وَانْقَضَى، فَلَمْ يَكُنْ لِيُنَاسِبَهُ مَا يَفْهَمُ الْقَهْرُ. وَإِنَّمَا الْمُنَاسِبُ مَا يَفْهَمُهُ اسْمُهُ الْحَمِيدُ. فَوَرَدَ كُلُّ عَلَى مَا يَجِبُ، وَلَمْ يَكُنْ عَكْسُ الْوَارِدِ لِيُنَاسِبَ وَلَا لِيَلِائِمَ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

١٩٩ - الْآيَةُ الثَّانِيَةُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ (٣٢).

وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّمْلِ (٦٠): ﴿أَمِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ﴾ - الْآيَةُ.

(١) جميع النسخ: والعلم، وتصويب العبارة من الكتاب.

(٢) اجار والمجرور سافطان من ك.

(٣) ك: من هذا.

(٤) التوبة / ٣٠.

(٥) هكذا في ك فقط ونص سيبويه (كلام العباد، وبه يراد العباد)، ونسخة النسخ (كلام العرب).

(٦) راجع النص في الكتاب ١/ ٣٣١، ٣٣٢.

يسأل هنا^(١) عن تأخر ﴿لَكُمْ﴾ في آية ابراهيم عن لفظ أنزل وإيلاها
اياها مقدمة^(٢) في آية النمل، ما وجه ذلك.

والجواب أن آية ابراهيم قد تقدمها قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ
آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ - الآية^(٣) وقد علم المؤمنون أن الله غني عن
العالمين، وأن المُنزَل من ماء السماء إنما هو رحمة للعباد، وأحياء الأرض
بعد موتها ليخرج ما بَثَّ فيها سبحانه من أنواع الحبوب والثمار، وغير
ذلك مما به صلاح أحوال العباد وتتميم^(٤) معاشهم ولم يَغِبْ عن المؤمنين
المذكورين قبل أن ربهم غني عن ذلك كله ومنفرد بخلقه والإنعام به فلم
يحتج هذا إلى تنبيههم^(٥) بأن ذلك لهم، إذ حالهم التذكير^(٦) وموالة الاعتبار
لا^(٧) الغفلة، وآخر ذكر ذلك^(٨) إلى ذكر الرزق ليجري مع قوله في الزينة
[١٣٥/و] والطيب من الرزق: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٩).

وأما آية النمل فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١٠).
فلما تضمنت تعنيف المشركين على^(١١) سوء مرتكبهم وعماهم عن التفكير

(١) ساقطة من ب.

(٢) ج: مقدمه.

(٣) الآية / ٣١، وزاد في ك من الآية: ﴿وَيَتَّقُوا﴾.

(٤) ك: وتم، ب: وتقيم.

(٥) ج: تفهيمهم.

(٦) ك: إلى تنبيههم حاشم التذكير (هكذا).

(٧) في ك فقط.

(٨) ك: تلك.

(٩) الأعراف / ٣٢.

(١٠) الآية / ٥٩.

(١١) ج، هـ، ب: عن.

والاعتبار قصد تحريكهم وإيقاظهم^(١) من رقدة الغفلة، ف قيل: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ﴾، فحصل تنبيههم وإعلامهم أن انزال الماء من السماء انما هو لهم، وأنه لا حاجة به سبحانه اليه^(٢)؛ فاستجّر الكلام تعنيفهم. ويشهد لهذا قوله تعالى عقب الآية: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُتَبَّعُوا شَجَرَهَا إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾^(٣)، أي يعدلون بربهم غيره، أو يعدلون بعبادته الى عبادة غيره. وكل هذا شرك لا فلاح معه. فلما قصد في الآية الثانية ما ذكرنا قدم المجرور وشأنه أبدا إذا قُدم احراز معنى^(٤) التنبيه حيث يقصد التحريك والإيقاظ لدى^(٥) غفلة. أما إذا تأخر فلا يُحرز هذا المعنى على الصفة التي [تُحرزُهُ]^(٦) متقدماً. وتأمل الوارد من هذا في نظائر هذه كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الظُّلُمِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾^(٧)، خطاباً لمن تقدم ذكره في قوله: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٨)، وقوله خطاباً لفرعون^(٩) ومثله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾^(١٠) وهذا بعد قول فرعون في إخبار الله تعالى عنه: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾^(١١) - الى قوله تعالى - ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ

(١) ح، ع: إيقاظهم.

(٢) ج، ب، ع: إليهم.

(٣) الآية / ٦٠.

(٤) ج، هـ: هنا.

(٥) ج، ع: لذا.

(٦) جميع النسخ: بحرزه.

(٧) الزخرف / ١٢.

(٨) الزخرف / ٩.

(٩) ما بعدها الى قوله (بعد قول فرعون) في ك فقط.

(١٠) طه / ٥٣.

(١١) بعدها في ج، ع: قال الى قوله تعالى: فما بال...

الْأُولَى ﴿١﴾ . وقد تقدم بيان هذا في قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا ﴾^(٢)
أَحَدٌ ﴿٣﴾ . وما أنشده سيويه - رحمه الله - من قول الشاعر^(٣) :

لَتَقَرَّبُنَّ قَرَبًا جَلِيًّا مَا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيًّا
ولا^(٤) إشكال في ذلك كله لمن اعتبر.

٢٠٠ - الآية الثالثة (غ) قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ
كَفَّارٌ ﴾ (٣٤).

وفي سورة النحل (١٨) : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . فأعقب^(٥) في الأولى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا
تُحْصُوهَا ﴾ ، بغير ما أعقب في الثانية فيسأل عن ذلك .

والجواب عنه والله أعلم - أن آية إبراهيم تقدمها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَر
إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ^(٦) كُفْرًا وَأَحَلُّوا دَارَ الْبَوَارِ ﴾^(٧) ، ثم قوله :
﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ﴾^(٨) . ثم ذكر أنعامه^(٩) على عباده في
قوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ

(١) طه / ٤٩ - ٥١ .

(٢) مهموزة في جميع النسخ (كفوًا) وهي قراءة ابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وأبو عمرو في رواية
اليزيدي، وعاصم في رواية أبي بكر، واختلف فيها عن نافع . السبعة / ٧٠١ ، ٧٠٢ ، البحر
٥٢٨ / ٨ ، الاتحاف / ٤٤٥ .

(٣) انظر تخريجه في الآية التاسعة والعشرين من آيات سورة البقرة .

(٤) إلى آخر شرح الآية محلوف من ك .

(٥) ب : صيغة السؤال (يقال ما وجه تعقيبه في الأولى بغير ما أعقب في الثانية والجواب عنه . . .) .

(٦) ما بعدها إلى قوله (ثم قوله) محذوف من ب .

(٧) (٨٠٧) الأيتان / ٢٨ ، ٣٠ .

(٨) ساقطة من ج ، هـ .

مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴿١﴾ - الى قوله - ﴿وَأَتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ (١)
 فناسب ما ذكره تعالى، من توالي إنعامه، ودُرُورِ (٢) إحسانه، ومقابلة (٣) ذلك
 من العبيد بالتبديل، وجعل الأنداد، وَصَفُ الإنسان بأنه ظلوم كفار.

أما آية النحل، فلم يتقدمها غير ما نبه سبحانه عباده المؤمنين من توالي
 الآية وإحسانه وما ابتدأهم به من [١٣٥/ظ] نعمه من لدن قوله: ﴿يَخْلُقُ
 الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ (٤)، ثم توات آية الامتنان والإحسان (٥) فقال تعالى:
 ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ﴾ فذكر تعالى بضعا وعشرين من
 أمهات النعم، الى قوله منبها وموقظا من الغفلة والنسيان: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ
 كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٦). ثم أتبع بقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا
 نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، فناسب ختام هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ
 رَّحِيمٌ﴾ وجاء كل على ما يجب (٧) والله أعلم.

٢٠١ - الآية الرابعة (غ) قوله تعالى:

﴿هَٰذَا بَلَدٌ بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ
 وَلِيَذْكُرَ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ (٥٢).

وفي سورة ص (٢٩): ﴿يَكْتُبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَذَّبُرُوا هَٰئِنِ
 وَلِيَذْكُرَ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابِ﴾.

(١) إبراهيم / ٣٢ - ٣٤.

(٢) ب: وورود.

(٣) في ك فقط وبغية النسخ: «مقابله».

(٤) الآية / ٤.

(٥) ك: الامتنان الأحيان (٩).

(٦) الآية / ١٧.

(٧) ساقط من ك، وزاد في ح، ع بعده (وياس).

للسائل أن يسأل عن وجه اختصاص^(١) آية ابراهيم بقوله:
﴿وَلْيَذْكُرْ﴾، وآية ص بقوله: ﴿وَلْيَتَذَكَّرْ﴾ بقاء التفعيل.

والجواب - والله أعلم - أن كلاً من^(٢) الموضعين حاصل فيه التناسب.
أما آية ص، ففي قوله: ﴿لْيَذْكُرُوا﴾ حرفان من الحروف الشديدة، وهما:
الباء والذال^(٣) وثانيهما مضاعف^(٤) فسق عليهما^(٥) قوله: ﴿وَلْيَتَذَكَّرْ﴾. وفيه
أيضاً حرفان من حروف الشدة وهما: التاء والكاف، وثانيهما مضاعف.
والتناسب بهذا واضح^(٦).

وأما آية ابراهيم ففيها^(٧): ﴿وَلْيَتَذَكَّرُوا بِهِ وَلْيَعْلَمُوا﴾^(٨). وقد عرّيت
الكلمتان من حروف الشدة، وإنما جميعها من الرخوة^(٩)، وهي ضد
الشديدة فناسبها عطفاً عليها قوله: ﴿وَلْيَذْكُرْ﴾^(١٠)، إذ ليس فيه من الحروف
الشديدة غير الكاف. وأيضاً فإن «يذكر»، و«يتذكر» معناهما واحد والأصل
للمدغم مَفْكُوكُهُ^(١١). فلفظ يذكّر ثان عن يتذكر وهو أكثر استعمالاً، وأخف
لفظاً فقدم في سورة ابراهيم، وآخر الأثقل في سورة «ص» على الترتيب
المتقرر على ما تقدم^(١٢) في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبَعَ هَذَايَ﴾ في سورة

(١) ب: صيغة السؤال: (يقال ما وجه اختصاص).

(٢) ساقطة من ج، ك، ع.

(٣) هـ، م، ك، ب: والكاف، ولعله انتقال نظر.

(٤) هـ، ع: مضاعف.

(٥) ك: عليه.

(٦) ك: أوضح.

(٧) ك، ب: فورد فيها.

(٨) ك: راد من الآية ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

(٩) ج، ع: الرخو.

(١٠) ك: وليتذكر.

(١١) ج، هـ، ب، ع: مفكوكة.

(١٢) ح، ك، ب، ع: على ما تقرر.

البقرة، وقوله: ﴿مِمَّنْ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾، في سورة طه.

وقد تقدم من هذا نظائر وسيأتي أمثالها وأطراد^(١) ذلك شاهد برعيه،
فحصل التناسب للفظين من هذين الوجهين، وأن عكس الوارد لا يناسب
والله أعلم.

سورة الحجر

٢٠٢ - الآية الأولى منها^(٢) (غ)^(٣) قوله تعالى:

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ (١).

وفي سورة^(٤) النمل (١): ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾. فورد في
هاتين السورتين ذكر الكتاب والقرآن معاً مسوقاً أحدهما على الآخر، ثم
اختلفت كيفية الإيراد فقدم^(٥) في الأولى ذكر الكتاب، وأخر في الثانية.

والجواب عن هذا، قد تقدم في سورة الرعد.

٢٠٣ - الآية الثانية (غ) قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ. وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (١٠ - ١١).

(١) ح: وأطراد.

(٢) أي هنا ساقط من هـ، م، ك.

(٣) ساقطة من هـ، م، ك، ب.

(٤) محذوفة من ب.

(٥) ح، ع: فقد تقدم.

وفي سورة الزخرف (٧، ٦): ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ [١٣٦/و] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن^(١) تخصيص آية الحجر بقوله: ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾، وآية الزخرف بقوله: ﴿مِنْ نَبِيٍّ﴾.

والجواب - والله أعلم - أنه لما تقدم في آية الزخرف لفظ «كُمْ»^(٢) الخبرية، وهي للتكثير، ناسب ذلك كله من يوحى إليه من نبيٍّ مُرْسَلٍ أو نبيٍّ غير مُرْسَلٍ. فورد هنا ما يُعْمُّ الصنفين عليهم السلام.

أما آية الحجر فلم يرد فيها ولا قبلها ما يُطَلَّبُ بالتكثير^(٣) مع ما تضمنت من قصد^(٤) تأنيسه عليه السلام وتسليته، فخصت بالتعيين^(٥) باسم الرسالة تسلية له عن قولهم: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، وبما جرى للرسول قبله عليهم السلام من مثل ذلك. ومن البين أن موقع رسول هنا أمكن في تسليته عليه السلام. فجاء كل^(٦) على ما يجب من المناسبة والله أعلم.

٢٠٤ - الآية الثالثة (غ) قوله تعالى:

﴿كَذَلِكَ نَسُكُّهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٢).

وفي سورة الشعراء (٢٠٠): ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾.

فللسائل أن يسأل عن وجه ورود ﴿نَسُكُّهُ﴾ في سورة الحجر، وورود

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما رجه تحصيص).

(٢) ح، لم آية.

(٣) ح، هـ، ع: لتكثير.

(٤) ح، ب، ع: وصف.

(٥) ك: التعبير.

(٦) ب: كل مناسب والله أعلم.

﴿ سَلَكْنَاهُ ﴾ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ (١).

ووجه ذلك - والله أعلم - أنه تقدم آية الحجر قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا
الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (٢)، وهو قول العتاة من كفار قريش
وغيرهم الذين عُنُوا (٣) بقوله تهديداً (٤) ووعيداً : ﴿ ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ
الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥)، ولم يتقدم في هذه السورة (٦) إخبار بحال (٧) غيرهم
من مكذبي الأمم سوى التعريف بأن كل قرية أُهْلِكَتْ فبأجل معلوم، وكتاب
سابق، ولا يتأخر عليه ولا يتقدم. فحال هؤلاء كحال من تقدمهم كما قال
تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٨)، وقوله : ﴿ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي
قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾، الضمير للذكر المتقدم وهو هنا القرآن، والمراد بسلوكه
في قلوبهم ما تحصل عندهم (٩)، وقُطِعُوا به من معرفتهم بياهر نظمه، ورفع
إيجازه، وعليّ تناسبه وأنه (١٠) يفوق كل كلام مع أنه بلسانهم (١١)، وقد علموا مع
هذا عجزهم عن معارضته، مع أنه لم يرد بغير لسانهم، ولا بما لا يعرفونه في
[محاوراتهم] (١٢). فهذا المراد بسلوكه في قلوبهم (١٣)، فقد كانوا متفقين أنه
ليس من كلام البشر. وبهذا أخبر سبحانه عنهم تسلياً لنيه عليه السلام، فقال :

(١) ب صبعة السؤال (يقال ما وجه اختلاف الحجر مع الشعراء والخبث - والله أعلم . .).

(٢) الآية / ٦ .

(٣) ج، ع : عتوا .

(٤) ح : تمهيدا .

(٥) احمر / ٣ .

(٦) محذوفة من ج .

(٧) ج : كحال .

(٨) فاطر / ٤٣ .

(٩) ج : ما يحصل عنهم، ع . ما تحصل عنهم .

(١٠) ج، هـ، ب، ع : وأن .

(١١) ب : ك، وبقيّة النسخ : لسانه .

(١٢) ك : مجاوزتهم، وبقيّة النسخ : محاولتهم .

(١٣) ح، ب، ع : طريقهم .

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾^(١) ويعجزهم عن معارضته قامت الحجة عليهم، ثم امتنعوا عن^(٢) الإيمان بما سبق لهم في الأزل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ ﴾^(٣). فورد هنا: نسلكه بلفظ المُبْهَم لأن^(٤) الإخبار عن كفار قريش ممن استمر على كفره فهو حالهم وقت نزول القرآن وبعده. وقوله: ﴿ نَسْلُكُهُ ﴾، [١٣٦/ظ] مشعر باستمرار حالهم وموافاتهم على ذلك. وقد تأكد هذا بوصفهم بالإجرام وتسجيل حالهم السيء بقوله: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، وأداة ولا، نافية للمستقبل، فناسب هذا لفظ المبهم المضارع.

أما آية الشعراء فقد تقدمها ذكر قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وغيرهم من الأمم المكذبين بعد سلوك ما ذكر سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٥)، في قلوبهم. فلما تقدم أمر هؤلاء، وانقطعت أزمانهم وقعت العبارة بالماضي فقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ ﴾، ولم يناسب^(٦) غير الماضي. فقد وضع ورود كل من الموضعين على ما يناسب، ولم يناسب عكس الوارد، والله أعلم.

٢٠٥ - الآية الرابعة قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٣٤ - ٣٥).

وفي سورة ص (٧٨): ﴿ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾.

(١) الأنعام / ٣٣.

(٢) لا: من.

(٣) يونس / ٩٦، ٩٧.

(٤) ج، هـ، م: لا - الإخبار.

(٥) الشعراء / ١٩٦.

(٦) ح، ع، ياسه.

للسائل أن يسأل عن^(١) وجه اختلاف العبارتين من ورود اللعنة في سورة الحجر بالالف واللام، وفي «ص» بالاضافة، مع اتحاد المعنى.

والجواب عن ذلك^(٢) - والله أعلم - أن آية الحجر، وردت بالالف واللام^(٣)، وهي الأداة المقتضية للحصر^(٤) الجنسي حيث لا عهد. وذلك وارد على ما ينبغي لما قصد من المبالغة، ولا سؤال فيه.

وأما الوارد في سورة «ص»، مضافاً لياء المتكلم، فوجه المناسبة اللفظية لقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾^(٥) فجرت العبارتان على منهج واحد، ومسلك متناسب^(٦)، ولم يكن ليتناسب^(٧) العكس فيما ورد^(٨)، والله أعلم.

٢٠٦ - الآية الخامسة (ع) قوله تعالى:

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (٥٣).

وكذلك في سورة والذاريات (٢٨): ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾، وورد في سورة والصفات (١٠١): ﴿فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾. خلاف^(٩) الوصف بالعلم في السورتين^(١٠).

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه).

(٢) ك، ب: عنه.

(٣) ح، ك: بالالف والالف.

(٤) ساقطة من ج، وفي ك: لحصر الجنس، ب: احصر الجنسي.

(٥) الآية / ٧٥.

(٦) ك: تناسب.

(٧) ج: ليتناسب.

(٨) سقط من ج قوله: (فيما ورد).

(٩) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ورود الأخير بالوصف في العلم خلاف السورتين، والجواب والله أعلم).

(١٠) ح، هـ، ب، ع: في السورتين بالعلم.

ووجه ذلك، والله أعلم، أن آية «والصَّافَّات»، لما ^(١) وردت كالتمهيد ^(٢) لِمَا تَلَّاهَا متصلاً بها من قوله: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾ ^(٣)، فتلقى الذَّبِيحُ عليه السلام ما أخبره به أبوه - لعلمه أنه من أمر الله - بالرضى، والصبر، والقبول. قال ابن عطية في تفسير حليم: صابر، مُحْتَمِلٌ ^(٤)، عظيم العقل قال: والحلم العقل، فأحسن عليه السلام جواب أبيه، معزياً له محتسباً نفسه. فناسب هذا الوضع ورود وصف الذبيح بالحلم. ولما لم يرد في الآيتين الآخرين ذكر الأمر بالذبح ^(٥)، ناسبهما الوصف بالعلم، وهو صفة الأنبياء. فورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

٢٠٧ - الآية السادسة من سورة الحجّر قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ . وَإِنَّهَا لَبَسِيلٌ مَّقِيمٌ . وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧٧ - ٧٥) [١٣٧/و].

فيها سؤالان: جمع آيات في الأولى، وإفراد ذلك في [الثالثة]، وتخصيص الاعتبار أولاً ^(٦) بالمتوسمين، وثانياً بالمؤمنين.

والجواب أن المتقدم من ذكر ضيف إبراهيم ووجّله عليه السلام منهم، مع أنه كان لا يَهَاب كثرة الرجال، لما صبح من القوة والأيد إلى حال النبوة، وتخصيص الخلّة ^(٧)، ثم بشارة الملائكة بالولد مع بلوغ الكبر، ثم سؤاله إياهم

(١) هـ، ك، م: ملأ.

(٢) ج، ب، ع: كالتهديد.

(٣) الآية / ١٠٢.

(٤) ج، هـ، ع: فتحمل.

(٥) هـ، ب: الذبيح.

(٦) ك: أولى.

(٧) ك: الحمة. والخلّة مصم الحاء بمعنى الصداقة، والصفة الحسة. يقال هذه خلّة صالحة وخالل حسه، واحنة بالفتح هي الحاجة والافتقار. النسان، والأساس (خلل).

عن إرسالهم، إذ ذاك فأخبروه أنهم أرسلوا لإهلاك^(١) قوم لوط، وكانت مدينتهم^(٢) على قرب من حيث كان إبراهيم عليه السلام، فسألهم إشفافاً ورحمة، جُبل عليهما^(٣) الرسل والأنبياء عليهم السلام: أَيُهْلَكُونَ إِنْ كَانَ فِيهِمْ مُؤْمِنُونَ؟^(٤) وعن ذلك السؤال والمحاورة عبر بالمجادلة^(٥) في قوله: ﴿يُجَادِلُنَا﴾^(٦) في قوم لوط، أي يجادل^(٧) رسلنا وهي محاورته معهم وسؤاله إياهم حتى عرفوه^(٨) أن آل لوط عليه السلام ناجون إلا امرأته. ثم أعقب ذلك من مجيء الملائكة من عند إبراهيم إلى لوط وإنكار لوط أولاً^(٩) إياهم حتى علم أنهم من الملائكة ثم أمرهم إياه بأن يسري بأهله، وأن يقدمهم أمامه ولا يلتفت إلى ما وراءه، ولا يعرج على شيء، فإن قومه هالكون صبح^(١٠) ليلتهم. ثم الإخبار بمجيء قوم لوط لما سمعوا بأضيافه وظنوا أنهم من البشر جاءوا مسرعين طامعين في غلبة لوط عليه السلام، وقهره في ضيفه ليأخذوهم لأغراضهم الشنيعة، ومن قبل كانوا يعملون السيئات فذكرهم عليه السلام، وأمرهم بتقوى الله - عز وجل - فقال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ. وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ﴾^(١١). ثم عرض عليهم نساء آل وقومه بالوجه المَحَلّ لذلك فقال: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾^(١٢) ونساء قوم كل نبي بنات له^(١٣)، وهو لهم بمنزلة الأب، فلم

(١) ح، ب، ع: إلى هلاك.

(٢) ب، ع: مدينتهم.

(٣) هـ، ك، ع: عليها.

(٤) ك: لمجادلة.

(٥) (٦، ٥) ك: يجادلون.

(٧) ج، ب، ع: عرفوا.

(٨) ساقطة مرح.

(٩) في ك، ونية النسخ: صبيح.

(١٠) (الحجر / ٦٨، ٦٩).

(١١) هود ٧٨.

(١٢) ساقط من ك.

يُجَدِّدْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ شَيْئًا. وعند^(١) تمردهم وطغيانهم قال عليه السلام: ﴿لَوْ أَنَّ
بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾^(٢)، عشرة وقيل^(٣) يحمونني، فقالت
الملائكة إذ ذاك: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾^(٤)، أي لا سلطان لهم
عليك ولا عون. فروي أن جبريل عليه السلام نفخ في أعينهم فخرجوا وقد
عَمُوا^(٥) قائلين: إِنَّ عند^(٦) لوط سحرة، أو كما قالوا، ثم صبحهم العذاب
فأخذتهم الصيحة مُشْرِقِينَ. قال تعالى: ﴿جَعَلْنَا غَالِيَهَا سَافِلَهَا، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَابًا مِّنْ سَاجِدٍ﴾^(٧). هذه جمل ومقدمات، عجائب من الآيات يجول فيها
اعتبار المعتبر ويتسع له النظر ويتوسم فيها المتفرس^(٨) مخايل الهلاك ومقدمات
التلف لأولئك الأشرار فقيـل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ أي
للمعتبرين^(٩) أو المتفرسين والناظرين، فهذا^(١٠) مناسب لما تقدم [١٣٧/ظ]. ثم
لما تحصل من قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا غَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ قَلْبُ مدينتهم الشاهد^(١١)
أثره مرثياً^(١٢) مشاهداً لمن أتى بعدهم. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لِبِسْبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾،
أي طريق واضح ودليل بين لمن شاهده وأبصره وذلك أمر مدرك ومعتبر متحد^(١٣)
حاصل لنا تفصيل قصصه بخبره الصادق عليه السلام. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي

(١) في ك فقط وبقيـة النسخ: «وهو عند...».

(٢) هود / ٨٠.

(٣) في ك فقط وبقيـة النسخ: «وعشرة يحمونني».

(٤) هود / ٨١.

(٥) م، ك: عملوا.

(٦) ك، ب: «قالوا لمن وراءهم عند لوط...».

(٧) هود / ٨٢.

(٨) ج: المتفرس.

(٩) ك: المعتبرين.

(١٠) ج: فهذه.

(١١) ح، هـ، ب، ع: المشاهد.

(١٢) ك: أمره نائناً - مشاهداً.

(١٣) ساقطة من ب، ع، ومكانها بياض في ح، وفي ك: متحد.

ذَلِكَ لآيَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، فأفرد آية، وقال: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي للمصدقين المشاهدين أثرهم. فجاء كل على ما يجب، ولم يكن ليناسب (١) المتقدم أفراد آية، ولا جعل العبرة للمصدقين مع ذكر المتوسمين في الأخرى، ولا المتأخر ما ورد في الأولى، بل ورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

٢٠٨ - الآية السابعة (غ) قوله تعالى:

﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨).

وفي سورة الشعراء (٢١٥): ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فزيد هنا قوله تعالى: ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ﴾، ومقصود الأيتين واحد (٢).

فللسائل (٣) أن يسأل عن وجه التخصيص.

والجواب عن ذلك أنه لما لم يتقدم آية الحجر تخصيص مَدْعُوٍّ، بل تقدمها خطابه عليه السلام بالتأنيس والتسلية عمن أعرض، والرفق لمن آمن فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِّضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، لم يحتج هنا الى زيادة. ولما تقدم آية الشعراء قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٤)، والإنذار يستصحب التخويف والاستعلاء على ما يخاطبه به أتبع ذلك تلطفاً وإنعاماً على من آمن به من عشيرته صلى الله عليه وسلم، وغيرهم (٥) بقوله: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فقل هنا ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ﴾

(١) ج: فجاء كل على ما يناسب، ولم يكن ليناسب.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه زيادة ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ في الثانية، ومقصود الأيتين واحد، والجواب...).

(٣) ح، ب، ع: للسائل.

(٤) آية / ٢١٤.

(٥) ك: عليه السلام وغيره.

ليكون أنصُر في تعميم المؤمنين مطلقاً من العشيرة وغيرهم. ولو قيل هنا: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لما كان نصاً في التعميم بل كان يحتمل أن يراد به خصوص المؤمنين من عشيرته عليه السلام، وكان قد^(١) قيل: واخفض جناحك لمن آمن منهم، أي من العشيرة، لأن لفظ المؤمنين هنا وإن عم فإنه بما^(٢) تقدمه، وبني عليه من قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، يشبه الوارد من العمومات على سبب خاص وذلك مما يكسر سُورَةَ عمومه، ويدخله الخلاف فجاء بالمجموع من قوله: ﴿لِسَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ليرفع ذلك الاحتمال ويبقى العموم كما في الآية الأخرى.

فإن^(٣) قلت: إن الضمير المرفوع من قوله: ﴿فَإِنْ غَضَوْكَ﴾ راجع إلى عشيرته^(٤) عليه السلام، وذلك مما يلزم أن يكونوا المعنيين بالكلام، فقوله^(٥) هنا: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لا يمتنع أن يراد به الخصوص.

والجواب أن رجوع الضمير إلى العشيرة على اللزوم غير لازم، بل يمكن رجوعه إلى الجميع ممن هو^(٦) متماد على كفره، ومُتَّبِع. أما الأول فبين، وأما الثاني فللارتداد^(٧). وقد قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ [١٣٨/و] قَوْمًا كَفَرُوا^(٨) بَعْدَ إِيمَانِهِمْ^(٩)﴾. قبل رجوع الضمير إلى الكل [أولاً^(١٠)]، ليستصحب

(١) ساقط من ج، ع.

(٢) ك، ب: عا.

(٣) ساقطة من هـ، م، ب.

(٤) ح: عشيرتك.

(٥) م، ب: بقوله.

(٦) ك: من متماد.

(٧) ج، ك، ع: فبالارتداد.

(٨) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ج، ع.

(٩) آل عمران / ٨٦.

(١٠) جميع النسخ: وأولاً.

المؤمن الخوف. ولهذا قيل: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾، لوقوع اسم المعصية على الكفر وما دونه^(١)، والله سبحانه أعلم^(٢).

سورة النحل

٢٠٩ - الآية الأولى منها، قوله تعالى:

﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (١١ - ١٣).

يسأل عن توحيد آية في الأولى^(٣) والثالثة^(٤)، وجمعها في الثانية المتوسطة، وعن تعقيب الأولى بقوله: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وتعقيب الثانية بقوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، والثالثة بقوله: ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

والجواب عن السؤال الأول أن الإشارة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، في الآية الأولى، إلى المنزل من السماء في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾^(٥). ثم قال: ﴿يُنْبِتُ

(١) ك: وما فوه.

(٢) في ج فقط.

(٣) ك: في الآية الأولى.

(٤) هـ، م، ع. ثانية وهو خطأ.

(٥) النحل / ١٠.

لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ ﴿١﴾، أي ينبت لكم بالماء المُنزَّل من السماء مع وحدته في الصفة ضروب الأقوات والفواكه وأنواع الثمرات. فقيل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ بالإفراد، لأن الإشارة إلى الماء، أو إلى إنبات^(١) أنواع الثمرات المختلفة في الطعم والألوان مع وحدة المادة من الماء وهو واحد. وكذلك الآية الثالثة، الإشارة فيها إلى الجنس الواحد الواقع عليه لفظ «ما» من قوله: ﴿وَمَا ذَرَأَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ فأفرد هذا الضرب لرجوعه إلى ما الواقعة على جنس واحد مبثوث^(٢) في الأرض يشتمل على أنواع مختلفة في الطعوم والألوان، فأفرد لفظ الآية كما أفرد لفظ الضمير؛ لوقوع ذلك على الجنس الذي عبرت عنه وهو جنس واحد، فافتضى ذلك إفراد آية.

وأما الآية المتوسطة فالإشارة فيها إلى خمسة أشياء مختلفة، أحيل عليها في الاعتبار وسخرت لنا تسخيراً به قِوَامُ مَعَاشِنَا وَصِلَاحُ^(٣) أحوالنا، ومعرفة حسابنا، وهي الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم، وكل واحدة من هذه تتبع^(٤) جهات الطر فيه والاعتبار بعجائبه. فالليل للسكن^(٥) والراحة، والنهار للاكتساب والتصرف والسياحة، والشمس للإضاءة والتسخير^(٦)، والقمر [١٣٨/ظ] للنور والترطيب والتلوين^(٧)، وبِكَلَا النِّيرِينَ^(٨) معرفة الشهور والسنين: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبِغِي لَهَا أَنْ تَذَرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ

(١) هـ، ب: إنبات.

(٢) ج، ب: مبثوث.

(٣) ك: ولصلاح.

(٤) ح، ب: «وكل واحد من هذه تتبع»، ك: «وكل من هذه تتبع جهات».

(٥) ك: لسكون.

(٦) ك: التسخين.

(٧) ك: التكوين.

(٨) ساقطة من ك.

النَّهَارِ ﴿١﴾ والنجوم للاهتداء في ظلمات البراري ﴿٢﴾ والبحار، وجهات الاعتبار بهذه ﴿٣﴾ الخمس تفوت لإحصاء والإشارة ﴿٤﴾ إلى هذه المتعددات جمع فقيـل: ﴿لآيَاتٍ﴾.

والجواب عن السؤال الثاني وهو وصف المعتبرين في الآية الأولى بالتفكر، وفي الثانية بالعقل، وفي الثالثة بالتذكر ﴿٥﴾ أن إنبات ﴿٦﴾ الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومختلف الثمرات بالماء المُنزَل من السماء مع كونه واحداً والمُنْبَت به مختلف الأنواع والطعوم والمنافع أمر ﴿٧﴾ يوصل إلى معرفه وارتباطه باستعمال الفكر في ذلك وإن لم يطل بشرط السلامة من الغفلة، فيحصل بمجرد الفكر على عظيم ﴿٨﴾. لمعتبر. وأما تسخير الليل والنهار إلى ما ذكر معهما ﴿٩﴾ فلا يُكْتَفَى في معرفة ذلك والحصول على الاعتبار به بمجرد الفكر، فإن العلم بتسخير هذه مما يغمض ويخفى إلا على ذوي البصائر والمُطَرِّفِ ﴿١٠﴾ السليمة، والعقول الراجحة، فلم يقنع التفكير هنا بل وصف المعتبر بهذا ﴿١١﴾، بما ﴿١٢﴾ هو فوق الفكر. وتأمل ما يعقب به موسع ﴿١٣﴾ الاعتبار في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) يس / ٤٠.

(٢) ج: البر- وأرى.

(٣) هـ. هـا.

(٤) ك: فـلاشارة.

(٥) ك: بالذكر.

(٦) هـ، ب: إنبات.

(٧) ساقطة من ج، ومكسها بياض في ع، هـ. أم.

(٨) ج: عظم.

(٩) ج، هـ، ك، ع: معها.

(١٠) ج، هـ، ع: النظر.

(١١) ك: بها.

(١٢) هـ، م، ب، ع: بما.

(١٣) ح، هـ، ع: توسع، ب: توسع.

وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ ﴿١﴾ - الآية (٣) - الى قوله - ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ لما كان في الاعتبار بما انطوت عليه هذه الآية (٣) غموض وخفاء، قيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

وأما الآية الثالثة وهي قوله: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾، فَبِدْأَةُ الفكر السالم (١) وقَصْدُ (٢) التذكر كاف في حصول الاعتبار بذلك. فإذا تأملت ما ذكرناه ألفيت ذلك كله وارداً على أجل مناسبة، وعلمت أن كل آية من هذه الثلاث لا يناسبها إلا ما أعقبت به.

٢١٠ - الآية الثانية من سورة النحل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٤).

وقال في سورة الملائكة (١٢): ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

في هذه الآية ثلاث سؤالات:

الأول: لم (٦) آخر المجرور في سورة النحل ف قيل: ﴿مَوَاجِرَ فِيهِ﴾،

(١) البقرة / ١٦٤.

(٢) ج، هـ، م، ع: الآيات خطأ.

(٣) ج، ب، ع: الآيات خطأ.

(٤) ك: السليم.

(٥) ج، هـ، م، ع: مقصد.

(٦) ج، ك: لما.

وقدم في السورة الأخرى، فقيل: ﴿ فِيهِ مَوَاجِرُ ﴾.

الثاني: زيادة الواو في قوله: ﴿ وَلَيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ في سورة النحل وسقوطها في سورة الملائكة.

والثالث: زيادة ﴿ مِنْهُ ﴾ في سورة [١٣٩/و] النحل^(١) في قوله: ﴿ وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ جَلِيَّةً ﴾، وسقوط ذلك في سورة الملائكة.

والجواب عن الأول أن آية النحل بنيت على تأخر المجرورات عما^(٢) تعلق به، وجرى الكلام جرياً واحداً للتناسب والتشاكل، فقيل: ﴿ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ ﴾، ﴿ وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ ﴾، و﴿ مَوَاجِرُ فِيهِ ﴾. ولو قيل هنا: «فيه مواخير» بتقديم المجرور على العامل فيه، وهو «مواخير»، اسم فاعل مجموع من المَخْر، وهو شق السفينة الماء بحيزومها^(٣)، لما ناسب ما تقدم مما بنيت الآية عليه وتقدم في المجرورين قبله.

وأما آية الملائكة فمبنية على تقديم المجرور على ما به تعلق. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾، فتأكلون، العامل في المجرور الذي هو «من كل» متأخر عنه فناسب ذلك تأخير العامل أيضاً في المجرور الثاني ليناسب الكلام بناء^(٤) آخره على ما بُني عليه^(٥) أوّله، ولم يكن ليصح ما لا يناسب.

والجواب عن السؤال الثاني أن آية النحل مبنية^(٦) على قصد الاعتبار،

(١) ما بعدها إلى آخر آية النحل، محذوف من ك.

(٢) هـ، م، ب: كما.

(٣) ج، ع: بحيزومها. والحيزوم: ما استدار بالظهر والبطن، وما اكتشف الخلقوم. ومن اسفينة مَقْسَمُها.

(٤) ب: بنا.

(٥) ساقط من هـ، م، ك.

(٦) ساقطة من ك.

وتعداد^(١) النعم. وقد اجتمع في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾^(٢) لتأكلوا منه لحماً طرياً. - الآية، مجموع الأمرين من الاعتبار وإبداء النعمة بتسخير البحر وأكل اللحم الطري منه، وإخراج الحلية للناس، ومخر^(٣) السفن إياه للمنافع والاكتساب. فهذه نعم جليلة وفي كل منها مجال للاعتبار، ومتسع للتفكير والنظر. فلما كان من مقصود هذه الآية تعداد النعم، ناسب ذلك عطف بعضها على بعض لأنه مظنة إطناب وتفصيل، فقل^(٤): ﴿وَلِيَسْتَفْهَمُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾، والمجروح متعلق بفعل التسخير^(٥)، أي سخره للأكل، واستخراج الحلية، وجري السفن، والابتغاء من فضل الله.

وأما آية سورة الملائكة فمبنية^(٦) على إبداء القدرة وجليل^(٧) الحكمة. ألا ترى قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ شَيْءٍ وَلَا يُمِيتُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾^(٨)، ثم قال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾^(٩). فهذا مقصود الاعتبار والتعريف بانفراده سبحانه بخلق ذلك كله، والقدرة عليه وإحكام الصنعة وإن أنجز طي^(١٠) ذلك إبداء النعم وجليل الإحسان إلا أن مقصود الآية وبناءها على ما ذكرناه ثم تجرد باقي الكلام للتعريف بالإنعام والامتنان، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ

(١) ج، ب: تعديد.

(٢) ما بعدها إلى طرياً من الآية في م فقط.

(٣) ج: ومخر، ك: ومخرج.

(٤) ج، ب، ع: قيل.

(٥) ما بعدها إلى كلمة (لأكل) محذوف من ك.

(٦) ك: قُبِيَتْ.

(٧) ح، ع: حبيب.

(٨، ٩) فاطر / ١١، ١٢.

(١٠) ح، ع: في طي.

تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ
لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴿١٣٩﴾ فتعلق [١٣٩/ظ] المجرور الذي هو ﴿لِتَبْتَغُوا﴾،
باسم الفاعل المجموع، أي سخره^(١) للابتغاء^(٢) من فضله. فالابتغاء^(٣) هنا
مُخْرِجٌ طَيِّ الكلام^(٤)، والامتنان مقصود، إلا أن [مخر]^(٥) السفن كأنه ليس
لشيء إلا للابتغاء. فلما تعلقت اللام بمواجر من حيث تحمل^(٦) اللفظ
معنى الفعل، لم يصح دخول الواو، ولم يكن كآية النحل، فافترق
المقصدان، ولم يلائم كلاً من الموضعين، إلا الوارد فيه.

والجواب عن السؤال الثالث، أن المعنى في قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ
لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾، مستقل^(٧) لا إيهام^(٨) فيه ولا
إحتمال، لأن تقدير الكلام: ومن كُلُّ البحرين^(٩) أكلكم^(١٠) واستخراج
الحلية لِلْبَاسِ^(١١). فالكلام في قوة المبتدأ والخبر، لا يوهم خلاف ما ذكر.
وأما قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾، فلو سقط هنا المجرور الذي هو ﴿مِنْهُ﴾، لكان
مجالاً^(١٢) للاحتمال. [و] لو قيل: وتستخرجوا حلية^(١٣)، لم يكن بالنص في

(١) م: مجرد، ك: سخر.

(٢) م: الابتغاء، ك: لا ابتغاء.

(٣) ك: فالاعتبار.

(٤) ج، ع: إلا كلام.

(٥) ك: سخر، بقية النسخ: جرى.

(٦) ك: بمواجر من حيث يحمل.

(٧) ك: مستقبل.

(٨) ج، هـ، ع: إيهام.

(٩) ك: البحر.

(١٠) ج: أكلهم.

(١١) ج، هـ، م، ع: للناس.

(١٢) ك: مختالاً.

(١٣) ساقطة من ج، هـ، ع.

أنَّ استخراج الحلية من البحر، وإن كان ظاهراً، إلا أن هذا القدر من الاحتمال منقذ هنا، وغير منقذ في آية الملائكة، فثبت الضمير هنا رافعاً لهذا الاحتمال، ولم يثبت في آية سورة الملائكة، إذ لا انقذاح فيها للاحتمال. فورد كل على ما يجب، والله أعلم.

٢١١ - الآية الثالثة من سورة النحل^(١) قوله تعالى^(٢):

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَشِّرْهُم بِمَثْوَاهُمْ﴾^(٣) .

وفي^(٤) سورة الزمر (٧٢): ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَشِّرْهُم بِمَثْوَاهُمْ﴾^(٥) .

وفي سورة المؤمن (٧٦): ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَشِّرْهُم بِمَثْوَاهُمْ﴾^(٦) .

للسائل أن يسأل عن زيادة^(٧) اللام في آية النحل، وسقوطها من الآيتين الأخريين، وما وجه ذلك.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن آية النحل تقدمها ثماني^(٨) آيات أو نحوها في ذكر هؤلاء المَقُولِ لَهُمْ: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾، وفي وصفهم من لَدُنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ - إلى قوله - ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾^(٩). وتلك إطالة في

(١) قوله «من سورة النحل» محذوف من ب.

(٢) عنوان الآية كله ساقط من هـ.

(٣) إلى آخر آية الزمر ساقط من هـ.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه زيادة اللام...).

(٥) ح، ع: ثمان.

(٦) الآيات / ٢٤ - ٢٩.

ذكرهم، واستيفاء يناسبه التأكيد باللام المشيرة الى معنى القسم.

وأما الآيتان من سورة الزمر، وسورة المؤمن فإن المتقدم في الأولى منهما قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ - الى قوله - ﴿قِيلَ ادْخُلُوا﴾ (١). وذلك كلام (٢) قد جُمع الى الوجازة أنه (٣) لم يذكر من كفرهم ما ذكر في المذكورين قبل آية النحل من ردهم المنزل بقولهم: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾. وتلك مقالة شنعاء من كفرهم. فتناسب إيجاز الواقع قبل آية الزمر مع ما أُجمل فيها من كفرهم، سقوط اللام من قوله: ﴿فَبُئْسَ﴾ [١٤٠/و]. وأما آية سورة المؤمن، فلم يقع أيضاً قبلها من استيفاء التعريف ما وقع في سورة النحل، ولا نصر من شنيع مرتكبهم على غير هذا التكذيب، فتناسب ذلك سقوط الكلام، كما في الزمر، وورد كل على ما يجب ويناسب.

٢١٢ - الآية الرابعة (غ) (٤) قوله تعالى:

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٣٤).

وفي سورة الزمر (٥١): ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾.

وجه ذلك - والله أعلم - استدعاء التناسب، في كل من الموضعين. وقد ورد قبل آية النحل قوله تعالى مخبراً عن المشركين: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

(١) الآيتان / ٧١، ٧٢.

(٢) بي غ فقط.

(٣) ساقط من ح، ع.

(٤) ساقط من ك، ب، والآية من المعفلات.

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾، ثم صرف الكلام الى كفار العرب في توقفهم عن الإيمان فقيل: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ﴿٢﴾، ثم قيل ﴿٣﴾: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ﴿٤﴾. والمراد: من قال: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾، [ومن] ﴿٥﴾ كان على مثل حالهم، فقيل بناءً على قولهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ ﴿٦﴾، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ ﴿٧﴾، وتناسب هذا أتيين تناسب.

وأما آية الزمر، فقد وقع قبلها قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ﴾ - الى قوله ﴿٨﴾ - ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ آيَاتِهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ. وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٩﴾. وبعد هذا: ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٠﴾ ثم قال ﴿١١﴾: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ ﴿١٢﴾، وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ ﴿١٣﴾، يعني كفار العرب، سَيِّئَاتُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا؛ فقد وضع وجه التناسب في الآيتين. وعكس الوارد لا يناسب، والله أعلم.

(١) الآية / ٢٨، وزاد في ك: (ثم استمرت الآية الى قوله: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾).

(٢) الآية / ٣٣.

(٣) ب: قال.

(٤) آية / ٣٥.

(٥) جميع النسخ: وما كان.

(٦، ٧) الآيتان / ٢٨، ٣٤.

(٨) ج، هـ، م، ع: الى قولهم.

(٩) الآيتان / ٤٧، ٤٨.

(١٠) الزمر / ٥٠.

(١١) ثم قال: ساقطان من ج، ع.

(١٢) زاد في ك بعدها (وحاق بهم يعني كفار الأرض...).

(١٣) الزمر / ٥١.

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَبِمَنْ آتَاهُ اللَّهُ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَآلَيْهِ تَجْرُونَ. ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ. لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْتَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٥٣ - ٥٥).

وفي سورة العنكبوت^(١) (٦٥ - ٦٦): ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ. لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْتَهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٢) وفي سورة الروم (٣٤): ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْتَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

للسائل^(٣) أن يسأل عن وجه تكرار اللام في قوله: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾، في سورة العنكبوت، ولم يتكرر في الآيتين الأخريين، وهل بين آية العنكبوت وآيتي النحل والروم فرق في ذلك يوجب^(٤) تكرار اللام حيث ذكر أم لا؟ وهل قوله في سورة العنكبوت: ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾، يعم^(٥) جميع المذكورين في ذلك؟ وقال في الآيتين الأخريين: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾، فَخَصَّ^(٦) بعضهم [١٤٠/ظ] ولم يعم، فهل ذلك لموجب يقتضيه^(٧)؟ فهذان سؤالان.

والجواب أن هذه اللام في قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾، ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾، لام

(١) ك: أخر آية العنكبوت وقد الروم وراد فيها (وفي الروم: وَإِذَا نَسِيَ الْإِنْسَانُ ضُرَّ دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَنفَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يُشْرِكُونَ. .) وما أثبتناه هو ترتيب المصحف.

(٢) ما بعدما إلى آخر آية الروم ساقط من هـ.

(٣) ب. صيغة السؤال (يقال ما وجه تكرار اللام. .).

(٤) ج. لوحب، هـ، ب، م فوحب.

(٥) ك: مع جميع، ب: نعم جميع.

(٦) ج: بخص، ب: بخص.

(٧) ساقطة من ك.

الأمر المقصود^(١) به التهديد والوعيد كقوله: ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَائِكُمْ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٣). وإذا تقرر هذا فقوله: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ. ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ^(٤) بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾^(٥)، خطاب يعم ولا يخص، وإذا كان الخطاب عاماً يشمل العالم الكثير فأبعد شيء أن يكونوا في^(٦) تلقيه على حدٍّ سواء^(٧)، بل يكون منهم المُقْبِل والمُعْرِض. فعلى هذا الحكم ورد في سورتي النحل والروم: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾^(٨)، لأن ما تقدم من الخطاب الإخباري في قوله: ﴿وَمَا بِكُمْ﴾ - إلى قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ﴾. وفي قوله: في الروم: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ﴾ - إلى قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ﴾ عام غير خاص؛ فأخبر سبحانه بتفصيل أحوالهم في تلقيه وأن منهم فريق يرجعون إلى ما قُدِرَ عليه من الشرك بربهم. ومفهوم هذا الكلام أن غير ذلك الفريق ليسوا مثلهم في ذلك؛ فقد تفصل تلقيهم^(٩)، واختلفت أحوالهم بشاهد جري العادة الذي لا ينكسر. وإذا تقرر هذا فالوعيد لا يُفْهِمُ^(١٠) معنى؛ بل يخص الفريق المسمى وإن عم بلفظه تخويفاً لمن عدا ذلك الفريق وليكون أَرْهَبَ للجميع^(١١)، وإن تفصلت أحوالهم. أما قوله في

(١) ك: لام مقصود به.

(٢) هود / ٩٣.

(٣) الكهف / ٢٩.

(٤) ساقطة من ب، م، هـ وزاد في هـ: «ولا يخص».

(٥) ما بعدها إلى قوله «يُشْرِكُونَ» في ك فقط.

(٦) ج، ع: على.

(٧) ك: واحد.

(٨) هكذا في آية الروم، وفي آية النحل «إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ».

(٩) ج، هـ، ع: ترفيهم.

(١٠) ج، ك، ع: يعم.

(١١) ك: الجميع.

سورة العنكبوت^(١): ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾ فليس هؤلاء كل الناس، ولا يتناول الخطاب غير من ذكر. فقله^(٢) بعد: ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ يتناول^(٣) جميع من شمله^(٤) الضمير في قوله: ﴿رَكِبُوا﴾، وظاهر الخطاب تساوي هؤلاء في مرتكبهم. فالوعيد شامل لجميعهم، ومُتناول^(٥) جملتهم فحسن توكيد الوعيد لشموله لهؤلاء المخصوصين فقل: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ ولم بحسن في المذكورين في آيتي النحل والروم لتفصيل أحوالهم فجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

٢١٤ - الآية السادسة (غ)^(٦) قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦٠).

وفي سورة الروم (٢٧): ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

للسائل أن يسأل عما زيد^(٧) في آية الروم من قوله: ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، مع أن ذلك مفهوم من الآية الأخرى، ومعلوم^(٨) لا يمكن خلافه وإن لم يقع به إفصاح في اللفظ.

والجواب أن ذلك إنما جرى بحسب مقتضى المقصود في كل من

(١) م، ك، ب: الروم، والصبواب ما أثبتناه.

(٢) ك: بقوله.

(٣) ك: يتناول.

(٤) ك: حمله.

(٥) ح، هـ، ب، ع: ويتناول.

(٦) في ك فقط والآية من المغفلات.

(٧) ب: صيغة السؤال (يسأل عما زيد).

(٨) ما بعدها إلى قوله «خلافه» ساقط من ك.

الآيتين. أما آية النحل فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾، فقول بل بحسب التفصيل، ومقتضى التقابل بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ فتطابق^(١) الكلام، وتناسب، مُوازنة لفظ، وجليل تقابل، ولم يقع قبلها ذكر السموات والأرض فلم يكن ليناسب ذلك ذكرهما بعد.

وأما آية الروم فتقدمها قوله عز وجل: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَائِمُونَ﴾^(٢). ثم قال بعد^(٣): ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ [١٤١/و] وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. ووضوح التناسب في هذا غير محتاج الى زيادة بيان.

٢١٥ - الآية السابعة منها^(٤) قوله تعالى:

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (٦١).

وفي سورة الملائكة (٤٥): ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِنَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

فيها سؤالان:

أحدهما، قوله في الأولى: ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾، وفي الثانية: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾.

(١) ك: فطابق.

(٢) آية / ٢٦.

(٣) ج: بعده.

(٤) ساقط من ك، ب.

والثاني : قوله في الأولى : ﴿ عَلَيْهَا ﴾ ، وفي الثانية : ﴿ عَلَى ظَهْرِهَا ﴾ .

والجواب أن آية النحل تقدمها قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ ^(١) . فإشارة الآية إلى وأيدهم البنات وهو أعظم الظلم وأشنعه إذ لم يتقدم للموودة جريمة ولا شبهة يتعلق بها قاتلها . فناسب هذا ذكر الظلم ، فقال تعالى : ﴿ وَلَوْ يُوَاسِعُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ والضمير من «عليها» للأرض يفهمه سياق الكلام ، فناسب ما أشير إليه من عظيم ظلمهم التصريح ^(٢) بذكر الظلم في قوله : ﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾ . ولما لم يتقدم في آية سورة الملائكة إفصاح بلفظ الظلم ، بل تقدمها قوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا تَفُورًا . اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴾ ^(٣) فأشير إلى اجتراحاتهم وسيء اكتسابهم لنفورهم ومكرهم السيء فناسب ذلك قوله : ﴿ بِمَا كَسَبُوا ﴾ ، وقيل هنا : ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا ﴾ ، والضمير للأرض فسرّه السياق الأول ف قيل ﴿ عَلَى ظَهْرِهَا ﴾ ليناسب في طول تركيبه قوله : ﴿ بِمَا كَسَبُوا ﴾ ، كما ناسب قوله : ﴿ عَلَيْهَا ﴾ ، في الآية الأولى قوله : ﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾ في قلة حروفه تناسب التوازن والتناظر والتقابل ، فورد كل على ما يجب .

(١) الأبتان / ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) هـ ، ب : التصريح ، ك : التبريح .

(٣) فاطر / ٤٢ ، ٤٣ .

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ. وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ. وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ [١٤١/ظ] لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٦٥ - ٦٩).

في هذا ثلاث سؤالات : الأول إفراد «آية» في ثلاثة مواضع^(٢)، مع أن الثاني منها قد تفصل فيه الاعتبار بذكر الأنعام ولبها، وذكر ثمرات النخيل والأعناب وما يتخذ منها، فيسبق^(٣) في الظاهر أن الوجه^(٤) جمع آية^(٥) بخلاف الآية الأولى والثالثة، وقد أفردت فقيل : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

والسؤال الثاني، ما وجه ختام الأولى بقوله : ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، والثانية بقوله : ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، والثالثة بقوله^(٦) : ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

(١) محذوفة من ب.

(٢) ج، هـ، ك، ع : الثلاثة مواضع.

(٣) ك : فسق.

(٤) ك : الواجب.

(٥) في ك فقط وبقيت السخ (آيات).

(٦) ساقط من ك.

والسؤال الثالث، ورود الأنعام مفرداً في قوله: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾. وما الفرق بين هذا وبين الوارد في قوله في سورة المؤمنين: ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾^(١).

والجواب عن السؤال الأول أن قوله: ﴿لَايَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، راجع إلى قوله: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ - الآية. وذلك اعتبار باتخاذ السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، وهو نوع واحد وقد أفرد في قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ﴾، فجاء أفراد آية على ذلك. وأما إخراج اللبن من بين الفرث والدم في الأنعام فلا يرجع إليه قوله: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، إذ قد أغنى عن ذلك قوله: ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ﴾، كاف عن آية، ومُعْنِ ذلك الغناء. فلا وجه للجمع بينهما. وإنما مرجع آية لما ذكر من المتخذ من ثمرات النخيل والأعناب كما تبين. فاندفع هذا السؤال جملة. ذلك^(٢) أن الآية الأولى للاعتبار فيها بالماء المنزل من السماء، والاعتبار في الثالثة بما تضمنت من أمر النحل والإيحاء إليه بما ذكر. فالاعتبار في كل منهما إنما وقع بنوع مفردهما^(٣) فما^(٤) وقع من تفصيل، فمصرفه إلى حال أو وصف^(٥) مع وحدة النوع.

والجواب عن الثاني، أن وجه مناسبة قوله: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ - الآية^(٦)، بناء ذلك على المتصل به من قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ

(١) آية / ٢١.

(٢) ج، ع. وكذا، ب: وذلك، ك: فليدفع ذلك، هامش «م» بعد ذلك: «لعله أن».

(٣) ك: مفرد.

(٤) ساقطة من هـ، م، ب، وفي ك: وما.

(٥) ج، ع: أوصف.

(٦) الآية / ٦٥.

الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴿١﴾، ثم قال: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، فاتصل ذكر إنزال الكتاب، بإنزال الماء. وقد سماه رحمة، لرحمته عباده به، وماء السماء رحمة وقد سماه بذلك. وبالمنزّل من الكتاب يُتذكر^(٢) اعتبار الرحمة بالماء المنزّل^(٣) من السماء، ولا يحتاج في ذلك الى كبير تذكّر، بل التنبية على إنزاله بالوارد في الكتاب مع مشاهدة منافعه كاف في الاعتبار في إحياء الأرض بعد موتها، [وهو] أوضح شيء^(٤) وأمازة لإحياء الموتى وإخراجهم بما^(٥) وُعدوا به، فالتحم الكلام، وتناسب النظم والمعنى [١٤٢/و] وإنما تحصل ثمرة الكتاب المنزّل بسماعه، ولذلك نهى المعرضون عنه اتّباعهم فقالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾^(٦). وقد في قِسم من رُجم بسماعه^(٧) من الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾^(٨)، وإنما يستجيب سامعه إذا كان غير معرض فلاذ ذاك^(٩) يصفى إلى اعتبار ما أعقب به من إنزال ماء السماء. فلهذا الالتحام ما^(١٠) أعقبت الآية المذكورة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، والله أعلم.

وأما الآية الثانية فلما وقع فيها ذكر السكر في قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾، وذلك حكم لا يمكن الوصول الى معرفة سببه ولا تعليله بطريق الحواس، ولا يوصل إلى ذلك بجهة تفكر أو اعتبار

(١) الآية / ٦٤.

(٢) ك. يذكر.

(٣) ك: بالمنزل من.

(٤) ك: شهادة لإحياء.

(٥) ك: لما.

(٦) زاد في ك، ب من الآية: «وَالْقُرْآنِ فِيهِ».

(٧) ج، هـ، ع: به.

(٨) الجن / واحد، وراى في ك من الآية الثانية من السورة «يَهْدِي».

(٩) ج، هـ، ب، ع: وإدا لم، م: فإذا لم.

(١٠) ساقطة من ح، هـ، م، ع.

عبر^(١) بقوله: ﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، إذ العقل يُسَلَّم إمكان ما لا يُعَلِّم له علة مما^(٢) ليس بمحال فيكون مما يفرد تعالى بعلمه ويعجز البشر عن فهمه.

وأما الآية الثالثة^(٣) فَمَحَلُّ مجال^(٤) الفكر، ومتسع الاعتبار فناسبه ﴿لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

والجواب عن السؤال الثالث أن قوله: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾، فإفراد^(٥) الضمير وتذكيره مراد به الجنس. وقد حكى سيبويه - رحمه الله - أن من العرب من يقول: «هو الأنعام»^(٦) وعليه حمل آية الأنعام في^(٧) تذكير الضمير، وورد في سورة المؤمنين على التانيث والجمع لما بُني^(٨) على ذلك من قوله: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾، فنوسب بضمير الأنعام ما أُتبع به من الضمائر في قوله: ﴿فِيهَا﴾، ﴿وَمِنْهَا﴾، ﴿وَعَلَيْهَا﴾، فورد بصور التانيث والجمع.

٢١٧ - الآية التاسعة^(٩) من سورة النحل قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (٧٠).

(١) ك: عبرة.

(٢) ي: ك فقط وبقي النسخ: مما.

(٣) ج: الثانية.

(٤) ك: لخال.

(٥) ك: بإفراد، وبقي النسخ: فأفرد، وما أثبتناه هو الصواب.

(٦) ك: هو - لأنعام، وانظر سيبويه ٢/ ٢٣٠.

(٧) ك: وتذكير الضمير ورد في سورة.

(٨) ح: بُنِيَ.

(٩) ما بعدها إلى كلمة: النحل؛ محذوف من ب.

وفي سورة الحج (٥): ﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلًا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾.

للسائل أن يسأل عن زيادة: ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾، وسقوطها من آية النحل مع اتحاد المعنى. هل ذلك بسبب^(١) حامل يقتضي زيادتها هنا وسقوطها هنالك؟.

والجواب أن سبب ذلك - والله أعلم - التناسب والسياق وتشاكل النظم ومراعاة اللفظ. ألا^(٢) ترى إلى تكرار^(٣) ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ نُنْفِئُكُمْ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ [١٤٢/ظ] وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلًا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا، وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾. فقد تكررت^(٤) لفظة ﴿مِنْ﴾ في هذه الآية^(٥) في ستة مواضع الخمسة منها قبل قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾، والواحدة بعدها. وكلها محرزة معناها الذي جيء بها من أجله، إلا التي في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ﴾، إذ النظم مع سقوطها ملتئم^(٦) والمعنى تام فاستوى وجودها وعدمها، فاستدعاها سياق آية الحج للتشاكل والتناسب المرعي^(٧) في النظم، ولم

(١) ب، هـ، ع: لسبب، وساقطة من ك.

(٢) قوله: ألا ترى إلى تكرار من ه ساقطة من ب.

(٣) ساقطة من هـ.

(٤) ج، ك: تكرر.

(٥) في ج فقط وبقيّة السخ (الأي) وما نبتناه الصواب.

(٦، ٧) ساقطة من ك.

يكن في آية النحل ما يستدعيها، إذ لم تقع في شيء من كليم الآية، فوردت حيث اقتضاها سياق النظم، ولم ترد حيث لم يرد ما يقتضيها، فورد كل على ما يجب ويناسب، ولا يمكن العكس. والأولى في قوله: ﴿مَنْ أَلْبَسَ﴾ [أن تكون] لابتداء الغاية وما بعدها للتبويض، ألا ترى [إلى] (١) التي في قوله: ﴿مَنْ بَعْدَ﴾، فإنها زائدة رعيًا للفظ، لا النافية، وإن كانت هنا مزيادة.

٢١٨ - الآية العاشرة (٢) من سورة النحل قوله تعالى:

﴿أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِإِنْعَامِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (٧٢).

وفي العنكبوت (٦٧): ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفَتُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِإِنْعَامِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن ثبوت (٣) الضمير المنفصل المستدأ في قوله: ﴿هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ في آية النحل، وسقوطه من آية العنكبوت مع أن المعنى متحد، والعبارة متكررة، أعنى قوله: ﴿أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ - الآية، فما وجه ذلك؟

والجواب - والله أعلم - أن الوارد في آية النحل راجع إلى من قُدِّم (٤) ذكرهم في قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيًّا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ (٥)، وفي قوله (٦): ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ - إلى قوله - ﴿لِلَّذِينَ [لَا] يُؤْمِنُونَ﴾ (٧)،

(١) ساقطة من ح، وفي نسخة السخ الأ.

(٢) ما بعدها إلى كلمة نحل محذوف من ب.

(٣) ب: صفة السؤل (يسأل عن ثبوت...).

(٤) ساقط من ك.

(٥) السحل / ٥٦.

(٦) ما بعدها إلى آخر الآية ساقط من ب.

(٧) السحل / ٥٧ - ٦٠.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِّهِ مَا يُكْرَهُونَ﴾^(١) وقوله: ﴿أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾، راجع الى المذكورين في هذه الاي، وليس راجعاً الى ما اتصل به من قوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْذَةً﴾^(٢). فلما كان قوله: ﴿أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ راجعاً الى ما تباعد اتى بضميرهم المُشْعِرُ بِالْبُعْدِ^(٣) وهو ضمير الغائبين فعيل: ﴿هُمْ﴾، وارتفع بالإتيان به تَوْهَمُ عودة ضمير ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ الى المفعول^(٤) لهم: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْذَةً﴾.

فإن قيل: لو قيل: تؤمنون، وتكفرون، على الخطاب لكان للمخاطبين بقوله: ﴿لَكُمْ﴾، أما على وروده على طريقة الإخبار عن الغائبين [١٤٣/و] فلا يُوهَمُ^(٥) ما ذَكَرْتُ فلا ضرورة تدعو الى ضميرهم^(٦).

قلت^(٧): هذا لو لم يكن الالتفات من فصيح كلام العرب، وهو الرجوع^(٨) عن^(٩) الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب، وإلى التَّكْلُمِ^(١٠)، كقوله^(١١):

(١) نفسه / ٦٢.

(٢) نفسه / ٧٢.

(٣) في ك فقط ونقبة النسخ: بالتعداد.

(٤) هـ، م، ب: المفعول لهم.

(٥) ج: توههم.

(٦) هـ، م، ب: «تدعوهم»، بدلاً من: «تدعو إلى ضميرهم».

(٧) جميع النسخ (فقلت).

(٨) ك: الرجوع.

(٩) ج، هـ، ك، ب، ع: من.

(١٠) ك: المتكلم.

(١١) الأبيات لامرئ القيس بن حجر الكندي في ديوانه ١٨٥/ رواية الطوسي. وهو الثالث الشهير في

نسخها. ونقل ابن حبيب عن ابن الكلبي أنها لعمر بن معد يكرب. وقبل لامرئ القيس بن

عباس نظر ديوان عمرو بن معد يكرب / ٩٢. سمط لئالي / ٥٣١، التصريح ١/ ١٩١، شرح

الأشعري عن الألفية ١/ ٢٣٦، شرح شواهد المعنى / ٢٤٩، شواهد النحو / ٦٩٩.

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْأَثَمِ ۖ وَنَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ تَرْقُدِ
وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ ۖ كَلِيلَةٌ ذِي الْعَائِرِ الْأَرْمَدِ
وَذَلِكَ مِنْ نَبَأِ جَاءَنِي ۖ وَخَبَرْتُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ

فتأمل كيف التفت في قوله: وبات وباتت له ليلة، بعد الخطاب بقوله: تطاول ليلك ولم ترقد، فرجع من الخطاب إلى الغيبة، ثم قال: وذلك من نبأ جاءني، فرجع إلى التكلّم وإنما خاطب بذلك نفسه. وفي الكتاب العزيز: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ﴾^(١) فقوله^(٢): ﴿وَجَرَينَ بِهِمْ﴾، رجوع من الخطاب إلى الغيبة، وفي الكتاب العزيز من ذلك كثير^(٣).

فإذا تقرر أن الالتفات من فصيح كلامهم، فما يمنع من احتمال أن يفهم قوله: ﴿أَقْبَالُ الْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾، على أنه راجع إلى المخاطبين بقوله^(٤): ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ﴾ على طريقة الالتفات، رجوعاً من الخطاب إلى الغيبة. فجاء قوله: ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ﴾، بصمير الغائبين؛ رافعاً لهذا الإبهام^(٥) ومُخَلِّصاً المعنى المقصود بالكلام من رجوعه إلى من قدم ذكره. فهذا موجب ورود هذا الضمير المبتدأ هنا.

أما قوله في سورة العنكبوت: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَقْبَالُ الْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾، فكلام^(٦) لا يرجع شيء منه إلى متقدّم قبله فيتباعد منه، بل هو مستقل^(٧)

(١) يوس / ٢٢.

(٢) إلى قوله وهم من الآية سافط من ح، م، ك، ع.

(٣) راجع ما كتبه أبو هلال العسكري عن الالتفات في الصناعتين / ٤٠٧ - ٤٠٩.

(٤) ب: كفوله.

(٥) ك: الإبهام.

(٦) م، ك، ب: فكلامهم.

(٧) ك: مستعمل، ب: مستقل.

بنفسه والمَعْنِيُّونَ^(١) بقوله: ﴿أُولَئِكَ يَسْرَوْنَ﴾ هم المرادون^(٢) بقوله: ﴿أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾. وليست هذه الآية مثل آية النحل فيما تقدم فيحتاج^(٣) فيها إلى ما احتيج هناك. فكل من الآيتين وارد على ما يجب ويناسب، ولا يمكن عكس الوارد على ما تمهد، والله أعلم.

٢١٩ - الآية الحادية عشرة (غ)^(٤) قوله تعالى:

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨).

وفي سورة المؤمنين (٧٨): ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

وفي سورة الملك (٢٣): ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، فورد في هاتين نفي شكرهم على المعروف من هذه العبارة، أو تقليله بمقتضى اللفظ، وورد في سورة النحل: تَرْجِي شكرهم، مع اتحاد المقصود من إبداء عظيم النعمة بالأسماع والأبصار.

فللسائل أن يسأل عن الفرق^(٥).

والجواب - والله أعلم - أن آية النحل مبتدأة بقوله تعالى: ﴿وَأَلَّهُ أَخْرَجَكُمْ [١٤٣/ظ] مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾. فناسب هذا

(١) لك: والمعنون..

(٢) ج، هـ، ع: المراد.

(٣) لك: فيتاج.

(٤) ساقطة من لك، والآية من المغفلات.

(٥) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينها).

لكونه وصف حال قبل تعيين التكليف. وورود^(١) التَّرجِي [معناه أنه] لا يكون منهم الشكر، لذكره^(٢) إياهم في حال لم يتهيئوا فيها بعد لقبول^(٣) أمر أو نهى أو إعراض عن ذلك، ولا تَعْلُق^(٤) بهم التكليف، فناسب هذا ذكر الترجي.

أما الآيتان بعد فالإخبار فيهما عن أحوال من استوفى سنُّ التكليف وعَقْل الخطاب وفهمه^(٥) وتكرر^(٦) عليه التذكُّر؛ فلم يُجَدِّ عليه شيئاً. ألا ترى قبل آية سورة المؤمنين: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾^(٧)؛ إلى ما اتصل بهذا، فقد صدر من هؤلاء التعامي فخالف الوارد في آية النحل، فناسب ذلك هنا نَفَى شكرهم. وأما آية الملك فالمخاطب بها من قيل له تعريفاً وتوبيخاً^(٨): ﴿أَمِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ - إلى قوله - ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾^(٩) والآي مشيرة إلى موالاة إنعامه سبحانه على عباده، وإدراج أرزاقهم إلى ما يجري مع هذا، فناسب ذلك حين لم يُجَدِّ عليهم مُسْتَمِرُّ إحسانه، ومتوالي إنعامه^(١٠)، أن نَفَى شكرهم، فقد وضع التناسب في هذه الآي، ووردت^(١١)

(١) ك: ورود، وبقية السخ: ورد، والصواب ما أثبتناه.

(٢) هـ، م، ن: لذكره، ب: لذكرهم.

(٣) ج: القبول، ك: بقبول.

(٤) ج: يعلق.

(٥) ك، ب: وفهمها.

(٦) ك: وتكون.

(٧) الآية / ٧٦.

(٨) ك: ترجيحاً.

(٩) الآيات / ٢٠ - ٢٣.

(١٠) ك: وموالاة إحسانه.

(١١) هـ، ك، م، ب: وورد.

كل واحدة منها على ما يجب، وإن عكس الوارد غير مناسب.

٢٢٠ - الآية الثانية عشرة (غ) قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٧٩).

وفي سورة الملوك (١٩): ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ﴾، فورد في الأولى: ﴿ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾، وفي الثانية: ﴿ إِلَّا الرَّحْمَنُ ﴾، ومقصود الآيتين من التنبيه على الاعتبار بعظيم قدرته تعالى، وعلى حكمته في تسخير الطير في حو السماء وتسخير الهواء وتهيته لذلك^(١) بتقدير العزيز الحكيم، مقصود واحد.

فللسائل أن يسأل عن ذلك^(٢).

والجواب - والله أعلم - أن سورة الملوك لما انطوت على ذكر حالين للطائر من صفه جناحيه وقبضهما وهما حالتان يستريح إليهما الطائر. فتارة يصف جناحيه كأن لا حركة به، وتارة يقبضهما إلى جنبه حتى ينزقهما^(٣) بهما ثم يسطهما ويقبضهما موالاة بسرعة، كما يفعل السابح فناسب هذا الإنعام منه تعالى ورود اسمه الرحمن.

أما آية النحل فلم يرد فيها ذكر هذه الاستراحة فقل هنا: ﴿ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾، وتناسب^(٤) ذلك وامتنع عكس الوارد بما تبين^(٥)، والله أعلم.

(١) زبدة من ك.

(٢) ب صيغة السؤال (يسأل عن ذلك).

(٣) ج، هـ، ب، غ ينزعا.

(٤) ك: وباسب.

(٥) ك: تبس.

٢٢١ - الآية الثالثة عشرة^(١) (غ) قوله تعالى: [١٤٤/و]

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٨٤).

وفي آية سادسة من هذه (٨٩): ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، ففي الأولى: ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾، وفي الثانية: ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾، وفي الأولى: ﴿شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وفي الثانية: ﴿شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾.

للسائل أن يسأل عن موجب^(٢) الاختلاف في الآيتين. واعدم أن الآية الأولى مُتَّفَقٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَعَ أُمَّهَاتِهِمْ، فَكُلُّ بَيْتٍ شَاهِدٌ عَلَى أُمَّتِهِ وَلَهَا بِإِيمَانٍ مُؤْمِنًا، وَكَفَرٍ كَافِرًا. وَلَمْ يَخْتَلَفِ الْمَفْسُورُونَ فِي هَذَا، وَإِنَّمَا السُّؤَالُ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ لِاخْتِلَافِهِمْ فِيهَا فَأَكْثَرُ الْمَفْسُرِينَ لَمْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمَا^(٣) وَبَيْنَ الْأُولَى فِيمَا قَصَدَ بِهَا وَأَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا^(٤) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِيدٌ عَلَى أُمَّتِهِ كَشَهَادَةِ الرَّسْلِ^(٥) عَلَى أُمَّهَاتِهِمْ. ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ تَضَمَّتْ زَائِدًا إِلَى ذَلِكَ حَسْبَمَا نَبِيَّهِ. وَأَشَارَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيرٍ، وَلَا رُكُونٍ إِلَى تَوْجِيهِ يَعْتَمِدُ فَاقُولُ - وَاسْأَلِ اللَّهَ تَوْفِيقَهُ - إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الثَّانِيَةَ الْمُرَادَ بِهَا تَخْصِيصَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْإِفْصَاحِ فِيهَا مَعَ مَا شَارَكَتْ فِيهِ الْأُولَى بِمَا مَنَحَ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَعَظِيمِ النِّعَةِ بِهِ

(١) ك: الآية العاشرة.

(٢) ب. صيغة السؤال (يقال ما موجب...).

(٣) ح، هـ، ك، ع: بينهما.

(٤) ساقط من ج.

(٥) ك: يرسل عليهم على أمهم (مكدا).

عليه وعلى أمته؛ فاستؤنف قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾، وتكرر ليبيني عليه ما بعد من قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ - الآية. فهو من قبيل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾^(١). وتقدم هذا^(٢) قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ أَشْتَكَبُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ﴾^(٣)، فكرر: ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ ليبيني عليه مما اتصل به. ونحو هذا قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٤). وقد تقدم أمره عليه السلام بهذا، إلا أنه أُعيد ليبيني عليه ما بعد من قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(٥)، ليفهم ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ من البلاد والمواضع التي خرجتم إليها. ولم تكن الآية المتقدمة لتعطي ذلك إلا بالاعتماد من غير تحري؛ فلم يكن^(٦) بد من إعادة ما ذكر ليتحرر^(٧) المعنى المراد. وقد مر بيان ذلك في سورة البقرة عند ذكر الآية المشار إليها. من نحو هذا في الأخبار قوله تعالى: ﴿أُيَعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ﴾^(٨)، فكرر ﴿أَنْتُمْ﴾، ليبيني عليه الخبر^(٩) بالإعادة والإخراج لما بعد من قوله في أول آية: ﴿أَنْتُمْ﴾، وهو مُرْتَكِبٌ بليغ متكرر في الكتاب العزيز. فكذا الوارد في هذه الآية من قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾ [١٤٤/ظ] تكرر لعظيم ما بُني عليه

(١) الأعراف / ٩٠.

(٢) راد بعد اسم الإشارة في ح، ع، ي.

(٣) الأعراف / ٨٨.

(٤، ٥) البقرة / ١٥٠.

(٦) مطموسة في ج، هـ.

(٧) هـ: ليتحرز، ح: ليتحرى.

(٨) المؤمنون / ٣٥.

(٩) زيادة في ك فقط.

وَقُصِدَ الْإِخْدَارُ بِهِ^(١)، وَالْبَشَارَةُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٢). فكم بين هذا الإنعام العظيم، وبين الحصول طَيِّ الأية المتقدمة من مَخُوفٍ^(٣) الوعيد، وبما أعقب به التعريف فيها بالشهادة من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذُنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾، إلى ما تلا هذا. فالآيتان بما أعقبنا به وأنيط بكل واحدة منهما معرفتان بالحال في الطرفين. الأولى معقب فيها التخويف والتهديد بأشد الوعيد، والثانية قد أعقب مخوف^(٤) تهديدها بترجي السلامة من مهول وعيدها بما أتبعَتْ به مما يُفْهِمُ البشارة ولتَلَطَّفَ والإنعام بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾، بعد ذكر نبيا عليه السلام. والمراد^(٥) بهذا الخطاب التعريف بشهادته لأمة مُقْصَحًا بالإشارة إليه تنويهاً وتعظيماً، وبالإنعام بما أولاه ومنح أمة من الرحمة^(٦) بالكتاب المهيمن على ما سواه من الكتاب المبين لكل شيء، والهدى^(٧) والرحمة والبشرى - أوزعنا الله شكر نعمه وجعلنا من أمة هذا النبي الكريم بِمَنِّهِ. ولما كان قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ حاصلًا من تعيينه عليه السلام وتحقيق كونه الشهيد على أمة، وكونه من أنفسها^(٨)، وَرَدَّ ما قبله محرزاً فيه ذلك الغرض من تحقيق ذلك الحكم، من أن كل نبي قبله إنما كان من أنفس القوم المرسل إليهم ذلك

(١) الحار والمحروور ساقط من ح، ك.

(٢) النحل / ٨٩.

(٣) في ك فقط، ونقبة النسخ «نحوف».

(٤) هـ، ك، ب: بخوف.

(٥) هـ، ك، ع: المراد.

(٦) ساقطة من ح، هـ، ع.

(٧) هـ، ع: بلهدى.

(٨) ح، هـ، ع: نفسا.

الرسول، لا من غيرهم، وهو الشهيد عليهم. وحقق ذلك في الثانية بما يحوزه حرف الوعاء الذي هو ﴿ فِي ﴾، ويقتضيه في استحكام الإخبار بكون الشهيد من نفس^(١) الأمة؛ لأن قوله ﴿ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ﴾ يحتمل أن يراد به أن يكون منهم في مذهب، أو جامع بينهم وبينه، من غير أن يكون من أنفسهم. أما قوله: ﴿ فِي كُلِّ أُمَّةٍ ﴾، فأنصر في الاتصال واللزوق، لا سيما بما أتبع به من قوله: ﴿ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾، فطوبق بين المتقابلين من قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ﴾، فقد وضع ما باينت هذه الآية به الآية^(٢) المتقدمة، وبانت جلالة هذا النظم العجيب، وأن ما توهّم تكراره ليس بتكرار إذ^(٣) كان مقصود ما أعيد مما تقدم ذكره، التمهيد^(٤) لما بُني عليه، فتحصل^(٥) من هذه الآية العظيمة جليل الاعتناء^(٦) بهذا النبي الكريم، وتأنيسه كالآية في قوله تأنيساً للأمة، وإعلاماً^(٧) بعظيم مكانته صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ [١٤٥/و] مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ - الخ الآية^(٨). فهذا - والله أعلم - فصل ما^(٩) بين الآيتين. وقد بان فيه لتناسب، وجلالة النظم وحسن^(١٠) الالتئام، والله أعلم بعد^(١١) بما أراد.

(١) ك. أنفس.

(٢) سقط من ك قوله: به الآية.

(٣) ج: إذا.

(٤) ك. الشهيد.

(٥) ج، هـ، هـ: فيحصل.

(٦) ج، ب، ع: الاعتبار.

(٧) في ك فقط وبقي النسخ: أعظماً.

(٨) تنويه / ١٢٨، وزاد في ك منها: ﴿ خَرِصَ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾.

(٩) ساقطة من ج، ع.

(١٠) ج، ع: وحسن.

(١١) ساقطة من ج، ع.

فصل

لم يتعرض لهذه الآية أكثر المفسرين، ومن تعرض^(١) لها الحقها بالأولى، وقد وقعت في التفسير الكبير المنسوب للإمام أبي الفضل بن الخطيب. وقد تعرض لهذه الآية؛ فأورد مأخذ الإمامية القائلين بأن كل عصر عصر^(٢) لا يخلو من إمام معصوم، وذكر تخريج الآية عندهم عليه. ثم محله وأتبع بأن قال: ثبت أنه لا بد في كل عصر من أقوام تقوم الحجة بقولهم: ثم حكى عن أبي بكر الأصم^(٣) أن المراد بالشهيد هو أنه تعالى يُنطق عشرة من أجزاء الإنسان تشهد عليه وهي الأذنان، والعينان، والرجلان، واليدان، والجلد، واللسان. قال: والدليل عليه أنه قال في صفة الشهيد، أنه ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، وهذه الأعضاء لا شك أنها من أنفسهم. وذكر أن القاضي^(٤) أجاب عن هذا من وجوه:

الأول^(٥)، أنه تعالى قال^(٦): شَهِيدًا عَلَى الْأُمَّةِ، فيجب أن يكون غيرهم.

والثاني^(٧)، أنه قال: ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾، فوجب أن يكون ذلك الشهيد

(١) ك. تعرض منهم لها.

(٢) محذوفة من ك.

(٣) هو عبد الرحمن بن كيسان الأصم، أبو بكر. انظر تفسيراً كاملاً للقرآن عدّه حوله تبيهر أقدم كتب التفسير الاعتزالي. ذكر القاضي عبد الجبار والحاكم الحشمي أنه جمع في تفسيره بين الورع والفقه والفصاحة. طبقت شهرته الأفاق وكان صاحب مذهب فقه. وعدّه الزركشي من مفسري التابعين، وكان معاصراً لحشام بن الحكم المثنوي / ١٩٠ هـ. أنظر تفسير المعتزلة للقرآن الكريم، ترجمة الأصم / ١٠٩ - ١١٣.

(٤) القاضي عَنَّمْ على أبي بكر محمد بن طيب البافلاني، المتكلم السني الشهير (ت ٤٠٣ هـ) أنظر: الديباج / ٢٧٦، الشذرات ٥٧/٢، ابن خلكان ٤٨١/١. وبطرس لمعتزلة على عبد الجبار إهمداني، أبو الحسن (ت ٤١٥ هـ) قاضي الفضاة لا يطلقونه على سواه أنظر تفسير المعتزلة للقرآن الكريم ترجمة عبد الجبار / ١٩٢ - ١٩٥.

(٥) مكانها بياض في ح.

(٦) هـ، م، ع؛ قال تعالى.

(٧) مكانها بياض في ح.

من الأمة، وآحاد الأعضاء لا يصح وصفها بأنها من الأمة. هذا حاصل ما وقع في هذا^(١) التفسير، ولم يقع فيه تعرض لشيء من ألفاظ الآية. وتنزيل هذه المآخذ على الآية، أو^(٢) أخذها من أبعد شيء. وقد ذكرت^(٣) في ذلك منزلاً على الآية ما أراه الأولي في المراد بها، والله أعلم.

وأما قول الإمامية أنه لا بد في كل عصرٍ عصرٍ، وقرنٍ قرنٍ^(٤) من إمام معصوم يشهد عليها في القيامة فباطل، وقد كفانا وجه فساد من تقدم^(٥). وقول الأصم بعيد، لما قاله القاضي. وأما ما اعتمده أبو الفضل فبعيد أيضاً، وفيه^(٦) ما يشبه الصغور إلى قول الإمامية^(٧). وقد ورد في الصحيح أن الرسل هم الذين يشهدون على أممهم. وعلى ذلك حمل المفسرون قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٨)، ولا فرق بين هذه الآي، والله أعلم.

٢٢٢ - الآية الرابعة عشرة وهي من تمام ما قبلها (غ) قوله تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩).

(١) ساقط من ج، ب.

(٢) ح، هـ، ك، ب: وأخذها.

(٣) ك: ذكره.

(٤) ك: في كل عصر وقرن.

(٥) ك: نقله.

(٦) في ك، وبقية النسخ: فبعيد وفيه أيضاً.

(٧) قال البغدادي في أصول الدين / ٢٧٨: «وقالت الشيعة كلها بعصمة الإمام في الجملة والإمامية فرقة

من فرق الشيعة سميت بذلك لقول أصحابها بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نص على إمامة

علي عليه السلام باسمه وعيه ونسبه، وأن الأمة ضلت بصرفها الخلافة عنه. أنظر: مقالات

الإسلاميين ١/ ٨٧، الحور العين / ١٥٧، التمهيد / ١٨٤، ١٨٥، التبصير في الدين / ٢٠، ٢١.

(٨) النساء / ٤١.

وفيما بعدُ من هذه السورة (١٠٢): ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ
[١٤٥/ظ] رَبِّكَ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾. فورد في
الأولى زيادة وَرَحْمَةً^(١) مع اتحاد المقصود في الموضعين من وصف الكتاب،
وهذا بظاهر الوارد في الموضعين. فيسأل عن ذلك^(٢).

والجواب عن ذلك أن الأولى مقصود بها بشارة وإنعام لا يشوبه غيره،
وقد بُيِّنَ ذلك. وأما الثانية فواردة مورد الزجر^(٣) والتعنيف لمن لم يؤمن مع
البشارة للمؤمنين^(٤). ألا ترى ما تقدمها من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً
مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾^(٥). فَجُوبُوا عَنْ هَذَا
بقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾، أي قل لهم يا محمد
هذا الكلام، وورد بعدها^(٦): ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ
بَشَرٌ﴾^(٧). فاكتنف الآية المذكورة ما يُفهم التعنيف لهم والوعيد على
سوء^(٨) مرتكبهم. ووضح أن المقصود لم يتحد في الآيتين كما يوهم البادي
من ظاهرها وأن زيادة قوله: ﴿وَرَحْمَةً﴾، في الأولى مناسب لمقصودها من
البشارة والإنعام المجرد عن اتصال ما يفهم تعنيفاً، أو وعيداً^(٩)، ولم يكن
ورود ذلك ليناسب الوارد^(١٠) في الثانية، فورد كل على ما يحب والله أعلم.

(١) ج، هـ، ع: رحمة.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجهه؟).

(٣) ك: البعراء - هكذا بدون اعجام وفوقها مكتوب (كدا).

(٤) ك: للمرشد.

(٥) النحل / ١٠١.

(٦) هـ، م: ورد بعدها، ج، ب، ع: ورد بعدها.

(٧) الآية / ١٠٣.

(٨) ساقطة من ك.

(٩) هـ، م، ب: أو وعدا.

(١٠) ح، ع: ذلك.

٢٢٣ - الآية الخامسة عشرة [غ] (١) قوله تعالى :

﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٦).

وقال بعد (٩٧) : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وورد في سورة (٣) الزمر (٣٥) : ﴿ لِيَكْفِرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . فورد هنا ﴿ الَّذِي ﴾ ، مكان ﴿ مَا ﴾ في الآيتين من سورة النحل .

فللسائل أن يسأل عن ذلك (٣) .

والجواب عنه (٤) - والله أعلم - أن آية النحل الأولى لما افتتحت بما الموصولة في قوله تعالى : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ﴾ ، والمراد بها الإطلاق والعموم كانت في هذا الموضع أولى من لفظ الذي وإن اشتركا في الموصولية . إلا أن ﴿ الَّذِي ﴾ لا تفارق الموصولية ، فهي كأنها أعرق (٥) في التعريف من ﴿ مَا ﴾ لخروج ما عن الموصولية من حيث (٦) إنها تكون حال اسميتها شرطاً واستفهاماً ، ولا يفارقها العموم والإطلاق في هذين الموضعين ، ولا الإبهام إذا كانت صفة ، أو نكرة موصوفة ، أو تعجباً . وبالجمله فالإطلاق أمثلُ بها ، وهو هنا مقصود . وأما ﴿ الَّذِي ﴾ فلا تفارق الموصولية ، والعهدية فيها أغلب من الجنسية . [١٤٦/ و] فما في الآية أحرز

(١) ساقط من جميع النسخ ، والآية من المغفلات .

(٢) جميع النسخ : آية .

(٣) ب : صيغة السؤال : (يقال ما وجه ورود الذي في الزمر مكان ما في الآيتين من سورة النحل) .

(٤) ساقط من ح ، ب ، ع .

(٥) ك : أعرق .

(٦) ساقطة من ح ، ب ، ع .

للمقصود منها^(١) فوردت^(٢) فيها، وتكررت في قوله: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾، ومعنى الحصر والتعميم فيهما واحد، والكلام مراعى فيه معناه؛ وكان قد قيل: «كل ما عندكم ينفد، وكل ما عند الله باق». ولفظ «ما» أجرى مع هذا من «الذي»، لما يحرزه من معنى الإطلاق، ولما تقرر^(٣) من التزامها العموم في الشرط والاستفهام وأنها لا تمنع الاشتراك حال إبهامها فيما عدا الموضعين. ومن أهل النظر من يطلق العموم بمعنى منع الشركة، والذي لا يقول بهذا لا يمكنه إنكار الإبهام الإطلاقي، وكيفما قيل فإن معنى التوسعة لا يفارقها وليست «الذي» كذلك فكانت «ما» أملاً بالمعنى لمقصود في الموضع؛ ثم ناسبها وجرى معها ورودها في قوله: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ولم تكن الذي لتناسب^(٤)؛ فجاء كل^(٥) على ما يجب.

وقوله تعالى في الآية الثانية: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى﴾، الآية^(٦)؛ جارية^(٧) مجرى الآية التي قبلها ومن أقرب لها من الذي، لما بينهما من^(٨) الاشتراك في المعاني التي لا تشاركها^(٩) فيها الذي. ألا ترى أن الذي لا تكون استفهاماً لبته ولا نكرة، ولا موصوفة، ولا مبهمة، إذ لا تفارق التعريف.

فإن قلت: قد يدخلها معنى الشرط في نحو قولك^(١٠): «الذي يأتيني

(١) ك: هنا.

(٢) ج، هـ، فورد.

(٣) ج، هـ: تقرر.

(٤) هـ، ج، ع: لتناسب.

(٥) ي: ك فقط.

(٦) ي: ب فقط.

(٧) ح، ع: حار.

(٨) ج، هـ، ع: ي.

(٩) هـ: يشاركها، ج: يشارك.

(١٠) ك: قوله.

قَلَّ دِرْهَمٌ» وهو المسوَّغ لدخول الفاء في خبرها في مثل هذا المثال؛ ففيها إذ ذاك عموم.

قلتُ: ذلك متوقف على شروط معلومة ولو لم يتوقف ذلك على شرط لبقى اشتراك فيما لا تدخل فيه «الذي». فمن على كل حال أجرى مع ما يناسبها وما أنجز معها من مدلولية قصد الاستغراق من قوله: ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى﴾. وهذا المنجز في هذه الآية يقابل تكرار ما في الآية قبل هذه كتلك بهذا النظم من غير فرق؛ فلم يكن ليناسب ذلك ورود الذي مكان «ما» في قوله: ﴿يَا أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فتناسب هذا كله أوضح شيء. ولا يمكن في هاتين الآيتين ورود لفظ «الذي» مكان «ما» لمن لَحَظَ المَرَاغَى في عِلِّيَّ نَظْمِ الكتاب العزيز، واعتبر التناسب الذي يعجز البشر عن محافظة رَغِيهِ ولا يمكن الوفاء به بوجه، إلا في كتاب الله سبحانه.

وأما آية الزمر، فواردة في معنى الخصوص المقصود به طائفة بعينها. ألا ترى ما قبلها من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾^(١) والمراد الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالذي صدَّق به مُتَقَدِّمُو [١٤٦/ظ] أصحابه ممن سبق وحسن تصديقه؛ كأبي بكر رضي الله عنه ومن قارب حاله وجرى في نحو مضماره وهؤلاء لا يشاركهم في حالهم غيرهم، وفيهم ورد ما بعد، واليه مرجع^(٢) الضمائر من قوله: ﴿هُمْ الْمُتَّقُونَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٤)، وقوله: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ﴾، فلم يكن ليصلح هنا غير الأداة العهدية. فجاء بالذي في الموضعين من قوله: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ

(١) الزمر / ٣٣.

(٢) ك: ترجع.

(٣، ٤) الزمر / ٣٣، ٣٤.

الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾، ولم تكن «ما» لتناسب هذا لما تقدم فجاء كل على ما يجب ويناسب، ولا يمكن فيه عكس الوارد^(١) في الضربين على ما تقدم، والله سبحانه أعلم بما أراد.

سورة بني إسرائيل^(٢)

٢٢٤ - الآية الأولى منها. قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ (٤١).

وفيما بعد (٨٩): ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾.

وفي سورة الكهف (٥٤): ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾.

فهي الأولى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾، وفي الثانية: ﴿ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾، وفي الثالثة تَحْيِرُ النَّاسِ، فيسأل عن ذلك^(٣).

والجواب عنه - والله أعلم - أن الأولى وقع قبلها: ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمُ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾^(٤). وهذا خطاب مراد به كفار العرب فلم يذكر فيه لفظ الناس من العام^(٥) لهم ولغيرهم؛ إذ الخطاب خاص بهم.

(١) ما بعدها إلى آخر شرح الآية ساقط من ب.

(٢) هي سورة الإسراء.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وحه وردود لأول ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾، وفي الثانية: ﴿ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾ وفي الثالثة تَحْيِرُ النَّاسِ - والجواب: .).

(٤) الإسراء / ٤١.

(٥) ح، هـ، م، ع: إنعام.

وأما الآية الثانية فقبلها: ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾^(١)، ثم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۖ لَجَاءَ لَفْظُ النَّاسِ كَأَنَّهُ قَدْ أُعِيدَ مُتَّصِلًا ﴾^(٢) والعرب تستقل مثل هذا، فقدم المجرور ليستحكم الفصل فلا يُستقل.

أما آية الكهف فلم يتكرر فيها لفظ: الناس، فيقع استقلال فقدم قوله: ﴿ فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾ لأن تقديمه أهم إذ هو أبلغ في تنبيههم على الاعتبار^(٣) وقد مر قول سيويه في مثل هذا. وأما آية الكهف فلم يقع قلبها ذكر الثقلين فيحتاج إلى ذكر تقديم الس كما احتيج في آية الإسراء. ألا ترى أن قبل آية الكهف: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ - الآية^(٤). فلم يرد فيها ما في الأخرى وكان الأهم ذكر القرآن الشافي^(٥) لمعتبر^(٦) ما صرّف^(٧) فيه من الأمثال. ف قيل: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا [١٤٧/و] فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ ﴾، من كلِّ مَثَلٍ. ولكون الخطاب عاماً في الآيتين^(٨) لم يكن نداء من ذكر الناس بخلاف الآية الأولى من سورة الإسراء، إذ خطابها خاص بالفتن من كفار العرب. إن الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فقد ورد كل من هذه الآيات على ما يناسب ويلئم ما اتصل به.

(١) الإسراء / ٨٨.

(٢) ج، هـ. تقدم.

(٣) ج: موصلاً.

(٤) ك: الأعباء.

(٥) الآية / ٥٢.

(٦) ب: ما يفي، وياض في ج، ع.

(٧) ج، ع: المعبر.

(٨) ج، هـ. صرّفه.

(٩) محذوف من ك وهو محل الشاهد.

(١٠) ك: الإسراء.

وأما ختام الأولى بقوله: ﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ فالضمير للمذكورين ممن^(١) خُصَّ بمقصود^(٢) الخطاب المكنى عنهم^(٣) بقوله: ﴿ لِيَذْكُرُوا ﴾. وأما إعقاب لثانية بقوله: ﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾، فلنعطي^(٤) إعادة الظاهر من التعنيف والتفريع ما لا يعطيه المضمر، ولأن أول الخطاب وصدر الآية لما قدم فيه ذكر الناس لشرف الجنس الإنساني على الجن، ثم لم يكن ممن لم يؤمن منه إلا العناد^(٥) فقل: ﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ ليعطي بفحواه إن كان قد قيل: فأبى أكثر الناس على تشريفهم وتفضيلنا إياهم إلا الكفر، فأحرز الظاهر ما لم يكن ليحرزه^(٦) إضمارهم فتأمل ذلك.

وأما قوله عقب آية الكهف: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ فمن المعلوم حدال كل كافر ومعاند عن دينه ومذهبه. قال تعالى: ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرِفُونَ ﴾^(٨). وإذا كان الحدال من صفة كل محالف لمذهب أو معتقد^(٩) لم يبق السؤال إلا عن وجه تخصيص هذه الآية بوصف الإنسان هنا بالحدال^(١٠). والحواف أنه وصف هنا بذلك ليكون ختام هذه الآية تمهيداً لما يأتي بعده من قوله تعالى: ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾^(١١). فما بُيَ هذا على الآية واتصل^(١٢) الكلام والتحم، نوسب بينهما. وليس في الأيتين قبل، ولا فيما

(١) هـ، م، ص.

(٢) ب مقصود.

(٣) ب ك فقط وبقي نسخ: عنهم.

(٤) ج، م، ب، ع: فليعطي.

(٥) ب ك فقط وبقي نسخ: العباد.

(٦) ج، ب، ع: يحرز.

(٧) الأنفال / ٦.

(٨) عاف / ٦٩.

(٩) ج، ع: لمذهبه أو معتقده.

(١٠) ج، ب، ع: بالحدال.

(١١) الكهف / ٥٦.

(١٢) هـ. واتصل.

تقدم كل واحدة منهما، أو فيما بُيَّ عليهما^(١) مما يستدعي ذكر الجدل^(٢) ولا الوصف به، فلذلك أعقبت^(٣) كل واحدة منهما بما تقدم فأعقبت الأولى بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا تُفُورًا﴾، لما بُيِّن من استدعاء معنى الآية ذلك، وأعقبت الثانية بقوله: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾، لما بُيِّن أيضاً عند ذكر ذلك. وأعقبت هذه الأخرى بما يناسب ما ورد عليه بعده، وجاء على ما يجب.

٢٢٥ - الآية الثانية [غ] قوله تعالى:

﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا نُحُيْلًا﴾ (٥٦).

وفي سورة سبأ (٢٢): ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾.

للسائل أن يسأل [١٤٧/ظ] عن الوجه في^(٤) ورود اسمه سبحانه مضمراً في قوله: ﴿مِّنْ دُونِهِ﴾ في سورة الإسراء ومظهراً في^(٥) قوله: ﴿مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ في^(٦) سورة الأحرى وهل كان يحوز العكس.

والجواب أن آية سبأ تقدم قبلها قوله تعالى مخبراً عن الكافرين: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ

(١) ك: عليها.

(٢) ح، ع: الجدل.

(٣) ك: عقب.

(٤) ساقط من جميع النسخ، والآية من انفلات.

(٥) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ورود...).

(٦) ب: مظهراً في سورة سبأ.

(٧) ساقط من ح، ع، قوله: في السورة الأخرى.

عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ ﴿١٦﴾. ثم قال بعد آية من تمام الآية التي قبلها: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فجاء بالاسم الظاهر ليكون أبعد عن (١٦) إيهام عودة الضمير ورجوعه الى المتبع لهم في الآية المتقدمة. وانما المراد: قل ادعوا كل من اتبعتم بعبادة (١٧) أو صفو الى ما كان (١٨) يريد من إضلالكم (١٩) ولا شك أن إبليس رأس المضلين، وأولى من أمروا تعجيزاً لهم، وقطعاً بهم (٢٠)، بدعائه في قوله: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فورد التحفظ بإيراد الظاهر مما كان المضمير يوهمه، وجاءت الآية على ما يجب.

أما آية بني إسرائيل فإن قبلها قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْحِمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ (٢١)، ثم قال: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢٢) - الآية، ثم قال: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ فجاء (٢٣) بالضمير [فناسبه] (٢٤)، ولم يكن ليناسب مجيء الظاهر هنا (٢٥)، فجاء كل على ما يجب ويناسب والله أعلم.

فإن قيل: فقد ورد قبل قوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْحِمْكُمْ﴾ (٢٦)، قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ (٢٧)، كما ورد قبل آية سبأ، فلم خُصَّتْ آية سبأ بعودة الاسم ظاهراً دون آية بني إسرائيل؟

(١) الآية / ٢٠، وزاد في ك منها ﴿إِلَّا قَرِيباً﴾.

(٢) ك: عل إيهام.

(٣) ج، هـ، ب، ع: بعبادته.

(٤) في ج، ع فقط.

(٥) م: إحلالكم، ب: إخلاقكم.

(٦) ح: وقطعوا بهم.

(٧، ٨) الإسراء / ٥٤، ٥٥.

(٩) ساقط من ك.

(١٠) جمع النسخ: مناسبة.

(١١) ما بعدها إلى آخر الحملة محذوف من ب.

(١٢، ١٣) الإسراء / ٥٤، ٥٣ على الترتيب.

قلت: ورد ذكره في بني إسرائيل مُحَدِّراً منه، موصوفاً بنزغه وعداوته، مع أن الآية خطاب بأمر المؤمنين بقوله: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١)، والإضافة في قوله: ﴿قُلْ لِعِبَادِي﴾ إضافة تخصيص، والأمر أمر بما هو أولى وليس يُواجه^(٢) ولا يُخاطب بهذا إلا المؤمنون^(٣) ثم إنها أتت بما يلائم الآية المتكلم فيها أجل ملائمة. وأما ورود ذكر إبليس في سورة سبأ فمتصل بالآية، وإبليس فيها موصوف بأنه أتبع وأنه صدق ظنه على المذكورين. والآية إخبار عن الكفار، والكلام كله إعلام بحالهم إلى قوله: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ فهذا الاعتراض غير لازم، وورود الآيتين على أعلا تناسب وأجل ملائمة، ولو قدر عكس الوارد لما صح على الحارثي المطرد في نظم الكتاب العزيز، والله سبحانه أعلم بما أراد.

٢٢٦ - الآية الثالثة قوله تعالى:

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وُكَيْلًا. أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلِيًّا بِهِ تَبِيعًا﴾ (٦٨، ٦٩).

ثم ورد بعد هذا بآيات (٧٥): ﴿إِذَا لَأَذْنُكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ [١٤٨/و] الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلِيًّا نَصِيرًا﴾.

ثم قال بعد (٨٦): ﴿وَلَكِنَّ شَيْئًا لَنُذْهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلِيًّا وَكَيْلًا﴾.

(١) الإسراء / ٥٣.

(٢) ك: يواحد.

(٣) ك: بها إلا المؤمنين.

للسائل أن يسأل عن وجه^(١) ختم الآية الأولى بقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾، والثانية بقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنًا بِهِ تَبِيعًا﴾، والثالثة بقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنًا نَصِيرًا﴾، والرابعة بقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنًا وَكِيلًا﴾.

والجواب أن معنى كل آية منها استدعى تعقيبها بما به أعقبت. فاما الأولى فلما تقدمها من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾^(٢)، أي^(٣) اضمحل تعلقكم بشيء من أندادكم ومعبوداتكم سواه، وبطل ذلك ولجأتكم إليه سبحانه، كما قال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ﴾^(٤)، فلما دعوتهم ونحاكم الى البر أعرضتم ورجعتم الى ما كنتم قبل من^(٥) شرككم، وظنكم أن قد أميتتم عذابه ﴿أَفَأَمِيتُمْ أَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ﴾، أي يقلبكم جانب البر^(٦) وهو الذي حملكم [وأقلَّكم^(٧)] عند انفصالكم من البحر ونجاتكم منه، وذلك جانب من البر، إذ ليس البر كله هو المستقل بهم إذًا وإذا هم في قطعة من البر، وجانب من الأرض، والأرض كلها لله سبحانه: أفأمتتم أخذه سبحانه لكم بالخسف أو بإرساله حاصباً^(٨) من الريح^(٩) الشديدة ترميكم بالحصباء حتى تهلككم رجماً؛ ثم لا تجدوا إذًا من يتوكل بصرف ذلك عنكم ودفعه عن إهلاككم فيتداركم المتوكل لكم بدفع ذلك وصرفه عنكم فتحصلون في حزب^(١٠) الناجين بعد مشاهدة الهلاك فهل تجدون برّاً. فهذا تقدير دافع قبل

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ختم . .).

(٢) الإسراء / ٦٧.

(٣) ساقطة من ج، ب، ع.

(٤) النحل / ٥٣.

(٥) ساقطة من ج.

(٦) ما بعده إلى قوله وجانب من البر ساقطة من ج، ع.

(٧) جميع النسخ: أدنكم.

(٨) جميع النسخ: حاصب.

(٩) اجار والمحروور ساقطان من ك.

(١٠) ج، ب: فتحتون في ضرب.

الإمضاء ثم قال: ﴿ أَمْ أَمِيتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ ﴾، أي في البحر كحالكم أولاً بتهيئة العذر^(١) لكم للحياة لركوبه كما ركبتموه قبل، فيرسل عليكم قاصفا من الريح، وهي التي تكسر ما مرّت به وتفرّق أجزاءه. فالمراد فتكسر^(٢) الفلك فتفرقكم ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ أي مطالباً بطلبنا بشاركم بعد إهلاككم بفرقكم. فلما كان المقدّر^(٣) تعلقهم به هنا بعد الفوت والتلف بالانغراق، ناسب ذلك ولاءمه^(٤) تسمية هذا المقدّر الطالب تبعاً، لأنه يتبع بعد الفوت^(٥) كما يسمى طالب^(٦) ذمة من مات، تبعاً وتباعاً ومنه^(٧) ﴿ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(٨)، والتابع من يجيء بعد. ولما كان المقدّر في الآية الأولى دافعاً قبل الفوت ومانعاً^(٩) دون الاستئصال ناسبه العبارة بوكيل، لأنه الذي يدفع ويمنع الوصول أو الاستئصال، فجاء كل على ما يجب، ولم يكن ليلائم ختام هذه الآية ختام تلك، ولا ختام تلك ما ختمت به هذه.

وأما قوله: ﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ فالمراد^(١٠) تصعيف عذاب الآخرة، وعذاب القبر والتصعيف [١٤٨/ظ] التكثير، فحتم هذه الآية بقوله: ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ أيين شيء، لأن الامتحان عندنا في الشاهد، وإذاعة العذاب إنما يكون من ذي استعلاء وقهر، فاللجأ^(١١) فيه إلى الناصر إن وُجد.

(١) في ك فقط وبقية النسخ: القدر.

(٢) هـ: بنكسر، ك: نكسر، ج، ب، ع: تكسر.

(٣) ح، ب، ع: القدر.

(٤) ب، ك: ولاءمه.

(٥) ب: الموت.

(٦) ج، ع: طالب.

(٧) في ك فقط وبقية النسخ: ومحنة.

(٨) البقرة / ١٧٨.

(٩) في ك فقط وبقية النسخ: وما دون.

(١٠) هـ، ب، ع: والمراد.

(١١) هكذا في ع، وفي ج، هـ: ما للحقافية، م، ب: فدحاً، ك: فيدجاً. واللتحاً بحركة هي المعقل والملاذ، كاللحاً.

وأما قوله: في الآية بعد هذا: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾، فإن قوله: ﴿وَلَكِنَّ شَتَا لَتَذَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي لترفعن القرآن، ولتذهبن به من الصدور ثم لا تجد وكيلا يمنعنا عن^(١) ذلك، ولا من يقوم بدفعنا عنه وليس هنا ما يستدعي الانتصار. فكل من هاتين^(٢) الآيتين على ما يجب ويناسب، ولا يلائم ختام هذه الآية ختام ما قبلها، ولا ما ختمت به الآية قبلها هذه^(٣). وذلك واضح بحول الله تعالى.

٢٢٧ - الآية الرابعة (غ) قوله تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٩٤).

وفي سورة الكهف (٥٥): ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ﴾ - الآية^(٤). فورد في الثانية ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ ولم يرد في الأولى، فيسأل^(٥) عن ذلك.

والجواب - والله أعلم - أن الآية الأولى تقدمها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾^(٦) فقوله تعالى مخبراً عن عتاة قريش: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾^(٧)، إلى الثامنة^(٨) من مقترحاتهم وهي تمنّيهم تنزل كتاب يقرأونه، فبالغوا في شنيع اقتراحاتهم وتوغوا في مطالبهم المفضحة بالباس من فلاحهم، فحصل

(١) ج، ع: من.

(٢) ح، ع: هذين.

(٣) محذوفة من ك.

(٤) محذوفة من ب.

(٥) ب: صيغة سؤال (يقال ما وجهه والجواب . . .).

(٦) الإسراء / ٨٩.

(٧) الإسراء / ٩٠.

(٨) ج: الثانية، والصواب ما أثبتناه. انظر لآيات / ٩١ - ٩٣ من سورة الإسراء.

من جملة حالهم بَعْدَهُمْ عن الإيابة إلى الإيمان؛ فلم يكن ذكر الاستغفار ليناسب
هنا، لأنه إنما يكون ممن^(١) لا يبلغ الكفر من المعاصي. هذا الغالب في وروده أما
حيث^(٢) يفصح الكفر فليس موضع ورود^(٣) الاستغفار. ولما كان المتقدم قبل آية
الكهف لا يبلغ مبلغ الآية المتقدمة في الإفصاح^(٤) بتمردهم وعتوهم ناسبه ذكر
الاستغفار. ألا ترى أن قوله تعالى قبل آية الكهف: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ
لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾^(٥)، وليس قوله فيها:
﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ في قوة قوله في آية الإسراء: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ
النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾، لأن الجدال لا يلزم عنه^(٦) أن يكون مرتكب كافرًا، وإنما مظنة
الجدال بالتناظر في الطرفين والاحتجاج لتقابل المذهبين إلى ما يرجع إلى هذا.
وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٧) والمراد
بذلك ملاطفتهم بالاحتجاج^(٨) عليهم والصبر والتحمل لما عسى أن يكون منهم.
فلما كان الوارد في آية الكهف من وصف حالهم لا يبلغ مبلغ الوارد في آية سورة
الإسراء^(٩) ورد فيه ذكر الاستغفار موازنة للين ما بسي عليه من الإخبار بكثرة
جدالهم^(١٠) إذ ليس كالوارد في الآية الأخرى من الإفصاح بكفرهم وسوء حالهم،
ولم يناسب آية سورة الإسراء أن يرد فيها ذكر الاستغفار وإن كان حال المحكي
عندهم في الآيتين غير مفارق للكفر، ولا نازح عنه حال الإخبار. وقد تقدم هذا في
أول آية من هذه السورة، ولكن تناسب اللفظ^(١١) في الشدة واللين

(١) ك، ب: بما.

(٢) ك: حديث.

(٣) ساقط من ج، ع.

(٤) ج، هـ: بالإفصاح.

(٥) الآية / ٥٤.

(٦) ج، هـ، ع: منه.

(٧) النحل / ١٢٥.

(٨) ك: في الاحتجاج.

(٩) ك: الأسرى.

(١٠) ج، هـ، ب، ع: حالهم.

(١١) ك: النظم.

مراعى^(١) معتمد. فجاء كل على ما يجب وياسب، والله سبحانه أعلم بما أراد.

٢٢٨ - الآية الخامسة (غ) قوله تعالى:

﴿ ذَلِكْ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ﴾ (٩٨).

وفي الكهف (١٠٦): ﴿ ذَلِكْ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾. ففي هذه الآية ﴿ جَهَنَّمُ ﴾ ولم يرد في الأولى مع وحدة المعنى، فيسأل عن ذلك.

والجواب - والله أعلم - أن قوله في الأولى: ﴿ ذَلِكْ جَزَاؤُهُمْ ﴾ إلى ما اتصل به من قوله: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًى وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾^(٢)، ثم قال: ﴿ ذَلِكْ جَزَاؤُهُمْ ﴾، فالإشارة إلى صروب عقابهم ومأواهم، واسم الإشارة متصل بما أشير إليه لم يفصل بينهما إلا بوصف جهنم التي هي مأواهم فجاء على ما يحب.

فما قوله في الثانية: ﴿ ذَلِكْ جَزَاؤُهُمْ ﴾، فالإشارة إلى جهنم المتقدم ذكرها في قوله: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ ﴾^(٣)، وقوله: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ ﴾^(٤)، لما بعد ما بين اسم الإشارة والمشار إليه بما فصل به بينهما من قوله: ﴿ قُلْ هَلْ تُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾^(٥)، وقوله: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ﴾^(٦) - الآيتين؛ فبعد اسم [١٤٩/و] الإشارة عما أشير إليه، أعيد مظهرًا فقيل: ﴿ ذَلِكْ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ والله أعلم بما أراد.

(١) هـ، ب، ع: مراعى.

(٢) الإسراء / ٩٧.

(٣-٦) الكهف / ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥ على الترتيب.

سورة الكهف

٢٢٩ - الآية الأولى منها قوله تعالى :

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ (٢٢) .

فيسأل عن اختصاص واو الثمانية^(١) بالواو. ولم ترد بالجملة من^(٢) قوله تعالى :

﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ صفة للنكرة قبلها ، كما تقدم قبل^(٣) ، ولم عدل الى العطف .

وأظهر جواب عن هذا - والله أعلم - أن هذا الإخبار العليّ معرّف باختلاف

اليهود في فتية الكهف وأنهم أو أكثرهم لم يتحققوا عددهم ، فحكى سبحانه قولهم

وانجرو^(٤) بإيماء وإشارة تقريع الصحيح من قولهم ؛ مع أنهم - أعني أكثر يهود - غير

عالمين بذلك ولا مرجحين فأتى^(٥) بالجملة الأولى وهي قوله : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ ﴾

أعني المحكية بعد ذلك القول إذ التقدير : هم ثلاثة ، ثم سبقت الجملة من قولهم :

﴿ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ، صفة الثلاثة^(٦) والجملة تقع^(٧) صفة للنكرة ، وحسبنا من

(١) واو الشبابة هي واو العطف التي تعطف الثامن على ما قبله ، إذا لم يدخل على أحدها قبله الواو العاطفة ذلك أن السبعة أصل النهاية في العدد والمبالغة فيه . ومنه في القرآن ﴿ التَّائِبُونَ ، الْعَابِدُونَ ، الْحَامِدُونَ ، السَّائِحُونَ ، الرَّاكِعُونَ ، السَّاجِدُونَ ، الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . أسرار التأويل / لوحة ١٢٨ ، البيان ١٠٤ / ٢ . وقد صعبه المحققون من النحاة في رصف المباني / ٤٢٦ ، الحنفي الداعي / ١٦٧ ، المعني ٢ / ٢٦٢ .

(٢) ب : ولم يرد بالجملة .

(٣) ك : فيها قبل .

(٤) ك : والخبر .

(٥) ب : فأتى .

(٦) ب : ك فقط .

(٧) ساقط من ح ، هـ ، ع .

المعرفة. ثم قال: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، فسادسهم كلبهم للنكرة صفة^(١) للنكرة قبلها^(٢) كالمتقدمة. ثم أتبع هذا الكلام من اختلافهم بقوله: ﴿رَجَمًا بِالْغَيْبِ﴾، ورجما^(٣) منتصب على الحال، راجع معناه إلى المحكي قبله من اختلافهم أي رمياً بالكلام من غير علم بحقيقته^(٤). ثم قال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾ وخرج هذا المحكي من قولهم: سبعة عن الاتصاف بالحاصل قبله من الوصف بالحالي^(٥)، وهو قوله: ﴿رَجَمًا بِالْغَيْبِ﴾ فأفهم - والله أعلم - أن هذا ليس من نمط ما تقدم، فكان قد قيل: ويقولون سبعة هم كذلك، وثامنهم كلبهم^(٦). هذا^(٧) أحسن ما تخرج عليه الآية. وعلى تقدير^(٨) صحة^(٩) كونهم سبعة وثامنهم كلبهم، وأن هذا ليس داخلاً تحت ما تقدم من أنه رجم بالغيب، وأن الوصف بتلك الحال نما يرجع إلى ما قبله من قولهم: ثلاثة رابعهم، كلبهم وحمسة سادسهم كلهم حري^(١٠) كلام ابن عباس رضي الله عنه ومن يعتمد من المفسرين. قلت: حكى سيبويه أن العرب تستعمل الحذف كثيراً في كلامها. ومنه

(١) ساقطة من ج، ب، ع.

(٢) ساقطتان من ك.

(٣) ب: تحقيقه، ج، هـ، م، ع: بحميمة.

(٤) ج، هـ، ب، ع: الحالي.

(٥) إجماع المفسرين على أن الواو دخلت لتدل على أن ما بعدها مستأنف حق وليس من رجم الطون، وعليه يكون كلبهم هو ثامن جماعتهم. وقال الرخشي: «فائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف للدلالة على أنه أمر ثابت مستقر. وهذه الواو هي التي أدت أن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات وعلم وطمأنينة». وذلك عده إذا دخلت الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة، أو الواقعة حالاً من المعرفة. وكلاهما له في الآية وجه عند الرخشي. وس الزبير، ومنع إخال العكبري وأبو حبان النحوي احتجاجاً بأنها لا عامل لها لأن التقدير: هم ثلاثة، وهم لا يعمل. انظر الكشف ٢/٢٥٥، إملاء ما من به الرحمن ٢/١٠٠، البحر ٦/١١٤ - ١١٥، أحكام الفرطبي ١٠/٣٨٣.

(٦) إلى قوله «وثامنهم كلبهم» ساقط من ك.

(٨) ساقطة من م.

(٩) ساقطة من ج، ك، ب، ع.

(١٠) ساقط من ك.

قولهم فيما حكى سيويه - رحمه الله - «اللهم ضبعا وذئبا»، إذا كان القاتل يدعو بذلك على غنم رجل قال: وإذا سألتهم ما تَعْنُونَ؟ قالوا: اللهم أجمع ضبعا وذئبا. وحكي عن أبي الخطاب^(١) أنه سمع بعض العرب وقيل له: لم أفسدتم مكانكم [هذا]^(٢)؟ فقال الصبيان: بأبي^(٣)، كأنه^(٤) حنير أن يلام فقال: لم الصبيان.

وقيل لبعض العرب^(٥): أما [بِمَكَانٍ]^(٦) كذا وكذا وَجَدُ^(٧)؟ فقال: بلى وَجَدَا^(٨) أي أعرفُ بها وجادا، وهو المكان المُمسِكُ للماء^(٩).

ويحذفون الجملة الاسمية برأسها، إذا دل [١٤٩/ظ] الدليل عليها كما يفعلون في الفعلية. قال تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَشْنُ مِنْ يُسَائِكُمْ إِنْ آرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾^(١٠)، ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾، أي فَعِدَّتُهُنَّ ثلاثة أشهر، والحذف في كلامهم كثير، إذا كان في الكلام ما يدل على^(١١) المحذوف. فظهر لي - والله أعلم - أن الواو في قولهم: ﴿وَنَامَتْهُمُ كَلْبُهُمْ﴾، إنما^(١٢) عطف بها على جملة إسمية محذوفة، كما قدمنا. ومن المفسرين من جعل هذه الواو التي تدخل على

(١) هو الأحفش الأكبر عند الحميد بن عبد المجيد. كان أستاذاً لأبي عبيدة، والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، ويونس. عنه الزبيدي في الطبقة الرابعة من حياة البصرة - توفي / ١٧٧ هـ. أنظر نزهة الألباء / ٢٩، طبقات الزبيدي / ٤٠، بروكلمان ١٥١/٢.

(٢) زيادة من نص سيويه.

(٣) ج: ما في، هـ: ع، ع: بأبي، ك: يا فتى.

(٤) ب، ع: كان.

(٥) نص سيويه. وحدثني من يوثق به أن بعض العرب قيل له.

(٦) جميع النسخ: كان، وما أثبتاه نص سيويه.

(٧) ك، ب: وجد، ع: وجد. وزاد سيويه هنا: وهو موضع يمسك الماء.

(٨) ج، ع: وجاد، ك: وخاداً مهموزة الثالث.

(٩) أنظر سيويه ٢٥٥/١، ٢٥٦.

(١٠) الطلاق / ٤.

(١١) ك: عليه.

(١٢) ب: إياها، وساقطة من ح، هـ، ع.

الجملة الواقعة صفة للنكرة قبلها^(١) وهي سبعة. قال الزمخشري: «هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل^(٢) على الواقعة حالا من^(٣) المعرفة في نحو قولك: «جاءني زيد ومعه آخر، ومررت بزيد وفي يده سيف». ومنه قوله تعالى^(٤): ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾^(٥)، وفائدتها تأكيد^(٦) لَصُوقِ^(٧) الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها امر ثابت مستقر^(٨). وهذه^(٩) الواو هي^(١٠) التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم، قالوه عن ثبات علم، وطمانينة نفس ولم يرجعوا^(١١) بالظن كما فعل غيرهم. والدليل عليه أن الله سبحانه اتبع القولين الأولين [قوله^(١٢)]: ﴿رَجَعْنَا بِالْغَيْبِ﴾، واتبع القول الثالث، [قوله^(١٣)]: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾. وقال ابن عباس رضي الله عنه: حين وقعت الواو انقطعت العدة^(١٤)، أي لم يبق بعدها^(١٥) عدة يلتفت إليها، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات. وقيل: ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(١٦) من أهل الكتاب، والضمير في: ﴿سَيَقُولُونَ﴾ - على هذا - لأهل الكتاب خاصة، أي: «سيقولون:

(١) ساقط من ك.

(٢) ك. كما تدخل حالا على معرفة.

(٣) هـ، ب: عن.

(٤) ك: عز وجل، ونفية النسخ: عز وعلا، وما أثبتناه من الكشف.

(٥) الححر/ ٤.

(٦) هكذا في الكشف وبعدها في «م»: «صدق والصفة».

(٧) ب: الحرف، ك: الصديق والصفة بالموصوف، وما أثبتناه عبارة الكشف.

(٨) ج، هـ، ع: مستمر.

(٩) ج، هـ، ب: وهي.

(١٠) في ع فقط وسط الضمير من بقية النسخ.

(١١) ج، ب، ع: يرجعوا.

(١٢، ١٣) جميع النسخ: بقوله.

(١٤) ك: القوة.

(١٥) ساقطة من ح.

(١٦) زاد بعدها في ح، هـ، ك، ب، ع: أي، وليست في نص للكشاف.

أهل الكتاب فيهم كذا وكذا، ولا عِلْمٌ بذلك^(١) إلا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين^(٢). انتهى ما قاله الزمخشري وحكاؤه، وقد حصل منه أنه قليلاً من أهل الكتاب قد كان يُعَلِّمُ عِدَّةَهُمْ وهذا لا ينافر^(٣) المأخذ المتقدم. وحكى المفسرون أن ابن عباس رضي الله عنه، كان يقول في قوله: ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾، أنا من ذلك القليل^(٤). وهذا القدر كافٍ، والله أعلم.

٢٣٠ - الآية الثانية من سورة الكهف قوله تعالى في قصة صاحب الجنة:

﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ (٣٦).

وفي سورة حم السجدة (٥٠): ﴿ وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْخُسَىٰ ﴾.

للسائل أن يسأل عن^(٥) اختصاص آية الكهف بقوله: ﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ ﴾، واختصاص آية السجدة بقوله: ﴿ وَلَئِنْ رُجِعْتُ ﴾ مع أن الظاهر اتحاد المقصود في الآيتين.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن الآيتين وإن اتحدتا في الغاية الحاصل منها وَصَفُ^(٦) حال^(٧) الكافر المنكر للبعث الوارد في كل واحدة منهما في قوله: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾، فإن آية الكهف منهما أقوى تعريفاً ببعد الكافر المضروب [١٥٠/و] به المثل عن حال الإيمان.

(١) ج، هـ، ك: في ذلك.

(٢) الكشف ٢/٢٥٥، ٢٥٦.

(٣) ك: لا ينافره.

(٤) البحر ٦/١١٥، أحكام القرطبي ١٠/٣٨٤.

(٥) ب: صيغة السؤال (يسأل عن...).

(٦) م، ك، ب، ع منها من وصف.

(٧) ك: حال.

وأما آية السجدة فصالحة لا تُصافِ الكافر والمؤمن بالحال^(١) المفتحة^(٢) بها من قوله: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾^(٣)، من حيث إنَّ هذا وصف يعم المؤمن والكافر. ولهذا قال ابن عطية بعد أن ذكر أن المراد بها الوليد بن المغيرة، أو عتبة بن ربيعة^(٤)، وأن^(٥) أكثرها يعطي أن الآية نزلت في كفار، ثم^(٦) قال: «وإنَّ تضمَّنْ^(٧) أولها خلُقًا ربما يشارك فيه بعض المؤمنين. فحصل من كلامه أن هذا التعريف بحال المضروب به المثل^(٨) في هذه الآية أرجى من حال^(٩) المضروب به المثل في آية الكهف». ألا ترى أن آية الكهف لا يكاد شيء من كَلِمِها يحري في وصف المؤمن. ألا ترى استدعاء مطلع المذكور فيها مخبراً عنه بقوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾^(١٠)، وبقوله: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا. وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾^(١١) ثم حكم^(١٢) لنفسه بعد إنكاره البعث باستحقاق ما عَجَّلَ له من جعل الجنتين^(١٣) كما وُصِفَتَا فقال: ﴿وَلَيْنَ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾، فتأمل ما بين هذه الكلم الواردة في وصف هذا الكافر والواردة^(١٤) في قوله في آية

(١) ب: بإحراز.

(٢) في ك فخطويفية السح: المفتحة.

(٣) فصلت/٤٩.

(٤) انظر: البحر المحیط ٥٠٤/٧، وذكر القرطبي في أحكام القرآن ٣٧٢/١٥: «قيل الوليد بن المغيرة.

وقيل: عتبة وشيبة ابْن ربيعة، ومبة بن حلف».

(٥) ك: فَن.

(٦) ساقطة من ج.

(٧) ك: تظمن.

(٨) ما بعدها إلى قوله (المضروب به المثل) ساقطة من هـ.

(٩) هـ: محال.

(١٠) الكهف/٣٥.

(١١) الكهف/٣٥، ٣٦.

(١٢) ك: حكى.

(١٣) ك: الايتين.

(١٤) ح، هـ: بواردة.

سورة السجدة ﴿لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ ، أي من أن يدعو بالخير لنفسه ، ويستزيد منه . وهذه صفة توجد في المؤمنين وبها افتتح الوصف المضروب به المثل في هذه الآية . ثم قال بعد ما ذكر من كلامه : ﴿وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ﴾ ، فقله : ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ﴾ ، ليس في موازنة قول الآخر في آية الكهف : ﴿لَأَجِدَنَّ غَيْرًا مِّثْلَهَا مُتَّقِيًا﴾ وإن خفى ما بينهما . فلما افترقت الآيتان فيما ذكر ، ناسب آية الكهف قوله : ﴿وَلَيْنَ رُجِدْتُ﴾ لِمَا يُشْعِر لفظ ﴿رُجِدْتُ﴾ ويحتمله من القهر والتعنيف ، وقوعاً أكثرياً لا بالوضع بخلاف لفظ «رَجَعَ» ، إذا قلت : منه رَجَعْتُ ، أو رجع ، فإنه لا يحتمل ولا يفهم من معنى «^(١) القهر والتعنيف ما يحتمله : «رِدَّةٌ» . ألا ترى وروده في مثل قوله : ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكِرًا﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ^(٣) ، وقوله بعد : ﴿وَسُتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ^(٤) .

وفي الصحيح قوله ^(٥) صلى الله عليه وسلم في الشيطان حين تعرض له في صلاته ، قال صلى الله عليه وسلم : «فَرَدَّهُ اللَّهُ حَاسِتًا» ^(٦) .

ففي كثرة ورود هذا حيث يراد هذا المعنى أول دليل على ما أشير إليه ، أما

(١) ساقط من هـ .

(٢) الكهف / ٨٧ .

(٣) (٤) التوبة / ٩٤ ، ١٠٥ .

(٥) ساقط من ج .

(٦) روى مسلم الحديث من طريق شُعْبَةَ ثَلَاثَةَ أَصَابِدَ مَنْصُلة مَرْفُوعَةٍ فِيهَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَشَبَّانَةُ وَنَحْوُ الْحَدِيثِ (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ عَفْرِيثًا مِنَ الْجِنِّ جَعَلَ يَغْتَابُ عَلَيَّ أَبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَكْنِي مِنْهُ فَدَعَعْتُ ، فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَىٰ جَنْبِ سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّىٰ تَصْغَحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَحْمَرُونَ أَوْ كَلْكَمٌ . ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ أَحِي سَبْيَانَ ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ ، وَرَدَّهُ اللَّهُ حَاسِتًا صَحِيحٌ مُسْلِم ١٧٨/٢ ، ١٧٩ / رقم ٣٦ .

« رَجَعَ » وما تصرف منه ^(١) فقلما ^(٢) يرد في هذا المعنى . وإن ورد ^(٣) فليس ككثرة « رد » . وما قوله [١٥٠ / ط] تعالى . ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ^(٤) فهذا عام للمؤمن والكافر ، وإن كان أظهر في المؤمن فلا معنى تعنيف فيه . . فوضح التناسب في الآيتين ، والله أعلم .

٢٣١ - الآية الثالثة من سورة الكهف قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ (٥٧) .

وفي سورة ألم السجدة ^(٥) (٢٢) : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ .

للسائل أن يسأل عن ورود ^(٦) آية الكهف بفاء التعقيب ، وآية السجدة بضم المقتضية المهلة .

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن سورة لكهف مكية ، والخطاب فيها من أولها إلى الآية المتكلم فيها لم يخرج إلى غير العرب أعني أنه لم يتعرض فيها إلى حبار بحال غيرهم إلا ما عرفوه ^(٧) من قصة أهل الكهف وحبرهم وهو من سؤالات قريش بتشبيه ^(٨) يهود إياهم حسبما وقع ^(٩) في الحديث ^(١٠) ، فقلوله في الآية المذكورة

(١) ج . ما .

(٢) جميع النسخ : فقل - ما .

(٣) ك . يرد لهذا ورد وروده ليس . . .

(٤) زاد في ك من الآية : ﴿ ثُمَّ نُوْفِي ﴾ .

(٥) في ك فقط وثيقة النسخ : وسجدة لقمان ، وهي سورة السجدة في المصحف الثابت .

(٦) ب . صبعة السؤال : (يسأل عن ورود . . .) .

(٧) ك : ما عرفوه .

(٨) ب : بتشبيهه .

(٩) ساقط من ج ، ب .

(١٠) يعني حديث عكرمة عن اس عمار في سب برول سورة الكهف فقد بحثت قريش النصر من .

﴿ بآيَاتِ رَبِّهِ ﴾ ، المراد بالآيات آيات القرآن ودلائله الواضحة ، وإن كان اللفظ مقتضياً كل ما يسمى آية إلا^(١) أن آيات^(٢) القرآن أعمد^(٣) ما قصد هنا . ويشهد لذلك قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾^(٤) ، وما تقدم الآية من قوله : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾^(٥) - الآية ، وقوله : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى ﴾^(٦) ، والمراد به القرآن . قال تعالى : ﴿ هَذَا هُدًى ﴾^(٧) والحجة قائمة عليهم إذا سمعوا منه بعض آياته ، أو سوره ، وعلموا عجزهم عن الإتيان بمثله فالحجة قائمة عليهم عقب سماعهم وتدبرهم . فورد بالفاء المقتضية التعقيب على ما يجب .

وما آية السجدة - وإن كانت السورة مكية ايضاً - فإن الآية عامة في حق العرب وغيرهم والإخبار فيها إنما هو عن جميع من شاهد آية بيّنة وكذب . ودليل هذا ما تقدمه مما هو على إطلاقه في العرب وغيرهم من قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾^(٨) . هذا عام في المكلفين ثم فصل حالهم فيما بعد

= اخبار وعقبة بن يحيى معيط إلى أخبار بني إسرائيل عن محمد وبصموه لهم صفاته . فقال الأخبار سلوه عن ثلاثة أشياء ، فاب أخبركم من بني مرسل : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، وسلوه عن رجل طواف بلع مشارق الأرض ومغاربها ، وسلوه عن الروح ما هو . فلما سأله قریش عنها أمهلهم إلى غد ، ثم مكث خمس عشرة ليلة لا يوحى إليه ، فعز عليه تشيع الكفار من أهل مكة ، فجاءه خبرين سوره لكهف معانبا ، محباً عن أسئلته . نظر: ابن كثير ٣/٧٢ ، الباب / ١٤٤ ، أحكام الفرطبي ٣٥٦/١٠ - ٣٥٨ .

(١) ساقطة من ح ، ب ، ع .

(٢) في م نقص ونقبة النسخ : آية .

(٣) ك . أعيد .

(٤ ، ٥) الكهف / ٥٧ ، ٥٤ .

(٦) الإسراء / ٩٤ .

(٧) الحائية / ١١ .

(٨) السجدة / ١٨ .

قال^(١) مُعلماً بحال الجميع على ما توردته العرب عند لتعجب لتباعد ما بين الأحوال، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾. فالمراد بهذه الآيات كل ما قامت به الدلالة، ووضح منه الشاهد، كتناقة صالح عليه السلام، وانفلاق الصخرة عنها، وانقلاب العصا حية، الى غير ذلك من آيات موسى عليه السلام، وآيات^(٢) عيسى عليه السلام كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وانشقاق^(٣) القمر لنينا عليه السلام، ونُبع الماء من بين^(٤) الأصابع، وتكليم الجمادات ونطق الحيوان البهيم^(٥)، وانقلاب الأعيان، وتكثير الطعام القليل، إلى آيات الكتاب [١٥١/ و] العزيز المثنوّة قرآنا إلى ما لا يحصى من آيات الرسل والأنبياء عليهم السلام، فلما انطوت في قوله: ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ من التعميم^(٦) بحسب الشاهد مما اقترن بها على ما لا يتوقف فيه ذو^(٧) عقل سليم إلا أن يمنعه مانع قدر عظيم مُرتكب المعرّض، فعطف شَم، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾، استبعاداً للتوقف عن الإيمان والتصديق عند^(٨) مشاهدة ما لا عيار عليه من الدلائل، ولا يشكك فيه.

قال الريحشري: «ثم في قوله: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾، للاستبعاد». قال: «والمعنى أن الإعراض عن^(٩) مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى

(١) ك، ب: ثم قال.

(٢) ك: بينات.

(٣) ح: وانشق [بأص].

(٤) ساقطة من ك.

(٥) ح، غ: البهيم، وساقطة من ك.

(٦) ك: التعميم.

(٧) ك: «ذو عقل إلا أن يمنعه مانع من ذلك عظم مرتكب».

(٨) ح، هـ، ع: عن.

(٩) هـ، م، ب، ك، ع: «في مثل آيات القمر ومثله»، وفي ح: «به القمر، وما يشاهد من الكشاف».

سواء السبيل والموز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل^(١) كما تقول لصاحبك: «وَجَدْتُ مِثْلَ تِلْكَ»^(٢) الفرصة، ثم لم تنتهزها، استبعاداً لتركه الانتهاز. قال ومنه [ثم^(٣)] في بيت الحماسة: (طويل).

لَا يَكْشِفُ الْغَمَاءُ إِلَّا ابْنَ حُرَّةٍ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا^(٤)

قال: «استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقننها وأطلع على شدتها»^(٥) انتهى نص كلامه إلا في لفظة أسقطتها لجريها فيما لا يكاد ينفك عنه في إحراز مذهبه الخبيث فتركها، وإسقاطها لا يخل بشيء من المعنى^(٦).

قلت: والمراد أن ما ذكر من الاستبعاد والاستعظام الذي^(٧) تقتضيه^(٨) «ثم» ها، قائم مقام المهلة، فلتكاثر الآيات وتنوعها^(٩) مستوضحّة عظمت حريمة المتوقف^(١٠) عنها فأشارت «ثم» لذلك فافترق القصدان، وحاء كل على ما يناسب والله أعلم.

وحواب ثان وهو أنه لما ذكر في آية الكهف إرسال الرسل عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾^(١١). فذكر إرسالهم وتكذيب قومهم إياهم، وإنما

(١) بعدها من الكشف «والعدل» وقد أسقطها ابن الير كها سيمول.

(٢) جميع النسخ: ذلك.

(٣) من الكشف.

(٤) ينسب البيت في حماسة أبي تمام لعمرو بن عتبة الحارثي بضم العين، من محصري الدولتين الأموية والعباسية - على حد عبارة الديوان - ٣١٧/١.

(٥) ع: شذرتها.

(٦) انص في الكشف ٥٢٦/٢.

(٧) ع: اني.

(٨) ج، هـ: يقتضيه.

(٩) ك: توبعها.

(١٠) ج، هـ، ب، ع: التوقف.

(١١) الآية ٥٦.

وقع تكذيب المكذبين عند دعاء الرسل إياهم مُعَقِّباً به دعاؤهم^(١) فجرى مع هذا وبأسبه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾، بفاء التعقيب، لأنهم إنما أعرضوا عقب دعاء الرسل إياهم، وعند جدالهم المذكور في قوله: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾، فالتعقيب هنا بين، فورد بالفاء.

وأما آية السجدة، فلم يقع فيها ذكر إرسال الرسل، ولا جرى في^(٢) [السورة] ذكر تكذيب ولا دعاء، وإن كانت أيها عامة في العرب وغيرهم. وإنما ورد فيها [١٥١/ظ] انقسام المكذفين بحسب السوانق في إشارة قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾. ثم ذكر تعالى مآل^(٣) الفريقين وأن الماسقين مأواهم النار وأن حالهم فيها كما ذكر الله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾^(٤) ولا شك أن استحقاق جرائمهم بذلك إنما هو لتماديهم^(٥) على الكفر مدى حياتهم إلى الموافاة. ولم تقع هنا إشارة إلى مباشرتهم الرسل بالتكذيب؛ فلما لم يكن في الكلام ذكر مباشرة الرسل والمواجهة بالتكذيب، صار إعراصهم وتكذيبهم كأنه إنما عُلِمَ وتحصل بذكر الجزاء، وإن كان المؤمنون قد علموا ذلك بخبر الصادق وإمّا بتأخر^(٦) العلم به للمكذب حتى يباشر الجزاء، والجزاء متأخر، فناسب ذلك العطف بـثم المقتضية المهلة فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾، فورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم^(٧).

(١) ب: دعاؤهم.

(٢) ك: قَبْلَ الآية ولا دعاء (٩)، وبقية النسخ: في الآية، وما أثبتناه بناسب السباق.

(٣) ج، ب، ع: مثاب.

(٤) السجدة/٢٠.

(٥) ك: تماديهم.

(٦) ك: تأخر.

(٧) ح، هـ: والله سبحانه أعلم.

٢٣٢ - الآية الرابعة من سورة الكهف قوله تعالى مخبراً عن قول موسى للخضر عليهما السلام عند خرق السفينة :

﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ (٧١).

وقوله عند قتل الغلام (٧٤) : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ .

للسائل أن يسأل عن الفرق بين الموضعين^(١) الموجب لوصف كل من هذين الفعلين بما وصف به .

والجواب - والله أعلم - أن خرق السفينة لم يبلغ بحيث يتلفها، وإنما قصد به الخضر عيبها، ليزهد فيها مريدٌ غصبها بدليل قوله بعد : ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾^(٢) ، وإنما أراد بقاءها على مالكيها^(٣) ، ودفع هذا الغاصب عنها إذا رأى ما بها من العيب المانع من الرغبة فيها وهذا لا يبلغ ظاهره^(٤) مبلغ قتل الغلام بغير سبب ظاهر فوصف - «إمراً»^(٥) في قوله : ﴿ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ . هذا وهو دون النكر . وأما البادي الظاهر من قتل الغلام عند من يغيب عنه ما عمله الخضر فشيء نكر، ومُرْتَكَبٌ عند من لَحَظَهُ بظاهره وغاب عنه ما في طَيِّهِ^(٦) ، لشنيع^(٧) وزرهِ^(٨) فوق التعبير في الموضعين بما يناسب كلاً من الفعلين . وعن قتادة - رحمه الله - النكر أشد من الإمر، فجاء كل على ما يلائم ولم يكن ليحسن مجيء أحد الوصفين في موضع الآخر، والله أعلم .

(١) ب : صيغة السؤال (يسأل عن الفرق بين . . .) .

(٢) الكهف/ ٧٩ .

(٣) ك : أبقاها على مالكيها .

(٤) ج ، ع : بظاهرة .

(٥) هـ ، م ، ك ، ب : إمر .

(٦) ب : طيه .

(٧) ج ، هـ ، ب ، ع : ليلع ، ب ، شنيع .

(٨) ك : ووزر ، هـ ، ب ، ع : وزر ، وبياص في ح ، م .

٢٣٣ - الآية الخامسة من سورة الكهف قوله تعالى في حكاية قول الخضر عليهما السلام.

﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (٧٢).

ثم قوله بعد ذلك في قصة قتل الغلام (٧٥): ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾.

للسائل أن يسأل عن^(١) الفرق الموجب لزيادة ﴿ لَكَ ﴾ في هذا القول الثاني.

والجواب أن الخضر قد كان قال لموسى حين قال له موسى عليهما [١٥٢/و] السلام: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُودًا ﴾^(٢)، فقال: ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾^(٣) فلما كان من موسى عند خرق السفينة ما كان من الإنكار بقوله: ﴿ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾^(٤) ذكره الخضر بما كان قد قاله له فقال: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾^(٥) فاعتذر موسى عليه السلام بقوله: ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾^(٦). فلما وقع منه بعد ذلك إنكار قتل الغلام بقوله: ﴿ أَقْتُلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾^(٧)، وأبلغ في وصف الفعل بقوله: ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكِرًا ﴾^(٨)، قابل الخضر ذلك بتأكيد^(٩) الكلام المتقدم فقال: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ ﴾^(١٠). فالضمير المحرور بيان جيء به تأكيداً ليقابل بالكلام ما وقع جواباً له من موسى عليه السلام، زيادة للتناسب وتعلق المجرور الواقع بياناً مُخْتَلَفٌ^(١١) فيه. فمنهم من يعلقه بفعل مضمر، ومنهم من يُجْزِي حرف الجر فيه، كحرف الجر الزائد، فلا يعلقه بشيء. وقوله: ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾^(١٢)

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق الموجب . .).

(٢) (٣، ٢) الكهف/٦٦، ٦٧.

(٣-٤) (٨-٤) الآيات/٧١-٧٤ على الترتيب.

(٥) ل: يتأكد.

(٦) (١٠) الكهف/٧٥.

(٧) ل: مختلف.

(٨) (١٢) الكهف/٧٥.

على هذا المأخذ معمول للقول من قوله: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ ﴾. ويمكن عندي فيه^(١) وجه آخر وهو أن يكون قوله: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ ﴾، كلاماً مستقلاً^(٢) محذوفاً منه معمول القول، وكأنه في تقدير: «ألم أقُلْ لك ما قلت»، ثم استأنف المقالة فقال: ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾. فقوله: ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾، على هذا ليس معمولاً للقول من قوله: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ ﴾، إنما معمول: ﴿ أَقُلْ لَّكَ ﴾ محذوف مقدّر، كما حذف معمول القول من قوله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ﴾ ثم قال: ﴿ أَسِحْرٌ هَذَا ﴾^(٣). ومعمول^(٤) القول محذوف، تقديره: أتقولون للحق لما جاءكم سحر مبين. ثم قال لهم تقریباً وتوبيخاً: ﴿ أَسِحْرٌ هَذَا ﴾، فسحر مبين المقدّر، معمول للقول وهو من قولهم، وقوله: ﴿ أَسِحْرٌ هَذَا ﴾، من قول موسى عليه السلام توبيخاً لهم^(٥)، كما ذكرنا، فكذا^(٦) حذف من قوله: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ ﴾، كما تقدم، والله أعلم.

٢٣٤ - الآية السادسة من سورة الكهف قوله تعالى:

﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ (٩٧).

للسائل أن يسأل^(٧) عن الفرق الموجب لمجيء ﴿ اسْتَطَعُوا ﴾ ثانياً^(٨) بالتاء، دون الأول.

(١) ج، هـ، ب، ع: من.

(٢) هـ، ب: مستقلاً.

(٣) يونس/٧٧.

(٤) مكانها بياض في ج.

(٥) راجع: إملأ ما من به الرحمن ٣١/٢.

(٦) ج، هـ، ع: فلهذا.

(٧) ب: صيغة السؤال (يسأل عن الفرق...).

(٨) محذوفة من ك.

والجواب أن^(١) يقال: «أَسْتَطَاعَ»^(٢)، «وَأَسْتَاعَ»^(٣)، «وَأَسْطَاعَ»^(٤)، والأول الأصل، ثم يحذفون أحداً^(٥) الحرفين تخفيفاً^(٦) فجاء أولاً بالفعل مخففاً^(٧) عند إرادة^(٨) نفي قدرتهم على الظهور على السد والصعود فوقه، ثم جاء بأصل الفعل مستوفى^(٩) الحروف عند نفي قدرتهم على نفيه وحذفه^(١٠). ولا شك أن الظهور عليه أيسر من النُّقْبِ، والنُّقْبِ أشق^(١١) عليهم وأثقل، فجاء بالفعل خفيفاً مع الأخف، وجاء به تاماً مستوفى مع الأثقل، فتناسب^(١٢). ولو قدر [١٥٢/ظ] بالعكس لما تناسب. وأيضاً فإن الثاني محل التأكيد لنفي قدرتهم على الاستيلاء على السد وتمكنهم منه فتناسب ذلك الإطالة. وهذا يفتقر إلى بسط وبيان، مع أن الأول أولى، فلنكتفِ بهذا، والله أعلم بما أراد.

٢٣٥ - الآية السابعة (غ) قوله تعالى^(١٣):

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (١١٠).

[كذا] في سورة حم السجدة^(١٤).

(١) ب: أنه.

(٢) ك: استطاعوا.

(٣) محذوف من ب.

(٤) ك: واسطاعوا.

(٥) ب: آخر.

(٦) ج، ع: مخففاً.

(٧) ج، هـ: محققاً.

(٨) ج: إرادة.

(٩) ب: مستوفاً.

(١٠) ساقط من ج، هـ، ب، غ.

(١١) ك: أشد.

(١٢) ك: تناسب.

(١٣) عنوان الآية ساقط من ك.

(١٤) يريد الآية ٦ من سورة فصلت. وقد أثبتنا الناصح في هامش م، ومكتوبة في هـ بدون تصدير، فتوهم التكرار.

وفي سورة الأنبياء (١٠٨) : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ ، فلم ^(١) يقع في هذه الآية لفظ ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ﴾ ، وورد في الأولى ؛ فللسائل أن يسأل عن ذلك .

والجواب عن ذلك ، أنه لما تقدم في أول سورة الأنبياء ، إثبات كون الرسل عليهم السلام من البشر فيما حكاه تعالى قول ^(٢) الكفار بعضهم لبعض : ﴿ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ ^(٣) ، ثم قال تعالى راداً لقولهم ، ومثبتاً لكون الرسل من البشر عدة مواضع ، إفساحاً وإشارة آخرها قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٤) . والخطاب لنبينا عليه السلام ، قال تعالى بعد ذلك : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ ، فلم يحتاج هنا إلى ^(٥) أن يذكر كونه عليه السلام من البشر ، إذ قد توالى ذكر ذلك جملة وتفصيلاً .

أما سورة الكهف فلم يتقدم لها مثل هذا ، فكان مظنة الإعلام بكونه صلى الله عليه وسلم من البشر إرغاماً لأعدائه ، ولما في ذلك من تلاففه تعالى بالخلق ، ورحمته إياهم . قال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ ﴾ ^(٦) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ ^(٧) . فكون الرسل من البشر من ^(٨) أعظم إنعامه سبحانه على الخلق . وخصت آية الكهف بذكر بشريته عليه السلام ، لما بيناه . وورد كل على ما يناسب ، ولم يكن عكس الوارد ليناسب ، والله أعلم بما أراد .

(١) ب : صيغة السؤال (يفان ما وجه سقوط لفظ ﴿ أَنَا بَشَرٌ ﴾ وورد في الأولى واجواب . .) .

(٢) هـ ، م ، ب : تولى .

(٣) الآية / ٣ .

(٤) الآية / ١٠٧ ، والمواضع التي أشار إليها هي الآيات : ٦ ، ٧ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٩١ .

(٥) ساقط من م ، ك ، ب .

(٦ ، ٧) الأنعام : ٩ ، ٨ على الترتيب .

(٨) : ساقط من ك .

سورة مريم عليها السلام

٢٣٦ - الآية الأولى منها (غ) قوله تعالى في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام:

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (١٤).

وفي قصة عيسى عليه السلام (٣٢): ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾. فاختلف الوصفان في الآيتين مع اتحاد مرماههما في السابق من ظاهرهما. فيسأل عن ذلك.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن الله سبحانه وصف يحيى عليه السلام بعظم التقوى في قوله قل: ﴿ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾^(١) وتقيٌ «فَعِيلٌ» من التقوى وهو من أبنية المبالغة فتفهم الوفاء بوحوه التقوى حتى لا يكون من الموصوف بذلك معصية، ولا تقصير. فقوله بعد: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾، المراد به - والله أعلم - نهي المعاصي^(٢) جملة، وهو المراد بقوله في الموضع الآخر: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾^(٣)، أي ممنوعاً من المعاصي، والحصَرُ: الحبس والمنع، قال مكِّي^(٤) - رحمه الله - حَصَرَ [١٥٣/و] عن الذنوب، فلم يأتها. وما قاله المفسرون من أن المراد هنا منعه عن النساء بأي وجه قالوه، فلا يصح، والله أعلم، لأن عدم القدرة على النساء نقص، والأنبياء منزّهون عن النقص فكيف يصح ورود هذا الوصف في معرض المدح، وهو في نفسه نقص. والقوة في ذلك كمال ومدح.

(١) مريم/١٣.

(٢) ك: للمعاصي.

(٣) آل عمران/٣٩.

(٤) ج: مكّي. تصحيف صوابه ما أثبتناه. ومكّي هو مكّي بن أبي طالب الحوي المقي في القيروان يقال: إن به بعباً وثمانين تالعباً منها: إعراب القرآن، والموجز في الفراءات، والتفسير الكبير، وغريب القرآن، ومشكل إعراب القرآن. وقد قام بتحقيق الكتاب الأخير ودراسته الدكتور عبد الحميد السيوري حيدر دراسة. نوي مكّي ٤٣٧ هـ. نظر. الداودي ٢/٣٣٧، ٣٣٨. الترجمة الوافية لمكّي في رسالة الدكتور السيوري ج ١/ الفصل الأول - التعريف بالمؤلف/ ١ - ٢٥.

فالمراد هنا بالحصور الممنوع عن المعاصي. وقد روى عمرو^(١) بن العاص^(٢) عن النبي صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ، إِلَّا يَحْيَىٰ بْن زَكَرِيَّا»^(٣) ثم نُوسِب^(٤) بين هذا الوصف، وبين ما تقدمه من قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾، بلفظ المبالغة مثله، والمراد نفي المعاصي عنه عليه السلام والتناسب في هذا كله واضح. وأما قوله في قصة عيسى عليه السلام: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾، فملحوظ بذلك ما جرى لأتباعه عليه السلام، وما وقعوا فيه من العظيمة حين قالوا: هو ابن الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فاستحقوا الوصف بالشقاء بمقالهم. والشقي مستحق العذاب الأخرائي، وإلى السعادة والشقاء انقسام العالم في الآخرة، قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾^(٥)، فهما طرفان حصراً للعالم^(٦) في الآخرة، وهما كقوله: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾^(٧) فلما لحظ في قصة عيسى عليه السلام عصمته من الرضا بما وقع في أتباعه ناسب ذلك نفي صفة الضالين^(٨) ممن توهم أنه ممن اتبعه ليتبرأ عليه السلام من حالهم كما يتبرأ^(٩) حين يقول في الآخرة^(١٠) ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾^(١١). فقد وضع ورود كل من الوصفين على أحل النظم، وأتم المناسبة، وأن عكس الوارد لا يمكن، والله أعلم.

(١) في «م» فقط.

(٢) في جميع النسخ: «العاصي» بياء النسب.

(٣) روى الحديث أبو جعفر الطبري، والحافظ ابن كثير في تفسيره. كلاهما برواية سعيد بن المسيب عن ابن العاص، وكلاهما يشك في تحديد ابن العاص، قال الطبري: «إما عبد الله وإما أبوه»، وقال ابن كثير: «لا يدرى عبد الله أو عمرو». وقد رواه الطبري مرفوعاً برقم ٦٩٨١، ثم رواه موقوفاً على عمرو، وأنه برقم: ٦٩٨٣. أنظر: تفسير القرآن العظيم ١/٣٦١، جامع البيان ٦/٣٧٧، ٣٧٨.

(٤) ب: فنوسب.

(٥) هود/١٠٥.

(٦) ج، ع: فهما طرفا حصر العالم.

(٧) الفغابن/٢.

(٨) ك: الظالمين.

(٩) ح، ب، ع: تبرأ، ك: يبرأ.

(١٠) إخبار والمحروور ساقطان من: ح، ك، ع.

(١١) المائدة/١١٧.

﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣٧).

وفي سورة الزخرف (٦٥) : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾.

للسائل أن يسأل عن قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، وقوله في الأخرى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ، ما وجه تخصيص كل آية منها بما ورد فيها ، وعن قوله في الأولى : ﴿ مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وفي الثانية : ﴿ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ ، فهذان سؤالان^(١) :

والجواب عن الأول منهما ، أن الكفر بالله سبحانه أعظم من كل خطيئة ، والذي لا ينفع معه شيء من أعمال البر ، فهو أعظم من الظلم ثم قد يوصف الكافر بالظلم إشارة إلى الصفة اللازمة له من ظلمه لنفسه بكفره وشنيع مرتكبه فيشعر إذ ذاك هذا^(٢) الوصف إذا ورد تابعا للكفر ، ولفظ الكفر منطوق^(٣) به ، أو مفهوم من سياق الكلام بزيادة توجب زيادة التكيل ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾^(٤) ، فقوله في آية سورة مريم [١٥٣/ظ] ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ، معقب بها قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ . مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾^(٥) ،

(١) ب : صيغة سؤال (لسائل أن يقول ما وجه تخصيص كل آية بما ورد فيها ، وعن مخالفة الأولى للثانية . . .).

(٢) ك : هو .

(٣) ح : منطوقاً .

(٤) النساء / ١٦٨ .

(٥) آيات / ٣٤ - ٣٦ .

ثم قال: ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مُشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ، والمراد باختلافهم في نبي الله عيسى عليه السلام حيث قال بعضهم: هو الله ، وبعضهم: هو ابن الله ، وبعضهم: ثالث ثلاثة ، فهذا اختلافهم . وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مُشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ، فوسمهم بالكفر الذي هو ضابط أقوالهم وأم^(١) مرتكباتهم ، وأخبر باستحقاق الويل لهم لكفرهم ، من شهود ذلك اليوم الفاضح لهم على رؤوس الأشهاد . وفيه قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾^(٢) ، وفيه يقول الأشهاد: ﴿ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾^(٣) . ثم ذكّرهم في سورة^(٤) الزخرف^(٥) بصفته من الظلم اللازم لكفرهم ، وليناسب ذلك ما تقدم من وصف من اعتمد غير^(٦) الله سبحانه ، فقرن بمُعْتَمِدِهِ في العذاب وهو المقول فيه: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾^(٧) ، فقليل فيه وفي متّخِذِهِ: ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾^(٨) . والظلم هنا ظلم الكفر ، وحال من عبد عيسى عليه السلام من الأحزاب المذكور اختلافهم في حاصته^(٩) دون متّخِذِهِ بحال هؤلاء ، فوسموا بالظلم كوسم من تقدم فقليل: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ، وظلم هؤلاء كفر ، كحال من تقدم ، فناسب هدا ، ولم يقع قبل آية سورة مريم ما يطلب بمناسبة فوصفوا هناك بالكفر بخلاف آية الزخرف . فجاء كل على ما يجب . ثم قال: ﴿ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ ، فذكر العذاب المُعَقَّبَ به ذلك اليوم المشهود ، ووصف اليوم بالآلام ، وإن كان المؤلّم إنما هو العذاب مبالغة في شدة الآلام من عذاب ذلك اليوم كما قالوا:

(١) الأم من كل شيء أصله . ومنه تسمى حلدة الرقبة التي تصل الرأس بالجسد أم الدماغ ، والحبل الذي يربط العلم بالسارية أم العلم أو البند .

(٢) (٣ ، ٢) هود/١٠٣ ، ١٨ عن الترتيب .

(٤) ك: آية .

(٥) (٥) الأبتان/١٩ ، ٢٠ .

(٦) مكنها بياض في ج .

(٧) (٨ ، ٧) الزخرف/٣٦ ، ٣٩ .

(٩) ك: خاصة .

« نهارك صائم وكَيْلُكَ قائم »^(١). وهذا العذاب ثان عن قيامهم في ذلك اليوم المشهود وسوء حالهم فيه ، وجاء ذلك على الترتيب الذي استقر عليه الكتاب فذكر في المتقدم من الآيتين المتقدم وجوداً من حالهم الآخر اوي ، وفي الآية الثانية في ترتيب ما هو ثان عن ذلك ، وجاء كل من ذلك على ما يجب ويناسب ، والله أعلم .

٢٣٨ - الآية الثالثة (غ) ^(٢) قوله تعالى :

﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ (٣٩) .

وفي سورة المؤمن (١٨) : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ ﴾ ، والمراد بالآيتين تذكيرهم بالقيامة وأهوالها ثم اختلفت العبارة في الكناية عنه . ففي سورة مريم : ﴿ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ ، وفي سورة المؤمن : ﴿ يَوْمَ الْأَزْفَةِ ﴾^(٣) [١٥٤/ و] فللسائل أن يسأل عن ذلك .

والجواب عنه - والله أعلم - أن اليوم المشار إليه يشتمل على مواقف ومواطن مهولة وأحوال مختلفة ، وبحسب ذلك تختلف العبارة والاختلاف لاختلاف^(٤) المقاصد والمواطن . ألا ترى قوله : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾^(٥) وقوله : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾^(٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ هُمْ إِنَّهُمْ مُسْؤُولُونَ ﴾^(٧) ، وقوله : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ

(١) سيوه ١/٣٣٧ .

(٢) ساقطة من ب .

(٣) ما بعدها إلى آخر السؤال محذوف من ب .

(٤) في ك فقط وبقي النسخ : اختلاف .

(٥) المؤمنون/ ١٠١ .

(٦) الصافات/ ٢٧ ، الطور/ ٢٥ .

(٧) الصافات/ ٢٤ .

وَلَا جَانٌّ ﴿١١﴾ ، ولا شك أن هذا في مواطن مختلفة ، وبحسب ذلك اختلفت الكناية عما أضيف إليه اليوم هنا . فيوم الحسرة عبارة عن الوقت الذي يحصل فيه العلم اليقين بتأبير خلودهم ، واستمرار عذابهم إلى غير نهاية ، ويتأكد لأهل الجنة علمهم بذلك ، فلا أشد فرحاً من أهل الجنة يومئذ ، ولا أشد حسرة من أهل النار .

وفي هذا ورد الخبر الصحيح من أنه إذا استقر أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار يُنَادَى يا ﴿١٢﴾ أهل الجنة فيشرثون ، وَيُنَادَى يا أهل النار كذلك ، ويؤتى بالموت فيقال لهم : هل تعرفونه ؟ فيقال نعم . الحديث إلى قوله فيه - يا أهل الجنة خلود لا موت ، ويا أهل النار خلود لا موت . إذًاك تعظم حسرتهم ، ويشتد كربهم .

ونص الحديث على ما روينا في صحيح مسلم [منسوب] إلى [أبي] سعيد : «قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجَاءُ بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، زاد أبو كريب : فيوقف بين الجنة والنار ، واتفقا في باقي الحديث : فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرثون ويقولون : نعم ، هذا الموت . [قال] فيؤمر به فيُدْبَح . [قال] ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت . [قال] ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، وأشار بيده إلى الدنيا» ﴿١٣﴾ .

قلت : وهذا الحديث من مُشْكِلُ ﴿١٤﴾ الأحاديث ، وله وجه من التأويل يرفعُ

(١) الرحمن / ٣٩ .

(٢) حرف النداء ساقط من ج .

(٣) الفاظ الحديث في مسلم برواية أبي معاوية . وعثمان بن أبي شيبة وكلاهما عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري (حديث رقم ٣٨ ج ٥) . ورواه بروايات مختصرة من طريق زهير بن حرب ، عبد بن حميد ، والحسن بن علي الحلواني ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعيد : عن أبي صالح ، عن نافع عن عبد الله بن عمر ، كما رواه عن ابن عمر : عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه محمد بن زيد (الحديثان / ٣٩ ، ٤٠ ج ٥) .

(٤) ك : مشكلات .

إشكاله، وقد تفسرت مظنة^(١) الحسرة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾، والمراد به استقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، كما ورد في الخبر. وحق لمن قدم ذكره قبل هذه الآية ممن وقع في العظيمة من أمر عيسى عليه السلام حين قالوا: المسيح ابن الله، مع إقرارهم بالبعث الأخراوي والجزاء، فحق لهم أن يذكروا تحذيراً وتخويفاً بمثل هذا، ولم يتقدم الآية ذكر غيرهم. فهذا أوضح [١٥٤/ظ] تناسب.

وأما آية سورة المؤمن فقد ورد^(٢) قبلها قوله تعالى خطاباً للمؤمنين: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٣). ثم تتابع الكلام معهم الى الآية من قوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ﴾^(٤)، فخوفوا بإسراع أمر الساعة وتعجيل وقوعها، كما قال سبحانه: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾^(٥). أزف الشيء: أسرع، ومنه قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ الْأَزْفَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾^(٦). وتأمل ما اتصل بقوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ﴾ من قوله: ﴿إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾، فقد تناسب هذا ووضح أن ما ورد في الآيتين على أتم مناسبة، وأن عكس الوارد على ما بيناه لا يلائم^(٧)، والله أعلم.

٢٣٩ - الآية الرابعة (غ) قوله تعالى:

﴿وَنَذِيئَتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبَتْهُ نَجِيًّا. وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ (٥٢ - ٥٣).

(١) ج، هـ: مظنة.

(٢) ج، ع: تقدم.

(٣) (٤، ٣) غافر/١٤، ١٨.

(٥) الأنبياء/ واحد، وزاد في ك من الآية: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَعْرُضُونَ﴾.

(٦) النجم/ ٥٧ - ٥٨.

(٧) ب: لا ياعم.

وفي سورة الفرقان (٣٥) : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ۖ ﴾ . ومقصود الايتين تأييد موسى عليه السلام بأخيه هارون، ثم اختلف الوصف بالشهوة والوزارة مع اتحاد المقصود، فللسائل أن يسأل عن ذلك .

والجواب عنه - والله أعلم - يحصل^(١) طي تمهيد، وهو أن السورة المتردّد فيها ذكر الرسل عليهم السلام منوط فيها بذكر أممهم وما كان من معاندة الأمم وتكذيبهم وأخذ المكذّبين بمرتكباتهم، ولا تكاد تجد سورة منها وارد^(٢) فيها ذكرهم إلا على ما ذكرنا، وأكثر تلك السور استيفاء لهذا الغرض سور ثلاث، وهي : سورة الأعراف، وسورة هود، وسورة الشعراء، ثم يليها في ذلك سورة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٣)، وكلّما تجد سورة ورد فيها قصة منها واحدة فصاعداً إلا جارية على ما ذكرته، وربما أجمل ذلك في بعضها مع تحصيل ما ذكرنا من أخذ الأمم بعد تكذيبهم . وآخر سورة ذكرت فيها قصصهم معتمداً فيها طرد أخذ كل أمة بتكذيبها، وبيان ما به أهلك من الفرق، والريح، والصيحة، والحاصب، وعنيف الأخذ، والعزة والافتدار، سورة القمر مع إيجاز في القصص لم يرد في غير هذه السورة مع الوفاء بما ذكرنا . وإنما خصّت هذه السورة ببيان كيفية أخذ المكذّبين، لما بينته في كتاب « البرهان »^(٤) ثم إن سورة مريم تضمنت ذكر طائفة عظيمة، فصلّ ذكر بعضهم، وأجمل ذكر البعض . وقد جرد فيها من الإخبار بأحوالهم، ذكر التعريف بخصائص من منحهم، وعلى أقدارهم، وما أيّدوا به من ذلك، من غير أن يشوب هذا ذكر شيء من تكذيب من كذب منهم، إلا ما ورد في ذكر إبراهيم عليه السلام من قول أبيه له : [١٥٥ / و] ﴿ أَرَأَيْبُ أَنتَ عَنْ إِلَهِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ - الآية^(٥)، ولم

(١) ب : تحصيل .

(٢) ج ، هـ ، ع : ورد .

(٣) هي سورة المؤمنون في المصحف الثابت .

(٤) ما بعدها إلى قوله : ذكر البعض ، ساقط من ح .

(٥) مريم / ٤٦ .

يذكر من حال قومه عليه السلام شيء، ولا ذكر فيما بعد، ولا فيما تقدم من هذه السورة كما تقيدت به مما ذكرنا^(١). ثم إن النبوة هي أعظم خصائصهم التي تساووا في تحمل أمانتها، وأفردوا عليهم السلام بها، ولم يشاركهم فيها غيرهم. أما اسم الوزارة والوصف بها، فليس مما يخصهم، ولا مما أفيدوا^(٢) به فلم يكن وصف هارون عليه السلام بها هنا ليناسب هذا المقصد^(٣) العلي ولا يلائمه^(٤).

أما قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾، فترتب على سؤال موسى عليه السلام في سورة طه في قوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾^(٥)، فأعطي عليه السلام مطلبه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾، وورد هذا على الترتيب المتقرر في المصحف^(٦). ثم إن ما اتصل بهذه الآية، وآية سورة مريم مما قبلهما. يستدعي التناسب في مقاطع الآي وفواصلها، فلم يكن ورود الايتين في السورتين على غير ما وردتاً ليناسب، فجاء ذلك على ما يجب من الوحيين المذكورين، والله أعلم بما أراد.

٢٤٠ - الآية الخامسة من سورة مريم قوله تعالى:

﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا. إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (٥٩ - ٦٠).

(١) بي ك فقط، وبفقه السخ: ذكر.

(٢) ج، ب، ع: اقتلوا.

(٣) ك: المقصد.

(٤) ك: يلائمها.

(٥) طه/٢٩.

(٦) ك: المعجب.

وفي سورة الفرقان (٦٨ - ٧٠) : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ^(١) ﴾ * يَصَاعِقُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ^(٢) .

للسائل أن يسأل عن قوله في الأولى : ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ، وقوله في الثانية : ﴿ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ ، وعن قوله ^(٣) في الأولى ، في جزائهم : ﴿ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ ، وفي الجزاء ^(٤) في الثانية : ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ .

والجواب أن الآية الأولى ورد قبلها بعد ذكر المنعم عليهم ، ومن اهتدى بهديهم ، قوله ^(٥) : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ^(٦) ﴾ ، وهذا قول موجز يناسبه الإيجاز في قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ - الآية ، فتناسب في التقابل الإيجازي ، كما تناسب أيضاً في الفواصل ، ومقاطع الآي ، وذلك قوله : ﴿ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ . والمسهل من القراء يقول « شَيْئًا » فيُعَقَّبُ ^(٧) بالياء المشددة .

وأما قوله في آية الفرقان : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ ، فإطنابٌ مناسب التفصيل الواقع قبله من قوله : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ آلهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ^(٨) ﴾ [١٥٥ / ظ] ثم قال : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ ، يريد ما ذكر مما مَدَحَ ^(٩)

(١) ما بعدها إلى قوله « صالحاً » محذوف من ب ، وفي موضعه « إلى قوله » .

(٢) ج ، ب : فوهم .

(٣) ب : صيغة السؤال : في الأولى : ﴿ وعمل صالحاً ﴾ ، وفي الثانية : ﴿ وعمل عملاً صالحاً ﴾ ، وإيضاً فقال في الأولى في جزائهم ﴿ فأولئك يدخلون الجنة ﴾ ، وفي الثانية : ﴿ فأولئك ... ﴾ هكذا .

(٤) ساقطة من ج ، ك ، ع .

(٥) مريم / ٥٩ .

(٦) ك : فيف .

(٧) الآية / ٦٨ .

(٨) ب : ونماه بدل « ما مدح » ، وسقط من ك .

المتصف بتقوى الله وتركه والتزّه عن مُواقعة شيء منه ، ﴿ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ . ثم فسر ما يلقاه بقوله : ﴿ يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ، أي يكثّر عليه ، ويراد^(١) ، ﴿ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ ، فجعل بازاء مضاعفة العذاب لفاعل ذلك ، تبديل السيئات بالحسنات إلى الغفران والرحمة ، فإيجاز بإيجاز ، وإطناب بإطناب مناسبة بين الجواب وما جُوبَ به ، وكل على ما يجب ولا يسوغ العكس على ما تمهد ، والله أعلم .

سورة طه

٢٤١ - الآية الأولى منها، وما يتعلق بها، ويرجع الى معناها، وتتم به مما يتصل بها قوله تعالى :

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ^(١) لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى . وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى . إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي . إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْمَى . فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى . وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمْوَسَى . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا ﴾ (٩ - ١٨) .

وفي سورة النمل (٧ - ١٠) : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَتَاتِيكُمْ

(١) لك : يزدد - بلا واو .

(٢) ما بعدها إلى آخر الآيات محذوف من ب .

مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ^(١) لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ
مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴿ - الى - ﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴿ .

وفي سورة القصص (٢٩ - ٣١) : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ
ءَانَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا^(٢) قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا
بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَظِيئِ الْوَادِ
الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسْ يَا إِبْرَاهِيمَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ
أَلْقِ عَصَاكَ ﴿ .

هذه الآي من مُشْكِلَات^(٣) الضرب الثاني الذي بنينا عليه مقصود هذا الكتاب ،
لأن محصولها الإخبار عن ابتداء أمر موسى عليه السلام في رسالته ، وتكليم الله
سبحانه إياه ، وهو خبر واحد عن قصة واحدة قد وقعت ، وعَيْن^(٤) وقوعها ما وقعت
عليه من الصفة التي اتحدت بوقوعها وتَبَيَّنَتْ ، فلا يمكن فيها العدول عما وقعت
عليه ، فكيف هنا الواقع الوارد من قوله في السورتين : ﴿ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ
نَارًا ﴾ ، ولم يقع لفظ ﴿ امْكُثُوا ﴾ في سورة النمل ، وفي السورتين : ﴿ لَّعَلِّي
آتِيكُمْ مِنْهَا ﴾ ، وفي النمل ﴿ سَأَتِيكُمْ مِنْهَا ﴾ ، فورد ﴿ سَأَتِيكُمْ ﴾ ، عوض
﴿ لَّعَلِّي ﴾^(٥) ، وفي طه [١٥٦/ و] ﴿ بَقْبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ ، وفي
النمل : ﴿ بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ ، فقدم ذكر القَبَس في
طه ، وآخر في السورتين ، ثم اختلف التعبير فعبّر^(٦) عنه في القصص :
﴿ بِجَذْوَةٍ ﴾ ، وعوض في النمل ، فقليل : ﴿ بِشِهَابٍ ﴾^(٧) مضافاً الى القَبَس ،

(١) ما بعدها إلى قوله . «حوله» محذوف من ب .

(٢) ما بعدها إلى قوله والعالمين وإنه محذوف من ب ، وفي موضعه «إلى قوله» .

(٣) ك : مشكل .

(٤) ج ، م ، ب : عن .

(٥) ب : لرفع عوض «سأتيتكم» ، «لعلِّي» .

(٦) ساقط من ج ، هـ ، م .

(٧) ك : ﴿ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ .

وكرر: ﴿ أَوْ آتِيكُمْ ﴾، في النمل. ولم يقع ذلك^(١) في غيرها، وأفصح في السورتين الأخريتين بالحاجة إلى النار وهو الاصطلاء، ولم يقع ذلك في « طه »، جملة. وعبر عن الخبر في طه بقوله: ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾، ولم يذكر ذلك في السورتين. فهذه مواضع اختلفت العبارة فيها، واختلفت في الزيادة والنقص، والتقديم والتأخير، مع أن الإخبار عن واقعة معينة، وقصة متحدة، والخبر الواحد الصدق، لا يمكن فيه الزيادة ولا النقص، ولا النسخ، من حيث هو خبر، ولا شيء مما ذكر. ويرجع السؤال فيها إلى شيئين^(٢):

أحدهما: وجه الاختلاف.

والثاني: وجه^(٣) تخصيص كل موضع بما خص به.

فأقول - مستعيناً بالله، وسائلاً منه سبحانه توفيقه وإرشاده^(٤) - إن المعاني المتصورة^(٥) في الأذهان المعقولة القائمة بنفس العقلاء لا تحصل تعديتها إلى غير من قامت به إلا بالعبارة^(٦) المترجمة منها من الألفاظ الاصطلاحية، وبما^(٧) خوطب العالم. وما سوى اللفظ من إشارة إلى غيرها لا يستقل في تحصيل المعنى المترجم عنه استقلالها. وبالجمله فلم يخاطب إلا بها.

وإذا تقرر هذا، فمن المعلوم أن اللفظ بالتفات مدلوله المعنوي يتعدد، ومرجع الألفاظ إلى مسمياتها^(٨) ينحصر في أربعة أقسام:

إما أن يتحد اللفظ والمعنى.

(١) ما بعدها إلى قوله: « ولم يقع ذلك » ساقط من ج، هـ، ب، ع.

(٢) ك: سببين.

(٣) ج: وجع.

(٤) ك: وإرشاداً.

(٥) ج، ع: الصورة.

(٦) ك: بالمعبرات.

(٧) في ك فقط، وبقي السج: وربما.

(٨) في ك فقط، وبقي السج: مسباتها.

أو يختلف اللفظ والمعنى.

أو يتحد اللفظ، ويختلف المعنى.

أو يختلف اللفظ، ويتحد المعنى.

ولا يقتضي النظر العقلي زائداً على هذا التقسيم، وعلى مقتضاه دارت العقول^(١) وتخاطب العقلاء.

فالقسم الأول منها، وهو المتحد اللفظ والمعنى. وهو المتواطىء، وهو دلالة اللفظ على معنى، ثم يعرض لذلك المعنى عند الشخص كثرة، فيكون ذلك اللفظ يدل على تلك الأشخاص بتواطؤ^(٢). ومثاله: رَجُلٌ، وفَرَسٌ، وأسد. ومنه دلالة اسم النوع، كالإنسان على أشخاصه، وكذلك دلالة الجنس، كالحيوان على الإنسان، والفرس، والطائر.

والقسم الثاني، وهو المختلف اللفظ والمعنى. وهي الأسماء المتباينة، وهي أسماء مختلفة لمعاني مختلفة كل اسم منها يخص معناه [١٥٦/ ظ] الذي وضع له، نحو: السواد والبياض، والقدرة والعجز.

والقسم الثالث، وهو ما اتحد فيه اللفظ واختلف المعنى. وهي الأسماء المشتركة نحو: العين الباصرة^(٣) وعين الماء، ونحو ذلك. فاللفظ متحد والمعنى مختلف.

والقسم الرابع، وهو ما تعدد لفظه واتحد معناه. هي المترادفة، كالأسد، والليث للحيوان المعروف.

ثم قد يعرض للمشارك، وهو المتحد اللفظ مع اختلاف المعنى تفاوت في قوة دلالة على ما تحته. وأعني بالتفاوت استقلال المعنى بنفسه غير مفتقر إلى الغير، أو عدم استقلاله فينقسم بحسب هذا إلى متواطىء ومُشْكِكٌ، كوقوع اسم موجود على

(١) ك: اللغات.

(٢) جميع النسخ: بتواطىء.

(٣) جميع النسخ: والباصرة.

الجوهر والعرض، إذ الجوهر هو قائم بنفسه، والعرض لا يقوم بنفسه؛ ففي^(١) وقوع اسم موجود عليهما^(٢) تفاوت بين. فهو في وقوعه على الجوهر من قسم المتواطىء، ووقوعه على العرض بتشكيك^(٣).

ثم من الألفاظ على الجملة مجازية: وهي الواقعة على مسمياتها^(٤)، لا على أنها^(٥) أسماء لها^(٦)، بل^(٧) لمناسبتها لِمَا وضعت الأسماء الحقيقية بإزائها. ومن المعلوم في عوارض التركيب، الضرب المسمى بلحن الخطاب، وهو حذف الكلمة من الجملة مع إرادتها، ودلالة السياق والمعنى عليها، كالواقع في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ﴾^(٨)، ولا شك أن المراد: فاضرب فانفلق.

ومما يلحق به عند الجمهور - إلا من قال بقول الكرخي^(٩) : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١٠)، والتقدير: فأفطر، ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾. فهذا من لحن الخطاب، ومن معروف التخاطب الجاري^(١١) وهي دلالة المنطوق به على مسكوت عنه، يفهمه السياق وقصد المتكلم من عرف اللغة نحو فهم منع الضرب والشتم من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ﴾^(١٢). وهذا الضرب من المفهوم يجاري النصوص^(١٣). ولهذا لم يخالف فيه من أنكر القياس، فهذه

(١) ك: في.

(٢) ك: عليها.

(٣) ك: تشكيك.

(٤) ج، ع: مسمياتها.

(٥) ساقطة من ح، ع.

(٦) ج، ع: اسمائها.

(٧) سقط من ك قوله: بَلْ لِمَنْاسِبَتِهَا. لِمَا.

(٨) الشعراء/٦٣.

(٩) محمد بن إبراهيم الكرخي، نفيه. أنظر: أحكام القرآن، لنجصاص ١/٢١٣-٢١٦، وللقرطبي

٢/٢٩٩-٣٠١، ولابن العربي ١/٨٢-٨٥.

(١٠) البقرة/١٨٤.

(١١) ج، ع: الفحوى، هـ، م، ب: الفحاوي.

(١٢) الإسراء/٢٣.

(١٣) ج، م: المصوص.

جملة يستعان بها على تلقي ما يرد، وليست خاصة بالذي نحن فيه من هذه السورة، ولا بموضع دون موضع. ثم من المعلوم بإعلام الله سبحانه أنه تعالى لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه. فموسى عليه السلام، إنما خاطب أهله في هذه المحاورة باللسان العبراني الذي هو لسان قومه، وجل كلام ربنا عن الحرف والصوت، والتقييد بالجملة. فالوارد في كتابنا إنما هو حكاية المعنى الذي خاطب به موسى عليه السلام وخاطب به، واللساني العبراني أقرب الألسنة إلى اللسان العربي، فما المانع أن يجري فيه، وَيَطْرُدُ كل ما في اللسان العربي من الضروب المذكورة، قلَّ أو أكثر ذلك.

ثم في الجواب عما تقدم ما لا يُفْتَقَرُ فيه إلى بنائه^(١) على ما مهدناه، فأقول - مستعياً بالله سبحانه - إن قول موسى عليه السلام لأهله: ﴿أَمْكُثُوا﴾، وسقوط ذلك من سورة النمل قد يكون مما قاله عليه السلام: [١٥٧/و] نطقاً باللغة التي كلمهم بها. وقد يكون ذلك مما فهمه عنه أهله بإشارة أو قرينة حال^(٢)، فيكون قد أمرهم بذلك على كل حال، فلما بَنُطِقَ، أو غيره. فمرة حكى معنى نطقه أو مراده بما قد فهم عنه أهله الأمر، ومرة اكتمى بما بعد هذا^(٣) الأمر اقْتِصَاراً على ما يحصل المقصود؛ فلا اختلاف ولا اعتراض في ذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ﴾ في السورتين، وقوله في النمل: ﴿سَأَتِيكُمْ﴾ فإن حرف التَّسْوِيفِ يُفْهَمُ الاستقبال، ولفظه «لَعَلُّ»^(٤)، أيضاً^(٥) يعطي ذلك مع زيادة التَّرجُّي والطمع فيمكن لتقارب مَعْنِيَّتَيْهِمَا، أن يكون ذلك في لسانهم^(٦) بعبارة موضوعة للمعنيين^(٦) وضعاً واحداً، ولم يقع ذلك في لساننا، أعني

(١) ج، هـ، ب: نيابة.

(٢) ك: أو حال.

(٣) ساقط من ك.

(٤) ساقطة من ج، هـ.

(٥) زاد بعدها في ج، هـ، م، ب كلمة: منتهى.

(٦) ما بعدها إلى كلمة (معاً) محذوف من ب.

بلفظ واحد يعطي المعنيين معاً، فلم يكن بد من ورود الحرفين عند الحكاية ليحرز ذلك وقوع المعنى وحصوله على ما هو في لسانهم. وأما^(١) تقديم ذكر القبس في سورة طه على الخبر، وتأخيره في السورتين^(٢) فعنوان بين يُعرف أن القصة^(٣) محكية على معناها لضرورة اختلاف اللغتين. ولو ورد الإخبار على التزام التقديم في أحدهما، وتأخير الآخر على اللزوم لما أحرز ما ذكرناه^(٤). وأما القبس والجذوة والشهاب من القبس، فإن ذلك مما يفصل^(٥) في لغتنا بمراعاة أدنى شيء يسوغ افتراق التسمية، وذلك كثير في لغتنا^(٦) كقولهم: سيف، وصارم، ومهند، وقولهم في الثمر: طلع وضحك^(٧) وإغريض، وبلح، وسباب، إلى تمام أحواله العشر، له في كل حالة منها اسم، والمسمى واحد. ومتى كان للعرب تهمم^(٨) بشيء من الموجودات، وكان مما يكثر في كلامهم وضعوا له عدة أسماء اتساعاً، حتى إبهم قد أنهوا بعض المسميات إلى مائة اسم أو نحوها. وإنما كان هذا في لغة العرب لاضطرارهم إليه في الشعر والأسجاع^(٩)؛ فنولم تتسع اللغة العربية فيما ذكر لصاق عليهم الأمر، واعتناص النظم والنثر، وأقرب شيء أن^(١٠) يكون التعبير في تلك اللغة وقع بلفظ واحد، لا^(١١) يعبر في لغتهم عن ذلك المراد المقصود بغيره. ^(١٢) وقد أحرز وضع ذلك اللفظ العبراني ما يعبر عنه في لغتنا بعدة أسماء. وسواء عني^(١٣) في كل

(١) ك: ولما.

(٢) ح، هـ، ع: السورة.

(٣) ج، هـ، م، ع: القصة.

(٤) ب: لما أحرزنا ذكره.

(٥) ك: ينصل، ب: يقصد.

(٦) ك: الستة.

(٧) ساقطة من ب.

(٨) ج: تهمم.

(٩) ج، هـ، م: لأسجاع.

(١٠) ساقطة من ك.

(١١) ك: ولا.

(١٢) ح، هـ، م، ب: لغيره.

(١٣) ك: «وهو عين» في موضع: «وسواء عني».

اسم منها ما في المسمى، أو كانت مترادفة على المسمى من غير أن يرأى في شيء منها معنى ما في المسمى.

وأما تكرار ﴿أَوْ آتِيكُمْ﴾ في سورة النمل، فليس فيه إلا تكرار ما يحسرز التأكيد^(١) وتأکید ما هو خبر، ليس أمراً ولا نهياً إنما ثمرته وفائدته صدق^(٢) الأخبار، وذلك حاصل منها سواء تأكد أم^(٣) لم يتأكد. وإذا كان الكلام على ما قلناه والصدق حاصل على كل حال فلا يتكرر إذا حكي بمعناه، أو يؤكد مرة، ولا يؤكد أخرى، إذ لا زيادة للتأكيد فيه سوى الجري على مرتكبات العرب في مثله. وأما الإفصاح في السورتين الأخريين بالحاجة إلى النار، وهو الاصطلاء، ولم يقع ذلك في طه [١٥٧/ظ] فإن ذلك إخبار بزيادة لا يعارضها شيء مما في سورة طه. فمرة وقع به الإخبار، ومرة لم يذكر اكتفاء بذكره حيث ذكر. وأما التعبير عن الخبر في سورة طه بقوله: ﴿أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾، إفصاح بما هو معلوم من قوله في سورة النمل ﴿سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾، وقوله في سورة القصص ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾، لأن أهله لم يكن لهم من حاجة لغير الاصطلاء واستعلام طريقهم. فورد في سورة طه مقصيحاً بالمقصود، معبراً فيها بما هو مفهوم من آيتي: النمل، والقصص، من معنى الكلام وسياقه فلا اختلاف في شيء من ذلك كله، ولا تعارض ولا خلاف^(٤)، والحمد لله.

والجواب عن السؤال الثاني أن تخصيص كل سورة من هذه السور بما^(٥) ورد فيها مقتضيه بين. أما أولاً فإن فواصل هذه السور، ومقاطع آياتها مناسبة للوارد فيها. أما سورة طه فمقاطع آياتها لازمة الألف المقصورة، وعلى ذلك أي السورة كلها. وأما النمل والقصص فقد اكتنف الواقع من أي هذه القصة^(٦) فيها ما مقطعه^(٧) من

(١) في ك فقط، وبقيّة النسخ: التوكيد.

(٢) ج، هـ، م: صرف.

(٣) م، ب، ع: أولم.

(٤) ك. ولا اختلاف.

(٥) ج، هـ، ع: ما.

(٦) ج، ع: القصد.

(٧) ج، ع: يقطعه.

الأي النون الواقع قبلها الياء، أو^(١) الواو الساكنان بحسب ما تقدمهما^(٢) من حركتي الضمة والكسرة. فإن قلت: إن السورتين مستويتان^(٣) في هذا فما العارق؟ قلت: الإيجاز والطول. أما سورة النمل فأوجز في هذا المقصد، وأما سورة القصص فإن خبر موسى عليه السلام فيها يكاد يستغرق آيها كلها فناسبه طول الوارد فيها مما فيه الكلام وذلك غير خاف^(٤). وتأمل الوارد في سورة طه من قوله تعالى مخبراً عن نبيه عليه السلام من قوله: ﴿أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾، ومناسبة ذلك لما بُيِّنَتْ عليه سورة طه من تأنيس نبينا^(٥) عليه السلام وافتتاحها بقوله تعالى: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ يُلْحَقُ لك التلازم والتناسب. وقد وضع أن كل ما في كل سورة من السور الثلاث من هذه القصة لا يلائم غيرها، وأن كل قصة منها لا يحسن وقوعها في موضع الأخرى؛ لعدم المناسبة، وبُعْد التلازم، والله أعلم.

٢٤٢ - الآية الثانية من سورة طه [غ] قوله تعالى:

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ (١٥).

وفي سورة غافر (٥٩): ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾.

للسائل أن يسأل عن تحصيل^(٦) آية طه بقوله في وصف الساعة: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾، ووصفها في سورة غافر بقوله: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾، وعن زيادة اللام في آية غافر: ﴿لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾.

فهذان سؤالان.

(١) ك، ب: والواو.

(٢) ي م فقط وبقية النسخ: تقدمها.

(٣) ج، هـ، ب، ع: مستويتين.

(٤) ك. عبر كف.

(٥) ب: بينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم.

(٦) ب: صبغة السؤال (ين قبل لاى شيء خاص...).

والجواب عن الأول منهما، أن آية طه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يتضمن تأنيسه وتسليته عن حال كفار قريش في توقفهم عن^(١) الإيمان [١٥٨/ و] فافتُحَتْ^(٢) السورة بأجل^٣ التأنيس وهو قوله تعالى مبشراً لنبية عليه السلام مُقْسِماً على ذلك: ﴿ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾، ثم تتابع التعريف بتعظيم الكتاب وذكر منزلته^(٣) سبحانه وتعالى بما انفرد به من ملك السموات والأرض، وما بينهما، وما تحت الثرى، ووصفه بأنه يعلم السر وأخفى، وانفراده بأسمائه الحسنی ثم عرّف نبيه عليه السلام بابتداء أمر موسى عليه السلام، إلى قوله: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ تعريفاً بتعظيم خفاء أمر الساعة، وتغيب كُنْهها عن^(٤) الخلق، حتى كأن أمرها لم يُخبر عنه ولا وقع تعريف بشيء منه فهو إخبار بفرط إخفاء أمرها. وذلك لإعلام بوصف وحال لمن قد تقرر^(٥) بوقوعها يقينه^(٦)، وانطوى على علم كيانه إيمانه. ولما كان هذا الخطاب والتعريف لمن جرى^(٧) ذكره، من تنزهه^(٨) صلى الله عليه وسلم عن الارتباب في أمر الساعة لم يُحتج إلى نفي الريب، إذ مقام النبوة في الإيمان بها المقام الذي لا يُدَانَى^(٩). فلم يكن نفي الارتباب ليلائم ولا يناسب، وإنما عُرِفُوا بحال وصف تابع.

أما آية غافر فأكثر الخطاب المتقدم^(١٠) قبلها من أول السورة إليها، خطاب لقريش، وسائر كفار العرب وهم المجادلون في الساعة، والجاهلون بكيانها^(١١)،

(١) سقط من ك قوله: توقفهم عن.

(٢) ج، ك، ع: وافتتحت.

(٣) ك: منزلته.

(٤) ج: على.

(٥) هـ: نعد.

(٦) ك: وقوعها بغيبه.

(٧) في ك فقط، وبقيّة النسخ: حوى.

(٨) ج، هـ، ب، ع: ممن تنزه.

(٩) ج: لا دانا (؟).

(١٠) ج: المتقدر.

(١١) ج، ب: بكيانها.

والقائلون: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾^(١). فقدم لهم قبل ذكر الآية قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾^(٢)، فذكرُوا بما لا يمكن أحداً من المخلوقين إلا الاعتراف بعظيم أمره، والعجز عنه، وهو الخلق الأعظم. ثم أتبع بنفي الريب الذي هو ملتبسهم وصفاتهم، واتبع بتأكيد الإخبار بدخول اللام^(٣)، ونفي الريب في ذلك. وذلك أوضح شيء في المناسبة. فكل من الآيتين وارد على أتم مناسبة، ولا يمكن أن يقع الوارد في سورة غافر في سورة طه، ولا الوارد في سورة طه في سورة غافر، والله أعلم بما أراد.

والجواب عن الثاني أن آية طه وردت أثناء خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتأنيس والتسلية عما يلقاه من مكابرة قريش، وسائر كفار العرب، وتعريفه له بما جرى لموسى عليه السلام وظهوره على فرعون. فلم يكن ليناسب ذلك تأكيد الخبر عن أمر الساعة، إذ هو عليه السلام من أمرها على أوضح الجادة. أما آية غافر فإن قبلها تعنيف الكفار من قريش وغيرها. وعلى ذلك استمرت الآيات من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ - إلى قوله - ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾^(٤). فناسب ذلك من حالهم تأكيد الإخبار عن إتيان الساعة بدخول السلام، وصيرورة الآية بذلك في قوة المقيس [١٥٨/ظ] عليه تحقيقاً للأمر، وتأكيداً لما في طي ذلك من وعيدهم بسوء مآلهم. فورد كل من الآيتين على ما يناسب، والله أعلم.

(١) المؤمن/٣٧.

(٢) غافر/٥٧.

(٣) ك: الألف واللام.

(٤) الآيات ٥٦ - ٥٨.

٢٤٣ - الآية الثالثة من سورة طه قوله تعالى :

﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ^(١) . قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي . يَفْقَهُوا قَوْلِي . وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي . هَرُونَ أَخِي . أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي . وَاشْرِكْهُ فِي أَمْرِي . كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا . وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا . إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا . قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴾ (٢٤ - ٣٦) .

وفي سورة الشعراء (١٠) : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَتَيْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ^(١) . قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون ﴾ .

وفي سورة القصص (٣٢) : ﴿ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْتِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذُنُكُ بُرْهَنَانِ مِّنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ ﴾ - الى قوله - ﴿ وَمَنْ أَتَّبَعُكُمَا الْفَالِیُونَ ﴾ .

للسائل أن يسأل عن اختلاف المحكي من قول موسى عليه السلام حين بُعِثَ ^(٢) إلى فرعون مع اتحاد القضية في السور الثلاث ، وقد وقع في كل سورة منها ما ليس في الأخرى ، فيسأل عن ذلك ، وعن وجه اختصاص كل سورة بما ورد فيها .

والجواب عن السؤال الأول أن قول موسى عليه السلام ، لا توقف فيه ، في أنه

(١) ما بعدها إلى قوله : ﴿ بَصِيرًا ﴾ محذوف من ب ، وفي موضعه . إلى قوله .

(٢) ما بعدها إلى آخر آيات الشعراء والقصص محذوف من ب ، وفي موضعه : إلى قوله : ﴿ وَمَنْ أَتَّبَعُكُمَا الْفَالِیُونَ ﴾ .

(٣) ب : صيغة السؤال (إن قيل ما هذا الاختلاف في حكاية موسى حين بعث . . .) .

لم ترد حكايته إلا بالمعنى لاختلاف اللسانين كما تقدم. وإذا تقرر كونها بالمعنى والترادف فيما بين اللفظين في كل لفظتين يراد بهما معنى واحداً غير مُطَرَّد، فلا إشكال في أن المعنى قد يتوقف حصوله على الكمال، على تعبيرين أو أكثر، لا سيما مع ما في اللسان العربي من الاشتراك والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والحقيقة والمجاز، وغير ذلك من عوارض الألفاظ^(١). فكيف ينسكروا اختلاف التعبير عن المعنى الواحد بألفاظ وعبارات مختلفة، بل نقول: إنه لو كان المحكي قولاً عربياً وحكي بالمعنى لما استنكر اختلاف العبارة فكيف مع اختلاف اللسانين. والحاصل^(٢) من قول موسى عليه السلام^(٣) في هذه السور الثلاث سؤاله رَبِّهِ شَرِّحْ صدره، وتيسر أمره، وإطلاق لسانه، وتَشْكِيهِ منه، والتعاون بأخيه هارون عليها السلام، وخوفه أن يَكْذُبَ، وذكره ما تقدم منه من قول القبطي. على هذه القضايا السبع دار المحكي من كلامه عليه السلام. وقد يرد في سورة منها بعض ذلك مما ليس في الأخرى. ولم يتعارض شيء من ذلك، فارتفع الإشكال الْمُتَوَهَّمُ جملة.

والجواب عن السؤال الثاني، أن لو ارد في سورة طه من قوله: ﴿ رَبِّ اشرحْ لي صدري ﴾ [١٥٩/ و] الى أن قيل له: ﴿ قَدْ اوتيت سؤلك يا موسى ﴾، مناسب لما بنيت عليه السورة من التأنيس والبشارة لنبينا صلى الله عليه وسلم من لَدُنْ افتتاحها بقوله: ﴿ مَا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾، الى ختمها^(٤) بقوله لبيبه عليه السلام: ﴿ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾^(٥)، وقوله تهديداً ووعيداً لأعداء نبيّه: ﴿ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا ﴾ - الآية^(٦). ولا توقف في بيان هذا التناسب.

(١) ساقطة من ج، هـ، ع.

(٢) ج، ع. الحاصل.

(٣) ما بعدها إلى قوله: «كلامه عليه السلام» ساقطة من ج، ب، ع.

(٤) ختمتها.

(٥) الآية/١٣٢.

(٦) الآية/١٣٥.

وأما سورة الشعراء وسورة القصص، فإنما بناؤهما على قصص موسى عليه السلام. أما الشعراء، فمبنية على ابتداء إرساله ودعائه فرعون، ومراجعة فرعون إياه^(١) إلى نجاة بني إسرائيل بذبح الأبناء، واستحياء النساء للخدمة والمهانة^(٢) وتخليص موسى عليه السلام من ذلك وتكفل الله سبحانه به ابتداء ونشأة، إلى توجيهه إلى مدين ورجوعه من عند شعيب عليهما السلام، إلى ما تخلل ذلك، وما أعقب به إلى أخذ فرعون وهلاكه. ولما كانت سورة الشعراء مذكوراً فيها قصص الرسل مع أممهم ابتداء واختتاماً^(٣). فيما يخص حال الرسالة، إلى أخذ كل طائفة بما أخذت به - خصت من قصص موسى عليه السلام دعاء ومحاوره إلى أخذ فرعون وملئه. ولما كان قوله تعالى، في مطلع^(٤) سورة القصص: ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾^(٥) تأنيساً وتنبهاً لنينا عليه السلام قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾^(٦)، وفي آخر السورة الإفصاح من هذا التأنيس برجوعه إلى مكة بعد أن خرج عنها عليه السلام مهاجراً لأجل قومه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾^(٧).
 ناسب ذلك من قصص موسى عليه السلام خروجه إلى مدين ورجوعه إلى مصر، فتناسب هذا كله أكمل مناسبة في السور الثلاث. وإذا اعتبر ذلك، علم أنه لا يناسب كل سورة من الثلاث إلا ما خصت به، والله أعلم بما أراد.

(١) ساقط من ج، هـ.

(٢) جميع النسخ: المهنة.

(٣) ج، هـ: واختاماً.

(٤) ساقطة من ك.

(٥) الآية/٣.

(٦) هود/١٢٠.

(٧) القصص/٨٥.

٢٤٤ - الآية الرابعة من سورة طه (غ) ^(١) قوله تعالى :

﴿ فَأَتَيْنَاهُ فَقُولاً إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ (٤٧).

وفي سورة الشعراء (١٦) : ﴿ فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولاً إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾. ففي ^(٢) الأولى : ﴿ فَأَتَيْنَاهُ ﴾ ، وفي الثانية : ﴿ فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ ﴾ ، وفي الأولى : ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ بالثنية والإضافة إلى ضمير الخطاب ، وفي الثانية : ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، فورد هنا رسول بلفظ الإفراد وإضافة ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، والظاهر [١٥٩/ظ] أن أمر موسى وهارون عليهما السلام بما في الآيتين كان أول أمر أمراً به في إرسالهما إلى فرعون ، وأن أمرهما معاً بهذا لم يتكرر. وقد تقدم في سورة طه أمر موسى عليه السلام منفرداً عن أخيه هارون في أول تكليم الله تعالى له ، وأمره بخلع نعليه وإعطائه آيتي العصا واليد ، وأمره بالذهاب إلى فرعون وطلبه شرح صدره ، إلى طلبه ^(٣) المعونة بأخيه هارون. وبعد ذلك أمراً معاً بما في هاتين الآيتين ثم لم يتكرر حسبما ذكرناه بمقتضى الظاهر. فللسائل أن يسأل عن وجه الاختلاف فيهما ^(٤) ، ووجه ^(٥) اختصاص كل من السورتين بما ورد فيها.

والجواب عن الأول ما تقدم من أن ^(٦) الإخبار عن ذلك كله من كتابنا مُعْتَمَد فيه المعنى ، وقد تقدم بيان ذلك مستوفى. وأما وجه التخصيص بأن ورود اسم فرعون مضمراً في قوله : ﴿ فَأَتَيْنَاهُ ﴾ ، إنما ذلك لتقدم ذكره في قوله : ﴿ أَذْهَبْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾

(١) ساقط من ع.

(٢) ك: ني.

(٣) ج، هـ، ك، ع: طلب.

(٤) ج، ب، ع: فيها.

(٥) ب: صيغة السؤال (إن قيل: ما وجه الاختلاف فيها ووجه...).

(٦) ساقطة من ج، هـ، ع.

إِنَّهُ طَفَى. فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِنَنَا^(١)، فلم تكن إعادة اسمه ظاهراً مع الاتصال والقرب، إذ لم يفصل بين ظاهره ومضمرة إلا كلمتان.

أما آية الشعراء فقد اجتمع فيها أمران: أحدهما، الفصل بين مضمرة الاسم وظاهره مع إتيان الظاهر مضافاً إليه فضله إلى ما ذكر من الفصل ببضع وعشرين كلمة. والثاني، أن أمر موسى عليه السلام أولاً إنما ورد بإتيانه أمر فرعون قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. قَوْمٌ فِرْعَوْنُ﴾، فقد يتوهم أن الجارى على هذا أن لو قيل عوض قوله: ﴿فَأَتِيا فِرْعَوْنُ﴾ «فَأَتِهم»^(٢)، إلا أنه لم يقصد [باسمه]^(٣) إلا ذكر متبوعهم، فلم يكن بد من الإفصاح بذكره^(٤) غير مضمرة. وأما قوله تعالى في الأولى: ﴿فَقَوْلًا لَهُ إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ﴾، تشية لفظ رسول^(٥)، فوارد على اللغة الشهيرة. وأما قوله في الثانية: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فعلى لغة من يقول «رسول» للواحد والاثنين^(٦) والجمع، والمذكر والمؤنث، وعلى ذلك قول الهذلي: (رمل).

الْكَيْسِيُّ إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُولِ أَعْلَمُهُمْ^(٧) بَنَوَاحِي الْحَرَّةِ^(٨)

فورد في الأول في الترتيب الثالث على اللغة الشهيرة، والثاني على اللغة الأخرى، على ما تقدم في مثل هذا، وعكس الوارد محالف للترتيب ولا يناسب.

وأما قوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ﴾، بإضافة اسمه^(٩) تعالى إلى ضمير الخطاب، فإنه مناسب، من حيث ما فيه من التلطف والرفق لما تقدمه من قوله تعالى:

(١) (٢، ٤٣ - ٤٤، ١٠ - ١١) على الترتيب.

(٣) ع. ثانياً، وسافطة من ك، وبقيّة النسخ. بئنا.

(٤) ك: باسمه.

(٥) ج: رسولا.

(٦) ك: الاثنان.

(٧) ج، هـ، ع: أعلنهم.

(٨) البيت لأبي فزيع الهذلي في ديوانه الصديقي ١/١٤٦، ولم ينسبه العسكري في المصون في الأدب/١١٢.

(٩) ح اسم تعالى.

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ . وقد تفسر هذا القول ، وتبين ما فيه من التلطف ، بقوله ^(١) تعالى في سورة «الزمر» : ﴿ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ . وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ ^(٢) . وناسب هذا [١٦٠/و] علي ما بنيت عليه سورة طه من تأنيس نبينا صلى الله عليه وسلم ، وتأنيس موسى كلمه صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾ ^(٣) وما بعد إلى قوله ^(٤) : ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ ، وما بعد . فلما كان مبنى هذه السورة بجملتها على التلطف والتأنيس ناسب ذلك مما ^(٥) أمر به موسى عليه السلام من دعاء فرعون آنسه والطفه ، وأمر موسى عليه السلام وأخوه ^(٦) هارون بذلك فقبل لهما : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ ، وحرى على ذلك قوله : ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ ، فأشعرت هذه الإضافة التلطف الرباني ^(٧) . ولما لم تكن سورة الشعراء مبنية على ما ذكر ، وإنما تضمنت تعنيف فرعون وملكه وإغراقهم ، وأحد المكذبين للرسول بتكديهم . وهذا في طرف من التلطف ؛ ورد فيها : ﴿ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ بإضافة اسمه سبحانه إلى العالمين ^(٨) ليحصل منه أنه مالك الكل وأنهم تحت قهره تعالى وفي قبضته ، وعدل عن الإضافة إلى ضمير الخطاب ، إذ لم يقصد هنا ما قدم من التلطف . ونظير الوارد في هاتين الآيتين قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ ^(٩) ، تأنيساً لنبينا صلى الله عليه وسلم ثم ورد فيما بعد : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾ ^(١٠) ، فقف على ذلك في سورة الأنعام . وقد تبين جليل النظم وعليه التناسب في كل ما تقدم ، وأن عكس الوارد في هذه الآية لا يناسب ، والله سبحانه أعلم .

(١) ج ، هـ ، ب ، ع : وقوله .

(٢) الأبنان/ ١٨ - ١٩ .

(٣) الآيات/ ١٣ - ٣٦ .

(٤) ج ، هـ ، م : وما بعده بقوله .

(٥) ج ، هـ ، ك : ما .

(٦) م : وأخيه .

(٧) في ك فقط ، وبقي النسخ : الزماني .

(٨) الحار والمحروور سافطان من ك .

(٩ ، ١٠) الأبنان/ ١١٢ ، ١٣٧ .

٢٤٥ - الآية الخامسة من سورة طه (غ) قوله تعالى :

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ (٥٣).

وقال في سورة الزخرف (١٠) : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ .

للسائل أن يسأل عن وجه الاختلاف^(١) بين : «سَلَّكَ» ، و«جَعَلَ» ، ووجه اختصاص كل من السورتين^(٢) بما ورد فيها .

والجواب عن ذلك أن العبارتين في السورتين معناه متقارب وهو ما هيأه سبحانه لعباده من المذكور في قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾^(٣) والمراد سَلَّكَ وَجَعَلَ^(٤) ما خلق ، وذَلَّلَ سبحانه فيها ، وهيأه لتصرفاتنا في معاشنا ومنافعنا .

والجواب عن الثاني أن اختصاص كل واحدة من العبارتين بموضعها أن آية طه مقصود بها التلطف بالدعاء إلى الله على ما تقدم من أمره تعالى لموسى وهارون عليهما السلام في قوله : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾ . فلما بنى الكلام على هذا وأعقب بقوله : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ ثِبَاتٍ شَتَّى . كُلُّوْا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ﴾^(٥) ولا إشكال فيما في هذا من التلطف ، والرفق في الدعاء^(٦) ، ناسب ذلك العبارة بِسَلَّكَ عما أنهج تعالى [١٦٠/ظ] من السبل والطرق لمرافق العباد ومصالحتهم وهي منبئة عما يعطيه^(٧) ﴿ جَعَلَ ﴾ في الآية الأخرى مع زيادة الوضوح

(١) ب : صيغة السؤال (إن قيل ما وجه الاختلاف . . .) .

(٢) ب : السور .

(٣) الملك/١٥ .

(٤) ج ، هـ ، ب ، ع : جعل وسلك .

(٥) طه/٥٣ ، ٥٤ .

(٦) ك : والدعاء .

(٧) هـ ، م ، ب ، ع : تعطيه .

وكمال التهيئة، فهي أنسب لما قصد في هذه السورة بقول منتهج هنالك^(١)، أي وضع بين^(٢). ولو قلت مجعول لم يعط هذا المعنى من الوصوح.

أما آية الزخرف فمبنية على توبيخ من كفر من العرب وتقريعهم، ألا ترى قوله سبحانه: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾^(٣) وقوله إخباراً عن مكذبي الأمم: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾^(٤). وقوله: ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا ﴾^(٥)، أي من هؤلاء الذين كذبوك^(٦) يا محمد. فهذا كله من توبيخ الجاحدين^(٧) والمعاندين. وتأمل ما افتتحت به السورة من قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٨)، والتعقل لا يستلزم الاهتداء والإيمان. ألا ترى قوله سبحانه: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٩) فأين موقع قوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ من قوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴾، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾. فتدبر هذا يلح لك الفرق. فاسب هذا على ما ينبي^(١٠) عن الخلق والاحتراع من غير زيادة. فعمر هنا جعل، وأيضاً فقد اكتنف لفظ: ﴿ جَعَلَ ﴾ في الزخرف قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾، وقوله بعدها: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾^(١١) فاسب هذا ذكر الجعل، ولم يكر ليناسب هنا هذه المناسبة لفظ سلك، فجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

(١) ك: سالك.

(٢) ساقطة من ك.

(٣-٥) الآيات/٥، ٧، ٨ على الترتيب.

(٦) ح، ب كذبوا.

(٧) ك: توبيخ للجاحدين.

(٨) الزخرف/٣.

(٩) البقرة/٧٥.

(١٠) ح، هـ يسي على.

(١١) الآية/١٢.

٢٤٦ - الآية السادسة من سورة طه (غ) قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ (١١٢).

وفي سورة الأنبياء (٩٤) : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُونَ ﴾. فوردت آية طه منسوقة على ما قبلها بالواو، والثانية بالفاء المقتضية في مثل هذا استئناف التفصيل مع بنائه على ما قبله بمقتضى الفاء، ثم أَعْقِبَتِ الأولى بقوله : ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾، والثانية بقوله : ﴿ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾^(١)، ومقصود الأيتين واحد. فللسائل أن يسأل عن الفرق.

والجواب عن الأول أن قوله : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ ﴾، بواو النسق، ورد في مقابلة ما تقدمه من المعنى الحاصل من قوله : ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾^(٢)، لأن عَنْتِ الوجوه ذَلَّتْهَا^(٣) في القيامة، من^(٤) قولهم : العاني للأسير. فمن حمل ظلماً فقد خاب وخسر. ومن قدم خيراً أو عملاً صالحاً فلا يخاف ظلماً [١٦١/و]، أي زيادة سيئاته، ولا هضمًا، أي نقصاً من حسناته. هذا معنى^(٥) الكلام والله أعلم. فهذا موضع الواو، ولا مدخل فيه للفاء. أما قوله في آية الأنبياء : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ ﴾، فافتتاح تفصيل أحوال الفريقين لِمَا^(٦) قال تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾^(٧)، والمراد اختلافهم وافتراقهم في المذاهب والأديان. أتبع ذلك تعالى، ببيان حال المحسن والمسيء في افتراقهم فاستأنف تفصيل جزائهم فقول : ﴿ فَمَنْ^(٨) يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا

(١) زاد بعدها بي لك من الآية ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَكَنُيُونَ ﴾.

(٢) طه/١١١.

(٣) ج، هـ : ذلها.

(٤) جميع النسخ ومن.

(٥) ج : المعس.

(٦) ح، ع : بما.

(٧) الآية/٩٣.

(٨) ك : ومن.

كُفْرَانٍ لِسَعْيِهِ ﴿١﴾، إلى ما بعد، وفي قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١)، إلى ما يتلوه، بيان جزاء المسيء وحكمه. وربطت الفاء ما فُصِّل من الجزاء بما وقع الجزاء المُفَصَّل مربوطاً به، ومبنيّاً عليه، فالموضع للفاء ولا مدخل للواو هنا.

وأما تعقيب (٢) آية طه بقوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا﴾، فإفصاح بالتأنيس المناسب لما بنيت عليه السورة. وقد وضع هذا في الآية المترجم عليها قبل التي تلي هذه، ولم تُبْنِ آية سورة الأنبياء على ما ذكر، فجاء فيها بما يناسب، وورد (٣) كل عسى ما يجب، ولا يلائم عكس الوارد، ولا يناسب، والله أعلم.

٢٤٧ - الآية السابعة من سورة طه قوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى]﴾ (١٢٨).

وفي سورة السجدة (٢٦): ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾، فلحقت همزة الاستفهام - الوارد هنا تقريراً (٤) وتوبيحاً - حرف العطف، متقدمة قبله كما يجب، واختلف حرف العطف. فللسائل أن يسأل لم احتُصِت الأولى بالفاء من حروف العطف، والثانية بالواو، وعن زيادة «من» في سورة السجدة.

والجواب عن ذلك والله أعلم، أن قوله في الآية الأولى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾، كلام لم يتقدمه ما يكون هذا معطوفاً عليه، وإنما هو كلام مستأنف مبتدأ. ألا ترى ما تقدم قبله من قوله تعالى إخباراً عن (٥) أعرض عما جاءت به الرسل، فقال

(١) الآية/٩٥.

(٢) ك: وما تعقب.

(٣) ح، هـ، ك: وورد.

(٤) ح، ع: تفريعا.

(٥) ح، ع: عن من.

تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ﴾، أي بإعراضه عن اتباع الرسل، ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ - الآيات إلى قوله - ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾^(١). هذا إخبار عن جزاء من أعرض ولم يؤمن ثم ورد ما بعد مستأنفاً، وارداً مورد ما يرد [١٦١/ظ] من الكلام التفاتاً. وهذا مراد أبي محمد، ابن عطية بقوله: «ثم ابتداء توبيخهم وتذكيرهم، فقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ والضمير المجرور لكفار قريش، ومن كان معهم، أي: أفلم يتبين^(٢) لهم، والفاعل^(٣) على ما يفهم من^(٤) جملة الكلام وسياقه، أي^(٥): أفلم يهد لهم هذا المشاهد لهم الواضح من تقلبهم في بلاد عاد وثمود، يمشون في مساكنهم، ويعاينون آثار هلاكهم، و«كَمْ» مفعولة بأهلكنا، واستمر الكلام مع المذكورين إلى آخر السورة. وإذا كان قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ مبتدأ مستأنفاً^(٦)، فالموضع للفاء. وهذا كقوله في سورة الرعد: ﴿ أَفَلَمْ يَتَّسِرَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً ﴾^(٧)، وكقوله في سورة القتال^(٨): ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾، وما أتى من^(٩) مثل هذا، مما الوجه فيه الاستئناف ولم يقصد عطف على ما قبله، وإنما ارتباطه بما تقدمه من جهة المعنى، ولا مدخل فيه للعطف مع أن الالتحام حاصل من وجه آخر كما بينا.

وأما آية السجدة فالواو فيها عاطفة على مُقَدَّرٍ، لما قال^(١٠) تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ

(١) طه/١٢٤ - ١٢٧.

(٢) ج، ب، ع: بين.

(٣) ك: والفاء.

(٤) ساقطة من ج، ع.

(٥) ساقطة من ج.

(٦) ج، هـ، ع: مستأنف.

(٧) الآية/٣١.

(٨) هي سورة محمد صلى الله عليه وسلم. الآية/٢٤.

(٩) في م فقط.

(١٠) ج، هـ: قاله الله.

مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴿١﴾ كَانَ قَدْ قِيلَ: أَفَلَا يَذْكُرُوا (٢)، أَوَلَمْ
أَعْرَضُوا، أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ (٣) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ، أَمْ أُكْسِمُتَيْنِ لَهُمْ
إِهْلَاكٌ مِنْ تَقْدِمِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ. قال الزمخشري: «الواو في: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾،
للعطف على معطوف عليه متوًى من جنس المعطوف، والضمير في لهم، لأهل
مكة» (٤). قلت: وهذا هو عين ما قدمنا، وإنما لم تكن الواو بغير العطف، لأن الواو
لا يستأنف بها، بخلاف الفاء كما قدمنا، فاختلف المقصد من الأيتين، ووضح
مجيء الفاء في آية طه، والواو في آية السجدة.

وأما زيادة «من» في قوله في سورة السجدة: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، فإنما مقصود
فيها استغراق عموم، لمناسبة ما تقدم هذه الآية من حصر التقسيم في قوله: ﴿أَفَمَنْ
كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ (٥) وما أعقبت به، مما يفهمه قوله (٦):
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (٧)، إذ ليس هذا الوصف كالوارد في سورة
طه من قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾. فهذا يُشعر بعموم واستغراق
يناسبه، زيادة «من» في قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، فجاء كل على ما يناسب ويجب،
والله أعلم (٨).

٢٤٨ - الآية الثامنة من سورة طه [غ] قوله تعالى:

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
غُرُوبِهَا﴾ (١٣٠).

(١) السجدة/٢٢.

(٢) جميع النسخ: تذكر.

(٣) جميع النسخ: بكم.

(٤) الكشف/٢/٥٢٧.

(٥) السجدة/١٨.

(٦) ما بعدها إلى كلمة قوله في صدر آية طه ساقط من ج، هـ، ب، ع.

(٧) لسجدة/٢٩.

(٨) ح: والله سبحانه أعلم بما أراد.

وفي سورة ق (٣٩) [١٦٢/ق]: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾. فقال في الأولى: ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾، وفي الثانية: ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾، وفي سورة الطور^(١): ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ. وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾. فيسأل عن الفرق.

والجواب أن^(٢) ذلك - والله أعلم - لرعي الفواصل ومقاطع الآية. ألا ترى ما تقدم قبل آية «ق» من قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾^(٣)، فناسب هذا قوله: ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾. وأما سورة «طه» فقد اكتنفها، أي مقاطعها الألف المفتوح ما قبلها نطقاً، أو تقديرًا^(٤) فجاء ذلك على ما يجب في السورتين.

فصل:

وأما قوله تعالى في السورتين: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، فبناء على المتقدم فيهما^(٥) من قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، واتصاله^(٦) به بين الواضوح لأن المراد أمره عليه السلام بالصبر على أذاهم في قولهم: كاهن، ومجنون، وساحر، إلى غير ذلك مما نزه الله نبيه عليه السلام منه، فأمر بالصبر على ذلك، وأمر أن يستعين بصبره وصلاته كما قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٧)، وهو المراد أيضاً هنا. وعن الصلاة عبر بالتسبيح في قول أكثر المفسرين، وإن أريد

(١) الأيتان/٤٨، ٤٩.

(٢) ج، هـ، م، ع: عن.

(٣) الآية/٣٨.

(٤) في ك فقط، وبقي النسخ: وتقديراً - بالواو.

(٥) في ج فقط، وبقي النسخ: فيها.

(٦) في ك فقط.

(٧) البقرة/٤٥.

بالتسبيح معنى التنزيه بالذكر المعروف - فذلك أيضاً بين - والمعنى المتعارف^(١) ويكون مأموراً بالصبر، والذكر بالتنزيه، فالالتحام^(٢) بين. وإنما المشكّل قوله تعالى في سورة «ص»: ﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ﴾^(٣) - الآية، وربط قوله: ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴾^(٤)، بما قبله، ومطابقته إياه. وقد أجاب الزمخشري عن ذلك بما جرى فيه على شنيع المرتكب، وسوء الأدب، بناء على استبداد العبيد بفعلهم ما لا يرضاه الخالق، ولا يريد، فجعل الله شركاء، وأفرد^(٥) العباد بأفعالهم استبداداً ومِلْكَاً. وأجاب بناء على ما أصل، ولم يُوفّق في الموضع لوجه المطابقة ولا حصل. وأذكر - إن شاء الله - ذلك في أول آية سورة «ص»، على أوضح منهج بحول الله تعالى^(٦).

سورة الأنبياء عليهم السلام

٢٤٩ - الآية الأولى منها [غ] قوله تعالى:

﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٢).

وفي سورة الشعراء (٥): ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُّحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُّعْرِضِينَ ﴾. فورد في الأولى: ﴿ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾، وفي الثانية: ﴿ مِّنَ الرَّحْمَنِ ﴾.

(١) ك: متعارف.

(٢) هـ، م، ب: فالتنزيه بالالتحام.

(٣) (٤، ٣) الآية/ ١٧.

(٥) جميع النسخ: وإفرد.

(٦) زاد بعدها في ح: «والله سبحانه الموفق».

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾، مع اجتماع^(١) الأيتين في أن التذكير لا يجدي على من^(٢) ذكر في الأيتين. فليسائل أن يسأل [١٦٢/ ظ] عن الوجه في ذلك^(٣).

والجواب^(٤) - والله أعلم - أن هذين الاسمين العظيمين وهما: الربُّ والرَّحْمَنُ تَوَارَدَا^(٥) في الكتاب العزيز كثيراً. أول ذلك في الفاتحة، ثم إن اسمه سبحانه الرحمن، يغلب وروده حيث يراد الإشارة إلى العفو والإحسان والرفق بالعباد، والتلطف والتأنيس. فمن موارد في التأنيس: البسملة، وأم القرآن، وصدر سورة طه، وآية الشعراء المتكلم فيها، وما ورد من مثل الوارد في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾، فتحقيق^(٦) الاعتبار يقتضي تأويله بالرجوع إلى ما ذكرناه^(٧)، وأما اسمه: «الربُّ»، فيعم وروده طرفي الترغيب والترهيب، أما الترغيب فبين، وأما الترهب فحيث يراد معنى ملكيته سبحانه لهم وانفراده بإيجادهم، وإدراك أرزاقهم وبيان إنفراده تعالى بذلك ثم هم مع ذلك على كفرهم. ولما تقدم قبل آية الأنبياء من الأخبار ما طيه وعيد وترهب مع تطفه سبحانه بهم بتذكيرهم^(٨)، لم يكن ليناسب ذلك ورود^(٩) اسمه «الرحيم»^(١٠). ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾^(١١)، أشد تخويفاً^(١٢) للمخاطبين؛ ثم لفظ الناس لفظ لا يخص به المؤمنين إنما يراد حيث يراد عموم المخاطبين، ويكثر

(١) ك: اجتماع.

(٢) ج، هـ، ع، ما.

(٣) ب: صيغة السؤال (يسأل عن وجه ذلك).

(٤) ب: والجواب عن ذلك.

(٥) ج: تواردت.

(٦) ج، ب: بتحقيق.

(٧) ك: ذكرنا.

(٨) ج، ع: فيذكرهم، ج، م، ب: فتذكرهم.

(٩) ج، ب، ع: وورود.

(١٠) ج، ع: الرحمن.

(١١) الأنبياء/ واحد.

(١٢) هـ، م: تخويف.

حيث يراد الوعيد، والإنذار^(١) والتخويف والدُّعاء^(٢) الأولى إلى^(٣) العبادة^(٤) و^(٥)الدخول في الإسلام.

وأما من ذكر بعد وصفه بالغفلة والإعراض، وما انجر مع ذلك، فأهل الكفر والتكذيب، والسورة مكية، ولفظ: «الناس»، عام كما تقدم، إلا أن قوله بعد: ﴿وَأَسْرِوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، خاص بمن حكى قولهم الذي أسروه وهو: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾^(٦).

وأما آية الشعراء فمبنية على تأنيس النبي صلى الله عليه وسلم، وإعلامه أن توقف قومه عن الإيمان إنما هو^(٧) بقدرته^(٨) تعالى ولو شاء لأراهم آية تبهرهم^(٩)، كَنُتِقَ^(١٠) الجبل فوق بني إسرائيل. وإلى هذه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنْ تُشَأْ تُنْزَلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(١١). ثم رجع إلى الكلام [عن]^(١٢) تعنيف المكذبين. فلما كان بناء الآية على التأنيس والتلطف بنبينا^(١٣) صلى الله عليه وسلم، وإعلامه بأن تأخير العذاب عنهم^(١٤) إنما هو إبقاء منه تعالى ليستجيب من قُدِّرَ له الإيمان منهم، فأشار إلى هذا، وناسبه اسم «الرحمن»، فقال

(١) ج، ب، ع: الإيثار.

(٢) ج، ب: الوعيد.

(٣) ساقطة من ج، ب.

(٤) ج، ب، ع: العبادة.

(٥) هـ، م، ك: أو.

(٦) الأنبياء/٣.

(٧) في ك فقط وبقي النسخ: هي.

(٨) ك: بقدرته.

(٩) ج، ع: تبهرهم.

(١٠) ج، هـ، ب: كُنُتِقَ.

(١١) الشعراء/٤.

(١٢) جميع النسخ: إلى.

(١٣) زاد هـ في ب: محمد.

(١٤) ب: عليهم.

تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ ، فقد
وضح ورود كل من الاسمين في موضعه على ما يجب ويناسب ، والله أعلم بما
أراد .

٢٥٠ - الآية الثانية [١٦٣ / و] قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهْذَا الَّذِي يَذْكُرُ
ءَالِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٣٦) .

وفي سورة الفرقان (٤١) : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ أَنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهْذَا الَّذِي
بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا . إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ - الآية .

فيها^(١) سؤالان :

أحدهما : ظهور الفاعل^(٢) في الآية الأولى ، وإضماره في الثانية .

والثاني : ما وجه تعقيب الآية الثانية بما أعقبت به .

والجواب عن الأول - والله أعلم - أن الكفار المعاصرين لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ، لم يتقدم قبل آية الأنبياء فيما يليها من أي السورة^(٣) ، أو يقرب منها ،
خطاب يُعَيِّنُهُمْ^(٤) ويحصهم من غيرهم : إما تقدم قبلها قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَرِ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾^(٥) . وهذا يتناول كل
كافر مكلف ذي عقل ، كان من العرب أو غيرهم ، معاصر أو غير معاصر . ثم لم يقع
بعد هذه الآية ما يعارض عمومها . فلهذا تعين إظهار الفاعل في قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ
الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٦) ، اذ لو قيل : وإذا رأوك ، لما كان يمكن رجوعه إلا للمذكورين

(١) ك : هنا .

(٢) هـ ، م ، ب : الفاء .

(٣) م : السور .

(٤) ك : بعينهم .

(٥) الأنبياء / ٣٠ ، وزاد في ك منها ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

(٦) الأنبياء / ٣٦ .

قبل . في قوله : ﴿ أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، وليس خاصاً بالمعاصرين . فلم يكن
لياسب .

أما آية الفرقان فإن قبلها قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ
الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ ^(١) ، والمُنْزَل عليه القرآن معلوم صلى الله عليه وسلم ،
[والقائلون ^(٢)] معاصروه وهم الذين عُنُوا على القطع بقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ﴾ - الآية ^(٣) فلما تقدم ذكرهم غير مُتَّوَلٍ غيرهم وتعينوا ^(٤)
بالذكر ، واحتيج بعد إلى الإخبار عنهم أُنْهِيَ ^(٥) بضميرهم ، إذ هو أَوْجَز . وقد عَلِمَ
فقيل : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ ﴾ ، ولم يكن الإضمار ليناسب في آية الأنبياء ولم يكن الموجه
الإظهار ^(٦) هنا . فورد كل على ما يحب ويناسب ، والله أعلم .

والجواب عن السؤال الثاني أنه لما تقدم في سورة الأنبياء قوله تعالى : ﴿ أَمْ
اتَّخِذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يَتَّبِعُونَ ﴾ ^(٧) ، وقوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ
لَفَسَدَتَا ﴾ ^(٨) ، وقوله : ﴿ أَمْ اتَّخِذُوا مِن دُونِهِ إِلَهًا ﴾ ^(٩) ، فتكرر ذكر مُرْتَكِبِهِمْ في
اتخاذهم معبودات لا تغني عنهم ، ناسب قولهم : ﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾ .

أما آية الفرقان فقد تقدمها قوله : ﴿ مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي
الْأَسْوَاقِ ﴾ ^(١٠) ، فأنكروا كون الرسل من البشر . فجري مع ذلك وناسب قولهم :
﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ ، تعجباً واستبعاداً أن يكون الرسل من البشر .
وقد رد ذلك [١٦٣/ظ] عليهم بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ

(١) الآية / ٣٢ .

(٢) جميع النسخ : فالقائلون .

(٣) ك راد من الآية . ﴿ جملة واحدة ﴾ - بدلاً من كلمة لآية .

(٤) ك : وعوا .

(٥) ج : أُنْهِيَ .

(٦) ك : ولم يمكن الإظهار .

(٧ - ٩) الآيات / ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ - على الترتيب .

(١٠) الآية / ٧ .

لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴿١﴾، فوضح التناسب فيما تقدم^(١)، والله أعلم.

٢٥١ - الآية الثالثة (غ) قوله تعالى:

﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾ (٤٥).

قراءة الجماعة إلا ابن عامر^(٢)، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ﴾. وابن عامر: «ولا تُسمع الصم الدعاء» - بضم التاء، وفتح الميم من الصم.

وفي النمل (٨٠)، والروم (٥٢): ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ﴾.

قراءة آئن كثير بفتح^(٣) الياء^(٤) ورفع الميم^(٥) كقراءة^(٦) الجماعة في آية الأنبياء، وقرأه الباقر^(٧) «وَلَا تُسْمِعُ الصَّمُّ» بضم التاء وفتح الميم^(٨)، كقراءة ابن عامر في الأنبياء^(٩)، فاستوت الآي الثلاث في ورود القراءتين على الجملة، وفي المعنى

(١) الآية / ٢٠.

(٢) راد بعدها في ك: «فيها»

(٣) ما بعده إلى «ابن عامر» محذوف من ك مما أحل بالعبارة.

(٤) ك: بضم.

(٥) ج، ع: التاء.

(٦) ك: وفتح الميم.

(٧) ما بعدها إلى قوله: «وفتح الميم» ساقط من ج.

(٨) ك: وقراءة الباقرين.

(٩) ب: «وَلَا تُسْمِعُ» بالفتح في التاء والميم.

(١٠) يتلخص خلاف القراء في الآيات الثلاث على الوجه التالي:

آية الأنبياء: ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ﴾ بالمضارع من سمع مع المفرد الغائب، والصم فاعل، وهي

قراءة ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وعموم الجمهور.

﴿وَلَا تُسْمِعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ﴾ بالمضارع للمفرد المخاطب، والصم مفعول به، وهي قراءة ابن عامر

وحده.

آية النمل والروم. قرأها الجمهور بقراءة ابن عامر في الأنبياء، وقرأها ابن كثير بقراءة الجمهور في

الأنبياء. أنظر الإتحاف / ٣١٠، ٣٣٩، ٣٤٩، السبعة: ٤٢٩، ٤٨٦، ٥٠٨.

المقصود. ثم ختمت الأولى بقوله: ﴿إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾، وآية النمل والروم: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾، فيسأل عن ذلك.

والجواب - والله أعلم - أن آية الأنبياء تقدمها أمره عليه السلام بخطاب حاضريه، وإنذارهم بما أوحى إليه^(١)، وإعلامهم بأن إنذاره إليهم لا يجدي عليهم تسلية له عليه السلام، وإعلاماً^(٢) بما سبق لهم أولاً فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾^(٣)، ثم قال لهم: ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ﴾، فاعلمهم بإعلام الله تعالى بأنهم صُمُّوا عن سماعه ومنعوا ثمرته من الإجابة لما سبق عليهم فقال: ﴿إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾، أي أنهم وقت إنذارهم ممنوعون عن السمع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾^(٤). ولما ورد قبل آيتي النمل والروم قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾، إلحاقاً لحال^(٥) المخاطبين بهم في عدم الجدوى عليهم^(٦) ناسب ذلك قوله: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾، فورد^(٧) التناسب في نظام هذه الآي، وأن العكس لا يناسب والله أعلم.

٢٥٢ - الآية الرابعة قوله تعالى في إبراهيم:

﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ. قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ (٥٢، ٥٣).

وفي سورة الشعراء (٧١): ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا

(١) ج: الله.

(٢) ج: إعلاماً، هـ: م، ب: إعلام.

(٣) الأنبياء/٤٥.

(٤) الكهف/٥٧.

(٥) ج، ب، ع: بحال.

(٦) ج: عنهم.

(٧) ك: فوضع.

تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَكْفِينَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ. قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ^(١). فورد في الأولى: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾، وفي الثانية: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾، فيسأل عن^(٢) زيادة ﴿بَلْ﴾ في الثانية. وقد يسأل عن المختلف في حكاية قول إبراهيم عليه السلام في الأولى: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾. وظاهر القصة أنها واحدة وقد اختلف المحكي.

والجواب عن الأول - والله أعلم - أن جوابهم في الموضعين ليس جواباً لسؤال واحد، وإنما ورد جواباً^(٣) لسؤالين فاختلف بحسبهما. فسؤاله في آية الأنبياء سؤالٌ مُطْلِعٌ على معبوداتهم ما هي بعد أن شاهد عبادتهم [١٦٤/ و] لها ولزومهم إياها، وكيفية^(٤) ظهورها فقال: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾، أي ملازمون فلم يجد جواباً إلا إعرافهم بتقليد آباءهم في عبادتها؛ فجابوه بقولهم: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾، وحصل إعرافهم بأنها تماثيل مصورة منحوتة. والتمثال^(٥) ما جُعِلَ من الصور مثلاً لغيره، ونُحِيَ به نحوه، فأقروا بالعمر عن جواب مقنع، واستشعروا ما يلزمهم في عبادة ما يصنعونه بأيديهم، وتقدم وجودهم وجوده، فرجعوا إلى التقليد، فوقع جوابهم على ما تقدم.

وأما آية الشعراء، فإن سؤال إبراهيم عليه السلام إياهم بقوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، ورد مورد سؤال عن ماهية^(٦) معبوداتهم، وكيفية^(٧)ها، وكأنه عليه السلام يشاهدها^(٨)، وعلم أنهم يعبدون ما لا يُعْبَدُ فسألهم عن ماهيته^(٩)، فجابوه

(١) على هامش م أمام الأيتين بدون إحالة: «وفي الزخرف والصفات».

(٢) ما بعدها إلى قوله «وقد يسأل عن» ساقط من ج، ع.

(٣) ساقطة من ك.

(٤) ح، ب، ع: ليفيد.

(٥) ك، ب: والتماثيل.

(٦) ك: سألته.

(٧) ك: لم يشاهدها.

(٨) ما بعدها إلى قوله «عاكفين» من الآية ساقط من ك.

يقولهم: ﴿ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيِينَ ﴾^(١)، فجاءوا به معترفين^(٢) بما هم عليه معبوداتهم على ما أمرهم عليه^(٣)، وطابق جوابهم سؤاله فأردف عليه السلام بسؤال آخر قاصداً تعجيزهم، والقطع بهم فقال: ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴾^(٤)، أي: إن كانوا هكذا مستبدين غير مفتقرين، فذلك عذرٌ في عبادتكم إياهم، فلما استشعروا ما يلزمهم عدلوا عن الجواب، وأضربوا عن طرفي الإثبات والنفي^(٥) إلى تقليد الأباء، وقالوا: ﴿ بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾. وحصل من جوابهم بمفهوم الإضراب بـ «بَلْ»، أن آلهتهم لا تسمع، ولا تنفع، ولا تضر، إذ لو انصرفت^(٦) بوجود هذه الصفات، لما عدلوا إلى^(٧) الإضراب. فإن قيل: إنما أضربوا عن أن يجيبوا بنفي أو إثبات^(٨) فكيف يقال إن اعترافهم حاصل بأنها لا تسمع، ولا تنفع، ولا تضر. فأقول لو وجدوا أدنى شبهة لتراموا إليها^(٩). فقد وضح أن جوابهم هاها على ما تنوّه^(١٠) جواباً عليه، لا يمكن غيره إلا بمخالفتهم المحسوس لو أنهم^(١١) قالوا إنها تسمع، أو تنفع، أو تضر أو سببتهم أنفسهم إلى ما لا عذر لعاقل في ارتكابه، ولا شبهة لو أفصحوا جواباً بأنها لا تسمع، ولا تنفع، ولا تضر. ثم استمروا على عبادتهم إياها، فأضربوا عن ذلك إلى اعتمادهم على تقليد^(١٢) آبائهم وجعلوا ذلك حجة على مرتكبهم، على وهن هذا التعلّق. ولهذا قيل لهم: ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(١٣)، فقد تبين

(١) ك: معرفين.

(٢) ج، ع: على ما هم عليه.

(٣) ساقط من ك.

(٤) ج: تصف، هـ: انطقت.

(٥) في ك فقط وبقية السخ. من.

(٦) ج، هـ، م: وإثبات.

(٧) ك: عليها.

(٨) ك: ها بناء على ما بنوه.

(٩) ج، ع: لو أن.

(١٠) ك: تعبد.

(١١) الأنبياء/ ٥٤.

أن حوابهم هنا بـ «بل» لازم لما قصده لا يمكن سقوطها، وأن حوابهم في آية الأنبياء لا يمكن فيها «بل» بوجه^(١). فورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الثاني أنه لا حامل على القول بأن القصة واحدة، وإذا أمكن أن يكون ذلك في محلين ووقتین لم يلزم^(٢) اتحاد الجواب، فلا سؤال والله أعلم.

٢٥٣ - الآية الخامسة قوله تعالى: [١٦٤/ظ]

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (٧٠).

وفي «الصفات» (٩٨): ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾.

هنا سؤالان:

أحدهما: ما وجه الاختلاف مع اتحاد المقصود في الموصعين.

والثاني: ما وجه اختصاص كل موضع بما ورد فيه.

والجواب عن السؤالين معاً، أن الخاسر عندنا من فقد ما بيده^(٣) من سبب أو مال، كان يعتمد عليه لذيابه ومعاشه أو محاولة فسدت عليه فساءت حاله لذلك ومهما استحسنت حاله في ذلك كان أحسر. وقد جعل سبحانه الخسران المبين، من خسر الدنيا والآخرة. وأعلمنا تعالى أن الأخسرین من^(٤) لا يقام لهم^(٥) وزن في القيامة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ - إلى قوله - ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾^(٦)، فلا أدون حالاً من

(١) ك: يوحد.

(٢) ساقط من ج.

(٣) ب: صيغة السؤال: «إن في» ما وجه الاختلاف مع اتحاد المقصود في الموصعين؟ وما وجه اختصاص كل موضع بما ورد فيه؟ والجواب أن الخاسر عندنا من فقد ما بيده... .

(٤) ساقطة من ك.

(٥) جميع النسخ: له.

(٦) الكهف/١٠٣ - ١٠٥.

هؤلاء . ولما أراد قوم إبراهيم عليه السلام به الكيد ، ألحقهم تعالى بهؤلاء عقوبة توافق مرتكبهم وسوء انتحالهم والأحسرون هم الأسفلون . ولهذا كان مطلوب الكافر في الآخرة وتَمَنِّيهِ لو بلغه إلحاق من أضلَّهُ من الجن والإنس بهذا النمط . قال تعالى مخبراً عن حالهم في الآخرة : ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَفْدَانِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾^(١) . فالصفتان^(٢) من الخسران والسفالة^(٣) غاية حال الكافر ومن كان من الأخسرين^(٤) ، فقد خسر خسراناً مبيناً . فلا تضاد بين الصفتين ، سوى أن السفول^(٥) لاحق في ذات المُسْتَفْلِ . والخسران حقيقة في خارج عنه . فالسفل أبلغ . فقدم ما هو لاحق خارجي ، وآخر ما لا يتعدى ذات المتصف به تكملة ، وتيممة ، إذ هو أبلغ على ما يجب ، وعلى ما قدمنا من رعي الترتيب . والتسفل ضد الترقى . فورد كل على ما يجب ويناسب .

وقيل في آية^(٦) الصفات مقابلة قولهم^(٧) : ﴿ ابْتَأُوا لَهُ بُنْيَانًا ﴾ ، لأنه يفهم منه إرادتهم علو أمرهم بفعلهم ذلك فقولوا بالصد فجعلوا الأسفلين . قال معناه صاحب الدرة^(٨) وهو حس ، والله أعلم .

٢٥٤ - الآية السادسة قوله تعالى :

﴿ وَيُؤَيِّبُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ (٨٣ - ٨٤) .

(١) فصلت/ ٢٩ .

(٢) ج ، ب ، ع : فالصفات .

(٣) ح ، ع : الشعاعة .

(٤) هـ ، م . الأسفلين .

(٥) في ك فقط وبقية النسخ : المسفل .

(٦) هـ ، م ، ك : آيات .

(٧) ساقط من ك .

(٨) راجع درة التنزيل/ ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

وفي سورة «ص» (٤١): ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ
بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ. ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ^(١)». وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ
وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿. ففي آية الأنبياء ﴿رَحْمَةً مِن
عِبْدِنَا﴾، وفي آية «ص» ﴿رَحْمَةً مِنَّا^(٢)﴾. وفي آية الأنبياء: ﴿وَذِكْرَىٰ
لِلْعَابِدِينَ﴾، وفي سورة «ص»: ﴿لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ فيسأل عن الفرق في
الموضعين [١٦٥/ و] ووجه الاختصاص.

والجواب على الجملة - والله أعلم - أنه لما ورد في الأنبياء تَلَطَّفَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ بقوله: ﴿مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فلما تَلَطَّفَ فِي سؤَالِهِ^(٣)،
[لَمْ] يَفْصَحْ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَلَطُّفًا وَتَضَرُّعًا بَعْظِيمًا^(٤) مَا أَصَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ. [أَمَّا] إِفْصَاحُهُ
فِي آيَةِ «ص» بقوله: ﴿مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾، فَبِنِى^(٥) عَلَى كُلِّ^(٦) مَا
يُنَاسِبُهُ^(٧)، فَقِيلَ جَوَابًا عَلَى عَظِيمِ تَضَرُّعِهِ وَتَلَطُّفِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَسْنِي الضُّرِّ﴾، مَا
يَلَائِمُ لَطِيفَ هَذِهِ الشَّكْوَى، وَعَلَى قَوْلِهِ: ﴿مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾، مَا
يُنَاسِبُ إِفْصَاحَهُ هَذِهِ^(٨) الْبَلْوَى فَقِيلَ بِنَاءً عَلَى الْأَوَّلِ^(٩): ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ
ضُرِّ﴾، وَقِيلَ بِنَاءً عَلَى الثَّانِيَةِ: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾، لَمَّا وَقَعَ ذِكْرُ الشَّيْطَانِ، وَأَنَّهُ
السَّبَبُ فِي ذَلِكَ الْاِمْتِحَانِ وَحُوبِ^(١٠) النَّاسِ تَعَمُّالِ سَبَبٍ، فَقِيلَ لَهُ: ارْكُضْ بِرِجْلِكَ
وَاعْتَسِلْ، فَذَلِكَ يُذْهِبُ عَنْكَ مَا مَسَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَحِينَ لَمْ يَذْكُرْ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَاسْطَةَ جُوبِ^(١١) الْبَرْفِ مَا بِهِ، بَغَيْرِ وَاسْطَةِ سَبَبٍ، فَقِيلَ جَوَابًا لِقَوْلِهِ: ﴿مَسْنِي

(١) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب وي موضعه الآية.

(٢) ك: منه تحريف.

(٣) اِحَارَ وَاجْرُورَ عُدُوْقَانِ مِنْ ك.

(٤) جميع النسخ: ولم.

(٥) ج، ب، ع: معظم.

(٦) ج، هـ: فمبني.

(٧) راد هنا في ك قوله: «من الانبياء».

(٨) هـ، م، ك: يناسب.

(٩) ج، بهذا.

(١٠) في ك فقط وبقية النسخ: الاولى.

(١١) (١٢، ١١) ك: جوب (مكذا).

الضرر ﴿﴾ ، ﴿ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضِرٍّ ﴾ ، وبني على الأول قوله : ﴿ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ ، لتمكن «عد» فيما قصد ، وعلى الثاني : ﴿ رَحْمَةً مِثًّا ﴾ ، إذ ليس موقعها موقع ﴿ مِنْ عِنْدِنَا ﴾ ثم قيل في الأولى : ﴿ وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ ، مناسبة لما تقدم ، وقيل في الثانية : ﴿ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ مناسبة أيضاً ، إذ اعتبار أولي الألباب يؤرثهم مقام العابدين ، وهو أسنى مقام ، وكل ذلك بعد مقامات عليّة ، وأحوال جليّة . وقد جرى مع كل مقام ما يناسبه ، ووضح أن كلاً من هذه المبيّنات على ما قبلها لا يلائمه غير ما بُني عليه ، والله أعلم .

وأما وجه الخصوص الواقع في كل من السورتين بموضعه ، فإن سورة الأنبياء لما ورد فيها من قصص الأنبياء المذكورين قبل ذكر أيوب عليه السلام ، أعلى مقاماتهم ، ولم يرد في ذلك ما يخرج عن هذا . وذلك من لدن قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ ^(١) . ناسب ذلك من قصة أيوب عليه السلام ما يلائم هذا العرص . ولما ورد في «ص» ما بُني عليه قوله تعالى : ﴿ وَضَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴾ - الآية ^(٢) ، وما بُني عليه قوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ - إلى قوله - ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي ﴾ ^(٣) ، ناسب ذلك أيضاً ما أعقب به من قصة أيوب عليه السلام . فتأمل الورد من قصص داود وسليمان في قوله في الأنبياء : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ ^(٤) والوارد من ^(٥) قصصهما في سورة «ص» واعتبر ذلك فإن الفرق في ذلك بين قد تنزل على كل من هذه القصص في السورتين ما يناسبهما [١٦٥/ظ] من قصص أيوب وإذا استوضح ذلك عَلِمْتَ أَنَّ كلاً منهما لا يناسبه غير موضعه . ثم إن كلاً من الآيتين

(١) الأنبياء/ ٥١ - ٨٢ .

(٢) (٣ ، ٢) الأيات/ ٢٤ - ٢٥ ، ٣٤ - ٣٥ عن الترتيب .

(٤) (٤) الأيات/ ٧٨ - ٨٠ .

(٥) (٥) ج ، هـ ، ب ، ع ، د .

في السورتين قد جرى على ما اتصل به مما^(١) تقدمه به ، وتأخر عنه من فواصل الآي ومقاطعها . فلو وردت على العكس لما ناسب آية منها^(٢) ما اتصل بها ، فحصل التناسب^(٣) في اللفظ والمعنى على أوضح شيء ، وأنه لا يمكن عكس الوارد على ما قد تمهد بوجه ، والله أعلم بما أراد .

٢٥٥ - الآية السابعة من سورة الأنبياء قوله تعالى :

﴿ وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ (٩١) .

وفي سورة التحريم^(٤) (١٢) : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ . فيسأل عن وجه الاختلاف^(٥) في الضميرين مع اتحاد المعنى المقصود من الواقع به الشئ^(٦) وإن اختلف الحامل^(٧) على ذكر قصتها^(٨) في الموضعين ، وعن وجه اختصاص كل من الموضعين بالوارد فيه .

والجواب عن الأول - والله أعلم - بعد تسليم اتحاد^(٩) المعنى والواقع فيه الشئ^(١٠) أن الضمير في الأولى عائد إلى ما أشير إليه بالموصول الذي هو «التي» ، وهي مريم ابنة عمران ، المفتتح^(١١) باسمها في آية^(١٢) التحريم ، أعيد الضمير هنا

(١) ج ، ع : ما .

(٢) ساقطة من ك .

(٣) هـ ، م . بالتناسب .

(٤) في هامش «م» : وفي الزخرف والصفات وما فيها في غير السياق المذكور .

(٥) ب : صيغة السؤال (يقال ما وجه الاختلاف . . .) .

(٦) ك : البناء .

(٧) ك : التحامل .

(٨) ج ، ب ، ع : قصتها .

(٩) ب . بعد اتحاد نسليم .

(١٠) ك : الواقع به البناء .

(١١) ك : المفتحة .

(١٢) ج ، ع : الآية .

إليها من حيث إن ذلك تخصيص وتكريم جليل ، وآية باهرة ، وقد قصد ها هنا تشریفها ، وتشریف أبنها عليهما السلام بالذكر في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً ﴾ ، ولم يقع في آية التحريم ذكر ابنها . فلما اتسع المقصود هنا بذكر من لم يذكر هناك ، وقصد من التشریف ما هو أكثر ؛ ناسبه التوسعة في عودة الضمير ، فأعيد إلى الذات المطهرة بجملة فقيل^(١) : ﴿ فَتَفَخَّنَا فِيهَا ﴾ . وأفهم ذلك ما أفهمه الضمير الخاص^(٢) بمحل النفع من غير إشكال . وقيل في آية التحريم ﴿ فِيهِ ﴾ يعود^(٣) إلى الموضع المخصوص على ما يجب ، إذ لم يقصد هنا من توسع المدح ما قصد في الأولى ، وإنما قصد بآية التحريم تخصيصها في ذاتها بعظيم إيمانها وإثباتها في القانتين ، وتشبيه حالها في سابق سعادتها بالمذكورة قبلها ، واجتماعها^(٤) في ضرب المثل بها^(٥) للمؤمنين . فالحامل على ذكرها هنا^(٦) غير الحامل في سورة الأنبياء ، مع اتحاد الوصف الواقع به^(٧) التمدح . هذا^(٨) مع تناظر الألفاظ وتشاكلها وهي قوله : ﴿ الَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا فَتَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ﴾ ، فاجتمع في هذا الوضع ما قصد من مدحها ومدح ابنها عليه السلام ، مع مضارعة الألفاظ وتشاكلها . فجاء كل على ما ثبت فيه ولم يقصد في آية التحريم غير ذكرها بالحال التي ناسبها فيه امرأة فرعون [١٦٦/ و] ولم يوسع الكلام بذكر ابنها عليه السلام ، كما ذكر في الأخرى ولا [توجد] هنا داعية تشاكل كما هناك^(٩) . فلهذا ورد الضمير على ما ورد من المخصوص ، فقبل «فيه» .

(١) ساقط من ك .

(٢) ج ، ع ، هـ ، ب الحاصل .

(٣) في ك ، وبقية النسخ : عودته .

(٤) ك : واجتماعها .

(٥) هـ ، ك : هما .

(٦) هـ : ذكر ما بينا .

(٧) ك : فيه .

(٨) ساقط من ك .

(٩) ك : ولا هنا عه تشاعل كل ما هالك .

والجواب عن وجه اختصاص كل واحد من الموضعين بالوارد فيه أن آية الأنبياء وردت منسوقة على آيات^(١) تضمنت ذكر جملة من الرسل موصوفين بخصائص عليّة وآيات نبوية أولهم إبراهيم عليه السلام، ثم ابنه إسحاق، وابنهم يعقوب، ثم نوح، ولوط، وسليمان، وإيوب، وعيسى^(٢)، وإسماعيل، وإدريس، وذو الكفل، وذو النون^(٣)، وزكريا^(٤). فلما ذكر هؤلاء الذوات^(٥) العليّة عليهم السلام بخصائص ومنحٍ ناسب ذكر مريم وابنها عليهما السلام بما منحها.

وأما آية التحريم فمقصود فيها ذكر عظيمتين جليلتين تبين بهما حكم سبقة القدر بالإيمان أو الكفر^(٦)، وهما قضية امرأتي نوح ولوط وأن انضواءهما^(٧) إلى هذين النبيين الكريمين عليهما السلام إنضواء^(٨) الزوجية التي لا أقرب منها، ومع ذلك لم يعنيا عنهما من الله شيئاً. وقضية^(٩) امرأة فرعون وقد انضوت^(١٠) إلى أكفر كافر، فلم يضرها كفره. ثم ذكرت مريم عليها السلام للاكتفاء^(١١) في الاختصاص، وسبقة السعادة ولم يدع دأع إلى ذكر انها. فلا وجه لذكره هنا.

وأما آية الأنبياء فلذكره هناك أوضح حامل، فجاء كل على ما يجب ولا يمكن فيه عكس الوارد^(١٢) والله أعلم.

(١) ج، ب، ع: آية.

(٢) ساقط من م، ك، ب، ع.

(٣) ج، ك، ب: ذا النون.

(٤) ب: زاد هنا «عل نبينا وعليهم الصلاة والسلام» - هكذا.

(٥) في ب فقط.

(٦) ك: والكفر.

(٧، ٨) ك: انطواهما، انطواء.

(٩) ك: وقصة.

(١٠) ك: انطوت.

(١١) ح، ه، ب: للاكتفاء.

(١٢) ك: للعكس في الوارد.

٢٥٦ - الآية الثامنة من سورة الأنبياء قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ . وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ
كُلُّ الْيَتَا رَاجِعُونَ ﴾ (٩٢، ٩٣) .

وفي سورة المؤمنين (٥٢) : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ .
فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ .

للسائل أن يسأل^(١) عن قوله^(٢) في الأولى : ﴿ فَاعْبُدُونِ ﴾ ، وفي الثانية :
﴿ فَاتَّقُونِ ﴾ ، وفي الأولى : ﴿ وَتَقَطَّعُوا ﴾ ، وفي الثانية : ﴿ فَتَقَطَّعُوا ﴾ ، وفيها
أيضاً ﴿ زُبُرًا ﴾ ، ولم يرد ذلك في الأولى ، وأثبتت الأولى بقوله : ﴿ كُلُّ الْيَتَا
رَاجِعُونَ ﴾ ، والثانية بقوله : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾^(٣) . فهذه أربعة
مواضع^(٤) يسأل عنها .

فأقول تمهيداً للجواب : الأمة هنا المِلة ، وقوله : ﴿ إِنَّ هَذِهِ ﴾ إشارة إلى ملة
الإسلام . قال الزمخشري : أي ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها
لا تنحرفوا عنها ، ملة واحدة غير^(٥) مختلفة ، وأنا إلهكم اله واحد فاعبدون ،
والخطاب للناس كافة . قال : والأصل تقطعتم ، إلا أن الكلام صرف [١٦٦ / ظ] إلى
الغيبة على طريقة الالتفات ، كأنه ينعي عليهم^(٦) ما أسدوه إلى آخرين ويقبح
عندهم فعلهم^(٧) ويقول لهم ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله .
والمعنى : جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً كما تنوزع^(٨) الجماعة الشيء

(١) زاد في ع : «هنا» .

(٢) ب : صيغة السؤال : «إن قيل لم ورد في الأولى» .

(٣) ما بعدها إلى قوله يسأل عنها محذوف من ب .

(٤) زادها في ع : «مما» .

(٥) ك : وغير .

(٦) ك : ينفي عنهم .

(٧) في ك فقط وفيه النسخ «فعله» .

(٨) ج ، هـ ، ع : تازع .

ويقتسمونه فيصير لهذا نصيب [ولسذلك^(١)] نصيب، تمثيلاً لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقاً وأحزاباً شتى ثم توعدهم بأن هؤلاء المرقق المختلفة إليه يرجعون، فهو محاسبهم ومجازيهم. هذا معنى كلامه^(٢).

ونرجع إلى^(٣) الجواب فنقول: الجواب الأول، أن سورة^(٤) الأنبياء، لم يرد فيها لفظ «التقوى» في أمر ولا خبر من أولها إلى آخرها وورد فيها^(٥) الأمر بالعبادة من قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٦). وأما سورة المؤمنين فتكرر فيها ذكر التقوى في ثلاثة مواضع: أولها: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٧).

[ثانيها]، القصة التالية لهذه: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٨).

[ثالثها] فيما بعد الآية المتكلم فيها: ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٩).

فروعي في الأولى ما تقدمها، ونوسب بالثانية ما اكتنفها. وأيضاً فإن العبادة مأمور بها ليحصل الاتقاء، فهي مقدمة في الطلب ليحصل ما يتسبب عنها، إذا كانت الإجابة. وعلى ذلك ورد دعاء الخلق. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١٠)، وفي سورة المؤمنين المذكورة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

(١) ك: لذلك، وبقية النسخ: لهذا.

(٢) أنظر: الكشاف ٢/ ٣٣٦ - ٣٣٧.

(٣) ساقطة من ج، ع.

(٤) ك: ونرجع إلى الجواب عن الأول أن سورة (هكذا).

(٥) ساقطة من ك.

(٦) الآية/ ٢٥.

(٧ - ٩) الآيات/ ٢٣، ٣٢، ٨٧ - على الترتيب.

(١٠) السورة/ ٢١.

غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١﴾ . فالانصاف بالتقوى ثانٍ عن الانصاف بالعبادة، فقليل في الأنبياء: ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ ، وفي سورة المؤمنين: ﴿فَاتَّقُوا﴾ رعيًا^(١) لما ذكر، وعلى مقتضى الترتيب. وأيضاً إذا اعتبرنا ما قدم من قصص الرُّسُل في السورتين وجدنا الوارد في سورة الأنبياء مقصوراً على ذكر منحهم وتخليصهم وتأييدهم من لدن قوله تعالى في إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ - الآيات الى قوله - ﴿آبَاءَنَا لَهَا حَابِدِينَ﴾^(٢). فتضمنت هذه الآية بضعة وعشرين [نبيًا]^(٣) أولهم إبراهيم وآخرهم من أعقب ذكره بالآية المذكورة. وقد اقتصر من قصصهم في هذه الآية على ما يُطْلِعُ المؤمنين على تكفله^(٤) سبحانه بالمصطفين من عباده وما اختصهم به، ولم يرد مع ذلك تكذيب قومهم لهم، ولا ما يرجع إلى هذا. وكل هذا تأنيس، وذكر نعم وآلاء والطف [١٦٧/و] يناسبها قوله: ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ لكونه أمراً بالعبادة مجرداً عما في قوله: ﴿فَاتَّقُوا﴾، من التخويف. وأما الوارد في سورة المؤمنين فتضمن الطرف الذي عدل عنه في سورة الأنبياء وهو ذكر حواب الأمم للرسول، وقبيح تكذيبهم إياهم، وشنيع ردّهم، وقبيح مقالهم كقولهم^(٥) في نوح عليه السلام: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ - الى قوله - ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ﴾^(٦). ثم بالغوا في الاستهزاء بقولهم في إحبار الله سبحانه عنهم: ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾^(٧) وقول أهل القرن المذكورين بعد قوم نوح لنبيهم: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ. وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ لَخَاسِرُونَ﴾ -

(١) ك: وكلاهما ذكر على مقتضى .

(٢) الآيات/ ٥١ - ٥٣ .

(٣) جميع السبع: «نبيّاء» وهي قراءة جائزة .

(٤) ج، هـ، ك، ع: تكلفه .

(٥) م، ك: كقول نوح .

(٦) الأيتان/ ٢٤ ، ٢٥ .

(٧) الآية/ ٢٥ .

الى قوله - ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾^(١) وقوله تعالى لما تواتر ذكر إرسال الرسل وتكذيب قومهم لهم . فقال تعالى : ﴿ كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾ - الى قوله - ﴿ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) . وقال تعالى مخبراً عن قوم^(٣) موسى : ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴾ . فناسب هذا التخويف قوله عقب هذا : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ، كما ناسب ما قدم في سورة الأنبياء قوله تعالى : ﴿ فَاعْبُدُونِ ﴾ ، ولم يكن ليناسب ورود واحدة منهما في موضع الأخرى ، فجاء كل^(٤) على ما يجب ، ولا يمكن خلافه .

والجواب عن السؤال الثاني وهو الفرق بين قوله في سورة الأنبياء ﴿ وَتَقَطَّعُوا ﴾ ، وفي سورة المؤمنين ﴿ فَتَقَطَّعُوا ﴾ بقاء التعقيب ؛ أنه ورد في أي الأنبياء قبل هذه الآية تائيداً لنبينا عليه السلام قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٦) ، ثم قال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً ﴾ - الى قوله - ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ ﴾ - الآيات^(٧) فَنَبِّهُوا عَلَى^(٨) السؤال ، ثم ذكر من قصص الأنبياء أوضحه وأجلاله لمن اعترض . وأورد ذلك إيراد التلطف ، بذكر تخلص أولئك العلية عليهم السلام وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ ﴾^(٩) أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ . وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً ﴾^(١٠) ؛ ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ

(١) الآيات / ٣٣ - ٣٨ .

(٢) الآية / ٤٤ .

(٣) ج ، هـ ، م ، ع : قول .

(٤) في ك فقط .

(٥) الآية / ٧ .

(٦) الآيات / ٨ ، ٩ .

(٨) ك : عن .

(٩) زاد هـ ، ج ، هـ ، ب ، ع : « وقوله : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ثم قال ، وهو

انتقل نظر إلى أعلى من ناصح أقدم النسخ » هـ .

(١٠) الآيات / ٢٥ ، ٢٦ .

مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَلْوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴿١﴾. فهذه
 الآية في قوة أن لو قيل نحن نبين لهم وهم يكفرون بالرحمن فهو سبحانه يبين لبيه
 صلى الله عليه وسلم أحوال الأمم مع الرسل، مع مشاهدة الآيات تأنيساً له عليه
 السلام، وتذكيراً بالصبر على قومه [١٦٧/ ظ] فعلى ^(٢) هذا المنهج جرى الوارد من
 قوله: ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ ﴾، أي نهيناهم ^(٣) عن السؤال وأوضحنا لهم أمر من
 تقدمهم ^(٤)، وعاقبة الاستجابة لمن تمسك بهدى المذكورين. وهم مع ذلك على
 عنادهم وافتراقهم، وكأن الكلام وارد مورد التعجب من أمرهم ولم يشبه شدة
 الوعيد ليبقى رجاءه عليه السلام في استجابتهم فلم يخلُ معنى ^(٥) الكلام - مع
 الاختبار بفرقهم - عن بعض، إبقاء تأنيس مناسباً لما تقدمه. ولهذا لم يقع بعد الآية
 تسهيل بتصميمهم ^(٦) على الكفر، [والإمعان ^(٧)] في طرفي التحويف الوارد في آية
 المؤمنين من قوله: ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ - إلى قوله - ﴿ بَلْ لَّا
 يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٨) في ^(٩) آية الأنبياء نقلاً ^(١٠)!

أما قوله في آية المؤمنين ﴿ فَتَقَطَّعُوا ﴾ فَمُتَرَلِّمٌ مع ما قبله منزلة قوله في سورة
 السجدة: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ
 حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ ^(١١). وهذا وعيد شديد لمن حققت عليه كلمة العذاب ولم

(١) الرعد/ ٣٠.

(٢) ساقط من ك.

(٣) في ك فقط وبقي النسخ: نهيناهم على.

(٤) ك وأوضحنا أمرهم من تقدمهم (هكذا).

(٥) ج، ب، ع: بخل بمعنى.

(٦) ب: بتصميم، ج، هـ، ع: بتصميم.

(٧) م: ولا - متحدث، وبقي النسخ (ولا - إمدن)، ولعل ما استثناء الصواب.

(٨) الآيات/ ٥٣ - ٥٦.

(٩) في ك فقط وبقي النسخ هي.

(١٠) في ك فقط وبقي النسخ إبقاء.

(١١) الآية/ ٣٦.

يُجَدِّ عَلَيْهِ التَذْكَارُ^(١) ، فكان مجموع هذه الآي في قوة أن لو قيل لهم: قد بين^(٢) لكم ، واطلعتهم على حال من كذب ، وخطبتهم بما قيل للرسول: ﴿كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾^(٣) ، وملة الكل ملة واحدة ، ولم تؤمروا بما لا تطبقونه فتقطعتم ، إلا أن الكلام صُرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات ، كما تقدم في سورة الأنبياء فـقيل: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ ، أي فافترقوا ، وما أجدى^(٤) عليهم القرآن شيئاً . فهذه الآية أشد في التخويف والترهيب من الأخرى ، وكل يناسب ما قبله ، ولو وردت إحداهما موضع الأخرى لما ناسب ، والله أعلم .

والجواب عن السؤال الثالث أن قوله في سورة المؤمنين: ﴿زُبُرًا﴾ ، تأكيد لافتراقهم ، وانتصابه على الحال الواردة بياناً وتأكيداً لقبيح تفرقهم وشنيع مرتكبهم ، فناسب ذلك مقصود هذه الآية لما هنا من التخويف والإنذار ، ولم يكن ليناسب آية الأنبياء لبنائها على غير ما قصد هنا لما تقدمها من تأنيس نبينا صلى الله عليه وسلم وتعريفه بما منحه سبحانه متقدمي الرسل ، وما أعقبهم صبرهم على أممهم ، وهو عليه السلام قد قيل [له]: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِ﴾^(٥) . فقدم له عليه السلام^(٦) في سورة الأنبياء من قصصهم ما ثبت به فؤاده ، وصار جليل هذا التأنيس مما بنيت عليه السورة . وعلى ذلك جرت سورة مريم وسورة طه على ما مهدته وبسطته في ترتيب بعض السور الكريمة ، فمن حيث الإشارة إلى ما ذكر ، ولم يكن ليناسب ذلك ، تأكيد إفتراقهم وتشتيتهم^(٧) . ولما رجع الكلام للآية الثانية بعد تثبيته عليه السلام ، وتأنيسه إلى التعريف بمرتكبات الأمم ، وذكر ما

(١) ك: اذكّار.

(٢) ج ، ع : تبيين .

(٣) المؤمنون / ٥١ .

(٤) ب : أجرا .

(٥) الأنعام / ٩٠ .

(٦) ج ، ب ، ع : عليه الصلاة والسلام .

(٧) ك ، ب : تشتتهم ، ح : تشتتهم .

[أَسْتَحْفُوا^(١)] به ما عوقبوا به، وأن كلاً [١٦٨/ و] من المكذبين أخذ بذنبه كان ذلك^(٢) مظنة تأكيد المرتكب ففيل، ﴿ فَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ﴾، والله أعلم.

والجواب عن السؤال الرابع أن تعقيب^(٣) آية الأنبياء بقوله: ﴿ كُلُّ إِلَهِنَا رَاجِعُونَ ﴾^(٤) وإن^(٥) كان وعيداً وتهديداً فليس في شدة التهديد ومخوف الوعيد كالواقع في سورة المؤمنين. يوضح ذلك ويبينه ما اتصل بكل من الأثنين من قوله في آية الأنبياء: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾^(٦)، فذكر عند ذكر رجوعهم إليه سبحانه جزاء من أجاب وأحسن، وطوى الكلام على الإفصاح بحكم الطرف الآخر من ذكر^(٧) مَنْ أَسَاءَ، فلم يجز^(٨) لهم ذكر مَفْصَحَ به^(٩) كما في الطرف الآخر مع أن إحمال^(١٠) قوله تعالى: ﴿ كُلُّ إِلَهِنَا رَاجِعُونَ ﴾، يقتضي أن لو قيل: فالؤمن حكمه كذا والكافر حكمه^(١١) كذا، ولكن ليس كالمفصَح به. فلما كان في آية الأنبياء ما قد بين من إبقاء يناسب هذا التأنيس، ناسب ذلك إعصاء^(١٢) الكرم، وعدم ذكر نقيض^(١٣) الإحسان، فليس^(١٤) قوله: ﴿ كُلُّ إِلَهِنَا رَاجِعُونَ ﴾، وما أعقب به من قوله: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ -

(١) جميع النسخ: استحفوا.

(٢) ساقط من ج، ع.

(٣) م: تعقبيه.

(٤) الآية/٩٣.

(٥) ج، هـ، ب، ع: فإن.

(٦) الآية/٩٤.

(٧) ب: ذلك.

(٨) ج، ك: يجز.

(٩) في ك فقط وفيه النسخ: يفصح.

(١٠) ك: احتمال.

(١١) ساقط من ك.

(١٢) ج، ك: إعطاه.

(١٣) ك: نقص.

(١٤) ساقط من ك.

الآية، كقوله في سورة المؤمنين: ﴿ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾^(١)، وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ تُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٢). فقد وضع مناسبة المتبع به في كل من الآيتين لما تقدمه، ولم يكن ليناسب عكس الوارد، والله أعلم^(٣).

سورة الحج

٢٥٧ - الآية الأولى منها (غ) قوله تعالى^(٤):

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَتُقَرُّوا فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ ﴾ - الآية (٥).

وفي سورة المؤمن^(٥) (٦٧): ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٦).

ففي الأولى: ﴿ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَتُقَرُّوا فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾، ولم يقع التعريف بهذه الأحوال من الانتقال عن العلقة، وهو الدم المنعقد المتغير عن النطفة وهو هنا المني المنفصل يصير هنا دماً جامداً ثم يصير مُضْغَةً، والمضغة قطعة لحم قدر ما يُمَضَّغُ مثله. ثم قد يُتِمُّ الله

(١) (٢، ١) الآيتان/ ٥٤، ٥٥.

(٢) ج: والله سبحانه أعلم بما أراد.

(٤) عنوان الآية ساقط من «ع».

(٥) هي سورة غافر.

(٦) في هامش م: «وفي سورة فاطر» بريد الآية/ ١١ منها، وليس فيها محل الشاهد هنا.

سبحانه خلق تلك الطفة وتحطيطها وتصويرها على ما يشاء من هيئة^(١) وصورة
ولونية، كما قال تعالى [١٦٨/ ط]: ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ وقد لا
يتمها^(٢) فينقص من خلقها ما يشاء من الأعضاء، أو الحواس. وإلى هاتين الحالتين
الإشارة - والله أعلم - بقوله: ﴿مُخَلَّقةٌ وَغَيْرَ مُخَلَّقةٍ﴾، أي تامة الخلق، وغير
تامة؛ فأشار بتضعيف لفظ ﴿مُخَلَّقةٌ﴾ إلى هذا ف قيل: ﴿مُخَلَّقةٌ وَغَيْرَ مُخَلَّقةٍ﴾.
أما السقط المولود لغير التمام فحاصل من مفهوم قوله تعالى بعد: ﴿وَنُقِرُّ فِي
الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾، إذ مفهوم هذا - والله أعلم - أن بعض ذلك لا يقره تعالى وهو
السقط. هذا - والله أعلم - مفهوم قوله ﴿مَا^(٣) نَشَاءُ﴾، ودليل خطابه. أما قوله:
﴿مُخَلَّقةٌ وَغَيْرَ مُخَلَّقةٍ﴾، فمصرفه - والله أعلم - إلى ما قدمنا. وقوله: ﴿إِلَى
أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي الأجل الذي شاء تعالى إبراز المولود^(٤) فيه وولادته. فهذه
الانتقالات والأحوال قد اختصت بها هذه^(٥) الآية، ولم ترد في آية سورة المؤمن مع
البادي من^(٦) اتحاد المقصد في الموضعين.

فللسائل أن يسأل عن وجه ما ورد في كل من الايتين^(٧)

والجواب - والله أعلم - أن آية سورة الحج مقصود فيها إقامة^(٨) البرهان على
البعث^(٩) الآخر، وبسط الدلالات على كيميته وإرغام منكبريه. ألا ترى أن هذه
الأحوال والانتقالات على ما وضح من التدريج، لا يكون إلا من فاعل قادر
حكيم^(١٠) مختار عليم^(١١). وقد فسر مقصود هذه الآية وزاده إيضاحاً قوله تعالى:

(١) ج، ع: من بقية، وصورة، وكوبه.

(٢) في ك فقط، وبقيّة النسخ: يتم.

(٣) ساقطة من ج، ب، ع.

(٤) ج، ع: الوجود، هـ، ك: ب: الموجود.

(٥) في ك فقط، وبقيّة النسخ: بهذه.

(٦) ج، ع: مع.

(٧) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن وجه ما ورد في كل منهما).

(٨) ك: آية.

(٩) ج، هـ، م: التعب.

(١٠) ساقطة من: هـ، م، ك، ومكانها بياض في ج.

(١١) ب، ع: عليم حكيم مختار.

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ - الآيات ^(١) ، وقال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ - الآية ^(٢) . ويزيد هذا المقصود أيضاً بياناً تعقيب آية الحج بقوله : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُتْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ . فهذا إحياء بعد موت ، ثم قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى ﴾ ^(٣) . فتأمل هذا التعقيب وافتتاح الآية بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ ﴾ ، واعتبر ما انطوت ^(٤) هذه الآية عليه ، يلح لك ما تقدم من مقصودها .

أما آية سورة المؤمن فلم تتجرد لهذا الغرض وإن تضمنت ذلك بالإيجاز ^(٥) ، وإنما ^(٦) بناؤها على تذكير الخلق وتنبيههم على وحدانيته سبحانه وانفراده بالخلق والأمر ، وتنزيهه عن الشركاء والأنداد ، ونفي ما عبُد من دونه تعالى . وتأمل ما تقدمها من لدن قوله تعالى : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ - إلى الآية المذكورة وما بعدها ^(٧) يبين لك ما قصد بهذه الآية ، وأنها اختصت عن آية سورة الحج بما ذكرنا ، واختصت تلك بما تقدم . فلذلك زيد فيها من التمهيد ما تقدم ولم يكن عكس الوارد ^(٨) ، ليناسب ، والله أعلم [١٦٩ / و] بما أراد .

٢٥٨ - الآية الثانية قوله تعالى :

﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَرِيقِ ﴾ (٢٢) .

(١) يس / ٧٨ .

(٢) الأنبياء / ١٠٤ .

(٣) الحج / ٥ ، ٦ ، وراد منها في ك ﴿ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

(٤) زادها في ج ، هـ ، ك ، ب ، ع : عليه .

(٥) في ك فقط وبقي النسخ : بالانجرار .

(٦) في م فقط وبقي النسخ : وأما .

(٧) غافر / ٥٧ - ٦٧ .

(٨) ك : العكس ليناسب .

وفي سورة السجدة (٢٠): ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

هنا^(١) سؤالان:

الأول: قوله في آية الحج: ﴿مِنْ غَمٍّ﴾، ولم يرد ذلك في سورة^(٢) السجدة.

والثاني^(٣): ما أعقب به كل من الآيتين.

والجواب عن الأول أن زيادة قوله: ﴿مِنْ غَمٍّ﴾، مناسب لما ورد قبله، وبعده من تفصيل الجزاء في الطرفين بعد ذكر الحالين من نعيم أو عذاب، كما قال تعالى: ﴿قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ - إلى قوله - ﴿وَلَهُمْ مُقَامِعٌ مِنْ حديدٍ﴾^(٤)، وقال في الطرف الآخر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ - إلى قوله - ﴿وَلِيَأْسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾^(٥)، ففصل حال هؤلاء، وحال هؤلاء^(٦)، فناسب^(٨) هنا زيادة: ﴿مِنْ غَمٍّ﴾.

ونظير هذا التفصيل قوله تعالى^(٩): ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ - الآية^(١٠)، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ - إلى قوله - ﴿ظِلًّا ظِلِيلًا﴾^(١١)، والإطناب يناسب

(١) ب: صيغة السؤال (يقال لم يرد في آية الحج . . .).

(٢) ج، ع: آية.

(٣) ب: ولم أعقب به.

(٤) الحج/ ٢٩ - ٢١.

(٥) جميع النسخ: قوهم.

(٦) الآية/ ٢٣.

(٧) ب: فصل حال هؤلاء هؤلاء (٩).

(٨) هـ، ع: ليناسب.

(٩) من هنا إلى قوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الآية الكريمة ساقط من ج، هـ.

(١٠، ١١) النساء/ ٥٦، ٥٧.

الإطناب . ولما قال في سورة السجدة: ﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ﴾^(١)، فلم يقع تفصيل في الطرفين، وأوجز الكلام [فناسبه^(٢)] الإيجاز فلم يرد هنا قوله: ﴿ مِنْ غَمٍّ ﴾ . ونظير هذا في إيجاز الجزاء قوله تعالى^(٣) في الطرفين: ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾^(٤)، وقوله: ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾^(٥)، فلم يقع وصف في الجزاء ولا تفصيل . فهذه كآية السجدة من غير فرق . وللاطناب في التفصيل زيد في آية الحج ما حذف للإيجاز في آية السجدة . وورد كل على ما يجب ويناسب، ولم يكن عكس الوارد ليناسب^(٦) على ما تمهد .

والجواب عن الثاني أن آية السجدة لما قيل فيها: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا ﴾، والفسق الحروح، وقد يكون إلى معصية دون الكفر، ويكون إلى الكفر، وهو المراد هنا فأعقبت الآية بما يرفع الاحتمال، ويوضح أن فسقهم إلى الكفر حين كذبوا بالوعد والوعيد الأحراري ف قيل لهم: ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ .

أما آية الحج فتقدم قبل ذكر الإفصاح بكفرهم في قوله: ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾، فلم يحتج إلى التعريف الوارد في سورة السجدة . فجاء كل على ما يحب ويناسب . ونظير الواقع في آية السجدة في وصف النار وإتباعها بصفة المعذب بها قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [١٦٩/ ظ] التي كُنتُمْ بِهَا تُكْفِرُونَ^(٧)، لما تنزل

(١) السجدة/ ١٩، ٢٠ .

(٢) جميع النسخ: ناسبه .

(٣) زاد هنا في ك: جزاء .

(٤، ٥) النازعات/ ٣٩، ٤١ .

(٦) في م فقط .

(٧) لاية/ ٤٢ .

عذابهم على الظلم . والظلم يقع على الكفر وعلى ما دونه^(١) ، فأتبع الوعيد بما بين أن المراد ظلم التكذيب والكفر ، لا ظلم معصية دون الكفر ، كما بين في سورة السجدة أن المراد بالفسق ، فسق الكفر ، لا فسق معصية دونه ، فوضح ما قلته والحمد لله . فاما ما وقع بين هاتين الآيتين من التذكير والتأنيث في الموصول والضمير في قوله : ﴿ الَّذِي كُتِّمَ بِهِ ﴾^(٢) ، وقوله في الأخرى : ﴿ الَّذِي كُتِّمَ بِهِ ﴾ ، مع التساوي فيما جرى عليه الوصف . فإن ذلك لرجوع الوصف في آية السجدة إلى العذاب ، وهو مذكّر ، ورجوعه في آية سبأ إلى النار ، وهي مؤنثة . وسنذكر^(٣) وجه التخصيص في سورة سجدة لقمان ، إن شاء الله ، والله أعلم .

٢٥٩ - الآية الثالثة قوله تعالى :

﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ (٤٥)

وقال تعالى بعد هذا (٤٨) : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ .
 فيسأل عن الفرق الموحب لاختلاف الواقع في الآيتين .

والجواب أن الآية الأولى تنزلت على ما ذكر قبلها ممن أهلك من القرون والأمم السالفة بتكديهم لرسل ممن قال فيهم بعد تفصيل ذكرهم : ﴿ فَأُمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾^(٤) . وأما الآية الثانية فوقع قبلها ذكر استعجالهم بالعذاب تكديباً واستبعاداً في قوله : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ﴾^(٥) ، فعرفوا بأن تأخره عنهم إملاء للمكذبين : ﴿ إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾^(٦) وقيل : إن حالهم في التكذيب واستبعاد وقوع العذاب قد جرى لمن تقدمهم من المكذبين ، ثم جاءهم ما كذبوا به

(١) ساقط من هـ ، ومكانه بيّض في ج .

(٢) زاد في م ، ك من الآية ﴿ تَكْذِبُونَ ﴾ .

(٣) ك : ويذكر .

(٤) الرعد / ٣٢ .

(٥) الحج / ٤٧ .

(٦) آل عمران / ١٧٨ .

وحلّ بهم ما استبعدوه، فقال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أُمْلِيتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾. فاستعجالهم أوجب تعريفهم بحال غيرهم ممن ناسب حالهم لعلمهم بذكرون. يزيد^(١) ذلك بيانا قوله: ﴿وَأَلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾. وكان الكلام في قوة أن لو قيل لهم إنما يُعَجَّل من يخاف الفتنة. أما إذا كان مرجع الكل ومصيرهم إليه فيأخذ المكذب متى شاء وإن أخره، فإملاء لزيادة محنة. فوضح ما بين الآيتين، وأنه لا يمكن على ما تمهد وقوع واحدة منهما في موضع الأخرى، والله أعلم.

٢٦٠ - الآية الرابعة من سورة الحج [غ] قوله تعالى:

﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٤٧)

وفي سورة السجدة (٥): ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

وفي سورة المعارج (٤): ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

يُسأل عن وجه الفرق، وما معنى تقدير اليوم^(٢) بما ذكر تعالى.

والجواب عنه [١٧٠/و] - والله أعلم - أن المراد تبين أفعاله سبحانه، وأنه لا تكلف فيها ولا معالجة، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣). فكان قد قيل لهم، إذا شاء عذابكم كان، فإنه سبحانه المتعالي عن التعاون والمعالجة والافتقار، فإذا قُدِّرَ الشيء وأراد إنفاذه كان وتحصل في الوقت الوجيز القريب، منه ما تقدرون حصوله ومعالجة وقوعه في ألف سنة من أيامكم، وما

(١) ك: فهو ذلك.

(٢) ساقط من ح.

(٣) يس/٨٢.

تقدرون تهيئته ونموذه بألف سنة من أيامكم على ما لوفكم^(١). وإذا أراد سبحانه وقوع ذلك كان أمره كن^(٢)، أعجل من كل عاجل، إذ ليست أفعاله كأفعال خلقه التي يحتاجون إلى المؤن والعلاج، والآلات تعالى الله عن شبه^(٣) خلقه، فلم تستعجلون ما لا تكلف في وقوعه وحلوله؟ وإنما يمنع من استعجاله^(٤)، ربطه بأجل إذا بلغ الأجل كان وقوعه وهو يوم القيامة، وهو الأجل المسمى. ومن شاء تعجل^(٥) عذابه في دنياه، أو ما شاء من امتحانه حل به، إذا آن وقته وتوقفه عن قدره^(٦) عليه إملاء وزيادة في امتحانه: ﴿وَكَايْنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٧). وعلى هذا قوله: ﴿يَذُبُّ الْأَمْرُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾^(٨) - الآية. المراد أن بُعد هذه المسافة لا يحول دون استعجال نفوذ تدبيره وامضاء مقاديره، وأنه سبحانه ليديرها ثم يرجع إليه في وقت لو وكل ذلك اليكم، وكان في مقدوراتكم لمعلتموه في ألف سنة على نحو ما تقدم في الآية الأخرى.

وأما آية المعارج فالمراد باليوم المذكور فيها يوم القيامة الواقع فيه حساب الحلائق، وورن أعمالهم، وفصل ما بينهم، إلى استقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، ففيه من الأعمال المتعلقة بالخلق ما يتعذر وقوعه وتخليصه^(٩) في^(١٠) أيام الدنيا على متعارفها، مع عظم أهواله، وشدة كروسه، وأيام الأهوال

(١) ك: على ما لزمكم.

(٢) سقط من ك: أمره كن.

(٣) ج، هـ: شبه.

(٤) ج، هـ، ب: استعجاله.

(٥) ك: تعجيل.

(٦) ج، ب، ع: قدر.

(٧) الأعراف/٧، النحل/٦١.

(٨) السجدة/٥.

(٩) في ح فقط ونقبة النسخ: تخليصه.

(١٠) م، ب، ع: من.

والشدائد، [توصف] ^(١) بالطول ^(٢) العظيم أهوالها ^(٣)، مع ما يقضي فيه مقدر في أيامنا بخمسين ألف سنة، وهو على المؤمن التقى ^(٤)، كصلاة صلاتها، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ. فَذَلِكَ يَوْمٌ مَّيْلِدٌ يَوْمٌ غَيْرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرٌ يَسِيرٌ ﴾ ^(٥) ويدل على أن المراد يوم القيامة، ما ذكره الله سبحانه عقب تقديره من وصفه بقوله: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾ ^(٦)، والله أعلم ^(٧).

٢٦١ - الآية الخامسة من سورة الحج قوله تعالى:

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٥٠).
وبعد هذا بآيات (٥٦): ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ يَكْحُمُ بَيْنَهُمُ الْفَالِقِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ [١٧٠/ظ] فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾.

يسأل عن وجه الاختلاف فيما ذكر من الجزاء مع اتفاق وصفهم بالإيمان وعمل الصالحات.

والجواب عنه ^(٨)، أن الآية الأولى إخبار لهم ^(٩) عند دعائهم قبل أن آمنوا. ألا ترى أن قبله أمر الله سبحانه رسوله عليه السلام بما يقول لهم في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ ثم ^(١٠) أخبرهم بما لهم إن آمنوا من غفران ما تقدم لهم من أعمال المخالفات والمُجْتَرَحَات، والرزق ^(١١) الكريم. ولما ذُكر في

(١) ب: فوصفه، وبقيّة النسخ: فوصف.

(٢) ج: الطول.

(٣) ح: أهواله.

(٤) ج، هـ، م: المتقى.

(٥) المدثر/٨ - ١٠.

(٦) المعارج/٨ - ١٤.

(٧) قوله: «والله أعلم» في ح فقط.

(٨) ج: عن، هـ، م، ب: عليه.

(٩) ساقط من ك.

(١٠) ج، هـ، م: بم.

(١١) ج، هـ، م، ع: من الرزق.

الآية الثانية^(١) حالهم في الدار الآخرة^(٢) مع انصرام الدنيا، وحصول اتصافهم بالإيمان وأعمال الطاعات، أخبروا فيها بالحاصل من المغفرة وبين لهم الرزق الكريم، وأنه نعيم الجنة والخلود الأبدي فيها.

فالآية الأولى متضمنة وعدهم إن آمنوا، وذلك عند^(٣) دعائهم إلى الإيمان. ويزيدك في ذلك بياناً نداؤهم في دعائهم إلى الاستجابة^(٤) بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، ولو كانوا قد حصل لهم الإيمان لوسموا بذلك في خطابهم، فكان يقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا». فإنما دُعُوا بما^(٥) به يدعى من لم يحصل له الإيمان ولا اتصف به وبُشِّرُوا إن آمنوا ثم أخبروا ثانياً بالحاصل لهم بياناً لمضمن^(٦) البشارة الأولى وإخباراً لهم بغاية الجزاء. فالآية الثانية بيان وتفصيل لما أجمل في الأولى مرتب عليه وآت^(٧) بعده كما يجب فيما يأتي فيه الإجمال والتفصيل فكانهم^(٨) قالوا: ما الرزق الكريم؟ ف قيل لهم: ﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾. فرود كل من الآيتين على ما يجب ويناسب، ولا يلائم ما ورد في^(٩) الجزء في الآية الثانية على ما تمهد، ما وقع دعاء وخطاباً في الأولى، ولا ما بُشِّي^(١٠) على الآية الأولى أن يقع إخباراً في الثانية، بل ورد كل على ما يجب، والله أعلم.

٢٦٢ - الآية السادسة من سورة الحج قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ (٦٢).

(١) ب: التاسعة.

(٢) ج، ب، ع: الآخرة.

(٣) ساقط من ج، ع.

(٤) ما بعدها إلى قوله: يقال، في ك فقط.

(٥) ج، هـ، ع: ما.

(٦) ك: ليضمن.

(٧) ج، ب، ع: وإن.

(٨) ج، ب، ع: وكانهم.

(٩) في ك فقط.

(١٠) في ك فقط ونقبة النسخ: ولا ما معنى.

وفي^(١) سورة لقمان (٣٠) ﴿وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِ الْبَاطِلِ﴾.

للسائل أن يسأل عن التأكيد بزيادة «هو» في سورة الحج، وسقوطه من^(٢) سورة لقمان^(٣). ووجه ذلك^(٤) - والله أعلم - أن سورة الحج ورد فيها ما يستدعي هذا التأكيد بالضمير المنفصل ويناسبه وهو تكرار الإشارة إلى ألهمهم، والإفصاح بذكرها تعريفاً بوهن^(٥) مرتكبهم، وشنيع حالهم. وأوضح هذا المتكرر، وأشدّه ملاءمة، الاتيان بهذا الضمير المعتد^(٦) فصلاً أو مبتدأ. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٧)، وقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ [١٧١/و] الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ﴾^(٨). هذه الآية والتي ذكرنا قبلها، أنسب شيء لقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾. فورد قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ - الآية، بناء على قوله: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾، تمهيداً^(٩) وتوطئة لما وبخوا به بعدها وقرعوا بما^(١٠) لا عليه جواباً من قوله: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ﴾ - إلى قوله - ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾. فتأمل عظيم هذه المناسبة، والتسام هذه الأبي العظيمة، ولو لم يتقدم الآية المتقدمة من قوله: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾، لكانت الآية الأخيرة، وهي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً﴾ -

(١) إلى آخر الآية ساقط من: ج، هـ، ب، ع.

(٢) ج، ب، ع: في.

(٣) ب. صيغة السؤال (يقال ما فائدة التأكيد بزيادة هو في سورة الحج، وسقوطه في لقمان).

(٤) ب: ووجهه.

(٥) ج، هـ: بوهن.

(٦) ج، هـ، ع: المعد.

(٧، ٨) الحج/ ٣١، ٧٣ على الترتيب.

(٩) ج، ك، ع. وتمهيداً. ومن هنا إلى قوله المتقدمة من قوله ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ ساقط.

(١٠) ك. بما.

الآية^(١)، كافية وكأن قد وقعت متقدمه. والتقديم والتأخير مما^(٢) ترتكبه العرب كثيراً، ويوجد في فصيح كلامهم. ومن نحو هذه الآية - إن بنيينا مفهوماً^(٣) على تقدير التقديم والتأخير - قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾^(٤). فتأخر هذا في الترتيب والتلاوة عن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾^(٥)، وفعلهم متقدم من جهة معناه، لأنهم إنما أمروا بذبح البقرة عند تشاجرهم في أمر القتل المشار إليه. فالآيتان^(٦) في قوة أن لو قيل: «وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا فَأَمَرْتُمْ بِذَبْحِ الْبَقَرَةِ»، فأوضح لكم ذلك حكم القتل. فعلى هذا كانت تكون آي^(٧) سورة الحج، لو لم يرد قوله أولاً: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ - الآية، فكان ترتيب الآي على قصور أفهامنا. وما عليه ترتيب الكتاب^(٨) أعلى نظاماً وأجل، ولكن فهمنا قاصرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمِطْلُوبِ. مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(٩)، ﴿ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾. فقدم وأحر، لحامل أيضاً على التقديم والتأخير لستنا^(١٠) الآن له. فهذه الآية كاية البقرة سواء. ولما لم يقع في سورة لقمان مثل هذا؛ لم يرد فيها التأكيد بـ «هو»^(١١)، وذلك أيسر شيء وأنسبه، وإعراب هذا الصمير مبتدأ، أو فصل^(١٢)، وثمرته التأكيد لما ذكر والله أعلم.

(١) ما بعدها إلى قوله: متقدمة محذوف من ك.

(٢) ج، هـ، ع: مما قد.

(٣) بي ك فقط، وبقي النسخ: مفهوماً.

(٤) (٥، ٤) الأيتان/٧٢، ٦٧.

(٦) م، ك، ب. فالآيتان.

(٧) بي ك فقط، وبقي النسخ: آية.

(٨) زاد بعده بي ك والعزير.

(٩) الحج/٧٣، ٧٤.

(١٠) ساقطة من ج، ع.

(١١) الباء والصمير محذوفان من ك.

(١٢) ج، هـ: متسا - وفصل.

٢٦٣ - الآية السابعة من سورة الحج قوله تعالى .

﴿ لَهُ مَا فِي [١٧١/ظ] السَّمَوَاتِ وَمَا فِي [الأرضِ] وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٦٤).

وفي سورة لقمان (٢٦) : ﴿ وَفِي مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ .

للسائل أن يسأل عن زيادة «ما» في قوله في الآية الأولى^(١) : ﴿ وَفِي مَا فِي الأرضِ ﴾ ، وزيادة لام الابتداء المؤكدة^(٢) في الجملة التي هي خبر إن ، وسقوط الحرفين في سورة لقمان .

والجواب أن الزيادتين معاً للتأكيد ، إذ لا تدخل اللام في الخبر لغير ذلك وتكرار الموصول أيضاً فدحلتا في آية الحج لما قدم في الآية قبلها من السورة من نائها على مقصود التأكيد . وجواب هذين السؤالين حاصل مما^(٣) تقدم والله أعلم .

سورة المؤمنين

٢٦٤ - الآية الأولى منها [غ] قوله تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ^(١) . وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنْ آتَنَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ

(١) صيغة السؤال (يسأل عن زيادة «ما» في الآية الأولى) .

(٢) ح ، ع المذكورة .

(٣) ح : هـ .

(٤) ما بعدها إلى قوله «مُحَافِظُونَ» محذوف من ب ، وفي موضعه : «إلى قوله تعالى» .

وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُولَئِكَ هُمُ
الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١ - ١١﴾.

وفي سورة المعارج (١٩ - ٣٥): ﴿إِنَّ الْأَنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا^(١). إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا. إِلَّا الْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ. وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ. لِلنَّسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ. وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ
الَّذِينَ. وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مَلُومِينَ. فَمَنْ أَتَنَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ
وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ. أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿١١ - ١١﴾.

للسائل أن يسأل^(٢) عما اختلف في هاتين السورتين من هذه الأوصاف بالتردد
فيها والزيادة فيها مع اتحاد مرماها من ذكر حال المؤمنين وأوصافهم التي بها نجاتهم
توفيق الله إياهم. ففي الأولى ذكر الحشوع في الصلاة، والإعراض عن اللغو
والتنصيص على الركاة. ولم يرد إفساح بهذه الخصال الثلاث في سورة المعارج.
وفي سورة المعارج ذكر المداومة على الصلاة، وتعيين دوي الحق في المال، وأنه
للسائل والمحروم، وذكر التصديق بيوم الدين، والدين الحزاء، وذكر الإشفاق من
عذاب ربهم، وأنه غير مأْمُون، وذكر القيامة بالشهادة، ولم يقع إفساح [١٧٢/ و]
بهذه الخصال الخمس في سورة المؤمنين. وتوارد على الاتفاق في السورتين
التساوق على حفظ الفروج، وذكر الأمانة، والعهد، والمحافظة على الصلاة
أربعتها. فهذه ثلاث سؤالات:

أحدها: التكرار والاتفاق.

والثاني: وجه ما اختلفت به سورة المؤمنين.

(١) ما بعدها إلى قوله: ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، محذوف من ب وفي موضعه. «إلى قوله».

(٢) ب: يسأل عما اختلف.

والثالث : وجه ما اختُصَّت به سورة المعارج .

والجواب عن الأول أن حفظ الفروج أحد الأصول الخمسة التي اتفقت فيها الشرائع ، ولم يخالف فيها أحد من العقلاء ، وهي : حفظ النفوس ، والأموال ، والفروج ، والعقول ، والأعراض . وأما الأمانة فلا تتم هذه الخصال إلا بها ، فهي : الأصل لتلك الأصول ، والضابطة لجميع التكاليف وزمام الأديان . وفي الحديث : «الدِّينُ الْأَمَانَةُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ»^(١) ، وهي التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبت عن حملها وهي بالجملة مِلَاكُ الدِّينِ . وأما الوفاء بالعهد فلا حَقَّ بالأمانة في نصاب التأكيد ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ﴾ وتكرر الأمر لعظيم قدر الأمانة والعهد^(٢) . وأما المحافظة على الصلوات رعيّاً لأوقاتها ، وكيفية أدائها وما تنطوي عليه من جميع مطلوباتها ومتعلقاتها ، وما تستلزمه وتستتبعه حتى تكون ناهية عن الفحشاء والمنكر فذلك كُلُّ الدين ، والمُعَبَّرُ به عن أخص صفات الناجين^(٣) في قوله تعالى إخباراً عن جواب الهالكين : ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ ﴾^(٤) فموقع هذه الحصال الأربع وضَمُّها لما سواها من المطالب الإيمانية واشتمالها على جميعها أوجب تَعَيُّنَهَا^(٥) بالذكر ، ولم يكن ليحصل من ذكر غيرها ما حصل من^(٦) التنصيص عليها ، فكررت^(٧) في السورتين ونص فيهما عليها^(٨) ، لأنها أُمّهات لما سواها .

فإن قلت : فإن الزكاة شقيقة الصلاة في التأكيد لأنها أم العبادات المالية ، ولهذا

(١) ألفاظ الحديث كما رواه الإمام أحمد في مسنده : «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ» ، «وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ» ج ٣/ ١٣٥ ، ١٥٤ ، ٢١٠ ، ٢٥١ ، وانظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (دين ، أمن) .

(٢) ساقطة من ك .

(٣) في ك فقط وبقيّة النسخ : التأخير .

(٤) المدر/ ٤٣ .

(٥) ك ، ع : تعيينها ، ب : مانعها .

(٦) ك : على .

(٧) في ك فقط وبقيّة النسخ : فتكررت .

(٨) ك : عليها .

قاتل أبو بكر مانعيها^(١) ورجع الصحابة رضي الله عنهم إلى قوله، وقلما يرد الأمر بالصلاة في كتاب الله إلا مقروناً به الأمر بالزكاة. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾^(٢)، وهذا هو الذي تهدي^(٣) إليه الصديق رضي الله تعالى عنه، غير تذكّر في الوقت - والله أعلم - للآية. وإذا وضع ذلك فلنجد أن يقول فلم لم تذكر مع أنها من الأمهات.

والجواب عن هذا - والله أعلم - أن وصف الحق بمعلوم في قوله: ﴿وَلِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾، جار مجرى الإفصاح بذكر الزكاة، إذ لا لمطلوب معلوم مقدّر^(٤) في المال إلا الزكاة [١٧٢/ ظ] فقام الوصف مقام الإفصاح بذكرها.

والجواب عن السؤال الثاني، وهو وجه ما خصت به آية المؤمنين، وهو أنه لما افتتحها تعالى بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾. والمفلح الظاهر ببغيته ابتداءً من أوصاف المفلحين بأجل خصالهم وهو خشوعهم في صلاتهم المنبىء بعظيم خوفهم، وهو الذي لا يمكن معه فتور ولا تفريط^(٥) في العبادة. ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ ومن أعرض عن اللغو سلم من كل ما يشين دينه. وحصل من هذا، وما قبله ترك المخالفات جملة. ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾، وهذه أخت الصلاة. قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾. وقال بعد: ﴿فَاخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ﴾^(٦). وقد حصل بحصول هذه الخصائص ما به وُصف المتقون في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ - إلى قوله - ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٧) فوضح منه أن هذه أخص صفات من

(١) ج، ك: مانعها.

(٢) التوبة/٥.

(٣) ساقط من ج.

(٤) ك، ب: معلوماً مقدراً.

(٥) ك: تفريط ولا فتور.

(٦) التوبة/١١.

(٧) البقرة/٣-٥.

أفلح وفاز برضى الله سبحانه. فهذا أوحى تخصيص هذه السورة بالإفصاح بهذه الأوصاف الثلاثة.

وأما ما خصت به سورة المعارج، وهو الجواب الثالث، فإنه سبحانه لما وصف الإنسان بقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾، والهلوع الفزع الشديد، يقال: هَلِيع بكسر ثانيه، فهو هَلِيعٌ وَهْلُوعٌ. ثم ذكر سبحانه ما يثيره للإنسان^(١) هَلَعُهُ، فقال: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾، والجزع ضد الصبر، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾، والمنع ضد الإعطاء. وكلا الوصفين^(٢) من الجزع والمنع مذموم مأمور شرعاً بضديئيهما من الصبر والإيثار؛ وقد أثنى سبحانه على الصابرين والمؤثرين. فالهلوع من أرذل صفات الإنسان، فذكر تعالى صفات من سلم منه، وأنهم المداومون على صلاتهم، لأن المداومة على الصلاة عنوان^(٣) تلقى الأوامر بالقول والامتثال، ولا يكون ذلك إلا عن يقين^(٤) صادق. وقد قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾^(٥). ومن يقن أن خالفه تكفل^(٦) برزقه أحمل في الطلب وذهب عنه الجزع، ومن علم الحق في ماله من زكاة مفروضة أو صدقة مندوب إليها لم يكن منوعاً في الحير، فإذا اتصف بما ذكر وكان ذلك على تصديق يقيني بيوم حسابه، وإشفاق^(٧) من عذاب ربه وعقابه، ولم يأمن المكر، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. فمن كان هكذا فليس بهلوع. فلهذا استثنى من اتصف بهذه الصفات الجليلة عن مسببات الهلع من المنع والجزع. فهذا وجه تخصيص هذه السورة بالإفصاح بما خصت به من هذه الأوصاف مفصلاً به، وإنما قلت مفصلاً [١٧٣/ و] به، لأن ما ذكر في هذه السورة

(١) ج، ع: ما يثير الإنسان.

(٢) ك: الموصفين.

(٣) ك، ب، ع: عنوان على تلقى.

(٤) ك: نفس.

(٥) طه/١٣٢.

(٦) ك، ب: تكفل له.

(٧) ح، ب، ع: وإشفاقه.

مما لم يقع به إفصاح في سورة المؤمنين داخل تحت ما ذكر هناك ، كما أن ما أفصح به هناك داخل تحت ما ذكر مفصلاً به هنا . ألا ترى أن أفعال المكلفين من الأحكام الخمسة وهي : الواجب ، والمحظور ، والمندوب ، والمكروه ، والمباح . كل ذلك داخل تحت ضابط الأمانة والوفاء بالعهد . ومن أوفى بما عاهد عليه الله في إيمانه فقد أتى ، ووفى بجميع التكاليف الشرعية أخذاً وتركاً . وكذا الصلاة الموصوفة تماماً وخشوعاً ، فإنها ناهية عن الفحشاء والمنكر ، إلا أن الإفصاح^(١) والتنصيب المنطقي حكم عليه يقيناً^(٢) بما تقدم . فقد وضحت المناسبة فيما خصت به كل واحدة من السورتين ووجه ما اتفقنا في وروده مفصلاً به ، والله سبحانه أعلم .

وأما الشهادة فداخلة تحت الأمانة ، ووجه تخصيص هذه السورة بالإفصاح بها أنها الثانية في الترتيب الثابت فاستوفت وأكدت بما قد أشير إليه في الأخرى ، والله أعلم .

٢٦٥ - الآية الثانية من سورة المؤمنين قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام :

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ (٢٤) .

وفي القصة الثانية^(٣) بعد^(٤) (٣٣) : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ [مِنْ قَوْمِهِ] الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ .

في هاتين الآيتين سؤالان :

الأول : لم^(٥) قدم المجرور في القصة^(٥) الثانية على الصفة فقيل : ﴿ وَقَالَ

(١) ك : للإفصاح المنطقي حكماً عليه .

(٢) هـ ، م ، ك : نبيا ، ب : نبينا .

(٣) هـ ، ب : الثابتة .

(٤) ح : له .

(٥) ح ، ع : الآية .

أَمَلًا مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١﴾ ، ولم يؤخر عنها كما ورد في قصة نوح مع الاتفاق في وصف المَلَأ في القصتين بالكفر.

والسؤال الثاني: وجه ^(١) زيادة ما عطف على الوصف بالكفر في القصة الثانية من قوله: ﴿ وَكَذَّبُوا بِإِيقَانِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ مع استحقاقهم العذاب بمجرد ^(٢) كفرهم ، فما ثمره الزيادة عليه.

والجواب عن الأول أن المجرور الذي هو: ﴿ مِنْ قَوْمِهِ ﴾ ، رافع إمكان أن يكون القائلون غيرهم ، ويليه في الحاجة إلى ذكره وتسميهم بالكفر، لأنه سبب أخذهم وهلاكهم ، إلا أنه لما كان قد ^(٣) يفهمه سياق الكلام لم يلزم الإفصاح في كل موضع ، وإن أفصح به هنا. ألا ترى أنه لم يرد في قصة نوح عليه السلام من سورة الأعراف. أما الإفصاح بالمجرور فالإفصاح به أو بضمير يقوم مقامه ضروري لا بد منه ليحصل منه تخصيص [١٧٣/ ظ] الحكم بمن تقدم؛ كما لو قيل: قالوا. ثم حيث يفيدنا تأكيداً في البيان، أو زيادة في التخصيص، اعتناء برفع المفهوم، ورفع احتمال ^(٤) جملة، تقدم في فصيح الكلام، وإن كان فضلة. ومنه ^(٥):

لَتَقْرُبَنَّ قَرِيبًا جَلْدِيًّا مَا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيًّا

أي ما دام في هذه النوق، فرفع بتقديم المجرور احتمال أن يكون ^(٦) المراد، ما دام ^(٧) في الوجود، وقد تقدم مثل هذا. فكما يقدم على الخبر، فكذلك يقدم على الصفة للحاجة إليه.

(١) ك: وصف.

(٢) ج: لمجرد.

(٣) ب، م، ك فقط.

(٤) ج، ب، ع: الاحتمال.

(٥) سبق تحريج البيت في الآية رقم / ٣١.

(٦) أن والفعل ساقطان من ج.

(٧) و ك فقط.

فإن قلت: لا فرق بين هذه القصة وقصة نوح^(١) قبلها في الحاجة إلى هذا المجرور، أو ما يقوم مقامه فلم لم^(٢) يقدم هناك؟

قلت: لم يرد هناك غير صفة واحدة جعلت مع موصوفها كشيء واحد، وإن كان الوصف^(٣) بموصول، والموصول بطول بصلته، إلا أن طولَه بصته، لا يزيله من تقديره باسم واحد. فمن حيث جعلت الصفة مع موصوفها كشيء واحد للحاجة إليها وكونها مفردة قرنت بموصوفها وتأخر المجرور فقال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾، وحيث لم يقع الاكتفاء بصفة واحدة، وزيد عليها، ولا يمكن جعل صفتين فما زاد مع موصوفها كشيء واحد، قلّم المجرور فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقاءِ الْآخِرَةِ وَآتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فوقع المجرور في كل من الآيتين على ما يجب. وعطف الصفات بعضها على بعض كورودها غير معطوفة^(٤).

والجواب عن السؤال الثاني أن وجه الزيادة على الوصف في الكفر في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقاءِ الْآخِرَةِ وَآتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، إنها منبئة بأن المذكورين في القصة الثابتة ليسوا في شمول الكفر إياهم واستيلائه على معظمهم كقوم نوح عليه السلام، بل الإيمان في هؤلاء أفشى وأكثر. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾^(٥) ولم يقع هنا وصف من آمن من قوم هود بقلة ولا بكثرة فبقي الاحتمال في الطرفين على حد سواء، إلا أنه ورد في وصف الملأ^(٦) المكذبين من قوم هود في هذه السورة ممن أفصح بالرد والتكذيب وصدّ الناس عن اتباعه ما يشعر أنهم^(٧) ليسوا

(١) سقط المتضابقان من ج، ع.

(٢) ساقطة من ج، ع.

(٣) ساقطة من ل.

(٤) في ك فقط وبقيّة النسخ «صفة».

(٥) هود/٥٨.

(٦) هـ، ب، م: الملائكة.

(٧) ج، هـ، ع: بأنهم.

أكثر^(١) قومه. وذلك لما وصفهم به بعد الكفر من التكذيب والإتراف، وهو التعم والترفع والعقل شامداً بأن المترفعين ليسوا جميعهم. أما الكفر فلا يبعد اتصاف أمة بأسرها به ويبعد اتصاف جميعهم بالامتداد في النعم والترف، بل ذلك ممتنع [١٧٤/و] أن يتصف به الأكثر فأشعر وصفهم بما ذكر بعد كفرهم بكثرة^(٢) فيمن^(٣) عداهم بخلاف الحال في قوم نوح. وأشعر أيضاً بامتدادهم وتمكنهم في دنياهم أكثر من غيرهم. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾^(٤)، فأشعرت زيادة الوصف بتوسع الحال وامتداد الآمال، فلم يكن بُدُّ من وصفهم بما ذكر.

٢٦٦ - الآية الثالثة من سورة المؤمنين قوله تعالى^(٥).

﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُنَاءَ فِئْدٍ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤١)

ثم قال تعالى عند ذكر القرون (٤٤): ﴿ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فِئْدٍ لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. فقال في الأولى: ﴿ فِئْدٍ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾، ثم قال في الثانية: ﴿ فِئْدٍ لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن الفرق^(٦).

والجواب أن الآية الأولى في أمة معينة قد بين حالها وقبيح مرتكبها، وتحصل العلم بكفرهم وظلمهم أنفسهم، فقبل: ﴿ فِئْدٍ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾، ووقع اسم

(١) ج، هـ، خ، أكثر من.

(٢) ب، بكثرة - ما.

(٣) ك، ب: ما ي من عداهم.

(٤) الفجر/٦ - ٨.

(٥) أسقط المؤلف قبل هذه الآية من التشابهات قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التُّورُ... ﴾ ولم يشرحها، اكتفاء بالإشارة إليها في سورة هود، وقد ذكرها في درة الشربل/٢٥٧.

(٦) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهم).

الظلم عليهم على أن ما يقع عليه من عدم الإيمان وارتكاب العظائم^(١)، من الكفر والتعذيب، وقبيح الرد على ما تفصل في الآي قبلها. وأما قوله بعد: ﴿فَبَعْدًا لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فورد عقب إجمال وإخبار بطوائف وأمم اجتمعوا في التكذيب، ورد ما جاءتهم به رسلهم؛ فأعقب بوصف إذا وجد كان ما سواه من قول وعمل مناسباً له وبحسبه، وهو عدم الإيمان، ولم يكن وصفهم بالظلم ليعطي ذلك لوقوعه على الظلم بالكفر، وعلى الظلم بمعصية ليست كفراً. ألا ترى أن بعض من يوقع عليه اسم الظلم، ويؤسّم به قد يكون مبقًى عليه اسم الإيمان ما لم يقترن به ما يقتضي كفره. وأما من اتصف بعدم الإيمان فلا فلاح معه [فاجتمع هؤلاء الطوائف في عدم الإيمان، [و] وُسِمُوا به. ولما كان عدم الإيمان حاصلًا لمن تقدم بما ذكر من تكذيبهم، وأحدهم بالصيحة وجعلهم غثاء، أعقب وصفهم بما ينبيء بالزيادة على كفرهم؛ إذ الكفر حاصل.

فإن قلت: فقد تقدم في وصف هؤلاء الأمم قوله: ﴿كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾، وحصل من ذلك عدم إيمانهم، [فلم^(٢)] كرر ولم يوصفوا بالظلم. قلت: لم يقع في ذكر هؤلاء تفصيل مرتكباتهم، كما ورد فيمن تقدمهم، فناسب إجمال الواقع من التكذيب، إجمال الوصف بعدم^(٣) الإيمان. وحاء كل من ذلك على ما يحب والله أعلم.

٢٦٧ - الآية الرابعة من سورة المؤمنين^(٤) قوله تعالى:

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ. قَالُوا أَإِذَا [١٧٤/ ض] مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أُنْشَأُ مِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨١ - ٨٣)

(١) ب: العظام، ج: العظيم.

(٢) جميع النسخ: فما.

(٣) ح، هـ، ب: بتقديم.

(٤) اسم السورة محذوف من ب.

وفي سورة النمل (٦٨): ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّآبَاؤُنَا أَتِنَا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَّآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ .
 للسائل أن يسأل عن تقديم المضمرة المذكورة^(١) والمعطوف عليه، على المفعول الذي هو: ﴿ هَذَا ﴾ في آية المؤمنين وعكس ذلك في آية النمل.
 والجواب عنه - والله أعلم - أنه لما تقدم قبل آية المؤمنين قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَذَّبِرُوا الْقَوْلَ. أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٢). فتقدم التعريف في هذه الآية أن آباءهم قد جاءتهم الرسل وأنذروا كما أنذر هؤلاء، فلهذا قالوا: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَّآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ﴾^(٣). ولما لم يتقدم في آية النمل ذكر إنذار آبائهم كان أهم شيء يُذكر^(٤)، الموعود الذي هو هذا فقالوا: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا ﴾، والله أعلم^(٥).

٢٦٨ - الآية الخامسة قوله تعالى:

﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٨٤، ٨٥)

ثم قال في الآية التي تليها (٨٧): ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾.

وفي الآية^(٦) الثالثة (٨٩): ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن الوجه فيما^(٧) أعقبت به كل آية من هذه.

والجواب عن ذلك من وجهين^(٨):

(١) ج. المؤكد، هـ، م: المذكور.

(٢) الآية/ ٦٨.

(٣) زاد من الآية في ك: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾.

(٤) ج: ذُكِرَ.

(٥) ساقط من م، ك، ب.

(٦) محذوفة من ك.

(٧) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ما أعقبت به كل...).

(٨) ح، هـ، ك، ب: بوجهين.

أحدهما: أن كل توبيخ أعقب به في الآيات الثلاث مناسب للتذكير الواقع قبله، المرتب^(١) الحواب بالتوبيخ. أما الأولى فإنه لما قيل فيها: ﴿لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. والمراد الأرض، ومن فيها، وما فيها، وما اشتملت عليه من بحارها وأنهارها وأشجارها وجبال إرسائها ومختلف عوالمها وما انطوت عليه واشتملت. هذا هو^(٢) المراد بقوله: ﴿لِمَنِ الْأَرْضُ﴾^(٣) وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ والمراد الأرض فوق^(٤) الاجتزاء^(٥) بمن فيها^(٦) عما فيها إيجازاً للحصول ذلك من قوة الكلام، كما قال تعالى: ﴿لَا إِنْ تَوَمَّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾^(٨). وليس المراد في هاتين الآيتين تخصيص ما تقع عليه ﴿مَنْ﴾ فكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾، إذ مقصود الآية الاعتبار والاستدلال بمصنوعاته سبحانه على انفراده بالخلق والأمر. قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَقِّينَ﴾^(٩)، فكأن قد قيل لهم: إذا أقررتم بأن ذلك ملك الله تعالى وحقه، فهلاً اعتبرتم بما في الأرض من الآيات^(١٠)، واستدللتم بذلك على نهي الشريك والند للمنفرد بملك الأرض والسماوات إد: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا [١٧٥ /] إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١١)، فلا تتعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون. وهلاً استدللتم بتكرار إنبات النيات، وعودة إخراج الثمرات على إحياء الأموات. ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ

(١) لك: المترتب.

(٢) بي لك فقط.

(٣) ما بعدها إلى قوله والمراد الأرض، محدوف من ب.

(٤) ب: فرفع.

(٥) ج، ب: الاحتراز.

(٦) سقط قوله: بمن فيها، من ج، ب.

(٧) يوس/٦٦.

(٨) مريم/٤٠.

(٩) الذاريات/٢٠.

(١٠) لك: آيات.

(١١) الأنبياء/٢٢، وما بعدها اقتباس من الآية/٣ - من سورة الأعراف.

تَذَكَّرُونَ ﴿١١﴾. ثم قال (١٢) تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١٣) وذلك الحلق أعظم من خلقكم (١٤) وخلق الأرض الحاملة لكم (١٥) وأخبر بقوله: ﴿سَيَقُولُونَ شَيْءٌ﴾، [كأنه قيل له] (١٦): فقل لهم: «إذا أقررتم أنه مالك ذلك على عظيم أمره أفلا اتقيتموه، إذ أنتم في قبضته بإقراركم». ثم لما قال: ﴿قُلْ مَنْ مَنِ يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٧)، فبلغوا بالإقرار بذلك مع ما قرروا عليه قبله مبلغ غاية توجب (١٨) الإيمان للمعتبر بما (١٩) قيل لهم وذكروا به من علم هذا، قيل لهم: من علم (٢٠) هذا ثم لم يطع من له (٢١) ذلك ويفرده (٢٢) تعالى بالعبادة فهو مسحور، ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ (٢٣).

والجواب الثاني، وهو أجرى مع ظاهر (٢٤) الآية من غير تكلف (٢٥) تقدير، وليس بخلاف الأولى إلا في عبارة وهو أن تقول: إن تذكيرهم ورد أولاً بذكر ما كانوا يقرون به، ولا يتوقفون فيه، وهو ملكه سبحانه الأرض ومن فيها، قال تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (٢٦)، والخالق مالك لما

(١) الاعراف/٥٧.

(٢) ك: لما قال.

(٣) المؤمنون/٨٦.

(٤) في ك فقط وبقية النسخ: خلقهم.

(٥) زاد هـ في ج، هـ، م، ب: من خلقكم.

(٦) بعد الآية في ك: فقل لهم، وبقية النسخ: قيل لهم، ولعل ما أثبتاه الصواب.

(٧) المؤمنون/٨٨.

(٨) ب: بوحب.

(٩) ج، ب: ما.

(١٠) ك: عليم عليم.

(١١) ب: له من ذلك.

(١٢) ج، ك: أو بقرعة.

(١٣) بعدها في ك: أي فكيف تسحرون.

(١٤) ك: تظاهر.

(١٥) ج، ب: تكليف.

(١٦) لقمان/٢٥، الرمز/٣٨.

حجة وحان قد قيل لهم: إذا علمتم انفراده سبحانه بذلك فهلاً أفردتموه بالعبادة
 واستدللتهم بالبداة على العودة، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. ثم ذكروا بربوبيته سبحانه
 وملكه السموات السبع والعرش العظيم فاعترفوا إلى اعترافهم بما تقدم، وإقرارهم
 بملكه لما ذكر وقدرته وقهره ولو سبقت لهم^(١) سعادة لكان تذكركم لذلك يؤثر^(٢)
 خوفهم من عذابه. فلما لم يقع ذلك منهم قيل لهم: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾. ثم ذكروا
 بعظيم سلطانه تعالى، وعلو قهره لجميع الموجودات وكونها في قبضته، وأنه لا
 حكم لأحد عليه تعالى فقال: ﴿قُلْ مَنْ يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ
 عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. ثم ذكر اعترافهم بهذا في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾، فلما
 تم تقريرهم على جميع ما تقدم مما ذكروا به، واعترافهم بكل ذلك ولم يعقبهم
 إقرارهم ولا اعترافهم بالإيمان والانقياد، كانوا كمن فقد عقله، أو سحر فاختل نظره
 وعقله، فقليل لهم^(٣): ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ ما بالكم كيف تسحرون، ما اتخذ الله
 من ولد، وما كان معه من إله، إذا لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على
 بعض، سبحانه الله عما يصفون ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [١٧٥ / ظ] فتعالى عما
 يشركون^(٤). فقد وصح تناسب هذا كله وتبين النحامة، والله أعلم^(٥).

(١) ب: له، ج، هـ، م: لكم.

(٢) ج: يورث.

(٣) ج، م، هـ: له.

(٤) الزمور/٩٢.

(٥) في م فقط.

سورة النور

٢٦٩ - الآية الأولى منها^(١) قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ^(٢) وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠).

وبعد ذلك^(٣) (٢٠) : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ

رَحِيمٌ ﴾.

يسأل عن وجه الاختلاف في المعطوف^(٤) في الآيتين من الصفات العلية إخباراً

عن^(٥) قوله في الأولى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾^(٦) وفي الثانية : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ

رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾، وهل كان يناسب عكس الواقع .

والجواب أن الآية الأولى لما اثبتت على آية التلاعن، وفيها من الستر على

المسلمين ممن آمتحن تلك البلية، ومن^(٧) إخفاء المحكمة في حكم التلاعن^(٨)

وشرعيته^(٩) على ما استقر عليه أمره مما يعجز عن فهمه كل معتبر، أعقبت^(١٠)

(١) ساقط من ك، ب.

(٢) ما بعدها إلى قوله. «وبعد ذلك» ساقط من ح، هـ، ب، وفيها. ختام الثانية، ختام للأولى.

(٣) م: بعدها.

(٤) ك: المعطوفات.

(٥) ج، هـ: من.

(٦) كرر ها في هـ، م، ك: «وبعد ذلك» - إلى آخر الآية.

(٧) ج، هـ: من.

(٨) التلاعن والملاعنة فرع على القذف، بعيد تخصيص الحكم الشرعي السابق في الآيات السابقة في حدّ

القذف بين الزوجين، وهو الجلد. فاللعن نسخ لحكم القذف الذي كان معمولاً به قبل نزول هذه

الآية. ولهذا حين نزلت قال النبي عليه السلام للال بن أمية- وكان اتهم زوجته بالكبيرة -: انتهي

بصاحبك؛ فقد أنزل الله فيك وفيها قرآنًا، ولأعنَ بينهما. وفي لملاعنة يحلف كل من الزوجين أربع

أيمان بالله إنه صادق ويستنزل اللعنة في اليمين الخامسة على الكاذب منهما. وقد أقر الشافعي وأبو

حنيفة التفريق بين المتلاعنين طلاقاً بائناً، أي ثلاثاً. 'نظر أحكام القرآن للقرطبي ١٢/١٨٢ - ١٩٥،

ولابن العربي ٣/١٣٢٨ - ١٣٣٥، وللجصاص ٣/٢٨٥ - ٣٠٨.

(٩) في م فقط وبقية النسخ. مشروعيه.

(١٠) في ك فقط، ونسخة النسخ: أعقب.

بالصفتين المناسبتين لما ذكرنا، مما هو^(١) غير خاف، فقل: ﴿أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾. ولما تقدم قبل^(٢) الآية الثانية قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحْيُونَ أَنْ تُشْيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(٣) وجرى بظاهر هذه الآية من الوعيد ما يشتد خوف كل مؤمن منه أعقب ذلك بصفتين مَبْقِيَتَيْنِ رجاء المؤمنين، ومشيرتين بأن هذا العذاب - وإن نفذ الوعيد به - ليس الخلود ما لم يكن من فاعل ذلك كفر^(٤) باعتقاد حِلَّةِ تلك المعصية، أو التكذيب بالوعيد، أو التلبس بما هو كفر، وأنه إذا لم يكن شيء من هذا فلا قاطع عن^(٥) التوبة فقال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾. فقد وضع أن ورود كل من هذه الصفات المعطوفة على ما يجب ويناسب وأن العكس لا يناسب، والله أعلم.

ومما يسأل عنه هنا جواب «لولا» كيف تقديره، ولم حذف، وإن لم يكن هذا من مقصود هذا الكتاب.

والجواب عنه أن التقدير في الآية الأولى لَفَضَحَ فاعل ذلك أو ما يرجع إلى هذا. وحوابها في الثانية تعجيل^(٦) عذاب فاعل ذلك من حيث إشاعة الفاحشة في المؤمنين أو لإهلاكهم^(٧). وأما مسوغ الحذف فطول الكلام بالمعطوف، والطول دَاعٍ للحذف، فحذف لذلك ولدلالة ما تقدم عليه. وذلك كثير في كلامهم^(٨).

(١) ساقط من ج، ك، م.

(٢) بعده في ج، هـ، ب: في.

(٣) النور/١٩.

(٤) ج، هـ: الكفر.

(٥) ج: من.

(٦) ج، هـ، ك، ب: لعجل.

(٧) قال ابن الأبري: «لم يذكر جواب لولا، إيجاراً واختصاراً لدلالة الكلام عليه، وتقديره: ولولا فضل

الله عليكم ورحمته لما جعلكم بالعقوبة، أو فضحكم بما ترتكبون من الفاحشة». بيان غريب إعراب

القرآن ٢/١٩٤، وانظر إملاء ما من به الرحمن ٢/١٥٤.

(٨) زاد بعدها من ح: «والله سبحانه أعظم بما أراد».

٢٧٠ - الآية الثانية من سورة النور قوله تعالى :

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَأَلَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥٨).

ثم قال (٥٩) : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَأَلَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

للسائل أن يقول^(١) : لم قال في الأولى : ﴿ آيَاتِ ﴾ ، وفي الثانية : ﴿ آيَاتِهِ ﴾ .

والجواب [١٧٦/ و] أنه لما تقارب اللفظ الواحد، عدل عن تكراره بلفظ واحد فيما تقارب، على عادة العرب في استئصالها تكرار اللفظ الواحد بعينه في بيت واحد من الشعر، أو ما تقارب من الكلام ما لم يحمل على ذلك حامل من المعنى فحيء الآيات في الأولى مُعرِّفاً بالالف واللام للعهد، فيما تقدم من المعتبرات الواضحة الدلالة وفي الآية الثانية مضافاً إلى الضمير المتصل لتحصل نسبة الآيات لمن هي له تعالى : وكانت الثانية هي المضافة، لأنها مع ما تعطيه من النسبة مُبيِّنة للأولى بياناً تأكيدياً، إذ من المعلوم أنها آياته سبحانه . فجاء ذلك على ما يجب - ومن الوارد على هذا الرُّعْى - والله أعلم^(٢) - قوله في سورة البقرة : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٣) . ثم قال تعالى^(٤) بعد آي : ﴿ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾^(٥) . فهذا مثل الوارد في سورة البقرة، والله أعلم .

(١) ب . يقال، لم قال .

(٢) قوله : « والله أعلم » ي (ك) فقط .

(٣) الآية / ٢١٩ .

(٤) ساقطة من ح ، هـ .

(٥) البقرة / ٢٢١ .

سورة الفرقان

٢٧١ - الآية الأولى منها قوله تعالى :

﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ (٣).

وفي سورة يس (٧٤) : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يَنْصَرُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن ورود اسمه سبحانه مضمراً في قوله سبحانه : ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾ في سورة الفرقان، ومظهراً في قوله : ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ من سورة «يس»، ما وجه ذلك؟

والجواب أن آية الفرقان تقدم قبها اسمه سبحانه مكنياً عنه - حل وتعالى - في قوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا. الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (١). فورد اسمه سبحانه مكنياً عنه ثماني (٢) مرات.

أولها الموصول وهو ﴿ الَّذِي ﴾ من قوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي ﴾، وفاعل نَزَّلَ المضمَر، والضمير في عبده، والموصول الثاني، والضمير المجرور باللام في «له» (٣)، والضمير الفاعل في : ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ ﴾، والضمير في «له» المحرور، والضمير الفاعل في «خَلَقَ». فلما تكرر اسمه سبحانه مكنياً عنه ثماني مرات جرى (٤) بعد ذلك في قوله : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ ﴾، مضمراً على حكم ما تقدم، ولو ورد مظهراً لم يكن ليناسب.

وأما الوارد في سورة يس فتقدم قبل الآية قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي

(١) الابتاء/ ١، ٢.

(٢) ثمان.

(٣) سقط من ك، س : بي له

(٤) ح حر.

آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ^(١). فلم يكن ورود اسم الله تعالى هنا مضمراً ليناسبه^(٢) لو قيل: «واتخذوا من دونه» لما تقدم قبله من ذكر الشيطان، وتحذيرهم من عبادته فجاء كل من الآيتين على ما يجب ويناسب^(٣) [٧٦: / ظ].

سورة الشعراء

٢٧٢ - الآية الأولى منها [غ] قوله تعالى^(٤):

﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُتَّقِلُونَ ﴾ (٥٠).

وفي سورة الرخرف (١٣، ١٤): ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ. وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن تخصيص^(٥) خبر إن هنا بزيادة لام التأكيد [في الثانية] وحذفها من الأولى.

والجواب أنه لما كان قول السحرة: ﴿ لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُتَّقِلُونَ ﴾، جواباً لفرعون لما توعدهم بقوله: ﴿ لَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٦) فجابوه^(٧) بقولهم ﴿ لَا ضَيْرَ ﴾، أي لا ضرر، ﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾، أي إذا فعلت بما ذلك، فإننا منقلبون إلى ربنا، ومجازون على صبرنا.

(١) الآية/ ٦٠.

(٢) ك: ليناسب.

(٣) زاد في ج: والله سبحانه أعظم بما أراد. ولم يذكر ابن الزبير الآية الثانية من الفرقان لورودها في سورة يوس، وذكرها في الدرة/ ١٦٤.

(٤) لم يذكر ابن الزبير أولى متشابهات الشعراء في «الدرة»، لورودها في سورة الأنبياء. انظر: الدرة/ ٢٦٥.

(٥) ب: صيغة السؤال (يسأل عن تخصيص...).

(٦) الشعراء/ ٤٩.

(٧) ما بعدها إلى قوله: «على صبرنا فجابوه»، ساقط من ج.

فجاوبوه معزّين أنفسهم ، ومستأنسين بما^(١) ينتظرون من الثواب وعظيم الجزاء بسبقهم إلى الإيمان ، وصبرهم إن فعل ذلك بهم^(٢) ربهم على [سبيل]^(٣) الامتحان - فليس موضع قسم ولا تأكيد بما هو إخبار عن رجائهم وما ينتظرونه^(٤) ثواباً على إيمانهم ، فلا مدخل للام التأكيد هنا .

وأما آية الزخرف فمبنية على ما^(٥) تقدمها من الإخبار عن مشركي العرب في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ - الآيات^(٦) . والمراد بذلك إقامة الحجة عليهم في إنكار البعث ؛ فطابق ذلك وناسبه تأكيد قول المؤمنين المقول لهم : ﴿ لَنَسْتَوْفُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ . وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ فأكّد هذا وضمن معنى القسم ، وأحرز ذلك تقديم ما النافية في قولهم : ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ ، فوطأت «ما» في هذه الجملة ، من معنى القسم وأشعرت به ، ثم جيء بالجملة مؤكدة بحرفي التأكيد ، وهما : إن واللام ، فدخلت إن على الاسم في الخبر ، لما تقدم منهم إنكار البعث [و] جاوبهم^(٧) المؤمنون ، فكأبهم قالوا : والله إنه لحق ، فسوّغ دخول اللام ما قصد^(٨) من هذا العرض وليس ذلك في آية الشعراء . فورد كل على ما يناسب^(٩) والله أعلم .

(١) ج : لما .

(٢) ساقط من ج ، هـ .

(٣) جميع السج : ذلك .

(٤) ج : وما ينتظرونه .

(٥) ساقطة من ح .

(٦) الآيات / ٩ - ١٢ .

(٧) ج : حواهم .

(٨) ما والمعل ساقطان من ج ، هـ ، م .

(٩) ح يناسبه .

٢٧٣ - الآية الثانية من سورة الشعراء قوله تعالى :

﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ^(١) . قَالُوا نَعْبُدُ
أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَكْفِينَ ﴿ (٦٩ - ٧١) .

وفي سورة «الصفافات» (٨٣ - ٨٧) : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْعَةٍ لِإِبْرَاهِيمَ^(٢) . إِذْ جَاءَ رَبُّهُ
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ . أَتُنْفِكَ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ . فَمَا
ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

يسأل عن زيادة اسم الإشارة في قوله : ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ ، وسقوطها [١٧٧/ و]
من سورة الشعراء^(٣) .

والجواب عن ذلك أن قصص الرسل عليهم السلام مع أممهم لم تأت في
القرآن العظيم على منهج واحد في الدعاء ، والجواب والمحاورة والمراجعة ولا
يمكن ذلك لاختلاف طباع الأمم ، وأغراضهم واختلاف الحالات ، ولكل مقام
مقال . فمرة ترد القصة مقتصرة على الدعاء وإبداء الحجة والتوبيخ من غير ذكر شيء
من حوار المدَّعُوِّين سوى الإخبار تكذيبهم ، ومرة يورد من مقالات الأمم
لرسولهم اليسير ، ومرة يمدُّ أطناب الكلام في المحاورات فيما بين الرسل والأمم .

فمن الصرب الأول قول إبراهيم عليه السلام في سورة «الصفافات» : ﴿مَاذَا
تَعْبُدُونَ﴾ إلى آخر القصة ، ولم يرد فيها كلمة واحدة من مراجعتهم له سوى الوارد
من قولهم : ﴿أَبْتُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾^(٤) . وليس هذا بمراجعة له ولا
جواباً عن كلامه عليه السلام .

ومن الصرب الثاني آية الشعراء . فإنه ذكر فيها جوابهم بقوله تعالى مخبراً

(١) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب .

(٢) ما بعدها إلى قوله ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ ، محذوف من ب وفي موضعه : «الآية» - (هكذا) .

(٣) ب . صيغة السؤال (يقال ما فائدة اسم الإشارة في قوله ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ في الصفافات وسقوطها من
الشعر) .

(٤) الآية/ ٩٧ .

عنهم: ﴿ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِينَ ﴾^(١). ثم لما سألهم عليه السلام تقريباً لهم^(٢) وتوبيخاً فقال: ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنْفَعُوكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴾^(٣). جاوبوا بقولهم: ﴿ بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾^(٤).

ومن الضرب الثالث قصة شعيب عليه السلام في سورة هود^(٥) وأشباهها.

وتأمل القصص الواردة في القرآن تجدها على ما ذكرته. فلما كان في آية «والصافات» دعاء إبراهيم عليه السلام لهم مبيناً حالهم الشيع وسبي مرتكبهم ممتد الاطباب فيما يقطع بهم من قوله: ﴿ أَتُفَكِّكُمُ الْهَيْعَةَ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾، وقوله: ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ ﴾^(٦)، وعيوا بالجواب، ولم يحك عنهم غير قولهم: ﴿ ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ ناسب ذلك زيادة اسم الإشارة.

ولما كانت آية الشعراء واردة على غير هذا المنهج ناسبها سقوط اسم الإشارة، فقل: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾، ولم يقل «ماذا» كما في آية: «والصافات». ومن المفهوم عن العرب أن المستهيم إذا قصد التقرير والتوبيخ أطال كلامه إداةً بحجته^(٧)، وتعنيفاً لمن يخاطبه^(٨). والمقهور^(٩) أبدأً محصور. وقوله: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾، جملة فعلية، تقدم فيها المفعول، وهو «ما» الاستهامية. فهي^(١٠) في موضع نصب بالفعل بعدها. وقوله في الآية الأخرى ﴿ ماذا ﴾ استهام أيضاً رُكبت فيه «ما» مع اسم الإشارة وجُعلا إسمياً واحداً في موضع نصب بالفعل بعدها [١٧٧/ظ] ويمكن تركها على بابها من الاستهام غير مركبة وتكون «ذا» إسمياً موصولاً في موضع رفع،

(١) الآية/٧١.

(٢) في ك فقط.

(٣، ٤) الآيات/٧٢ - ٧٤.

(٥) الآيات/٨٤ - ٩٥.

(٦) الصافات/٩٥.

(٧) ح: حجته.

(٨) ح، هـ: خاطبه، ك: بحالقه.

(٩) ح، ب: المفهوم.

(١٠) ش: فهو.

خبراً للمبتدأ الذي هو «ما» والجملة من قوله: ﴿تَعْبُدُونَ﴾ صلة، والجملة من المبتدأ والخبر محكية بعد القول، كأنه قال: أي شيء الذي تعبدونه؟ وانحذف^(١) الضمير الرابط، لأنه ضمير نصب متصل^(٢)، وليس في الصلة ضمير غيره، فحسن حذفه. والله أعلم.

٢٧٤ - الآية الثالثة من سورة الشعراء قوله تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ^(٣) . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ (٧٨ - ٨١).

يسأل عن زيادة الضمير في قوله: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي﴾، وفي قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾. ولم لم تدخل في قوله: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾.

والجواب أن أمر الإماتة والإحياء لا مطمع فيه لأحد بخلاف أمر الإطعام والسقي إذ^(٤) قد يتوهم من ضعف نظره أن ذلك مما يصح فيه النسبة حقيقية لغيره تعالى؛ إذ يقال: «أطعمني فلان وسقاني»، ويسبق إلى الوهم والاستقلال، وإنما ذلك على المجاز. ولا يقال: أمات^(٥) فلان فلاناً، أو أحياء، إلا ويسبق إلى الوهم ما الأمر عليه من المجاز. فلما كان [أمر^(٦)] الإماتة والإحياء ونسبة ذلك إليه تعالى مما لا يخفى على أحد لم يحتج إلى الضمير واحتيج إليه فيما قبل، لرفع الإيهام إذ مفهومه أنه هو لا غيره يطعمني ويسقني فاحتيج إلى «هو» هنا ليحرز ما ذكرنا ولم يحتج إليه في قوله: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾، لأنه لا يتوهم أن غيره يفعل

(١) ح: والحذف.

(٢) لك: منفصل.

(٣) ما بعدها إلى آخر الآيات محذوف من ب.

(٤) لك: الذي.

(٥) ح: مات.

(٦) جميع النسخ: الأمر.

ذلك . فجاء كل على ما يجب ويناسب . وسنريد هذا بياناً في سورة الحج إن شاء الله ، والله أعلم .

٢٧٥ - الآية الرابعة من سورة الشعراء قوله تعالى في قصة صالح عليه السلام :

﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴾ (١٥٤) .

وفي قصة شعيب عليه السلام (١٨٦) : ﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾ .

يسأل عن زيادة الوار العاطفة هنا ، ولم تثبت في قصة صالح عليه السلام .

والجواب عنه - والله أعلم - أن ذلك لرعي المناسبة . بيان ذلك ما ثبت قبل الآية الثانية من قوله تعالى حكاية لما عدّ شعيب في [أمر^(١)] قومه ، وذكر من مرتكباتهم^(٢) في قوله : ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ . وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى ﴾ (٣) . فهذه خمس معطوفات من [١٧٨ / و] مأمور به ، ومنهى عنه ، طاقها العطف في جوابهم من قوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ . وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٤) . فهذه مناسبة واضحة . ولما تقدم في قصة صالح عليه السلام قوله : ﴿ أَتُشْرِكُونَ فِيمَا هُنَا آمِنِينَ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ . وَتَجْنِسُونَ مِنَ الْجِبَالِ بَيْوتاً فَارِهِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ . الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ (٥) . فلم يقع في هذه القصة من المعطوفات أمراً ونهياً سوى قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ، فناسب

(١) جمع السح : أمره .

(٢) ك : وذكره مرتكباتهم .

(٣) الشعراء / ١٨١ - ١٨٤ .

(٤) الشعراء / ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٥) الشعراء / ١٤٦ - ١٥٢ .

ذلك ورود جوابهم في دعوى المماثلة في البشرية بعير حرف النسق^(١)، فقالوا: ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾، بخلاف الآية الثانية. وجاء كل على ما يجب ويناسب، ولا يناسب عكس الوارد، والله أعلم.

سورة النمل

٢٧٦ - الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ. يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ. إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَأَتَىٰ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١١، ١٠).

وفي سورة القصص (٣١): ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن القول لموسى عليه السلام عقب^(٢) قوله عنده: ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا ﴾ لِمَا رَأَى من فعل الله سبحانه في عصاه، حين ألقاها من اهتزازها كأنها جان، فبودي تأيساً وإعلاماً بما الأمر عليه. ولا شك أن ذلك في^(٣) مقام واحد، وحال ابتداء أمره ورسالته، فالمعنى واحد، فما وجه اختلاف العبارة؟

فأقول جواباً لهذا السؤال - وأسأل الله توفيقه وعصمته - أنه قد تقدم في سورة طه أن الوارد من هذه القصص، إنما أُخْبِرْنَا بها على المعنى، وإنما خُوطِبْنَا باللسان العربي، وخطاب موسى قومه باللسان العبراني: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ

(١) لك: السين.

(٢) ب: عصية السؤال (فيمن عن القول لموسى عليه السلام...).

(٣) ساقطة من ج، هـ.

قَوِّمِهِ ﴿^(١)﴾، وحل كلام ربنا عن الحرف والصوت، وعن شبه كلام البشر، وبَسْطُ^(٢) هذا في مَظَانِّهِ.

وإذا تقرر أنا إنما خوطبنا بكلامنا، وأن الاختلاف والتفاوت فيما بين الألسنة معلوم، والمعاني لا تختلف. فالمراد من الوارد في السورتين^(٣) أن موسى عليه السلام أَمِنَ من خوفه الذي لحقه وأعلم أنه من الأمنين، وأن^(٤) الأمنين لديه سبحانه هم المرسلون، ومن اهتدى بهداهم ممن سبقت له الحسنی، ومن لحق بهم ممن ظلم ثم بدّل حُسْنًا بعد سوء، وسبقت له منا الحسنی. فهؤلاء هم الأمنون لديه سبحانه بما^(٥) سبق لهم، ولا يجب عليه سبحانه إلا^(٦) ما [١٧٨/ظ] أوجبه على نفسه. فهذا هو الحاصل من القول لموسى عليه السلام في السورتين من غير اختلاف في شيء من معناه وهو المراد بقوله سبحانه: ﴿لَا تَخَفْ إِنْكَ مِنَ الْأَمِينِينَ﴾، وبقوله: ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ. إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾. الآية. والاستثناء منقطع وليس المراد إلا من ظلم من الرسل، ويكون من الاستثناء المتصل، كما قاله بعض المحرّفين من ذوي الضلال؛ فإن الرسل عليهم السلام معصومون من الكفر مطلقاً باتفاق من أهل القبلة إلا ما قالت^(٧) الشَّوْذِيَّةُ^(٨)، ومن قال

(١) إبراهيم/٤.

(٢) ب: وبسط.

(٣) ما بعدها إلى قوله: (سبحانه هم) ساقط من ك.

(٤) في ك فقط، وبقيّة النسخ: فَأَنَّ.

(٥) ج: لما.

(٦) بعدها في ك: عن.

(٧) في م فقط وبقيّة النسخ: قالته.

(٨) هكذا في ك وهو الصواب، وبقيّة النسخ «الشرذية» وهو تحريف. والشوذية أتباع أبي عبد الله الشوذية

الإشبيلي، كما جاء في كتاب «الذيل والتكملة لكتابي الموصول» ٤٤/١. وعن ألف في

التعريف بالشوذية من معاصري ابن الزبير أستاذ ابن رشيد في كتبه: «إمالة الأذية الناشئة من

سياسة الشوذية» ولابن الزبير في الرد عليهم كتاب «ردع الجاهل عن اعتساف المجاهل» الداودي

٢٧/١، كشف الطون ٨٤١/١.

بقولهم من المارقين ممن لا عزة به ، والظلم هنا هو الكفر بما دونه . وقد عصم الله منه الرسل ، ومن شاء عصمته من ذلك ، ممن سواهم . ثم إن من كان ظالماً لنفسه بالكفر وبما^(١) دون الكفر ، ثم بدل حسناً بعد سوء ، فإنه راجع ما وعد سبحانه . ومن مات على^(٢) ظلمه ولم يكن كُفْراً ، فهو في المشيئة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾^(٣) . فما^(٤) أفهمت آية النمل من هذا فهو المراد بآية القصص من قوله : ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ ، ولم يقع في آية النمل ذكر غير المرسلين ، ممن لم يظلم نفسه إيجازاً ، لأنه من المعلوم أنه إذا كان الظالم لنفسه ، المبدل حسناً بعد سوء على ما ذكرنا ، فحال^(٥) من لم يظلم نفسه أولى . فسمع موسى عليه السلام من كلام ربه ما حصل له [به] المعنى المقصود ، ثم اختلف التعبير عندما عن ذلك ، والمعنى واحد ، فلا اختلاف .

فإن قلت : فما وجه اختصاص آية النمل ، بما ورد فيها ، وآية القصص بما ورد فيها . قلت : هذا^(٦) سؤال لازم على شرطنا . والجواب عنه^(٧) أن سورة النمل لما ورد^(٨) فيها قصة بلقيس وقومها وعبادتهم الشمس حسبما ورد في السورة في قوله : ﴿ وَجَدَتْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ - الآيات^(٩) . ثم هداها الله إليه سليمان عليه السلام حتى قالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ

(١) ث ، ب ، و - دون .

(٢) ث ، ب ، عن .

(٣) النساء / ٤٨ .

(٤) ك ، عا .

(٥) ج : محال ، ب : محال .

(٦) ساقط من ك .

(٧) ح : « إن شاء الله في سورة النمل » ، م . « إن شاء الله تعالى أن سورة النمل » .

(٨) ح : أورد .

(٩) هذا اللفظ في ك فقط والآيات هي / ٢٠ - ٤٤ .

سَلَامَانَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾. ناسب هذا قوله تعالى في تأسيس موسى عليه السلام، ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾.

ولما ورد في آخر (٢) سورة القصص: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا﴾ (٣)، وهي آية عامة في كل متصف بالإيمان متمسك بما في الآية وقد أشارت إلى أمتهم، لأنهم ولا بد ممن سبقت لهم (٤) الحسنى. وقد نص الكتاب على أنهم آمنوا لديه سبحانه حين قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا [١٧٩/و] الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (٥)، ثم قال: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ﴾ (٦)، فهم آمنون. فناسب قوله سبحانه ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا﴾، ما خصت به هذه السورة (٧) من قوله في قصة موسى عليه السلام: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾.

وحواب ثانٍ، وهو أن الأمنيين، لما تقدم بيان أنهم المرسلون، ﴿وَمَنْ ظَلَمَ﴾ من غيرهم ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾، جُعِلَ في طيُّ هذا الكلام، وصمته أن مَنْ لم يظلم نفسه من غير المرسلين فلا توقف أنه من الأمنيين. فلمَّا تحصل بيان الأمنيين وقت الإحالة عليه في القصص، ولم يحتج إلى تفصيل أحوالهم اكتفاء بما تقدم، فقيل: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾. وهذا الوجه الثاني كاف في حصول التناسب، والله أعلم.

(١) السمل/٤٤.

(٢) ج، هـ، آية.

(٣) الآية/٨٣.

(٤) م، ب، هـ.

(٥) (٦، ٥) الأساء/١٠١، ١٠٣.

(٧) ح، ب، آية.

٢٧٧ - الآية الثانية من سورة النمل قوله تعالى :

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾ - الآيات إلى قوله -
﴿ قُلْ مَا تَوْأَمْتُمْ أَنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٥٩ - ٦٤).

للسائل أن يسأل^(١) عن وجه الاختلاف فيما^(٢) أعقب^(٣) به كل آية منها ، وإبداء
التناسب في ذلك .

والجواب - والله أعلم - أن الآية الأولى لما نُبِّهوا فيها وذكُرُوا بما تشهد^(٤)
العقول بديها ، وتعترف بدلالته^(٥) ، إذ الإشكال^(٦) فيه من أن السموات والأرض
تشهد بإحكام صنعتها ، واتقان خلقها وما أودع سبحانه^(٧) فيها^(٨) من العجائب
والآيات المشاهدة للعيان مع انسحاب التغير^(٩) على جميعها ، وعلى ما فيها بأن لها
موجداً أوجدها وأحكم صنعتها واتقانها ، وأنه لا يمكن أن أوجدت أنفسها ، ولا
أوجدت غيرها مما يماثلها في شواهد الافتقار وانسحاب التغير . وذلك مما لا ينفك
عند سائر الموجودات فيشهد العقل بأن لها موجداً من غير جنسها متعالياً عن
شبهها^(١٠) ، إذ لو أشبهها لافتقر إلى موجد آخر . فليبان الأمر ما أعقب^(١١) هذه الآية
الأولى بقوله . ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾^(١٢) ، أي أن الأمر غير خاف ، ولكنهم

(١) ب : صيغة السؤال (يسأل عن . . .) .

(٢) ج ، هـ ، ب ، ك : بما .

(٣) ك : أعقب .

(٤) م : يشهد .

(٥) ج ، هـ : به الالسة .

(٦) م : لا إشكال .

(٧) ساقطة من ب .

(٨) ساقطة من ج ، هـ ، م .

(٩) ك : التغير .

(١٠) ج ، هـ ، م : شبهتها .

(١١) اسمل / ٦٠ .

يعدلون عنه . وكذا قيل في دعائهم إلى الإيمان في أول سورة البقرة حين ذكروا بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(١) فهذا كقوله : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ من غير فرق لما ذكروا في الموضعين من خلق السموات والأرض وإنزال الماء من السماء، وإخراج الثمرات، وإنبات الحقائق [١٧٩/ظ] العجيبة وكانوا يعترفون بخلق سبحانه جميع ذلك : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ تَاسْمَواتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٢) ، ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٣) . فاعترفهم بهذا ثم يجعلون لله تعالى الشُّدَّ والشريك عدول عن واضح بعد قيام الحجة عليه ، فقل هنا : ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ - الآية^(٤) فإن تمهيد الأرض للسكنى وتفجير الأنهار خلالها، وحجز ما بين العذب والمالح من ميهها ليس مما ظهور الاعتبار به وبيانه في الجلاء والوضوح كخلق السموات والأرض وإنزال الماء إلى ما في الآية . فما كان التذكر بما في هذه الآية أخفى أعقب هذا بقوله : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٥) ، ثم تدرج الاعتبار إلى ما هو أخفى فقل : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾^(٦) ، وحفاء الاعتبار بهذا واضح ، ولا يحصل عليه إلا من أمعن النظر فيما تقدم قبله فأعقب هذا الخفاء ، بقوله : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٧) . ثم أعقب بما لا يمكن أن يتعاطاه أحد مع وضوح الأمر عند تدبره ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ - الآية^(٨) ، وذلك مما لا يتصور فيه من العاقل

(١) الأبنان/ ٢١، ٢٢ .

(٢) العنكبوت/ ٦١، ٦٣ .

(٣) المل/ ٦١ .

(٤) الآية/ ٦٢ .

(٥) الآية/ ٦٣ .

إلا التسليم، فأعقب بحسب ذلك والتفات ما قبله بقوله: ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١). ثم ختم ما قدم من هذه المعطيات الجليلة بما لا يحصل الاعتبار به إلا بعد إحكام النظر فيما قبله من الاعتراف بما يجب لله سبحانه من الاتصاف بالعلم والقدرة، إذ بهما وبشيوتهما تفهم وثبت العودة والبداء، إلى ما يجب له سبحانه من الصفات العلى، التي يثمر العلم بشيئها له سبحانه النظر التام الصحيح والاعتبار بما تقدم في الآيات قبل هذه. فلما كُملَ ذكر ما به^(٢) يحصل الاعتراف والایمان. ويستوضح منه أنه سبحانه المنفرد بالخلق والأمر، المالك للدارين، أعقب بطلب المعاند بالبرهان على ما يدعيه، فقل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣)، أي إن صدقتم أن لله شريكاً في ملكه تعالى الله عما يشركون. فقد وضح أن كل معقب به آية من هذه الآيات، المذكر بها من استبصر^(٤)، القاطعة^(٥) لكل من أشرك وكفر، جارٍ على أوصح مناسبة.

سورة القصص

٢٧٨ - الآية الأولى منها [غ] قوله^(٦) تعالى:

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ (٢٠).

وفي^(٧) سورة يس (٢٠): ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ [١٨٠/و] رَجُلٌ يَسْعَى
قَالَ يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

(١) الآية/٦٣.

(٢) ما بعدها إلى الاعتراف مكانه بياض في ك.

(٣) الآية/٦٤.

(٤) ج، ب. استبصروا.

(٥) ب. العاطفة.

(٦) هي وما بعدها محذوفتان من ب.

(٧) إلى: يس ماقط من ب.

للسائل أن يسأل عن تأخير الفاعل^(١)، عن المجرور في سورة يس، ولم يأت متقدماً يلي الفعل، كما ورد في سورة القصص.

والجواب عن ذلك بعد تسليم أن وروده في سورة القصص متقدماً فقليل: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾، وارد على ما يجب، لأن مرتبة الفاعل التَّقدُّم، ولا يتأخر عن ولايته الفعل إلا لعارض من جهة اللفظ أو من جهة المعنى، [أو اتِّساعاً^(٢)]، وذلك غير الأوَّلَى، أعني إذا كان تأخره^(٣) لمجرد الاتِّساع^(٤) من غير حامل، وإذا تقرر هذا فإنما السؤال عن وجه تأخره في سورة يس.

ووجه ذلك - والله أعلم - أن تقديم المجرور الذي هو قوله: ﴿مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ مشير إلى إحراز معنى جليل مُطْلِعٌ على حكم السوابق من إيمان من بُعد مسافة عن داعيه إلى الهداية فلم يضره^(٥) بُعد الدار وكفر من باشر الرسل وشافهم فلم ينتفع بقرب الدار. وذلك بحسب ما قدر لكل من المكلفين، وسبق له. وحاصل الإخبار من هذه الآيات مثال لحال كفار قريش من أهل مكة، وحال الأنصار^(٦) من أهل المدينة حين جاء هؤلاء وآمنوا به صلى الله عليه وسلم، مع بعد دارهم وعاند عتاة قريش فكفروا^(٧) مع الالتحام في النسب واتحاد الدار. ويوضح لهذا أن السورة مكية وإنما افتتحت بذكر قريش، وهم المَعْنِيُّونَ بقوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ - إلى ما بعد من الآيات والإخبار بأن ذلك لا يجدي عليهم في قوله: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٨). فهذا إخبار بخال كفار قريش، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ -

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تأخير الفاعل . .).

(٢) ك: أو اتِّباعاً، وبقية النسخ: واتِّساعاً.

(٣) ما بعدها إلى قوله «وجه تأخره» ساقط من ج.

(٤) ما بعدها إلى قوله «حامل» ساقط من ك.

(٥) ساقط من ك.

(٦) ك: وحاصل الانصاف.

(٧) ساقط من ك.

(٨) يس/٦ - ١٠.

الآية^(١)، أي من انقاد وأصغى إليك وإن بعدت داره. وهذه حال الأنصار^(٢). ثم قال: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾^(٣)، أي للفريقين ممن كفر مع قرب داره، ومن آمن مع بعد داره. وذكر تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْقَرْيَةِ﴾^(٤) وحالهم مع من أرسل إليهم، وأنهم أرسل إليهم اثنان ثم عززوا بثالث فجاء بهم أصحاب القرية المخاطبون مجاوبة الرد، والتكذيب فقالوا: ﴿مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(٥)، كما قالت قريش: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾^(٦). ثم ذكر تعالى قول الرسل لأصحاب القرية: ﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ. وَمَا عَلَيْنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٧)، وقول أصحاب القرية: ﴿إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ﴾^(٨). فلما ذكر سبحانه هذه المحاورة والمراجعة قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾^(٩)، أي ممن لم يحضر معهم، ولا شاهد ما طال من مراجعتهم. فجاء بحسب ما سبق لهم من السعادة يقول: ﴿يَا قَوْمِ [١٨٠/ظ] اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ إلى ما أخبر تعالى من قوله. فمجيئه من أقصى المدينة، مثال لمن بعد فلم يضره، وذكره المراجعين للرسل أصحاب القرية مثال لمن قرب وطالت مباشرته، وشاهد الأيام فلم ينفعه قربه. فلما قصد في آية يس مثال من ذكر من الفريقين خصت من تقديم المجرور على الفاعل بما يحرز المعنى المقصود^(٩)، فهو من قبيل ما قدم للاعتناء^(١٠) والتهمم، وقد تقدم في مواضع. وإنشاد سيبويه - رَحْمَةُ اللَّهِ - عليه^(١١):

لَتَقْرَبُنَّ قَرَبًا جَلْدِيًّا مَا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلٌ حَيًّا
فلا حراز هذا المعنى، ما قدم هذا المجرور هنا، وتأخر الفاعل.

(١) يس/١١.

(٢) ك. الأمصار.

(٣ - ٤) الأيات/١٣ - ١٥.

(٥) الفرقان/٧.

(٦، ٧) يس/١٦ - ١٧.

(٨) ساقطة من ج، هـ.

(٩) ك: للاعتبار.

(١١) سبق تحريج البيت في الآية رقمه/٣١.

أما آية القصص فلم يقصد فيها شيء من هذا فحاءت على ما يحب من تقديم الفاعل. وتناسب هذا كله ووضح أن كلاً من الموضعين لا يناسبه، ويلائمه غير الوارد فيه^(١)، والله أعلم بما أراد.

٢٧٩ - الآية الثانية من سورة القصص، قوله تعالى:

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْلاً تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٠).

وفي سورة الشورى (٣٦): ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

يسأل عن زيادة قوله: ﴿ وَزَيَّنَّا ﴾ في الآية الأولى، وعن تعقيبها بقوله: ﴿ أَفْلاً تَعْقِلُونَ ﴾^(٢)، وسقوطها من الثانية، وتعقيبها^(٣) بقوله: ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

والجواب عن الأول أن سورة القصص تضمنت ذكر قارون وما أُوتِيَهُ^(٤) من المال الذي هو زينة الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾^(٥)، ثم أخبر تعالى عن زهوه واختياله بماله^(٦) وظنه استحقاقه^(٧) إياه. قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾^(٨)، حتى قال من غفل عن آخرته ولم يعلم ما أُعِدَّ له فيها للمؤمنين: ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾^(٩)، فقدم سبحانه للمعتبر من^(١٠) عباده المؤمنين، وتبليها للغافلين،

(١) ساقط من ج.

(٢) ما بعدها إلى الثانية ساقط من ج، هـ، ك، ب.

(٣) ح، هـ، ك، ب: وتعقيب الثانية.

(٤) ساقط من ج، ب: ما أُوتِيَ.

(٥) الآية/٧٦.

(٦) ك: بحله.

(٧) ك: واستحقاق.

(٨، ٩) الآية/٧٩.

(١٠) ك: للمعتبرين عباده.

لتحصل السلامة للسعداء ممن عصم مما ابتلى به قارون فقال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ - أي للمؤمنين - ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾. وقد أخبرهم سبحانه في موضع آخر أن الدنيا وحياتها غرور وأخبرهم أن الآخرة هي دار القرار. وبعد^(١) تحذير المؤمنين وردت^(٢) قصة قارون فالتحمت الآية بتلك القصة، وقيل هنا: ﴿ وَزِينَتُهَا ﴾ كما قيل في تلك: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾. ومن الذي يعدل عما عند الله سبحانه إلى ما جعله^(٣) الله^(٤) تعالى سبباً لإهلاك المشركين. فتناسب هذا كله وتلاءم [١٨١/ و] ولم يقع في آية الشورى ذكر ﴿ وَزِينَتُهَا ﴾، إذ لم يرد فيها ما ورد هنا مما استدعى هذه المناسبة، ولم يرد في سورة الشورى من أولها إلى آخرها ذكر بسط حال^(٥) دُنياوي لأحد، بل تضمنت حقارة الدنيا، ونزارة رزقها وأنه مقدور غير مبسوط. وتلك حال الأكثر فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقُدْرٍ مَّا يَشَاءُ ﴾^(٦) وقال عند ذكر من احتار الدنيا ومال إليها: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾^(٧) فقال منها^(٨) نأداة التبعية، فلم يقع في هذه السورة ما يستدعي ذكر الزينة المالية، فلذلك لم يذكر - والله أعلم -

والجواب عن السؤال الثاني أن قوله تعالى في آية القصص: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ملتحم أوضح التحام بما اتصل به من قوله: ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾^(٩). فكانه قد

(١) في ك فقط، وبقية النسخ. بعد

(٢) ك: ورد.

(٣) ج: فعله.

(٤) لفظ الجلالة ساقط من: ج، هـ، ك، ب.

(٥) في م فقط.

(٦) (٧، ٦) الشورى / ٢٧، ٢٠ على الترتيب.

(٨) الفعل والجار والمجرور ساقطان من ح.

(٩) الآية / ٦١.

قيل بعد قوله: ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾، وكان قد قيل: ﴿ فَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، ما بين الأمرين، ثم أحبر بقوله: ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾، في العذاب الذي لا آخر بعده فقوله: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، من تمام ما قبله، وذلك بين التناسب. ولما ورد قبل آية السورى: ﴿ وَتُكْلَرُ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾^(١)، وقوله: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ - الى قوله - ﴿ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ ﴾^(٢) - الآية، وقوله: ﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُعَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾^(٣) وقوله: ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾^(٤)، وقوله: ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾^(٥)، ناسب هذا المتقدم من التحويف ما ينشئ المؤمنين المستجيبين، [فأصاف^(٦)] قوله: ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾. فقوله^(٧) تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾، أي صدقوا كل هذا، وعلموا^(٨) امراده سبحانه بالخلق والأمر، فتوكلوا عليه. فاعقبت كل منهما بما يناسبها، ووردت على ما يحب، والله أعلم.

٢٨٠ - الآية الثالثة من سورة القصص قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلًا تَسْمَعُونَ ﴾ (٧١).

ثم قال تعالى (٧٢): ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ [١٨١/ ظ] النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾.

(١-٥) لايات/٧، ١٣-١٥، ١٨، ٢٢، ٣١ على الترتيب.

(٦) جميع النسخ: فأصاف.

(٧) م: بقوله.

(٨) ح، حم، م: واعلموا.

للسائل أن يسأل لم قدم^(١) الليل، ولم حتمت الأولى بقوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ والثانية بقوله: ﴿أَفَلَا تَبْصِرُونَ﴾.

والجواب عن الأول أن تقديم الليل على النهار جارٍ على ما بنت العرب عليه حساب شهورها من تقديم الليل وجعل النهار تابعاً له^(٢)، ولم يرد في كتاب الله تعالى على كثرة تردادها إلا كذلك.

والجواب عن السؤال الثاني أن قوله في الآية الأولى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، [مناسب^(٣)] للمدرك ليلاً من ضري ما يعتبر به من المسموعات والمبصرات، إذ الليل حائل دون المبصرات وإنما تدرك فيه المسموعات، لأن ظلمة الليل غير مانعة من إدراكها. فجيء بما يناسب، وجيء مع ذكر النهار بما يناسب أيضاً. فقيل ﴿أَفَلَا تَبْصِرُونَ﴾ لأن المبصرات تدرك نهاراً ولا تدرك ليلاً، فجيء مع كل ما يناسب والله أعلم.

سورة العنكبوت

٢٨١ - الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٨).

وفي سورة لقمان (١٤، ١٥): ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْتًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَتْهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ. وَإِنْ جَاهَدَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

(١) ب. صيغة السؤال (يقال ما وجه تقديم الليل . .).

(٢) الحار والمحروور ساقطان من ح، هـ، ب.

(٣) جميع السج: مناسب.

وفي الأحقاف (١٥) ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ - إلى قوله ﴿ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

اشتملت هذه الآية في السور الثلاث على التعريف بما يجب من حقوق الوالدين وما يرعى لهما . ومنتهى ذلك وغايته [قد^(١)] اجتمعت في هذا المعنى ، ثم اختلف إيرادها . ففي العنكبوت والأحقاف «حسناً» ، ولم يرد ذلك في سورة لقمان . وفي العنكبوت ولقمان النهي عن طاعتهما في الشرك ، ولم يرد ذلك في الأحقاف^(٢) . وفي العنكبوت : ﴿ لِتُشْرِكَ بِي ﴾ ، بتعدية الفعل باللام . وفي لقمان : ﴿ عَلَيَّ أَنْ تُشْرِكَ ﴾ فعدي بعلي . وفي لقمان : ﴿ وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ ولم يرد ذلك في السورتين . وفي لقمان : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ ﴾ . وفي الأحقاف : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ . وفي لقمان : ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ ، وفي الأحقاف : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ . وفي لقمان والأحقاف ، ذكر الأم^(٣) منصوباً عليها ، وورد ذكرها في العنكبوت مجملاً . وفي العنكبوت ولقمان ، التعريف بالرجوع إليه سبحانه ، ولم يرد ذلك في الأحقاف . فيسأل عن هذا ، وعن وجه اختصاص [١٨٢ / و] كل سورة من الثلاث بما حصت به ، وإن كان ذلك حاصلاً عن جواب ما تقدم فتلك تسعة أسئلة .

والجواب عن الأول أن بناء آية العنكبوت على قصة سعد بن أبي وقاص ، وما كان من فعل أمه وحليفها على ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظل حتى يرجع سعد إلى دينها^(٤) . والقصة مشهورة فنزلت الآية ولم يقصد غير هذا فاكتفى بالتنبيه على الإحسان بهما ما لم يدعوا معاً ، أو أحدهما إلى الشرك . ولما كان هذا حكماً لا يخص أباً من أم ، لم يحتج إلى التنصيص على أحدهما ، فوقع الاكتفاء هنا بقوله :

(١) جميع النسخ : بل .

(٢) ما بعدها إلى قوله : «وفي لقمان» ساقط من ك .

(٣) ح ، هـ ، ب : اللام .

(٤) راجع اللب / ١٧٠ ، وزاد الواحدى بها برئت في سعد بن مالك ، أساب البرون / ٢٢٩ - ٢٣٠ .

﴿حُسْنًا﴾، ونصبه على الحال، لأن المصدر إذا حذف اكتفاء بصفته فانتصابها عند سيبويه - رحمه الله - على الحال. ذكر ذلك في بابه^(١).

وأما ورود حسناً في الأحقاف، فلما قصد من البسط والإطالة حسناً^(٢) بعد، وقد أنجز في هذا الجواب السؤال السابع^(٣).

والجواب عن السؤال الثاني أن النهي عن الشرك ورد في سورة العنكبوت لبناء الآية وما قبلها على ذكر ذلك، وهو المراد بالفتنة الواقع ذكرها في مطلع السورة. وورد في آية لقمان لما تقدم من قول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٤) ولم يرد في سورة الأحقاف، لأن آية الأحقاف فيمن كان مؤمناً. ألا ترى قوله: ﴿أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٥) إلى ما بعد هذا، ولا مدخل هنا للشرك.

والجواب عن السؤال^(٦) الثالث أن قوله في سورة العنكبوت: ﴿لِتُشْرِكْ بِي﴾، تعدية الفعل باللام وتعديته في آية لقمان على، فإنما ذلك لفرق ما بين الآيتين في السورتين من حيث بناء آية^(٧) العنكبوت على الإيحاز. فناسب ذلك الاكتفاء باللام وبناء آية لقمان على الإطالة. فناسب ذلك التعدية على. ولو قدرنا عكس الواقع لما ناسب، فجاء كل على ما يناسب.

والجواب عن السؤال الرابع أن قوله في آية لقمان: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾، أمرٌ بالرفق بهما والقيام من حقهما بما ليس بمعصية. ولما كان مبنًى

(١) انظر سيبويه ١٢٠/٢، ١٢١، ملاء ما من به الرحمن ١٨١/٢.

(٢) ج، هـ، بين.

(٣) ساقط من هـ، م، ب.

(٤) الآية/١٣.

(٥) الأحقاف/١٥.

(٦) محذوف من ب.

(٧) في ك فقط.

الاية على الأمر بما يفعل بهما ومعهما من غير مطلب لهما وإما ذلك على الجملة من التعريف بما ينبغي أن يكون الأمر معهما عليه، ناسبه^(١) الورد هنا من قوله: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾. ولما كانت آية العنكبوت مبنية على حكم من طلب من الأبوين الشرك والرجوع إلى الكفر كما تقدم؛ لم يناسب ذلك أن يقال فيهما: وصاحبهما في الدنيا معروفًا؛ لما كان يكون فيه بالسابق [١٨٢/ ظ] من مظاهر الكلام من الإذن في الصغر إلى مطلبهما وهو ما لا يمكن أن يؤذن فيه لا ظاهراً ولا باطناً فلم يرد هنا ما يوهم جوازاً، ولو في آراءتهما الانقياد لهما في الظاهر مع اعتقاد ما يجب اعتقاده في الباطن من التوحيد كما في آية الإكراه من قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٢) وإنما قصد هنا العزم على ما هو الحق ولا يصغي إلى مرادهما لا ظاهراً ولا باطناً، إذا جاهدوا^(٣) في طلب^(٤) الشرك، فلم يكن ليناسب ولا يلائم ورود: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾، في آية العنكبوت بوجه.

وأما آية الأحقاف، فمبنية وواردة على حال إيمان الموصى بوالديه. وقد علم المؤمن ما يلزمه من أبويه المؤمنين، وأنه أكثر من الموصى به في آية لقمان، فجاء كل على ما يحب.

والجواب عن السؤال الخامس أن قوله: ﴿وَهُنَا عَلَى وَهْنٍ﴾، المراد به الضعف. وقوله في الأحقاف: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾، المراد به أنها حملته ووضعته على صفة من المشقة تكره ولا تُرَاد. فتحصل من الآيتين الإخبار بحالهما^(٥) من الضعف والكراهة فلا تعارض.

والجواب عن السؤال السادس أن قوله في سورة لقمان: ﴿وَفِصَالُهُ فِي

(١) ح، هـ، ب: ناسب.

(٢) النحل/ ١٠٦.

(٣) ب: جاء هذا في طلب.

(٤) ح: مطلب.

(٥) ح: بحالهما.

عَامَيْنِ ﴿١﴾ ، وقوله في الأحقاف ﴿٢﴾ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴿٣﴾ لا تعارض بينهما ، إلا أنهم إخباران ^(١) عن قضيتين ، لأن الحمل والفصال مدتان ، ومدة الحمل غير مدة الرضاع فأخبر في الآية الواحدة عن مجرد مدة الرضاع ، وفي الثانية عن المدتين . وقد تقدم التنبيه على انجرار السؤال السابع .

والجواب عن السؤال الثامن أن قوله تعالى في العنكبوت ولقمان : ﴿٤﴾ إِلَهِي مَرَجِعُكُمْ ﴿٥﴾ تحذير من طاعتهم في الشرك ، وإبلاغ في النهي عن الصغو إليهما في ذلك إلى الغاية ؛ لئلا يظن أن ذلك كآية الإكراه كما ^(٢) تقدم . ولما لم يقع في آية الأحقاف ذكر الشرك وكانت فيمن كان على إيمان وقد علم المؤمن من رجوعه إلى ربه ؛ لم يرد فيها ذكر ذلك .

والجواب عن السؤال التاسع حاصل في الجواب المتقدم وتلخيصه أن تخصيص هذه السورة بما ورد فيها مختلف بهذا ^(٣) السياق لما يُذكر ، وقد مر . أما آية العنكبوت فلما قُدِّمَ ^(٤) ذكره في قصة سعد . وأما آية لقمان فلتدُّم قوله تعالى : ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ . وأما سورة الأحقاف فلما أُنْجِزَ في جواب السؤالين الثاني ، والرابع من الخصوص بمن آمن بالله أعلم .

٢٨٢ - الآية الثانية من سورة العنكبوت قوله تعالى :

﴿٧﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ .

وفي سورة الشورى (٣١) : ﴿٨﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٩﴾ .

(١) ج : إخبارا .

(٢) ساقط من ك .

(٣) ك : من مختلف هذا .

(٤) ح : تقدم .

للسائل أن يسأل عن^(١) زيادة الوارد في سورة العنكبوت من قوله: ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾. ولم يرد ذلك في سورة^(٢) الشورى.

والجواب عنه - والله أعلم - أنه لما تقدم قبلها قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾^(٣). وهذا من أشد الوعيد^(٤)، إذ حاصله أنه لا يفوته سبحانه أحد، وأنه^(٥) لا مهرب منه إلا إليه تناسب هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، كما قال: ﴿أَبْنِ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾^(٦). إلى ما ورد من هذا. وذلك تناسب بين. ولما لم يرد في سورة الشورى من أولها إلى الآية مثل هذا الوعيد الشديد، ولا كان فيها ما يستدعي هذا التعميم والاستيفاء الوعدي^(٧)، وردت الآية مناسبة لذلك فقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ ولم يكن التعميم هنا، ليناسب؛ فورد كل على ما يجب والله سبحانه^(٨) أعلم.

٢٨٣ - الآية الثالثة من سورة العنكبوت قوله تعالى:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٤)

وورد بعد هذا (٤٤): ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾. فأفرد هنا «آية» وجمع في الأولى فقال «الآيات»، مع أن هذه الآية

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما فائدة زيادة...).

(٢) في م فقط، وبقية النسخ: آية.

(٣) العنكبوت/٤، وزاد منها في ك. ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

(٤) مكانها بياض في ح.

(٥) ساقط من هـ، م، ك. وفي ب: ولكنه.

(٦) البقرة/١٤٨.

(٧) ك: الوعدي.

(٨) محذوفة من ب.

أعظم . قال تعالى : ﴿ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ ^(١) .
فللسائل أن يسأل عن وجه ذلك ^(٢) .

والجواب عنه - والله أعلم - أن الإشارة في الآية الأولى بقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ ، ليست لقصة إبراهيم عليه السلام ، وإنجائه من النار فقط ، بل الإشارة لمجموع معتبرات منها لبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله ويريهم الآيات ، فما آمن معه إلا قليل . ومنها آية أخذهم بالطوفان وتعميم الفرق لجميع أهل الأرض . ومنها إنجاء أهل السفينة ، وجعلها آية للعالمين . ومنها ما أحيلوا عليه من الاعتبار بمن قبلهم في قوله : ﴿ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أُمَّم مِّن قَبْلِكُمْ ﴾ - الآية ^(٣) . ومنها دعاء إبراهيم عليه السلام ، وعظيم بيانه لقومه ، وما استحرّ [دُعَاؤُهُ] ^(٤) إياهم من البراهين والآيات على نبوته . ومنها ما أحيلوا عليه أحر الآيات في قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ [١٨٣ / ظ] الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ ^(٥) . فلما تقدم تفصيل الآيات ورد التنبيه بالإشارة إلى جميعها ف قيل : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ .

أما قوله في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ ، فالإشارة إلى المصدر وهو ^(٦) الخلق المفهوم من قوله ^(٧) : ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ . كما في قوله تعالى : ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ ^(٨) . فالضمير للمصدر ، وهو العدل المفهوم من قوله : ﴿ اعْدِلُوا ﴾ وهذا جار في الضمير ، واسم الإشارة متردد ^(٩) في كلام العرب . فكل من الايتين جاء على ما يجب والله أعلم .

(١) غافر/ ٥٧ .

(٢) ب : صيغة السؤال (هناك ما وجه ذلك) .

(٣) العنكبوت/ ١٨ .

(٤) جميع السج : دعاؤهم .

(٥) العنكبوت/ ١٩ .

(٦) ب : وهم .

(٧) ي ك فقط .

(٨) المائدة/ ٨ .

(٩) ح ، ك : مترد .

٢٨٤ - الآية الرابعة من سورة العنكبوت قوله تعالى .

﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ . وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ . بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْتَثُّ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ (٤٧ - ٤٩) .

للسائل أن يسأل^(١) عن وسم الجاحدين أولاً بالكافرين^(٢)، ثم وسموا بعد بالظالمين، والظلم يصح إطلاقه على ما دون الكفر، فقد يسبق إلى الوهم أنه لو ورد وصفهم أولاً بالظلم، ثم ثانياً بالكفر لكان أنسب .

والجواب أن الظلم وإن كان يطلق^(٣) على الكفر وعلى ما دونه، قال تعالى .
﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٤) فإنه إذا ذكر بعد الكفر، ووصف به من قد وصف بالكفر أفهم زيادة مرتكب على الكفر . قال تعالى^(٥) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَفْخِرْ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ - الآية^(٦) .
وعلى هذا ورد في القرآن، وقد تقدم ذلك . فقد وصح ما وردت عليه [آيت]^(٧) العنكبوت وليس من المشكّل، والله أعلم .

٢٨٥ - الآية الخامسة من سورة العنكبوت [غ] قوله تعالى :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٦١) .

(١) ب . صيغة السؤال (يسأل عن . . .) .

(٢) ما بعدها إلى قوله : دون الكفر - في ك فقط .

(٣) ح ، هـ ، م ، ب . ينطلق .

(٤) البقرة/ ٢٥٤

(٥) ساقطة من ج ، ب .

(٦) النساء/ ١٦٨ ، ١٦٩

(٧) ك : آيت ، ونفية النسخ آية .

وفي سورة لقمان (٢٥) : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وفي سورة الزخرف (٩) : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ .

تواردت هذه الای الثلاث على معنى واحد من تقريرهم على ما كانوا يعترفون به من انفراده سبحانه بخلق السموات والارض ، واعترافهم بذلك ان سُئلوا^(١) . ثم أتبع ذلك في سورة العنكبوت بقوله : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَلَحَبًا بِهِ الْآرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^(٢) . فأعلم تعالى أنهم لو سئلوا أيضاً عن هذا لاعترفوا ، ثم اختلف ما أعقبت به هذه الای من وصفهم حيث وصفوا فيها بعد فرض سؤالهم^(٣) واعترافهم فأعقبت [١٨٤ / و] الأولى بقوله : ﴿ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ ، وآية لقمان بقوله : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، وآية العنكبوت الثانية بقوله : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ^(٤) بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ، ولم يرد في آية الزخرف إتياع بوصف . فللسائل أن يسأل عن اتحاد مقصود هذه الای وتفصيله وعن وجه اختلاف الحال فيما ورد التعقيب به في هذه الای .

والجواب عن الأول ان المقصود فيها ليس واحداً . أما ثلاث الآيات الأول فالمراد بها الاستدلال بهذا الخلق العظيم وما هو عليه من جليل التناسب ، وإتقان الصنعة^(٥) وإحكامها من غير تفاوت ولا فطور على وحدانيته تعالى وانفراده بالخلق والأمر ، واتصافه بالعلم والقدرة ، إلى ما يجب له تعالى من صفات الكمال والتعالي عن شبه^(٦) الخليقة . ولوضوح هذا الدليل ما أخبر تعالى عنهم أنهم لو سئلوا

(١) ك : فاعترافهم بذلك أن يسألوا .

(٢) آية / ٦٣ ، وهي ما شرحه الاسكافي تحت عنوان « الآية السابعة والثامنة من سورة العنكبوت » .

(٣) ك : سألهم (؟) .

(٤) إلى هنا من الآية محذوف من ح .

(٥) ج ، هـ : الصفة .

(٦) في ك فقط ، ونقطة السح : شبه .

لا عترفوا فقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ .
 وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ
 مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ - الآية، فمقصودها إقامة البرهان على الأحياء من بعد
 الموت^(١)، وبيان ذلك بمثال مُشاهد للعالم يحصل عن^(٢) اعتباره جواز ما قصد
 تمثيله^(٣). وبذلك^(٤) أفصح آية الأعراف في تعقيبها بقوله: ﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ
 الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٥)، وذلك أبين شيء فقد اختلف المقصد كما قدم.
 ووجه تخصيص سورة العنكبوت بهذه الآية مناسبتها لما تردد فيها وتكرر من ذكر
 العودة الأخروية^(٦)، والإشارة إليها في ثيفر على عشرة مواضع:

أولها قوله تعالى ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتِ ﴾^(٧)، وآخرها ما
 ورد قبل الآية المتكلم فيها من قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا
 تُرْجَعُونَ ﴾^(٨)، مما اتصل بها. وأنصها في^(٩) المقصود قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ يَرْوَأُ
 كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ - إلى قوله - ﴿ ثُمَّ اللَّهُ
 يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴾^(١٠)، فناسب ما تردد^(١١) في هذه السورة من هذه الآية إيراد آية
 المثال المذكورة. ولما لم يرد في السورتين الآخرين مثل الوارد المتكرر في سورة
 العنكبوت، لم يكن ليناسبها ورود^(١٢) آية المثال مناسبتها حيث وردت.

(١) ك: موتها.

(٢) ك: منه، وفوقها كلمة «كذا».

(٣) ج: بمثله.

(٤) ك: ولذلك.

(٥) آية/٥٧.

(٦) ك: الأخروية.

(٧) الآية/٥، وزاد من الآية في ك: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

(٨) الآية/٥٧.

(٩) ج: على.

(١٠) الأبنان/١٩، ٢٠.

(١١) ج: ترد.

(١٢) ج: وورد.

والجواب عن السؤال الثاني وهو توجيه اختلاف الحال فيما وقع به التعقيب في هذه الآية. إن ذلك مبني على الترتيب الثابت في الكتاب العزيز. ذكر تعالى حالهم، ولو سئلوا عن خلق السموات والأرض وتسخير النيران، ولا إشكال فيه لمن وفق قال تعالى: ﴿ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ أي كيف [١٨٤ / ظ] تُصرفون عن الدلائل^(١) مع وضوحها. ثم قال عقب لقمان: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾. وحصل مما أعقبت به الآيتان ما في قوة أن لو قيل: كيف يصرفون مع بيان الأمر؟ ما ذلك إلا لمنعهم عن العلم: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾^(٢). وأما ختام آية الزخرف بقوله: ﴿ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَاهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ فاعتراف تام بوصفه تعالى بالقدرة والعلم. وإذا اعترفوا بذلك لم يبق إلا العناد بما قُدرَ عليهم. ومناسبة هذا الحتام على ما تمهد من رعي الترتيب^(٣)، وكأن هذه الآية الأخيرة في قوة أن لو قيل: وإذا حُققَ عليهم وتوبِعُوا في سؤالهم اعترفوا بالأمر على ما هو عليه، فكفرهم بذلك اتِّباعاً للهوى وصلال على علم. والتناسب في هذا كله بين.

وأما آية العنكبوت الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾، ثم قال: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ فوصف أكثرهم هنا بعدم العقل^(٤). فوجه ذلك - والله أعلم - التعريف بإفراط قصورهم حتى استحقوا الوصف بصفات البهائم، ومن لا يصح خطابه، وذلك أن العقل فصل^(٥) الإنسان، وبه امتيازُه عن البهيمة ولا يمكن العلم بشيء منه إلا بعد حصوله والاتصاف به، وهو مناط التكليف. وهو عند المتكلمين عبارة عن علوم ضرورية، وليس كل العلوم الضرورية. وهو مع هذا خصيصة

(١) هـ، م، ك: الدلالة.

(٢) الكهف/٥٧.

(٣) ح: بينة، ومكانها بياض في ك.

(٤) ك: بعد العقل.

(٥) في ك فقط وبقيّة السخ. فضل بالضاد، والصواب ما أثناه طغياً لحدود المنطق انظر: شرح السنوسي على مختصر المنطق/١٨، المنطق الصوري/١٨١ - ١٨٣.

حليّة، إن عدمت لم يمكن^(١) التكليف، ولا وجود علم. وأضداد العلم العامة والخاصة، أضداد العقل^(٢). وهو من قولهم: عَقَلْتُ البعير، إذا أمسكته بعقل^(٣).
وه صبح^(٤) خطاب لمكلفين، فإذا فقد لحق فاقده بالبهائم. ثم نقول: إن إنزال الماء من السماء وهو ماء واحد يكون عنه مختلف النبات، وضروب الأشجار، وأنواع الثمر المختلف الحالات، مع وحدة المادة. فمن عقل هذا، عقل^(٥) وجود الإنسان من نقطة واحدة كوحدة الماء النازل من السماء، ثم يكون عن تلك النقطة شكل الإنسان، وما ينطوي عليه خلقه، وتشتمل عليه جملة، والمادة واحدة. فالتلاقي والشبه بين الماءين وما يوجد سبحانه عنهما أوضح شيء لمن عقل. فكيف يستبعد العودة من يشاهد هذا ويعترف به. فقد أَرَانَا سُبْحَانَهُ فِي مَاءِ السَّمَاءِ وَمَا يَكُونُ عَمَهُ مِنَ الْإِحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ مَا أَوْضَحَهُ فِي^(٦) قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. الآية^(٧)، ما فيه بين دليل لمن وفقه سبحانه للنظر والاعتبار، لا توقف فيه. وجعل ذلك متكرراً ونه تعالى عليه بقوله: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي [أَرْسَلَ] الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيُسْقِيهِ إِلَى بَلَدٍ^(٨) مَّيِّتٍ [١٨٥/و] فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٩).

(١) ج: يكن.

(٢) ك: لعقل.

(٣) ك، ب: بعقل.

(٤) ج، هـ: وصب.

(٥) ي: فقط، وبقي النسخ: وعقل.

(٦) ي: فقط، وبقي النسخ: وي.

(٧) الروم/٢٤.

(٨) بقية الآية غير موجود في هـ، ك، ب ومكانها بيأس في ك. قال في هامش ك: «كذا وجد في الأصل، وترك بعده بيأس أربعة سطور. وقال في هامش ب: «كذا وحدته، وترك بقية السطر وما بعده بيأساً.

(٩) فاطر/٩. وفي جميع النسخ. «يرسل» بدل أرسل وهي في الآية/٤٨ من سورة الروم.

سورة الروم

٢٨٦ - الآية الأولى منها قوله تعالى :

﴿ أُولَٰمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ^(١) وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ (٩).

وفي سورة فاطر ^(٢) (٤٤) : ﴿ أُولَٰمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾.

وفي سورة عافر ^(٣) (٢١) : ﴿ أُولَٰمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴾. وفي آخرها ^(٤) (٨٢) : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل ^(٥) عن اختلاف هذه الآيات مع اتفاقها في المعنى المقصود بها وعن وجه اختصاص كل موضع من مواضعها بما خص به منها.

والجواب عن السؤالين معاً ^(٦) ، أن هذه الآيات لم يختلف المقصود بها وهو التنبيه على الاعتبار بحال من تقدم من القرون في أخذهم بمرتكباتهم ^(٧) وإنما ورد

(١) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.

(٢) ب : كتب من الآية ﴿ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ وحذف بغيرها.

(٣) ب : يسأل عن اختلاف .

(٤) ب : واجواب عنها ن هذه .

(٥) ب . مرتكباتهم ، ك : بمرتكبتهم .

في كل موضع منها^(١) مَنْ ذُكِرَ مِنْ^(٢) تقدم من لقرون ما يلائم ما جرى في تلك السورة قبل ذلك الموضع ، أو بعده من إشارة أو تعريف بذلك إخباراً من غير تنبيه أو تحريك إلى الاعتبار بهم حين حيء بالتنبيه بقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، روعي ما ورد قبل أو بعد من إخبار أو إشارة لذلك ، فبنى^(٣) ما عرض عليهم ، وَحَرَّكُوا به من التنبيه على ذلك المتقدم ، أو المتأخر ، والتحم معه وكمل التعريف التنبيهي بحال المذكورين ، والتأم ذلك وتناسب . وربما جرى ذكر أخذهم وهلاكهم بتكذيبهم في غير آية التنبيه . ثم أفصح به في آية التنبيه الوارد في غير^(٤) هذه المواضع لاختلاف^(٥) في^(٦) المعنى . بيان ذلك أن آية الروم وهي أول تلك الآيات ، قد ورد فيما بعدها من تلك السورة قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٧) . فهذا تعريف منه سبحانه بما فعل بأولئك الذين كانوا أشدة قوة من هؤلاء ، وكانوا قد أثاروا الأرض وعَمَرُوهَا أكثر مما عمرها^(٨) هؤلاء ، وجاءتهم رسلهم بالبينات^(٩) . فذكر في أول السورة من حالهم هذا ، [١٨٥ / ظ] ولم يذكر ما فعل مَنْ كَذَبَ منهم ولا مَنْ آمَنَ فعُرِّفَت الآية الأخيرة بذلك ، وأنه سبحانه انتقم منهم لاجترامهم بالتكذيب ، وعرف ببصر مؤمنهم ونجاتهم ، فحصل من الآيتين التعريف التام بما جرى منهم ابتداء وانتهاء ، وصار مجموع الآيتين من الالتحام كأن قد قيل : « أولم يسبوا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الدين من قبلهم ، مع زيادة قوتهم وانتشارهم ، وطول أعمارهم أكثر من هؤلاء ، فجاءتهم رسلهم

(١) ب : من مواضعها .

(٢) ك : من .

(٣) ج ، هـ : فبنى .

(٤) ساقطة من ك .

(٥) ك : لا - لاختلاف .

(٦) ساقطة من ج ، ب .

(٧) الآية / ٤٧ .

(٨) ح : عمروها .

(٩) ك : وجاءتهم البينات .

بالبيّنات فكذبوا فانتقمنا ممن أجروا وكذبوا، ونصرنا من آمن وكان حقاً علينا نصر المؤمنين وما ظلمنا من انتقمنا منه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ - الآية (١). فتأمل وضوح هذا كله وتناسبه (٢) والتثامه.

فإن قيل: فلم لم (٣) يرد ذكر أخذهم بالانتقام منهم لما أجروا (٤) متصلاً بما تقدم من التذكير والاعتبار بهم، وكان يحصل ذلك كله في كلام متصل بعضه ببعض، ولم وقع ذكر أخذهم بالانتقام منهم لما (٥) كذبوا (٦) متأخراً عن الوارد من حالهم أولاً، التي أمر هؤلاء ونهوا (٧) عن الاعتبار بها؟

قلت: جرى ذلك على المعتاد منه سبحانه في دعاء الخلق إلى الإيمان من التلطف والرفق والدعاء وبذلك أمر رسله عليهم السلام فقال لنبينا (٨) صلى الله عليه وسلم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٩). وقال لموسى عليه السلام: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ (١٠)، أي بنعمه وآلائه قبلهم وقال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (١١)، وقال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾ (١٢)، وهذا في القرآن كثير. فلما أمر هؤلاء وذكروا بالاعتبار بمن تقدم من القرون، ولم يتقدم قبل الآية التلطف والتأنيس، لم يكن ليناسب ذلك من (١٣) أخذ المكيدين إلا ما يكون إيماءً أو (١٤)

(١) العنكبوت/ ٤٠.

(٢) ج: تأمله.

(٣) ساقطة من ج، هـ، ب.

(٤) سقط من ج، ب: لما أجروا.

(٥) بعدها في ج، هـ: «أجروا متصلاً بما تقدم»، وقد ألغاه في م.

(٦) سقط من ج، هـ.

(٧) ج: نهوا.

(٨) ب: زاد هنا «ومولانا محمد».

(٩) النحل/ ١٢٥.

(١٠- ١٢) إبراهيم/ ٥، البقرة/ ٤٠، ٤٧، ١٢٢، طه/ ٨٠ على الترتيب.

(١٣) سقط من ج، هـ.

(١٤) ج، هـ، ك، ب وإشارة.

إشارة، لا إفصاحاً. فلذلك اكتفى أولاً من الإشارة إلى أخذهم بقوله سبحانه^(١) : ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾^(٢)، وترك الإفصاح بالانتقام [منهم]^(٣) إلى أن أورد^(٤) إخباراً منه سبحانه لبيه عليه السلام في غير معرض الدعاء إلى الإيمان. فقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾. وحصل التعريف بغاية حال المذكورين قبل في تكذيبهم. فهذا موجب تفريق هذا الإخبار والله أعلم.

فإن قلت : فقد ورد في آية غافر من هذه الآية مجموع التنبيه والأخذ^(٥) متصلاً على غير ما فصلت، أو قعدت الآن^(٦). قلت : ذلك لسبب اقتضاه يُذكر بعد. فآية الدعاء إلى الله إنما ترد في الأغلب على ما ذكرنا من التلطف والإبقاء على العباد، وذكر الإحسان [١٨٦ / و] والرفق. وقد ترد على غير هذا لدواعٍ وحامل، والأكثر ما ذكرته. وأما آية فاطر فقد تقدمها قوله تعالى إخباراً لبيه وتنبئاً : ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْزُبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٧). فقبل بعد هذه فيما هو منها ومرتبطة بمعناها : ﴿أُولَئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾^(٨)، فأخذتهم يا محمد تكذيبهم وكفرهم ولم يفت^(٩) منهم أحداً، لأنني العليم بهم وبأحوالهم القادر^(١٠) الذي لا يعجزني شيء، ولا يفوتني هارب. فتأمل التحام هذا كله وتناسبه وكيف تم الاختبار وكمل ابتداء وانتهاء. وتأمل كيف وقع

(١) بي ك فقط.

(٢) الروم / ٩.

(٣) جميع السخ مه.

(٤) ج، هـ، ك : ورد.

(٥) ك : والآخر.

(٦) ج، هـ، ك : عن غير ما قصدت الآية.

(٧، ٨) فاطر / ٢٥ - ٢٦، ٤٤ على الترتيب.

(٩) ب، ع : نقت.

(١٠) ك : لعدير.

الاكتفاء في آية الاعتبار بالإيماء^(١) إلى أخذهم بقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، إحالة على ما تقدم في إخباره^(٢) نبيه عليه السلام بأخذهم في قوله: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٣). والتحم هذا كله وتناسب أعظم تناسب. وأما الآية الأولى من^(٤) سورة غافر، فوردت على الجمع بين التنبيه للاعتبار بمن تقدم وبين أخذهم ولم يرد فيها التفصيل الوارد فيما قدم فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً^(٥) وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾. ثم أتيت^(٦) الآية بما يؤكد أخذهم، وذكرت العلة في ذلك من كفرهم، واجتمع في هذه الآية ما افترق في غيرها، فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٧) فحصل^(٨) منها التعريف بأخذهم، وذكر العلة الموجبة لذلك من تكذيبهم وكفرهم، متصلاً ذلك كله بعبء بعض^(٩) ولم تجر هذه الآية من التلطف في الدعاء والتنبيه على ما جرت نظائرها مما تقدم ونبه عليه. وسبب ذلك أنه تقدم في أول هذه السورة من الإحار سوء مراحتهم، وقبيح معاملتهم مع أنبيائهم. ما يوجب سريع الأخذ وينافر^(١٠) التلطف وذلك قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا

(١) ك: الإيماء.

(٢) ك: إخبار.

(٣) فاطر/٢٦.

(٤) ج، هـ، م، ب، ي.

(٥) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب وفي موضعه. (الآية).

(٦) ك: انعم.

(٧) غافر/٢٢.

(٨) م، ب. فحصل، ك: فنحصل.

(٩) كرر في ب هـ - ولم وقع ذكر أخذهم - إلى - ولم نحر هذه الآية، وهو بدأ من الورقة/١٩٨ ط إلى ٢٠٠ و.

(١٠) ج، هـ، ب، نافر.

بِهِ الْحَقُّ ﴿١﴾ . فلما تقدم هذا من جدالهم^(٢) بالبطل ، وما همّوا به من أخذ رسهم وامتحانهم زائداً إلى^(٣) التكذيب ناسب هذا تعجيل أحدهم ، فوردت آية التنبيه على ذلك . ولهذا اختصت من التأكيد بما لم يرد مثله فيما تقدمها فقبل : ﴿ كَانُوا هُمْ أَشَدُّ ﴾ ، فوكد بالضمير تخصيصاً [١٨٦ / ظ] وتعييناً للمذكورين قبل من قوم نوح والأحزاب . ثم أتبع ذلك في قراءة ابن عامر بتخصيص لمن^(٤) وعظ بذلك ، وخطب فقبل : ﴿ مِنْكُمْ ﴾^(٥) ، فتقابل التأكيد في الطرفين تأكيداً يناسب ما بنيت عليه الآية ، ويشهد له .

ولرغبي ما قدم من السبب الأول وردت الآية الأخيرة من قوله في آخر السورة : ﴿ أَقْلَمُ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ثم أعقب هذا بقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾^(٦) ، إشارة إلى ما كانوا يظنونهم عنماً ويجادلون به من قولهم : ﴿ أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٧) وقولهم : ﴿ [مَا] هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى ﴾^(٨) وقولهم : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾^(٩) ، إلى ما ورد من متعلقاتهم ومجاوباتهم^(١٠) المشار إليها في قوله : ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ ، فسماء سبحانه علماً في قوله : ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ ، بحسب اعتقادهم وظنهم ، كما قال

(١) عافر/ ٥ .

(٢) ك : حواهم .

(٣) ح : عى .

(٤) ك : من .

(٥) مكّم بالكاف قراءة ابن عامر وحده ، وكذا هو في المصحف الشامي ، انتفأت إلى الخطاب . والباقيون بصمير العائب لقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا ﴾ انظر : لائحاف/ ٣٧٧ ، السبعة/ ٥٦٩ ، النشر ٢/ ٣٦٤ .

(٦) عافر/ ٨٣ .

(٧) النحل/ ٢٤ ، لمرقاد/ ٥ .

(٨) لقصاص/ ٣٦ ، وفي جميع النسخ ، «إِنْ هَذَا مِنْ صَوَابِهِ مَا أَتَيْتَاهُ» .

(٩) الأمل/ ٣١ .

(١٠) ك : مجاوباتهم .

تعالى : ﴿ أَتَيْنَ شُرَكَائِي ﴾^(١) ، أي^(٢) في زعمكم وهو سبحانه المنزه عن الشريك والنظير، أو يكون ما عندهم من العلم المراد به ما كان لدى من تعاطى النظر منهم فلم يوفق من استبعاد العودة الأخرائية وإنكار حشر الأجساد بعد تفرق الأشلاء والأجزاء، وصيرورة بعضها غذاء لحيوان آخر. ولتفرقها وفنائها^(٣) قالوا : ﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾^(٤) ، وقالوا : ﴿ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾^(٥) . وهو نظر مبني على قاعدتين وأهيتين، وهما : إنكار القدرة وإنكار علمه تعالى بالجزئيات وعليهما بنى منكرو حشر الأجساد من الفلاسفة، وهو قول زعيمهم أرسطو ومن تبعه من المشائين، ومن قال بقولهم . وليس مما اتفقوا عليه ؛ فقد نقلوا عن أفلاطون وغيره من زعمائهم مخالفة هذا القول وموافقة المشرعين في حشر الأجساد . ونقلوا عن جالينوس التوقف . وقد رام بعض متفلسفة الإسلام الجمع بين المرتكبين فقال : تحشر الأجساد على تأويل المشرعين وذلك لما أرغمه من براهين الشريعة^(٦) . ولما بى المنكرون مذهبهم على إنكار القدرة والعلم بالجزئيات، اطرّد في الكتاب العزيز مهما ذكرت العودة الأخرائية أن يناط بها وصفه سبحانه بالقدرة والعلم^(٧) ، إ فصاحاً وإشارة بيّنة اطراداً لا يكسر إرغاماً للمنكر الجاحد، وحجة قاطعة بالمعاند . قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٨) فوصفه سبحانه بالعزیز إشارة إلى القدرة، وأشار^(٩) قوله : ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ إلى العلم . وقال [١٨٧ / و] تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ، ثم قال : ﴿ قُلْ

(١) النحل/٢٧ ، القصص/٦٢ ، ص٧٤ ، صحت/٤٧ .

(٢) ساقطة من ج ، هـ ، ب .

(٣) ج ، هـ . بنائها .

(٤) يس/٧٨ .

(٥) الإسراء/٩٨ .

(٦) أنظر الأربعين/٣٠٠ - ٣٠٢ ، الإرشاد/٣٧١ - ٣٧٤ ، الإنصاف/٤٥ - ٤٨ .

(٧) ك : بالعلم والقدرة .

(٨) الروم/٢٧ .

(٩) ح ، ب : إشارة .

يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ فقولهُ يحييها وأنشأها، إشارة إلى القدرة. وقد وقع الإفصاح بها بعد في قوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ - الآية (٢). وبسطُ هذا، وردُّ أقوال هؤلاء الكفرة مستوفى في مظانه، وقد شفى فيه أئمتنا رضي الله تعالى عنهم، وكتاب الله كاف لمن وفق [لتدبره^(٣)] واعتباره بالبراهين القاطعة بخصوصنا. فما كان بأيدي من قُدِّم ذكره من الشُّبُهَاتِ فيما ذكرنا هو الذي فرحوا به واعتقدوه علماً. فورد التعبير على معتقدهم، وحق بهم ما كانوا به يستهزون، فقد وضح وجه مناسبة هذا لقوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وتبين ما أوجب خصوص كل آية من هذه الأربع بموضعها، والله أعلم.

٢٨٧ - الآية الثانية من سورة الروم قوله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا^(٤) وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ. وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢١ - ٢٤).

للسائل أن يسأل عن وجه^(٥) اختصاص كل آية من هذه الأربع بما خُتِمت به من وصف الاعتبارين.

(٢٠١) يس/٧٨، ٨١.

(٣) جميع النسخ: لتدبره.

(٤) ما بعدها إلى قوله: ﴿طَمَعًا﴾ محذوف من ب، وفي موضعه. «إلى قوله».

(٥) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختصاص...).

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن الآية الأولى لما انطوت من حكمته سبحانه في سبب التناسل والتكاثر على ما أبداه تعالى في خلق الأزواج منها ليحصل السكن وعدم التناحر، ثم غرس سبحانه المودة والرحمة في قلب كل واحد من الزوجين ليتم الالتئام، ويحصل التعاون على ما به قوام العيش، إلى ما جعل في قلوبهما من حب الولد، وهياً له عند وجوده من الرفق إلى ما يتعلق بهذا ويرجع إليه مما لا يحصل على عجائبه، ولا يُحاطُ ببعض الحكمة فيه إلا بمداومة الفكر وطول الاعتبار، ناسب هذا إعقاب الآية بوصف التفكير، فقال تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. ولما كان [١٨٧/ ظ] خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان مع عظيم الأمر في ذلك بآدمه^(١) الشهادة بأن وراء ذلك موحداً متزهاً عن شبه هذه الأحرام ومتعالياً عن تعير مختلف الألسنة والألوان، ولم تكن شهادة هذه بحيث تخفى حتى يحتاج فيها إلى طول التفكير في البادي لمُنْصِفٍ بالعقل، وإن اتسع النظر في عجائب ما انطوت لأجرام السماوية، وانتشرت وجوه الاعتدال اتساعاً تحسر^(٢) العقول دونه وتكِلُّ الأذهان عن درك أدناه. ولهذا تفصل ذكر الاعتبار بالسموات والأرض فقول: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣)، وقيل: ﴿إِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤)، وقيل: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾^(٥)، فأشير أولاً إلى خلق أجرامها وصورها^(٦)، وأشير ثانياً إلى خلق ما فيها. فهذا بحر لا تكدره^(٧) الدلاء، وباب لا يسعه تدوين ولا إملاء ومع ذلك فإن ربنا سبحانه ذكّر عباده من ذلك بما تبدو شهادته^(٨): ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ

(١) ج. أذنته، ب. نذته.

(٢) ك: تنحير.

(٣) البقرة/ ١٦٤، آل عمران/ ١٩٠.

(٤) الحاثية/ ٣.

(٥) الداربات/ ٢٠.

(٦) ك: وصورتها.

(٧) ج. هـ. م. تدركه.

(٨) ج. استلذوا بشهادته.

فَوَقَّهْمُ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ . وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿١﴾ . إلى ما يتلو هذا مما يشهد بأدلة اعتبار، مما لا تكل عنه البصائر والأبصار . وتأمل تلطّف دعائه سبحانه الخلق إلى عبادته في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ - إلى قوله - ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ (٢) ، إلى أشباه هذه الآية (٣) . فلما كان هذا الضرب من الاعتبار يحصل بأوّلِهِ، المقصود لكل أحد . قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ، فوضح تناسب هذا الختام ، ولأخ التلاحم والالتئام . ولما كان أمر الليل والنهار منصوباً على رحمة الخلائق بهما في عدة آيات (٤) ، بقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحْوُتَا آيَةِ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عِندَ السَّيِّئِينَ وَالْحَسَابِ ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ﴾ (٦) ، وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاساً . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً ﴾ (٧) ، إلى غير هذه من الآيات . فتحصل من مجموعها الاعتبار بهما وبما فيهما ، ومستند ذلك المحرّك للاعتبار به السماع ، والأخبار الواردة ، أعقب بقوله تعالى : ﴿ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ .

وأما إراءته سبحانه الرق خوفاً وطمعاً ، وإنزال الماء من السماء ، وإحياء الأرض بعد موتها ، فلا تحصل ثمرة الاعتبار به إلا لمن أطال الاعتبار ، وأمعن النظر ، وبالع في ذلك . ولما كان حصول [١٨٨ / و] الثمرة المطلوبة هنا يتوقف على ما ذكر (٨) ، ولا يحصل العزم بذلك إلا بعد تعلقه مع وضوحه ، أعقب بقوله : ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

(١) ٦/٣ .

(٢) لبقرة/ ٢١ ، ٢٢ .

(٣) ساقطة من ك .

(٤) ب : أيام .

(٥) لاسراء/ ١٢ .

(٦) عافر/ ٦١ .

(٧) السا/ ١٠ ، ١١ .

(٨) ما بعده إلى قوله : «وضوحه» ساقط من ك .

٢٨٨ - الآية الثالثة من سورة الروم قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٧).

وفي سورة الزمر (٥٢) : ﴿ أُولَئِكَ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾. ففي آية الروم : ﴿ أُولَئِكَ ﴾^(١) وفي الأخرى : ﴿ أُولَئِكَ يَعْلَمُوا ﴾، فللسائل أن يسأل عن الفرق^(٢).

والجواب - والله أعلم - أن سورة الروم، لما تقدم فيها قوله تعالى^(٣) : ﴿ أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾^(٤)، وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾^(٥). والتعكر تردد نظر ومباحثه، واعتبار. والنظر المحال عليه فيما حضوا عليه من سيرهم في الأرض، إنما هو استعلام وبحث^(٦)، واعتبار بحال^(٧) من تقدمهم؛ ناسب ذلك قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَرَوْنَ ﴾^(٨) لأن قول^(٩) القائل منا لغيره : ما ترى في هذا الأمر؟ إنما يريد أبحت^(١٠) عما يتردد في خاطرك، ويختلج في فكرك، أو عرفني بما يظهر لك وتختاره. وكذا قول القائل : أفعل في هذه القضية ما أراك الله، إنما يريد اجتهد وأمض فيها من المتردد^(١١) في خاطرك ما تراه الأولى. والحاصل من الرأي هنا في مثل هذا غالب ظن وليس بعلم، لا إمكان الخطأ فيما يراه، إذ لساننا^(١٢) بمعصومين، ولو فرضنا المعصمة لكان الحاصل علماً. وفي كتاب الله سبحانه لنبيه

(١) ب. صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما).

(٢) إلى آخر الآية وتصلير الآية الثابتة ساقط من ج.

(٣) (٤، ٣) الأيتان/ ٨، ٩.

(٤) ج، هـ، ب الحث.

(٥) ج، هـ، ب الحال.

(٦) ك: لا قول.

(٧) ج، هـ، ب الحث، ب: البحث.

(٨) ج، ك، ب: التردد.

(٩) ج: ليس.

عليه السلام^(١) ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا [أُنْزِلَ] اللَّهُ ﴾^(٢) . وإنما أحيل عليه السلام على اجتهاده، واعتباره بما لديه من الوحي، وما أنزل عليه إلا أنه عليه السلام مكتشف بالعصمة والحفظ عن الخطأ والغلط فيما يراه مما يرجع إلى التبليغ، وتقعيد^(٣) أحكام شريعته. فالحاصل عن نظره صلى الله عليه وسلم وما يراه علم. وأما عن نظر غيره ممن ليس بمعصوم فظن كما تقدم. ولفظ رُي يصح في الحالين، ويقع بالاشتراك على المعنيين وعلى الإحصار، فناسب لتردد لفظه بين هذه المعاني، وإن كان في سورة الروم يُراد به علم^(٤) ما تقدم في السورة من قوله: ﴿ أُولَئِكَ سَمِعُوا ﴾، وقوله: ﴿ أُولَئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾، لجامع^(٥) التردد في وضع اللفظ، وإن كان الفكر من قبيل المتواطىء والرؤية من المشترك إلا أن لتردد [١٨٨ / ظ] حاصل في المتواطىء يلحظ التشخيص، فوضح التناسب.

وأما سورة الزمر، فلم يتقدم فيها ما تقدم من سورة الروم مما يستدعي ذلك التناسب فجيء بقوله: ﴿ أُولَئِكَ يَعْلَمُوا ﴾ فطوبى^(٦) باللفظ المعنى، من حيث لا تردد فيهما^(٧)، ولا اشتراك. وأيضاً فقد تقدم في هذه السورة قوله تعالى: ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً ﴾، وقوله ﴿ قُلْ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصاً لِي دِينِي ﴾. والإخلاص مُسَبَّبٌ عن العلم وهو ثمرته، أعني ثمرة العلم، فناسب هذا قوله: ﴿ أُولَئِكَ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾، فإنهم إذا علموا تسبب من علمهم الإخلاص إن سبقت^(٨) سابقة سعادته، فناسب هذا أتم مناسبة. فهذا وجه ثان من الجواب. وكأنه مما قدم فيه المُسَبَّب وهو الإخلاص بين يدي سببه وهو العلم. ووضح على

(١) إلى قوله «عل اجتهاده» ساقط من ج، ب.

(٢) المائدة/ ٤٨.

(٣) ساقط من ج، هـ.

(٤) جميع السج: العلم.

(٥) ج، هـ، ك: جامع.

(٦) ج، هـ: مطلق.

(٧) ج، ب: فيه.

(٨) ح: سفته.

هذا أن ما ورد هنا لم يكن لياسب ما في سورة الروم، ولا ما ورد في سورة الروم لياسب ما ورد في سورة الزمر، والله أعلم.

٢٨٩ - الآية الرابعة من سورة الروم [غ] قوله تعالى :

﴿ فَأْتِمُّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ^(١) يَوْمَئِذٍ يَصْدَّعُونَ ﴾ (٤٣).

وفي سورة الشورى (٤٧): ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ ^(٢) يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مُلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾.

للسائل أن يسأل عن ^(٣) وحه اختلاف ما وقع به الإتيان في اليتين فقل في الأولى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدَّعُونَ ﴾، وفي الثانية: ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ مُلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن آية الروم لما ^(٤) أعقبت بقوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدَّعُونَ ﴾، تمهيداً لما اتصل بها من تفصيل الأحوال في قوله: ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلَا نُفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ ^(٥)، لأن تصدعهم يراد به افتراقهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئِذٍ يَنفَرُقُونَ ﴾ ^(٦). فالمراد ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدَّعُونَ ﴾، إلى ما أُعِدَّ لكل منهم بحسب مُرْتَكِبِهِ وحاله ^(٧) في كفره، أو إيمانه. فقد تضمن قوله: ﴿ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ﴾، جزاءه. فأشار إلى تفصيل أحوالهم في عذابهم، كل بحسب مرتكبه جزاء وفاقاً، وكان الكلام في قوة أن لو قيل: فعليه

(١) انتقل نظر السامع في هذا فأكمل الآية بقوله تعالى في الشورى ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ مُلْجَأٍ... ﴾ - الآية.

(٢) إلى هنا محذوف من الآية في ج، هـ، ك.

(٣) ب - صيغة السؤال (يسأل عن وحه).

(٤) ح، ك: إنما.

(٥) الروم/ ٤٤.

(٦) الروم/ ١٤.

(٧) ح - بحسب مرئيد [بياض] حانه.

مُطَابِقُ كُفْرِهِ مِنَ الْعَذَابِ. وَكَذَلِكَ^(١) تَصْمُرُ قَوْلُهُ فِي النَّاجِيَيْنِ: ﴿وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلَا نَفْسِيهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ مِنْ تَفْصِيلِ الْأَحْوَالِ^(٢) فِي الثَّوَابِ، كُلٌّ بِحَسَبِ مَا مَهَّدَ لِنَفْسِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣)، فَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِأَوْجَزِ عِبَارَةٍ وَأَوْفَاهَا بِالْمَقْصُودِ، وَقَدِمَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ التَّفْصِيلِ فِي الطَّرْفَيْنِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّعُونَ﴾، أَيِ يَبْعُدُونَ مَفْتَرِقِينَ، كُلٌّ لِمَا سَبَقَ لَهُ مَسِيئاً عَنْ سَالِفِ عَمَلِهِ وَمُرْتَبطاً بِفَاقِأَ لَهُ^(٤). فَهَذَا وَجْهٌ^(٥) تَعْقِيبِ آيَةِ الرُّومِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّعُونَ﴾.

وَأَمَّا آيَةُ [١٨٩ / وَ] الشُّورَى، فَإِنَّهُ تَقَدَّمَ قَبْلَهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ﴾^(٦). وَالْوَلِيُّ مَنْ يُرْجَعُ إِلَيْهِ انْصِوَاءً^(٧) وَاعْتِمَاداً. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُحِبِّراً عَنِ الظَّالِمِينَ فِي نَفْيِ الْوَلِيِّ وَالتَّصْيِيرِ عَنْهُمْ: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(٨). فَلَمَّا نَفَى عَنْهُمْ الْأَوْلِيَاءَ النَّاصِرِينَ، وَالسَّبِيلَ إِلَى التَّخْلُصِ، نَاسَبَ ذَلِكَ أَمْرُهُ تَعَالَى بِالْإِسْتِجَابَةِ لَهُ^(٩)، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾. أَيِ إِيَّاهُ أَيْ لَا مُحَالَةَ^(١٠) ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ مُّلْجَأٍ يَّوْمَئِذٍ﴾، أَيِ مِنْ وَلِيٍّ تَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، أَوْ دَافِعٍ يَدْفَعُ عَنْكُمْ ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ نَّكِيرٍ﴾ أَيِ إِنْكَارٍ، فَلَا تَعَلَّقُوا لَكُمْ وَلَا يَنْفَعَكُمْ إِنْكَارُكُمْ إِنْ تَعَلَّقْتُمْ. فَحَذَّرَ تَعَالَى عِبَادَهُ مِنْ حَالِ الظَّالِمِينَ فِي عَدَمِ الْوَلِيِّ وَالْوَاصِرِ،

(١) فِي لُكْ فَقَطْ وَبَقِيَةِ النَّسَخِ. وَبَدَلْتُ.

(٢) ح، ب، أحوالهم.

(٣) الطُّور/ ١٦.

(٤) ك، هـ، وساقط من ح، هـ، ب.

(٥) ساقط من ح، ك.

(٦) الآية/ ٤٤.

(٧) ج، ك، انصواء.

(٨) الآية/ ٤٦.

(٩) ساقط من ج، هـ.

(١٠) ح، لا ت.

(١١) ك، رادها وحرف فقال: «يومئذ وما لكم بي من...».

وأمرهم بالاستجابة قبل التورط واقطاع الطمع والرجاء في التخلص وعدم دعوى الإنكار لمن ظن التعلق به فحذرهم مما امتحن به غيرهم بعد ذكر حال من امتحن، فتناسب ذلك كله أوضح تناسب.

٢٩٠ - الآية الخامسة من سورة الروم، قوله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ^(١) وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٤٦).

وفي سورة الجاثية (١٢): ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾.

للسائل أن يسأل عن زيادة: ﴿فِيهِ﴾، في سورة الجاثية، وكونه لم يثبت في سورة الروم^(٢).

والجواب أن هذا لا إشكال فيه، لأن البحر لم يجر له ذكر في آية الروم، فلم يكن للضمير ما يرجع إليه، فلم يؤت به لهذا. ولو قصد محل جرى الفلك^(٣)، للزم الإتيان بالظاهر ولقيل: ولتجري الملك في البحر، وهو مفهوم من السياق، فلم يحتج إليه هناك. أما آية الجاثية فإنه لما قدم فيها ذكر البحر جيء بالضمير المجرور والعائد^(٤) إليه على ما ينبغي وكان له مفسراً، فحسُن الإتيان به، بخلاف آية الروم، فالفرق بينهما بين لا خفاء فيه^(٥).

(١) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه: «الآية».

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه زيادة «فيه» في...).

(٣) في ك فقط وبقية النسخ: الحكم.

(٤) ج، ك: العائد.

(٥) ح: زادها «والله سبحانه أعلم بما أراد».

سورة لقمان

٢٩١ - الآية الأولى منها [غ] قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنَّا مُسْتَكْبِرِينَ كَانُوا لَمْ يَسْمَعُهَا ^(١) كَأَنَّهُ فِي أذْنِهِ وَقُرْآنَ فَبَشِيرَةٍ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٧).

وفي سورة الجاثية (٧) : ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعُهَا فَبَشِيرَةٍ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

للسائل أن يسأل عن [١٨٩ / ظ] تخصيص ^(٢) آية لقمان بقوله : ﴿ كَأَنَّهُ فِي أذْنِهِ وَقُرْآنَ ﴾ ..

والجواب عن ذلك والله أعلم أن آية الجاثية لما تقدم فيها قوله : ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ﴾ فوصفه سماع آيات الله لم يكن ليطابقه ^(٣) ذكر الوقرف في الأذن ، لأنه قد ذكر سماعه الآيات ؛ والوقر مانع من السماع فلم يناسب الإعلام بالسماع ذكر الوقر المانع منه .

فإن قيل : لو ذكرنا هنا الوقرف في الأذنين لم يكن إلا تأكيداً لبيان توليه وإعراضه ، فكان يناسب . قلت : لو وكّد بذلك ^(٤) لاقتضى مقاربة ^(٥) عدم السماع وليس المراد - والله أعلم - إلا أنه سمع وأعرض ، فكأنه لم يسمع . ليجري الوارد هنا مع قوله تعالى فيمن صمم على كفره من ^(٦) يهود : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٧) ، وإذا أريد إبقاء سماعهم ولم

(١) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب .

(٢) ب : صيغة لسؤل (يسأل عن تخصيص ..) .

(٣) ج : ليطابق بقه (هكذا) .

(٤) ج : بدلالته ، هـ ، م ، ب : بدلالة .

(٥) م : مفارقة .

(٦) ج : ومن .

(٧) البقرة / ٧٥ .

يُرَدُّ مَنَعُهُ الْبَيِّنَةُ لَمْ يَنَاسِبْهُ^(١) التَّأْكِيدُ الْمُقَرَّبُ مِنَ الْمَنَعِ ، مَعَ أَنَّ التَّسْيِيهِ الْوَاقِعَ مُرَادٌ يَحْصُلُ^(٢) الْمَقْصُودُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ولما لم يقع ذكر^(٣) سماع الآيات في آية^(٤) لقمان ، وتقدم ذكر المشار إليه بقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ بِهِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾^(٥) . وهذه زيادة مرتكب ، فناسبها^(٦) ذكر زيادة الوقف ، مع أنه لم يرد فيها ذكر سماعه الآيات ، كما ورد في آية الجاثية . فإزداد ووضح التلازم^(٧) ، وأن عكس الوارد لا يلائم ، والله أعلم بما أراد .

٢٩٢ - الآية الثانية من سورة لقمان [غ] قوله تعالى :

﴿ يَبْنِيْ اَقِيْمُ الصَّلٰوةَ وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ وَاَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْاُمُوْرِ ﴾ (١٧) .

وقال في سورة الشورى^(٨) (٤٣) : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ اِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْاُمُوْرِ ﴾ .

يُسأل عن مقتضى تأكيد الخبر في هذه الآية ، وسقوط التوكيد من الأولى .

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن آية الشورى لما دخلها معنى القسم ، كانت^(٩) على تقديمه ، إذ اللام في قوله : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾ ، توطئة له^(١٠) ودالة

(١) ج : يناسب .

(٢) ل : فحصل ، ب : تحصيل .

(٣) و : ل ، ب فقط .

(٤) ج ، هـ ، م : آيات .

(٥) الآية / ٦ .

(٦) ج : ناسبها .

(٧) ل : التلازم ، وبقية النسخ : التلازم .

(٨) ل : وفي الشورى .

(٩) و : ل فقط وبقية النسخ : وكانت .

(١٠) ح ، هـ : موطئه ودالة .

على تضمين الآية معناه، ناسب ذلك زيادة لام^(١) التوكيد في خبر إن. وذلك ظاهر من^(٢) معنى الآية.

وأما آية لقمان، فقوله فيها ﴿إِنْ ذَلِكَ مِنْ هَزْمِ الْأُمُورِ﴾ مجرد إخبار عن حال ما وقعت الوصية به، ولا مدخل للقسم هنا، ولا معنى له. فلم تدخل لام التوكيد في الخبر، إذ ليس في الآية معنى قَسَمٌ يستدعيها، ولا^(٣) وقع في اللفظ ما يُطْلَبُ^(٤) بها. فورد كل على ما يجب [١٩٠/ و] ويناسب. ولو قُدِّرَ العكس لما ناسب، والله أعلم^(٥).

٢٩٣ - الآية الثالثة من سورة لقمان قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٩).

وفي سورة فاطر (١٣): ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ [وَيُولِجُ النَّهَارَ] فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾^(٦).

وفي سورة الزمر (٥): ﴿يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَضَرُ﴾.

للسائل أن يسأل عن قوله في سورة لقمان: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ﴾، فجرَّ أجل^(٧) بإلى

(١) ج: اللام.

(٢) ج، هـ: في.

(٣) هـ، م، ك، ب: ولا ما وقع.

(٤) ج، هـ: تطلب، م: يطالبها.

(٥) ح: والله سبحانه وتعالى أعلم بما أراد. انتهى (٩).

(٦) زاد بعدها من الآية في ك: ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾.

(٧) ساقط من ج، هـ، ك، ب قوله: فجرَّ أجل.

وفي السورتين بعد: ﴿لَأَجَلٍ﴾ بجر^(١) أجل باللام مع اتحاد المعنى فما الفرق؟
والجواب - والله أعلم - أن آية لقمان تقدمها التنبيه على الاعتبار بها بقوله:
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾، ثم قال:
﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾، فعطف بواو النسق المقتضية الجمع، فدخل هذا
مع ما قبله تحت حكم التنبيه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾. وحكم التنبيه بالاعتبار منسحب
على المجموع للاشتراك في اللفظ والمعنى، فطال الكلام بحسب ما اقتضاه
مقصوده فناسب طوله الجر بما يناسبه مما لا يخرج عن معنى اللام الجارة وهو
«إلى» فأنجر^(٢) الأجل بها. ولما بنيت الأيتان بعد على إيجاز ليس في آية لقمان
ناسبه الجر باللام اكتفاء بما يحرز المعنى المقصود، ويناسب التركيب. وورد كل
على ما يناسب أتم مناسبة^(٣)، والله أعلم.

سورة السجدة

٢٩٤ - الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢٠)

وفي سورة سبأ (٤٢): ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا
تُكَذِّبُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن صرف^(٤) الوصف إلى العذاب أولاً، فذكر فقيل: ﴿الَّتِي كُنتُمْ
بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾، وصرفه ثانياً إلى النار، فقيل: ﴿الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾،
فأنت الموصول والضمير، ما وجه ذلك؟ والجواب أنهم يكذبون بالنار وبعبادها

(١) ج، هـ، ب: فجر.

(٢) ج، هـ، ب: ما انجر.

(٣) المتضايغان ساقطان من م.

(٤) ب: صيغة السؤال (يسأل عن صرف...).

وقد ورد العذاب مضافاً إليها في السورتين ، والعذاب مذكر والنار مؤنثة ، وعودة^(١) الضمير إلى كل من المضافين^(٢) تحصيل المقصود على السواء ، وإنما معنى السؤال عن تخصيص كل واحدة من السورتين بما ورد فيها .

والجواب أن آية [١٩٠ / ظ] السجدة اقترن بها ما يستدعي أن يناسب ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾^(٣) . فلما تفصل ذكر العذاب إعلالاً بالحق ضربته^(٤) : الأدنى ، والأكبر بمن جرى الوعيد لهم والعذاب مذكر . وقد تكرر فتأكد^(٥) رغبة مناسبة^(٦) عودة الضمير قبله إلى العذاب المضاف إلى النار مذكراً ؛ ليجري ذلك كله مجرى^(٧) واحداً . ولما لم يكن يلو آية سبأ ، ولا قبلها ما يستدعي ذلك أعيد الضمير إلى النار مؤنثاً ليحصل في السورتين ورود الوجهين الجائزين ، كما قدم مع التناسب ، والله أعلم^(٨) .

سورة الأحزاب

٢٩٥ - الآية الأولى منها [غ] قوله تعالى :

﴿ لَيَسْئَلُ الْمُؤْمِنُونَ غَدًا عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٨) .
وفيما بعد من السورة (٢٤) : ﴿ لَيَجْزِيَّ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ .
يسأل عما أعقبته به كل من الآيتين ، مع تقارب ما بُني عليه التعقيب .

(١) ج : وعود .

(٢) ج : المتصايفين .

(٣) الآية / ٢١ .

(٤) ي : ك فقط وبقية النسخ : ضربته .

(٥) م : بتأكيد .

(٦) ك : ناسبه .

(٧) ك : حرياً .

(٨) ح : والله سبحانه أعلم بما أراد .

والحواب - والله أعلم - أن اختلاف التعقيب^(١) مرعي فيه ما تقدم قبل كل^(٢) واحدة من الآيتين .

أما الأولى فالمتقدم قبلها قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾^(٣) ، ثم لم يعد الكلام إلى ذكر شيء من مرتكبات المنافقين ، ولا تفصيل أحوالهم ، فناسب هذا قوله : ﴿ وَأَعِدُّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ . والكافر بالنفاق كالكافر المتظاهر بكفره .

أما الآية الثانية فتقدمها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾^(٤) . ثم تتابعت الآية معرفة بسوء^(٥) مرتكباتهم^(٦) ، وقبيح أفعالهم في ثمان^(٧) آيات ، أو نحوها إلى قوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾^(٨) ثم أعقب هذا بذكر حال المؤمنين وذكرُوا بأحسن ما يتحلى به الصادق في إيمانه فقال تعالى . ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾^(٩) إلى عظيم ما وصفهم به سبحانه . ثم أعقب بذكر حال الفريقين فقال : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾^(١٠) جرياً على المطرد من عظيم حلمه^(١١) ، وسعة عفوه ورحمته . وكل من هذا وارد على أعظم مناسبة .

(١) ج ، هـ ، ب : التعقب .

(٢) ساقطة من ج .

(٣) الأحزاب / ٤٨ .

(٤) الأحزاب / ١٢ .

(٥) في ك فقط .

(٦) ك : مرتكبهم .

(٧) ج ، هـ : ثمان .

(٨) الأحزاب / ٢١ .

(٩) الآية / ٢٢ .

(١٠) زاد هنا في هـ : وقد أنقى سبحانه عليهم بقوله ﴿ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

(١١) ك : ذاته .

قلت: وهذا مما يشبه المتشابه من الصرب الذي ينسب عليه [١٩١/د] هذا الكتاب، وليس منه.

٢٩٦ - الآية الثانية من سورة الأحزاب^(١) قوله تعالى:

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ (٣٨).

وفي آخر السورة (٦٢): ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه^(٢) الاختلاف فيما أعقبت به كل آية منهما. ففي الأولى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾، وفي عقيب الثانية: ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾.

ووجه ذلك - والله أعلم - أن الآية الأولى مُعَقَّبٌ بها قصة زينب أم المؤمنين وزيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما، وما جرى في ذلك إلى أن تزوجها رسول^(٣) الله صلى الله عليه وسلم، وإعلام الله له أن تلك سُنَّةٌ سبحانه في عباده التي شاءها وقدرها^(٤) حكماً ثانياً فيمن تقدم من الرسل والأنبياء، ومن اهتدى بهديهم فلا حرج عليك^(٥) يا محمد. فلا تُصْغِ إلى قول مافق يقول: تزوج محمد من حَلِيلَةِ أَبِيهِ؛ فإن ريداً ليس ابنك، ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾^(٦)، وأنا شئت تزويجك إياها، وحكمت به في سابق علمي بعد تطليق زيد لها، وانفصاله عنها، ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا ﴾^(٧) لِيُعْلَمَ أَنَّ تِلْكَ^(٨) سُنَّتُكَ وَسُنَّةُ أُمَّتِكَ

(١) هـ: الأعراف.

(٢) ب. يسأل عن وجه الاختلاف.

(٣) ك. لرسول.

(٤) م. ك: قررهما.

(٥) ح. ب: عليه.

(٦) الأحراب/ ٤٠.

(٧) الآية/ ٣٧.

(٨) ي. ك فقط، ونفية مسح: ذلك.

بعدك^(١)؛ لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أرواح أديانهم إذا قصوا منهم وطراً. فهذه الآيات تأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم، وتسليه له عن خوض المنافقين، وتنزيه لقدره العلي، وتبرئة من كل متوهم فيه أدنى نقص، ورافع لما يتوهم ويُقدَّر^(٢) وليس على ظاهره السابق من قوله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾^(٣). فهذه آية تعلق بها من كان في قلبه مرض، وتهجموا على باد من مفهومها فقالوا: انه عليه السلام رآها فمال إليها واحبها في حكاية ذكرها المفسرون^(٤)، يبطلها ويردها المقطوع به من أن زينب نشأت معه، ولم يزل يراها لمكان قرابتها منه. وقوله لزيد عتيقه الذي أنعم الله [عليه] بالعتق: ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾، يريد اتق الله فيما تذكر عن زينب، لأن زيدا سب إليها شوزاً، وتوقفاً عن طاعته، فأمره بتقوى الله في أمرها، والتثبت فيما كان يحكيه مما كان يطره نشوزاً. وقد كانت زينب رضي الله تعالى عنها أعظم قدراً من أن تقع في معصية النشور [١٩١/ط] عمداً، ولكن الزوجين^(٥) قد يطلب كل واحد منهما غاية في الوفاء يرى عند غلبة حب هذا المطلب عليه ما يُقصر عنه شوزاً. ففي الجاري من هذا قال له^(٦) عليه السلام: ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾، وأحمى عنه ما قد كان تقدم له من الإخبار بالوحي من أنه سيطلقها وأنه عليه السلام سيتزوجها^(٧). فهذا الذي أحفاه عليه السلام في نفسه ولم يتكلم به حتى أبداه الله، وقوله: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾، أي وتخشى كلام المنافقين، وقولهم: إن محمداً تزوج امرأة ابنه من حيث كان عليه السلام قد تبناه قبل الوحي. وقصة ذلك مشهورة، فكانوا يقولون:

(١) لك. بعد.

(٢) يتقدر.

(٣) الأحزاب/٣٧.

(٤) انظر: أسباب النزول/٢٣٧، والنسب/١٧٥.

(٥) ج: الزوجان.

(٦) ج: قاله.

(٧) ح: سينزوحا.

زيد بن محمد. حتى نزل قوله: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ - الآية (١) فقبل له عليه السلام وقد أدركه (٢) الاستيحاء (٣) من أن يتكلم المافقون بذلك وخشية (٤) منهم، فقال له ربّه، لا تخش (٥) أحداً فإنك إنما جرّيت في ذلك كله على ما بين الله لك من الشرع الذي (٦) جعله سبحانه سبيك ودينك الذي تدعو إليه، وطريق من تقدمك من الرسل الذين يبلغون رسالات ربهم، ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، فإله أحق أن تخشاه أنت يا محمد، ولا تصنع إلى أحد ولا تستع منه، فإنك على صراط مستقيم. فقد وضع ما أخفاه في نفسه وهو الذي أبداه تعالى. ألا ترى أنه سبحانه قد وعد أنه يُبدي ما أخفاه صلى الله عليه وسلم في نفسه؛ فهل أبدى في تلك القصة خلاف ما نطق به كتابه من قوله: ﴿قَلَمًا قَضَى زَيْدٌ مِثَّهَا وَطَرًّا زَوْجَهَا﴾ (٧). وكانت زيب تهر بهدا وتقول لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم: «زَوَّجَكُنْ أَهْلُكُرْ وَزَوَّجِي آلَهُ مِنْ فَوْقِ سَعِ سَمَوَاتٍ» (٨) فهذا إخباره سبحانه، وما أبداه مما

(١) لا حرب/٥، وراد من الآية في ك ﴿لأبائهم﴾ هو أقسط عند الله وحذف كلمة «الآية»

(٢) ح أركه

(٣) ك الاستيحاء

(٤) ح. وحنة.

(٥) ك تخشى.

(٦) في ك فقط، ونية النسخ: والذي.

(٧) ريب هي: ريب بنت حنشل الأسدية أمة عمته عليه السلام، ومها مينة بنت عبد المطلب. وريب

هو ريب بن حارثة بن شراحيل الكلبي. سببه حيل من نهامة. غارت على الشام فابتاعه حكيم بن

حزام بن حويلد فوهبه لعمته خديجة، فوهبته هي للنبي صلى الله عليه وسلم. ويقال لريب «الحيت»

ولاسه أسامة بن زيد أس الحب، ويروى أن أبا زيد، وأحاه وعمه ذهبوا يطلبوه من النبي عليه

سلام بعد أن عرفوه في مكة - فحيرة - لنبي عليه السلام فقال ريب: ما أحتار عليك أحداً. فجدده عمه

وقال: يا زيد احترب العبودية على أبيك وعمك، فقد أنى والله العبودية عند محمد أحب إلي من أن

أكون عندكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشهدوا بي وارث مورث، فلم يرل يقل

زيد بن محمد، إلى أن برر قومه تعالى ﴿ادعوهم لأبائهم﴾. ﴿المسرون يجمعون على أن قومه

تعالى: ﴿ما جعل أبناءكم أدعياءكم﴾ نزل في ريب بن حارثة. فل ريب في مؤنة الشام سنة ثمان

محرية. أنظر: أحكام القرآن لفرطبي ١٤/١١٨، ١١٩، ١٨٨ - ١٩٦، تفسير ابن كثير

٣/٤٩٠ - ٤٩٢، أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٤٩٢، ١٤٩٤، ١٥٢٨ - ١٥٣٣، وبلخصاص

٣/٣٦٠، ٣٦١، البخاري ٦/١٤٣، ١٤٤.

(٨) صحيح الحديث البخاري وابن كثير من طريق س بن مالك. وروى ابن كثير عن محمد بن عبد

أحفاه نبيه عليه السلام في نفسه. وما سوى هذا فاختلاق^(١) وتقول. وقد تسامح المفسرون هنا، وتبع آخرهم أولهم في نقل ما كان الواجب تركه، إذ هو خلاف القرآن لمن وفق لتدبره ولحظ شهادة بعض لبعض. فهذا مقصود هذه الآية، ولمجموع ما ذكرنا أعقبت بقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾. وقد أتبعنا الآية بذكر من سنّ سبحانه حكم هذه الآية لهم وأنهم الرسل عليهم السلام فقال: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾^(٢). فتأمل هذا التعقيب^(٣) وقد قيل له عليه السلام: ﴿سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾^(٤)، وقيل له: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾^(٥). وعرفنا ربنا سبحانه أن نبينا كذلك فعل، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٦).

وأما الآية الثانية فإنه سبحانه لما قال: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾ - إلى قوله^(٧) - ﴿مُلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخِذُوا وَقْتًا ثَقِيلًا﴾^(٨)، اتبع تعالى بالإخبار أن تلك سنته الحاربية في الدين خلوا من قبل وهذا كقوله ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ التي قد حلت في عباده فاعلم أنها سنته الجارية فيهم، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾. وقد تكرر هذا في مواضع من كتاب الله سبحانه ووضح هنا التماس في كل من الإعتقائين والله^(٩) سبحانه أعلم بما أراد.

= الله بن حشر: أن زينب تماحرت وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما فقالت زينب: «أنا التي نزل تزويجي من السماء» انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٢٧٢، ٤٩١ وحكام القرطبي ١٤/ ١٩٥.

(١) ك: احتلال.

(٢) الاحزاب/ ٣٩.

(٣) ب: التعقب.

(٤) الإسراء/ ٧٧.

(٥) الأنعام/ ٩٠.

(٦) المؤمنون/ ٧٣.

(٧) اكمل الآية في ك: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُوكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(٨) الاحزاب/ ٦٠، ٦١.

(٩) إلى آخر الحصة محذوف من ب.

سورة سبأ

٢٩٧ - الآية الأولى منها [غ] قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ (٩).

وقال بعد ذلك (١٩) : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَبْتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (١)، بالافراد في الاولى، والجمع في الثانية. فلسائل أن يسأل عن ذلك (٢).

والجواب عنه (٣) أن الإشارة أولاً إلى قوله : ﴿ أَقْلَمُ يَرَوْنَ إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نُنشِئُ نَخَسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ (١). ولم يتقدم ما حركوا للاعتبار به غير هذا. وقد انضم ذلك تحت « م » الموصولة ونقطه مفرد، فروعى [م] حيث اللمظ فقليل : ﴿ لَآيَةً ﴾، بالافراد.

وأما الآية الثانية فتقدم قبلها قوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ (٥)، ثم قال : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ (٦) ثم قال : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبٍ وَتَعَايَلٍ ﴾ - إلى قوله - ﴿ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (٧) ثم قال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ﴾ (٨) آية جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ - الآيات (٩). فذكر سبحانه بالاعتبار بما منح داود من تسبيح الجبال

(١) نص الآية في سور. إبراهيم/٥، لقمان/٣١، الشورى/٣٣.

(٢) ب. صيغة السؤال (يقال ما وجه الافراد في الاولى واجمع في الثانية).

(٣) ك: عن ذلك.

(٤-٧) سبأ/٩، ١٠، ١٢، ١٣ - ١٤ على الترتيب.

(٨) جميع النسخ: «مساكنهم» في الآية وشرحها. وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر، وأبو عمر، وعاصم في رواية أبي بكر. وما أثبتناه رواية حمص عن عاصم في المصحف المتداول. انظر: السبعة/٥٢٨،

الشعر/٢/٣٥٠، الانحاف/٣٥٨، ٣٥٩.

(٩) سبأ/١٥.

والطير معه، والإلانة الحديد وبما سحر لسليمان من الريح، تحمله^(١) وجوده حيث شاء في السرعة التي أشارت إليها الآية، وإسالة عين القطر له وهو النحاس المذاب، وعينه معدنه، وعمل الجن بين يديه تسخييراً فيما يريد من عمل ما شاء مما في قواهم. ثم ذكر ما كان لسبأ في مساكنهم من آية الجنتين عن يمين وشمال، وأكلهم منها، وتنعمهم^(٢) إلى أن أعرضوا فأرسل عليهم سيل العرم إلى آخر قصتهم. فهذه المعتبرات^(٣)، لم تدخل تحت موصول، ولا اسم مفرد يضم جميعها، بل ذكرت مفصلة فليل إشارة إلى جميعها: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾، ولا يمكن إلا هذا، إذ لم يتقدم مفرد من موصول أو [١٩٢/ظ] غير ذلك، [مما^(٤)] يجمع الكل ويرجع^(٥) إليه الضمير مفرداً، كما في الآية الأخرى. فليل هنا: ﴿لآيَاتٍ﴾ ولم يمكن الإفراد هنا، وأمكن في الآية الأخرى لوحيد الموصول الجامع لما تفصل بعده، فروع لفظه، لأن ذلك أوحز من رعي معناه. ثم إن المعلوم من لسان العرب إذا تقدم من الأسماء المفردة ما له لفظ ومعنى فإن رعي لفظه في عودة ضمير، أو تفسير أولى. ثم قد يراعى المعنى بعد فيعود الضمير بحسه من تشية أو جمع. ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(٦). فقوله: ﴿يُؤْمِنُ﴾ و﴿وَيَعْمَلُ﴾ و﴿يُدْخِلْهُ﴾ رعي للفظ «مِنْ»، وهو مفرد، فعاد الضمير إليه مفرداً. وقوله بعد: ﴿خَالِدِينَ﴾ رجوع إلى المعنى^(٧)، ويقيل رعي المعنى بديهاً في هذه الألفاظ التي هي مفردات، تحتها كثرة. ومنه بيت الكتاب (الطويل):

تَعَالِ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذُئْبُ يَصْطَحِيَانِ^(٨)

(١) ح، هـ، م: فحمله.

(٢) ك: وتنعمهم.

(٣) ك: المعتبرات.

(٤) جميع النسخ: ما.

(٥) جميع النسخ: يرجع - بدون واو.

(٦) الطلاق/١١، وزاد في ك من الآية كلمة ﴿أَبْدًا﴾.

(٧) في ك فقط وبقي النسخ: للمعنى.

(٨) البيت للفرزدق في ديوانه/٨٧٠ والكتاب ٤١٦/٢، محار العرا ٤١/٢، معاني الحروف/١٥٨،

فقال يصطحبان، فإعداد الصمير على معنى «مَنْ»، والإعادة الى اللفظ أكثر، وعليه قيل في الآية الأولى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ﴾ بالافراد على الأولى والأكثر مع جواز وروده عائداً على المعنى إن اعتضد ذلك.

أما الآية الثانية فجمع آيات فيما لا يمكن خلافه. فورد كل على ما يجب ويضع العكس لما ذكر. فإن قيل: إن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ - الآيات، استئناف باللام التي تقع جواباً للقسم. فقد يقال إنها تقطع [ما] بعدها عما قبلها، وإذا أمكن هذا فما المانع من رجوع اسم الإشارة إلى ما بعد قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾^(١) وتلك قضية مفردة، فكأن يكون المورد هنا: «الآية» - على الافراد - رعيًا لمعنى القصة. فالجواب أننا لو فرضنا هذا الاعتراض لازماً، لقلنا إن قصة سبأ قد سطوت على تفصيل يقتضي جمع آيات، لا أن الاعتراض 'ولاً غير لازم إذ قد يشار إلى مجموع قصص تفصلت ودخل كل قصة في أولها هذه اللام، فلم يمنع ذلك من عودة اسم الإشارة إلى الجميع كقوله تعالى: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾^(٢) والإشارة بأولئكم^(٣) إلى كل من تقدم ذكره في أول قصة نوح عليه السلام إلى قصة فرعون. وقد انتدئت كل قصة منها «بلقد» ثم اشير بعد إلى الجميع ليعتبر بأحوالهم. فكذلك في الآية التي نحن فيها فسقط الاعتراض، وتبين أن كل آية واردة، على أوضح التناسب، والله أعلم.

معاني القرآن للزجاج ١/ ١١٨، شواهد النحو/ ٣٠٨١. وهو من شواهد سيبويه في باب: إجراء صلة «مَنْ» وحبره كصلة اللذين والذين تشيةً وجمعاً.

(١) ل: لاية.

(٢) القمر/ ٤٣.

(٣) ح، هـ، م: أولئكم.

سورة الملائكة^(١)

قد تقدم ما فيها، وكذلك سورة يس.

سورة الصافات^(٢)

٢٩٨ - الآية الأولى منها قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ. أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ (١٥، ١٦).

[١٩٣/و] وقال فيما بعد (٥١ - ٥٣) : ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ. يَقُولُ أَءِنتَكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ. أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾.

للسائل^(٣) أن يسأل عن قوله أولا : ﴿ أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾، وثانياً : ﴿ أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾، لما اختلفا، مع أن مرادهم في الموضعين إنكار البعث بعد الموت. والجواب أن الموضع الأول لم يتقدمه شيء يوجب عدولهم عن التعبير عن معتقدهم^(٤) في إنكار الإحياء بعد الموت. فورد على ما يطابق معتقدهم. وأما الآية الأخرى، فقد تمهد قبلها ذكر الجزاء الأخراوي وذكر السؤال. فأول ذلك ذكر ما يقال لهم إذا حشروا، قال تعالى : ﴿ وَنُفِثُوهُمْ أَثْقَالًا مُّثْقَلُونَ ﴾^(٥)، وقوله بعد : ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٦)، وقوله بعد : ﴿ فَأَقْبِلْ بِغَضِّهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾^(٧) وهذا في الآخرة إلى قوله : ﴿ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾^(٨) وهذا قول

(١) هي سورة فاطر.

(٢) ب : «سورة الملائكة وسورة يس وسورة الصافات». الآية الأولى منها - (هكذا).

(٣) إلى قوله : ولما اختلفا، محذوف من ب.

(٤) ما بعدها إلى قوله : «معتقدهم» محذوف من ك.

(٥ - ٨) الصافات/ ٢٤، ٣٩، ٥١، ٥١ على الترتيب.

الكافر، وقد باشر العذاب فأخبر عن قريبه الذي قُبِضَ^(١) له المشار إليه بقوله: ﴿وَمَنْ يَعْتُزُّ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيصٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٢) فأخبر عنه أنه كان يقول له في دنياه: ﴿أَتُنْكَ لِمَنِ الْمُصْذِقِينَ. أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَ لَمَدِينُونَ﴾ أي مجزيون بأعمالنا، وما اجترحناه في دنيانا. وفي طي قولهم: ﴿أَتُنْكَ لِمَدِينُونَ﴾ إنكار البعث لأنكارهم ما ينهي عليه، ويترتب بعده من الجزاء. وقد تقدم ذكر الجزاء، فناسبه ذكر تعجبهم منكبين وقوعه، ولم يكن ليحسن وقوع: ﴿لَمَدِينُونَ﴾ في الآية الأولى، إذا كان يكون هناك غير مفصح بإنكارهم البعث، ولا ورد قبله ما يستدعيه، فجاء كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

٢٩٩ - الآية الثانية قوله تعالى في ختام قصة نوح عليه السلام:

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣) (١٠٥).

ثم أعقب القصص الثلاث بمثل هذا. أعني قصة إبراهيم، وقصة موسى وهارون وقصة إلياس^(٤)، إلا أنه ورد في قصة إبراهيم: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥) فسقط منها لفظ «إِنَّا» وثبت في القصص الأخر^(٦). فيسأل عن وجه اختصاص قصة إبراهيم دون غيرها بذلك.

والجواب - والله أعلم - أنه تقدم في قصة إبراهيم نفسها قوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٧). ثم لما كرر لينهي عليه قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٨)، كما في نظائره من ختام القصص الأخر

(١) ك: عن قومه المقيص له، ب: استقبض.

(٢) الزحرف/٣٦.

(٣) هـ: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ وهو نص لايتين/١٠٩، ١١٠ ع بعد الآية.

(٤) هـ: الس.

(٥) الصافات/١٠٩، ١١٠.

(٦) ج: الأخرى.

(٧) (٨، ٧) الصافات/١٠٤ - ١٠٥، ١١١.

كرر قوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، لبناء علة [١٩٣/ ظ] الجراء وموجبه عليه كما تكرر قوله: ﴿أَنْتُمْ﴾ في قوله: ﴿أَيُّدِكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِثْمُ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ﴾^(١). فكرر^(٢) ﴿أَنْتُمْ﴾ تأكيداً لينبني عليه الخبر، فكذلك كررت هنا الجملة بأسرها^(٣) وهي قوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، لينبني عليها ما ورد علة موجبة لجزائهم، لتجري هذه القصة مجرى نظائرها، ولم يكرر حرف التأكيد والضمير المنصوب به، إيجازاً واختصاراً لذكره فيما تقدم في القصة نفسها. فوضح أنه لا فرق بينها وبين ما اكتنفها من القصص الواردة فيها ذكر ﴿إِنَّا﴾ بوجه.

فإن قيل: ولم آخر قوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن قوله أولاً: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، حتى احتيج إلى تكرير ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، من الجمل الواردة مورد جمل الاعتراض إشادة بجلالة إبراهيم، وإعلاماً بعظيم جلاله^(٤)، فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾^(٥). ثم أكد عظيم الاعتبار^(٦) به، فقال: ﴿وَقَدِيتَنَاهُ بِذَرْعٍ عَظِيمٍ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(٧). فلما طال الكلام بما ورد تكميلاً لحاله عليه السلام، وبعُد عن قوله: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، أعيد منه الحملة الواقعة خيراً، لأن يبني عليه ما بنى على نظائره من قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٨).

فقصة إبراهيم عليه السلام أوفى هذه القصص تعريفاً بكمال الحال، ولم ينقص منها شيء من الإخبار بصفة الجزاء وسببه كما في غيرها، بل زاد فيها ما ورد

(١) المؤمنون/ ٣٥.

(٢) (٣، ٢) سافطان من ك.

(٤) هي وما بعدها إلى قوله «أكد عظيم» ساقط من «ك».

(٥) الصافات/ ١٠٦.

(٦) هـ، ب: الاعتناء.

(٧) الآيات/ ١٠٧ - ١٠٩.

(٨) الصافات/ ١١١.

إعراضاً كما تبين . وذلك لما راد في قصته من عظيم ابتلائه وزيادته^(١)، والله أعلم بما أراد .

٣٠٠ - الآية الثالثة من سورة والصفات (غ) قوله تعالى :

﴿ فَبَشِّرْهُ بِغُلْمٍ هَلِيمٍ ﴾ (١٠١) .

وفي الذاريات (٢٨) : ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرْهُ بِغُلْمٍ هَلِيمٍ ﴾ . والمبشِّر به واحد، والقصة واحدة . فلدائل أن يسأل عن موجب اختلاف الصفتين في السورتين^(٢) .

والجواب أن موجب تخصيص الآية الأولى بصفة الحلم ما اقترن بها من قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ - الآية^(٣) . وجواب أنه عديهما السلام له بقوله : ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾^(٤) ، واتباعه^(٥) ذلك تسلياً لأبيه ، ومثالاً لأمر ربه : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ . فلما درَّ جوابه على عظيم حاله وتلقيه عظيم هذا الاتِّلاء بالرضى والصبر التام امتثالاً لأمر ربه^(٦) ، وإرصاداً لأبيه كان ذلك مبيناً لحليل^(٧) حلمه ، ووعور كماله في حاله ، مع وصفه في سنة الأولين والابتداء .

أما آية سورة « والذاريات » فلم يقع فيها ذكر هذه القصيدة [١٩٤/ظ] فورد فيها وصفه بالعلم لمحرز لجليل بيوته . ولو ورد في السورتين عكس الوصف الوارد ، لما ناسب هذه المناسبة الحاصلة ، والله أعلم .

(١) ك . وزيادة .

(٢) ب : صيغة السؤال (يقال ما موجب اختلاف الصفتين في السورتين مع أن المبشِّر به ...) .

(٣) (٤، ٣) الصفات / ١٠٢ . وزاد في ذلك من الآية : ﴿ قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ۚ ﴾ .

تري .

(٥) هي وما بعدها إلى قوله : « عظيم حاله » ساقط من ك .

(٦) هي وما بعدها إلى قوله : « في حاله » ساقط من ك .

(٧) ب : مجليين .

٣٠١ - الآية الرابعة من سورة والصفات قوله تعالى :

﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ (١٧٥).

ثم قال (١٧٩) : ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ يُسأل عن الضمير المفعول وثبوته أولاً في قوله : ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ ^(١) يُبْصِرُونَ ﴾ ، وسقوطه ثانياً في قوله : ﴿ وَأَبْصِرْ ﴾ ، عن وجه التكرار .

والجواب عن ذلك التكرار ، تأكيد وتشديد في الوعيد ، وتناسب ذلك بين مألوف في كلام العرب . وأما سقوط الضمير في الثاني فيحترز عموماً لهم ولغيرهم في الوعيد ، لأن قوله : ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ ﴾ : المراد به أمره عليه السلام بأن يترقب ما ينزل بهم ويحل بساحتهم من الانتقام ، وإعلاماً ^(٢) صلى الله عليه وسلم بكفايته إياهم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ^(٣) . فكان كذلك ^(٤) . وقال تعالى : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونِ الدَّبْرَ ﴾ ^(٥) . ففعل ذلك بهم يوم بدر فقد من ^(٦) الله سبحانه بتأييس ^(٧) بيه ^(٨) عليه السلام بإخباره إياه في هذا الوعيد لهم ^(٩) بأخذهم وقطع دابرهم ، ثم أردف هذا الوعيد سوعيد ثان فيه عموم يشملهم ، ولا يرجع عن تناول غيرهم ممن سلك مسلكهم ، ويشعر بحاله هو عليه السلام ، وحال من ادعى واستجاب له . فقال ﴿ وَأَبْصِرْ ﴾ ، أي ترقب ما أفعل لك من تأييدك ^(١٠) ونصرك وجرائك الأخرأوي ، وحزاء من آمن بك بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وما أفعل بمن عاداك وعاندك ممن باشر بك بتمرده وطغيانه ، أو

(١) هي وما بعدها محذوفتان من هـ . ك .

(٢) بـ ك فقط ، وبقية السجح إعلامة .

(٣) احجر / ٩٥ .

(٤) ك : ذلك .

(٥) القمر / ٤٥ .

(٦) هـ : مقدس ، ك : ب : فقدم .

(٧) هـ ، ك : ب . تأيس - ملاء .

(٨ ، ٩) ساقطتان من ك .

(١٠) ك : عـ بيدك .

بَعْدَ عَنْكَ^(١)، من أحدهم وقطع دأبرهم ووبيل حزائهم الأخرأوي. هذا مفهوم لا يرجع إطلاقاً قوله: ﴿وَأَبْصِرْ﴾، عن إعطائه وتعميمه ذلك كله بما يعتضد من مواضع آخر. وتأمل ما فعل سبحانه بكسري حين مَزَّقَ كتابه صلى الله عليه وسلم تمرداً وطفياناً وإن لم يباشره لما جاوز حَدَّ كفره إلى التمرد والطغيان مَزَّقَ هو وآله كل مَزَّقَ. وأما قوله: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾، فخلص التناول للمباشرين لمكان التقييد بأَعْمَانِ الفعل في ضميرهم. فهو وإن تناول أخذهم في لدنيا وتمكين نيته والمسلمين منهم ثم عقابهم الأخرأوي ليبغ بالتهديد والوعيد أقصى ما يحتمله فإنه لا يتعداهم إلى غيرهم. أما قوله: ﴿وَأَبْصِرْ﴾، بإطلاق الفعل عن التقييد فقابل غير ممتنع عن تناولهم ومن سواهم^(٢) من كل من^(٣) خالفه عليه السلام وعاداه^(٤)، ومقتضى الوعيد لهم [١٩٤/ظ] ومقصود بشارته له عليه السلام؛ تحذبان إطلاق الأمرين، وتعميم الطرفين من الوعيد والشارة. فقد وصح أنه لا تكرار في الحقيقة، بل ورد ذلك كله على ما يلائم ويناسب. وعبر عن ذلك كله بعبارة الإيصار، إشعاراً بقربه فكأنه بمنزلة المعانين المدرك بالصبر لتعجيل الدياوي منه وتحقيق وقوع الأخرأوي، وتيقنه. فكل هذا على أوضح مناسبة، والله أعلم.

سورة «ص»

٣٠٢ - الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (٤).

وفي سورة ق (٢): ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

(١) ك: عن.

(٢) ب: سواهم.

(٣) ساقطة من م، هـ.

(٤) إلى قوله: وبشارته له عليه السلام «ساقط من ك».

للسائل أن يسأل عن ورود قوله في سورة «ص» ﴿ وَقَالَ الْكَافِرُونَ ﴾ بواو النسق، وفي سورة «ق»: ﴿ فَقَالَ ﴾، بفاء التعقيب^(١) والإخبار [عن^(٢)] حالهم واحد.

والجواب - والله أعلم^(٣) - أن آية «ص» وردت بمورد الإخبار بمرتكبات من أفعال كفار العرب، وأقوالهم. فجاء بتلك الجملة منسوقاً بعضها على بعض فأخبر تعالى: ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾^(٤)، وأنهم: ﴿ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴾^(٥)؛ ولم يكن من الملائكة كما قالوا: ﴿ لَوْلَا أَنْزَلْنَا الْمَلَائِكَةَ آوِيَةً مِنْ رَبِّنَا ﴾^(٦)، وأنهم رموه بالسحر والكذب، وعجبوا من جعله الآلهة إلهاً واحداً، وأنهم تماالوا^(٧) على قولهم: ﴿ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبُرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ﴾^(٨)، وأنهم قالوا: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْجِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾^(٩)، أي ملة عيسى عليه السلام على زعم الصاري فيه، وقولهم بالتثليث. وقد تكرر منهم التعلق بقصة عيسى. ومن هذا قولهم في إخبار الله تعالى عنهم: ﴿ إِلَهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾^(١٠) وتحديهم^(١١) على الإفصاح بمرتكب الصاري في التثليث^(١٢)، وأنهم أقرب الملل إليهم، وآخر من تقدمهم، وهم مثلثون فكيف تجعل أنت يا محمد الآلهة إلهاً واحداً. إن هذا لشيء عجاب فجعلوا ما جاء به اختلاقاً^(١٣) وتقولوا إلى ما ارتكبه من هذا. فلما

(١) ب: صيغة السؤال: (يقال ما وجه ورود آية «ص» بواو النسق، وآية «ق» بفاء التعقيب . . .).

(٢) جميع النسق: من.

(٣) محذوف من ب قوله: والله أعلم.

(٤، ٥) ص/٢، ٤.

(٦) الفرقان/٢١.

(٧) م، هـ: تماثلوا، كذا. تماالوا، وساقطة من ب.

(٨، ٩) ص/٦، ٧.

(١٠) الرحرف/٥٨ وزاد بعدها من الآية في ب ﴿ مَا ضَرَبُوهُ ﴾.

(١١) م، ب: ونحريمهم.

(١٢) بعدها في م، هـ: على أصل (هكذا).

(١٣) م، هـ، ب: اختلاقاً.

قصد هذا الإخبار بجملة من مرتكباتهم حاءت منسوقاً بعضها على بعض بالواو التي لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً^(١).

وأما آية «ق» فمقصود بها التعريف بتعجبهم من البعث الآخر أوي واستبعادهم إياه ولم يقصد هناك غير هذا [الذي] قصده. ألا ترى إقامة الدلالة عليهم باعتبار خلق السماء وتزيينها بالنجوم، وإحكام صنعتها، ومد الأرض وإرسائها بالجبال، وإخراج أصناف النبات، وإنزال الماء من السماء وإنبات الجنات وضروب [١٩٥/و] الحبوب والنخل والبسقات، ذات الطلع النضيد. ثم قال: ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾^(٢)، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾^(٣)، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾^(٤). فلما كان قولهم ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾^(٥) مبيهاً على ما حاءهم به عليه السلام وأعلمهم من البعث بعد الموت، جعل الأول، أعني مجيئه عليه السلام محرزاً بذلك، سبباً في تعجبهم فربط^(٥) بالفاء، أي عجبوا من البعث بعد الموت فقالوا كذا^(٦)، فجاء لكل بما يحزره، ولم تكن الفاء لتقع هناك، ولا الواو لتقع هنا، بل ورد كل على ما يجب، والله أعلم.

٣٠٣ - الآية الثانية^(٧) من سورة صر قوله تعالى:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ. وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾^(٨).

(١) ك تسيباً.

(٢) ق/١١.

(٣) الأنبياء/١٠٤.

(٤) الأسر/٩٩.

(٥) زد بعدها في ك، ب: «هـ».

(٦) م لذا.

(٧) هـ، ب. الثالثة، والمصراع م أثبتناه.

(٨) رد في م، ب بعد هذه الآية «وفي سورة عاشر/٥ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ﴾».

وفي سورة «ق»^(١) (١٢) ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ
وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه ورود^(٢) هاتين الآيتين في السورتين على خلاف
الترتيب المقرر من ذكر الرسل وأممهم، وما جرى بين الرسل والأمم في سورة
الأعراف، وهود، والشعراء، ثم عن وجه الخلاف الوارد في سياق آيتي «ص»،
«ق» من جهة الترتيب في السورتين ووجه اختصاص كل واحدة منهما بما ورد
فيها، وتعقيب آية «ص» بقوله: ﴿فَحَقُّ عِقَابٍ﴾، وآية «ق» بقوله: ﴿فَحَقُّ
وَعِيدٍ﴾ فهذه أربعة أسئلة.

والجواب عن ذلك على الجملة^(٣) - والله أعلم - أن الوارد في السور الثلاث
مقصود فيه إخبار الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان من الرسل المذكورين
مع أممهم تثبيتاً لهؤلاء صلى الله عليه وسلم وتأنيساً. قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾^(٤)، فذكر^(٥) أساءهم عليهم السلام على
الترتيب في أرميتهم وإرسالهم.

أما سورة «ص» وسورة «ق»، فلم يبين ما ورد فيهما على ذلك المقصد، وإنما شاء
ما في السورتين من ذلك على تسليته صلى الله عليه وسلم فيما كان يكابده^(٦) من عتاة
قريش وكفار العرب في توقفهم عن الإيمان. فجرد لهذا المقصد ذكر عتاة المكذبين
وأخذه سبحانه إياهم. وقيل له عليه السلام تعريفاً بمآل كفار قريش ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ
إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا هُمْ قَوَّاقٍ﴾^(٧) فخالف^(٨) إيراد^(٩) ما في هاتين السورتين ما

(١) ساقطة من ب.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه ورود . . .).

(٣) هـ، ب: عن الجسلة، وسقط الخار والمجرور من «م».

(٤) هود/ ١٢٠.

(٥) ب: ك فقط، وبقي السج: فذكرت ابنائهم.

(٦) ب: يكاد به، وساقطة من هـ، ك.

(٧) ص/ ١٥.

(٨) ك: محالها، ب: محالها.

(٩) ك: لا يراد.

تقدم في غيرهما لاختلاف المقاصد، وجاء في كل واحدة منهما من الترتيب ما يلائم^(١) ويناسب على ما تبين بحول الله تعالى.

[١٩٥/ظ] فإن قيل: فإن سورة الحج ورد فيها ذكر الأمم^(٢) المكذبين في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكْذِبُواكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودُ. وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ. وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ - الآية^(٣). فجرد ذكرهم عن ذكر الرسل إخباراً بمجرد تكذيبهم وأخذهم كما في سورة «ص»، وسورة «ق» وقد وردت على الترتيب الوارد في السور الثلاث، فقد حالفت^(٤) مقصود ما في تلك السور، ثم جرت على ما فيها من الترتيب. فما الفرق بينها وبين هاتين السورتين؟

قلت: الفرق بينهما أن مقصد آية سورة الحج الإخبار بتكذيب أولئك الأمم تسلياً لبينا عليه السلام من غير زيادة لما تعرضت له آية «ص»، وآية «ق». أما هاتان الآيتان فقد أنجز فيهما مع ذكر التكذيب والأخذ التعريف بتعزز عتاة^(٥) قريش، ومن وافقهم وذكر شقاقهم، وقبيح ردّهم وتعاميهم عن النظر في الآيات والاعتبار بما نُصِبَ منها في الأرض والسماوات. فلهذا المنجز^(٦) هما انفردت سورة «ص»، وسورة «ق» بالوارد فيهما من الترتيب عن سورة الحج.

فإن قلت: فإذا اجتمعت السورتان فيما ذكر^(٧) فما وجه اختصاص كل آية منهما بما خصت به عن أختها من الترتيب؟

قلت: أما آية «ص»، فوجه اختصاصها بما ورد ترتيبها عليه، أنه سبحانه لما

(١) ك: يلام.

(٢) زد بعدها في ك: والسالف.

(٣) الآيات/٤٢ - ٤٤.

(٤) م، هـ، ب: حالف.

(٥) ك: كفار.

(٦) ب: المحي.

(٧) م: ذكرنا.

وصف كفار قريش والعرب بالاعتزاز والشقاق بقوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾^(١)، ثم عقب بذكر القرون المهلكة فقال: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ ثم [أعاد^(٢)] ذكرهم مفصلاً قرناً قرناً، وأمة أمة، كان الأنسب لما قدم من ذكر عتو كفار العرب وشقاقهم، ذكر أعتى القرون من الأمم وأجرمهم^(٣)، فذكر قوم نوح من حيث لم يُجد عليهم تكرار الإنذار مع طول الأمد. قال تعالى مخبراً عن طول مدتهم وبعْدَ إجابتهم قال نوح: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا. فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ - إلى قوله - ﴿وَأَصْرُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ اسْتِكْبَارًا﴾^(٤). إلى دعائه عليه السلام عليهم عند قطع رجائه منهم بقوله: ﴿لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنْ الْكَافِرِينَ دِيَارًا. إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُواْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(٥)، إلى ما وصفهم سبحانه به وأنه لم^(٦) يؤمن منهم مع نوح إلا القليل بوجود ما تحلّت به عتاة قريش، ومُتَمَرِّدُو كفار العرب من العزة والشقاق في قوم نوح. أوضح شيء ثم اتبع ذكرهم بذكر عاد الموصوفين بالقدرة والطغيان القائتين: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِرًّا قُوَّةً﴾^(٧)، القائتين لنبههم عليه السلام: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا [١٩٦/و] أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ - إلى قوله - ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾^(٨). ثم أتبع بذكر فرعون ذي الأوتاد والمراد هو وآله وقومه. وقد تكرر في القرآن مع ذكر فرعون وعُلُوّه في الأرض وطغيانه ما أوضح شنيع مرتكبه وبعْدَ شقاقه. ثم أتبع مَنْ ذُكِرَ بَعْدَهُمْ مراعي في ذلك مناسبة ما قدم، ثم ذكر اجتماعهم في موجب تمردهم وعتوهم، وهو

(١) الآية/ ٢.

(٢) جميع النسخ: عاد.

(٣) م: أجرهم.

(٤) نوح/ ٥-٧.

(٥) الأيتان/ ٢٦، ٢٧.

(٦) م: لن.

(٧) فصلت/ ١٥.

(٨) الشعراء/ ١٣٩-١٣٨.

تكذيبهم الرسل ، فقال تعالى : ﴿ إِن كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴾^(١) . ثم أعاد الكلام إلى كفار قريش والعرب المبدوء بهم ، والمنهون لو تنبهوا بأحد من عاند وكذب ، ممن^(٢) تقدمهم فقال : ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صِخْرَةٌ وَاحِدَةٌ مَّا لَهَا مِنْ قِوَاكِ ﴾ أنهم إن تمادوا على شقاقهم فلا فرق بينهم وبين من تقدمهم من هؤلاء القرون : ﴿ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ ﴾^(٣) فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم . ثم أتبع سبحانه ذكر مرتكبهم في استعجالهم العذاب وقولهم : ﴿ عَجَلْنَا لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾^(٤) فأبنا تعالى باستحكام كفرهم ، وتكذيبهم ، واستهزائهم الموجب لتعجيل أخذهم . ثم انصرف^(٥) الكلام إلى أمره سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على معاندتهم وردي^(٦) مقالتهن ، وتذكر^(٧) أخيه داود ، والاعتبار بأمره ، وتسحيه سبحانه له الجبال ، وحشره له الطير منقادة إلى مراده ، وإلأته له الحديد وقلوب الأدميين [أهون]^(٨) وأقرب . فلو شاء لهدى هؤلاء كما سخر الجبال لداود ، ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾^(٩) . وهذا وحه ذكر داود عليه السلام هنا لا ما قاله الزمخشري ، وقد تقدم الإيماء إليه عند^(١٠) قوله تعالى في سورة طه : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ - الآية^(١١) ، ويستوفي عقب هذا بحول الله . فهذا وحه اختصاص آية «ص» بما ورد فيها من الترتيب ، وذكر القرون المهلكة بتكذيبها .

(١) ص / ١٤ .

(٢) م ، هـ : ومن .

(٣) الرعد / ٦ .

(٤) ص / ١٦ .

(٥) في ك ففط .

(٦) ك : معانداتهم ورد .

(٧) ك : وتذكير .

(٨) جميع النسخ . أمين .

(٩) السجدة / ١٣ .

(١٠) م ، هـ ، ب : في .

(١١) الآية / ١٣٠ .

وَمَا آيَةَ «ق»، فوجه الوارد فيها من إتياع ذكر قوم نوح بذكر قوم أصحاب الرُّس، ومخالفة الوارد في سورة «ص»، أَنَّ الوارد في آية «ق» قد انفردت عن آية «ص» بما قصد فيها مُفَصِّحاً به من ذكر تعامي قريش^(١) والعرب عن النظر في خلق السموات والأرض، والاعتبار بمن تقدمهم من الأمم وأخذهم بتكذيبهم. ففي آية «ص» ذكر تجبرهم^(٢) وشقاقهم وطغيانهم، وفي «ق» ذكر تعاميمهم عن الاعتبار والنظر فبدأ سبحانه بتذكيرهم بذكر حال السماء^(٣) والأرض في حليل خلقهما، وعظيم صنعهما^(٤) وإتقانها، فقال: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ [١٩٦/ ط] فَوَقَّهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ - إلى قوله - ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾^(٥)، والمراد أنهم وقَّعوا^(٦) فأمعنوا النظر في بناء السماء وتزيينها بما جعل تعالى فيها من نحومها وسلامتها من فطور أو فروح. وفي إمتداد الأرض وإرسائها بالجبال، وإنات ما فيها من كل زوج بهيج، وإنزال الماء من السماء، وإبسات الجسات، وحب الحصيد، والنخل الباسقات ذات الصَّلَع البضيد، وإحياء البلاد الميتة وتكرر ذلك عليها. فلما اعتروا بهذا لاستوضحوا العودة والعتة الأخرأوية: ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾. فلما ذكر سبحانه بخلق السموات والأرض، أعقب ذلك تنميماً حارياً على التذكير المتكرر في الكتاب بذكر القرون السالفة المهلكة بتكذيبها فقال: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾. ولما بنى ما تقدم من الاعتبار على الإشارة إلى الاستيفاء في عجائب الأرض والسماء ناسب ذلك بناء ذكر^(٧) مَنْ بُنِيَ عليه ممن هلك بتضييع نظره واعتباره على الاستيفاء. فذكر طرفان ليحصل حصراً مَنْ بَيْنَهُمَا أُمَّةٌ ممن تقدم وهم قوم نوح، وأُمَّةٌ ممن تأخر وهم أصحاب الرُّس ليحصل

(١) ك: كمار قريش.

(٢) هـ: نجبرهم.

(٣) زد في ك: وإتقانها، وحذف ما بعدها إلى «صنعها».

(٤) ب: صنعها.

(٥) في/ ٦ - ١١.

(٦) ب: وقَّعوا.

(٧) ب: ك فقط.

ما بينهما بإشارة الطرفين كما قال سبحانه في سورة الفرقان: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾^(١). وهذه الآية وآية «ق» مشيرتان إلى تأخر أصحاب الرِّسِّ عن كل من ذكر في القرآن من الأمم المهنكين بتكذيبهم ممن عيّن ذكره، والله أعلم. وقد اختلف المفسرون في أصحاب الرِّسِّ. والواقع لهم في مختلف أقوالهم^(٢) في ذلك ثمانية أقوال. ومن جملتها أنهم أصحاب الأخدود. وقيل كانوا قوماً قتلوا نبيهم، ورموه في بئر لهم. زاد بعضهم أنه كان^(٣) اسم نبيهم حَنْظَلَةُ. وقيل هم من قوم شعيب عليه السلام. وقيل غير ذلك. والمقطوع به ما نطق به لقرآن من وجود قرون كثيرة بين قوم نوح، وأصحاب الرِّسِّ. ويظهر من هذا الوارد في سورة «ق» أن مقصود الآية من استيفاء القرون المأخوذين بتكذيبهم غير وارد في غيرها. ألا ترى أنه قد أفصح فيها ثمانية قرون منصوص عليها وهم: قوم نوح، وأصحاب الرِّسِّ، وثمود، وعاد، وفرعون، وإخوان لوط، وأصحاب الأيكة، وقوم تبع. واسمрад فرعون^(٤)، وهو وقومه، ولم يرد في أوفى^(٥) المتكرر من الكتاب العزيز غير سبعة، والأكثر ستة، فدل على قصد الاستيفاء في هذه السورة. وعلى كل حال فقد ورد قوم نوح، وأصحاب الرِّسِّ طرفين لمن بينهما من القرون مقصود بهما^(٦). والله أعلم. أما بينهما إشعاراً في هذه وإصاحاً بكثرة من بينهما بقوله في سورة الفرقان ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾.

وأما الوارد بعد الطرفين في سورة «ق» من ذكر ثمود وعاد ومن ذكر بعد فقد يكون - والله أعلم - من قبيل ما ورد في القرآن ممن شمله لفظ متقدم غير مصرح.

(١) الآية/٣٨.

(٢) في ذلك لفظ وفي بقية السج: أحوالهم.

(٣) ك: لما كان.

(٤) ساقط من ك.

(٥) ب: ولي.

(٦) ك: بها.

[١٩٧/و]، ثم نص عليه اعتناء واهتماماً^(١)، مع كونه قد صممه ذلك اللفظ^(٢) المتقدم؛ كقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ بعد دخولهما في لفظ الملائكة. وعلى كل حال فأصحاب الرُّسُل متأخرون عن قرون كثيرة بعد قوم نوح بنص القرآن والله سبحانه أعلم. فلما ورد هنا ما يشير إلى الاستيفاء للاعتبار بهم جرياً مع ما تقدم من استيفاء الاعتبار بعجائب الأرض والسماء قدم ما يحصل بتقديمه ما أشير إليه من الاستيفاء ولم يكن القصد هنا ما قصد في آية «ص». فجاء كل على ما يجب ويناسب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب^(٣).

وأما الْمُعَقَّب به كل واحدة من الآيتين من قوله في سورة «ص»: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ﴾، وقوله بعد آية «ق»: ﴿فَحَقُّ وَعِيدٍ﴾ فَرَأَى في ذلك الفواصل^(٤) في كل من السورتين؛ وإلا فالعقاب والوعيد حق على كل من هؤلاء المكذبين. وإنما روعي الفواصل وقوله قل آية «ص»: ﴿بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ أُمْ عَنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾^(٥). واستمرت فواصل الآية هكذا إلى ما بعد الآية، فاستدعى ذلك مناسبة، مقطع^(٦) الآية المتكلم فيها ف قيل: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ﴾.

وأما آية «ق» فنوسب بها أيضاً ما تقدمها من قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾^(٧). ثم قال: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾^(٨). وورد أيضاً في الفواصل بعدها: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٩) إلى بضع عشرة آية جارية في مقاطعها على ما ذكر.

(١) ك: واستناب، ب: اهتمام واعتناء.

(٢) ك: اللطف.

(٣) هـ، ك، ب: والله أعلم.

(٤) ما بعدها إلى قوله «الفواصل» ساقط من هـ، م.

(٥) الأيتان/٨، ٩.

(٦) ك: فقطع.

(٧-٨) الآيات/٩، ١٠.

(٩) ق/١٥.

فناسب ذلك^(١) قوله^(٢) : ﴿كُلُّ^(٣) كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ . وحاء كل على ما يناسب ، وذلك واضح .

٣٠٤ - الآية الثالثة من سورة «ص» (غ)^(٤) قوله تعالى :

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ . أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ
وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١٦، ١٧) .

وفي سورة الأحقاف (٣٥) : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ﴾ .

وفي سورة القلم (٤٨) : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ
الْحُوتِ﴾ .

ورد في هذه السور الثلاث أمره صلى الله عليه وسلم بالصبر محالاً في الأولى على الاعتبار بحال داود وأبياته ، وفي الثانية على أولي العزم في اهتدائه واقتدائه ، وفي الثالثة مبهماً بالحاري لذي النون في معاضبته وبدائه . والمتردد في غير هذه الآي ، إما هو أمره عليه السلام بالصبر غير مناط بذكر أحد من الرسل كقوله تعالى : ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٥) ، وقوله ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(٦) ، وقوله : ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ [١٩٧/و] بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾^(٧) ، وقوله : ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾^(٨) ، إلى غير هذا من الآي^(٩) .

(١) ك : ذكر .

(٢) ساقط من هـ ، م .

(٣) ب : كنه .

(٤) ساقطة من هـ ، ك .

(٥) النحل / ١٢٧ .

(٦) النكهف / ٢٨ .

(٧) ق / ٣٩ .

(٨) لطور / ٤٨ .

(٩) ك : إلى غير ذلك هذا من الآي .

فللسائل أن يسأل عن وجه ذلك، وعن اختصاص^(١) كل سورة من الثلاث بما ورد فيها، إذ ليست الإحالة فيها على حد سواء. فهذان سؤالان.

والجواب عن الأول^(٢) أن تكرار أمره عليه السلام بالصبر في الآيات المترددة على كثرتها أدل دليل على الاعتناء به صلى الله عليه وسلم لعظيم أجر^(٣) الصبر وشدة الحاجة إليه في كل مطلب ديني من أخذ أو ترك. ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في صفته^(٤): «الصَّبْرُ صِيَاءٌ»^(٥). وقال تعالى في قصة أيوب وحال ابتلائه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٨)، وقال تعالى: ﴿وَلَا

(١) ب صيغة السؤال (يقال ما الفرق بينهما وما وجه اختصاص . . .)

(٢) رادى لك: «والله اعلم».

(٣) ك امر

(٤) ك صفة الصبر

(٥) روى مسلم الحديث عن سحاح بن منصور حدثنا حبان بن هلال، حدثنا بن، حدثنا يحيى بن رباح حدثنا أن أبا سلام حدثه عن أبي مالك الأشعري قال: قد روى الله صلى الله عليه وسلم الظهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميراث، وسبحان الله وخمسة تملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر صيأ، وانقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يعدو فأناب نفسه فسعتبها أو موبقها.

وقد تكلم الدارقطني وغيره من علماء المصطلح المحدثين في هذا الإسناد فقالوا: سقوطه رحل بين أبي سلام وأبي مالك، والساقط عبد الرحمن بن عثم، قالوا والدليل على سقوطه أن معاوية بن سلام رواه عن أخيه عن حنظلة أبي سلام، عن عبد الرحمن بن عثم، عن أبي مالك الأشعري. وهكذا أخرجه النسائي في باب الزكاة، وابن ماجة في باب الطهارة. يريدون بذلك تضعيف الحديث بأنه منقطع، سقوطه عبد الرحمن وقد صحح لإمام النووي الحديث قال: «ويمكن أن يجاب لمسلم عن هذا أن الظاهر من حال مسلم أنه علم سماع أبي سلام هذا الحديث من أبي مالك فيكون أبو سلام سمعه من أبي مالك، وسمعه أيضاً من عبد الرحمن بن عثم عن أبي مالك، فرواه مرة عنه ومرة عن عبد الرحمن. وكيف كان؛ فأنش صحيح لا مطعن فيه والله أعلم. انظر صحيح مسلم/ ٥٠٠، ٥٠١.

(٦) ص/ ٤٤.

(٧) الرمر/ ١٠.

(٨) الفرة/ ١٥٣.

يَلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿١١﴾ ، وأحوج الحق إلى لصبر المرسل عليهم السلام عظيم ما ينقونه من مكابدة الحلق. فلشدة الحاجة إلى الصبر ما تكرر في عدة آيات أمرأ له صلى الله عليه وسلم ، ولأتمته .

والجواب عن السؤال الثاني أن أمره عليه السلام بالاعتداء بالمرسل ، وقد ورد وتكرر في غير آية وتكرر أيضاً أمره بالاعتداء بأبيه إبراهيم عليه ^(١) السلام لعظيم مقام إبراهيم ، وجيل خلفه وأبوتيه ، وتنبهاً للعرب [لرجوعهم ^(٢)] إليه انتساباً ، واعترافهم بمُقرّين بتعظيمه ؛ وأما تخصيص السور الثلاث بتعيين ما ورد فيها ، فلما نذكره من الوجه الحامل والمناسبة في انظم .

أما سورة «ص» فوجه اختصاصها بالوارد فيها التثام نظم الآية بم تقدمها وارتباط قومه تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴾ ، بما تصل به من قوله : ﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ . بيان النظم في ذلك والتثامه أوضح التثام إن الله سبحانه لما ذكر حال العتاة من كفار قريش ، وشنيع مقاتلهم لنبيه صلى الله عليه وسلم من لدن قولهم : ﴿ سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ إلى ختمهم ما ذكر تعالى من سوء مراحتهم بقولهم استهزاء ، أو تكديساً : ﴿ عَجَلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ اتبع ذلك ملاطفة وتأنيساً لنبيه عليه السلام : ﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ تذكيراً له ^(٣) بأن الجاري من ذلك إما هو عسى ما شاءه ^(٤) لهم في أزله ، وقدره عليهم ، فليس خارجاً عن إرادته . فكأنه يقول لنبيه عليه السلام : اصبر على ما يرد منهم ، وما يقولونه ، فإنه مرادي منهم في سابق قدري ، ولو شئت لهديت قلوبهم وسخرتها لإجابتك فقد سخرت الجبال مع داود والطيور وأنت له الحديد ، وقلب الأدمي ألين وأقرب : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ . فإذا علمت أن قلوبهم بيدي ألقبها كيف

(١) الفصص / ٨٠ .

(٢) ك : عليها .

(٣) جميع السح كرجوعهم .

(٤) م لهم .

(٥) في ك فقط ونفية سح . ماء .

شئت فاصبر على ما يقولون واعتبر بما سخرته لداود واقتدر بما منحته من الأيد والقوة. فهذا [١٩٨/ و] وجه النظم والارتباط في هذه الآية والله أعلم.

وقد تعرض أبو الفضل بن الخطيب - رحمه الله - في تفسيره الكبير لتوجيه النظم فيما قدمناه؛ فقال: «إن قيل: أي تعلق بين قوله تعالى: ﴿ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾، وبين قوله: ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ﴾؟. قلنا من وجوه:

الأول: كأنه قيل إن كنت قد شاهدت من هؤلاء الجهال جرأتهم على الله وإنكارهم الحشر والنشر، فاذكر قصة داود؛ حتى تعرف شدة خوفه من الله ومن يوم^(١) الحشر، فإنه بقدر ما يزداد أحد الضدين شرفاً يزداد الآخر نقصاناً. انتهى معنى كلامه.

قلت: وهذا الذي حكاه ضعيف، لأن هذا الكلام إنما يثمر التعجب من فعل الله سبحانه، ولا يثمر تسلية ولا تأيساً، وهما أنسب في الموضع.

وذكر وجهاً ثانياً: وهو أنه كأنه قيل لنبينا صلى الله عليه وسلم لا يصق صدرك بسبب إنكارهم لقولك ودينك، فإنهم إن حالفوك فالأكابر من الأنبياء موافقوك.

قلت: وهذا أصعب من الأول لأنه عليه الصلاة والسلام إنما يأنس بمصدقيه^(٢) من أمته. وأيضاً فقد كان ذكر إبراهيم لو قصد هذا الغرض من الموافقة أنسب لتعظيم العرب إياه وللاتفاق عليه ولعظيم خلقه.

وذكر وجهاً ثالثاً: وهو أن الخصمين اللذين دخلا على داود عليه السلام كانا من البشر، وإنما دخلا عليه لقصد قتله فخاف داود. ومع ذلك فلم يتعرض لأذاهما ولا دعى عليهما، بل استغفر لهما فأمر نبينا عليه السلام أن يقتدي به في حسن الخلق.

قلت: وهذا ضعيف كالذي قبله.

وذكر غير هذه الوجوه مما هو دون هذه في القوة، ثم أعقب هذه بأن قال: وفي

(١) ساقط من ل.

(٢) م: لمصدقيه.

هنا وجه آخر، أقوى وأحسن من كل ما تقدم^(١). ثم اعتمد في هذا التوجيه على أن قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾، ليس مما تقدم^(٢)، وإنما وجه اتصاله به أن العقلاء قالوا: من أثبتني بخصم جاهل مُصِرُّ متعصب ورآه قد خاض في التعصب والإصرار؛ وجب عليه أن يقطع الكلام معه في [تلك] المسألة^(٣)، لأنه كلما كان خوضه في تفرره أكثر^(٤) كان بعده عن القبول أشد. فالوجه حينئذ أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة، وأن يؤخذ في كلام آخر أجنبى عن المسألة الأولى بالكلية ويطلب في ذلك الكلام الأجنبى^(٥)، بحيث ينسى ذلك المتعقب تلك المسألة الأولى^(٦). فإذا اشتغل خاطره بهذا الكلام الأجنبى ونسي^(٧) المسألة الأولى، أدرج له أثناء الكلام في هذا الفصل الأجنبى مقدمة تناسب ذلك المطلب الأول، فيحصل عن ذلك تسليم المتعصب لهذه [١٩٨/و] المقدمة. فإذا سلمها^(٨) فحينئذ يتمسك بباقي إثبات المطلوب الأول، فيتمكن من انقياده، ويرجى رجوعه إلى ما طُلب به أولاً. وهذا معنى ما أراده أبو الفصل في هذا الفصل. ثم أشار إلى أن المدرج في هذا الكلام من المقدمة المناسبة للمطلب الأول في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ - إلى قوله - ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٩).

قلت: وعدي أن ما ذكره من هذا [وإن] كان العقلاء قالوه، [وإن] كانت العرب تفعله^(١٠) ويُعرف من كلامها ارتكابه، فإنما يكون - والله أعلم - على أوضح

(١) هكذا في ك، وبقية النسخ: مما كان تقدم.

(٢) ك: تقدمه.

(٣) ما بعدها إلى قوله: «تلك المسألة» ساقط من ب.

(٤) ك: أكثر.

(٥) ما بعدها إلى قوله: «تلك المسألة الأولى» ساقط من ك.

(٦) محذوفة من ب.

(٧) بعدها في ك: تلك.

(٨) هـ، م. سلمها.

(٩) ص/٢٧ - ٢٩.

(١٠) في ك فقط وبقية النسخ: تفعله.

وأنسب مما ذكره^(١). والذي أراه جارياً على هذا المنهج الذي أراده - والله أعلم - قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ. بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ. أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾^(٢). فهذا إنكار منهم للبعث الآخر اوي واستبعاد وهو نحو من الوارد في سورة «ص»، فأعقب تعالى ذلك بقوله مما يشبه الالتفات وهو الذي زعم أبو الفضل أن العقلاء يرتكبونه عند لدِّدِ الخصم والأخذ فيما هو كالأجنبي فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ. وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ - إلى قوله في ماء السماء - ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾^(٣). فبعد العدول عن مجاوبتهم في قولهم ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ ذكر اختلاطهم المُسَبَّب عن تكديبهم وتجبرهم المعرَّ عنه بقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾^(٤)، أي مختلط. صرف تعالى^(٥) الكلام إلى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا﴾ وذلك كله مدرك مُشَاهِد لهم لا يمكنهم التوقف في شيء منه ولا حفظ عنهم إنكاره. فعند تكرار هذا قال: ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾. فهذا والله أعلم أقرب فيما ذكره أبو الفضل، وزعم أن العقلاء يرتكبونه.

وأما الوارد في سورة «ص»^(٦) فَيَبْعُدُ - والله أعلم - أن يكون من هذا. ثم إن القول بأن الوارد في سورة «ص» من قوله: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾، أجنبي مما قبله وغير مناسب البتة، وأنه إنما أتى به لما ذكر من شغل الخصم المنعصب من ذلك عن الوجه الذي ذكر بعيداً بالكلية، وإن ورد شيء مما يمكن أن يقال أنه من ذلك

(١) في ك فقط، ونفية انسخ: ذكر.

(٢) (١-٢) ق/١-٣، ٦-١١، ٥ على الترتيب.

(٣) م: عنها، ب: صرف نفل الكلام إلى سبه.

(٤) ما بعدها إلى قوله: «في سورة ص»، ساقط من ك، م.

الصر، فلا أنسب أن يكون منه^(١) الوارد في سورة «ق»، لا^(٢) الوارد في «ص». وإذا^(٣) تأملته وضح لك ذلك وإن الوجه في نظم الكلام ما قدمته أولاً، وهو مما لا غبار عليه، والله أعلم.

[١٩٩/و] وقد تعرض الزمخشري لما تقدم في هذه الآية فأجاب عن ذلك بما جرى فيه على شنيع^(٤) المرتكب^(٥)، وسوء الأدب بناء على استبداد العبيد وفعالهم^(٦) ما لا يرضاه الخالق سبحانه ولا يريد، فجعل الله شركاء وأفرد العباد بأفعالهم استبداداً وملكاً فأجاب بناء على ما أصل، وما وفق في هذا الموضع لوجه المطابقة ولا حصل فقال: فإن قلت كيف تطابق قوله: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾، ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾، حتى عطف أحدهما على صاحبه. ثم قال^(٧): «قلت كأنه قال لنبيه عليه [الصلاة] والسلام^(٨): ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ وعظم أمر معصية الله في أعينهم بذكر قصة داود، وهو أنه نبي من أنبياء الله سبحانه قد أولاه ما أولاه من النسوة^(٩) والملك، لكرامته عليه، وزلفته^(١٠) لديه، ثم رل زلة فعث إليه الملائكة ووبخه عليها^(١١) على طريق التمثيل والتعريض، حتى فطن لما^(١٢) وقع فيه فاستغفر وأناب، ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم، وعمه الواصب، ونقش حنائه في بطن كفه حتى لا يزال يحدد النظر والندم^(١٣) عليها. فما البطن بكم مع^(١٤) كفركم

(١) ساقط من ك.

(٢) في ك فقط، وبقيّة النسخ: ولا.

(٣) في ك فقط، وبقيّة النسخ: إذا - بلا واو.

(٤) لك: تشنيع.

(٥) م: مرتكبهم.

(٦) ك: فهم.

(٧) ساقطة من ج، ع، ب.

(٨) ك: صلى الله عليه وسلم.

(٩) لك: النسوة.

(١٠) هكذا في الكشاف، وفي جميع النسخ: رفته.

(١١) في ك فقط.

(١٢) ك: ما.

(١٣) جميع النسخ محذراً للندم عليها وما أبتناه من الكشاف.

(١٤) جميع النسخ في وما أبتناه من الكشاف.

ومعاصيكم. أو قال له صلى الله عليه وسلم: «صبر على ما يقولون وصُنْ نفسك وحافظ عيها أن تزلّ فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم، واذكر أحلك داود وكرامته^(١) على الله كيف زلّ تلك الزلّة اليسيرة فلقى من توبيخ الله وتظليمه^(٢) ونسبته^(٣) إلى البغي ما لقي^(٤)». انتهى جوابه. وقد اجتمع فيه مخالفة الصواب، والبعد عن المطابقة. فإن تعظيم معصية الله كما قال الزمخشري بذكر قصة داود لقوم غير مؤمنين بأحد من الأنبياء. فالتذكير بذلك لمن يقول استهزاء وكفرا: ﴿عَجَلْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾. فتذكيرهم بهذا مع ذكر الأنبياء بلفظ الزلّ أقرب شيء لاستمرارهم على الاستهزاء مع عصمة الأنبياء عما يقع عليه الزلّ حقيقة. ثم قوله في الجواب الثاني عن داود عليه السلام أنه لقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته للبغي هذا كنه خلف من المرتكب وإطلاق لا يجوز في حق الأنبياء. فقد جمع جوابه سوء الأدب، وشنيع المرتكب، والبعد عن المطابقة. والذي جاوبنا به لا غبار عليه، ولا توقف في مطابقته. نسأل الله سبحانه أن يفعنا^(٥) به، يوم تبلى السرائر.

سورة الزمر

٣٠٥ - الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ^(١) . أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ^(٢)﴾ (٣، ٢).

(١) م، هـ: وذكر كرامته.

(٢) م، هـ، ب: تظلمه، وساقطة من ك.

(٣) ما بعدها إلى قوله: «تظليمه ونسبته للبغي» ساقطة من ب.

(٤) أنظر الكشف ٦/٣.

(٥) ب: انتفاعا.

(٦) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.

وقال فيما بعد (٤١) [١٩٩/ظ]: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ أَسْتَغْنَىٰ فَلْيُنْفِقْ ۖ ﴾ - الآية (١).

للسائل أن يسأل (٢) عن قوله أولاً: ﴿ إِلَيْكَ ۖ ﴾، وثانياً: ﴿ عَلَيْكَ ۖ ﴾، وهل بينهما فرق يوجب تخصيص (٣) كل واحدة من العبارتين بمكانها.

والجواب أن «إِلَيْكَ» و«عَلَيْكَ» هنا مترادفتان على معنى واحد من معنى الخطاب فتارة يراعي وصول المنزل بواسطة الملك، وتارة يراعي وصوله من عند الله سبحانه من غير وساطة (٤) فإذا روعي هذا قيل «عَلَيْكَ» وإذا روعي الأول قيل «إِلَيْكَ». قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ۖ ﴾ - الآية (٥). وقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ۖ ﴾ (٦)، والأول أكثر. فبدأ (٧) هنا به. ثم إنه ورد في الآية الثانية: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۖ ﴾، واللام الجارة في قوله: ﴿ لِلنَّاسِ ۖ ﴾، تعيد الاختصاص، وترادف كثيراً لفظة «إلى». نقول (٨): الأمر لزيد، والأمر إلى زيد. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۖ ﴾ (٩)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ أَمَرَ كُلُّهُ لِي ۖ ﴾ (١٠)؛ فلو وردت الآية الثانية بإلى فقل: إنا أنزلنا إليك الكتاب للناس، لكان ذلك كالمرادف (١١) لقوله: أنزلنا إليك الكتاب إلى الناس، وكان يكون فيه إيصال الفعل إلى محرورين بحرف واحد، ليس (١٢) أحدهما معطوفاً على الآخر. والعرب لا تقضي الفعل مما يطلب إلا

(١) محذوفة من ك.

(٢) ب: صيغة السؤال (يسأل عن...).

(٣) ك: خصوص.

(٤) ك: واسطة.

(٥) البقرة/٤.

(٦) الكهف/واحد.

(٧) ك، ب: فبدأ.

(٨) ك: تنزل.

(٩) المائدة/٩٥ وفي جميع نسخ «ومن عاد فأمره إلى الله» - تحريف.

(١٠) آل عمران/١٥٤.

(١١) ك: كالمراد.

(١٢) هـ، ك، ب: وليس.

واحداً فلا تقصيه طرفي رمان بغير حرف تشريك، ولا طرفي مكان، ولا تقضي مفعولين لفعل متعدٍ إلى واحد، ولا ثلاثة مفعولين لمتعدٍ إلى مفعولين إلا على طريقة البداية. ولا يصح ذلك في الآية، أو على التشريك بحرف العطف وليس ذلك في الآية أيضاً؛ فحيء بالآيتين على ما يناسب ويلائم، والله أعلم.

٣٠٦ - الآية الثانية من سورة الزمر قوله تعالى^(١):

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ . وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١١).

للسائل أن يسأل لم عدِّي^(٢) الفعل الذي هو ﴿ أُمِرْتُ ﴾ أولاً بغير حرف جر، ثم عدِّي ثانياً في قوله: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ ﴾ بحرف الجر.

والجواب عن ذلك أن العرب تقول: أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ، وَأَمَرْتُكَ بِالْخَيْرِ. فعدي هذا الفعل بنفسه وبحرف الجر، وهو الأصل فيه، والحذف فصيح كثير. ويلحق إذاك بباب أعطى وكسأ في احكامه. ومنه (سيط).

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتُ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَا وَذَا نَسَب^(٣)

والآية من قوله: ﴿ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ ﴾، مثل البيت.

وإذا تقرر هذا فمفعول ﴿ أُمِرْتُ ﴾ الأول، وهو الضمير [٢٠٠/و] يقام مقام الفاعل، والثاني أن يكون وصل الفعل إليه بنفسه. والأصل: بأن أكون. وأما قوله: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ ﴾، فأقول: إنه محذوف منه حرف الجر كالأول. تقديره:

(١) الآية كلها ساقطة من ك، ومكانها الآية اشالة على اعتبار أنها الثانية.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقال لم عدِّي). .

(٣) سب سيويه البيت لعمر بن معدى كرب الزبيدي وفي ديوانه/ ٣٥. ويقال أنه: لنعباس بن مرداس، وزرعة بن السائب، ونخفاف بن ثدثة، وأعشى طرود. أنظر: الكتاب ١/ ٣٧، الخزانة ١/ ١٦٤ - ١٦٦، وتعلق المحقق على البيت ص ٣٣.

وأمرت بأن أكون، فحذف منه حرف الجر الذي أُصْلُ الفعل أن يصل [به] إليه وهو الباء. وأما اللام في: ﴿لَأَنْ أَكُونَ﴾، فمُتَّبَعَةٌ من محذوف يفهمه سياق الكلام مع الحرف المتبقي^(١) منه، وتقديره: وأمرت لعلمي أولاً أن أكون أول المؤمنين. ألا ترى أن الوارد في الآيتين أمران: أولهما عام، والثاني خاص، لأن أمره عليه السلام بالعبادة والإخلاص أمر له ولأمته. قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٢). فالآية من قبيل ما توجه فيه الخطاب له عليه السلام. والمراد هو أمته. والخطاب يأتي كذلك ويأتي أوله خاص وآخره عام. ومنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾^(٣). وإذا ورد بصورة الخصوص به كان أمراً أو نهياً، فأمته داخلة معه في ذلك الحكم ما لم ينص على خصوصه لقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾^(٤)، وحكمه عليه السلام وحكم أمته في هذا واحد. ثم قال تعالى: ﴿وَأَمْرًاؤُةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَكْحِفَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥)، فأفرده سبحانه بحواز الموهوبة بالصبر على ذلك. ولولا قوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، لكان حكم أمته في ذلك كحكمه. وإذا تقرر هذا فقوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أمر خاص به لا يشركه فيه غيره. ونظير^(٦) هذا قوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾^(٧)، والمعنى يحرز ذلك، بل لا يمكن خلافه. وذلك أن الحكم من^(٨) الأمر

(١) م، ث: ابسى.

(٢) البينة/٥.

(٣) الطلاق/واحد.

(٤، ٥) الأحزاب/٥٠.

(٦) ب: ويظهر هذا قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ﴾ - (هكذا).

(٧) الأنعام/١٤.

(٨) م، ث: من الحكم.

والنهي، إذا جاء به الملك وتلقى^(١) منه صلى الله عليه وسلم ما خوطب به وصدق به، وأسلم وجهه لربه بعد^(٢) ذلك يتلقاه^(٣) منه عليه السلام^(٤) من حضرة وخاطبه ولا طريق لأحد أن يتلقى حكماً لأمته عليه السلام بعد تلقيه هو ذلك من جبريل، فهو عليه السلام أول مؤمن، وأول مسلم، ولا تمكن تلك الأولية لغيره ولا نسبه إليها^(٥) أحد. فقد وضع وجه دخول هذه اللام في قوله: ﴿لَأَنْ أَكُونَ﴾.

٣٠٧ - الآية الثالثة^(٦) من سورة الزمر [غ] قوله تعالى:

﴿ثُمَّ يَهِيْجُ فِتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا﴾ (٢١).

وفي سورة الحديد (٢٠) [٢٠٠/ظ]: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فِتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾. فورد هـا: ﴿ثُمَّ يَكُونُ﴾، وفي الأولى: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ﴾ مكان «ثم يكون». فللسائل أن يسأل عن وجه ذلك^(٧) وهل يمكن ن يراد في الأولى: ثم يكون، وفي الثانية: ثم يجعله.

والجواب - والله أعلم - أنه لا يناسب كلاً من الموضعين إلا ما ورد فيه، ولا يجوز على رعي التاسب اللازم لمن يموت. ورعيه في الكتاب العزيز غير ما ورد عليه الموضعان. ووجه ذلك أن آية الزمر وردت مورد التبيه على الاعتبار وبالنصية على ذلك افتتحت الآية. فقال تعالى خطاباً لنبيه صلى الله عليه وسلم - والمراد هو وأمه -: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، والمراد به المطر فسلكه ينابيع في الأرض؛ أي أنفذه وأسراه في الأرض فدرت عيونها، وجرت

(١) جميع النسخ: وتلقاه.

(٢) جميع النسخ: بعد - بلا واو.

(٣) هـ: يتلقاها.

(٤) ما بعدها إلى قوله: لأمته عليه السلام ساقط من م، ك.

(٥) م، ك، ب: إليها.

(٦) ك، هـ: الثانية.

(٧) ب: صبعة السؤال (يقال ما وجه ذلك...).

مياهها من تلك المادة السماوية^(١)، ﴿وَإِنْ مِنْ الْحِجَارِ لَمَّا يَنْفَجِّرُ مِنْهُ
الْأَنْهَارُ﴾^(٢)، فيُخرج سبحانه به الزرع المختلف الألوان والطعوم المتباينة^(٣) تسقى
بماء واحد، ويُفَضَّل بعضها على بعض في الأكل ثم يهيج^(٤)، أي يتم جفافه فيبلغ
الغاية التي بها كمال المنفعة فيه فتراه مُصْفَرًّا ثم يجعله تعالى حطاماً، فناسب^(٥)
سبحانه كل حالة من تقلبات الزرع وتنقلاته من لدن خروجه ونباته وما بعد ذلك إلى
تخلّصه إلى نفسه، إذ لا طمع لمخلوق في ادّعاء شيء من ذلك. ثم قال تعالى:
﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ فافتتحت الآية واختتمت بالتنبيه على
الاعتبار. فلما كان مبناها على ذلك ناسبه نسبة الفعل إليه تعالى فقال: ﴿ثُمَّ
يَجْعَلُهُ﴾.

وأما آية الحديد فوردت مثلاً للدنيا وابتداء عرورها وصغر الكافر الغافل إلى
ذلك، وإعرابه عن سرعة تقلبها وزوالها وفنائها. فلما قصد هنا المثال ناسب هذا
المقصود قوله: ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾، إذ لم يتقدم^(٦) في أول الآية النسبة للفاعل
كتفاء بما هو غير خاف على كل ذي عقل سليم؛ فجرى آخرها على ما جرى عليه
أولها كما جرى في آية الزمر آخرها من التنبيه على ما جرى عليه أولها وتناسب ذلك
كله، وورد على ما يجب. ولم يكن بناء على ما صُدِّرَتْ به كل آية منهما^(٧) أن
يكون في آية الزمر: ﴿ثُمَّ يَكُونُ﴾، ولا في آية الحديد: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ﴾ بل ورد
كل على ما يناسب، والله أعلم.

(١) ما بعدها إلى قوله: «لألوان والطعوم» ساقط من ك.

(٢) البقرة/ ٧٤.

(٣) المبينة.

(٤) ما بعدها إلى قوله: «المنفعة فيه» ساقط من ك.

(٥) ك: فتسب.

(٦) م، ك، ب. تتقدم.

(٧) هـ، م: مها.

٣٠٨ - الآية الرابعة من سورة الزمر قوله تعالى :

﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ ﴾ (٤٨).

وفي سورة الجاثية (٣٣) : ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ .

لسائل أن يسأل عن وجه اختصاص^(١) آية الزمر بقوله : ﴿ مَا كَسَبُوا ﴾ ، وآية الجاثية بقوله : ﴿ مَا عَمِلُوا ﴾ مع أن القصد^(٢) في الموضعين واحد ، وهو أنه لم يغب من أعمالهم السيئة شيء .

والجواب عنه أن العمل أعم من الكسب ، لأن الكسب واقع على ما للإنسان فيه تعمل وعلاج . وقد [٢٠١ / و] يطلق في غير الإنسان إذا كان الواقع منه ذلك حيواناً يصح منه القصد كالجوارح المعلّمة وشبهها . ومنه قوله^(٣) : (مجزوء الكامل) .

وَتَجُرُّ مُحَرِّقَةً^(٤) لَهَا لِحِمَى إِلَى أَجْرٍ كَوَاسِبٍ^(٥)

وأخر جمع جرّو . وأما العمل فيقع على ذلك ، وعلى ما جرى من فاعله ، وإن لم يكن منه قصد ولا تعمل ، ولا هو فاعل حقيقة فيطلق على ما لا يطلق فيه الكسب . ومنه بيت الكتاب : (سيط) .

حَتَّى سَسَا^(٦) مَوْهِنًا عَمِلُ مَاتَتْ طِرَافًا وَبَاتَ اللَّيْلُ لَمْ يَنْمِ^(٧)

(١) ب صيغة السؤال (يقال ما وجه اختصاص . . .) .

(٢) ب لقصة .

(٣) البيت للأعلم الهذلي . هو ابن عبد الله ، أخو صخر العمي . ولقبه . ويقال له . حبيب الأعلم . ديوان الهذليين ٧٧ / ٢ ، ٨٠ .

(٤) ل ، ب : بجرية .

(٥) في الديوان / ٨٠ « حواسيب » .

(٦) البيت لمساعدة بن جزية : وروايته في ديوان الهذليين وكتاب سيبويه .

حتى شأها كميل موهناً عمل ماتت طراباً وبات الليل لم يسم
انظر : الديوان ١ / ١٩٨ ، الكتاب ١ / ١١٤ ، شرح المفصل ٦ / ٧٢ ، المصنف ٣ / ٧٦ ، الخزانة ٣ / ٤٥٠ ، النساك (شاي) .

(٧) ل ، ب : شأها .

فوصف البرق بأنه عَمَلٌ ومقصود الآية أنه بدأ لهم كل ما كان منهم على الاستيفاء، لأنه إخبار موعظة وتهديد وإشعار بالوعيد فيناسبه ما يجري في المناقشة وإذا كان المعنى على ما ذكرنا؛ فالمطابق لهذا ما ورد في الجائبة من التعبير بِئِدُونِ العمل. وعلى هذا ورد قوله في سورة النحل وعيدا للمقول لهم: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ ﴾^(١)، ﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ﴾ - الآية^(٢)، ثم قال: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا عَمِلُوا ﴾^(٣)، ولم يرد هنا: ﴿ مَا كَسَبُوا ﴾ - الآية، من قصد التوسعة^(٤) مما يئدون من أعمالهم، [ويظهرون^(٥)] الاستيفاء لذلك. وكذلك الوارد في الجائبة.

وإذ وضع هذا فيبقى^(٦) السؤال عما وضع في سورة الزمر لم عدل به من هذا فقيل: ﴿ مَا كَسَبُوا ﴾. والجواب عنه - والله أعلم - أنه لما ورد تنمة لما تقدمه من قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾^(٧). فقوله: ﴿ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ يتناول ما قدموه من سيء أعمالهم، عافلين عنه وناسين له، كان مما قصدوه وأعملوا^(٨) فيه أنفسهم أو دون ذلك. فقد حصل من هذا مع ما بعده ما تحصل من قوله: ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا عَمِلُوا ﴾، وكان قوله مع ذا^(٩): ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا ﴾ كالتنمة المؤكدة^(١٠) [وتناسب وما] قصدوه^(١١) وأعملوا أنفسهم فيه، وحصل من مجموع ذلك المكتسب^(١٢) وغير

(١) - (٣) النحل/٣٣، ٣٤.

(٤) ك: التوسعة والاستيفاء لذلك الوارد في الجائبة.

(٥) جميع نسخ: يظهروا.

(٦) ك: لينبغي.

(٧) الزمر/٤٧.

(٨) ك: عملوا.

(٩) ك: ذلك.

(١٠) في ك فقط وبقي النسخ: المذكورة.

(١١) جميع نسخ: ومنه ولا قصدوه.

(١٢) م، هـ: للمكتسب.

المكتسب، فلا فرق بين آية الزمر وآية الجاثية. ولو قيل في آية الزمر: ما عملوا؛ لكان تكراراً، لأن ذلك حاصل مما^(١) قبلها. ولو قيل في آية الجاثية: ما كسبوا؛ لما كان وافياً بما بينا قبل^(٢) أنه مقصود الكلام فتبين خصوص كل من الساردین بموضعيه، وأن عكس الوارد لا يمكن.

فإن قلت: ما الوجه في «ما»^(٣) من قوله: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ آلِهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾. قلت: هي نكرة موصوفة، كقولهم مررت بما معجب لك، وإذا كان يحرز ما تقرر من المعنى [٢٠١/ظ] بإيهامها كما [أن]^(٤) ما الاستفهامية [تأني]. حيث يقصد الإيهام تعظيماً^(٥) للأمر وتفخيماً، كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾^(٦)، وقوله: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾^(٧) تحريراً لإيهامها من عظيم أمر الحاقة والقارعة ما لا يفي به الوصف، أو الإيهام مقصود في التعظيم والتفخيم إلا من المعرب بها عنه. فإن قلت: إن ما، يقل وقوعها نكرة موصوفة. قلت بل هي حيث يقصد بها هذا المعنى موجودة في كثير من كلامهم وإن كانت الموصولة أكثر منها، إلا أن الموصولة لا تحرز ما ذكرنا من المعنى إحرازها. فإن قلت: إنما يصح ما اعتمدت من المعنى على القول بتكليف ما لا يطاق وذلك إصرار^(٨) لم يتكلف به. قلت: أما أنه من الإصرار فصحيح. وقد امتحنت به من قبلنا وحمل عليهم بنص القرآن. وأما أن يقال إنه مما لا يطاق، فلا يبلغ هذا؛ بل نقول أنه يطاق بمشقة. والآية ليست نصاً في هذه الأمة، بل ولا في أهل الشرائع وحدهم، وإنما هي فيمن ينكر البعث الأخرأوي ومن جاراهم. ويبين ذلك ما ورد قبل آية الجاثية من قوله:

(١) م، هـ، ب، ي.

(٢) هـ، ب: قبل.

(٣) م: فيها، ك: هنا، وسقطت «في» من ب.

(٤) ب: كأن - ما.

(٥) ب: نبهاً.

(٦) الحاقة/واحد.

(٧) القارعة/واحد.

(٨) ك: أمر.

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ - الآية (٣) وهو قول من لا يصدق بالبعث وليس هذا في اتباع الرسل. ثم إن تخويفها يعم جميع المكلفين والمؤمن الموفق أشد الخلق خوفاً، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. ثم إننا نقول بجواز التكليف بما لا يطاق عقلاً وبمنع^(١) شرعاً، وبسط هذا في مظانه^(٢).

٣٠٩ - الآية الخامسة من سورة الزمر قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتَأْتَبُهَا ﴾ (٧١).

ثم قال في أهل الجنة (٧٣) : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾.

للسائل أن يسأل عن زيادة^(٣) الواو في قوله. ﴿ وَفُتِحَتْ ﴾ في الآية الثانية.

والجواب - والله أعلم - أن إذا في مثل هذا الكلام حارية محرى أدوات الشرط في احتياج الفعل بعدها إلى الجواب ، إلا أن جوابها في قول^(٤) البصريين لا يحزم إلا في الشعر. وأهل الكوفة يرون أنها تُجرم في الكلام وقد اتفقا^(٥) في استدعائها الجواب. فوقع جوابها في الآية الأولى منطوقاً به وهو قوله : فتحت فلا مدخل للواو^(٦).

وأما الآية الثانية فجوابها محذوف مقدر. وقوله : ﴿ أَبْوَابُهَا ﴾ ، كلام معطوف على ما قبله كما عطف عليه ما بعده ولو كان جواباً لكان مقتضاه أنها لا تفتح إلا عند

(١) الحاشية/٣٢.

(٢) ك : ومنعه.

(٣) اختلف المعتزلة وأهل السنة واجماعة في تكليف ما لا يطاق. فقال المعتزلة : يقيح تكليف ما لا يطاق عقلاً بالبديهة. ذلك أنه تعالى منزه عن النقص والقيح فيحرم ذلك شرعاً. وحالفهم أهل السنة والجماعة فاجزوا تكليف ما لا يطاق بقوله ﴿ لَا يُسْأَلُ عَنْهُمَا فَعَلٌ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ وأمثالها. انظر التوحيد للميرزا جواد/ ٢٦٦ - ٢٧٨ ، تفسير المعتزلة للقرآن الكريم / ٤٣١ - ٤٣٥ .

(٤) ب : صيغة نسوان (يقال ما وحه ربيدة .) .

(٥) ب : قوله .

(٦) ك : اتفقا .

(٧) سقطت من ك .

مجيئهم، كالحال في أهل النار، وليس كذلك والله أعلم. ألا ترى قوله في سورة «ص»: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتٍ عِدْنٍ مُمْتَحَةٍ لَهُمْ فِي الْأَبْوَابِ﴾^(١). فانتصاب مُمْتَحَةٍ إنما هو على الحال، والحال قيد فيما قبلها. فإذا قلت: جاء زيد ضاحكاً، فالمعنى جاء زيد متصفاً وقت مجيئه بالضحك. فالضحك هيئته [٢٠٢/٢] حين المجيء وليس المراد أن ضحكه جاء بعد المجيء. وإنما المعنى أن تلك صفته التي جاء عليها. فقد^(٢) تقدمت^(٣) مجيئه. ولهذا قدر سيويه - رحمه الله - قول بعض العرب: مررتُ برجل معه صقرٌ صائداً به غداً، فقدره: مررتُ برجل معه صقر مقلداً الصيد به غداً. فقدره بما هو حاصِلٌ ثابت وقت المرور^(٤). ولهذا قالوا في قول العرب: قُمْتُ وَأَصُكُ^(٥) عَيْنَهُ، إنه من الشاذ النادر. ونحوه ما أنشدوه من قول الشاعر: (مقارب).

فَلَمَّا خَشِيتُ [أُظَافِرُهُمْ^(٧)] نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ^(٨) مَالِكًا^(٩)

فهذا في غاية القلة. ويحسن ورود الماضي حالاً إذا كانت معه «قد»، لاقتضائها القرب حين يزول احتمال أن يكون متقطعاً، فيضاد مقصود الحال. فإن قويت الدلالة عليه من المعنى جاز وروده في الفصيح، وعليه جاء قوله تعالى في قراءة الأكثر: ﴿أَوْجَاؤُكُمْ خَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَالُوا لَكُمْ﴾ الآية^(٩) لدلالة

(١) الآية/٤٩.

(٢) ك: بل.

(٣) ب: تقدم.

(٤) الكتاب ٢/٤٩.

(٥) ك: أصد عينه من.

(٦) البيت لعبد الله بن همام السلولي، انظر: معاهد التنصيص ١/٩٦، مجمع الموامع ١/٢٤٦، الدرر

١/٢٠٣، شرح الأشموني على الألفية ٢/١٧٨، المخصص ١٣/٢٣، العيني على شواهد الألفية

٣/١٩٠، الشعر والشعراء ٢/٦٥١ إصلاح المنطق ٢٣١.

(٧) جميع النسخ: أظافيره.

(٨) ك: وارهمهم.

(٩) النساء/٩٠.

المعنى . وقرأ يعقوب . «حَصِيرَةٌ صُدُورُهُمْ» فَبَيَّنَتْ قِرَاءَتُهُ مَا قَرَأَ بِهِ الْجَمَاعَةُ^(١) . فقد تبين أن قوله تعالى : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ معطوف على جاءوها وليس جواباً .

ومما يبين ما ذكرناه في معنى الآية ويشهد له إخباره صلى الله عليه وسلم أنه أول من يُفتح له ، وأول من يفرع باب الجنة^(٢) . فقد أوضح هذا أن الداخلين تَأْلُونَ له وبعده ، فيجدونها مفتوحة الأبواب . وإذا لم يتوقف فتح أبوابها على مجيئهم ، فليس قوله : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ جواباً لو فرضنا ألا يعتد بالواو كما يقول أهل الكوفة .

فإن قلت : فما جواب إذا ؟ . قلت : الجواب - والله أعلم - مقدر بعد ، يفسره المعنى كان قد قيل : «حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طمئنم فادخلوها خالدين» أُنِسُوا وَأُمِنُوا ، أو ما يرجع الى هذا المعنى ويحرزه وإذا ذاك يقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن . وقد نقل منسوباً إلى أهل الكوفة أن الواو قد تَزَادُ في الجواب في مثل هذا . وعليه عندهم ما ورد من قول امرئ القيس^(٣) : (طويل) .

(١) سب طبري هذه القراءة للحسن وقال تدمياطي أنه وافق يعقوب عليها . انظر جامع البيان ٢٢/٩ ، الانحاف/١٩٣ ، والشر ٢/٢٥١ .

(٢) روى الترمذي والإمام أحمد بن حنبل في هذا الحديث طوالاً عن أنس ، وأبي هريرة ، وأبي بكر الصديق ، وعقبة بن عامر وأبي سعيد الخدري وجعلها الترمذي من الحسن الصحيح . وتجميع هذه الروايات على تفصيل الأنبياء لمحمد صلى الله عليه وسلم من آدم إلى عيسى . قال أنس : فكانني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فأخذ بحلقة باب الجنة فَأَفَقَعْتُهَا فيقال من هذا ؟ فيقال : محمد . فيفتحون لي ويرحبون ؛ فيقولون : مرحباً . فَأَخِيرُ ساجداً فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي : ارفع رأسك ، سَلِّ تَعَدِّ واشفع تشفع ، وقل بسمع لقولك ، وهو المقام المحمود الذي قال الله ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾ .

قال سميان : وليس عن أنس إلا هذه الكلمة : «فأخذ بحلقة باب الجنة فَأَفَقَعْتُهَا» انظر : الترمذي ٦٢٤/٤ رقم ٢٤٣٤ ، ٣٠٨/٥ رقم ٣١٤٨ ، مسند أحمد ٥٢/١ رقم ١٥ .

(٣) البيت في ديوان امرئ القيس/١٥ وعجزه :

* سَا بَطْنُ جَفْنَمِ دِي رِكَامٍ عَفْقَلٍ *

وانظر : الخزانة ٤/٤١٣ ، المصنف ٣/٤١ ، شواهد لسحو/٢٢٩٧ .

• فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى •

قالوا: وانتحى، جواب لما، والواو زائدة. وعند غيرهم أن قوله «وانتحى» معطوف على أجزنا، والجواب محذوف، أي: أنسنا، أو تحدثنا، أو ما يحرز هذا المعنى. ومن محسنات الحذف الطول هنا، وفي الآية الكريمة. ثم إن الآية قد أوضح مقصودها ما ورد في سورة «ص».

فإن قيل: أن قوله^(١) في تقدير الجواب في البيت: أنسنا، أو تحدثنا، توسعة في التقدير فليس ذلك^(٢) بمعنى، ولا يحذف الجواب أو الخبر، أو ما يحذف إلا بعد ما^(٣) يتعين. والجواب: إذا لم نقدر [٢٠٢/ظ] ما يتغير معناه. ولا شك أن المراد تعيينه إنما هو المعنى؛ ثم نحوم على ما يحصله من العبارة اللفظية مما يرجع إلى معنى واحد. هذا قول المحصلين. وهذا رد على من جعل خبر المبتدأ في قولهم: كل رجل وضيعته هذا المعطوف الذي هو: وضيعته، وقال: إن الفائدة قد حصلت بذلك وتم الكلام، وتأول^(٤) كلام سيويه على هذا. وقال: إن الذي قدره الفارسي وغيره أن الخبر مقترنان^(٥) لا يصح، لأنه يحتمل أن يقدر: مقرونان، أو متلازمان، فلا يتعين المحذوف، وإذا لم يتعين لم يحز حذفه. قيل له: إن سيويه قدره كما قدره الفارسي وغيره فقولهم واحد. فقال: تقدير سيويه تقدير معنى، وإنما كلامنا في تقدير الإعراب، وما يجوز حذفه من اللفظ وما لا يجوز. وحوابه: أن سيويه، وأبا علي، ومن قال بقولهما، إنما اعتمدوا في الدلالة على أن الخبر محذوف بما تعطيه وتدل عليه، «واو-مع» في قوله: «وضيعته» الذي اتفق الكل - وأنت معهم أنها بمعنى «مع» فدللت على معنى الالتزام فلا مبالاة بالاختلاف في تقدير الألفاظ المترادفة، ما لم يختلف المعنى. فتقدير مقرونان، أو متلازمان، أو متلاصقان إلى

(١) ك: قولك.

(٢) ك: إذاك.

(٣) ك: أن.

(٤) ك: وتأمل.

(٥) ك: مقرونان.

ما يحزر معنى الاجتماع الذي تعطيه وتقتضيه «واو- مع» لا تصييق في ذلك. وشأن من اعتر بنظره فلم يثبت^(١) ولم يتهم نفسه ولا بالي بمخالفة الجماهير في كل صناعة؛ أنه قل ما يصيب. والناس متفقون في هذه المسألة^(٢) على ما اعتمده سيبويه والفارسي، ولم يجعل أحد بينهما^(٣) خلافاً، إلا ما زعمه هذا القائل. وقد خرج بنا الكلام إلى ما موضعه أولي به. وأما الآية، فقد وضح أمرها، والحمد لله.

سورة المؤمنين^(٤)

٣١٠ - الآية الأولى منها (غ)^(٥) قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (٧).

وفي سورة الشورى (٥): ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.

للسائل أن يسأل عن الوجه في تخصيص^(٦) سؤال الاستغفار للمؤمنين في الأولى، وتعميمه في الثانية.

والجواب - والله أعلم - أن ذلك جارٍ بحسب المناسبة. ولما تقدم الآية الأولى فيما ختمت به سورة الزمر ذكر المتقين في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ

(١) في ك فقط وبقية النسخ: ينلث.

(٢) ك، ب: والناس في هذه المسألة متفقون.

(٣) ك: منها.

(٤) هي سورة غافر.

(٥) في م فقط والآية من المعفلات.

(٦) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تخصيص...).

إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴿١١﴾ وقول الملائكة لهم عند دخولهم الجنة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ﴿١٢﴾، وقول الداخلين عند دخولها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدُهُ﴾ ﴿١٣﴾ إلى ختام السورة [٢٠٣/ و] ثم أتبع ﴿١٤﴾ ذلك قوله تعالى في مطلع سورة المؤمن: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ﴾ ﴿١٥﴾، ناسب هذا استغفار الملائكة للمتصفين ﴿١٦﴾ بصفات المذكورين. ويشهد لهذا ما ورد بعده من قوله تعالى مخبراً عن ملائكته بقولهم داعين: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ ﴿١٧﴾. وأما قوله تعالى أثناء هذه الآية: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَنْزُرُكَ تَقْلِبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ ﴿١٨﴾، وقوله: ﴿كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُّوحٍ﴾ - إلى قوله - ﴿فَأَخَذْتَهُمْ﴾ ﴿١٩﴾ فتأنيس للمؤمنين وباعث على شكر النعمة على ما من به عليهم من هدايتهم وسلامتهم من موجب أخذ من كذب، وعائد فَبَانَ التناسب في هذا كله.

وأما سورة الشورى فتقدمها قوله تعالى في حاتمة سورة السجدة: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ - إلى قوله - ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ ﴿٢٠﴾. ثم أتبع هذا في مطلع سورة الشورى بقوله: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُّنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ ﴿٢١﴾ فلولا حلمه تعالى لتعجّل هلاكهم باستغفار الملائكة لهم إبقاء منه سبحانه عليهم إذ لا يفوتونه، وقد يؤمن من سبقت له السعادة. فقد وضح مناسبة الوارد في الموضعين لما بُنِيَ عليه كل منهما ﴿٢٢﴾

(١) (٢، ١) الآية/ ٧٣.

(٣) (١٢) الآية/ ٧٤، ٧٥. وفي ب: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ - إلى آخر السورة، والصواب ما أثبتناه.

(٤) في ب فقط وبقية النسخ: تبع.

(٥) غافر/ ٣.

(٦) م: المتصفين.

(٧-٩) الآيات/ ٧، ٤، ٥ على الترتيب.

(١٠) فصلت/ ٥٢ - ٥٤.

(١١) الآية/ ٥، وزاد منها في ك: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

(١٢) سقط من ك قوله: كل مهمل.

وأن عكس الوارد غير مناسب، والله أعلم بما أراد.

٣١١ - الآية الثانية من سورة المؤمن قوله تعالى:

﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٧).

ثم قال^(١) (٥٨، ٥٩): ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ. إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

ثم قال (٦٠، ٦١): ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ. اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لِلذَّوْ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن اختصاص كل آية من هذه الآيات^(٢) الثلاث^(٣)، بما فصلت به فقل في الأولى: ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، وفي الثانية: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، وفي الثالثة: ﴿ لَا يَشْكُرُونَ ﴾.

والجواب عن ذلك محتملاً - والله أعلم - أن المخاطبين ممن عقل لو نظروا واعتبروا لعلموا، ولو علموا لآمنوا، ولو آمنوا واستوضحوا النعم لشكروا. وبسط هذا الإجمال أن قوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ مبسوط الدلالة في آية^(٤) البقرة، وهي قوله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ [٢٠٣/ظ] ﴾ - إلى قوله - ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾^(٥).

(١) ك: وقال.

(٢) ساقطة من هـ، ك.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختصاص كل آية من هذه الثلاث . . .).

(٤) م، هـ: أي.

(٥) آية/ ١٦٤

ثم ورد في الكتاب العزيز بيان الدلالة بكل فصل من هذه الآية فقال تعالى . ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوفًا ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ (٤) ، إلى ما جعل فيها من آيات الشمس والقمر والكواكب السيارة وجريها في بروجها ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ إلى إدخال الليل على النهار، والنهار على الليل بتدرج لا يحلُّ بالأبصار، إلى إنزال القطر من السماء إلى الأرض عند حاجتها؛ فتنبت من كل زوج بهيج، وتخرج من أنسواع الثمرات مختلفات الألوان والطعوم تسقى سماء واحد وتفضل بعضها على بعض في الأكل، إلى جعل الأرض مهاداً [وإرسائها^(٥)] بالجبال، وجري الأنهار بالمنافع، وتهيئة البحار لرحوع ما يفضل عن حاجة الأرض وعمارها من الحيوان العاقل وغير العاقل إليها، وتشيد الأرض لجري المياه لثلا تقف فتصر [بعالمها^(٦)] ولا يتم لهم النفع بها. وهذا مع دحوها دحواً يتهاً به التصرف والمشى في مساكنها لمصالح الخليقة^(٧) ومنافعهم . وحمل ماء البحر مالحاً لثلا تنعير رائحته لطول مكثه، وتسخير الحيوان لتحريك مياه البحار من أسفلها، وتسخير الرياح مختلفة لتحريكها من أعلاها فيحرز ذلك بقاء مياهها سالمة من الشن والجمود على مرور الأيام، وليصل العباد إلى منافعهم بالتصرف فيها إلى حيث شاءوا باختلاف الرياح الحاملة فيها والمبددة لما يتصاعد من أبخرة الخلق وأنفاسها؛ إذ لولا تبديدها^(٨) لركدت في الجو

(١) ق / ٦ .

(٢) الملك / ٥ .

(٣) الأنبياء / ٣٢ .

(٤) الرعد / ٢ .

(٥) جميع النسخ: وإرسائها .

(٦) ك فعاها، بقة السح: معلها .

(٧) هـ، م، ع اتصال للخليقة .

(٨) ك: تبيدها .

وأصرت بالعالم . إلى تغلب فصول السنة بتصاعد الشمس من برج الجدي إلى سرطانها ، ثم انحدارها إلى الجدي جرياً بحكم الترتيب لانتقال النبات بإذن الله ، وصلاح أبدان الحيوان ، وإنصاج الفواكه وتهيتها للانتفاع بها وتلوينها وترطيبها بحركة الشمس والقمر إلى ما يقصر عن استيفائه الذكر ، ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (١) أفيتكون شيء من هذا بنفسه ، أو يوجد نظيره ومماثلة في الافتقار والاضطرار . ولقد شهدت الجملة ودلت أجزاءها على الخالق المنزه عن (٢) سماتها ، المتعالي عن شبهها ، المتقدس عن الند والمثل والشريك والنظير [٣٠٤ / و] المتفرد بالخلق والتقدير : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (٣) . فحق للآية الكريمة المشيرة إلى ما وقع الإيماء إلى بعضه أن يكون ختامها : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرَ ﴾ فضرب سبحانه المثل بذكر الأعمى والبصير وهما حالاً المعترف بخلق السموات والأرض وغير المعترف ، وحال المؤمن الموفق للاعتبار والمسيء (٤) بتركه (٥) . ثم أعقب بذكر الساعة التي لا يعلم كنهها إلا من الخبر الصدق فحق لهذه الآية أن يكون ختامها : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . ولو اعتبروا أولاً ونظروا في معجزات الرسل لوضح لهم صحة ما جاءوا به وصدقوا بالساعة . ثم أعقب من ذكر نعيمه بجعل الليل سكناً لراحة الحيوان وسكونه نهراً مبصراً ، أي يبصر فيه لتصرف الخلق في معاشهم إلى ما يتجر في الليل والنهار مما لا يحصى . وأوضحها ما نصت عليه الآية ؛ فحق لهذه أن يكون ختامها : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ، فقد تبين مناسبة هذه الخواتم لما ختمت به ، والله أعلم (٦) .

(١) يس / ٣٨ .

(٢) ب : عل .

(٣) الأنبياء / ٢٢ .

(٤) هـ : والمشي .

(٥) في ك ففقط ونفحة السح تركهم .

(٦) بعدها في هـ ، ك : فصل قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ .

سورة حَم السَّجْدَةِ^(١)

٣١٢ - الآية الأولى منها قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَتُكْفِرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ - الآيات (٩) .

قد^(٢) تقدم ذكرها في سورة الأعراف .

٣١٣ - الآية الثانية منها قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا^(٣) شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ ﴾ -
الآية (٢٠) .

وفي سورة الزخرف (٣٨) : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ
الْمَشْرِقَيْنِ^(٤) فَيُشْسِ الْقَرِينُ ﴾ .

وقد تقدم في سورة الرمرقوله في أهل النار : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ
أَبْوَابُهَا^(٥) ﴾ ، وفي أهل الجنة : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا^(٦) ﴾ .

للسائل أن يسأل هنا عن زيادة «ما» في قوله^(٧) في سورة السجدة : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا
مَا جَاءُوهَا ﴾ ، وسقوطها في سوى هذه الآية .

والجواب - والله أعلم - أن «إذا» تزداد بعد «ما» كثيراً فصيحاً ، وقد لا تزداد وكلا
المرتكبين فصيح . وإذا تكرر هذا ، فمن المعلوم أيضاً أن العرب مع أنهم يؤثرون

(١) هـ . ك : السَّجْدَةُ وهي سورة فصلت في المصحف .

(٢) ك . فقد .

(٣) ساقط من ك .

(٤) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من «ك» .

(٥) (٦) (٧) الإبتان / ٧١ ، ٧٣ .

(٧) ب . صيغة السؤال (قل ما وجه زيادة «ما» في قوله . .) .

إيجار الكلام في الأكثر، قد يختارون^(١) الطول ومد^(٢) أطناب^(٣) الكلام في بعض المواضع، وذلك بحسب ما تدعو إليه الحال: (كامل).

يَرْمُونَ بِالْخُطْبِ الطُّوَالَ وَتَارَةً وَحْيِ الْمَلَأِ حِظِّ خَيْفَةِ الرُّقْبَاءِ^(٤)

وإذا تأملت آية السجدة وجدتها مبنية على ما يستدعي الإطالة، وينافر الإيجاز لقصد استيفاء ما تضمنت من حال أهل النار في إمتحانهم. ألا ترى تخصيصها بما [٢٠٤/ظ] ذكر فيها من شهادة الأسماع والأبصار والجلود، وعثبهم [على] جلودهم في الشهادة عليهم بقولهم: ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾^(٥)، ومجاوبة الجلود بقولها: ﴿أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٦)، إلى آخر ما كلمتهم به. ألا ترى أن الوارد هنا من قصصهم قد نيف على عشر^(٧) آيات وأن آية الزحرف وهي أطول^(٨) البواقي، ورد مضمونها في أربع آيات. وأما آيتا الزمر فلم تبلغ واحدة منها ثلاث آيات فزيدت «ما» في آية السجدة مناحزة لما أنجز في ذلك المقصود بها من الإطناب والاستيفاء ولم ترد^(٩) في البواقي لما بنيت عليه من الإيجاز. فجاء كل على ما يلائم ويناسب، ولم يكن ليناسب عكس الوارد على ما تمهد، والله أعلم.

(١) م، ب، هـ: يختارون من الطول.

(٢) م، ب، هـ: مر.

(٣) الأطناب جمع طنب بضمين وهو جبل طويل يشد به سراق البيت أو الوتد، وسير يوصل بوئر القوس، وعرق الشجر وعصب الجسد بفتحين. ومنه يقال أطنب بالمكان أقام فيه، وأطنب الرجل أتى بالبلاغة في الوصف مدحاً كان أو ذماً.

(٤) سبق تحريج البيت في الآية رقم / ١٤.

(٥) فصلت / ٢١.

(٦) هـ، م، ب: عشرة.

(٨) في ك فقط وبقي النسخ: آخر.

(٩) هـ: ترد.

٣١٤ - الآية الثالثة منها^(١) قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ (٤٥).

وفي سورة الشورى (١٤) : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ^(٢) وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مُرِيبٍ ﴾.

للسائل أن يسأل عن^(٣) خُلُوْ آية السجدة من ذكر النهاية المذكورة في الآية^(٤)
الأخرى.

والجواب^(٥) عن ذلك - والله أعلم - أن آية الشورى تقدم قبلها ذكر تلك الغاية
والأجل في قوله : ﴿ وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
السَّعِيرِ ﴾^(٦) فهذا هو الوقت الموعود، والأجل المسمى. فلما تقدم ذكره في وقت
الإحالة عليه في قوله : ﴿ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾.

وأما^(٧) آية السجدة فلم يتقدم فيها^(٨) ذكر هذه الغاية على الوفاء به وبما فيه. وأما
قوله تعالى فيها : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ^(٩) أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ ﴾^(١٠)؛ فإشارة إلى وقت
حشرهم وإدخالهم النار وإنما ذلك فعل يقصد بهؤلاء. وفي ذلك اليوم، وبعض ما

(١) هـ : [باص] من سورة السجدة - هكذا عنوان الآية.

(٢) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب، وفي موضعه : «إلى قوله : مرِيب».

(٣) صيغة السؤال (يقال ما وجه خلو آية...) .

(٤) في كل فقط.

(٥) ساقطة من هـ، والجار والمجرور بعدها محذوفان من ب.

(٦) الآية / ٧.

(٧) ساقط من هـ.

(٨) ساقط من ك.

(٩) ب، ك، هـ : «يُحْشَرُ» وهي قراءة نافع ويعقوب. وقرأ الباقون بالياء، وهي قراءة حفص عن عاصم في

المصحف العثماني المتداول. راجع : السبعة / ٥٧٦ حيث قال ابن مجاهد أنها قراءة نافع وحده،

والأنحاف / ٣٨١، والنشر / ٢٩٦.

(١٠) الآية / ١٩.

فيه فأوقع اسم اليوم على الوقت منه الذي يؤمر فيه بهؤلاء إلى البار كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَبْرَةٌ ۖ ﴾^(١) ، أي وقت القتال ، فأوقع اسم اليوم على الوقت ، إذ لا يتقيد لقاء العدو وقتاله بيوم برأسه ، ولا بنهار دون ليل ، وإنما وقع اليوم في قوله : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ ۖ ﴾ - الآية ؛ على وقت من اليوم يتقيد به بعض أفعال ذلك اليوم . أما تفصيل ما فيه من استغراق الفريقين والإفصاح باسمه وإنما ذلك حيث ذكر فكان هناك ما يحال عليه . وقد تكرر ذكره في قوله تعالى في [٢٠٥/ و] سورة التغابن : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۖ ﴾^(٢) . فلتقدم ذكره مؤقياً التعريف باسمه^(٣) وقعت الإحالة عليه والإشارة [إليه] بقوله : ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ ﴾ . فقد وضح ورود كل من الآيتين على ما يناسب ، ولا يناسب^(٤) عكس الوارد ، والله أعلم .

٣١٥ - الآية الرابعة^(٥) من سورة السجدة قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۖ ﴾ (٥٢) .

وفي سورة الأحقاف (١٠) : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَهِيدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَثَامِنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ ﴾ .

قد^(٦) يُسأل عن وقوع «ثم» في الأولى^(٧) ، ووقوع واو النسق مكانها في^(٨)

الثانية .

(١) الأنعام / ١٦ .

(٢) الآية / ٩ .

(٣) ك : داسمك وما وقعت .

(٤) ب : يسبه .

(٥) إلى هنا ساقط من هـ .

(٦) م : ثم قد .

(٧) ب : صيغة السؤال (يقال ما وحه وقوع ثم في الأولى . . .) .

(٨) ك : في الآية الثانية .

والجواب^(١) عن ذلك^(٢) - والله أعلم - أن «ثم» للترتيب الرماني واقتضاء المهلة فيه . وتأتي أيضاً لبيان ما يعطف بها ، وإن له موقفاً وخطراً وبه اعتناء . وقد مر بيان ذلك ، وإن تفاوتت الرتب كتفاوت الزمان . ولا توقّف في أن كفرهم بالقرآن ، بعد علمهم أنه من عند الله^(٣) كما هو ، وكما قد علم من سعيد بالإيمان ، وإن كذبوا هم فلا شك أن ذلك مرتكب شنيع وضلال بعيد . فجيء هنا بشم لتحرز عظيم اجترائهم وشنيع مرتكبهم فجاءت على ما يجب .

ولما قصد في آية الأحقاف زيادة شهادة عليهم بتصديق من تقرر عندهم علم الكتاب المنزّل^(٤) قبل كتابنا ممن يُعرف علمه فشهد بما عنده من العلم أن هذا الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إنما هو من عند الله وكان ذلك أثين في الحجة عليهم لم يرد بشم لاقتصاصها مهلة لم تقصد هنا . وبيان النظم الجليل الوارد في الآية بما قدره ، تقريباً لإفهامنا - إن كان قد قيل لهم يا محمد - رأيتم إن كان القرآن من عند الله ، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فكبرتم ، وآمن ذلك الشاهد واستكبرتم أنتم عن الإيمان ، فكيف تكون حالكم واقتضاحكم . هذا معنى الآية ، ففي الكلام تقديم وتأخير اقتضاء تحليل النظم [في] الكتاب ، وعليه براعته . وإذا كان المعنى على تشريك ما تأخر في التركيب من قوله : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ﴾ وإن^(٥) كان من عند الله لم يكن ليصحح بين المنسوقين المحمول أحدهما على الآخر بما يقتضي الجمع من غير فتور ولا مهلة الفصل بشم ، لأنها منافرة لهذا الغرض فورد هذا بالواو ليحرز ما [٢٠٥/ظ] قرنناه من المعنى ، ووردت الآية الأولى بشم لتحرز معناها أيضاً . وجاء كل على ما يناسب ، ولا يمكن خلافه ، والله أعلم^(٦) .

(١) ساقط من هـ .

(٢) الجار والمجرور محذوفان من ب .

(٣) زاد هنا في ك : « أو ثبت أنه من عند الله » .

(٤) م : بالمنزل .

(٥) ك : إن - بلا و .

(٦) محذوف من ب قوله : والله أعلم .

سورة الشورى

٣١٦ - الآية الأولى منها [غ] قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (٤٩ ، ٥٠).

ثم قال تعالى (٥١) : ﴿ وَمَا كَانَ لِيُشِيرَ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه الاختلاف فيما^(١) أعقبت به كل آية من هاتين الآيتين فقيل في الأولى : ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ ، وفي الثانية : ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ ، وهل كان يمكن عكس الواقع .

والجواب عن ذلك أن الآية الأولى لما تضمنت الإعلام بانفراده سبحانه بملك السموات والأرض وفهره جميع من فيهن وأنه الخالق لكل شيء فلا اختيار لمخلوق ولا مشيئة ، وكلُّ صادر منه احسان فيهب لمن يشاء إناثًا وقدم ذكر الإناث لكرامة العرب إياهم فإشارتهم إلى أن قتلهم وكرهتهم معارضة لما تقدت به مشيئته ثم قال : ﴿ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ وجاء لفظ الذكور معرفاً ليشير بما تعطيه الألف واللام من العهدية إلى حالهم من الفضل ودرجة التقدم على الإناث ؛ فكأنه في قوة أن لو قيل : الذين من شأنهم ، فتوازن تقديم الإناث وتعريف الذكور . فقدم^(٢) ذكر الإناث لإرغام العرب ، وعرف الذكور لشرف المنزلة . ثم قال : ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا ﴾ ، أي على التساوي عدداً . ثم قال : ﴿ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ ، فحصل من هذا كله أن الفعل الذي لا يشركه فيه غيره ، يفعل في ذلك كله إرادته^(٣)

(١) في ك فقط وبقية النسخ : هما .

(٢) في كل فقط وبقية النسخ : قدم .

(٣) م : ما أراد .

فلما تضمنت الآية قهر العباد، وانفراده سبحانه وتعالى بالخلق والأمر ناسبها الختام بقوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾^(١)، أي عليم بوجه الحكمة في ذلك، قدير على ما يريد.

ولما قال^(٢) في الآية بعدها: ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾، فأوضحت الآية على كماله تعالى، وتنزيهه عن سمات الحدوث، وأن المخصوصين من البشر للسفارة والرسالة إنما خطابه سبحانه لهم بهذه الوجوه المفصحة بتنزيهه عن شبه خليفته، فلا يصلون إلى ما يتقرر عندهم من خطابه تعالى إلا بأحد هذه الوجوه وهي: الوحي مناماً أو إلهاماً، وخلقاً في قلب النبي [٢٠٦/ و] وعن هذا النوع عبر بالوحي. ومنه قول إبراهيم عليه السلام لآلئته: ﴿يَا بَنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾، أو من وراء حجاب كتكليم موسى عليه السلام، أو إرساله سبحانه ملكاً من المقربين لديه يوحى بإذنه ما يشاء كما كان جبريل عليه السلام، وهو المعروف بهذه الخصيصة، والمُعَدُّ من الملائكة للسفارة بينه سبحانه وبين رسله، يأتيهم بما يرسله تعالى به من القصص، والأوامر، والنواهي. فهذه الطرق الثلاث وصول الرسل والأنبياء إلى ما عندهم من الله سبحانه. وقد حصل من ذلك الإعلام بتنزيهه سبحانه وتعالى عن التكيف فناسب هذا ختام هذه الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، أي على عن مدانة البشر إلا باللطف والإحسان، حكيم في أفعاله فتبين وجه مناسبة هذا إتمام ما به ختم كما ناسب الختام قبله وهو قوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾، ما أعقب به. فوضح أن كل ختام منها لا يلائم غير موضعه، وأنه لو ختمت هذه الأخيرة بما ختمت الأولى، والأولى بما [خُتِمَتْ] به^(٣) هذه الأخيرة^(٤)، لم يكن ليناسب هذه المناسبة الحاصلة، والله أعلم بما أراد^(٥).

(١) ك: ولما قدم.

(٢) بعد الآية في جميع النسخ: أي عليم قدير (هكذا).

(٣) الشورى/ ٥١.

(٤) ي: ك.

(٥) ساقطة من هـ، ك.

(٦) زاد ما في ب: ولا رب غيره.

سورة الزخرف

٣١٧ - الآية الأولى منها قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (٢٠).

وقال في الجاثية (٢٤) : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ . فأعقب في الأولى قوله : ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ ، بقوله : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ ، وأعقب في الثانية قوله : ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ ، فللسائل أن يسأل عن (١) وجه اختصاص كل من الموضعين بما أعقب به .

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أنهم قالوا : ﴿ لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ فتعلقوا في احتجاجهم (٢) بقول حق . وهو أنه سبحانه لا يجري في ملكه إلا ما يريد . ويشاؤه ثم في اختصاصهم من أسمائه «الرحمن» عَصْدُ لِمَتَعَلَّقِهِمْ وتقوية لما راموا (٣) الاحتجاج به ، ولأنهم قالوا : إذا كان متصفاً بالرحمن ولا استبداد لأحد من الخلق بشيء من أفعالهم ، وإنما يجري ما يصدر عنهم بحسب مشيئته وإرادته . وقد جرى ما نحن عليه من عبادة أصنامنا وما اتخذناه من معبوداتنا وليس منا استبداد بما (٤) يصدر منا ، فهو مراد له مشيئته وهو رحمة ، لأنه الرحمن [٢٠٦ / ظ] فلو كانت الرحمة في تركنا معبوداتنا لشاء ذلك لنا ، لأن الرحمن لا يكون منه إلا ما هو رحمة ، وإنما الفعل له لا لنا ، فلو شاء ألا نعبد ما عبادناها ، فلما تعلقوا بما يبدو منه أن لديهم علماً أخبر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أنه لا علم عندهم ، ولا قالوا ذلك عن معتقد تركن إلى قلوبهم ، وإنما هو تخرص قولي ولا

(١) ب : صيغة السؤال (يقال ما وجه اختصاص . .) .

(٢) ك : باحتجاجهم .

(٣) ك : رأوا .

(٤) هـ : عما . م ، ب : عمل .

علم وراءه، ومن وحي الشياطين إليهم لأنهم أولياؤهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ فكلامهم تخرصٌ بالقول، لا علم وراءه، إذ الكلام في القدر وأحكامه، وأن الإرادة تخالف الرضى، وأن الأمر بما لا يريد أنه سبحانه قد يريد إيقاع ما لا يرضاه. وبيان ما تبنى عليه التكليف وتعلق به الأوامر والنواهي من القدرة الكسبية التي بمعرفتها وثبوتها حصول السلامة من مذهب الجبر^(١)، [وبإنكارها^(٢)] التورط^(٣) في مذهب الاعتزال وقول أهل القدر^(٤). وكلاهما^(٥) المذهبين ضلال ونزوح عن الحق، وكل من المذهبين له تهجم سبقية إلى الأذهان يدفعها التوفيق إلى النظر الصحيح، وإلا كان التخرص المورط في الضلالات. وهنا بحار طامية من دقائق العلم والنظر لا شيء عند هؤلاء الكفار منها، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾. فقد وضح التماس في هذا.

وأما الآية الثانية، فإنه تعالى لما حكى عنهم قولهم منكرين للبعث الآخرى ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، أي ما يهلكنا إلا تعاقب الأيام والليالي، فلم ينسبوا الإحياء والإماتة لفاعل مختار يميت ويحيي، وبنوا على ذلك إنكارهم العودة. فحبر تعالى عنهم أنه لا متعلق لهم إلا مجرد ظن

(١) يرى أهل السنة أنه تعالى حالى لجميع الحوادث، وأنها تقع مراده له بفعلها وصرها، خبرها وشرها. وحين انتهى مذهب أهل السنة والجماعة إلى الإشاعرة والمتريدية قالوا بالكسب. وأن الإنسان لا يقدر على الأحداث وإنما يقدر على الكسب فقط. فأفعال المكلفين هي لأربم تحقيق الفعل هم، وأنه قيام الفعل بالمكلفين. وبقي الخبرية عن الإنسان قدرة الأحداث والكسب معاً. انظر العلم الشامع/ ٢٤٥-٢٥٨، اللمع/ ٩٧، التوحيد/ ٢٢٥، ٢٢٦، تبيين كذب المفتري/ ١٤٩، الابانة/ ٥٢، ٥٣.

(٢) ك: وبإنكاره، وبقية السخ: وإنكاره.

(٣) ب: التورث، م، هـ. التورية.

(٤) المعتزلة والفدرية يقولون بقدرة المكلف على اختيار أفعاله وأحداثها حتى يصح الثواب والعقاب. وطناً لهذا أوجب المعتزلة لتحقيق عدله تعالى: وجوب تمكيه تعالى للمكلفين، وإزاحة العلق في التكليف، وتحقيق مصدحة المكلف. وقالوا باللطف وهو الداعي لفعل الواحد، وأوجبوا بعثة الرسل والأنبياء، وتقديم الاستطاعة الإنسانية على التكليف، وقالوا بوجوب بناء الشكاليب الشرعية على مقدار الطاقة. راجع تفصيل ذلك ومصادره في تفسير المعتزلة للقرآن الكريم/ ٣٤٩-٤٣٤.

(٥) ك: وكلام

لا مستدله . فقال : ﴿ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ فأخبر تعالى أن مرجعهم إلى الظن لا يغني عن الحق شيئاً . وتناسب هذا واضح ، لا خفاء به .

٣١٨ - الآية الثانية^(١) من سورة الزخرف قوله تعالى :

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (٢٢) .

ثم قال (٢٣) : ﴿ وَكَذَلِكَ^(٢) مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ .

للسائل أن يسأل عن الفرق الموجب^(٣) لقول الفريق الأول : ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ . وقول الفريق الثاني : ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ . مع الاتفاق من جميعهم في قولهم : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ [٢٠٧/ و] أي على دين وملة . ثم وقع اختلاف في وصف أنفسهم في اتباع آبائهم بالاهتداء أو الاقتداء .

ووجه ذلك - والله أعلم - أن ما تقدم الآية الأولى حكاية قول كفار لعرب المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والسامعين منه القرآن المسمى هدى في غير موضع كقوله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ هَذَا هُدًى ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾^(٦) . فلما دعاهم صلى الله عليه وسلم ليهتدوا بهديه قابلوا دعاءه بقولهم إنهم مهتدون ، وأنهم وجدوا آباءهم على أمة ، وأن ما وجدوهم عليه هدى فقالوا : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ ، أي على دين

(١) ما بعدها إلى قوله الزخرف ، محذوف من ب .

(٢) إلى قوله . ﴿ قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴾ محذوف من ب .

(٣) ب صبعة السؤال (بقال ما الفرق الموجب .) .

(٤) بقرة/٢ .

(٥) البقرة/١١ .

(٦) لقمان/٣ .

وملة^(١) ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ كهديهم فلما دعاهم إلى الهدى، زعموا أنهم على هدى، وهذا أبين تناسب.

وأما الآية الثانية فحكاية أقوال قرون مختلفة. وقد ذكر تعالى من قول بعضهم: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾، وفي موضع آخر: ﴿كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾. فهذا اتباع مجرد من ادعى كونه هدى، أو غير هدى فهو اعتراف بتقليد واتباع بتعظيم^(٢) لفعل آبائهم من غير ادعاء شبهة، فلم يكن ليطابق هذا إلا الوارد من قوله تعالى عنهم: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾. فجاء كل على ما يناسب، والله أعلم.

سورة الجاثية

٣١٩ - الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ؕ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ. وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ؕ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣ - ٥).

للسائل أن يسأل عن وجه^(٣) اختصاص كل آية من هذه الثلاث بما خصت خواتمها من صفات الاعتبارين بها فقل في الأولى: ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، وفي الثانية: ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٤)، وفي الثالثة: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

(١) ساقطة من هـ، لـ، ب.

(٢) لـ: عظيم.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختصاص . .).

(٤) سقط من لـ قوله: ﴿يوقنون﴾ وفي الثالثة ﴿لقوم﴾ وعاترها ﴿لقوم يعقلون﴾.

والجواب عن ذلك^(١) - والله أعلم - أن خلق السموات والأرض للمعتبر المتصيف كاف^(٢) في التصديق [بحدوثها^(٣)] وافتقارها من حيث إن [وجودها أو عدمها^(٤)] من قبل الجائزات ؛ والتخصيص بأحد الجائزين لا يكون إلا بمخصص مقتض هذا الجائز الواقع^(٥). ثم ذلك المخصص لا يكون مماثلاً وإلا لافتقر إلى مخصص وذلك مؤدّ إلى التسلسل وهو محال. وأيضاً فليس أحد المتماثلين في إيجاب حكم المماثلة بأولى من أن يوجبه له الآخر، وهذا كله محال [٢٠٧/ظ] فلا بُدّ من صانع متعال عن شبه المصنوع، منزّه عن المماثل والنظير وسمات الحدوث متصف بالكمال لكمال^(٦) المصنوع واتقانه، متصف بالعلم والقدرة والإرادة إلى ما هو سبحانه أهله. وإذا حصل الاعتراف بالصانع عليم المعتبر بما ذكرنا أنه سبحانه قادر على خلق ما يشاء، وإلى هذا أشار قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾. ثم قال تعالى: ﴿بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾^(٧)، إذ يمكن في قوله: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أن يؤخذ على ألا يضاف^(٨) [محذوف^(٩)]، وأن يكون على حذف المضاف، أي: إن في خلق السموات والأرض آيات للمؤمنين، فحصل لهم الإيمان، فوسموا قبل حصوله بما يؤول^(١٠) أمرهم - إذا اعتبروا - إليه، فهو من قبيل التسمية بالمآل. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾^(١١). ثم قال تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾. والمراد أن المعتبر

(١) الجار والمجرور محذوفان من ب.

(٢) م، هـ: كان.

(٣) حدوثها ووجودها أو عدمها بالثنية في جميع النسخ.

(٤) م، هـ: الواقع الجائز.

(٥) م، هـ، ب: بكمال.

(٦) يس / ٨١ - وبعدها في جميع النسخ: ولئن اعتبر بالسموات والأرض أو بخلقها.

(٧) ب: عن لا يضاف.

(٨) جميع النسخ: محذوفاً.

(٩) م: يؤل، ب: يول.

(١٠) يوسف / ٣٦.

بالسّموات والأرض إذا أحسّ اعتباره وأنصف من نفسه . حصل له الإيمان بالصانع سبحانه . فإذا أضاف إلى ذلك الاعتبار بخلق الإنسان وتطوره في الأرحام من حال النطفة ، إلى حال العلقّة ، إلى حال المضعّة ، إلى حال العظام وكسوتها باللحم ، إلى الإبراز إلى عالم الشهادة بشراً سوياً محكماً متناسب الأعضاء تام الخلق إلى تدريجه بعد هذا . وكل ذلك من غير توقف شيء من صفاته وخواصه على اختيار^(١) أب ، أو أم ، إلى اختلاف الألسنة والألوان والصورة إلى ما يتعلق بذلك . واعتبر بخلق الحيوانات ، وما بثّ سبحانه في الأرض برّها وبحرّها من ذلك ، ورُكُون كل ذي شكل إلى شكله ، وقيام أغذية الجميع بما يصلح لهم ، وتسخير المسخر منها للأذى ، وإيناسه وتوحش المتوحش ، وإجراء أرزاق الجميع على اختلاف الأحوال في ذلك . ففي الاعتبار بذلك كله ما يثمر للمؤمن اليقين ويرقيه في أعلى درجات المتقين . ثم إذا اعتبر بما أشارت إليه الآية الثالثة من اختلاف الليل والنهار [ونَهْيَةُ^(٢)] الليل للسكن والاستراحة والنهار للتصريف في المعاش^(٣) والحاجات ، وتداولهما كالمُتَعَاوِضَيْنِ^(٤) في الطور والقصر ، وإيلاج أحدهما في الآخر إيلاجاً حفيّاً حتى لا يدخل أحدهما على الآخر دفعة فيصر بأبصار الحيوان ، إلى ما يتعلق بهذا ويرجع إليه . فمن أحكم تدبير ذلك والاعتبار به ، واعتبر جري [٢٠٨/و] الرياح ومنافعها ، وسوقها السحاب بالأمطار ، وإحياء الأرض بالماء النازل منها بعد موت الأرض ، وإخراجها صروب النبات لانتعاش الحيوان ومصلحته . فإذا اعتبر الموقن بهذا ، أعقب ثبات يقينه ، وتمكّن دينه فأمن وأيقن وعقل عن ربه ، فانتفت الشبهات وأفصححت بالبراهين الآيات . قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ . فتأمل كيف جعل سبحانه تعقل الأمثال موقفاً على العالمين . وإنما تحصل لهم الاتصاف إن كانوا عالمين بما منحوا من كمال

(١) ك : اختيارات .

(٢) جميع النسخ : ونهية (هكذا) .

(٣) ك ، ب : المعاش .

(٤) المتعاضين .

عقولهم فتبين التدرج المراد في الآيات، وأنه لا يلائم آية منها ما ختم به غيرها بل كل ختام من الأوصاف الثلاثة لا يندى بغير موضعه. وتأمل آية البقرة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ - إلى قوله - ﴿لَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١) لما جمعت^(٢) آية البقرة ما وقع في هذه الآيات الثلاث من سورة الجاثية منسوقاً ذلك بعضه على بعض غير مستأنف، ولا ابتداء^(٣) الاعتبار^(٤) به كما ورد في هذه الآية بل ورد مجموعها في آية واحدة، كيف ختم ذلك بقوله: ﴿لَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، كما ختمت هذه الآيات^(٥) الثلاث بقوله: ﴿لَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، إعلالاً بشرف العقل الذي به يأذن الله يحصل الإيمان ثم اليقين ثم الثبات المحصل للكمال^(٦) بحصول العلم الحاضر^(٧) لذلك كله.

سورة الأحقاف

تقدم ما فيها.

سورة القتال^(٨)

٣٢٠ - الآية الأولى منها (غ) قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا عَمَلَهُمْ﴾ (٩).

(١) الآية / ١٦٤.

(٢) هـ، م. فاجعت.

(٣) ب: ولا تبد.

(٤) ك: للاعتبار.

(٥) ك: الآية.

(٦) هـ، م: الكمال.

(٧) ب: للحاضر.

(٨) هي سورة محمد. وحاء في درة التزويل / ٣٤١. ليس فيها شيء من ذلك.

وفيما بعد من هذه السورة (٢٦): ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَاطِعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه ورود^(١) ﴿أُنْزِلَ﴾ في الأولى، وفي الثانية: ﴿نَزَّلَ﴾ مضعفاً.

والجواب - والله أعلم - أن ذلك مفهوم مما تقدم في أول سورة آل عمران باعتبار ما يخص هذه السورة وهو أن المتقدم من أول هذه السورة إلى قوله بعد الآية المتكلم فيها: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾^(٢)، لم يقصد ممن تضمنته هذه الآية من الكفار غير مشركي العرب من قريش وغيرهم. ولا شك أن كفرهم منسحب على كل المنزل من القرآن، وما تقدم نزوله في التوراة وغيرها من الكتب، فلم يكن ليلائم ذلك عبارة نَزَّلَ المنبثة عن تنجيم المنزل، ولم [٢٠٨/ظ] ينزل كذلك غير القرآن وهم ينكرون كل الكتب المنزلة ويكرهونها ف قيل هنا: ﴿كَرَهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾.

أما الآية الثانية فالمراد بها ذوو النفاق والمرتدئون على أدبارهم. ويبين ذلك ما تقدمها من قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾^(٣) وهؤلاء هم المنافقون، ولم يقع فيما بعد عدول عنهم إلى قوله: ﴿الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾^(٤)، وإنما هؤلاء قوم كفروا بعد إسلامهم. وهم القائلون بمقتضى نفاقهم وما أبطنوه من الكفر لغيرهم: ﴿سَاطِعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ ول هؤلاء أطلّاع على المنزل من القرآن وخصوص كراهية له وهي المهيجة لنفاقهم فهو الذي كرهوه حقيقة ف قيل هنا: ﴿كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾، بلفظ التضعيف إذ الإشارة إلى القرآن. وهذه صفة أعني ما يشير إليه التضعيف من التنجيم في النزول. فكل من الموضعين وارد على أنسب نظام وأتمه.

(١) ب: صيغة السؤال (يسأل عن وجه ورود . . .).

(٢) | محمد/ ١١.

(٣، ٤) | محمد/ ٢٠، ٢٥.

٣٢١ - الآية الثانية (غ) (١) قوله تعالى :

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ﴾ (٢٠).

ثم قال (٢٠) : ﴿ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ . فورد الفعل أولاً مضعفاً ، وثانياً غير مضعف .

ووجه ذلك - والله أعلم - أن المؤمنين هم الذين يودون نزول السورة ، وطلبهم نزولها إنما هو على ما اعتادوه جارياً في غيرها من التنجيم ، وتفصيل المنزل فالملائم هنا عبارة التضعيف وقوله : ﴿ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ إنما المراد تحصيلها بجملتها بعد كمال . وذلك مفهوم من سياق الكلام والملائم لما تحصيل (٢) عبارة الانزال من غير تضعيف . فكل من الموضعين وارد على أنسب نظم والعكس غير ملائم ، والله أعلم .

سورة الفتح

٣٢٢ - الآية الأولى منها قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ
وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٤).

ثم قال بعد (٣) (٧) : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا ﴾ .

للسائل أن يسأل عن (١) تعقيب الآية الأولى بقوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴾ ، وتعقيب الثانية بقوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ .

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : لا تحصيل ، ك : زاد هنا : «وتم» .

(٣) في ك فقط .

(٤) ب : صيغة السؤال (يقال ما وجه تعقيب . . .) .

والجواب عن ذلك - والله أعلم - ان الآية الثانية لما تقدمها قوله تعالى : ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ^(١) فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا. وَيُعَذِّبُ^(٢) [٢٠٩/و] الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ^(٣)﴾ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا^(٤)﴾^(٥). ناسب هذا المتقدم من فعله تعالى بالفريقين من مجازاة المؤمنين بالنعيم المقيم ، وتعذيب المنافقين وغضبه عليهم ولعنهم وإعداده لهم جهنم ووصفه^(٦) تعالى بالعزة ليعلم أنه سبحانه لا مغالب له وأن الكل تحت قهره ، إذ لعزته^(٧) يفعل في الكل ما يريد وما تقتضيه حكمته ، إذ هو العزيز في ملكه الحكيم في أفعاله . ولما لم يتقدم الآية المتقدمة ما يقتضي القهر كعده وإنما قبلها قوله سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ^(٨)﴾ وهذا تعريف بإنعامه سبحانه ورحمته للمؤمنين^(٩) ناسب قوله سبحانه : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا^(١٠)﴾ ، فأعلم سبحانه أنه العليم بمن يرحمه كما قال تعالى : ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ^(١١)﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ^(١٢)﴾ ، وقال تعالى : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ^(١٣)﴾ وحاء كل في الايتين على ما يجب ويناسب^(١٤) ، والله أعلم .

-
- (١) ما بعدها إلى قوله : ﴿دَائِرَةُ السُّوءِ﴾ محذوف من ب وفي موضعه (- إلى قوله في أهل النار -) .
(٢) جميع النسخ : السوء بالصم وهي قراءة أبي عمرو ، واس كثير . انظر : السبعة / ٦٠٣ ، لأخاف / ٣٩٥ ، انشر : ٣٧٥ ، ٢٨٠ .
(٣) الفتح / ٦٠٥ .
(٤) هـ : ووصف - بالبلاء للمجهول .
(٥) هـ ، م ، ب : لا - لعزته (بلا النافية) .
(٦) الفتح / ٤ .
(٨) ما بعدها إلى قوله . ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ساقط من ك .
(٩) لا إسراء / ٥٤ .
(١٠) الأنعام / ١١٧ ، النحل / ١٢٥ ، القصص / ٥٦ ، القلم / ٧ .
(١١) الأنعام / ١٢٤ .
(١٢) ساقط من ب .

٣٢٣ - الآية الثانية (غ) ^(١) قوله تعالى :

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ^(٢) ﴾ (١١) .

وفيما بعد منها (١٥) : ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوا ذُرُونَا تَتَّبِعُكُمْ ^(٣) ﴾ . ففي ^(٣) الآية الأولى إفراده عليه السلام بخطابهم له في قوله تعالى ، إصاحاً بحرف الخطاب «لك» ولم يرد ذلك في الثانية .

ووجه ذلك أن المخبر عنهم من المخلفين طلبوا منه صلى الله عليه وسلم الاستغفار لهم لتخلفهم عنه وأفردوه بخطابهم ، إذ ليس ذلك من مطلوبهم لغيره ، فوردت العبارة عن ذلك بإفراد الخطاب ، وأعلم تعالى بيه صلى الله عليه وسلم بفاقهم وكذبهم في اعتذارهم فقال تعالى : ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ^(٤) ﴾ .

وأما الآية الثانية فليس قولهم : ﴿ ذُرُونَا تَتَّبِعُكُمْ ^(٥) ﴾ خطاباً خاصاً له صلى الله عليه وسلم ، بل هو خطاب له وللمؤمنين . والسياق يفصح بذلك ، وما أمر به عليه السلام من مجاوبتهم في قوله لهم : ﴿ لَنْ تَتَّبِعُونَا ^(٦) ﴾ ، فلم يرد هنا إفراده صلى الله عليه وسلم بخطابهم له كما ورد في الأولى ، وجاء كل على ما يناسب .

فإن قيل : إن خطابهم له خاص كالأول [٢٠٩/ ظ] ولكن مخاطبوه مخاطبة التعظيم بقولهم : ﴿ ذُرُونَا تَتَّبِعُكُمْ ^(٦) ﴾ .

قلت : وعلى فرض ^(٧) هذا فمراعاة الألفاظ في النظم ^(٨) أكيدة جداً ، وبها

(١) ساقطة من ك. والآية من المعملات.

(٢) راد في ب من الآية : ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ .

(٣) هـ ، م ، ك : وفي .

(٤) إل عمران / ١٦٧ .

(٥) الفتح / ١٥ .

(٦) ساقطة من ك .

(٨) هـ ، م ، ب : التعظيم .

إحرازه. وعلى هذا لا يلائم هذا الخطاب كيف ما قدر إلا صورة^(١) ما للجميع، والله أعلم بما أراد.

٣٢٤ - الآية الثالثة^(٢) من سورة الفتح قوله تعالى:

﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (١١).

ثم قال بعد (٢٤): ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه اختلاف الوصفين^(٣) الواقع بهما ختام الآيتين^(٤) وهما: ﴿ خَبِيرًا ﴾ في الأولى، ﴿ بَصِيرًا ﴾ في الثانية.

والجواب عنه أنه قد تقدم قبل الآية الأولى قوله: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ^(٥) شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِيهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾^(٦)، فناسب هذا وصفه تعالى «بالخبير»، لأن الخبير هو العليم، بما خفي وبطن. فتأمل مناسبة هذا لقوله: ﴿ يَقُولُونَ بِآلِسِيهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾.

وأما الآية الثانية فتقدمها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ وليس في هذا إبطان شيء^(٧) أظهر خلافاً فكان إيراد وصفه سبحانه «ببصير» أنسب. وورد^(٨) كل على ما يجب.

(١) هـ، م، ب: بصورة.

(٢) ما بعدها إلى قوله: «الفتح» محذوف من ب.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختلاف الموصفين ...).

(٤) ما بعدها إلى آخر السؤال محذوف من ب.

(٥) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.

(٦) الفتح / ١١.

(٧) ل: حتى، ب: إبطان معنى.

(٨) ب: وورد.

سورة الحُجُرَات

قد تقدم ما فيها^(١).

سورة «ق»

٣٢٥ - قوله تعالى^(٢):

﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۚ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيُّ عَتِيدٍ ۚ ﴾^(٣) (٢٢، ٢٣).

ثم قال بعد (٢٧): ﴿ الَّذِي جَمَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۚ قَالَ قَرِينُهُ^(٤) رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۚ ۝

يسأل عن ثبوت واو العطف في قوله «ولا»: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ ۚ ۝ ولم يثبت الواو في الآية الثانية.

والجواب عن ذلك أن الآية الأولى وردت معطوفة على ما قبلها من آيات^(٥) [و] هي إخبار عما يلقاه الإنسان المتقدم ذكره من الأهوال والشدائد في المواقف الأخراوية وما بين يديها. أولها قوله: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۚ ﴾^(٦) ثم قال: ﴿ وَتَنفَخُ فِي الصُّورِ^(٧) ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۚ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۚ ﴾^(٨) وقال: ﴿ [وَقَالَ] قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيُّ عَتِيدٍ ۚ ﴾^(٩). فهذه إخبارات

(١) قال في حرة التنزيل / ٣٤٤: «لبس فيها شيء من ذلك».

(٢) ب: الآية الأولى قوله تعالى.

(٣) زاد هنا من الآية في ك: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ۚ ﴾.

(٤) ما بعدها إلى آخر الآية محذوف من ب.

(٥) الجار والمجرور في ك فقط.

(٦) ق / ١٩.

(٧) ما بعدها إلى قوله: معها، محذوف من ب وفي موضعه: «إلى قوله».

(٨، ٩) الآيات / ٢٠-٢١، ٢٣.

[٢١٠/ و] عن شذائد بعضها تُلُو بعض ، فطابق ذلك ورود^(١) بعضها معطوفاً على بعض.

وأما قوله بعد : ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ ﴾ ، فهو إخبار مبتدأ مستأنف معرف بتبري قرينه من حمله [على] ما تأبطه واجترحه ولا طريق لعطف ذلك على ما قبله ، إنما هو استئناف إخبار. فورد كل من الأيتين على ما يجب ويناسب.

سورة «الذاريات»

٣٢٦ - الآية الأولى منها (غ) قوله تعالى :

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ . وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَاقِعٌ ﴾ (٥، ٦).

وفي «الطور» (٧) : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾ .

وفي «المرسلات» (٧) : ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ .

للسائل أن يسأل عن^(٢) موجب اختلاف العبارة عما وقع القسم عليه وجوب به مع أن المراد بذلك كله الجزاء الآخر أي.

والجواب - والله أعلم - أن سورة «الذاريات» ، تقدمها في سورة «ق» إخباره سبحانه بالعودة الآخر أي إقامة البرهان على ذلك لمن وفق لاعتباره فقال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ - إلى قوله - ﴿ كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾^(٣) . ثم أعقب بذكر مكذبي الرسل مع الأمم وما حق

(١) ك: وورود.

(٢) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن . .).

(٣) ق / ١١-٦ .

عليهم من الوعيد الأحرّاي بعد أخذ كل منهم في الدنيا بذنبه. ثم استمرت آي هذه السورة على هذا المنهج من ذكر البعث، وحصر أعمال المكلفين وكتبها عليهم مع علمه سبحانه بما تُوسّسُ به نفوسهم ووقوع الجزاء على ذلك، وغفلة المكذب عن ذلك كله حتى يكشف له الغطاء فيشاهد ما لم يكن يحتسبه، وأعقب بإزلاف الجنة للمتقين ووصفهم بما منحهم ووعدهم عليه ثم أعقب بأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر، وإلتزام ما أمره به، وأن يُذكر بالقرآن المستجيبين الخائفين وعيده سبحانه. فلما اشتملت السورة على إبعاد^(١) وجزاء، وأعقبت بالقسم على ذلك من صدق وعده سبحانه ووعيده، ووقوع الحساب على الأعمال، فقال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ - إلى قوله - ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ الْيَمِينَ لَوَاقِعٌ﴾^(٢). وتناسب النظم في ذلك كله أبين تناسب.

أما سورة «الطور»، فالقسم فيها مرتبط بما اتصل به ووقع عليه القسم من قوله تعالى حاتمة سورة «الذاريات»: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾^(٣) فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ. فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾^(٤). فأتبع قسمًا على هذا بقوله: ﴿وَالطُّورِ﴾ - إلى قوله - [٢١٠/ظ] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ. مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾^(٥).

وأما قوله في سورة «المرسلات»: ﴿إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾، فمرتبط بما بنيت عليه سورة «الإنسان»؛ فإنها بجملتها دارت آياتها وجرت على ما به جنت من قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا

(١) جميع النسخ: إبعاد.

(٢) الآيات/ ٦١.

(٣) إلى آخر الآية مخلوف من ب.

(٤) الآية/ ٦٠.

(٥) الطور/ ٨١.

أَلَيْمًا ﴿١﴾، فتحصل مجرد وعد ووعد ولم تخرج السورة عن ذكر الفريقين ممن وُعد وتوعد، فناسب ذلك قوله تعالى جواباً للقسم: ﴿إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾. فجاء كل من المواضع الثلاثة على ما يناسب، ولا يلائم النظم^(٢) في ثلاثتها غير ما ورد عليه، والله أعلم.

٣٢٧ - الآية الثانية قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ^(٣). كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ - إلى قوله -
﴿فَرَوَّابَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَّا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ (١٥ - ٢٣).

وفي سورة «الطور» (١٧ - ١٩): ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ - إلى قوله - ﴿هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه الاختلاف بالاخبار^(٤) عن أهل الجنة في هاتين السورتين.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن هاتين السورتين في القصد من وعيد كفار قريش والعرب ذوي العناد والتكذيب والاخبار بجزائهم الاخر اوي، فعلى هذا مبنى السورتين. ولهذا افتتحتا^(٥) بالقسم على ذلك كما تقدم. والموعود به فيهما جزاء

(١) الإنسان / ٣١.

(٢) ما بعدها إلى قوله: «عليه» محذوف من ب.

(٣) ما بعدها إلى قوله: ﴿يَهْجَعُونَ﴾ محذوف من ب.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختلاف الاخبار.).

(٥) م: افتتحت.

[فَرِيقَي^(١)] السعادة والشفاعة وإليه الإشارة بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَأَوَاقِعُ ﴾^(٢) وهو حساب^(٣) الكل ومجازاتهم على ما سلف من جميعهم من خير أو غير شر. فلم يكن بُدُّ من ذكر أهل النعيم ذوي الاستجابة والتصديق للرسول والأخبار بحال الفريقين وعلى ما هو الجاري المطرد في الكتاب العزيز، أعني أنه إذا ذكر حال المكذبين، أتبع حال المصدقين، أو ذكر حال ذوي الاستجابة والتصديق، اتبع^(٤) بحال من كان على الضد منهم؛ وهذا قانون مطرد. فلمجموع هذين من أن الكل هم المرادون بمقتضى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ. وَإِنَّ الَّذِينَ لَأَوَاقِعُ ﴾ وأنه إذا ذكر أحد الفريقين أتبع بذكر الفريق الآخر. فلهذا ما ذكر فريق المتقين وجزاؤهم مع أن مبنى السورتين على ما ذكر فبدىء فيهما بذكر حال المعاندين وبذلك ختمت كل سورة منهما ثم ذكر بعد البدء به^(٥) في السورتين حال المتقين ونص في السورة الأولى على أسنى أعمالهم وأجل ملتهم المصيبة لما سواها^(٦) من سائر أعمالهم المترتب عليها جزاؤهم^(٧) فقال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ. كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ^(٨). وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. وَفِي أَمْوَالِهِمْ [٢١١/و] حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ^(٩). فذكرهم تعالى بالإحسان، وقيام الليل والاستغفار بالأسحار والمساهمة في أموالهم للسائل والمحروم، وكان هذه أمهات اقتصر هنا عليها. وأمعن في الثانية بذكر الجراء، وصرّوب النعم ليحصل من مجموع السورتين الوفاء بذكر أعمالهم وجزائهم، فقل في الأولى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾. فهذا من ذكر جزائهم الموفى في

(١) جميع النسخ: فريق.

(٢) بعدها من السورة في م: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾.

(٣) ك: الحساب.

(٤) ساقط من ك.

(٥) م: المدوية، ك: المبدؤ به، ب: البدؤ به.

(٦) ساقطة من ك.

(٧) في ك فقط وبقية النسخ: إحزاؤهم.

(٨) ما بعدها إلى قوله: ﴿ وَالْمَحْرُومِ ﴾ محذوف من ب.

(٩) الآيات/ ١٦-١٩.

الثانية مُعْظَمُهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾^(١) في آيات^(٢) إلى قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾^(٣). وحصل في هذا استيفاء كثير من جزائهم، وفي السورة قبل ما يترتب عليه ذلك من أعمالهم فارتبطت الآيتان، وتبين^(٤) أنه لا اختلاف بينهما. وفي ختم كل واحدة من السورتين مثل ما به، بنيت إشعار بينهما على ما قدمنا من وعيد من ذكر، وإن ما ذكر فيهما من حال أهل الجنة أعمالاً وجزاءً. فلما تقدم ذكره من الارتباط بين الجزاءين في أي الوعد والوعيد متى ذكر أحدهما، والله أعلم بما أراد.

٣٢٨ - الآية الثالثة وهي من تعلم ما قبلها وذلك^(٥) قوله تعالى:

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (١٩).

وفي سورة الماعز (٢٥): ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

يسأل عن وجه زيادة الصفة^(٦) في سورة الماعز من قوله: ﴿مَّعْلُومٌ﴾ وسقوطها في «الذاريات» وهل كان يناسب عكس الوارد؟

والجواب - والله أعلم - أن آية الماعز قد تقدمها متصلاً به قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾^(٧) والمراد بالصلاة هنا المكتوبة. وأيضاً يقرن بها في أي الكتاب بالزكاة^(٨) المفروضة، وبها فسر المفسرون التحق المعلوم في آية الماعز. قال

(١) زاد هنا في ب: ﴿أَخْلَيْنَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُخْسِنِينَ﴾. فهذا من ذكر جزائهم - إلى قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

(٢) الجار والمجرور ساقطان من م، ب.

(٣) الآيات: الذاريات/ ١٥ - الطور/ ٢٨.

(٤) ك: تبين - بلا وأو.

(٥) ب: في قوله.

(٦) ب: صيغة السؤال (يسأل عن وجه زيادة الصفت. .).

(٧) الماعز/ ٢٢.

(٨) في ك فقط وبقيّة السبع: الزكاة.

الزمخشري: «لأنها مقدرة معلومة»^(١). قلت: وليس في المال حق مقدر معلوم: وقتاً، ونصباً^(٢)، ووجوب^(٣) غيرها. فلما أريد بالحق هنا الزكاة اتبع بوصف يحرز المقصود، ولما قصد في آية «والذاريات» غير هذا المقصد بدليل ما تقدمها من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ. كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. فوصف هؤلاء بطول قيام الليل في صلاتهم وتهجدهم ومداومتهم^(٤) الاستغفار في الأسحار فذكروا بزيادة من التطوع والنقل على ما فرض عليهم مما^(٥) يُعَدُّ تاركه - إذا تركه - مُسْتَحِيلًا الإطلاق الوارد في اتفاقهم ليفهم الزيادة على ما فرض عليهم من الزكاة المقدرة ولم يكن ليناسب هنا الإشارة إلى قدر المتفق^(٦) [٢١١/ظ] كما في سورة المعارج ولم يكن عكس الوارد ليناسب، فورد كل على ما يجب، والله أعلم.

٣٢٩ - الآية الرابعة قوله تعالى:

﴿فَقِرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥١).

للسائل أن يسأل عن^(٧) وجه تكرر^(٨) قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، وعن الإندارين من التوجه له سبحانه في كل المطلوبات، واعتماد تلقي كل من عبده، ومن أن يشرك به سبحانه، أو يعبد معه سواه. فعلى هذين الضربين

(١) نص عبارة الزمخشري في الكشاف ٢٦٩/٣ «حق معلوم وهو لزكاة، لأنها مقدرة معلومة».

(٢) ك: نصاباً.

(٣) ك، ب: ووجوباً.

(٤) زاد بعدها في ك: بزيادة التطوع.

(٥) عبارة ك من هنا إلى قوله اتفاقهم: «من الزيادة في أعمالهم عن ما فرض عليهم بما يكفر تاركه - إذا تركه مهملاً - فتناسب هذا الإطلاق الوارد في اتفاقهم».

(٦) هـ، ك: المتفق، ب: المعقوف.

(٧) صيغة السؤال (يسأل عن وجه تكرر...).

(٨) ك: تكرر.

ورد التحذير والإنذار وهما الواردان في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ فأمر سبحانه بعبادته وألا يعبد معه غيره.

والجواب أنه سبحانه لما قدم من المعتبرات الدالة على وجوده تعالى وإنفراده بالإنجاد والخلق ما قدم في السورة قبلها من قوله: ﴿أَقْلَمُ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ - إلى قوله - ﴿تَبْصِيرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾^(١). ثم قال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ - إلى قوله - ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾^(٢). ثم ذكر تعالى أخذه المكذبين من القرون السالفة فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ - إلى قوله - ﴿فَحَقُّ وَعِيدٍ﴾^(٣). ثم ذكر تعالى خلق الإنسان وعلمه تعالى بما توسوس به نفسه، وقربه تعالى منه قرب العلم والإحاطة لأقرب المكانية والمسافة. ثم ذكر إحصاء الحفظة على المكلفين ولرومهم إلى موت الإنسان وبعثه ومجيء كل نفس في القيامة معها سائق وشهيد. ولم يقع عدول عن هذه الإنذارات والإخبارات الأخراوية والاعتبارات الجلية إلى قوله تعالى إعلاماً لنبيه صلى الله عليه وسلم بمقال المدعوين وأمرأ له بتذكيرهم بالقرآن فقال: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ. فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾^(٤) ثم أقسم تعالى على صدق تلك المواعيد والإخبارات فقال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ - إلى قوله - ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ. وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَاقِعُ﴾^(٥). ثم ذكر سؤالهم عن يوم الحساب، سؤال استهزاء، واستعجال تكذيب، فقال: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٦)، إلى ذكر حالهم وحال المتقين^(٧)، والإشارة إلى جزاء الفريقين. ثم أعقب بذكر الآيات في الأرض وفي

(١) ق/ ٨٦.

(٢) الآيات ٩-١١.

(٣) الآيات ١٢-١٤.

(٤) ق/ ٤٥.

(٥) الذاريات/ ٦١.

(٦) الآية / ١٢.

(٧) هـ، ب: المتقين، ه: المتقين.

أنفسنا، وأن ررق العباد وما يوعدون^(١) في السماء وأقسم تعالى على ذلك بقوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ تَتَطَقُّونَ﴾^(٢). ثم اعترض سبحانه بذكر ضيف إبراهيم وقصتهم ثم عطف على التذكار والتنبيه المتقدم في قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، فقال^(٣): ﴿وَفِي مُوسَى﴾^(٤). فذكر إرساله وأخذه فرعون [٢١٢/و] وجنوده بتكذيبهم ثم ذكر عاداً وثمود وقوم نوح، واقتصر على ذكر تكذيبهم وأخذهم تنبيهاً بأحوالهم مرتبطاً بأول التنبيه بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ - الآية^(٥) ثم قال: ﴿وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا﴾ - الآية^(٦) وارتبط أول التنبيه بآخره معقياً بقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ. وَالْأَرْضِ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾^(٧)، فهذا من تمام قوله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾ - الآيات. وقد ورد أثناء ذلك قوله فيمن أشرك به سبحانه قوله: ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ - إلى قوله - ﴿فَالْقِيَا فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾^(٨). فلما حصل التنبيه بعدة آيات وواضح بينات على إنفراده سبحانه وحصل ذكر من أشرك واتصل ذلك ولم يقطع^(٩) بعضه عن بعض أعقب بقوله: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾^(١٠)، المفرد بحلقكم وإيجادكم المنعم عليكم بما أنعم من واضح الأدلة عليه سبحانه: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(١١) أي من عدا به وأخذه

(١) ك: وما يذعنون.

(٢) الداريات: ٢٣.

(٣) عبارة ك: فقال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٍ﴾ وقال ﴿فِي مُوسَى﴾.

(٤) الداريات/ ٣٨.

(٥) ق/ ٦، وزاد في ب: ﴿وَزَيَّنَّاها وَمَالَها مِنْ فُرُوجٍ. وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيها رِوْاسِي وَأَنْبَتْنَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ﴾ وهي بقية الآيات إلى الآية الثامنة من سورة «ق».

(٦) الآية/ ٧.

(٧) الداريات/ ٤٧، ٤٨.

(٨) ق/ ٢٤ - ٢٦.

(٩) ك: ينقطع.

(١٠، ١١) الداريات/ ٥٠.

كما فعل [بمَر^(١)] كذب قبلكم [وهو] مبين بما أوضح لكم من البراهين ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾^(٢) فقد تبين ارتباط كل من الآيتين بما تقدم، وأن الثانية مؤكدة للأولى. وورد ذلك على أتم مناسبة، والله أعلم بما أراد.

سورة «الطور»

٣٣٠ - الآية الأولى منها (غ)^(٣) قوله تعالى :

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (٢٤).

وفي سورة الواقعة (١٧) : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنٌ مُّخْلَدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ ﴾.

وفي سورة الإنسان (١٩) : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنٌ مُّخْلَدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّشْورًا ﴾. فورد في سورة والطور : ﴿ غِلْمَانٌ لَهُمْ ﴾، وفي السورتين : ﴿ وِلْدَانٌ ﴾ والمراد في السور الثلاث : الخُدَّام. فللسائل أن يسأل^(٤) عن الموجب لتخصيص كل آية بما ورد فيها.

والجواب - والله أعلم - يترتب على تمهيد وهو أن الغلام هو الطائر الشارب. وقيل باستصحاب هذا الاسم إلى أن يشيب، والجمع غلمان. وأما الوليد فاسم للمولود حين يولد وهو «فَعِيلٌ». وهي بنية مبالغة وفائدتها هنا استحكام الصغر، وجمعه : ولدان. وعلى هذا لا يرادف أحد الاسمين الآخر. فإن ورد أحدهما في موضع الآخر فعلى المجاز والتوسع. والأصل ما مُهَّد. وإذا تقرر هذا فوجه ورود

(١) جميع النسخ : من.

(٢) الذاريات / ٥١.

(٣) ساقطة من ك.

(٤) ب : صيغة السؤال (يقال ما موحى تخصيص...).

الغلمان في سورة «الطور» - والله أعلم - مناسبة اللفظ باتساع مواقعِهِ في أحد القولين وهي استصحاب اسم العلومية إلى المشيب، أو لاحتياج التوسع فيما يطوفون به ويستخدمون فيه بحسب أسنانهم لمن تقدم من صِنْفِي المخدمين وهم الآباء والأبناء في قوله [٢١٢/ظ]: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ^(١) بِإِيمَانٍ وَالْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ^(٢)﴾. فذكر هنا الآباء الداخلون الجنة^(٣) مجازاة على أعمالهم، والأبناء من الذرية ممن لم يبلغ سن التكليف فدخل^(٤) الجنة بغير عمل فتناسب الاتساع^(٥).

وأما آية الواقعة فلم يقع فيها ذكر الإتياع، فتناسب ذلك ذكر الولدان الذين لا تحتمل أسنانهم خدمة الغلمان، فتناسب الإقتصار^(٦) الإقتصار، والتوسع التوسع، ووضح أن العكس لا يناسب والله أعلم. ووصف الولدان بقوله: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ إعلام بأنهم باقون على مقتضى سن الوليدية لا تتغير أحوالهم عن ذلك. وإلا فالخلود الأخراوي عام لهم ولغيرهم.

وجواب ثان، وهو أنه لما ذكرت الذرية في سورة «الطور»، ربما^(٧) كان يوهم ذكرهم، من حيث دحولهم الجنة بغير عمل أنهم فيها حداثاً لمن اتبعوه، بين قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾، أن الكل من متبوع وتابع مخدمون وقيل لهم باللام المقتضية الملك مع كون الصمير في لهم للكل من متبوع وتابع إشعاراً بأنهم ملكهم غلمان لهم يتصرفون في كل ما^(٨) يأمرؤن به وينهون عنه. ولما

(١) م، هـ: واتبعناهم ذرياتهم، ك: وابتعتهم ذرياتهم. وما أثبتناه في «ب» هو قراءة عاصم وحمة والكسائي وابن كثير في المصحف المتداول وفيها قراءتان أخريان:

(أ) - ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَالْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾... عن ابن عامر.

(ب) - ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَالْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾... عن أبي عمرو.

انظر: السبعة/ ٦١٢، والشر/ ٣٧٧، الإنجاف/ ٤٠٠.

(٢) ك: الداخلون في الجنة.

(٣) في ث فقط وبقيّة النسخ: يدخل.

(٤) ساقطة من ك.

(٥) م، هـ: بما.

(٦) هـ، م، ب: كلما.

لم يقع في سورة الواقعة وسورة الإنسان ذكر الاتباع من الدرية لم يرد فيهما إلا اسم الولدان وهم في الخدمة بمقتضى أسنانهم دون الغلمان. وتناسب هذا، والله أعلم بما أراد^(١).

٣٣١ - الآية الثانية^(٢) من سورة «الطور» قوله تعالى :

﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ . أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ﴾ (٤١ ، ٤٢).

وفي سورة القلم (٤٧ ، ٤٧) : ﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ . فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه تعقيب^(٣) هذه الآية في السورتين بما ورد فيهما ووجه المناسبة في ذلك.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أنه حل وتعالى أرغم معاندي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقطع تعقبهم ، وأوضح عجزهم وأوقفهم على قبيح تكديبهم وشيع مرتكبهم في بضع وعشرين آية من سورة «الطور» ، وسورة «القلم» . وفي سورة «الطور» أكثرها ، وباقيها ، في سورة «القلم» . وتحصل محصوراً فيها كل متعلق لمحادلتهم ظناً أو توهماً . وقدم قبل ذلك في السورتين حال المتقين وما منحوه على تفصيل في سورة «الطور» واستيفاء يناسب ما فصل أيضاً من حال المعاندين في متعلقاتهم^(٤) ، وإيجاز في سورة «القلم» يناسب الوارد [٢١٣/و] فيها من ذلك التعلق^(٥) مكثفي من ذلك في وصف^(٦) المتقين بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾ . فلما تفعد في السورتين حال المتقين أعقب

(١) ب: والمعل محذوفان من ك.

(٢) ما بعدها إلى «الطور» محذوف من ب.

(٣) ب: صيغة السؤل (يقال ما وجه تعقيب . . .).

(٤) هـ ، م: معلقاتهم.

(٥) هـ ، م: التعليق.

(٦) مكانها بناس في ب.

بتوبيخ من ارتكب صد حالهم . فبدأ سبحانه في سورة «الطور» بقوله لنبيه عليه السلام أمراً له باستمراره على الدعاء: ﴿ قَدْ كَبِرَ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾^(١). فنفى عنه ما نسبوه إليه صلى الله عليه وسلم من التكهن والجنون وكانوا كثيراً ما يرمونه عليه السلام بهاتين^(٢) وقد علموا براءته من ذلك واعترفوا به في الخبر الصحيح؛ بل قد كانوا يعلمون صدقه قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُّكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾^(٣). فهذا إخبار منه سبحانه بمعتقدهم فيه، ولكنهم كانوا يرون أن رمية بالتكهن والجنون، كأنه [مُخْبِلٌ]^(٤) في توقفهم عن تصديقه واتباعه. ولذلك أكد^(٥) سبحانه نفى ذلك عنه بالقسم في السورتين فقال: ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾، وهذا في قوة القسم الصريح. وقال في سورة القلم مفصلاً بذلك: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾^(٦). ثم كرر ذلك توبيحاً لقائله فقال: ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾^(٧). ولم يتكرر في السورتين مفصلاً به من الصادر عنهم فيما كانوا يرمونه به غير صفة الجنون. ثم قال تعالى قاطعاً بهم في احتجاجهم: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ ﴾^(٨)، وقد عرفوا أن ما حاءهم به ليس شعر ثم قال: ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا ﴾^(٩). ومن المعلوم الذي قد علموه هم، أن عقولهم لا ترجح ذلك من مقلهم فكيف تأمرهم به. ثم قال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ ﴾^(١٠) أي فإن قالوا فليأتوا بحديث مثله وعجزهم عن ذلك قاطع^(١١) هذا^(١٢)

(١) الآية/ ٢٩.

(٢) من قوله: «والأتراف وهو التعم». في لائحة (٢٧٤/و) من الأصل «م» إلى هنا سقط من النسخة «ع».

(٣) الأنعام/ ٣٣.

(٤) جميع السح. محبل (بالباء)، والخبل والخبل حيون وفساد في العقر.

(٥) هـ، م، ب: أكثر.

(٦) القسم/ ٢، ١.

(٧) الآية/ ٥١.

(٨-١٠) الطور/ ٣٠، ٣٢، ٣٣ على الترتيب.

(١١) هـ، م، ب، ع: فاصد.

(١٢) ب: هنا.

التعلق. ثم قال: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾^(١) وقد كذبوا^(٢) أنفسهم في هذا واعترفوا بخلق الله إياهم: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٣). ثم قال: ﴿ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ. أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٤). وقد أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^(٥)، فلا تعلق لهم بشيء من هذه المرتكبات لتكذيبهم أنفسهم وكل ما^(٦) يقدر أن يتعلقوا به من المذكور بعد هذا من قوله: ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ ﴾ - إلى قوله - ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴾^(٧)، لا توقف في اضمحلال تعلقهم به. فلم يبق بعد وضوح الحق إلا الضلال. ولما بلغ المتقرر^(٨) من رد متعلقاتهم في قطع [٢١٣/ظ] كل متوهم من متوهماتهم المفروضة قال تعالى: ﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ ﴾^(٩). وهذا آخر ما يتوهم متعلقاً لهم وإن لم يقلوه^(١٠)، فلم يبق إلا أعمال المكيدة فأخبر تعالى أنهم ﴿ هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴾^(١١)، ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الدَّبِيرَ ﴾^(١٢). فقد وضع وجه تعقيب أي من سورة «الطور» بهذه الآية.

ولما كان^(١٣) في سورة: ﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾ ذكر كل ما يمكن تعلقهم به، واستوفى ما قد وقع منهم وما يشبه ذلك مما لم يقلوه لبعده: كادعاء اطلاع العيب، واستراق السمع، وادعاء خلق السموات والأرض، وإيجادهم من غير صانع مريد مختار

(١) الآية / ٣٥.

(٢) هـ، م، ب، ع: أكذبوا.

(٣) الزخرف / ٨٧.

(٤) الطور / ٣٦.

(٥) لقمان / ٢٥.

(٦) ك، م، ع: كلما.

(٧) الطور / ٣٧-٤٠.

(٨) ك: المذر، ب: التفر.

(٩) الطور / ٤١.

(١٠) هـ، م: بقوله.

(١١) الطور / ٤٢.

(١٢) القمر / ٤٥.

(١٣) ك: كمل.

قادر^(١) ، وأن حزائنه عندهم . فلما لم يبق ما يتوهم إمكان تصويره وانقطع تعلقهم ، وتبين أن توقفهم وامتناعهم عما بين قال لبيك صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾^(٢) وأعلمه بحسدهم في قوله : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ﴾ فأرغمهم وفضحهم ، وأعقب الآية في قوله : ﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ ﴾ في سورة القلم . الأمر بالصبر لكمال ما قصد من قطعهم بكل جهة واستيضاح نمردهم من بعد ما تبين لهم الحق إلا الصبر عليهم حتى يحكم الله فيهم بما شاء ؛ فقال له تحذيراً من أن تدركه السامة والضجر ، فقال : ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾^(٣) . وبأن أيضاً وجه هذا التعقيب ولما كانت سورة «الطور» متقدمة في الترتيب المستقر وورد بعدها في سورة «القلم» ما هو راجع إلى الوارد في الطور من تمامه أعقب الآية هنا بقوله : ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ﴾^(٤) وأعلم تعالى بيه صلى الله عليه وسلم أن كيدهم راجع عليهم وأن ما راموه حال بهم ﴿ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ إِمْلَهُمْ رُؤُودًا ﴾^(٥) تأييداً له عليه السلام ، وإعلاماً بنصره عليهم . ثم لما تم المقصود في سورة «لقلم» من ذلك الغرض أمر بالصبر ، وعلم أن العاقبة له وأنه سيستجيب له غيرهم ممن سبقته الحسنى فأبواب وتذكر . قال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾^(٦) وحاء على ما يجب ويناسب والله أعلم .

(١) م ، ب ، ك : فإذا راوا ن حزنه . . ه ، ع : قلدر أو ان حزنه .

(٢) القلم / ٤٨ .

(٣) محذوف من ب .

(٤) القلم / ٤٨ .

(٥) الطور / ٤٢ .

(٦) الضرق / ١٧ .

(٧) القلم / ٥٢ .

سورة «النجم»

٣٣٢ - [قوله تعالى^(١)]:

﴿ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى . إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾ (٢٢ ، ٢٣) .

وقال بعد هذا (٢٧ ، ٢٨): ﴿ إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونُ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنْسِ . وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ .

للسائل أن يسأل عن تعقيب قوله أولا: ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾ وثانياً^(٢) بقوله: ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾^(٣) . وما الفائدة في تقديم وتأخير ما [١٣٤ / و] تأخر وهل كان العكس يناسب؟

والجواب - والله أعلم - أنه لما قال تعالى قبل هذا: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾^(٤) ، فذكر أصنامهم وتسميتهم إياها آلهة ، واتخاذها معبودات ، وذكر تعالى في مواضع أخر أنهم جعلوا الملائكة إناثاً . قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا ﴾^(٥) ، وأنهم بنات الله تعالى [قال تعالى]: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ﴾^(٦) ، وكرهوا البنات لأنفسهم . وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾^(٧) . أي جعلوا لأنفسهم ما يشتهون . قال

(١) في جميع النسخ: «الآية الأولى منها قوله تعالى وفيها آية واحدة» .

(٢) ك: وثانياً .

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما الفائدة في تعقيب الأولى: ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾ ، والثانية بقوله: ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾) .

(٤) لنجم / ١٩ .

(٥) الزخرف / ١٩ .

(٦ ، ٧) اسحل / ٥٧ .

تعالى مخاطباً لنبه صلى الله عليه وسلم ومعلماً بحالهم توبيخاً لهم وتقريعاً^(١) مع إبقاء أعظم التلطف، واجل الحلم: ﴿الْكُفْرُ وَالْأَشْيُ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ أي جائزة^(٢). ثم عرفهم بما لا جواب لهم عليه، وأنه مرتكب لا مستند له قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾، إلا اتباع ظن وهوى، ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾^(٣). ثم نبه تعالى على الرحمة بما جاءهم به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾^(٤)، وعرفهم بما تشهد العقول بتصديقه لإدراك ذلك إدراكاً ضرورياً، فقال تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾^(٥)، أي أن الجاري في الوجود أن الإنسان قد يتمنى الشيء فلا بدركه إذا لم يقدر له، وقد يحيله ما لا يريد^(٦)، ولا يحسب تمنى المتمنى^(٧) منكم إلا أن يشاء الله ذلك. ثم أحرر تعالى الملائكة وأشار إلى عليّ أقدارهم فقال: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾^(٨)، فقطع تعالى بهم في قولهم في آلهتهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٩). ثم صرف^(١٠) الخطاب إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾^(١١)، ولم يقل له: إن قومك، أو إن العرب، أو ما يحرز هذا المعنى، إبقاء عليهم وإخباراً^(١٢) ألا علم عندهم ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾. ثم قال: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾. فهذا موضع قوله: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾.

(١) هـ، م، ب: تعريفاً.

(٢) هـ، م، ب: جائزة.

(٣) (٦-٣) النجم / ٢٤، ٢٣.

(٧) ك: يريد.

(٨) هـ: بحسب محس (؟)، ب: بحسب التمني منكم.

(٩) النجم / ٢٦.

(١٠) زمر / ٣.

(١١) زاد بعدها في ب: تعالى.

(١٢) زاد بعدها من الآية في ك قوله: ﴿لَيَسْئَلُنَّ الْمَلَائِكَةُ﴾.

(١٣) ك: وأحضرناهم.

وأما الموضع الأول: فموضع ذكر اتباعهم أهواءهم لما أوصح تعالى لهم أن ليس للإنسان ما يتمناه، فبطل هوى الأنفس ولم يبق إلا مجرد ظن أحير تعالى أن الظن لا يغني من الحق شيئاً. فتناسب هذا كله وتبين أن كلاً من المعقب به في الموضعين لا يصح في غير موضعه، ولا يمكن العكس، والله أعلم.

سورة القمر

٣٣٣ - قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي. إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ. تَنْزِعُ النَّاسُ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُّثْقَرٍ. [٢١٤/ظ] فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي. وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾ (١٨ - ٢٢).

للسائل أن يسأل عن تكرار^(١) قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ في قصة عاد مرتين ولم يقع في قصة نوح وقصة ثمود بعد إلا مرة واحدة^(٢)، فما وجه تكرار ذلك في قصة عاد مرتين؟

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن عاداً لما كذبوا هوداً عليه السلام امتنعوا بالقحط الشديد واشتد الأمر عليهم^(٣)، وهذا^(٤) أشد تخويف لو وقفوا للتذكير^(٥) وقد خوف بذلك آل فرعون قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾^(٦). فخوّفت بذلك فلما لم يجد ذلك عليهم مع أليم امتحانهم به أهلكوا بالريح العقيم، فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم، فامتحنوا

(١) ب: صيغة السؤال (يسأل عن تكرار...).

(٢) ب: مرة مرة.

(٣) زاد هنا في ك: «حتى بعثوا وجوههم إلى مكة ليستشفوا لهم وقد اشتد الأمر عليهم». وهذا أشد... .

(٤) هـ، م، ب: هذا.

(٥) ك: لتذكر.

(٦) الأعراف / ١٣٠.

بعداين . وإما كان أحد قوم نوح قبلهم وهاكهم بالطوفان . ولم يُتعرّف من الكتاب العزيز أنه تقدمهم قبله أخذ بغيره من ضروب ما أهلك به غيرهم . وكذلك ثمود أخذوا بالصيحة ، وقوم لوط بالخسف والحجارة . وإنما تكرر الامتحان بعد عاد على آل فرعون فأخذوا بضروب العذاب والامتحان إلى أن أغرق الله آخرهم مع فرعون .

وممن^(١) أشار الكتاب العزيز إلى تنوع أخذهم قوم شعيب ، ولم يقع ذكرهم في هذه السورة . فلما أخذت «عاد» بالسنين ، ثم استوصلوا بالريح العقيم ؛ ورد متكرراً فأشار قوله أولاً : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ إلى ما قدم لهم من منع المطر وشدة السنين عليهم وما أئذروا به من ذلك . وأشار قوله ثانياً : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ إلى استئصالهم بالريح العقيم . ويجري مع ما ذكرته ويشير إليه قوله تعالى ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ﴾^(٢) ، والرجس هنا العذاب . ومنه أخذهم بالسنين . وأما الريح العقيم فمن غضبه سبحانه إلى ما يلحقهم منه في الآخرة . قال تعالى : ﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾^(٣) ، فتكرر قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ مرتين مشيراً إلى ما قدم لهم مما يشاروه وشاهدوه من العذاب بالسنين ، وقطع دأبرهم واستئصالهم بالريح ، وجارياً مع هذا التنويع من امتحانهم في الدنيا والآخرة . ولما لم يذكر من حال قوم نوح ، وقوم صالح وقوم لوط مثل هذا التنويع لم يتكرر ما ورد في أعقاب قصصهم من قوله : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ ، وتناسب هذا كله أتم مناسبة ، وجري مع كل قصة ما يلائمها .

فإن قيل : فإن آل فرعون قد تكرر عليهم الامتحان قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ ، وقد تقدمت الإشارة إلى [٢١٥/و] ذلك ولم يقع التشبيه على تعذيبهم وإنذارهم متكرراً كما وقع في قصة عاد .

(١) هـ ، م ، ك ، ع . ممن .

(٢) الأعراف / ٧١ .

(٣) هود / ٦٠ .

والجواب أن قصة فرعون لم يقع تعقيبها بقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ كما ورد في القصص الثلاث. وإذا لم يرد تعقيبها بذلك فقد سقط السؤال عن التكرار ثم قد أعقبت بما يحرز امتحانهم بأشد امتحان، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^(١). فلما خالف إيرادها تلك القصص، ولم يجر في ذلك التعقيب مجراها، لم يلزم السؤال المفروض، والله أعلم، بما أراد^(٢).

وأما الجواب في قصة عاد فإنما^(٣) اختص^(٤) ما نزل فيها من كتاب الله بذكر عذابين. أحدهما قوله تعالى: ﴿لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ والثاني قوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ يَتَصَرَّوْنَ﴾. فأشار بقوله أولاً: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ إلى عذابهم في الدنيا، وأشار التكرار إلى عذاب الآخرة. وهذا الجواب - والله أعلم - بعيد، لأن سورة القمر بأسرها مقصود بها تذكير كفار العرب من قريش وغيرهم بما نزل بمن تقدمهم من مكذبي الأمم. وإنما ذكروا بحاصل قد وقع بمن سلك مسلكهم ليتعرفوا خبره فيتعظوا. فعلى هذا جرى تذكيرهم في الكتاب العزيز فتارة يشاهد من خلق السموات والأرض وشبه ذلك، وتارة بما يعلم^(٥) خيراً أما وعظهم بعذاب الآخرة وهم يكفرون بالرحمن فبعيد جداً، ولا يطابق ذلك قوله عقب كل قصة ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾^(٦)، ولا قوله: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾^(٧). فتأمل وهو أعمد^(٨) جوابي صاحب كتاب الدرة^(٩) وأراه لا يصلح^(١٠) والله أعلم.

(١) القمر / ٤٢.

(٢) محذوف من ك.

(٣) م، هـ، ع: فلنأ.

(٤) هـ، م: أخص.

(٥) ك: لا يعلم.

(٦) القمر / ١٥، ٦٧، ٣٢، ٤٠، ٥١.

(٧) الآية / ١٥.

(٨) ك: غير.

(٩) ب: كتاب صاحب الدرة.

(١٠) ساقط من ك.

سورة الرحمن^(١)

٣٣٤ - الآية الأولى منها [قوله تعالى]:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ. وَأَقِيمُوا
الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (٧ - ٩).

للسائل^(٢) أن يسأل عن الوجه^(٣) في تكرار لفظ الميزان ثلاث مرات، ووجه تخصيص هذه السورة بذلك.

والجواب - والله أعلم - أن المراد بذكر الميزان إعلام العباد بما به قوام أحوالهم واستقامة أديانهم من إحراء أمورهم على العدل الذي أمر به سبحانه في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ - الآية^(٤)، وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٥)، وفي قوله: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٦)، وفي قوله: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٧). وفي الحديث: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عَلَى [٢١٥ / ظ] مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٨). وتكرر في الكتاب العزيز بالوفاء في الكيل والميزان المحسوسين لبيان

(١) زاد في ب: جل وعلا.

(٢) هـ، م، ب: لسائل.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تكرر...).

(٤) النحل / ٩٠.

(٥) النساء / ٥٨.

(٦) المائدة / ٨.

(٧) الحجرات / ٩.

(٨) هذا الحديث من أحاديث الصفات رواه مسلم في صحيحه ٤ / ٤٩٠ رقم ١٨ عن أبي بكر ابن أبي شيبة، وزهير بن حرب، وابن نمير ثلاثتهم عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو. ونص الحديث: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَرَّ وَحَلَّ وَكَلَّنَا يَدِيهِ يَمِينٍ. الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَّوْا». وانظر صحيح النسائي - آداب القضاة.

الأمر فيهما، فقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾^(١). وذن سبحانه من يُخْسِرُ فيهما وجعل جزاءه الويل والهلاك فقال: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ - الآيات^(٢) وأعلم سبحانه بعاقبة قوم شعيب عليه السلام في ذلك، وأخذهم بالصيحة، وعذاب يوم الظُّلَّةِ وأعلمنا سبحانه بوزن أعمال العباد في القيامة، فقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ - الآية^(٣) وتكررت الآيات والأحاديث معلِّمة بذلك ليشاهد العباد عظيم العدل واستيفاء جزاء الأعمال مرثياً محسوساً جارياً على مألوفهم في دنياهم مشاهداً للصالح والطالح على المعتقد المتقرر عند كافة أهل السنة. فلما كانت الاستقامة في الكيل والوزن مشعرة بالاستقامة فيما سواهما وتأكيذاً^(٤) لأنفسهما ولما وراءهما أكد سبحانه الأمر بذلك، وأخبر بوضعه للخلق في القيامة. ليمثلوا بذلك أمره فقال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾. وقال مفسراً وأمرأً ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ وأن في قوله: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا ﴾ يحتمل أن تكون علة، أي لئلا تطغوا في الميزان، وأن تكون حرف عبارة وتفسير نائه مناب أي، ومقدرة بها كالواقعة في قوله تعالى: ﴿ وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا ﴾. وكرر لفظ الميزان جرياً على عادة العرب فيما لها به اعتناء وتهمم كقول الخنساء: (بسيط).

وَأَنْ صَخْرًا لَوَالَيْنَا وَسَيِّدُنَا
وَأَنْ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْخُدَاةُ بِهِ
وَأَنْ صَخْرًا إِذَا تَشْتُّوَا لَنَحَارُ
كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ^(٥)

فكررت ذكر صخر ثلاث مرات ظاهراً غير مضمرة. وكقول الآخر: (خفيف).

(١) الإسراء / ٣٥.

(٢) المطففين / واحد.

(٣) الأنبياء / ٤٧.

(٤) هـ، م: تأكد الاستهزام لما وراءهما، ع: وتأكد لأنفسهما.

(٥) البيان في ديوانها / ٧٩، ٨٠ وروايتها فيه:

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئاً نَغْصَرَ الْمَوْتَ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَ^(١)
فكرر لفظ الموت ثلاث مرات في بيت واحد. وقال: (وافر).

لَيْتَ الْغُرَابَ غَدَاةً يَتَغَبُّ دَائِماً كَانَ الْغُرَابُ مُقَطَّعَ الْأَوْدَاجِ^(٢)

وهذا موجود في كلامهم كثيراً، إذا قصدوا الاهتمام والاعتناء والتهويل والاستعظام. ومن الوارد من هذا في التنزيل: ﴿الْحَاقَّةُ. مَا الْحَاقَّةُ﴾^(٣).
﴿الْقَارِعَةُ. مَا الْقَارِعَةُ﴾^(٤). وما ورد من^(٥) هذا.

وأما تخصيص هذه السورة بذكر الميزان وتأكيده والوصاة^(٦) بحفظه [٢١٦/ظ] وفاء والتزاماً، وهو الجواب الثاني من حيث أن بناء السورة على إعلام الثقلين بنعمه سبحانه لديهم وإقامة الحجة عليهم، وتعريفهم بأنهم لو وفقوا للخطِ نعمه تعالى وما بث في السموات الأرض ومخلوقاتهما من عجائب صنعه ما كفر منهم أحد ولا كذب وإنما أتى على ما^(٧) قدم ذكره من الأمم المكذبة في سورة القمر المتصلة بهذه لعدولهم عن النظر السديد اعتماداً على الأهواء ونبذاً للعدل^(٨) والإنصاف. ولو

وَإِنْ صَخْرًا لَكَائِبٌ وَسَيْدُنَا وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتَوْا لِنَحَارُ
أَعْرُ الْلَحْ تُتَأَسَّمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ

واظر رواية البعادي في الخزانة ٢٠٨/١، وشرح انقلمات للشريشي ٢٥٢/٢.

(١) البيت مختلف في نسبه إلى: عدي بن زيد، أو ابنه سواده، أو حميدة سودس زيد بن عدي وزعم الشنمري أنه ينسب إلى أمية بن أبي الصلت. انظر: الكتاب ٦٢/١، شرح الشنمري لشواهد سيبويه ٣٠/١، ديوان عدي/ ٦٥، احرب القرآن للزجاج/ ٩١٣، الخصائص ٥٣/٣، شرح شواهد المغني/ ٢٩٦، الخزانة ١٨٣/١، ٥٣٤/٢، ٥٥٢/٤، اللسان (نقص)، الأمالي الشجرية ٢٤٣/١، ٢٨٨، الاقتضاب/ ٣٦٨.

(٢) البيت منسوب لجرير في ديوانه/ ٨٩، وفي مجمع الأمثال للميداني ١٩٧/٢، وغير منسوب في الأمالي الشجرية ٢٤٣/١، معاني القرآن للأخفش ٦١/و.

(٣) الحاقة/ ٢، ١.

(٤) القارعة/ ٢، ١.

(٥) غ: في.

(٦) ك: الوصاية، هـ، م، ع: الوصاءة.

(٧) ب: من، وصاقطة من هـ، م، ع.

(٨) ك، م، ب، ع: العهد.

اعتبروا بخلق الإنسان وما مع وعُلم من البيان وشرف به على سائر الحيوان، واعتبروا بآيتي^(١) الشمس والقمر وجريهما بحسبان لتفصيل الفصول وربط الأزمان وتعاقب الملوك للتصرف والاستراحة. ولتعلموا عدد السنين والحساب ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾^(٢) فلو اعتبروا بهذا وما يستدعيه وينجر معه، وبالنبات نجماً وشجراً ورفع السماء ووضع الميزان للأنام، وإخراج ضروب الأطعمة وأصناف الفواكه منها واختلاف أنواعها في الطعم واللون والروائح مع اتحاد المادة، تسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأكل، وكيف مرج سبحانه البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وقد حجز سبحانه ما بينهما وأحكم ذلك فلا يلتقيان التقاء يعود بعدم المنفعة على العباد وأخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وأجرى فيهما السفى بآراء الرياح، وأقام على الجميع دلائل الافتقار والحدوث وحكم عليهم بالفناء والعجز: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ وما من معتر من هذه إلا كافر في شهادته مقصيح بلسان حاله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣) فلو اعتبر أولئك الأمم ببعض هذه المنصوبات للاعتبار من المنبّه عليه في سورة الرحمن لدلهم ذلك على الصانع الذي ليس كمثله شيء، ولنبدوا معبوداتهم من دونه حل وتعالى، وأجابوا الرسل فلم يهلكوا ولكنهم انحرفوا عن ميدان الإصاف فكذبوا فهلكوا. فلبناء السورة على هذا اختصت بذكر الميزان مكرراً مؤكداً على ما وقع فيها. ولما لم ترد هذه الأغراض في غير هذه السورة مبنية على ما تقدمها في السورة قبلها من أخذ المكذبين على الصفة الواردة فيها وانفردت هي بما قدم كانت مظنة الاعتناء بما ينسحب على كل^(٤) طرق^(٥) السلامة في كل عمل [٢١٦/ظ] وهو العدل الذي به

(١) هـ، م: بآيتي (٩).

(٢) يس / ٤٠.

(٣) الروم / ٤٠.

(٤) البقرة / ٢٢.

(٥) ساقطة من هـ، م، ب.

(٦) هـ، م: طريق.

قوام المخلوقات، والوزن بالقسط الذي تستوضح كل نفس في القيامة به ما لها^(١) وعليها، ولم يكن غير هذه السورة ليكون أولى بذكر ذلك فيها منها، والله أعلم.

٣٣٥ - الآية الثانية من سورة الرحمن قوله تعالى:

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (١١٣)^(٢).

للسائل أن يسأل عن وجه تكرار^(٣) هذه الآية إحدى وثلاثين مرة. ما وجه ذلك وهل لتخصيص هذا العدد سبب موجب؟

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أنه سبحانه افتتح السورة بذكر ضروب من النعم ثمانية تجل عن الإحاطة بوصفها، ويعجز العارفون عن شكرها. وكلها دلائل للمعتبر واضحة، وشواهد قاطعة سبحانه بالخلق والاختراع والإنشاء والإبداع، فقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾^(٤). وخص سبحانه من أسمائه الرحمن مناسبة لما رحم به عباده فبدأ سبحانه بتعليمه القرآن ولا نعمة أعظم من ذلك، إذ بتعليمه الحصول على الإيمان والفوز في الدارين. ثم أردف بنعمة خلقه الإنسان، ثم بتعليمه البيان المتوصل به إلى الأمانة^(٥) عما في نفسه واستيصاح ما أبهم وإيضاح ذلك لغيره وبه يعرف قدر النعمة بالقرآن. ثم أردف بذكر نعمة الشمس والقمر ونبه تعالى على جريهما في بروجهما بحسبان لما يدرك العالم من منافعهما: إنضاجاً^(٦)، وتيسيراً وإضاءةً، وحسباناً، لتعلموا عدد السنين والحساب. ثم قال

(١) ك: بما لها.

(٢) وقد ورد بعد ذلك في الآيات / ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠،

٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥،

٧٧ - وهي ثلاثون موضعاً.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تكرر...).

(٤) الرحمن / ٢، ١.

(٥) ب: الأمانة.

(٦) ك: إيضاحاً ب: انضاجاً.

تعالى محركاً للمعتبرين وإيقاظاً للمتفكرين: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(١).
والنجم ما نجم من النبات وارتفع^(٢) عن أرضه. ثم قال: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾، فأشار
إلى جعلها سقفاً محفوظاً من غير عَمَدٍ مزينة بالنجوم للدلالة ورجم الشياطين. وقد
مر^(٣) التنبيه بما فيها وفي خلقها من العبر. ثم قال: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾^(٤). وقد
تقدم الكلام في ذلك ثم قال: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾^(٥)، للمشبي في منابها
والأكل مما بث فيها والاعتبار بها وبمعجائبها، وعجائب السموات والأرض أكثر من
أن تحصى بالغد، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦).
ثم ذكر تعالى بعض ما بث فيها من الرزق فقال: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ
الْأَكْمَامِ. وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾^(٧). ولما كانت هذه النعم مشاهدة
للخلائق، ولا طَمَعٌ لأحد في نسبتها إلى غيره سبحانه، وقد شهدت العقول وعرفت
بإفراده سبحانه بإيجادها واختراعها، اتبع ذلك [٢١٧/ و] بتقرير الثقلين وتعجيز
الفريقين فقال لهما عقب هذه الصروب الثمانية: ﴿فَبِأَيِّ لَاءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي
من هذه ما يمكن الحاحد أن يكذب به، أو يتعاطاه لغيره سبحانه مع وضوح
شهادتها لخالقها وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً. ثم عرفنا سبحانه
بخلقه الثقلين وبالمادة التي أوجد منها كلاً من الصنفين فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِن
صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ. وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾^(٨) أينسب ذلك إلى غيره،
أيستبد به سواه ثم اتبع سبحانه بأنه ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾^(٩)، أي
مشرق الشتاء ومشرق الصيف إشارة إلى الغائيتين في الانتهاءين من رأس الجدي
إلى رأس السرطان، ثم يخلق البحر من الحلو والمالح والتقائهما وفصلهما ثم ما
يخرج منهما للانتفاع والزينة ثم بتسخير السفن وجريها ثم بذكر فناء كل من عليها

(١) الرحمن / ٦.

(٢) ك. وارتفع.

(٣) ك. وعدم.

(٤، ٥) الرحمن / ١٠، ٧ على الترتيب.

(٦) الحاقة / ٣. والآية في السج كلها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾ - تحريف.

(٧-٩) الرحمن / ١٢-١٢، ١٤-١٥، ١٧ على الترتيب.

وبقائه سبحانه، ثم بافتقار أهل السموات والأرض إليه جل وتعالى وسؤالهم إياه شؤونهم وحاجاتهم كل يوم. وأعقب كل قصة من هذه بتقدير الثقلين وتعجيزهم لقيام الحجة عليهم فقال: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾. وتكررت الآية بتكرار القضايا وكلها مما لا مطمع لأحد في ادعائه^(١) فقامت الحجة بها وكانت سبعة جرياً على سنة ما وقع التنبيه به من تحريك المعتبرين، وإطراد هذا العدد في ذلك فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ إلى تمام سبعة أطوار آخرها: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾^(٢) وقال عقب هذا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾^(٣). ولما ذكر سبحانه الحالات التعبدية التي بها خلاص المكلفين ذكر سبعة فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. لَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(٤). فعُدَّ للمؤمنين خصالاً سبعة جعلهم بها وارثين نعيمه وساكنين حنته فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٥). وهذا العدد مطرد، حار في أشياء يشهد إطراده فيها على قصد حكمة تقتضيها. فمنها ما ذكر آنفاً ومنها أن أم القرآن سبع آيات، والسموات سعة، والأرضون مثلها، وبواب جهنم سبعة، وحدث الأثغار^(٦) لسبعة أعوام، ويُعقَّب عن المولود^(٧) يوم سابعه. ومن مسوناته عليه السلام التسبيع للكر، وهذا كثير جداً. ثم انصرفت الآيات عقب هذه^(٨) السبع المذكورة^(٩) بها، إلى سبع قصايا وعيدية. أولها قوله تعالى: ﴿سَتَفْرُغُ [٢١٧/ظ] لَكُمْ آيَاهَا

(١) زد بعدها في ك: ولأحده.

(٢) المؤمنون / ١٢-١٤.

(٣) المؤمنون / ١٧.

(٤) المؤمنون / ٢٠١.

(٥) المؤمنون / ١٠، ١١.

(٦) أثغر العلام القى نعره، أي سقطت أسنانه ورواصعه فهو مثفور. والثغر بئث من حيار لعشب. ويطلق على الفم والأسنان أو مقدمها.

(٧) العقيقة هي ما يذبح عن مولود يوم سابعه. يقال عُقُّ المولود أي ذبح عنه.

(٨) ب: هذا.

(٩) هـ، م، ب، ع: المذكور.

الْثَّقَلَانِ ﴿١﴾ - إلى قوله - ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آن﴾^(١)، معقباً كل قضية بقوله مقررراً وقامعاً للمعاندين بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ثم انصرفت الآية إلى فريق النجاة ووعدهم بما أعد تعالى لهم فقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾^(٢) واستمرت الآية فيما أعد تعالى لهم وما أعطاهم إلى قوله: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٣) مختتمة كل قضية منها بقوله في ثماني كرات^(٤) في أعقاب^(٥) ثماني قضايا على ما تقدم: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. وكانت هذه ثمانيه لكونها في أهل الجنة فجاءت على وفق أبوابها. ويشهد لهذا القصد تعقيبها بمثلها عدداً فيما زادهم في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ إلى آخر السورة^(٦) وهي ثماني آيات كعدد ما قلها مُعَقِّبَةً كل آية منها بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ رَعِيَا لما ذكرنا. فتحصل في المجموع العدد المتقدم، ولم تكن الزيادة على ذلك لتناسب، إذ لا قضية سوى هذه المعاقبات كما أن النقص من هذا العدد لا يناسب لطلب كل قضية بذلك الإِعْقَاب، تناسباً وتوازناً على ما تقدم من الرعي. فورد ذلك كله على الوجه الذي لا يناسب خلافه، والله أعلم^(٧).

(١) الرحمن / ٣١-٤٤.

(٢-٣) الرحمن / ٤٦، ٦٠.

(٤) ك: مرات.

(٥) ساقطة من هـ.

(٦) الأيات / ٦٢-٧٨.

(٧) جاء في جميع النسخ بعد ذلك: «فإن قلت: ما وجه اختصاص سورة الرحمن بهذا التعقيب مما هو إيقاظ للعاملين وتنبيه للمؤمنين، وتفريع وتوبيخ للمعرضين وما وجه ذلك؟ فالجواب [ببإيض إلى آخر شرح الآية] وقال في م: «كذا في النسخة المنقول منها» وقال في ع: «وكذا وحد البياض بالأصل المنسوخ منه». ولعل المؤلف اضرب عن هذا السؤال اكتفاء عما ورد أثناء حديثه عن الآية المشروحة.

سورة الواقعة^(١)

٣٣٦ - قوله تعالى :

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ (٥٨، ٥٩).
وبعد ذلك (٦٣، ٦٤) : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ. أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ
الزَّارِعُونَ ﴾.

وبعده (٦٨) : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾.

وبعده (٧١) : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن^(٢) وجه هذا الترتيب وهل كان يمكن تقديم أحد هذه النعم
المنعم بها على ما وقع في الآية متقدماً^(٣) عليه.

والجواب عن هذه أن ذكر المتنعم بالنعم متقدم في الرتبة على^(٤) ذكر النعم،
لأن النعم إنما خلقت للتنعم بها من أجله^(٥). فذكره أولاً بين اللزوم. فلهذا تقدم
ذكره^(٦) خلق الإنسان المتنعم بالنعم فقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ - الآية.
وأما تقديم الأكل على الشرب فمعقول الرتبة، وبحسب ذلك ورد المقول المنقول
فقال تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾. فالشرب^(٧) في العالب للاستمرار وليس أولاً في
الغذاء، ولا معتمداً في الجسوم الحيوانية للنماء، وإنما ورد ذكره مع الأكل تالياً
لكونه في الرتبة ثانياً فقال تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾^(٨). وأما النار فللمنافع من

(١) متشابه سورة الواقعة، في ك، ب فقط. وساقط من: هـ، م، ع، ج.

(٢) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن وجه هذا الترتيب).

(٣) ب: مقدماً.

(٤) زاد بعدها في «ك»: ما.

(٥) ب: ومن أجلها.

(٦) ب: ذكر.

(٧) ب: الشرب.

(٨) النقرة/ ٦٠، الطور/ ١٩، الحاقة/ ٢٤، المراتل/ ٤٣.

الإيضاح، والإِسْخَانِ [وأما البدأة] ^(١) فهي مُتِمَّةٌ، وليست كالمأكل والمشرب مهمة. وإذا لم تكن كالأولين في الغذاء والنماء فليس من المناسبة تقدم ذكرها على الماء. وورد عقب الآية الأولى قوله: ﴿ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٢)، وعقب الثانية [قوله]: ﴿ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ ^(٣). ووجه المناسبة أن الآية الأولى لمن تدبرها تذكيرة بالعودة الأخراوية. فقال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ^(٤) فأعقب التحضيض على التذكر بالبدأة على العودة. وأما الآية الثانية فمستدعية الشكر على عذوبة الماء، ولو شاء لجعله أجاجاً فخلعه وجعله عذباً فوجب شكره تعالى على النعمة بذلك.

سورة الحديد

٣٣٧ - الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿ سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١).

وفي سائر المسبحات: ﴿ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(٥) ثم في سورة الحديد، وسورة الحشر، وسورة الصف: ﴿ سَبِّحْ ﴾ بلفظ الماضي، وفي الجمعة والتغابن: ﴿ يُسَبِّحْ ﴾ بلفظ المضارع.

وهذان سؤالان.

والجواب عن الأول - والله أعلم - أن كون «ما» لم تتكرر في هذه السورة، إنما ذلك ليطابق بالكلام ما اتصل به من قوله تعالى: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٦). فلما لم تكن هذه الآية مستدعية لفظه «ما»، روعي ذلك فيما قبلها

(١) ك، ب: والآءة - هكذا، وما أثبتناه يناسب السياق.

(٢) (٣، ٢) آيتا ٦٢، ٧٠.

(٤) الأعراف/ ٢٩.

(٥) الآيات الأولى من سور: الحشر، الصف، الجمعة، التغابن.

(٦) الحديد/ ٢.

لتناسب الآيتين مع حصول ما تعطيه من المعنى. فلو وردت لم تكن لتكون إلا تأكيداً، وكان يسقط التناسب اللفظي. ثم قد ورد بعد هذا قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(١). فتناسب هذا كله على ما يجب. وأما المسبحات فلم يرد فيها ما يستدعي هذه المناسبة. فوردت على ما هو أنسب لما يفهم لفظ المضارع من التماضي والتكرار والله أعلم.

والجواب: [٢١٨/و] عن السؤال الثاني أن لفظ الماضي في ﴿سَبَّحَ﴾ ولفظ المضارع في ﴿يُسَبِّحُ﴾ يحرزان الاستمرار والدوام، ولا تحرز إحدى^(٢) العبارتين ذلك إلا بالتأويل والتقدير. فكان الجمع بين محرزي ذلك أولى. وإنما تقدم الماضي لثباته رتبة ووجوداً^(٣) قبل المضارع. ثم اتبع بما يقتضي الاستمرار وكان ورود أكثرها على التعبير بالماضي، لأنه أوضح في استحكام الثبات وامتداده. فورد هذا كله على أنسب وجه.

٣٣٨ - الآية الثانية^(٤) من سورة الحديد قوله تعالى:

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢).

ثم ورد بعد (٥): ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾. للسائل أن يسأل عن إعادة قوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مع قرب هاتين الآيتين، وعن تعقيب الأولى بقوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، والثانية بقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

(١) الحديد/ ٤.

(٢) ك: ولا يحرز أحد.

(٣) ك: رتبته وحوذا.

(٤) إلى الحديد محذوف من ب.

والجواب عن الأول أن إعادة قوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إنما أعيد ليبني عليه قوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾، لما تقدم وصفه سبحانه بأنه المُسَبِّحُ المتعالي، ذو العزة والحكمة وأنه الذي له ملك السموات والأرض، والقدير على كل شيء^(١)، والخالق للسموات والأرض، والذي استوى على العرش بالقهر والقدرة، والعليم بما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وأنه مع الكل بالعلم والقدرة^(٢) والبصر^(٣) بأعمالهم أكد ما تقدم بإخباره تعالى بأنه له ملك السموات والأرض وإليه رجوع أمر الخلائق فلا تتحرك ذرة إلا بإذنه ولا يصدر شيء إلا منه وعن قضائه فتكرر قوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، لبناء ما ذكر عليه، أبين شيء لحصول الجمل المفصلة قبله تحت مفهومه. فقد تبين وجه التكرار ووجه تعقيب المكرر بقوله^(٤): ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾. وأما تعقيقه أولاً قبل التكرار بقوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فلما تقدم متصلاً به [من]^(٥) قوله: ﴿يُخَيِّي وَيُمِيتُ﴾، فالمراد: «وهو على كل شيء قدير» من الإمامة والأحياء وغير ذلك مما يدخل تحت حكم القدرة. فهذا التعقيب أسبب شيء، وأوضحه والله أعلم.

٣٣٩ - الآية الثالثة^(٦) من سورة الحديد (غ)^(٧) قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ﴾ (١٢).

وفي سورة التحريم (٨): ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ

(١) زاد هنا في ك: «الأول والآخر والظاهر والباطن العليم بكل شيء».

(٢) ساقطة من ك.

(٣) ك: والبصير أكد.

(٤) ما بعدها إلى قوله: قبل التكرار ساقط من ك.

(٥) جميع السخ: عن.

(٦) ما بعدها إلى الحديد ساقط من ك، ب.

(٧) ساقطة من هـ، م، ب، ع، والآية من المعفلات.

يَسْعَى ﴿. فقدّم الفعل^(١) في الأولى، وأخر في الثانية. ووجه ذلك - والله أعلم - أن قوله في سورة التحريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ يفهم من حيث المعية قرب المنزلة وعلوّ الحال وتقدم ثبوته فناسب [٢١٨/ ظ] ذلك ورود الجملة الاسمية هنا لما تقتضيه من الثبات وتقدمه واستحكامه.

وأما قوله في سورة الحديد: ﴿يَسْعَىٰ تَوْرَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ فبشارة للمؤمنين، ولم يأت هنا كونهم مع نبيهم. فلم يتحصل مما يفهم تمكن المنزلة وثبوتها ما يحصل في آية التحريم. وإنما هذه بشارة يناسبها التجدد والحدوث فناسب ذلك الفعل بما يعطيه من هذا المعنى، فقل: ﴿يَسْعَىٰ تَوْرَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، ليفهم التكرار وحدوث الشيء بعد الشيء فورد كل على ما يجب ويناسب، والله أعلم.

٣٤٠ - الآية الرابعة (غ) قوله تعالى:

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾^(٢) (٢٢).

وفي التغابن (١١): ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾^(٣).

للسائل أن يسأل عما زيد في آية الحديد^(٤) من قوله: ﴿ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ إلى ما بعد مما خلت منه آية التغابن مع اتحادهما فيما انطوتا عليه من المعنى.

فأقول - وأسأل الله التوفيق - أن المسبحات الخمس وهي: سورة الحديد، وسورة الحشر، وسورة الصف، وسورة الجمعة وسورة^(٥) التغابن، مع اشتراك

(١) هـ، م: في الفعل.

(٢) مرج في هـ بين الاثنين باسقاط ما بعد ﴿نَبْرَأَهَا﴾ إلى قوله: ﴿أَصَابَ﴾ من آية التغابن.

(٣) زاد من الآية في ل: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وحه ما زيد في آية الحديد).

(٥) هي وما بعدها ساقطتان من ب.

خمسيتها في مطالعها - لم تتلاق منها في عدة معان، وترادف الماظ واحدة مع أخرى، تلاقي هاتين السورتين، أعني سورة الحديد وسورة التغابن. ألا ترى اجتماع السورتين في ذكر خلق السموات والأرض والإعلام بإحاطة علمه سبحانه بما خفي وما ظهر، والأمر بالإيمان بالله ورسوله والإنفاق في سبيله^(١) سبحانه وما يترتب على ذلك من الجزاء الأخراوي^(٢) وذكر الأموال والأولاد والفتنة بهما، وتحقير أمر الدنيا وما انطوت عليه، والإشارة إلى تفصيل أحوال الخلق وجزائهم الأخراوي، وأن كل واقع في الوجود واقع بإذنه سبحانه، وتقديره وانطواء كل واحدة من هاتين السورتين على جملة من اسمائه سبحانه. ولم يرد في غيرها من السور الخمس المذكورة من ذلك ما يحارها فيما اشتركا فيه من الأسماء العلية وإن كانت سورة الحشر قد انطوت من ذلك على نحو ما انطوت عليه سورة الحديد، إلا أنها لم تلتق معها في موافقة ما احتمعتا عليه من تعيين عدة منهما. فلما اتفقت السورتان فيما ذكر ولم يجتمع معهما غيرهما من المسححات في^(٣) ذلك، ولا^(٤) قارب مع طول سورة الحشر ومحاراتها^(٥) في الطول^(٦) سورة^(٧) الحديد، وكَوْن سورة التَّعَانُ لا تقارب واحدة منهما في الطول ومع ذلك فقد شاركت سورة الحديد في تلك الأعراض الجليلة [٢١٩/و] والمقاصد العظيمة، وحارثتها في ذلك عدداً واستيفاءً، وعَرِيَتْ سائر المسححات عن التعرض لذلك، والوفاء منه بما وَفَّاه^(٨) به وعرفت من حاله. فلما اتفقتا في هذا كله، وكانت سورة الحديد أمعن في كل ضرب مما ذكر، وأوفى تعريفاً وأمد تفصيلاً، وكانت هذه الآية المتكلم فيها من جملة ما اتفقت السورتان فيه، والاستيفاء والاجمال في الثانية، والاكتفاء على ما

(١) هـ: سبله.

(٢) ما بعدها إلى قوله: «وحرّائهم» الأخراوي: مكرر في هـ، م، وسقط من ب قوله: «وذكر الأموال».

(٣) ب: من.

(٤) هـ، م، ب، ع: وإلا.

(٥) هـ، م، ع: ومحاراتها.

(٦) ما بعدها إلى قوله: «في الطول» بعدها ساقط من ع، م.

(٧) هـ، ك: في سورة، ب: من سورة.

(٨) ك: وفّاه.

جرت به سائر الاي فيما اشتركت فيه السورتان مما ذكر قبل فناسب ذلك ما زيد فيها في الآية المذكورة فقليل : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ ، مناسبة لما بنيت عليه السورة من الوفاء بالأغراض المذكورة.

وقيل في آية التغابن : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ، مناسبة لإجمال الوارد فيها من ذلك المشترك. وتحصل نظم السورتين على أتم مناسبة ، وأجل تلاؤم وجرى ذلك على مسالك العرب ، وتفننها في كلامها ، وتصرفها إذا طالت لداع موجب وفصلت أو أوجزت لمقتضى من المعنى وأجملت :

يُرْمُونَ بِالْخُطْبِ الطُّوَالِ وَتَارَةً وَحْيِ الْمَلَا حِظِّ خَيْفَةِ الرُّقْبَاءِ (١)

ولا يمكن على ما تبين عكس الوارد في السورتين بوجه والله أعلم بما أراد.

سورة المُجَادَلَة

٣٤١ - قوله تعالى :

﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤).

وقال بعد (٥) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَبَيِّنُ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ مُهِينٍ ﴾ (٦).

يسأل عن تعقيب (٦) الأولى بقوله : ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، والثانية بقوله : ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ ، ووجه اختصاص كل موضع بالوارد فيه.

(١) سبق تخريج لبيت الآية رقم / ١٤ .

(٢) هـ ، ب أليم بدل مهين ، وزاد بعدها : والثابت بقوله : ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ بانتفاء الطر.

(٣) هـ ، م ، ب : نعتف .

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن الآية الأولى تقدمها ذكر الظُّهَار، وقد سماه سبحانه مُنْكَرًا من القول وزوراً، وشرع الكفارة فيه رحمة وتداركاً للواقع فيه، إذا اتعظ وأناب وجعلها على التدريج^(١) من تحرير رقبة للواحد القادر عليها، وإلا فحكمه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يَتَمَاسًا. فمن عجز عن الصيام، فإطعام ستين مسكيناً^(٢). ثم قال: ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٣) أي أن الانقياد لأوامر الله سبحانه والتزام حدوده عنوان كبير على كمال الأديان، والتزام ما به التخلص لديه سبحانه فشرع لكم الحدود فمن التزمها ولم يتعدّها فذلك [٢١٩/ ظ] المؤمن، ومن تنكب عنها وحاد عن التزامها فتلك صفة الكافرين، ﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وصف العذاب بالآيلام ليكون أوقع، وذلك^(٤) بين التناسب.

وأما الآية الثانية فتقدمها قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾. والمحادة^(٥) المشاقة والمحاربة. ولذلك كان جزاؤهم أن كُتِبُوا وَأَذُلُّوا. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٦) أولئك في الأذلين. فلما تعرض هؤلاء وارتكبوا المحادة والمشاقة كان جزاؤهم إكباتهم وإذلالهم وإهانتهم^(٧) في مقابلة

(١) ساقطة من ك.

(٢) الظُّهَارُ هو أن يحرم الرجل امرأته على نفسه بقوله لها: «أنت حرام عليّ كظهر أمي»، وأمثلة مما حرم الله الاستمتاع به تحريماً مؤبداً، وهو المراد بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُنَّ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾. والظُّهَار نوع من الطلاق في الجاهلية قال أبو قلابة: «كان طلاقهم في الجاهلية الإيلاء والظُّهَار. فلما جاء الإسلام جعل الله في الظُّهَار ما جعل فيه، وجعل في الإيلاء ما جعل فيه. وقال عكرمة: كانت النساء تحرم بالظُّهَار حتى أنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ - الآية (١/ المجادلة). والإيلاء هو الخلف واشترط الشافعي في أحد قوليه فيه أن يكون الخلف بالله استدلالاً بالحديث الشريف: «من كان حالقاً فليحلف بالله أو ليصمت». والصحيح أن كل يمين يلتزمها الزوج نفسه، ملزمة له على فعل أو ترك». انظر: أحكام القرآن الجصاص ٤١٧/٣-٤٢٧، وابن العربي ١٧٧/١-١٨٢، وللقرطبي ٢٧٢/١٧-٢٨٨.

(٣) المجادلة/ ٤.

(٤) زاد بعدها في ك.: «أوقع».

(٥) هـ، م، ب: المحادة.

(٦) المجادلة/ ٥.

(٧) هـ، م، ب، ع: إهانتهم.

تعزّزهم كفراً وعناداً فقال تعالى في جزاء هؤلاء: ﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾، أي مُذِلٌّ لهم، قامع لعنادهم. وهذا بين التناسب والله أعلم.

سورة الحشر^(١)

٣٤٢ - قوله تعالى:

﴿لَا تُثْمِرُ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٣).

ثم قال بعد (١٤): ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يسأل^(٢) عن اختصاص كل آية بما أعقبت به من قوله في الأولى: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن الله تعالى لما أخبر عن يهود والمنافقين سوء أحوالهم، وأن الرعب قد سكن قلوبهم حتى كان خوفهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من خوفهم من الله. قال تعالى: ﴿لَا تُثْمِرُ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ﴾، فناسب هذا نفي فهمهم، وانسلاخهم عن النظر والتدبر والتوفيق فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾. ثم أتبع ذلك بالتعريف بشدة بأسهم بينهم وشتات أحوالهم فقال: ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾. فناسب هذا ما يفهم عدم الثبوت على شيء والرجوع إلى قانون^(٣) يقفون عنده ويرتبطون إليه. فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾. والعقل علوم ضرورية يُوقَفُ عند مقتضاها ويحكم بما أمضاه ولا يتعدى. ويحصل من ذلك الثبوت واشتقاقه من قولهم: عقلت البعير، إذا ربطته بعقال، وهو الحبل وشبهه مما

(١) ك: سورة الحشر - تعريف.

(٢) ب: فيسأل.

(٣) ك: قانوا (٤).

يقيّد به. ولما نفى عنهم الارتباط، مع وصفهم بشتات القلوب وحوذاً فقال:
﴿ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾، أخبر تعالى أن سبب ذلك أنهم: ﴿ لَا
يَعْقِلُونَ ﴾. وتناسب هذا أبين^(١) شيء، ولا يناسب الأولى قبلها إلا ما أعقبت به،
والله أعلم.

سورة الممتحنة

٣٤٣ - قوله تعالى:

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (٤).

وبعد هذا (٦): ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ ﴾.

يسأل^(٢) عن موجب إعادة قوله: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ عن متعلق
كل واحدة من الآيتين، وهل كان يصلح ورود [٢٢٠/ و] كل واحدة منهما مكان
الأخرى؟

والجواب - والله أعلم - أنه تعالى لما أمر المؤمنين ألا يتخذوا أعداءه أولياء
بالبقاء أسباب المودة والنصيحة لهم. وسبب نزول هذه السورة قصة حاطب بن أبي
بلتعة - رحمه الله - في كتابه إلى أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبما^(٣) يريد فيهم^(٤)، ودفعه ذلك إلى طعينة، ونزول الوحي بذلك
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً والمقداد، وأمرهما أن يأتيا روضة
خاخ^(٥) وقال لهما: إن بها طعينة معها كتاب إلى أهل مكة. فذهب علي والمقداد

(١) ب: بين.

(٢) ب: فيسأل.

(٣) هـ، ك، ب، ع: وما.

(٤) ب، ع: مهم.

(٥) هـ، م، ب، ع: حاج.

رضي الله عنهما فوحدا الظعينة كما أخبرهما صلى الله عليه وسلم^(١) فنكرت الكتاب فاشتد عليها علي رضي الله عنه^(٢)، وقال: **لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقَيْنَ الشَّيْبَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا فَأَتَى بِهِ عَلِيٌّ إِلَى^(٣) رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.** فإذا الكتاب من حاطب فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتبرأ حاطب من أن يكون فعل ذلك نفاقاً واعتذر بما قبله منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن بتصديقه في اعتذاره فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ - الآيات^(٤). فأمر تعالى بالتبري منهم وذكر كفرهم بما جاء المؤمنين من الحق وإخراجهم الرسول والمؤمنين من مكة من أجل إيمانهم، وتوعد فاعل ذلك، وأخبر بأنه قد ضل سواء السبيل. وقيل تعالى توبة حاطب، وأمر بالافتداء بإبراهيم عليه السلام حين تبرأ هو ومن معه من المؤمنين من قومهم^(٥)، إلا ما كان من موعدة إبراهيم لأبيه بالاستغفار إلى أن تبين له أنه عدو لله فتبرأ منه، فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ - الآيات^(٦). فلما أوصح^(٧) تعالى من ذلك ما فيه شفاء للمؤمنين اتبعه تعالى بالقسم المؤكد لذلك فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، ودلت اللام الموطئة للقسم في: ﴿لَقَدْ كَانَ﴾ على تأكيد ما قدمه^(٨) من الأمر بالافتداء والتأسي بإبراهيم عليه السلام ومن كان معه. فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾، أي في المذكورين: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ

(١) في ك فقط.

(٢) ك: فأتى به علي رضي الله عنه رسول الله.

(٤) الممتحنة/ واحد - وزاد في ب من الآية: ﴿تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوْتِ﴾، وحذف كلمة الآيات.

(٥) هـ، م، ع: قومهم.

(٦) قال الواحدي إن الظعينة هي سارة مولاة أبي عمرو بن صهيب بن هشام بن عبد مناف. وذهب إلى أن النبي أرسل جماعة من العرسان فيهم عبي والمقداد بن الأسود، ومنهم عمر بن ياسر وطلحة، وأبو مرثد. وروى رواية أخرى بأن النبي أرسل علياً والزبير والمقداد. انظر: أسباب النزول/ ٢٨١-٢٨٣، الباب/ ٢١٦.

(٧) هـ، م: وضع.

(٨) ك: ما قدمته.

كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴿١﴾ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ ﴿١﴾ ، عَنْ الْاِقْتِدَاءِ وَالتَّاسِي بِمَنْ أَرشَدَ سَبْحَانَهُ إِلَى التَّاسِي بِهِ فِيمَا ذَكَرَ : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٢) .

فَالأولى تَنْبِيهِ وَإِرْشَادَ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَالثَّانِيَّةُ : تَأْكِيدٌ . وَسَبَبُ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُمَا الَّذِي بِهِ اتِّصَالُهَا وَتَعَلُّقُهَا بَيْنَ وَلَا يَلَاثِمُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا ، وَلَا يَنَاسِبُهَا غَيْرُ مَوْضِعِهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ (٣) .

سورة المنافقين

٣٤٤ - قوله تعالى :

﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ [٢٢٠ / ظ] رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٧) .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى (٨) : ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

لِلسَّائِلِ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ نَفْيِ (٤) الْفَقْهَةِ عَنْهُمْ أَوَّلًا ، وَنَفْيِ الْعِلْمِ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ ، وَهَلْ كَانَ يُمْكِنُ وَقُوعُ مَا نُفِيَ فِي الْأَوَّلِ مَنْفِيًّا فِي الثَّانِيَةِ ، وَوَقُوعُ مَا نُفِيَ (٥) فِي الثَّانِيَةِ فِي الْأَوَّلِ .

وَالْجَوَابُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْاعْتِرَازَ بِالذِّينِ وَالْإِطْلَاعَ عَلَى تَشْرِيفِ الْمُؤْمِنِ بِهِ

(٢٠١) الْمُتَحَنُّنُ / ٦ .

(٣) هَامِشٌ م : « تَرَكَ سُورَةَ الْجُمُعَةِ » وَلَمْ يَتْرَكْهَا الْمُؤَلِّفُ وَإِنَّمَا عَادَتُهُ الْأَيْعِيدُ مَا ذَكَرَهُ أَثْنَاءَ شُرُوحِهِ لِلآيَاتِ . وَكَذَلِكَ صَاحِبُ الدَّرَةِ لَمْ يَكْتُبْ شَيْئًا فِيهَا كَمَا لَمْ يَقُلْ « لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ » عَلَى عَادَتِهِ . وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ لِسُورَةِ الصَّفِّ .

(٤) ب : صِيغَةُ السُّؤَالِ (يَسْأَلُ عَنْ نَفْيِ . . .) .

(٥) ك : بَقِيَ .

واعترازهم بسببه، أمر لا يُوصَل إليه إلا بعلم و يقين، لا طريق لمنافق إليه ما دام على نفاقه، وإنما يعلمه ويصل إلى رحمة الله به، المؤمن العالم، فنفي العلم بما منح الله المؤمنين من الاعتزاز^(١) بدينه سبحانه والاعتصام^(٢) باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم والتمسك بما جاء به فنفي ذلك عن المنافقين بين لا خفاء به، ولا يناسب الموضع غيره.

وأما ما رأوه^(٣) من قطع الرُّفْد والإنفاق^(٤) وما يرجع إلى ذلك عن المؤمنين حتى يترفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويفردوه، فإن ذلك أمر^(٥) لو ثبتوا^(٦) فيه مع كفرهم ونفاقهم، وأمعنوا النظر لعلموا بجري العادة أن أرزاق العالم لا تتوقف على منع مانع منهم، بل مشيئة^(٧) جميعهم في هذا غير نافذة^(٨)، وأن وصول أرزاق العباد إليهم أمر ليس لمخلوق^(٩) كنزول المطر، وإرسال الرياح. وذلك مما لا طمع لمخلوق في إرساله وإمساكه. فلو فقه المنافقون وتفهموا السَّة الجارية، لما فاهوا بمقالهم ﴿لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ فنفي الفقه عنهم هنا أنسب شيء فلا يلائم وقوع أحد المنفيين في موضع الآخر، والله أعلم^(١٠).

(١) هـ، م: الاعتزال.

(٢) ب: والاعتصام بنبيه.

(٣) ك: رموه.

(٤) هـ، م، ب، ع: الإرفاق.

(٥) ك، ب: أمراً (بالنصب).

(٦) هـ، م: تلبثوا.

(٧) هـ: مشيئته.

(٨) هـ، ع: نافذة (بالدال المهملة).

(٩) ب: بمخلوق، وزاد في ك بعدها: وفيه والكلام مستقيم بدون هذه الإضافة.

(١٠) زاد في ب قوله: بما أراد.

سورة التغابن

٣٤٥ - الآية الأولى منها قوله تعالى :

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (١).

وقال تعالى بعد (٤) : ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن تكرار «ما» في أول السورة وتركها في الآية بعد (١) وهل كانت الفائدة تحصل بعكس ذلك؟

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن الآيتين معاً قصد بهما الاستيفاء والإحاطة بكل المسبحين ، وما أحاط به علمه سبحانه وقد اقترن بالآية الثانية واتصل بها قوله سبحانه : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ ، فحصل من ذلك إحاطة علمه سبحانه بما ظهر وما بطن وما اشتملت عليه السموات والأرضون [٢٢١/ و] فلما اقترن بهذه الآية ما يعطي إحاطة علمه سبحانه بجزئيات ما في الجملة ، وأنه لا يغيب عنه شيء ، لم يحتج في قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، إلى إعادة «ما» ، لأن ذلك كان يكون كالتكرار الذي لا يحرز معنى .

وأما الآية الأولى ، فلم يقترن بها ما يعطي ذلك ملفوظاً به ، مع أنه قد قصدت الإحاطة ، فلم يكن بُدُّ من إعادة «ما» استئناف إحصاء وتأكيد (١) فلا (٢) يلائم كل (٣) من الموضعين إلا ما ورد فيه .

(١) ك : بعدها - هل .

(٢) هـ : احصاء وتأكيداً ، ك : استئناف أيضاً وتأكيداً (هكذا) .

(٣) ع : ولا .

(٤) ك : كلا .

٣٤٦ - الآية الثانية^(١) من سورة التغابن قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٩).

[وقال في سورة الطلاق (١١) : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾]^(٢).

للسائل^(٣) أن يسأل عن زيادة^(٤) : ﴿ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ﴾ في سورة التغابن ولم يرد في سورة الطلاق مع أن المقصود واحد في الآيتين .

والجواب عنه - والله أعلم - أنه لما تقدم في سورة التغابن قوله تعالى مخبراً عن المكذبين : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ﴾^(٥) . وقول الله تعالى لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾^(٦) ثم قال تعالى : ﴿ فَأَمْسُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾^(٧) وبين أنه تعالى لا يخفى عليه شيء^(٨) في الأرض ولا في السماء من أعمال المكلفين ، وأن المنبأ به كل أعمالهم من غير فوات شيء . ثم ذكر تعالى جمعهم ليوم الجمع ثم أنس المؤمنين فقال : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ ، وفي قوله : ﴿ وَيَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ ، إشارة إلى أن المؤمنين الموعودين^(٩) هنا ليس من شروطهم استيفاء أعمال الطاعات إذ يحرز التنكير في قوله : ﴿ وَيَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ ويشعر بهذا المعنى . وما لم تكن العصمة فالتقصير^(١٠) حاصل ولا انفكاك عن

(١) ما بعده إلى التغابن محذوف من ب .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من جميع النسخ ، وما اثبتناه من إشاراته في شرح الآية .

(٣) ع : للسائل .

(٤) ب : صيغة السؤال (يقال ما وجه زيادة . .) .

(٥-٧) التغابن / ٨٤، ٧ .

(٨) إلى قوله : «ولا في السماء في م فقط» .

(٩) ع : الموعودين ، وهي عكس المعنى المطلوب ، لأنها اسم معمول من «أوعده» في صيغة اجمع .

(١٠) هـ ، م ، ب ، ع : والتقصير .

مجترحات - وقد سمع المؤمن - ﴿لَتَتَّبِعُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ ، فأشفق عن قصيره وهناته ، وتوقع مخوف سيئاته ، وتشوف^(١) إلى تعرف تفصيل الحال في المنبأ به من الأعمال ، ليعلم المآل . فجووب على الكمال بكيفية ما به يقابل أعماله ، فقيل : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ ، إذ لا بد من محتاج إلى تكفيره إذا^(٢) كانت السلامة ، وسبقت السعادة . ثم قال : ﴿وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ إلى آخر الآية .

فهذا وجه زيادة قوله تعالى : ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ في هذه الآية . ويشهد لهذا المفهوم قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾^(٣) ، إلى غيرها من الآيات .

وأما آية الطلاق [٢٢١/ ط] فلا داعي فيها إلى زيادة قوله : ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ ، بل سياقها يستدعي ألا يكون ذلك فيها ، لأن قبلها : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٤) والأمر بالتقوى يعم ولا يخص . ثم قال تعالى : ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا . رَسُولًا﴾ - إلى قوله - ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٥) ، فأشار إلى النمط الأعلى من المؤمنين المستوفين أعمال الطاعات أشار إلى ذلك لمط : ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ بالالف والسلام^(٦) ، ثم قال : ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٧) ، أي من الظلمات كلها إلى النور التام . وهذه حال المؤمنين^(٨) المخلصين المحسنين من المستجيبين^(٩) ثم تدارك تعالى من لم يبلغ حال هؤلاء

(١) م ، ب : تشوق ، ع : وتشوفه .

(٢) هـ ، م : إذ .

(٣) الأنبياء / ٩٤ .

(٤) الطلاق / ١٠ .

(٥) الطلاق / ١٠ ، ١١ .

(٦) يريد أداة التعريف الجنسية الاستغرافية الدالة على جميع أفراد الجنس وما تحته من أنواع .

(٧) آية / ١١ .

(٨) في ب : فقط .

(٩) الحار والمحروور محذوفان من ك .

من المؤمنين ولحق بهم في النجاة؛ فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ فناسب حال المتقدمين من ذوي الإحسان ألا يقع إفصاح يشعر بعصيان، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم. فوقع الاكتفاء بإيماء: ﴿وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾ وقوله: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾، وقوله: ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾^(١). فجاء كل من الآيتين على ما يلائم ويناسب، ولم يكن ليلائم^(٢) ورود العكس.

سورة الطلاق

٣٤٧ - قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (٢، ٣).

ثم^(٣) قال بعد (٤): ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾.

ثم قال بعد (٥): ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.

للسائل أن يسأل عن تكرار^(٤) الأمر بتقواه تعالى أثناء^(٥) ما ذكره^(٦) سبحانه وتعالى من الطلاق والعدة وما يرجع اليهما، وعن وجه تخصيص هذا العدد، والجزاء على ذلك بقوله في الأولى: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، وفي

(١) الطلاق / ١١. والاكتفاء هو الاختصار من كلمة على بعضها، أو من كلام على جزء منه. وهو بقسمه بدر الوقوع في كلام العرب. وبروي علماء البلاغة من هذا قول النبي ﷺ: «كفى بالسيف شاه أي شاهدا. وقد أكثر من الاكتفاء لمتأخرون في الشعر والنثر.

(٢) ك: ليناسب.

(٣) إلى آخر الآية سافط من م، ب، ع.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه تكرار الأمر.).

(٥) ك: أما.

(٦) ك، ب: ذكر.

الثانية: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، وفي الثالثة^(١): ﴿يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا﴾.

ويمكن أن يجاب عن ذلك - والله أعلم - بأن الأوامر التي دارت عليها هذه السورة، وبنيت عليها ثلاثة:

الأول: الأمر بالمحافظة على إيقاع الطلاق، لما ضمت إليه الضرورة في وقته لاستقبال العدة حتى لا يقع إضراراً بالمطلقة بتطويل عدتها.

والثاني: الأمر بإحصاء العدة والمحافظة عليها وألا تخرج المعتدة من بيتها، حيث وقع عليه الطلاق ولا تثبت عنه، إلى ما يرجع إلى هذا.

والثالث: إنفاذ ما يقع الاعتماد عليه من إمساك ومعارقة، من حسن الصحبة وجميل العشرة [٢٢٢/و] إن اعتمد الامساك، أو الامتناع^(٢) والتلطف رعيًا لما تقدم من الصحبة إن عول على المعارقة. فعلى هذه القصايا الثلاث بناء هذه السورة وعلى الوعظ في ذلك والتأكيد بالتزام تقوى الله والتزام ما حذر سبحانه فيما ذكر ولرعي هذه الأوامر الثلاثة^(٣) ما ورد الإخبار بحزاء من اتقاه سبحانه في ثلاث كرات فبإزاء أول قصة من أوامر السورة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾، أي في إيقاع الطلاق في محله ووقته كما أوضح صلى الله عليه وسلم في قصة عبد الله بن عمر المشهورة^(٤)، ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ بحكمه نفسه إن لحقه ندم؛ كما قال تعالى:

(١) ب: الثانية.

(٢) هـ. أو بالامتناع الاعتماد والتلطف، ك، ب، ع: أو بالامتناع، م: أو بالامتناع.

(٣) ب، ع: ثلاث.

(٤) يشير إلى سبب نزول الآية الأولى من سورة الطلاق، لما أن طلق عبد الله بن عمر زوجته في حيضها

ولم يكن للنساء في الجاهلية عدة فأمر النبي ﷺ عمر أن يأمر ابنه بمراجعتها حتى تحيض ثم تظهر فإن شاء راجعها وإن شاء طلق قال: «مرة فليراجعها ثم ليدعها حتى تظهر، ثم تحيض حيضة أخرى، فإذا

ظهرت فليطلقها قبل أن يجامعها أو يمسكها فإنها العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء. وقد روى

الحديث الشيخان من حديث ابن عمر، في ستة عشر طريقاً. انظر: البخاري ٥٢/٧، ٥٣، مسلم

٣/٦٦٧-٦٥٩ / أرقام ١٤-١ كتاب الطلاق، أسباب النزول / ٢٨٩، أحكام القرآن للقرطبي

١٨/١٤٨-١٥٧، ولبس العربي ٤/١٨١١-١٨١٧، ونلحصاص ٣/٤٥٢، ٤٥٣.

﴿ لَا تَذَرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾، أي من تغلب الأحساب وصيرورة
البغض وُداً فيجد السبيل إلى المراحة سهلاً بالتزامه الوجه الجاري على السنة،
وأخذه بالطاعة فيشرح صدره بتيسير أمره ويكثر رزقه بتقوى الله، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾. ومن يتق الله في صبره أيام العدة
على ما يلزمه من نفقة، وسكنى حيث يلزم ذلك. وإن طالَّت الأيام فكان طولها مع
ما يتكلفه فيها مظنة للضجر^(١) وكرب النفس فإذا اتقى الله تعالى في ذلك يسر عليه
تلك المشقة، وقرب عليه أمرها. وإن بُعدت الشقة - وأنسه في وحشتها، وجعل له
من أمره يسراً. فإذا اتقى الله عند تمامها والإشراف على^(٢) انفصالها وأخذ بالسنة،
واتقى الله فيما يختاره تعالى له ويقضيه من إمساك أو فراق فيلتزم المعروف إن
مسك، ويتبع كل سيئة جرت حال طلاقه وعضبه من قبح كلام أو قصد مصرة وإن
كان نادر في إمام أو إساءة معاملة توافر المحاملة والمكارمة بحسب تقابلها ونحوها
من إظهار التندم وطلاقة البشر والإغصاء عن كل ما جرى أيام المنافرة ويستبدل
المناقشة بالمياسرة. فإذا فعل هذا واتقى الله في ذلك كفر عنه سيئاته، وأعظم أجره
حزاء وفاقاً، لأعماله في ثلاثة أحواله. فورد بإزاء كل مرتكب في تلك الأحوال ما
يناسب جزاء على تلك الأعمال. ويشهد لما تمهد من جزاء تقوى لله سبحانه في
تلك الحالات ما أفصح به ما بعد الآيات. قال تعالى: ﴿ أَمْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ [٢٢٢/ ض] وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ
حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ - إلى قوله سبحانه - ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ
بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾^(٣). وتأمل جزئي هذه الأوامر والوصايا الجليلة وما تشير^(٤) إليه من
الاشتقاق وجميل النجمل والإنفاق^(٥) مع ما تقدم تجده جارياً على واضح
التناسب، وأجل الالتئام، والله أعلم بما أراد.

(١) هـ، ب، م، ع: للشجر.

(٢) هـ، م، ب، ع: عن.

(٣) الطلاق/ ٧، ٦.

(٤) هـ، م، ب، ع: ما تشير - بلا وار.

(٥) ك: الإفاق.

سورة الملك

٣٤٨ - قوله تعالى :

﴿ أَمِنتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ كَانَ نَذِيرٌ ﴾ (١٦ - ١٧) .

للسائل أن يسأل عن وجه تقديم^(١) التوعّد بخسف الأرض على التوعّد بإرسال الحاصب^(٢) من السماء ، ولم يختير تقديم الوعيد بالخسف وما الفرق بين الوارد هنا والوارد في قوله : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾^(٣) .

والجواب - والله أعلم - أنه لما تقدم ما اتصل به التوعّد من قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾^(٤) ، فحضر في النفوس عند ذلك وتقرر بذكره هذه النعمة ، وحليل الامتنان بها شاهداً حاصراً للمتذكر ، وعليها قراره حال تذكره وتنعمه بالتقلب فيها حين خطابه متصلاً غير منفصل ، وملتصقاً غير متباعد ، كان أنسب شيء لهذا في الموعظة تذكيره بإيقاظاً^(٥) بحميعها من تحته حتى كان ذلك الأمر جاء^(٦) منه لا من خارج عنه .

أما آية الأنعام فتقدمها قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾^(٧) ، فصرف هذا الخطاب تفكر النفس في عين الجهة التي ذكر منها القهر ،

(١) ب : صيغة السؤال (يقال ما وجه تقدم . .) .

(٢) ك : الحاصب .

(٣) الأنعام / ٦٥ .

(٤) الملك / ١٥ .

(٥) ب : إيقاظها ، م ، هـ : اتعاطاً ، ك : بخسفاً من تحنها .

(٦) ك : حاف عنه .

(٧) الأنعام / ٦١ .

وكان أنسب شيء ذكر التخويف من تلك الجهة بخلاف آية الملك. فكل آية من هاتين الآيتين تبين حال الأخرى، وإن التناسب إنما هو فيما وردت عليه كل آية منها، وإن العكس غير مناسب، والله أعلم.

سورة القلم

٣٤٩ - قوله تعالى:

﴿ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مُهِنٍ هَمَّازٍ مُشَاءٍ بَنِيمٍ ﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿ إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ (١٠ - ١٦).

وقال في سورة المطففين (١١ - ١٤): ﴿ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بَيَّومِ الدِّينِ ﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ - إلى قوله - ﴿ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾. كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.

للسائل أن يسأل عن التعقيب^(١) في الأولى بقوله: ﴿ سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾، وفي الثانية بقوله: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ [٢٢٣/و] مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾، مع اتحاد وصف من أعقب بهذا المعقب حاله، وحكى^(٢) مقاله، وهل كان يحرز تعقيب آية سورة القلم^(٣) بما أعقب به آية التطفيف وآية التطفيف بما أعقب به آية القلم؟

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن آية القلم نزلت في شخص بعينه قيل هو الأخنس بن شريق، وقيل الوليد بن المغيرة وكان مظهراً لعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القاتل: ﴿ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾^(٤)، وكان من أكثر قريش مالا

(١) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه التعقيب . .).

(٢) ك: وحال.

(٣) ما بعدها إلى آخر السؤال محذوف من ك.

(٤) الأنعام/ ٩٣.

وولداً فلهذا قيل : ﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾^(١) وهو القائل يوم موت إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم : أصبح محمد أبتراً^(٢) أي لا ولد له فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾^(٣) . والثاني المُبَغَضُ وأسلم ولده فقطعهم الله بالإسلام عنه ، فكان هو الأبتَر كما أخبر الله نبيه ، وصار أولاده في عداد المسلمين الذين هم أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأزواجه أمهاتهم .

ففي هذه أنزلت الآيات من قوله : ﴿ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مُهِينٍ هَمَّازٍ مُشَاءٍ بِنَمِيمٍ مِّنَّا لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ - إلى آخرها^(٤) . فأغنى استيفاء صفاته المذمومة عن تعيين اسمه بقوله : ﴿ سَتَسِمُ عَلَى الْخَرْطُومِ ﴾ ، إخبار عنه تعالى بأول عقاب ينزل بعدو^(٥) الله تعالى المذكور . والخرطوم الأنف ، فكان ذلك يوم بدر . فهذا وعيد بخاص معين ، نزل به معجله ، ولعذاب الآخرة أكبر .

وأما آية التطفيف فليست في مُعَيَّنِينَ^(٦) بغير مرتكباتهم . قال تعالى : ﴿ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ ﴾ ، أي بيوم الدين ، وهو يوم الجزاء ﴿ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ مكذب بالوحي ، ﴿ إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ، فقال تعالى : ﴿ بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ، أي أن المانع لهم عن فهم الوحي والعلم بأنه مُنْزَلٌ من عند الله ما غطى على قلوبهم وغشأها من الرِّين وهو ما يغشى القلب ويمنعه من الوصول إلى ما ينفعه . وأعاد الضمير في قلوبهم على المعنى من حيث إن المراد هنا جميع [مَنْ] وقع عليهم ﴿ كُلُّ ﴾ ، بخلاف^(٧) آية القلم ، فإن كلا فيها

(١) القسم / ١٤ .

(٢) م ، ك ، ب : ابترا - لا (هكذا) .

(٣) الكوثر / ٣ .

(٤) أخرج ابن أبي حاتم عن السُّدِّي أنها نزلت في الأخنس بن شريق . وعن مجاهد أنها نزلت في الأسود بن عبد يغوث . وحكى الكرماني أنها نزلت في الوليد بن المغيرة . انظر : مبهمات القرآن / ٤١ ، الباب / ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٥) عبارة م ، ب : بعد ابنه المذكور (هكذا) .

(٦) ك : مُعَيَّنِينَ .

(٧) ك : بخلاف .

واقعة على مفرد، وعبر بكل ليفهم^(١) المقصود بذلك المراد ومن كان على صفته، إبلاغاً في ذمه، والضمير في ﴿سَنَسِمْهُ﴾ لمفرد كما تقدم. ولفظ ﴿كُلُّ﴾ مطابق بمعناه وقد تبين أنه لا يصح في كل موضع من السورتين إلا ما وقع به التعقيب. فلا يناسب آية القلم ما أعقبت به آية سورة التطهيف، ولا آية التطهيف ما أعقبت به آية القلم. وأن كل آية منها أعقبت بما هو مناسب لا يلائم غيره، والله أعلم [٢٢٣/ظ].

سورة الحاقة

٣٥٠ - قوله تعالى:

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ. وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٤١، ٤٢).

للسائل أن يسأل عن الوجه في نفي الإيمان^(٢) عنهم عقب تنزيل ما جاء به صلى الله عليه وسلم من القرآن عن أن يكون شعراً، ونفى التذكر عقب تنزيهه عن أن يكون من قبيل قول الكهان.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن نفي كون القرآن من أقوال الكهنة أمر لا يحتاج إلى كبير نظر^(٣)، ولا استعمال طول فكر، بل يوصل إلى ذلك بأدنى التفات، فناسب هذا نفي التذكر^(٤). وأما تنزيهه عن إلحاقه بقبيل الشعر وما يرجع إلى نحو ذلك من أقوال الخطباء وأصحابهم، فقد يتوهم الجاحد الظلوم المتعامي عن النظر وصرف التفكير إلى تدبره^(٥)، والإصغاء إلى سماعه، المترامي إلى التعلق بأدنى

(١) ك: النعم، ع: ليعم.

(٢) ب: صيغة السؤال (يقول ما وجه نفي الإيمان...).

(٣) إ: قوله: نفي التذكر ساقط من ك.

(٤) في ك فقط ونقية النسخ: التذكير.

(٥) هـ، ع: نظيره، ب: نظير.

شبهة يستريح إليها، رُجوعه إلى ذلك، فناسب هذا نفي التصديق؛ لأنه إنما يكون عن رُكون^(١) إلى نظر. فجاء كل على ما ياسب، والله أعلم.

سورة [المعارج، و] نوح عليه السلام

٣٥١ - وقد تقدم ما في سورة المعارج. وقوله في سورة نوح^(٢):

﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ (٢٤).

وبعده (٢٨): ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾.

للسائل أن يسأل عن وجه^(٣) اختلاف ما دعي به نوح عليه السلام على قومه في الموضوعين.

والجواب عن ذلك أن نوحاً عليه السلام لما ذكر أولاً في إخبار الله سبحانه عنه عصيان قومه له، وقولهم: ﴿ لَا تَذَرُنْ آلِهَتَكُمْ ﴾، أي: لا تتركوها^(٤)، ﴿ وَلَا تَذَرُنْ^(٥) وَدًا وَلَا سَوَاعًا ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾^(٦). أردف هذا بما يناسبه من الدعاء في زيادة ضلالهم ولم يدع هنا بهلاكهم.

وأما الآية الثانية فقد تقدمها دعاؤه عليه السلام بهلاكهم وأخدهم في قوله: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرُنْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾^(٧). فأتبع ذلك بما يناسبه تعالى: ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾، أي هلاكاً.

(١) ك: تكون.

(٢) إلى هنا محذوف من ب وفي موضعه: قوله تعالى.

(٣) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه اختلاف . . .).

(٤) هـ، ب، م: لا تتركوها.

(٥) بدل ولا والفعل، في ب: إلى قوله: ﴿ ودا ولا سواعا ﴾.

(٦) نوح / ٢٣، ٢٤.

(٧) نوح / ٢٦.

سورة الجن^(١)

٣٥٢ - (غ) قوله تعالى :

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ (٢٦) .

للسائل^(٢) أن يسأل عن قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ غَيْبِهِ ﴾ بإعادة الظاهر مضافاً إلى الضمير^(٣) ، هل ذلك من قبيل ما تكرر العرب لتفخيم الأمر وتعظيمه ، كما قال قائلهم^(٤) :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا نَعَصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

وقال تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ . مَا الْحَاقَّةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾^(٥) ، وقال تعالى : ﴿ الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ ﴾^(٦) ، فيكون قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ غَيْبِهِ ﴾ ، واقعاً موقع عليه ، وتكون الآية على هذا مثل قوله : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٧) ، وما ورد من مثله ، وهو الذي يقتضيه [٢٢٤ / و] قوله تعالى في مطلع هذه الآية : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ فلا يكون بين الآي الواردة في هذا المعنى خلاف ويكون محمّل جميعها على العموم أم يراد بهذه الخصوص لم يرد بسواها من الآي الأخرى ، وإن كان داخلاً تحت عموم تلك الآي .

والجواب - والله أعلم - أن هذه الآية مراد بها ما انفرد سبحانه بعلمه ولم يُطْلَع عليه أحداً من خلقه . ولا يُظْهِرُ سبحانه عليه إلا من ارتضى من رسله مع سلوك الرصد من الملائكة بين يديه ومن خلفه حفظاً لغيبه تعالى من مُسْتَرَقٍّ سَمْعٍ أو

(١) قال في الدرّة / ٣٧٩ : وليس فيها شيء من ذلك .

(٢) هـ ، م : سائل .

(٣) ب : صيغة السؤال (يقال ما فائدة الضمير في قوله ﴿ عَلَىٰ غَيْبِهِ ﴾ إلى الضمير؟ هل ذلك . . .) .

(٤) مر نحرّيج البيت في الآية رقم / ٣٣٤ .

(٥) الحاقة / ١-٣ .

(٦) القارعة / ١ ، ٢ .

(٧) السمل / ٦٥ .

مستطلع . فهذا غيب لا سبيل لأحد من الخلق إليه^(١) على مقتضى الآية لا بتكهن ولا بتنجيم ولا زجر، ولا غير ذلك . وهو كوقوع الساعة وتجليها لوقتها، إلى غيرها من غيوب استأثر سبحانه بها، ولم يُعلم أحداً^(٢) لشيء^(٣) منها مائة^(٤) فيتشوف مخلوق إلى تعرف وقت شيء منها، أو كيفيه ظهور، أو هيئته، أو غاية، إذ لولا الإخبار الصديق بمائة^(٥) الساعة لما وقع من أحد من العالم تشوف إلى تعرفها قيامها^(٦) ولا تكنا لنعلم ما الساعة، وإذا لم نعلم مائة مغيب^(٧) ما، لم نتشوف إلى تعريف ما هو تابع للماهية . فلهذا ضاق عنها نطاق التمثيل حتى أوهم كلام بعض الجلة أن المراد بهذا الغيب الذي استأثر سبحانه بعلمه إنما هو غيب^(٨) الساعة وأن ما سواها يمكن الوصول إليه بالكهانة والتنجيم والالهام وغير ذلك . ولو أن هذا القائل أراد ظاهر ما سبق من كلامه لما سئل له، لأنه لو لم نسمع باسم الساعة، لعجزنا عن تعرف موجود مقدر الوقوع يسمى بهذا الاسم . فالذي يجب أن يهمهم عن هذا القائل أنه يريد أن الله سبحانه غيوباً لا تحصى لا يظهر عليها أحد من خلقه على مقتضى هذه الآية الخاصة بهذا، المجردة له . ومن نحو هذا ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾^(٩) وإذا أظهر تعالى شيئاً من هذا الغيب، فإنما يدركه الخلق، أو من شاء الله منهم بعد ظهوره وكيانه، فيعلم إذ ذاك [أنه] قد كان هذا الطاهر في غيبه الذي انصرد به عن خلقه، لم يعلم أحد من الخلق [له]^(١٠) ماهية إلا بعد ظهوره، وما غاب عن الخلق أكثر . هذا - والله أعلم -

(١) ب : عليه .

(٢) ب ، ع : أحد (بالرفع) .

(٣) في ك فقط وبقية النسخ شيء .

(٤) ساقطة من ب .

(٥) م : بمائة (؟) ، ع : بأية .

(٦) ساقطة من ك .

(٧) هـ ، م ، ب ، ع : بمغيب .

(٨) ك : علم .

(٩) البقرة / ٢٥٥ .

(١٠) جميع السح : لها .

هو المراد بهذا الغيب المذكور هنا، وعليه يحمل ما قدم عرض ذكره، وأن أوهم من حيث حصر التمثيل أنه غيب الساعة خاصة، وهو لا بد لم يرد ذلك، وإنما أراد غيب الساعة [٢٢٤/ ظ] وما كان مثله مما لم تذكر له ماهية، فلم يكن التمثيل كما تقدم إلا بما أعلمنا بماهيته فصيح السؤال عنه، وهو^(١) أمر الساعة. فهذا - والله أعلم - ما يمكن أن يقال أنه الذي تجردت له آية سورة الجن.

وأما الوارد في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وما ورد من مثله فليس بخاص، بل هو على إطلاقه وعمومه، ومصرف المنع إلى الإحاطة والاستيفاء والتيقن وحصر جزئيات المعلومات، فلا يعلم ذلك علم استيفاء وإحاطة إلا الله تعالى^(٢)، فهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً. ثم لا يمتنع إظهاره^(٣) سبحانه من شاء من خلقه - ممن غير الرسل - على ما شاء مما أشير إليه، ولا يتجزأ [ما] اطلعتم عليه مما عنده سبحانه ويدخل تحت هذا العموم العلم الذي استأثر سبحانه بعلمه، وانفرد به دون خلقه إلا أن حكم ذلك على ما تقدم وتقرر. ومن نحو العموم الواقع هنا قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤) فهذا كقوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٥)، فملك السموات والأرض له سبحانه لا شريك له في ذلك. ثم قد قال تعالى: ﴿قُلْ أَللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾^(٦) وأعلمنا سبحانه أن نبيه سليمان^(٧) عليه السلام طلب ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وآتاه الله ذلك وليس ما أوتيته هذا النبي الكريم جزاء^(٨) له على نسبه إلى

(١) ك: أما أمر.

(٢) هـ، ع، ب: سبحانه.

(٣) ك: عدد يمتنع إظهاره.

(٤) آل عمران/ ١٨٩، المائدة/ ١٧، ١٨، النور/ ٤٢، الجاثية/ ٢٧، الفتح/ ١٤.

(٥) زاد هنا من الآية في ك: ﴿وَاللَّهُ يَرْجِعُ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾.

(٦) آل عمران/ ٢٦.

(٧) في ك فقط. والمؤلف يشير إلى الآية/ ٣٥ من سورة ص.

(٨) ك: جزاء له نسبة إلى ملك الله تعالى (هكذا).

ملك الله سبحانه. ولا يمكن توهم ذلك. وإذا كان ما^(١) أوتي سليمان^(٢) عليه السلام هذه حاله، فكيف ما أوتي غيره مما لا يبلغ معشار ما أوتي سليمان عليه السلام، فكذا الأمر في الغيب، فلا يعلم غيب السموات والأرض على ما هو علم إحاطة وتفصيل إلا هو سبحانه، ثم يطلع من شاء من خلقه على ما يشاء من ذلك، ولا يتجزأ ما أطلع عليه الكل من نبي ومن سواه مما لم يطلعهم عليه. ثم إن ما عند من سوى الأنبياء والمصطفين^(٣) من العباد، لا يعلم أنهم تيقنوا^(٤) ذلك^(٥) وإذا^(٦) لم يكن علمهم علم تيقن وتحقيق، فإطلاق اسم العلم عليه مجاز بل هو ظن وإن قوي، وإذا لم يصحبه اليقين، ولا الاستيفاء، ولا الإطالة بالجزئيات فالمتصف به ليس بعالم غيب على الحقيقة. وبهذه^(٧) الصيغة القاصرة، هو العلم الموجود عند الكهان^(٨) وغيرهم ممن لم يستمد من الوحي ولا تسلمه الشريعة [٢٢٥/و] فنفي^(٩) الاتصاف بعلم الغيب عن عري عن اليقين، أي: من لم يحيط علمه بجزئيات ما يعلمه، أو لم يستوفه وحده واضح. والإطلاق بأنه ليس عالماً بالغيب إطلاق صحيح. ثم إن القول بأنه مخبر بغيب وبعض تفاصيل عن مغيبات غير معارض ولا مناقض فلا يلزم على ذلك إعتراض بعلم «شيق وسطيع»^(١٠)، وما أخبرا به، لأنهما وإن أخبرا بعجائب وتفاصيل فقد فاتهما غير ذلك من جزئيات في

(١) وكان ماء: في ك فقط.

(٢) في ك فقط.

(٣) ع: المصطفين - (بلا واو).

(٤) في ك فقط وبقية النسخ: يتيقنوا.

(٥) ساقط من م.

(٦) ك: فإذا.

(٧) م، ع: وهذه.

(٨) في ك فقط وبقية النسخ: الكفار.

(٩) في ك فقط وبقية النسخ: فبقي.

(١٠) شيق وسطيع من الكهان البارزين في الجاهلية. كانا مضرب المثل في الأخبار بالمغيبات وكانا يخران بظهور النبي ﷺ واليهما رجع كسرى في معرفة علامات ظهوره عليه السلام انظر: إعرار القرآن للباقلائي/ ٢٨٧، دلائل النبوة/ ٤٢.

معلومهما الذي أحبر به ، لم يخيرا بها ، ولا أخطأ بعلمها وكذا غيرهما من الكهان والمنجمين . فقد وضح مجمل^(١) آيات العموم .

وأما آية سورة الجن فمَحْمِلُهَا^(٢) على الخصوص كما تقدم . ومما يزيد ذلك وضوحاً ، ويعضد ما قدمنا من المفهوم في الضربين أن الله سبحانه لما ذكر المغيبات الخمس فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ - إلى آخرها^(٣) . ومما يزيد ذلك وضوحاً ، ويعضد ما قدمنا من المفهوم في الضربين أن الله سبحانه لما ذكر المغيبات الخمس ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ وعبارة «عند» تقتضي بوضعها خصوصاً وقرباً وتمكناً . وكذا أورد تعالى هذا الإخبار حيث تكرر فقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ﴾^(٤) ، وقال تعالى بعد : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٦) ، ﴿ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٧) فحري هذا الاخبار مقيداً بعبارة «عند» حيث تكرر ولم يشترك معها في آية لقمان ما لا ذكر بعدها في الدخول تحت حكم «عند» وما تقتضيه من الخصوص ؛ بل قال تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ إلى ما بعد فتفصل هذه الاخبار والتفصيل في نظم الآية يفهم معنى التساوي . ولا شك أن عدم اعتبار الجزئيات في تركيب الألفاظ يؤدي الى عدم فهم ما انتظم منها .

فإن قيل : [إن ما^(٨)] ورد بعد ذكر الساعة من قوله تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾ -

(١) ب : عل .

(٢) ب : جعلها ، هـ ، م ، ع : مجملها .

(٣) لقمان / ٣٤

(٤ - ٥) الأعراف / ١٨٧ .

(٦) يونس / ٤٨ .

(٧) الملك / ٢٦ : وراد في ك من الآية : ﴿ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾

(٨) جميع النسخ : إنما .

إلى ما بعد مفصلاً من حكم «عند» ليعلم التكرار؛ إذ المعلوم أن تكرار نزول الغيث مهما كانت الحاجة إليه هو عين الإنعام والإحسان إلى العباد. فلهذا ورد بلفظ ما يقتضي التكرار وهو لفظ المستقبل من الفعل فأحرز بذلك هذا الإنعام العظيم والتذكير به، فهو كالوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ [ظ/٢٢٥] وَيَقْبِضْنَ﴾^(٢). وهذا كثير فلاحرازه^(٣) ورد تفصيل الأخبار.

قلت: قصد هذا المعنى بين الإمكان فإحراز «عند» ما تقتضيه من معناها كذلك ولا تعارض بين المقصدين، والإيجاز مقتض حصول المعنيين فجيء بما يحرزهما بأوحز لفظ، وأبلغ عبارة والله أعلم.

فإن قلت: فإن التعبير بعند قد ورد في ذكر ما ورد من الضرب العام من الغيب قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(٤) وهي استعارة عبر بها عن التوصل للغيوب، كما يتوصل في الشاهد بالمفاتيح إلى الغيب عن الإنسان مما لا يصل إليه من ليست عنده مَفَاتِحُهُ، وقد دخل ذلك تحت حكم «عند» ومقتضاها من الاختصاص مع أن الآية لم يزد لها خصوص عدم الساعة على ما تقدم.

فالجواب أن هذا مما يزيد ما تقدم وضوحاً، إذ قد تقدم قبل أن الوارد من ذكر الغيب في كتاب الله العزيز ضربان:

أحدهما^(٥): خاص وهو المراد في سورة الجن، وأنه لا مطمع لأحد من الخلق في الوصول إلى شيء منه على ما مر في ذكر الآية. والثاني عام على ما تقدم

(١) ص/١٨.

(٢) الملك/١٩.

(٣) هـ، م: ولا حرازه.

(٤) الأنعام/٥٩.

(٥) في هامش ك: «انظر تقسيم الغيب، وأنه قد يطلق على بعض منه» ص.

والوصول إلى علمه علم استيفاء. وحصر وإحاطة بجزئياته مقدوراً^(١)، وغاية،
وتيقناً لذلك كله جملة وتفصيلاً ممنوع؛ فهو لاحق من هذه الجهة بخصوص
الضرب الأول فلا يحيط بعلمه على ما تبين إلا الله سبحانه. فحق لهذا الضرب إذا
أريد به ما ذكرناه الدخول تحت حكم «عنده»، وهو المراد بهذه الآية. ألا ترى أنها
مفصحة بذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا
يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢).
فقد وفّت هذه الآية بتفاصيل المغيبات وحصرها والإحاطة بها بكل جهاتها، ولا
يعلمها على ذلك إلا الله سبحانه. ولتتبع هذا بكلام من تعرض لبسط المراد من
آية^(٣) سورة الجن فأقول وقع في التفسير المنسوب لفخر الدين أبي الفضل بن
الخطيب - رحمه الله - بعد تقرير مفهوم آية سورة الجن وأن المراد بها ما قدم من
التخصيص. فقال في رده على الزمخشري ومن قال بقوله في إنكار كرامات الأولياء
واستحاراه مع ذلك إنكار التكهن والتحيم وما يرجع إلى هذا. ودعواه أن هذا نص
القرآن، تعلقاً بهذه الآية^(٤). فقال أبو الفضل بن الخطيب راداً على ما ذكرت:
واعلم أنه لا بد من القطع بأنه ليس مراد [٢٢٦/و] الله من هذه الآية أنه لا يطلع
أحداً على شيء من المغيبات إلا الرسل بدليل ما ثبت بالأخبار القريبة من المتواتر
أن شيقاً وسطيحاً كانا كاهنين وإخبارهما بظهور نبينا محمداً^(٥) صلى الله عليه
وسلم، وتعيين زمانه، وشهرتهما بهذا العلم؛ حتى رجع إليهما كسرى في تعرف
أخبار نبينا صلى الله عليه وسلم، فثبت أنه تعالى قد يطلع على ما يشاء من الغيب
غير المرسل.

ودليل ثان: وهو أن جميع أرباب الملل والأديان مطبقون على صحة التعبير
وأن المعبر مخبر عن وقوع الأشياء الآتية في المستقبل فتقع كما أخبر.

(١) ك: مقدراً.

(٢) الأنعام / ٥٩.

(٣) مخلوطة من ك.

(٤) راجع الكشف ٢٧٩ / ٣.

(٥) ب: نبينا ومولانا محمداً.

ودليل ثالث: وهو أن الكاهنة البغدادية^(١) التي نقلها^(٢) السلطان سنجر بن ملكشاه^(٣) من بغداد إلى خراسان، سألها عن الأحوال الآتية في المستقبل، فذكرت^(٤) ما وقع على وفق إخبارها. قال أبو الفضل بن الخطيب - رحمه الله - وأنا قد رأيت أناساً محققين^(٥) في علوم الكلام حكوا عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة إخباراً على سبيل التفصيل، وجاءت تلك الوقائع على وفق خبرها. قال: وبالحق أبو البركات في كتاب «المعتبر» في شرح حالها وقال: تفحصت عن حالها مدة من ثلاثين سنة حتى تيقنت أنها كانت تخبر عن المغيبات إخباراً مطابقاً.

ودليل رابع: أننا نشاهد أصحاب الإلهامات الصادقة وليس هذا مختصاً بالأولياء، بل قد يوجد في السحرة من يكون كذلك ونرى الأخبار النجومية قد تكون مطابقة موافقة للأمور. وإن كانوا قد يكذبون في كثير منها. وإذا كان ذلك مشاهداً محسوساً فالقول بأن القرآن مما يدل على خلافه؛ مما يجزئ إلى الطعن في القرآن وذلك باطل. فعلمنا أن الأولي الصحيح ما ذكرناه، والله أعلم. ونشير إلى ما قدم قبل كلامه هذا وهو أن قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِ﴾ ليس فيه عموم، فيكفي في مقتضاه ألا يُطْلِعَ سبحانه، ولا يظهر خلقه على عيب واحد^(٦) من غيوبه؛ فيُحْمَلُ

(١) هـ، ب - العدادية - بالذال وهو حنث. يُقال: بغداد، وبغداد بالذال، والذال.

(٢) ك: قنتها.

(٣) ك: ما كناه. والسلطان سحر بن ملكشاه هو محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي، الملقب بمغيث الدنيا والدين. حلف أباه في السنطة بالري سنة ٥١١ هـ أواخر أيام المستظهر بالله العباسي وهو في سن الخمس. وقد انتهز ووزراؤه فرصة صفر سنة فأساءوا تصرف أمور الدولة وأتوا بكثير من المفاسد. وكان السلطان سنجر قوي المعرفة باللغة العربية، حافظاً للأشعار والأمثال والتاريخ والسيرة كما يقول العماد الأصمهاني. اوقع وزراؤه بينه وبين عمه السلطان سجر صاحب خراسان فزحف عليه فخضع. وكان السلطان سجر بن ملكشاه ينتقل بين الري وبغداد. توفي بهمدان سنة / ٥٢٥ هـ وعمره ٢٧ عاماً. انظر: الكامل لابن الأثير ١٠/ ١٨٤، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٩، ٢٢٦، ٢٣٣. الوفيات ٤/ ٢٦٩. تاريخ دولة آل سلجوق / ١٠٩ - ١٤٢، الأعلام للزركلي ٨/ ٥٩.

(٤) ك: وذكر.

(٥) ك: من المحققين.

(٦) ك: أحد.

على وقت وقوع القيامة، فيكون لمراد^(١) من الآية أنه تعالى لا يظهر هذا لغيب لأحد. فلا يبقى في الآية دلالة على أنه لا يظهر شيئاً من العيوب لأحد. ويؤكد هذا التأويل أنه تعالى إنما ذكر هذه الآية عقب قوله: ﴿قُلْ إِنْ أُدْرِي أَقْرَبُ [ض] / ٢٢٦﴾ ما تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا^(٢)، يعني وقوع القيامة فإنه من الغيب الذي لا يظهره الله لأحد. وبالجمله فقوله على غيبه لفظ مفرد مضاف فيكفي في العمل به إرادة غيب واحد. وأما العموم، فليس في الآية لفظ يدل عليه. انتهى معنى كلام أبي الفضل رحمه الله، وقد تحصل مضمونه فيما تقدم بأوفى مما أوردنا من كلامه.

فإن قلت: قد تبين ما بين الضريين^(٣) من العموم والخصوص، واتضحت الحال فيهما، فما وجه انتظام ما ورد في سورة لقمان، مع ذكر الساعة؟ وظاهر ما تقدم من التأويل حاكم بالفرق، وأن أمر الساعة يخالف بخصوصه^(٤) ما ذكر معها من الأربع. والحديث الصحيح قد ورد [على] مقتضى ظاهر الآية حين ذكر عليه السلام الساعة مجيباً للسائل، فأتع بقوله: ﴿فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾، وتلى الآية. وذلك ملحق لهذه الأربع بحكم الساعة في خصوص عيبتها، فأقول - وأسأل الله توفيقه - إن الحديث الصحيح مشير إلى التفصيل في هذه الغيوب، وأنها في استعلامها^(٥) والاطلاع على ما شاء الله تعالى أن يُطلع عليه منها، ليست على منهج واحد^(٦). ألا ترى أن منها أموراً يعظم موقعها في العالم، ولا

(١) ساقطة من هـ، م.

(٢) الج ٢٥.

(٣) ك: الضرب.

(٤) م. محالف بخصوصية.

(٥) م: استعلامها.

(٦) روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وبلغائه ورسوله، وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراتها: إذا ولدت الأمة ربتها، وإذا تطاول رعاة الأبل، ألهم في البنيان في خمس لا يعلمهن الله. ثم تلا النبي ﷺ: ﴿إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عِبَادَ عِلْمُ سَاعَةٍ﴾ الآية. البخاري ١/ ١٩، ٢٠.

يخصر كتغلب الدهور والدول، وتغير^(١) الحالات التي تعم وما يرجع إلى هذا. وهذه هي المرادة بحديث ابن عباس الذي حرجه الترمذي قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من أصحابه إذ رمي بنجم فاستنار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية، إذا رأيتموه؟ قالوا: كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه^(٢) لا يرمى^(٣) به لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك اسمه وتعالى إذا قضى أمراً سبَّح له حملة العرش، ثم سبَّح^(٤) أهل السماء الذين يَلُونَهُمْ، ثم الذين يَلُونَهُمْ حتى يبلغ التسبيح إلى هذه السماء. ثم يسأل أهل السماء السادسة أهل السماء السابعة: ماذا قال ربكم؟ قال: فيخبرونهم، ثم يستخبر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا وتُخْتَلَفُ الشياطين فيُرْمَوْنَ - يعني بالشهب - فيقذفونه إلى أوليائهم. فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يحرفونه ويزيدون^(٥). وحديث أبي هريرة الذي حرجه [٢٢٧/ و] البخاري وهو: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة^(٦) بأجنحتها خضعاناً لقوله: كأنه سلسلة على صفوان فإذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مُسْتَرِقُ السمع، ومُسْتَرِقُ السمع هكذا بعضه فوق بعض. وصفه سُفْيَانُ بكفه، وحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة ويلقيها إلى مَنْ تَحْتَهُ، ثم يلقيها الآخر إلى مَنْ تَحْتِ حَتَّى يَلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب

(١) في ك فقط وبقة النسخ: التعبير.

(٢) ك: فانه.

(٣) هـ: يرمى (٩).

(٤) م، ك، ع: يسبح.

(٥) وردت غالبية الفاظ الحديث في صحيح الإمام مسلم ٨٥/٥ رقم ١٢٤، وقد ورد الحديث في صحيح الترمذي في تفسير سورة الجن ٤٢٧/٥ رقم ٣٣٢٤ مختصراً، وبالفاظ مختلفة عما أورده المؤلف.

(٦) ساقطة من ك.

معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيُصَلَّقُ بتلك الكلمة التي سمعت من السماء^(١).

قلت: فهذان الحديثان وما ورد من مثلهما معرفة بقضايا ترتج لها السموات وتستطلعها ملائكة السبع بجملتها، وتختطفها الشياطين مترصدين لتلقفها، ولا يختص بها صنف من الملائكة عن غيرهم.

أما ما يتكرر في عالم الكون والفساد من متوالي إيجاد الأحاد، وتكرر نزول الأمطار وشبه ذلك، فلا يستطلعها من الملائكة إلا آحاد وكُلُّوا بها وإن تكاثروا عدداً فليس ذلك كالمتقدم في الحديثين لعظيم عمومته. ومن ذلك حديث ابن مسعود: «يُجْمَعُ خَلْقُ أَحَدِكُمْ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً - إلى قوله في الحديث - أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ» - الحديث^(٢). وكما أشار إليه حديث [أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم]^(٣) وقوله فيه: «أَسَقُّ حَدِيقَةَ فُلَانٍ»^(٤)، إلى ما يرجع إلى هذا القبيل ولا توقف في أن أربعة العيوب

(١) روى البخاري ح ١٥٢/٦، ١٥٣ ألفاظ الحديث عن: «لحميدي، عن سفيان، حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول...» ورواه في ح ١٠٠/٦، ١٠١ بلفظ يختلف عن هذه الألفاظ كما رواه عن: «عبي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو، عن عكرمة، عن أبي هريرة يبلغ به النبي قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء... إلخ».

(٢) روى الحديث الشيخان، والترمذي من طريق زيد بن وهب في حديث عبد الله بن مسعود قال: «حدثنا رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق - إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل المثلث فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: تكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أو سعيد. فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها». ورواه مسلم روايات عن الأعمش، وعن وكيع، ومعاذ، وحرير بن عبد الحميد، وعيسى بن يونس. انظر: البخاري ١٥٢/٨، ومسلم ٤٩٦-٤٩٩ رقم واحد برواياته، صحيح الترمذي ٤/٤٤٦ رقم ٢١٣٧.

(٣) ما بين المعقوفين بياض في جميع النسخ.

(٤) روى الحديث الإمام مسلم من لفظ أبي بكر بن أبي شيبه بسنده إلى أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «سأرحل بقلعة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: أسو حديقة فلان، فتحنى ذلك لسحاب»

المذكورة مع الساعة في سورة لقمان راحة الى قبيل ما ذكرنا وذلك كله ليس من جنس المقدورات العامة بل هي بالنسبة إلى تلك جزئيات يعلمها من وكُلُّ بها من الملائكة، ولا يستخبرها أهل السموات ولا ترصدها الشياطين ترصد تلك القضايا العامة. وصحيح الحديث قاص بالفرق البين فأشارت الآيات الأربع، والأحاديث المشار إليها إلى أن هذا الضرب من المعينات، كأنها تلي في حالها الغيبي وما ذكر معها من أمر الساعة. وللساعة خصوص ما [٢٢٧/ ظ] تقتضيه «عند» كما تقدم.

فهذا^(١) - والله أعلم - وجه انتظام هذه الغيوب الأربعة مع ذكر الساعة. وتحصل بهذا الاعتبار تفصيل الغيوب إلى عام وخاص، وخاص^(٢) من ذلك الخاص. وهذا الخاص الأخير لا يعلمه مطابقاً إلا المنفرد بعلمه سبحانه، ثم لا يحيط بالضربين قبله على ما أشير إليه من تفصيل أحكامها على الاستيفاء والحصر إلا هو سبحانه، وأنه تعالى المنفرد بكل الغيوب لا يعلمها أحد على ما هي عنده كما وضع من قبل وتبين ولم يبق للطاعن^(٣) مدخل بوجه، ولا على حال.

وأما تخصيص آية سورة^(٤) الجن بما ورد فيها، فوجه ذلك - والله أعلم - أنه لما تقدم من قول الجن في إخبار الله تعالى عنهم بقوله^(٥): ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاَهَا مِلْتَئَاتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا. وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ

وأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله. فتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة. فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحابة - الذي هذا ملؤه - يقول اسم حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بشكته، وأكل أنا وعبالي ثكلاً، وأرد فيها ثكته. مسلم ٨٣٤/٥ رقم ٤٣.

(١) م: وهذا.

(٢) ك: وخاصة.

(٣) ك: الطاعنين.

(٤) في ب، ع فقط.

(٥) محذوف من ك، وزاد بعدها في ب، «تعالى».

الآن يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصْدًا^(١). فما تقدم هذا من قولهم وإخبارهم عما كانت الحال عليه قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن في ذلك من قولهم وإطلاعهم على الغيوب أو الكثير منها أعلم تعالى أن من الغيب ما ليس لهم ولا لغيرهم مطمع في الاطلاع عليه، وأنهم في ترصدهم ومقاعدهم للسمع ممنوعون هم ومن سواهم عما انفرد سبحانه بعلمه، وحكم ألا يطلع عليه أحد من خلقه فهذا وجه ورود هذه الآية هنا.

وهنا انتهى ما ألهم الله إليه في^(٢) هذه الآية، مما تعرض له الإمام أبو الفضل - رحمه الله - وبَسْطَاهُ^(٣) يدفع ما يوهمه مؤخر كلامه في التمثيل للغيب المخصوص فَبَسْطَهُ بما أرحوا أنه مراده ودافع لما يعترض^(٤) عليه فيه حين أحمل وأعماله توحيه تخصيص الغيوب الأربعة بذكرها مع غيب الساعة في سورة لقمان. ووجه اختصاص آية سورة الجن بالورد فيها، وأُتِيَتْ في ذلك بما ألهم الله سبحانه إليه وأرحوا أنه شاف إن شاء الله وإنْ تَحَمَّلْ غَفْلَةً وَسَهْوًا فأسأل الله تعالى^(٥) عفوهُ في ذلك وعدري أنني لم أحد في ذلك من تعرض لشيء من هذا إلا ما قدمت ذكره مع إشكال الأمر في ذلك. والله سبحانه أعلم بما أراد.

(١) الجن/ ٩٠٨.

(٢) ب، ع: من.

(٣) في ك فقط، ونقبة النسخ «ما».

(٤) م: يعرض، ك: يعترض.

(٥) ساقط من ك.

سورة المزمل^(١) والمدثر

٣٥٣ - قوله تعالى في أولها:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ. قُمْ اللَّيْلَ ﴾ - إلى ما بعده (١ ، ٢).

وقال في أول سورة المدثر يُلَوِّها^(٢) (١ ، ٢): ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ - إلى ما بعده.

فللسائل أن يسأل عما ورد في هاتين السورتين من تسميته صلى الله عليه وسلم في الأولى «المزمل»، وفي الثانية «المدثر»، وأمره في الأولى [٢٢٨/ و] بقيام الليل وما أعقب به ذلك، وفي الثانية بإنذار الخلق ودعائهم إلى الله ما وحه هذا التخصيص في السورتين بما ذكرنا من التسمية والأمر.

وتمهيد الحواب عن ذلك - والله أعلم - أن الله سبحانه أمراً في كتابه العزيز بتعزيز نبياً وتوقيره وبها أن يجري في خطابه على حد مخاطبها فقال تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ﴾^(٣). وجرى المسلمون بتوفيق الله على ذلك في دعائهم إياه: يا رسول الله، يا نبي الله غير رافعي أصواتهم في دعائه وندائه على مقتضى أمره سبحانه بذلك. ثم إن العرب قد علم من حالهم أن السيد إذا خاطب عبده متلفاً به ومشيراً إلى مكانته لديه أو قصد تأنيسه خاطبه بإسم يشتقه^(٤) من حال أو صفة؛ فيكون العبد عليها ويعدل عن معروف اسميته ليريه مكانته، ويظهر كريم تحفيه به، وعظيم تطفه كقول نبينا صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه في قضيته المعلومة وقد وجدته نائماً وقد أثر التراب في جنبه: «قُمْ

(١) قال في الدرّة / ٣٨٩: «ليس فيها شيء من ذلك».

(٢) محذوفة من ك.

(٣) البور / ٦٣.

(٤) ب: مشتقة، هـ، م: يشقه.

أما تراب»^(١) فعلى ذلك جرى الورد في بدء نبينا صلى الله عليه وسلم في هاتين السورتين فودي بالمزمل والمدثر وحصت هاتان السورتان بهما لبنائهما على ما ابتدئ به صلى الله عليه وسلم. فأما تعقيب كل من الاسمين في السورتين بما أعقبت به فعلى مقتضى كل واحدة من السورتين وما بُنيتا عليه.

أما الأولى فبناها على أوامر من جليل أعمال الطاعات مما يُزلف عند الله سبحانه من قيام الليل، وترتيل القرآن، والتجلى والتحمل، لتلقي أوامر الكتاب ونواهيه المفهوم من قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(٢)، والأمر بذكر اسمه تعالى تضرعاً وسؤالاً، والتبُّل إليه سبحانه، واعتماده تعالى وكَيْلاً، والصبر على قول الضالين من الكفار، والأمر بحمِل هجرهم، فهذه أوامر ثمانية بين صريح ومكني.

وأما سورة المدثر فمضمونها من الأوامر دون ما في أسورة قلها عدداً وليس أكثرها من نمط تلك الأوامر وهي مع ذلك أوامر أوليَّة في الأكثر، فنوسب بين تلك الأوامر العلية من سورة المزمل، وبين ما تقدمها في الترتيب الثابت من قوله تعالى في سورة الحن: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾^(٣)، لعلم بين عليه السلام أنه إمام المرتضين من أولئك المصطفين بما خص به صلى الله عليه وسلم من الأمر بقيام الليل، والترتيل، وجليل التلقي

(١) روى الحديث الشيخان في صحيحيهما عن سهل بن سعد - وقد سُمع على المدينة - بياناً لسبب تسمية عليّ بابي تراب. قال البخاري ٢٣/٥. «والله ما سماه إلا النبي ﷺ، وما كان له اسم أحب إليه من فاسطِجَمَت» (أي السائل سهلاً) الحديث سهلاً وقلت: يا أبا عباس كيف؟ قال دخل عليّ علي فاطمة ثم خرج فاصطجع في المسجد فقال النبي ﷺ ابن عمك؟ قالت في المسجد، فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلّص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول: أحلس يا أبا تراب مرتين». وحاء في حديث مسند ٢٧٤/٥، ٢٧٥: «فجاء رسول الله ﷺ وهو مصطجع قد سقط رداءه عن شقه فأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ وهو مصطجع قد سقط رداءه عن شقه فأصابه تراب فجعل يمسحه عنه ويقول: قم أبا التراب، قم أبا التراب» قال محقق مسلم. «في بعض نسخ (قم أبا تراب، قم أبا تراب)».

(٢) المزمّل / ٥.

(٣) الحن / ٢٦، ٢٧.

والامثال [٢٢٨/ ظ] لما ألقى عليه اعتاء وتخصيصاً محفوظاً فيه مبسراً^(١) عليه من القول الثقيل. كما نوسب بين أمره عليه السلام بالدعاء والإنذار والتأنيس فيمن أفرط تمرداً وعناداً من عتاة الكفر حين قال لنينا عليه السلام تهديداً لعدوه وإعلاماً بما يعقبه كفره ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ - إلى قوله - ﴿ سَأَرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾^(٢)، وقوله: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾^(٣) فحصل من مجموع متقدم الإنذار والإعلام بعاقبة المعاند من الكفار، ما تحصل من قوله تعالى في سورة الغاشية تعريفاً لنينا عليه السلام: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ. لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾^(٤). وانتظم أول الكلام العلي وآخره أجل انتظام، وورد كل على ما يجب، ولا يلائم غيره، والله سبحانه^(٥) أعلم^(٦) بما أراد.

٣٥٤ - الآية الثانية^(٧) من سورة المدثر قوله تعالى:

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ (١٨ - ٢٠).

للسائل^(٨) أن يسأل عن تكرار^(٩) قوله: ﴿ قَدَّرَ ﴾، ثلاث مرات في كلام متصل متقارب.

والجواب - والله أعلم - أن قوله: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾ إخبار عن حال الوليد المنزل فيه هذا، حين قال لقريش: إن الناس يردون الموسم فليكن قولكم في محمد واحداً، و﴿ فَكَّرَ ﴾ في أقرب ما يمكن أن تستمال به العرب، وتصدق

(١) في ك فقط وبقي النسخ: ومبشراً^(٢).

(٢) (٣، ٢) المدثر/ ١١-١٧، ٢٦.

(٤) الغاشية ٢١، ٢٢.

(٥) محذوف من ب، ع.

(٦) ك: والله أعلم سبحانه.

(٧) ما بعدها إلى المدثر محذوف من ب.

(٨) هـ، م: لسائل.

(٩) ب: صيغة السؤال (يقال ما وحه تكرر...).

قريشاً. ورأى الوليد أنهم مكذبون بأول نظر أن قالوا: إنه شاعر، أو محنون، أو كاهن أو ساحر، ووافقه قريش بوضوح ذلك من أمرت عليه السلام مع تصميمهم على عناده وبهذا أنه^(١) تعالى في قوله: ﴿لَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^(٢).

وروي أن الوليد قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن. إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وأسفله لمغذي، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه^(٣). ولما كلم قريشاً في شأنه صلى الله عليه وسلم فقال لهم تزعمون أن محمداً مجنون^(٤)، فهل رأيتموه يخحنق^(٥)، وتقولون إنه كاهن، فهل رأيتموه قط يتكهن؟^(٦) وتقولون إنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب. فقالوا: في كل ذلك اللهم لا^(٧). وعلى هذا من كلام الوليد ورد الوارد مما جاء بطريقة ما تتعجب العرب مثله في قوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، كما تقول العرب. قَاتَلَهُ اللَّهُ، ما أشعره، لا يريدون دعاءً على من يقولون له ذلك، وإنما يقولونه متعجبين، وإنما نزل القرآن بلسانه فقوله: ﴿فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، تعجب مناط بمن يصح منه التعجب، والله سبحانه متعال عن ذلك. وكأن قد [٢٢٩/و] قيل لهم: هذا ما تتعجبون^(٨) منه، وتقولون^(٩) هذا الكلام. فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾، إخبار عن حال الوليد وتفكره^(١٠) فيما يقوله^(١١). وتقديره

(١) هـ، م، ب: أنه.

(٢) الأنعام/ ٣٣.

(٣) انظر: أسباب النزول/ ٢٩٥، اللب/ ٢٣٠.

(٤) ك: لمجنون.

(٥) ك: يجن.

(٦) أسباب النزول/ ٢٩٦، اللب/ ٢٣٠.

(٧) هـ، م، ب، ك: يتعجبون.

(٨) ب. ويقولون.

(٩) ب: وتكره.

(١٠) ك: يقو.

ما يرد عليه إن قال بأنه عليه السلام ساحر^(١)، أو مجنون، أو غير ذلك مما رموه به، وأنهم مكذبون في كل ما يرومون رميه به من ذلك لبيان حاله عليه السلام. وقوله: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ﴾، تعجب من إصابته في نفي الجنون، والتكهن والشعر عنه صلى الله عليه وسلم. وقوله: لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، فصدق تقديره في هذا لو أتم الله له الأمر. فالأول: إخبار، أعني^(٢) قوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾، والثاني: تعجب من إصابة تقديره بعد^(٣) الفكر وهو قوله: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ﴾، والثالث وهو قوله: ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ﴾، تأكيد للتعجب من حاله في تحويمه لولا^(٤) سابقه ﴿سَأَرَهِيَ صَعُوداً﴾^(٥). والسابقة هي التي حملته على إدباره واستكباره فقال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾^(٦) فنكص على عقبه لما سبق له بعد مقاربتة وتحويمه^(٧). وبإزاء^(٨) ما تقدم من مقاربتة وتحويمه^(٩) في تنزيهه النبي صلى الله عليه وسلم عما رموه به، ورد التعجب. وفي طي الكلام شديد توعدده على كفره بعد أن تبين له الأمر فضل على علم.

ومثل هذا التكرار استعظاماً للواقع، موجود في فصيح كلامهم. ومنه قول الشاعر^(١٠):

أَلَا يَا أَسْلَمِي ثُمَّ أَسْلَمِي ثُمَّتَ أَسْلَمِي^(١١).

وجاء بـثم لتحرز رتبته اعتناء بهذا المعطوف، وأنه^(١٢) أكد من الأول. فوضح

(١) ك: شاعر.

(٢) هـ، م، إخبار عن.

(٣) هـ، م: هذا.

(٤) ك: أولا (٩).

(٥، ٦) المذكور / ١٧، ٢٤.

(٧) ك: وتحريمه.

(٨) ساقطة من ك.

(٩) ك: تحريمه.

(١٠) سبق تخريج البيت في الآية رقم / ٦٢.

(١١) م، ك: ثم أسلمي.

(١٢) ك: المعطوف بها، ب: المعطوف فيها.

وجه ورود ما يتوهم تكراراً واستدعاء مقصود الكلام إياه، والله سبحانه وتعالى^(١) أعلم.

٣٥٥ - الآية الثالثة^(٢) من سورة المدثر قوله تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ. كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ. فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ. وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (٥٣ - ٥٦).

وقال في سورة الإنسان (٢٩، ٣٠): ﴿ إِنَّ هَلْدِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا. وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾^(٣).

للسائل أن يسأل عما بين الآيتين من الاختلاف، ورود الضمير^(٤) في قوله: ﴿ إِنَّهُ ﴾، في الأولى مذكراً، وتأنيته في الثانية.

والجواب أن هذا مما لا إشكال فيه، لأن المذكر به عظة، أو موعظة وهو أيضاً وعظ وتنبيه، فتارة تراعي العرب في مثل هذا جهة التذكير، وتارة تراعي جهة التأنيت، فتحمل الضمير على ما تقدره من تذكير أو تأنيت. وهذا كثير. ومنه قول بعض العرب: فلان جاءته كِتَابِي فَمَزَّقَهَا [٢٢٩/ظ] فيسأل عن التأنيت في قوله: جاءته، وفي قوله: فَمَزَّقَهَا فقال: أليست بصحيفة^(٥) وقد قال تعالى: ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَىٰ ﴾^(٦).

وأما فواصل الآيتين ومقاطعهما فمرعي فيها موافقة ما اتصل بها للتناسب مع اتحاد المعنى. ألا ترى صحة بناء ما في آية الإنسان على ما في آية المدثر، [كما] لو

(١) ساقطة من ب، وفي ع: والله أعلم.

(٢) ما بعدها إلى المدثر محذوف من ب.

(٣) زاد مصحح م: الهامش: وفي ع: أيضاً: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ ﴾.

(٤) ب: صيغة السؤال (يقال ما وجه الاختلاف بين الآيتين وورود الضمير...).

(٥) ذهب سيبويه إلى أنها في الموات - يعني غير العقلاء - أكثر منها في الحيوان العقلاء من الأدميين. انظر: الكتاب ٢/ ٣٨-٤٠.

(٦) الفرة/ ٢٧٥.

قيل في الكلام: إنه تذكرة، فمن شاء ذكره، فاتخذ إلى ربه سبيلاً يتذكر ما دُكر به.
ثم اقتضت الفواصل المناسبة.

ولما اكتفت آية المدثر فواصل تكون في السوقف هاء من لدن قوله تعالى:
﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنَفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ - إلى قوله - ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ
الْمَغْفِرَةِ﴾ (١)، ناسبها قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾.

وأما سورة الإنسان، فما قبلها وما بعدها من الفواصل مستدع أيضاً ورودها
على ما وردت، فقيل: ﴿فَمَنْ شَاءَ آتَّخِذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ليجري على ما تقدم في
قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ (٢)، وما بعد. ولم يكن ليناسب
هنا ما ورد في سورة المدثر من قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾، كما لا يناسب قوله:
﴿فَمَنْ شَاءَ آتَّخِذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ما ورد في سورة المدثر. فكل هذا لا إشكال
فيه، لرعي المناسبة، وحصولها في كل من السورتين [على] أتم وجه، والله أعلم.

سورة القيامة (٣)

٣٥٦ - الآية الأولى منها قوله تعالى:

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ. وَخَسَفَ الْقَمَرُ. وَجُمِعَ الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ﴾ (٧ - ٩).

يسأل عن إعادة القمر في الفاصلتين.

والجواب عنه، أن ذلك لبيان أهوال القيامة وتعظيمها. والعرب تستعمل هذا
فيما يقصد به التهويل والتعظيم. ومنه (٤):

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئاً نَغْصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَ

(١) الآيات / ٥٦-٥٠.

(٢) الإنسان / ٢٣.

(٣) من هنا يوجد خرم لصفحات الناقصة من سورة الأعراف في النسخة هـ (من ١٩٧/ب -
٢٠٠/أ).

(٤) سبق تخريج البيت في الآية رقم / ٣٣٤.

فكرر الموت ثلاث مرات، تعظيماً لأمره، كما قال: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ. أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾^(١) وقد اجتمع في آية القيامة قصد التعظيم ورعي الأسماع فتأكد الحامل على التكرير. وإذا تكرر أحد النبرين، المراد اجتماعهما أغنى عن تكرر الآخر وطلبت الفواصل منهما ما يناسب. فجاء كل على أتم وجه في البلاغة والله أعلم.

٣٥٧ - الآية الثانية منها^(٢) قوله تعالى^(٣):

﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ. ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ (٣٤، ٣٥).

يسأل عن إعادة اللفظ، وفائدة ذلك. ويستجبر ذلك استدعاء اشتقاق اللفظ ومعناه.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أنه لما تقدم وصف المجرم المكذب بقوله: ﴿فَلَا صَدْقَ وَلَا صُلَىٰ. وَلَكِنْ كَذِبَ وَتَوَلَّىٰ. ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾^(٤)، أي يختال في مشيته^(٥) ويتبخر عضداً لتكذبه واغتراباً [٢٣٠ / و] بكفره كان مظنةً للتعريف بسوء عاقبته، واستحقاقه العذاب فقل: ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾، فعدل بالكلام عن أخبار الغيبة إلى الخطاب تحكيماً لاستحقاقه وبيل الجزاء على فعله، وهو كلام يقال لمستوجب الامتحان جاري مجرى الدعاء وقد جعله بعضهم مقلوباً من قوله: ﴿وَيْلٌ﴾، أخرت الياء، وقُدِّمَت اللام، فتحركت الياء وانفتح ما قبلها؛ فانقلبت ألفاً، فقل^(٦): ﴿أُولَىٰ﴾، والأصل «أويل». فهو على هذا من الدعاء بالويل، وكان قد قيل: للمخاطب به أعظم الويل وأشدّه له. ويستجبر التعجب

(١) ص / ٦٨، ٦٧.

(٢) ساقط من ك، ب.

(٣) ساقط من ب.

(٤) القيامة / ٣١-٣٣.

(٥) ك: مشيه.

(٦) م، ك: قيل.

الجاري من الدعاء، وكأن [قد] قيل في هذه الآية: الويل له فأكد بتكرير اللفظ إشعاراً بالأهلية والاستحقاق كما قالوا: «وَيْلًا لَهُ، وَبِلَا كَيْلًا»^(١) وعطف بـ «وَيْلًا لَهُ» المقترضة رتبة في المعطوف بها، وضرب تهمم، واعتناء، ليكون الدعاء ثانياً للمؤثى^(٢) به تأكيداً أبلغ من الأول. وذلك من معنى ثم هنا قائم مقام مهلة الزمان ليبلغ عندها الغاية فيما قصد منه. ويبين المعنى المفهوم هنا من لفظة ﴿أُولَى﴾ قوله تعالى في سورة القتال: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾^(٣). فلما ذكر سبحانه من حال المنافقين^(٤) عند نزول سورة مُحْكَمَةٌ واضحة المقاصد ما ذكر مما يشهد بقبح ضمايرهم، وسوء سرائرهم اتبعهما^(٥) بالدعاء عليهم، فقال: ﴿فَأُولَى﴾ لهم، كأنه قال: فأشد الويل لهم. قال لنبه عليه السلام طاعة وقول معروف^(٦). قدره سيويه - رحمه الله - طاعة وقول معروف أمثل.

ونظير هذا الوارد في سورة القتال وبيان مناسبة التحامه قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا. إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ - إلى قوله ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾^(٧). ثم قال: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾^(٨). فقوله: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ - الآية إلى آخرها، مع ما قبله نظير قوله في القتال: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ مع ما قبله.

(١) ك: له ويل وعطف (هكذا).

(٢) هـ، م، ب: الموتى.

(٣) محمد/ ٢٠.

(٤) ك: المنفقين.

(٥) هـ، م، ع: اتبعها.

(٦) ما بعدها إلى قوله: معروف، ساقط من ك.

(٧، ٨) الفرقان/ ١٣-١٤، ١٥.

سورة الإنسان

٣٥٨ - قوله تعالى:

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا. قَوَارِيرٌ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ (١٥، ١٦).

ثم قال بعد (١٩): ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ﴾ [٢٣٠ / ظ].

للسائل أن يسأل عن بناء الفعل^(١) في الآية الأولى للمفعول ولم يُسمَّ الفاعل وبناءه في الثانية للفاعل، ولم يذكر مستدعاة المجرور فلم يقل بكذا. ما الفائدة في ذلك، وهل الفاعل في الآية الثانية هو الذي لم يُسمَّ أولاً في قوله: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ ﴾.

والجواب عن ذلك أن بناء الآيتين في هذه السورة العظيمة على تعظيم حال أهل الجنة وما أعدَّ الله لهم فذكر فيها ما يطاف به عليهم من أواني الفضة، والأكواب بالطعام والشراب، وما يمزح به شرابهم من الزنجبيل والعين التي تسمى سلسيلاً. ثم ذكّر الطائفون عليهم بذلك، ووصفوا بكونهم ولداناً لا أثر عليهم للعناء^(٢) ولا يلحقهم في طوافهم مشقة، وأنهم كاللؤلؤ المنثور حسناً وتناسباً. فلما ذكرت^(٣) أحوالهم على التفصيل وقصد الاستيفاء لما منحوه، ناسب ذلك إيراد تنعمهم مفصلاً بذكر المطاف به مُستوفى ثم ذكر الطائفون وقدم المطاف به، لأنه الذي به تنعمهم تناولاً واتصالاً وتطعماً وغذاء مأكلاً ومشرباً، فكان أهم للتقديم. ثم أعقب بذكر الطائفين وهم الولدان المخلدون فكمل المجموع مفصلاً تفصيلاً يحرز الاعتناء في التعريف والثناء وقد جمعت هذا المفصل آية واحدة. وهي المفسرة لما

(١) ب: صيغة السؤال (فيسأل عن بناء الفعل . . .).

(٢) ك: للمياء.

(٣) ك: ذكر.

ذَكَرْتُهُ مِنْ أَنْ الطَّائِفِينَ بِأَوَانِي الْفِضَّةِ وَالْأَكْوَابِ هُمْ الْوَلَدَانِ الْمَذْكُورُونَ بَعْدَ . وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾ . - الْآيَةُ (١) فَقَدْ وَضَحَ الْجَوَابَ عَنْ الْأَسْئَلَةِ الثَّلَاثَةِ عَلَى أَيْنِ وَجْهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

سورة والمرسلات

٣٥٩ - قوله تعالى :

﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١٩)

للسائل أن يسأل عن تكريرها^(١) عشر مرات ، وعن الترتيب فيما تخلل متكرر هذه الآية من الآيات ، وإبداء الفائدة في^(٢) كل آية منها^(٣) واختصاصها بموضعها ، وعن الفرق بين الوارد من هذه الآية هنا . وفي سورة التطهيف من حيث تكرر هنا ولم تتكرر في سورة التطهيف . فهذه ثلاثة سؤالات في ثانیها تفصیل .

والجواب عن الأول أن سورة الإنسان لما تضمنت التعريف بحال الفريقين ذوي السعادة وأهل الشقاء ، وابتدئت بذكر حال المكذبين فقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾^(٤) . ثم أردف هذا بالتعريف بحال ذوي النعم . [٢٣١ / و] وجرى في وصفهم إطناب ثم عاد الكلام إلى حال من تقدم^(٥) هذا من وعد الكافرين ؛ أقسم تعالى على وقوعه إبلاغاً في الإنذار فقال تعالى : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ - إلى قوله - ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾^(٦) ، ثم عرف سبحانه بصفة يوم الوقوع وكأنه على تقدير سؤال قد قيل : ومتى ذلك ، فقال :

(١) الأيتان / ١٧، ١٨ .

(٢) ب : صيغة السؤال (يسأل عن تكريرها عشر مرات . .) .

(٣) ع : من .

(٤) ساقطة من ك .

(٥) الإنسان / ٤ .

(٦) ك : قدم فقال إن هؤلاء يحبون العاحلة ويزرون (؟) يوماً ثقيلاً . فلما قدم هذا من وعد . . .

(٧) المرسلات / ١-٧ .

﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ. وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ - إلى قوله - ﴿ لِيَوْمِ
 الْفَصْلِ ﴾^(١). ثم أكد هول ذلك اليوم بسؤاله صلى الله عليه وسلم عن تعرفه،
 فقال: ﴿ وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾^(٢) تعظيماً لأمره وإنباء بأحواله وشدائده. ثم
 قال: ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾^(٣) ثم تكرر هذا الدعاء بالويل الحال بهم مرات^(٤)
 رغباً لما تقدم في سورة الرحمن آخرها: ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا وَيَلْ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾^(٥). ثم رجع وإلى الكلام [و] إلى التعريف بحال الناجين في آيات
 ثلاث لم يتخللها الدعاء بالويل لثلاث يشوب بشارتهم^(٦) تنغيص^(٧) فقال تعالى:
 ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾ - الآيات إلى قوله - ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٨). ثم عادت الآية إلى^(٩) ما بنيت عليه السورة من وعيد المكذبين
 وتخويفهم^(١٠)، إلى آخر السورة. وتكرر فيها ذلك الدعاء بالويل للمكذبين ثلاث
 مرات طوبق بها عدد آيات وصف المتقين، ليكون زيادة في تنكيل المكذبين
 وتحسرهم [عند] سماع حال من حاله على الضد منهم. فتلك العشرة التي تضمنتها
 السورة.

فإن قلت: لِمَ فصل ما جرى من الآية المتقدمة^(١١) بين هاتين الآيتين من قوله
 ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴾^(١٢) وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا
 يَرْكَعُونَ ﴾^(١٣) مع أن جميعها راجع إلى مقصد واحد من تقرير المكذبين ووصف
 أحوالهم، فلم فصل بين ذلك بذكر وصف المتقين وأحوالهم.

(١) الآيات / ٨-١٣.

(٢) (٣:٢) الأبتان / ١٤، ١٥.

(٣) هـ، ب، ع: مرار - وكلاهما جائز في معناه.

(٤) المرسلات / ٣٩، ٤٠.

(٥) ك: بشارتهم.

(٦) في ك فقط وبقيّة النسخ: تنغيص.

(٨) المرسلات / ٤١-٤٤.

(٩) هـ، ك: على.

(١٠) ك: وتخوفهم.

(١١) ك: المتقدّمات.

(١٢، ١٣) المرسلات / ٤٦، ٤٨ على الترتيب.

قلت: بدأ^(١) أولاً بتوبيخهم في عدم اعتبارهم بما ذكروا به من إهلاك من تقدمهم ممن كذب، وببداة خلقهم من ماء مهين وجعل الأرض تكفيت [أحياءهم^(٢)] وموتاهم ثم عرفوا بجزائهم الآخر اوي وما يشاهدون ويقال لهم عند مصيرهم إلى العذاب، ووصف جهنم ثم أعقب بذكر الضد من حال المتيقنين، ليكون زائداً ومحركاً لندم المكذبين حين لا ينفع الندم. وتم هذا المقصد على أتم مناسبة ثم رجع إلى الضرب الآخر المتقدم من التوبيخ بذكر حالهم الدنياوي في تنعمهم وتمتعهم^(٣)، وأورد ذلك بصيغة الأمر تهكماً بهم وقيل: ﴿كُلُوا وَتَمَتُّعُوا﴾ فسيعقبكم ذلك [٢٣١ / ظ] ما قدم^(٤) ذكره لكم، ثم نبه على إبايتهم عن الاستجابة للإيمان فقيل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾، فلم يكن الوارد في هاتين الآيتين ليناسب ما تقدم من توبيخهم ففصل منه.

والجواب عن السؤال الثاني، أن وجه الترتيب فيما تخلل متكرر آية الدعاء من الآيات، أنه لما ذكر سبحانه أهوال ذلك اليوم في قوله: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ - الآية أعقب تعالى بتوبيخ المكذبين على غفلتهم عن التذكير بأحد من تقدم من مكذبي الأمم وإهلاكهم^(٥) بجزائهم^(٦) فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾^(٧)، أي فهلا اتعظوا بهم كما قال تعالى، في موضع آخر: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾^(٨) وقال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُشَلَاتُ﴾^(٩)، ﴿أَكْفَارِكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ﴾ ثم أردف سبحانه بقوله ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ

(١) هـ: بدي، ع: بديء.

(٢) جميع النسخ: أحياءهم.

(٣) محذوفة من ك.

(٤) ك: ما تقدم.

(٥) ك: وأكلاهم.

(٦) ك: وبجزائهم، هـ، م: وبجزائهم.

(٧) المرسلات / ١٦.

(٨) الأنعام / ٦.

(٩) الرعد / ٦.

مُهَيِّنٌ ﴿١﴾ فذكرهم بأصل الخلقة وتطور الإنسان وتقلبه إلى كمال أمره بتعريف الخطاب وكمال التعقل كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٢). ثم ذكر سبحانه خلق الأرض ومنافعها وما به أرساها من الجبال، وفجر (٣) فيها من المياه لسقينا. فحصل التذكير بضرور ثلاثة وهي إهلاك الأمم السالفة بتكذيبهم، وخلق الإنسان وخلق الأرض، وما جعل فيها. ثم أعقب بما يقال لهم في الآخرة وما يشاهدونه مما (٤) يحل بهم جزاء على تكذيبهم وتعاميهم عن الاعتبار فقال: ﴿أَنظِرُونَا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ - إلى قوله - ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ (٥). ثم ذكر تعالى حال المتقين ومصيرهم في ثلاث آيات تأنيساً للمؤمنين وعلى المطرد في الكتاب العزيز من ذكر الإعقاب متى ذكر أحد الفريقين من أهل النجاة وأهل الامتحان أن يُعَقَّبَ بذكر الفريق الآخر ثم عاد الكلام (٦) إلى تهديد من قدم، وأعقب بما يلائم من امتناعهم عن الاستجابة والخشوع.

والجواب عن السؤال الثالث: أن سورة التطهيف لم تُبَيَّنْ على التفصيل المقصود هنا، فلم يتكرر فيها آية الدعاء، والله أعلم.

سورة التَّسَاوُلِ (٧)

٣٦٠ - [الآية الأولى منها] قوله تعالى:

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (٤، ٥).

(١) المرسلات / ٢٠.

(٢) يس / ٧٧.

(٣) هـ، م: ومجر.

(٤) ك: ب.

(٥) المرسلات / ٢٩-٣٩.

(٦) جميع السبع: الكلام عاد.

(٧) هي سورة التَّاسِي في المصحف المتداول.

يسأل عن تكرار التهديد^(١) وفائدته.

والجواب عن ذلك أنه قد تقدم أن العرب متى تهمت بشيء أرادته لتحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت^(٢) الدعاء عليه كررته تأكيداً وكأنه^(٣) يقيم^(٤) تكراره مقام القسم عليه والاجتهاد في الدعاء عليه حيث يقصد^(٥) الدعاء. وإنما نزل القرآن بلسانهم وكان مخاطباته^(٦) [٢٣٢/و] جارية فيما بين بعضهم وبعض. وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة، وقد تقدم هذا وتقرر. وعلى ذلك يجري ما ورد من هذا الوعيد. ومنه قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرًا. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرًا﴾، وقوله: ﴿أَوَلَيْ لَكَ فَأُولَى. ثُمَّ أَوَلَى لَكَ فَأُولَى﴾، ومنه: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ. ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنُ الْيَقِينِ﴾^(٧)، وهو كثير.

٣٦١ - الآية الثانية^(٨) من سورة التسلو قوله تعالى:

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا. إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا. جَزَاءً وَفَاقًا﴾ (٢٤ - ٢٦).

وفي أهل الجنة^(٩) (٣٦): ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾، مع^(١٠) أن كل ذلك جزاء.

(١) ب: صيغة السؤال: (يقال ما وجه تكرار التهديد...).

(٢) ك: وقصدت.

(٣) ك: وكأنها.

(٤) ك، ع: يقيم.

(٥) هـ، م، ع: يقصد.

(٦) ك: وكان مخاطباً لهم به جارية.

(٧) التكاثر/ ٧، ٦.

(٨) ما بعدها إلى التسلو محذوف من ب، ك.

(٩) زاد هنا في ك: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا خَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ إلى قوله - جزاء من ربك... .

(١٠) ب: صيغة لسؤل (يقال ما الفرق بينهما مع أن كل...).

والجواب عن ذلك أن الله سبحانه أعلمنا أنه يجازي على الحسنة بعشر أمثالها إلى [سبعمائة^(١)] ضعف، إلى ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُلْقِيَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْتُهِمْ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾^(٥)، وقال تعالى في الجزاء من السيئات: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٧)، فحصل من هذا أن حكم السيئات المُقَابِلَةَ بِأَمْثَالِهَا، وذلك من [نَفَذَ^(٨)] عليه الوعيد، ولم يغفر له إذ المعتقد أنه تعالى يغفر ما دون الشرك لمن يشاء، ولا يخلد في النار إلا كافر.

فإذا تقرر ما ذكرناه فاعلم أن تسمية ما يمنحه الله تعالى أهل الجنة جزاء، إنما ذلك فضل منه سبحانه، إذ الجزاء لهم على أعمالهم أكثر من أعمالهم. فوعده سبحانه^(٩) إنما حاصله عطاء وإحسان وإنعام. وإنما سمي جزاء من حيث قبول به عمل وارتبط به بحسب^(١٠) الإِنْعَام، إذ لا يجب عليه شيء^(١١). فهذا حال الجزاء

(١) جميع النسخ: سبع مائة، وصَوَّأُهَا الوصل.

(٢) الأنعام/ ١٦٠.

(٣) البقرة/ ٢٦١، وورد في ك من الآية: ﴿وَاللَّهُ يُصَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

(٤) السجدة/ ١٧.

(٥) فصلت/ ٣١.

(٦) الشورى/ ٤٠.

(٧) التحريم/ ٧.

(٨) جمع النسخ: نفذ - باندال المهملة.

(٩) في جميع النسخ بعدها: فإذا؟.

(١٠) ساقطة من م.

(١١) هذا رد على قول المعتزلة بالوجوب على الله استدلالاً بما أوجبه على نفسه في مثل قوله: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ وقوله: ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾. ويُعَدُّ قولهم هذا نسيئة لقولهم بالتحسين العقلي وتحقيق الألفاظ ومراعاة مصالح المتكلمين في التكاليف الشرعية. انظر تفسير المعتزلة/

الإحساني. وأما الطرف الآخر فاسم الجراء عليه أوقع وأطبق من حيث المقابلة. فلهذا قيل في هذا: ﴿ جَزَاءُ وَفَاقًا ﴾ كما قال تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(١). وأما الجزاء الإحساني فقد فاق الوفاق وعجز عنه التقدير. فلهذا أعقب قوله سبحانه ﴿ جَزَاءُ ﴾ بما^(٢) يشعر بجريانه^(٣) على حكم الإنعام والإحسان. فقال تعالى: ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾. وفي هذه الإضافة ما يشعر بعظيم الرحمة، وزكفى القرب بقوله: ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ثم قال: «عَطَاءً»، فأعلم^(٤) أنه لا يماثل ما [٢٣٢/ظ] ارتبط من عمل العبد، بل يفوق رجاء العبد وتقديره. ثم قال تعالى: ﴿ حِسَابًا ﴾ فأشار إلى التضعيف المتقدم ولم يكن ليلائم جزاء السيئة أن يقال فيها: «مِنْ رَبِّكَ» ولا لتسمى «عَطَاءً»، ولا «حِسَابًا»، على ما بيناه فورد كل على ما يناسب ولا يمكن فيه العكس، والله أعلم.

فإن قيل: فقد ورد التضعيف في جزاء السيئات، قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُفْجِرِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ﴾.

فالجواب^(٥) أن التضعيف هنا ليس على الحد المتقدم في تضعيف جزاء الحسنة فإن المراد هناك أن الحسنة الواحدة يتضاعف عليها الجزاء بعشر أمثالها إلى أكثر كما تقدم. وأما المراد بتضعيف العذاب فتكثيره بحسب كثرة المجترحات^(٦) لا أن السيئة الواحدة يضاعف الجزاء عليها بدليل قوله تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ وقد تمهد هذا وتقدم قبل قوله في أهل الامتحان: ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمُ

(١) التحريم/ ٧.

(٢) ب: ما، وبعدها في ك، م، هـ، ع: كانوا.

(٣) ك: بجزائه.

(٤) فأعلمه.

(٥) م، ع: والجواب.

(٦) غائمة في هـ، ك.

(٧) ك: لأن.

الْعَذَابَ ﴿١﴾ ، ما يشهد بما ذكرته . وبين المراد وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (١) . فهؤلاء كذبوا على ربهم وصدوا عن سبيله وبنغوها عوجاً وكفروا بالجزاء . فهذه مرتكبات عذبوا بكل مرتكب منها فتضاعف عذابهم لتضاعف مرتكباتهم ، لكل مرتكب منها عذاب يخصه فليس ما ذكر من التضعيف في هذا الطرف على حد ما هو في الطرف الآخر . وقد بين القرآن ذلك بغير (٢) الجواب عن تخليدهم وكيف نُبِّه عليه أنه وفاق لكفرهم .

سورة والنَّازِعَاتِ

٣٦٢ - قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴾ (٣٤) .

وقال في سورة عبس (٣٣) : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ ﴾ ، والمراد بها القيامة فيسأل عن وجه افتراق العبارة ، وهل كان يحسن ورود الصَّاخَةُ هنا والطَّامَةُ هناك (٣) .

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن الطامة والصاخة وإن أريد بهما في السورتين شيء واحد ، فإن اسم الطامة أَرْهَبُ وَأَثْبَأُ بأهوال القيامة ، لأنها من قولهم : طَمَّ السَّيْلُ (٤) إذا علا وغلب . وأما الصاخة فالصيحة الشديدة من قولهم صَخَّ بأذنيه مثل أصاخ فاستعيرت في (٥) أسماء القيامة مجازاً ، لأن الناس يصيحون

(١) هود / ١٨ ، ١٩ -

(٢) إلى آخر شرح الآية محذوف من ك .

(٣) ب : صيغة السؤال (يقال ما الفرق بين العبارتين والجواب . .) .

(٤) هـ ، م : السهل .

(٥) ك : على .

لها. فلما كانت الطامة أبلغ في الإشارة إلى أهوالها خص بها أبلغ السورتين في التخويف والإنذار. وعلى ذلك بنيت سورة «النازعات»^(١). ألا ترى قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ [و/٣٣٣] تَتَّبِعُهَا الرُّادِفَةُ﴾^(٢)، ووصف الطامة بالكبرى وما أتبع به بعد، وابتداء السورة وختامها فكلها تخويف وترهيب، فناسبها أشد العبارتين موقعاً وأرهبها.

وأما سورة «عبس وتولى» فلم تُبنَ على ذلك الغرض وإنما أثبتت على قصة عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى وذلك مشهور^(٣). ثم ورد قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ﴾، عقب التذكير بقوله: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾^(٤)، والتحريك للاعتبار بقوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ - إلى قوله - ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾^(٥). ثم اتبع بعد ذكر الصاخة بقوله: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ. ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾^(٦)، فسورة «النازعات» على الجملة أشد في التخويف والترهيب، فناسبها أبلغ العبارتين من أسماء القيامة في التخويف والإنذار بحالها، وليست سورة «عبس وتولى» كسورة «النازعات» في التخويف والترهيب فناسبها إيراد اسم القيامة بالصاخة؛ إذ ليست في الإرهاب كالطامة. فجاء كل على ما يناسب، ولا يناسب عكس الوارد على ما تمهد، والله أعلم بما أراد.

(١) ل: النازعات.

(٢) النازعات/ ٧، ٦.

(٣) ذلك أن عبد الله بن أم مكتوم دخل على الرسول ومعه جماعة من عتاة قريش وسادتها فقاطعه مراراً حتى ظهر العيوس في وجهه ﷺ. رواه السيوطي عن الحاكم والترمذي في صحيحهما عن عائشة. وقال الترمذي: حديث غريب. انظر: مبهمات القرآن/ ٤٣، أسباب النزول/ ٢٩٥، صحيح الترمذي ٤٣٢/٥ رقم/ ٣٣٣١.

(٤) عبس/ ١١.

(٥) عبس/ ٣٢-٢٤.

(٦) عبس/ ٣٨، ٣٩.

سورة التَّكْوِيْرِ

٣٦٣ - [الآية الأولى منها] قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ (٦).

وفي سورة الانْفِطَار (٣) : ﴿ وَإِذَا الْبَحَارُ فُجِّرَتْ ﴾.

للسائل أن يسأل عن اختصاص^(١) الأولى بقوله : ﴿ سُجِّرَتْ ﴾ ، والثانية بقوله : ﴿ فُجِّرَتْ ﴾ .

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن قوله : ﴿ سُجِّرَتْ ﴾ ، معناه مُلِئَتْ ، من قولك : سَجَرْتُ الثَّوْرَ ، إذا ملأته بالحطب .

وقرىء مخففاً ومثقلاً^(٢) والمعنى واحد ، والمراد اجتماع مياهها .

وأما قوله : ﴿ فُجِّرَتْ ﴾ ، فمعناه فُتِحَ بعضها إلى بعض ، واختلط العدد بالمالح فصار بحراً واحداً بزوال^(٣) البرَّخ الحاحز بينهما . وكل من الإحصارين وُدي معنى غير معنى الآخر ؛ فإن معنى الامتلاء غير الانفجار ثم كل من الإحصارين مناط بالآخر لما بينهما من الشبه . ولهذا حُرِيَ^(٤) كلام أكثر المفسرين على تفسير كل واحد من اللفظين بما يحرز المجموع من معنيهما . وتفصيل ذلك على ما ذكرت^(٥) مما يقتضي التباين لا الترادف . والإخبار بكل واحد منهما مقصود معتمد لكمال المراد . وإنما خصت سورة «الانْفِطَار» بلفظ الانفجار ليناسب مطلع السورة وافتتاحها . ألا ترى أن في انفجار العذب إلى المالح ، والمالح إلى العذب ،

(١) ب : صيغة السؤال (يقال ما وجه احصاص . . .) .

(٢) قراءة التحفيف : سُجِّرَتْ ، وهي قراءة ، اس كثير ، وأبي عمرو . وقرأ بقية القراء بتشديد هاء . السبعة /

٦٧٣ ، وانظر : الأنحاف / ٤٣٤ ، الشرع / ٣٩٨ .

(٣) ك : بزول .

(٤) ك : أخرى .

(٥) ب ، ك : على ما ذكرته ، ع : ذلك مما ذكرته .

وبعضها إلى بعض انفطار ناسب انشقاق السماء وانفطارها. فانفطار^(١) السماء، وانفجار البحار، وبعثرة^(٢) القبور، وانتشار النجوم كل ذلك متناسب أوضح تناسب وأبينه وحشر الوحوش وتزويج النفوس، وتسجير البحار. هذا كله اجتماع وائتلاف^(٣) يناسب بعضه بعضاً، كما أن انفطار السماء وانتشار الكواكب وتفجير^(٤) البحار، وبعثرة القبور يناسب بعض ذلك بعضاً. فالتحام هذه الجمل في السورتين أبين التحام وأوضحه^(٥) ملائمة^(٦) [٢٣٣/ظ] وتناسباً. فورد كل من ذلك على ما يجب ويناسب، والله أعلم بما أراد.

٣٦٤ - الآية الثانية منها^(٧) قوله تعالى:

﴿ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ ﴾ (١٤).

وفي سورة الانفطار (٥): ﴿ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ ﴾.

للسائل^(٨) أن يسأل عن موجب الاختلاف^(٩) مع اتحاد المقصود في السورتين.

والجواب عن ذلك - والله أعلم^(١٠) - أن المعنى في الأيتين واحد، إذ الذي تُحضِّره كل نفس هو الذي قدَّمت من عملها وأخَّرت. إلا أن كلاً من الموضعين في السورتين خصَّ بما يناسب^(١١).

(١) ك: انفطار.

(٢) هـ، ب، م: وبعثرت.

(٣) جميع السخ: وبتلاف.

(٤) ك: تفجير.

(٥) ك: واضحة.

(٦) ك: ملائمة.

(٧) في ك، ع فقط.

(٨) السؤال مكرر في هـ، ك، ع ومضروب عليها في م.

(٩) ب. صيغة السؤال (يقال ما موجب الاختلاف...).

(١٠) نقل هنا جواب الآية الأولى منها من قوله: «إن قوله ﴿سُجِّرَتْ﴾ معناه ملئت» إلى آخر الكلام في: ك،

ب، ع، ونبه في م إلى التكرار بكتابة «كرر من» فوق ﴿سُجِّرَتْ﴾ و«إلى» فوق «أراد» في ختام

الشرح. وحذف الريادة ناسخ هـ.

(١١) هـ، ك: يناسبه.

أما الآية الأولى، فإنه لما انحصر فيها وفيما قبلها من أول قوله: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ - إلى آخر قوله - ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾^(١)، الأهوال المشاهدة من لدن ابتداء نفخة الصعق إلى انتهاء تلك المقامات بتسعين الجحيم وإزلاف الجنة وهو عبارة عن إدنائها لداخلها. وجيء بتلك الإخبارات منسوقة بالواو المقتضية الجمع حتى كان تلك المقامات عبر [٢٣٤ / و] عنها بلفظ واحد وتحصلت حاضرة للتصور الذهني، ناسب ذلك تقدير الأعمال المرتب^(٢) عليها الجزاء حاضرة والعبارة عنها بما يحصل ذلك^(٣)، فقل: ﴿ عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا أُحْضَرْتُ ﴾، وكأن قد قيل: إذا حضرت هذه الأهوال مدركة للعيان^(٤) حضرت أعمالكم بالتذكر لها، ومطالعتها مكتوبة محصورة في الصحف التي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا محصاة فيها. بين^(٥) هذا قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى. يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴾^(٦) وقوله تعالى: ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾^(٧).

أما الآية الثانية فإنه لما كان قوله: ﴿ عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا أُحْضَرْتُ ﴾ غير مفصح باستيفاء أعمال^(٨) الخلائق، جيء بهذه الآية بعدها مشيرة إلى الحصر بما يشير^(٩) إليه من ضبط طرفي أعمال^(١٠) المكلفين فقل: ﴿ عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا قَدُمْتُ وَأُخِّرْتُ ﴾، ففسرت مجمل ما قلها وكأن قد قيل: علمت نفس ما أحضرت من متقدم عملها ومتأخره. واقتضى التاسب تقدم الاختصاص حيث ذكر، وتأخير ذكر التقديم والتأخير حيث ذكر. واتصل كل بما يشاكلة وبلائمه ولا يمكن سواه إد

(١) التكويم / ١-١٣.

(٢) هـ، ب، ع: المرتب.

(٣) ك: من ذلك.

(٤) هـ، م، ب: العيان.

(٥) هـ: بين.

(٦) النازعات / ٣٤، ٣٥.

(٧) الكهف / ٤٩.

(٨) هـ، م: بأعمال.

(٩) ك: تشير.

(١٠) هـ، م: أعمار.

التعريف بالإحصار^(١)، والحصر بذكر ما قدم وما آخر مقصود معتمد أن يذكر ذلك على الاستيفاء في كل من السورتين من غير تفصيل وذلك تكرار من غير داع ولا مسوغ له. وأما أن يذكر مفصلاً على غير ما ورد وذلك غير مناسب، فلم يبق إلا وروده على أتم الملاءمة والمناسبة. وهذا على رعي ترتيب القرآن على ما تقرر عليه فرقت الأيتان بإحصاء الأعمال المحضرة، ما تقدم منها وما تأخر أي ما عمله المكلف في أول عمره وبدء تكليفه، وفي آخر عمره وختم عمله كما أخبر تعالى من قول المجرمين: ﴿يَا وَيْلَتَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَايِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أُحْصَاهَا﴾^(٢). فقدم ذكر إحصارها أولاً ليناسب به ما تقدم، وأخر ذكر إحصائها ليعلم بالحصر والاستيفاء. وجاء كل على ما يجب ويناسب، والله سبحانه^(٣) أعلم بما أراد.

سورة الأنشاق

٣٦٥ - [الآية الأولى منها] قوله تعالى فيها:

﴿وَأَذِنتُ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾^(٢).

وتكرر ذلك بعد^(٤)، لا سؤال فيه، لأن كل واحد من الإخبارين معقب به غير ما أعقب به الآخر. فالأول إخبار عن السماء في طاعتها وانقيادها، والآخر إخبار عن الأرض بمثل ذلك، وأن كل واحدة منهما سمعت وانقادت: فانفطرت السماء وتشققت، وانتشرت نجومها، وأزيلت الجبال عن الأرض فامتدت وألقت ما تحملته [٢٣٤/ ظ] من الأموات، وغير ذلك مما استودعته من المعادن والكنوز وتخلت عنها سامعة مطيعة. وإن كان الإخبار الأول عن السماء والآخر عن الأرض فلا تكرار.

(١) في ك، فقط، وبقيّة النسخ: الإحصار - بالصاد المهملة.

(٢) الكهف/ ٤٩.

(٣) محذوف من ب.

(٤) الأنشاق/ ٥.

٣٦٦ - الآية الثانية^(١) منها^(٢)، قوله تعالى:

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ (٢٣).

وفي سورة البروج (١٩، ٢٠): ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِي تَكْذِيبٌ. وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾.

للسائل أن يسأل عن اختصاص الأولى بقوله: ﴿ يَكْذِبُونَ ﴾ بلفظ المضارع، والثانية بقوله: ﴿ لِي تَكْذِيبٌ ﴾ بلفظ المصدر مع اتحاد المعنى المقصود.

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن آية الانشقاق تقدمها وعيد آخر أوي كله^(٣) لم يقع بعد، وهم مكذبون بجميعه، فجاء هنا باللفظ المقول على الاستقبال وإن كان يصلح الحال ليطابق الإخبار، لأنه عما يأتي، ولم يقع بعد، فجاء بما يطابقه في استقباله.

فأما آية البروج، فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ. فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾^(٤)، وحديث هؤلاء وأخدهم بتكذيبهم قد تقدم ومضى زمانه، وهؤلاء مستمررون على تكذيبهم قليل: ﴿ فِي تَكْذِيبٍ ﴾ وجيء بالمصدر، ليحرز تماديهم، وأن ذلك شأنهم أبداً فيما أخبرهم به. وفيما تدعوهم إليه وتخبرهم به. ولفظ المصدر أعطى لما قصد من هذا من لفظ المضارع فجاء في كل من الآيتين بما يناسب^(٥) [٢٣٥ / و].

(١) م: آية ثانية.

(٢) صاقط من ب، ع.

(٣) ب: كله - كان - لم.

(٤) ابروج / ١٧، ١٨.

(٥) بقية الصفحة بياض في هـ، م، ب، ع قال الناسخ في ب: «كذا وحديثه»، وقال ناسخ وع: «وكذا وحد بالأصل المسوخ منه». وبعدها في ك: «سورة البلد» بدون بياض.

سورة البلد

٣٦٧ - الآية الأولى منها قوله تعالى :

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ . وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ (١ ، ٢) .

للسائل أن يسأل عن تكرير^(١) لفظ البلد وجعله معطوفاً وفاصلة في الآيتين وكيف موقع ذلك في البلاغة وعند الفصحاء .

والجواب أنه قد تقدم أن العرب مهما اعتنت بشيء ، وتهممت به كررته ، وأن ذلك من فصيح كلامهم ، وأن منه قوله^(٢) :

* وَإِنْ صَخْرًا لَوَالَيْنَا وَسَيِّدَنَا * (البيتان)

والبلد الحرام لم يزل معظماً عند العرب . وما شأنه كذلك فتكريره مستحسن مع أن التكرير هنا ليس كالتكرير الواقع في قوله^(٣) :

* لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئاً *

وقول الآخر^(٤) :

* لَيْتَ الْغُرَابَ غَدَاةً يَنْعُبُ دَائِماً كَانَ الْغُرَابُ مُقَطَّعَ الْأَوْدَاجِ^(٥)

لأن هذا مما أوقعوا فيه الظاهر موقع الضمير المحتاج إليه في ربط الخبر بذي الخبر^(٦) . فجاءوا به ظاهراً تهويلاً لأمر الموت ، فقال : يسبق الموت ، وهو يريد : يسبقه وهو ضمير لازم جعل موضعه الظاهر تعظيماً له ، والكلام واحد حصل فيه الربط بإعادة الاسم ظاهراً . وكذا فعل الآخر في قوله : «كَانَ الْغُرَابُ مُقَطَّعَ

(١) ب : صيغة السؤال (يسأل عن تكرير .) .

(٢-٤) سبق تخريج الآيات الثلاثة في الآية رقم / ٣٣٤ .

(٥) ل : الأجناح .

(٦) قوله : بذي الخبر ، في ل ، ب فقط

الأوداج^(١)، أعاد الظاهر موضع المضمرة، وارتبط الكلام وحسن بإعادة^(٢) الظاهر لما قصد من التهويل^(٣) والتشنيع وعظيم ما توهم من التفاؤل به. وهذا فيما وقع في جملة واحدة.

وأما ما يقع من تكرير المكرر في جملتين^(٤) إذا كرّر اعتناء أو تهويلاً^(٥) فأفصح عندهم من الواقع في جملة واحدة لحصول مناسبة تحسن، كقوله في عجز البيت المتقدم:

نَغْصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

فتكرير الموت هنا أوسع التوجيه في تكراره في قوله في صدر البيت: «يُسْقِ الْمَوْتُ شَيْئاً»، لأننا إذا عللنا هذا إنما نقول أعاد الظاهر موضع المضمرة لما أراد من تعظيم الموت، وتهويل أمره. فإذا عللنا تكريره في قوله:

نَغْصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

اعلناه بهذا، وبأن الكلام جملتان فحسن بينهما ما لا يحسن في الجملة الواحدة. وإذا تقرر هذا فاعلم أن الواقع في الآية العلية أجل في البلاغة من هذا كله وأعظم موقعاً في الفصاحة لاتساع مجال التوسع^(٦). ألا ترى أن البلد معظم فهذا مسوغ كاف، والكلام جملتان وهذا مسوغ أيضاً، والجملة الواقع فيها [٢٣٥ / ظ] التكرير جملة اعتراض. وجمل الاعتراض كالكلام الأجنبي بوجه ما، إنما يؤتى بالجملة تشديداً وإنباء بما يقصد من اعتناء أو تحرير كلام. فلكون جمل الاعتراض أجنبية في الأصل من الكلام، حسن فيه ما لا يحسن في غيرها، فساغ التكرير، وحسن في الآية من هذه الأوجه الثلاثة. ألا ترى أن القسم إنما وقع

(١) هـ، م، ب: إعادة.

(٢) هـ، م، ب: التهويل.

(٣) ك: الجملتين.

(٤) ك: وتهويلاً.

(٥) ك: التسويغ، ب: التوسيع.

بقوله: ﴿ أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾، ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾^(١)، وليس قوله: ﴿ وَأَنْتَ حُلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ مما وقع به قسم بوجه وإنما هي جملة اعتراض سبقت بياناً لعظم قدره صلى الله عليه وسلم عند ربه، وأن هذا البلد العظيم المحرمة أحيل له، ولم يُحَلَّ لأحد غيره، فكان قد قيل: أقسم بهذا البلد العظيم لدينا، وقد أحلناه لك على عظم قدره. وذكره ظاهراً لما يحرز هذا المعنى من تعظيمه، لما فيه من تعظيمه لما فيه من التنبيه والتحريك، فسبقت هذه الجملة اعتراضاً وكلاماً قائماً بنفسه^(٢)، ليس من المُقَسَّم به في شيء. وإنما جيء به لما ذكر، وإذا تباين الكلام بجهة ما، لم يستقلوا فيه إعادة الظاهر إذ هو بمثابة ما الثاني فيه غير الأول. فوضع أن الآية واردة على أعلى وجوه البلاغة وأفصح الكلام، وأنه لو جيء هنا بالمضمر مكان الظاهر لم يكن وجه الكلام، والله أعلم.

٣٦٨ - الآية الثانية^(٣) من^(٤) سورة البلد قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ (٤).

وفي سورة «التيس والزيتون» (٤): ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾.

إن سئل^(٥) عن قوله في الأولى: ﴿ فِي كَبَدٍ ﴾^(٦)، وفي الثانية: ﴿ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾. فالجواب^(٧) عنه^(٨) أنهما حالان من حالات الإنسان لا تعارض بينهما،

(١) راجع الآيات في سورة البلد / ١-٣.

(٢) ك: لنفسه.

(٣) ع: آية ثانية.

(٤) هي وما بعدها إلى «البلد» محذوف من ب.

(٥) ك: أن يسأل.

(٦) صيغة السؤال (يسأل عن وجه قوله: ﴿ فِي كَبَدٍ ﴾...).

(٧) ب: والجواب.

(٨) محذوف من ع.

لأن مصروف كل من هاتين الحالتين بين وكلام المفسرين في ذلك شاف. وليس هذا بالجملة من الغرض المبني عليه هذا الكتاب، إذ لا إشكال فيه.

سورة ألم تشرح لك صدرك

٣٦٩ - قوله تعالى:

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (٤، ٥).

يسأل عن وجه التكرير.

والجواب عنه أن هذه السورة تضمنت ذكر إنعامه سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم أتبع تلك المنح الجليلة بما تشركه فيه أمته من التأنيس بتيسير ما عرص فيه عسر للمؤمن في أمر دينه ودنياه. فقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾، فبشر عباده بأن العسر يتبعه اليسر وتؤكد ذلك بأن المؤكدة للخبر، وزيد تأكيداً بالتكرير وتوسيع التأنيس بالإشعار^(١) [٢٣٦ / و] الحاصل من تنكير اليسر، وتعريف العسر فإن العرب إذا أعادت الاسم بأداة العهد، وهي الألف واللام، كان المذكور ثانياً هو المذكور أولاً. وسواء كان المذكور أولاً نكرة أو معرفة. تقول: لَقِيتُ رَجُلًا فَأَكْرَمْتُ الرَّجُلَ، إنما تريد الأول الذي لقبته. فإذا قلت: «رَجُلًا فَأَكْرَمْتُ رَجُلًا»، كان الثاني^(٢) غير الأول. هكذا كلامهم. وقد وقع اليسر في الآية منكرًا في الموضعين، فأشعر بالتوسعة. ولهذا قيل: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ». فتحصل من التكرير وتنكير ما نكر توسعة طرف الرجاء والتأنيس وذلك المناسب لما بنيت عليه السورة، والله أعلم.

(١) ك: كالإشعار.

(٢) في ب فقط.

سورة العلق^(١)

٣٧٠ - قوله تعالى:

﴿ اَلْاٰرْءٰ بِاَسْمِ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (١ ، ٢) .

يسأل عن تكرير ﴿ خَلَقَ ﴾ .

والجواب عنه أنهما قصدان . فالمراد أولاً خلق المخلوقات ، وشتى العوالم .
والمراد ثانياً تخصيص خلق الإنسان ، وأنه خلقه من علق ، فلا تكرير على هذا .

سورة التكاثر

٣٧١ - قوله تعالى:

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣ ، ٤) .

يسأل عن تكرير قوله: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

والجواب أنه تهديد ووعيد ، فناسبه التكرير تحقيقاً وتشبيهاً ، كقوله: ﴿ الْحَاقَّةُ . مَا الْحَاقَّةُ ﴾ و ﴿ الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ ﴾ ، وما أتى من مثل هذا ودخلت ثم العاطفة في المعطوف بها كما دخلت في قوله: ﴿ ثُمَّ قُلْ كَيْفَ قَدَرٌ ﴾ ، وقد تقدم^(٢) .

سورة الكافرين

٣٧٢ - [قوله تعالى:

﴿ لَا اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا اَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا اَعْبُدُ . وَلَا اَنَا عَابِدُ مَا عَبَدْتُمْ . وَلَا اَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا اَعْبُدُ ﴾ (٢ - ٥)] .

(١) هـ ، م ، ب ، ع : القسم والصواب ما نأشأه .

(٢) هـ : وتقدم في سورة الكافرين .

للسائل أن يسأل عن تكرير ما ورد فيها.

والجواب أنها^(١) لم يتكرر فيها آية واحدة، إذا اعتبرت، لأن كل آية منها تفيد من المعنى وتحرز ما لا تفيده الأخرى بذلك التحرير. فكأنها متباينة الالفاظ لتباين معانيها، مع جليل التشاكل، وعليّ التلاؤم والتناسب. بيان ذلك أنه ورد في سبب نزول هذه السورة أن قريشاً قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة. وروي أنهم قالوا: تعالوا فلنشترك في عبادة آلهتنا وإلهك، فنأخذ الخير حيث كان؛ فتبرأ صلى الله عليه وسلم من مقالهم، فأنزل الله السورة فتلاها عليهم وهم مجتمعون في المسجد^(٢). فقله: ﴿لَا أُعْبِدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، أي لا أفعل ذلك فيما أستقبله من زماني، ولا أنتم تفعلونه فيما يستقبل. وهذا إخبار منه سبحانه عن أولئك العصابة أنهم لا يؤمنون وهم الذين قتلهم الله [٢٣٦ / ظ] يوم بدر. فهذا إخبار بغيب، ثم قال: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ أي: ولا أنا متصيفٌ فيما مضى من عمري إلى الآن بعبادة آلهتكم ولا كنتم أنتم فيما مضى متصفين بعبادة الله سبحانه فحصل من ذلك الإخبار عن حال ما يُستقبل منه صلى الله عليه وسلم ومنهم وعن حال ما مضى وتقدم منه صلى الله عليه وسلم ومنهم. فعبر عن أربعة أحوال متباينة وهي حاله عليه السلام فيما يستقبل وحالهم، وحاله فيما تقدم من قبل وحالهم. فعبر عن هذه الأربع بأربع آيات فلا تكرار.

فإن قلت: فكيف تنزيل آي السورة^(٣) على هذا؟

قلت: إن لا النافية، إذا دخلت على المضارع المبهم مجردة عن قرينة من

(١) ب: أنه.

(٢) روى هذا النص الواحد في أسباب النزول / ٣٠٧، وزاد السيوطي من رواية الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس: إن قريشاً دعيت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة، ويوزحروه ما أراد من النساء. فقالوا: هذا لك يا محمد ونكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء. فإن فعل فاعبد آلهتنا سنة قال: حتى انظر ما يأتيني من ربي فأنزل الله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. الليل / ٢٤٤.

(٣) ك: القرآن.

لفظ، خلصته للاستقبال وقد دخلت في أول آية على قوله: ﴿أَعْبُدُ﴾، فتخلص هذا الإخبار للاستقبال^(١). ثم بنيت الجملة من قوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، على ما قبلها ليتقابل الإخبار، ويلتزم نظم الكلام، وجيء فيه بالجملة الاسمية، لأنها تُحرز من حيث تسلط النفي على الصفة - أنها لا توجد فيهم، ولا يتصفون بها في شيء مما يستقبلونه من الزمان. فنفي الصفة أحرز تبعهم ما يستقبل من نفي الفعل. فإن قيل: فإذا كان نفي الصفة على ما ذكرت، فلم لم يأت كذلك أولاً، فكان يقال^(٢): لا أنا عابد ما تعبدون^(٣)، أو ما أنا عابد ما تعبدون.

قلت: لم يكن كذلك لأمرين:

أحدهما: أنه جواب لقولهم آعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة. فلما كان جواباً لفعل أتى فيه بالفعل نفياً لعين ما طلبوه^(٤)، ولو نفي الاسم لما كان مطابقاً لقولهم.

والثاني: أن الجملة الاسمية إنما نفيها ب: «ما»، لا ب: «لا». و«ما» ليست مخلصاً^(٥) للاستقبال. ونفي الاستقبال مقصود، فلم يكن بد مما يحزره. لهذا ما حمل أولاً على ما عليه الكلام. وأما الجملة المنفية على هذه وهي قوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، فتنبه لما قصد تعريفهم به، إذ هي ظرف معرف بحالهم بناء^(٦) على ما تقدمها من بيان حاله عليه السلام، فهي من جملة جوابهم، وبنائها على ما تخلص استقباله مخرج عن الأداة المخلصة، لأن حكمها حكم ما بنيت عليه وتم بها، أنه قد وقع الفعل المبهم في صلة «ما» وهي معمولة لاسم الفاعل المجموع الواقع خبراً عن «أنتم»، ولا يعمل إلا بمعنى الحال والاستقبال، ولكن

(١) ك: لما يستقبل.

(٢) بعدها في ب: إلا أنا.

(٣) إلى آخر الجملة ساقط من «ك».

(٤) ك: طلبوا.

(٥) ك، ع: بمخلصة.

(٦) ك: بحالنا.

المعتمد الجوابية على ما تقدم^(١). فقد تبين أن قوله: ﴿لَا أُعْبِدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبِدُ﴾ إخبار عما يستقبل من الزمان، وعن حاله عليه السلام فيه وحالهم فيه أيضاً. ثم قال: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا [٢٣٧/] عَبَدْتُمْ﴾. فهذا نفي لما تقدم ومضى على كفاية الحال الماضية، ولهذا أعمل اسم الفاعل في «ما». ولما كان فيه الإفصاح هنا بالماضي يحرز المقصود، جاءت الجملة الاسمية لتحصل الماضي والحال^(٢). أما الماضي فمفهوم زينة^(٣) الفعل وهو قوله: ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾. ولولم يقع الإفصاح بالفعل لأفهم^(٤) السياق ما ذكر، لأنه قد تقدم ما يستقبل في حق الفريقين. فلم يبق إلا ما مضى، ولا مانع من اللفظ فتعين^(٥) المقصود. وأما الحال فإن الجملة الاسمية إذا دخل عليها النفي حملت على الحال ما لم يقع في الكلام ما يقيدها بغيره.

فإن قيل: قد وقع^(٦) التقييد بقوله: ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾.

قلت: قوله: ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾ من صلة «ما» بعد^(٧) حصول خبر المبتدأ الذي هو «أنا» وهو اسم فاعل. فحصل من قوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ نفي اتصافه صلى الله عليه وسلم في الحال لعبادة آلهتهم، وإنما الحال عندنا، الماضي غير المنقطع. قال سيويه - رحمه الله - معرفاً بما^(٨) يطلق عليه اسم الحال. وهو كائن لم ينقطع^(٩) فحصل عن^(١٠) المبتدأ والخبر من قوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾، الإخبار عن

(١) ك: تقرر.

(٢) ب: لتحصل الماضي، والحال الماضي، والحال (هكذا).

(٣) ك: بنية.

(٤) ك: لأفهم.

(٥) ك: بتعين.

(٦) قد والفعل سافطان من ك.

(٧) ك: بحصول في موضع «بعد حصول».

(٨) في ع: «هو قائم» في موضع «معرفاً بما».

(٩) انظر الكتاب ٢/ ٨٦، ٨٧.

(١٠) م: على.

حاله المستمرة على ذلك فيما تقدم متصلة غير منفصلة. وحاصل^(١) من الجملة الخبرية الواقعة صلة: «وهي عبدتم» أنهم لم يفعلوا ذلك^(٢) فيما مضى. وقد حصل فيما تقدم استمرارهم على ذلك الحال إلى^(٣) حال الإخبار وزيد بياناً وتأكيذاً بقوله بعد: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ وقد حصل فيما تقدم أن تلك حالهم فيما يستقبلونه، فتحصل من المجموع أنه صلى الله عليه وسلم تبرأ من عبادة آلهتهم فيما مضى، وفي الحال، وما يأتي^(٤) وأنهم ما عبدوا الله كما يجب له سبحانه فيما مضى ولا في الحال ولا يفعلون ذلك فيما يأتي، وهو الحاصل من قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ - الآية^(٥). ثم قال سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾. هذا في مقابلة قوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾، فهو إخبار عن^(٦) حاله عليه السلام فيما مضى وتقدم من عمره صلى الله عليه وسلم، وقد تبين بما^(٧) قبل.

فإن قيل: لِمَ لَمْ يَقُلْ هنا: «ولا أنتم عابدون ما عبدت»، فكان يجري مجرى ما بني عليه، وقوبل به.

قلت: لو قيل: «ما عبدت»، لأوهم انقطاعاً، لأن قول القائل: فقلت، لا يقتضي الدوام والاتصال. وذلك وإن كان هنا مفهوماً مما^(٨) تقدم، ومن مقصود الكلام بالجملة فإن الأولى رفع الاحتمال من اللفظ كما أحرز المعنى وهو الجاري في الكتاب العزيز. ثم قال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، فحصل التبري ووضح [٢٣٧/ ظ] التفصيل المتقدم.

(١) في ك فقط وبقيّة النسخ: وحصل.

(٢) هكذا في ك، وبقيّة النسخ: «وهي عبدتم فجعلوا ذلك فيما مضى».

(٣) محذوف من ك قوله: الحال إلى.

(٤) ما بعدها إلى قوله: «فما يأتي» ساقط من م.

(٥) يونس/ ٩٦.

(٦) هـ، م، ب: من.

(٧) ك: ما.

(٨) ك: فيما تقدم.

سورة الإخلاص

٣٧٣ - قوله تعالى [غ]:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (١).

قيل في ﴿ أَحَدٌ ﴾ هنا أنه بمعنى واحد، وأصله «وحد». وربما يعتضد من قال بهذا بقراءة من قرأ: «قل هو الله الواحد»، فيجعل هذه القراءة مفسرة للأخرى وهي قراءة شاذة خارجة عن خط المصحف، فليست مما يقطع به. وربما عُضد هذا^(١) القول أيضاً بأن أحداً الواقع في الواجب^(٢) إنما ينبغي أن يكون بمعنى واحد مرادفاً له لأنه قد صح عن أئمة اللسان اتفاقهم على أن «أحداً» لفظ يخص غير الواجب من الكلام، ويقع عاماً فتقول: ما جاءني أحد؛ فيحصل منه النفي العام، ولا تقول: جاءني أحد. قال سيويه - رحمه الله - لو قلت: كان أحد من آل فلان، لم يكن كلاماً. فإذا ورد في واجب فينبغي أن يحمل على أنه بمعنى واحد، إذ قد تبين أن «أحداً» المقتضي العموم والاستفراق لا يرد في واجب ولا يتكلم به فيه. وعلى هذا كلام العرب، فحصل منه أن «أحداً» لفظ مجمل يكون للنفي العام. فهذا لا يقع في كل واجب، ويكون بمعنى واحد فيقع في الواجب وغيره. والواقع في سورة الإخلاص من هذا القليل، أغنى الذي أحَدَ فيه بمعنى واحد.

فإن قلت: فكيف ترى موقع هذا التفسير؟

قلت: أما القول بأن «أحداً» هنا مرادف لواحد، وبمعناه من كل جهة، فقول ليس ببدع. ولذلك جرى عليه أكثر المفسرين؛ ولكن فيه ادعاء ترادف اللفظين من غير حامل قطعي أكثر من وقوع أحد في بعض المواضع مستغني به عن واحد المتواقع في العدد عند التركيب أو العطف في قولك: أحد عشر، [أو] واحد وعشرون، وشبه ذلك. ولا يُنكر من كلامهم الاستغناء بالشيء عن الشيء لتقارب

(١) هـ، م: بهذا.

(٢) لك: الواحد، ع: الموح.

ما، ونسبة واشتراك في طرفٍ ما. وما أراك تجد في كلامهم لفظ «أحد» المجرد عن التركيب والإضافة والعطف واردة في معنى واحد، ومرادفأله على القطع ابتداءً. فإذا ثبت هذا وجب إجراء الكلام على إبقاء كل واحدة من اللفظتين على ما استقر لها من المعنى ولا يعدل عن ذلك ما وجد عنه مندوحة. وقد أوضح الاعتبار الفرق بين: أحد وواحد، من جهة اللفظ وحكمه، ومن جهة المعنى.

أما الفارق اللفظي، فإن لفظ واحد قد فرقوا فيه بين المذكر والمؤنث قالوا: واحد، وواحدة، فألحقوا مؤنثه الهاء وجمعه فقالوا: وَحْدَانٌ. وأما أحد فلم يلحقوه علامة تانيث ولا جمعه.

وفرق ثانٍ وهو أنهم استعملوا واحداً في الواجب وغير الواجب. تقول: جاءني رجل واحد، ومررت برجل واحد. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُكُمْ [٢٣٨/و] إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(١)، ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(٢)، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾^(٣)، أي بخصلة أو موعظة واحدة. ومن غير الواجب: ﴿أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا تَتَّبِعُهُ﴾^(٤)، ﴿أَجْعَلِ آلَ اللَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا﴾^(٥).

أما أحد فلا يقع مفرداً مجرداً^(٦) عن إضافة أو تركيب في كلام واجب أصلاً، فلا تقول: جاءني أحد، ولا مررت بأحد، ولا ورد في كتاب الله سبحانه في كلام واجب إلا قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ويقع في غير الواجب وهو باب الذي اختص به تقول: ما جاءني أحد، وما مررت بأحد. قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾^(٧)، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٨)، ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾^(٩).

(١) البقرة/ ١٦٣.

(٢) الأنعام/ ١٩.

(٣) سبأ/ ٤٦.

(٤) القمر/ ٢٤.

(٥) ص/ ٥.

(٦) محذوفة من ك.

(٧-٩) الكهف/ ٢٦، ١١٠، ٣٨ على الترتيب.

﴿لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾^(١)، ﴿وَلَنْ تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾^(٢)، وذلك كثير جداً.

وفرق ثالث وهو أن واحداً يقع تابعاً في أكثر موارد وهو الوجه فيه، لأنه جرى صفة وإن كان الوصف به عارضاً، كما في الأعداد، لكنه قد أجرى صفة. وحكم ما ليس بخاص من الصفات لزوم التبعية، ولا يقع أحد تابعاً أصلاً إلا في نادر. فلا تقول: ما جاءني رجل أحد، كما تقول: رجل واحد، ولا ما أشبه ذلك. فهذه فروق [ثلاثة]^(٣) من جهة حكم اللفظ.

وأما الفرق من جهة المعنى، فإن واحداً يقع على كل مفرد بما هو مفرد. كان مما يتصف بالعقل والعلم، أو لا يتصف. تقول: رجل واحد، وحَجَر واحد، وجَمَل واحد. وهذا خلاف حكم «أحد»، فإنه لا يقع إلا لأولي العلم والعقل من الملائكة والانس والجن.

وفرق ثان، وهو أنك تقول: «ما جاءني رجل» فيحتمل ذلك ثلاثة معان:

أحدهما: أن تريد ما جاءني رجل واحد، بل جاء أكثر.

والثاني: أن تريد ما جاءني رجل غَنَاء^(٤) وقوة، بل جاءني الضعفاء.

والثالث: أن تريد النفي العام، أي ما جاءني رجل واحد ولا أكثر، ولا قوي ولا ضعيف.

فإذا قلت: ما جاءني أحد، لم يحتمل غير معنى واحد وهو النفي العام. وهذا أوضح فارق بين لفظ واحد، وأحد^(٥). فإن قلت: قد تقرر فرق ما بين لفظ واحد، وأحد، فما الحاصل المعتمد في معنى أحد، ومقتضاه.

قلت: معناه وحدة لا غَيْرِيَّة معها ولا آتِيَّة، وإليه يشير ما فسره به أهل اللغة.

(١) الجن/ ٢٢، ٢ على الترتيب.

(٢) ك: ثالثة، وساقطة من بقية النسخ.

(٣) ك: هنا، ب: هناء.

(٤) ساقط من ك.

(٥) ما بعدها إلى قوله: «في معنى أحد» محذوف من ك.

قال صاحب العين^(١): الواحد المنفرد، وهو أُوحد في هذا الأمر، أي منفرد. وقد استشعر الفرق من المفسرين من قال: أحد بمعنى واحد فرد^(٢) من جميع جهات الوحدةانية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣). وهذا قول جملة المفسرين، وقد أحسن^(٤). أما اقتصار الزمخشري على تزاكيه في البيان وتوفر^(٥) حظه من علم اللسان على أن قال: أحد بمعنى واحد، وأصله «وَحَدٌّ»، ولم يزد على هذا، فغير مناسب لمسلكه^(٦).

وقال بعض الأئمة: الفرق بين واحد وأحد، أن الواحد المنفرد بالذات^(٧)، والأحد المنفرد بالمعنى. ومنه في أسمائه تعالى: الواحد الأحد. وقيل: واحد [٢٣٨/ظ] اسم لمفتاح العدد، ومن جنسه: واحد، لنفي ما يذكر معه العدد.

وقيل: أحد يدل على محض الوحدة، ألا ترى أنه نافي^(٨) لما يرد معه، يريد في نحو قولك: ما أتاني أحد، لانتفاء الواحد وما سواه، بخلاف قولك: ما أتاني واحد، إذ يحتمل أن تريد أنه أتاك أكثر من واحد، وقد تقدم هذا. ولا يحتمل ذلك قولك: ما أتاني أحد. ومن المعلوم المطرد أن حكم اللفظ المنفي ألا يغير موجبَه في غير ما اقتضته أداة النفي، وأن يبقى الكلام فيما عليم حكم النفي على ما كان، ولا يتغير منه شيء سوى انتقاله من الإيجاب إلى النفي. وكذا الحكم في كل أداة تدخل على لفظ الواجب من تمنٍّ، أو استفهام، أو عرض، أو غير ذلك. هذا كلام العرب ولفظ واحد^(٩) لا يتناول غير الوحدة. فلو تكلّم به في الواجب^(١٠) فقل:

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي. والعين أول معاجم العربية.

(٢) في ك فقط، وبقيّة النسخ: ورد.

(٣) الشورى/١١.

(٤) انظر: البحر المحيط ٨/٥٢٧، ٥٢٨، وأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/٢٤٤.

(٥) هـ، م: وتدبر.

(٦) انظر الكشف ٣/٣٧٦.

(٧) ك: الذات.

(٨) ب: كاف، م: باب.

(٩) ك: ولفظ أحد يتناول بوضعه غير الوحدة.

(١٠) ف، ع: الموجب.

جاءني أحد، لكان معناه: أحد لا ثاني له بوجه. ولو قلت: جاءني واحد، لم يلزم فيه ذلك، بل كان يحتمل أن تريد جاءني واحد يُعْتَدُّ به ويعتمد [عليه]، ولم ينتف أن يجيء معه من لا يعتد به أو يعتمد عليه، إذ ليس يمنع بوضعه الزائد على واحد، إذا غايره من حيث ذكر. فإذا تقرر أن حكم أحد من مقتضي الوحدة ما ذكر، تبين أنه لا يتصور ولا يصح معناه^(١) في واجب حيث يراد المخلوق المحدث، لأن كلاً من المخلوقات له^(٢) النظير والمثيل، حتى إن المتباعدات والمتباينات^(٣) متماثلة^(٤) من حيث الافتقار وانسحاب سمات الحدوث، ودلائل عدم الاستقلال، إلى غير ذلك من شواهد الحدوث. فكلها لا تنفك عن وجود النظراء والأنداد^(٥)، فلم يصح وقوع لفظ أحد في كلام واجب يقع فيه لفظ «أحد» مخلوق بما تبين^(٦). وصح ورود^(٧) ذلك في^(٨) حق الخالق - جل جلاله - لانفراده^(٩) بالوحدانية وتزويده عن النظير والمثيل. فورد لفظ أحد حيث صح معناه من الكلام الواجب. وامتنع^(١٠) حيث لا يصح معناه. أما غير الواجب، فيصح معه معنى «أحد» لصحة معنى الكلام، لأنك إذا قلت: ما أتاني أحد، انتفى كل ما يمكن وصفه بالإتيان لمقتضى^(١١) العموم، فانتفى ما وقع عليه لفظ «أحد» وانتفى النظير والمثيل. وصح هذا في المخلوق بخلاف أن لو قلت: أتاني أحد، فإنك فيه تتكلم بما لا يصح معناه، ولا يعقل، إذ ليس في المخلوقات من لا مثل له. فلما كان لفظ أحد بالنظر إلى المخلوقين يصح معناه في غير الواجب^(١٢)، ولا يصح في الواجب، ورد من كلامهم حيث يصح معناه

- (١) ك: بمعناه.
(٢) في ك فقط وبقية النسخ: لهم.
(٣) هـ، م، ب: المتباينة.
(٤) هـ، م: المتماثلة.
(٥) ك: الأمثل.
(٦) سقط من ك: بما تبين.
(٧) في ك فقط وبقية النسخ: وورد.
(٨) زاد هنا في ك: هاتين.
(٩) في ك فقط وبقية النسخ: وانفراده.
(١٠) ساقط من ك.
(١١) ك، ع: بمقتضى.
(١٢) ع: الموجب.

وامتنع حيث لا يستقيم معناه. ووضح قول أئمة اللسان: إنه لا يرد في الواجب يريدون في محاورات المخلوقين وتخطابهم، إذ لا يصح معناه هناك. فأما في حق الخالق جل جلاله فهو موضعه الذي يصح فيه ولا يتعداه [٢٣٩/ و] ولم يتعرض النحويون لعله امتناعه في الواجب، بل اكتفوا بتقرير السماع من غير تعرض للعله، إذ لا ينبغي لهم على ذلك قانون تتسع جهاته، وتنتشر مسائله. وإذا وضحت العلة تبين وجه وروده في السورة الكريمة فلم يحتج إلى ادعاء اشتراك، ولا تأويل، والله أعلم.

سورة الفلق

٣٧٤ - قوله تعالى [غ]:

﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (٣ - ٥).

للسائل أن يسأل عن التقييد بالظرف^(١) في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾، وفي قوله: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾، فلم تقع الاستعاذة من شر هذين إلا بتقييد الوقوب في الغاسق، ووقوع الحاسد. وأطلق حكم الاستعاذة من شر النفاثات وهن الساحرات، ولم يقل إذا نفثن أو إذا سحرن فيقيد كما قيد ما قبل وما بعد، فما الفرق؟

والجواب عن ذلك - والله أعلم - أن قوله سبحانه في سورة طه: ﴿ وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾^(٢) إطلاق حاكم بتمادييه وتمسادي حكمه على تلك الصفة المذمومة، فلم يكن التقييد في آية الفلق لوقيل: إذا^(٣) كذا^(٤)، ليطابق ما ورد في

(١) ب: صيغة السؤال (يسأل عن التقييد بالظرف...).

(٢) الآية / ٦٩.

(٣) في م، ك فقط.

(٤) في م فقط.

سورة «طه» من الإِطلاق. ثم إنَّ السحر كفر وقد ذكر سبحانه قول الملكين لطالب تعلمه: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾^(١)، أي بتعلُّم السحر^(٢)، وورد التَّعوذُ منه مطلقاً غير مقيد بوقوع^(٣) تأثير الكواكب، وذلك كفر. وما أجرى الله سبحانه من التأثير في العالم عند تلاقيها وتقابلها وتناظرها وما في ذلك من تفصيل التناظر. كل ذلك فعل الله سبحانه ولا تأثير إلاَّ له جل وتعالى^(٤). ويُقتل الساحر ولا استشارة^(٥) في قول.

أما الغاسق فإنه الليل إذا أظلم وليس الشر منه بما هو ليل مظلم؛ إنما هو ستر لذوي الشر لاحتجاب ظلمته عن أعين الناس، فيوقعون فيه^(٦) شرهم فالشر فيه لا بد منه. ألا ترى أنه لأهل الخير رحمة ونعمة، وكذلك لكل من لا يترصده لشر. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(٧)، أي لتسكنوا في الليل، ولتبتغوا من فضل الله في النهار. وتردد ذكر الليل في غير ما آية من كتاب الله معدوداً في نعم الله تعالى على عباده، وهو شقيق النهار في تلك. ثم إنه من حيث هو لباس وستر عن الأعين يتمكن فيه لأهل الشر ما لا يمكنهم في نهارهم فيستحكم فيه شرهم عند امتداد ظلمته لأمنهم من الناس في^(٨) ذلك^(٩)، فتبين أنه ليس شراً بما^(١٠) هو ليل؛ إذ الشر فيه، وعنده لا به^(١١) ولا

(١) الفقرة / ١٠٢.

(٢) بعدها في ك: (ولا يستحكم سحر الساحر ولا يسمى ساحراً إلاَّ باعتقاد فتين أن السحر شر مطلق فورد التعوذ...).

(٣) بعدها في هـ، م، ع: (أو- وبياض كلمة).

(٤) بعدها بياض كلمة في: هـ، م، ك، غ.

(٥) هـ، ب، ع: استشارة.

(٦) هـ، م، ع: به.

(٧) القصص / ٧٣.

(٨) ك: من.

(٩) بعدها في هـ، م، ك، ع: «وقوله».

(١٠) في ك فقط، وبقيّة النسخ: إنما هو.

(١١) ك: لأنه بما.

منه^(١)، ولا يتمكن مطلوب ذوي الشر إلا في ظلمته. فنسب الشر إليه بهذا الوجه، والإضافة في لسان العرب تكون بآدنى ملابسة. قال تعالى: ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾. والضحي ليس للعشية وإنما هما طرفان للنهار [٢٣٩/ ظ] فصحت الإضافة بهذا القدر. وقال تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(٢). والليل والنهار لا يمكران، إنما يكون المكر فيهما. قال معناه سيبويه - رحمه الله - وأما الحاسد فإن القائم بنفسه من هذه الصفة قبل أن يمضي يمكن أن ينفذ بها حسداً، ويمكن أن ينفذها غبطة. فإذا لا يتبين كونها حسداً إلا بعد أن يمضي ويوقع. ألا ترى اتحاد ما يقوم بالنفس أولاً من هذه الصفة. بيان ذلك أن كل عاقل بما^(٣) هو عاقل إذا رأى نعمة على غيره من دين أو دنيا أعجبه وتمناها لنفسه. فإن أراد زوالها عمن ظهرت عليه، وانفراده هو بها، فهذا هو الحسد المذموم، وإن تمنى مثلها لنفسه أو أكثر، وبقاء تلك على صاحبها فهذه هي الغبطة، وهي من صفات المؤمنين. فقد وضع أنه إنما يكون حسداً ويوصف بتلك الصفة عند ظهوره ووقوعه على الصفة المدمومة. وأما قبل ذلك فلا شر فيه ولا هو شر. ألا ترى أن الحاسد لو قامت به تلك الصفة، ثم تذكر واستغفر لمن رأى النعمة به بالخير، وركن قلبه إلى ذلك لم يؤخذ شرعاً بتلك الهمة والخطرة وقد نص الشرع على ذلك، واتفق العلماء على ذلك، والقاضي أبو بكر^(٤) ومن قال بقوله^(٥) على تلقي الوارد في هذا عن الشارع عليه السلام منزلاً على ما ذكرته.

فلما كان الحسد على ما ذكر، وحال الغاسق على ما تقدم لذلك ما وقع التقييد في الاستعاذة من شرهما بالظرف فقيل: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ و ﴿إِذَا حَسَدَ﴾، ولم يقع تقييد في الاستعاذة من شر السحرة. وجاء كل من ذلك على ما يجب ويناسب، ولا يمكن خلافه والله أعلم.

(١) في ك فقط وبقيّة النسخ مهموزة، لالف: الأمت.

(٢) سبأ/ ٣٣.

(٣) إنما.

(٤) هو القاضي أبو بكر الباقلاسي، وقد سبق التعريف به.

(٥) ف: «مرة قال ومرة قال»، ع: «مرة قال... ومرة قال بقوله».

سورة الناس^(١)

٣٧٥ - قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ (١).

إلى آخر السورة.

يسأل عن تكرار ﴿ الناس ﴾ في قوله تعالى: ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ و﴿ إِلَهِ النَّاسِ ﴾، ما وجه ذلك؟

والجواب عن التبعية في ﴿ مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ ﴾، على عطف البيان، ولا تحسن فيه الإضافة إلى الضمير، لأن ذلك يؤدي إلى تعرف الاسمين بضمير الأول الذي عليه حملهما^(٢). فَكَانَ يكون الأول في حكم الأعراف من اللفظ التابع له وذلك عكس ما عليه عطف البيان. أما إذا أصيف إليه متبوعه، فإنه إذ ذاك يكون مساوياً له. وذلك هو الجاري المطرد في هذا الضرب من التوابع. أعني أن يكون في الأغلب الكثير مساوياً للأول أو أعرف^(٣). فلهذا جاء مضافاً إلى الظاهر منها والله أعلم^(٤).

* * * *

وافق الفراغ منها آذان العصر يوم الثلاثاء تاسع عشري جماد الأول من شهر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة. على يد فقير رحمة ربه محمد بن محمد بن محمد البكري الشافعي غفر الله له، ولوالديه، وإخوانه، ومشايخه، وللمن نظر في ذلك واستغفر له ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

(١) ب، ع سورة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾.

(٢) هـ، م حمها.

(٣) ك. ب. وأعرف.

(٤) ك. «أكمل السفر الثاني بحمد الله، وحسن عونه، وبنيته تم جميع التأليف. وذلك ليلة الأحد من تسع عشر حلون من شعبان المعظم عام سبع وأربعين وتسعمائة للهجرة وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. عن يد العبد الضعيف المضطر إلى رحمة ربه - والراحمي غفرانه، عمر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين، أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن اندلوسي».

مراجع التحقيق

(أ)

- ١ - الإبانة - أبو الحسن الأشعري - المنيرية ١٣٤٨ / القاهرة.
- ٢ - إتحاف فضلاء البشر - أحمد الدمياطي - ١٣٥٩ / القاهرة.
- ٣ - الإتيقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم مكتبة المشهد الحسيني - ١٩٦٧ / القاهرة.
- ٤ - الإحاطة في أخبار غرناطة - ابن الخطيب - تحقيق : محمد عبد الله عنان - دار المعارف بمصر - سلسلة ذخائر العرب / ١٧ .
- ٥ - الإحكام في أصول الأحكام - الأمدى - دار الكتب الخديوية - ١٩١٤ / القاهرة.
- ٦ - أحكام القرآن - ابن العربي - تحقيق : محمد علي البجاوي - عيسى الحلبي (١٩٥٧ - ١٩٥٩) القاهرة - أولى .
- ٧ - الأحكام السلطانية - الماوردي - مصطفى الحلبي - ١٩٦٥ / القاهرة - أولى .
- ٨ - أسباب النزول - الواحدي - الحلبي - ١٩٦٨ / القاهرة.
- ٩ - إصلاح المنطق - ابن السكيت - تحقيق : أحمد شاكر، عبد السلام هارون - دار المعارف - ١٩٤٩ / القاهرة.
- ١٠ - الأصمعيات - الأصمعي - تحقيق : أحمد شاكر، عبد السلام هارون - دار المعارف - ١٩٦٧ / القاهرة - ثالثة .
- ١١ - أصول الدين - البغدادي - ١٩٢٨ / استانبول - تركيا .

- ١٢ - اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين - فخر الدين الرازي - تحقيق : الدكتور علي سامي النشار - النهضة المصرية - ١٩٤٨ / القاهرة .
- ١٣ - إعراب القرآن ، المنسوب للزجاج - تحقيق : إبراهيم الأبياري - المؤسسة المصرية العامة للتأليف - ١٩٦٥ / القاهرة .
- ١٤ - الأعلام - خير الدين الزركلي - ١٩٥٥ / القاهرة - ثانية .
- ١٥ - الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني - ج / ٥ - دار الكتب المصرية - القاهرة .
- ١٦ - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب - ابن السيد البطليوسي - ١٩٠١ / بيروت - لبنان .
- ١٧ - الأمالي الشجرية - ابن الشجري ، هبة الله علي بن حمزة العلوي - حيدرآباد - ١٣٤٩ / الهند .
- ١٨ - أمالي السهيلي - أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله - تحقيق : محمد إبراهيم البنا - ١٩٧٠ / القاهرة .
- ١٩ - إملأ ما من به الرحمن - العكبري - تصحيح : إبراهيم عطوة - مصطفى الحلبي - ١٩٦٩ / القاهرة - ثانية .
- ٢٠ - ألف باء - أبو الحجاج البلّوي المعروف بابن الشيخ - الوهبة - ١٢٨٧ / القاهرة .
- ٢١ - إنباء الرواة - القفطي - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الكتب المصرية - ١٩٥١ / القاهرة .
- ٢٢ - الإنصاف في مسائل الخلاف - أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري - تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد - التجارية - ١٩٥٥ / القاهرة .
- ٢٣ - إيضاح المكنون - إسماعيل باشا البغدادي - المثنى - بغداد / أوفست .

(ب)

- ٢٤ - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي - ١٣٢٨ / القاهرة .
- ٢٥ - البدر الطالع - الشوكاني - ١٣٤٨ / القاهرة - أولى .

- ٢٦ - البرهان في توجيه متشابه القرآن - الكرّماني - تحقيق : عبد القادر عطا - دار
الاعتصام - ١٩٧٤ / القاهرة - أولى .
- ٢٧ - البرهان في علوم القرآن - الزركشي - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - عيسى
الحلبي - ١٩٥٧ / القاهرة .
- ٢٨ - بُغْيَةُ الوُعَاة - جلال الدين السيوطي - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم -
عيسى الحلبي - ١٩٦٤ / القاهرة - أولى .
- ٢٩ - البيان والتبيين - الجاحظ - تحقيق : عبد السلام هارون - الخانجي - ١٩٦٠ /
القاهرة .

(ت)

- ٣٠ - تاج اللغة - الجوهري - الأميرية - بولاق - القاهرة .
- ٣١ - تاريخ دولة آل سلجوق - العماد الأصفهاني - شركة طبع الكتب العربية -
١٣١٨ / القاهرة .
- ٣٢ - التاريخ الصغير - البخاري - تحقيق : محمود زايد - دار التراث - ١٩٧٧ /
القاهرة .
- ٣٣ - تاريخ الفلسفة الإسلامية - هنري كوربان - ترجمة : نصير مروة ، حسن قيسي
- دار عويدات - ١٩٦٦ / بيروت - لبنان .
- ٣٤ - تاريخ قضاة الأندلس - النباهي - تحقيق : ليفي بروفنسال - دار الكاتب
المصري - ١٩٤٨ / القاهرة .
- ٣٥ - تخرّيج الفروع على الأصول - الزنجاني - تحقيق : محمد أديب صالح - جامعة
دمشق كلية الشريعة - ١٩٦٢ / سوريا .
- ٣٦ - التذكرة - ابن مَنَوِيَّة - تحقيق : الدكتور / سامي نصر ، الدكتور / فيصل بدير
عون - دار الثقافة - ١٩٧٥ / القاهرة .
- ٣٧ - تذكرة الحفاظ - شمس الدين الذهبي - حيدرآباد - ١٣٣٤ هـ / الهند .
- ٣٨ - التصريح بمضمون التوضيح - الشيخ خالد - المطبعة الأزهرية - ١٣٢٥ /
القاهرة .

٣٩ - التفسير ورجاله - محمد الفاضل بن عاشور - مجمع البحوث الإسلامية مايو/ ١٩٧٠ / القاهرة.

٤٠ - تفسير القرآن العظيم - الحافظ ابن كثير - عيسى الحلبي - القاهرة.

٤١ - تفسير القرآن الكريم - سفيان الثوري - تصحيح: امتياز علي عرشي - رامبور - ١٩٦٥ / الهند.

٤٢ - تفسير المعتزلة للقرآن الكريم - محمود كامل أحمد - رسالة ماجستير مخطوطة بآداب عين شمس.

٤٣ - التفسير الكبير - مفاتيح الغيب - الفخر الرازي - المطبعة العصرية - ١٩٣٣ / القاهرة.

٤٤ - التمهيد - الباقلاني - تحقيق: الدكتور/ محمود الخضيرى، الدكتور/ أبو ريذة - دار الفكر العربي - ١٩٤٧ / القاهرة.

٤٥ - التهذيب في التفسير - الحاكم الجشمي - المتوكلية اليمنية ٤٣ / تفسير.

٤٦ - تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلاني - حيدر أباد - ١٣٢٦ / الهند.

(ج)

٤٧ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - دار القلم (١٩٦٦ - ١٩٦٧) القاهرة.

٤٨ - جمهرة أشعار العرب - أبو زيد القرشي - ١٣٠٨ / القاهرة.

٤٩ - جامع البيان - الطبري - تحقيق: أحمد ومحمود شاكرا الأجزاء (١ - ١٦) طبعة دار المعارف بمصر. وبقية الأجزاء طبعة الأميرية بولاق ١٣٢٨ هـ / القاهرة.

٥٠ - جامع العلوم الملقب بدستور العلماء في اصطلاحات العلوم والفنون - القاضي عبد النبي عبد الرسول - حيدر أباد - الهند - أولى.

٥١ - الجُمَل - الزُّجَّاجِي - تحقيق: ابن أبي شنب - ١٣٧٦ هـ / باريس.

٥٢ - الجَنَى الداني في حروف المعاني - المرادي - تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل - المكتبة العربية بحلب - ١٩٧٣ / سوريا.

(ح)

٥٣ - حاشية الشريف الجرجاني على الكشاف - بهامش الكشاف - مصطفى الحلي - ١٩٤٨ / القاهرة.

٥٤ - حاشية الصبان على الأشموني - مصطفى الحلي (١٣٤٤ - ١٣٦٦) القاهرة.

٥٥ - الحجة في القراءات السبع - ابن خالَوَيْه - تحقيق: الدكتور/ عبد العال سالم مكرم - دار الشروق - ١٩٧٧ / القاهرة - ثانية.

٥٦ - الحسن البصري - إحسان عباس - دار الفكر العربي - ١٩٦١ / القاهرة.

٥٧ - الحور العين وتنبيه السامعين - الأمير نشوان الحميري - الخانجي - ١٩٤٨ / القاهرة.

(خ)

٥٨ - خزائن الأدب - عبد القادر البغدادي - بولاق - ١٢٩٩ / القاهرة.

٥٩ - الخصائص - ابن جني - تحقيق: محمد علي النجار - دار الكتب المصرية (١٩٥٢ - ١٩٥٦) القاهرة.

٦٠ - الخواطر السوانح في أمرار الفوائح - ابن أبي الأصبع المصري - تحقيق: الدكتور/ حفي شرف - المكتب المصري الحديث - ١٩٦٠ / القاهرة.

(د)

٦١ - دُرَّة التنزيل و غُرَّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز الخطيب الإسكافي - الخانجي - ١٩٠٨ / القاهرة.

٦٢ - الدرر الكامنة - ابن حجر - حيدر آباد - ١٩٤٨ / الهند - أولى.

٦٣ - الدرر اللوامع - أحمد الشنقيطي - مطبعة كردستان العلمية - ١٣٢٨ / القاهرة.

٦٤ - الديباج المذهب - ابن فرحون - نشرة عباس شقرون - ١٣٧١ / القاهرة.

٦٥ - ديوان أبي الأسود الدؤلي - تحقيق: محمد حسن آل ياسين - سلسلة نفائس المخطوطات - النجف - العراق.

٦٦ - ديوان امرئ القيس - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر - سلسلة ذخائر العرب / ٢٤.

٦٧ - ديوان الحماسة - أبو تمام - نشرة: الشيخ محمد عبد القادر الرافعي - ١٣٢٢ / القاهرة.

٦٨ - ديوان حميد بن ثور - صنعة عبد العزيز الميمني - ١٩٥١ / القاهرة.

٦٩ - ديوان الخنساء - تحقيق: لويس شيخو - المطبعة الكاثوليكية - ١٨٩٦ / بيروت.

٧٠ - ديوان رؤبة - ضمن مجموع أشعار العرب - نشرة: وليم بن الورد البروسي - ١٩٠٣ / ليبسك - برلين.

٧١ - ديوان عبد الله بن قيس الرقيات - تحقيق: محمد يوسف نجم - ١٩٥٨ / بيروت.

٧٢ - ديوان عدي بن زيد - تحقيق: محمد جبار المعيد - ١٩٦٥ / بغداد.

٧٣ - ديوان عمرو بن معديكرب - نشرة: هاشم الطعان - ١٩٧٠ / بغداد.

٧٤ - ديوان الفرزدق - نشرة: محمد اسماعيل الصاوي - ١٣٥٤ / القاهرة.

٧٥ - ديوان قيس بن الخطيم - تحقيق: الدكتور ناصر الدين الأسد - مطبعة المدني - ١٩٦٢ / القاهرة.

٧٦ - ديوان ابن ميادة - حنا جميل حداد ضمن رسالته للماجستير في موضوع ابن ميادة وشعره جمع وتحقيق ودراصة - مخطوط بكلية آداب عين شمس.

٧٧ - ديوان النابغة الجعدي - تحقيق: عبد العزيز رباح - المكتب الإسلامي بدمشق - ١٣٨٤ / سوريا.

٧٨ - ديوان الهذليين - نشرة القسم الأدبي بدار الكتب المصرية (١٩٤٥ - ١٩٥٠) القاهرة.

(ذ)

٧٩ - الدليل والتكملة لكتابي الموصول والصلة - المراكشي - ١٩٥٦ / بيروت.

(ر)

٨٠ - رصف المباني - المالقي - تحقيق: أحمد الخراط - ١٩٧٥ / دمشق - سوريا.

٨١ - روح المعاني - الألوسي - إدارة الطباعة المنيرية - القاهرة.

(ز)

٨٢ - زهر الآداب - الحصري - الرحمانية - ١٩٢٥ / القاهرة.

(س)

٨٣ - السراج المنير - الخطيب الشربيني - المطبعة الأميرية - ١٢٩٩ / القاهرة.

٨٤ - سمط اللآلئ - البكري - تحقيق: عبد العزيز الميمني - لجنة التأليف

(١٩٣٦ - ١٩٣٧) القاهرة.

٨٥ - سنن الترمذي - تحقيق: أحمد شاكر - الحلبي - ١٩٣٧ / القاهرة - أولى.

٨٦ - سنن الدارمي - تصحيح: محمد أحمد دهمان - دار إحياء السنة النبوية.

(ش)

٨٧ - شجرة النور الزكية - محمد بن محمد مخلوف - السلفية - ١٣٤٩ / القاهرة.

٨٨ - شذرات الذهب - ابن العماد الحنبلي - القدسي - ١٣٥٠ / القاهرة.

٨٩ - شرح أبيات سيويه - ابن السيرافي - تحقيق: الدكتور محمد علي الريح هاشم -

مكتبة الكليات الأزهرية - ١٩٧٤ / القاهرة.

٩٠ - شرح الأبيات المشككة الإعراب - الحسن بن أسد الفارقي - تحقيق: سعيد

الأفغاني - مطبعة الجامعة السورية - ١٩٥٨.

٩١ - شرح أدب الكاتب - الجواليقي - القدسي - ١٣٥٠ / القاهرة.

٩٢ - شرح أشعار الهدلين - صنعة أبي سعيد السكري - تحقيق: عبد الستار فراج -

مطبعة المدني - ١٩٦٥ / القاهرة.

٩٣ - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك - أبو الحسن الأشموني - عيسى الحلبي /

القاهرة.

٩٤ - شرح ديوان جرير - جمع وشرح: محمد اسماعيل الصاوي - مطبعة الصاوي -

١٣٥٣ / القاهرة.

٩٥ - شرح ديوان الحماسة - المرزوقي - تحقيق: أحمد أمين، عبد السلام هارون -

لجنة التأليف (١٩٥١ - ١٩٥٣) القاهرة.

- ٩٦ - شرح شافية ابن الحاجب - الرضا الأستراباذي - تحقيق: محمد محيي الدين، محمد نور الحسن، محمد الزفزاف - مطبعة حجازي - ١٣٥٨ / القاهرة - أولى.
- ٩٧ - شرح الشنتمري لشواهد سيويه - يوسف بن سليمان الشنتمري - على هامش كتاب سيويه - بولاق (١٣١٦ - ١٣١٨) القاهرة.
- ٩٨ - شرح شواهد المغني - السيوطي - المطبعة البهية - ١٣٢٢ / القاهرة.
- ٩٩ - شرح المفصل - ابن يعيش - إدارة الطباعة المنيرية - القاهرة.
- ١٠٠ - شرح مقامات الحريري - الشريشي - بولاق - ١٢٨٤ / القاهرة.
- ١٠١ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة - تحقيق: أحمد شاکر - دار المعارف - ١٩٦٧ / القاهرة.
- ١٠٢ - شمس العلوم - نشوان الحميري - نشرة: عبد الله الجرافي - الحلبي - ١٩٥١ / القاهرة.
- ١٠٣ - شواهد النحو الشعرية - حنا جميل حداد - رسالة دكتوراه بآداب عين شمس.
- ١٠٤ - الصابثون في حاضرهم وماضيهم - السيد عبد الرازق الحسني - مطبعة العرفان - ١٩٥٥ / صيدا - لبنان.
- ١٠٥ - صحيح البخاري - دار الشعب - ١٣٧٨ هـ / القاهرة.
- ١٠٦ - صحيح مسلم بشرح النووي - تحقيق: عبد الله أبو زينة - دار الشعب - ١٣٩٣ هـ / القاهرة.
- ١٠٧ - الصناعتين - أبو هلال العسكري - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي البجاوي - الحلبي - ١٩٧١ / القاهرة.
- (ط)
- ١٠٨ - طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص - الميمنة - ١٣٢١ / مصر.
- ١٠٩ - طبقات المفسرين - الداودي - تحقيق: علي محمد عمر - مكتبة وهبة - ١٩٧٢ / القاهرة.
- ١١٠ - طبقات النحويين - الزبيدي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر - ذخائر العرب / ٥٠.

(ع)

- ١١١ - العير في خبر من غير - الذهبي - تحقيق: رشاد عبد المطلب - مكتبة حكومة الكويت - سلسلة التراث العربي / ١٧ .
- ١١٢ - غاية النهاية في طبقات القراء - ابن الجزري - نشرة: برجستراسر - الخانجي - ١٩٣٢ / القاهرة .
- ١١٣ - غرائب القرآن و رغائب الفرقان - النيسابوري - على هامش جامع البيان للطبري - المطبعة الأميرية - ١٣٢٨ / القاهرة .

(ف)

- ١١٤ - فتح البيان - أبو الطيب البخاري - المطبعة الأميرية (١٣٠١ - ١٣٠١) القاهرة .
- ١١٥ - فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن - أبو يحيى زكريا الأنصاري على هامش السراج المنير .
- ١١٦ - فضائل القرآن - ابن كثير - بذيل التفسير - الحلبي - القاهرة .
- ١١٧ - الفهرست - ابن النديم - تحقيق: جوستاف فلوجل - مكتبة خياط - ١٩٦٤ / بيروت .

(ق)

- ١١٨ - القاموس المحيط - للفيروزآبادي - المطبعة الميمنية - القاهرة .

(ك)

- ١١٩ - الكامل في التاريخ - ابن الأثير - الأميرية - القاهرة .
- ١٢٠ - الكامل في اللغة والأدب - المبرد - تحقيق: الدكتور/ زكي مبارك - القاهرة .
- ١٢١ - الكتاب - سيويه - تحقيق: عبد السلام هارون - دار الكاتب العربي (١٩٦٦ - ١٩٧٧) القاهرة .
- ١٢٢ - كتاب التوحيد - أبو منصور الماتريدي - تحقيق: الدكتور فتح الله خليف - دار المشرق - ١٩٧٠ / القاهرة .

- ١٢٣ - كتاب السبعة في القراءات - ابن مجاهد - تحقيق: الدكتور/ شوقي ضيف - دار المعارف بمصر - ١٩٧٢ - أولى .
- ١٢٤ - كتاب كشف الأسرار - أبو العباس الأقفيسي - تصحيح: أحمد أبو علي - ١٣١٥ هـ / الإسكندرية .
- ١٢٥ - كتاب العلل - الإمام أحمد بن حنبل - تحقيق: الدكتور/ اسماعيل أوغلي ، الدكتور طلعت بيكيت - ١٩٦٣ / أنقرة - تركيا .
- ١٢٦ - الكشف - الزمخشري - الحلبي - ١٩٤٨ / القاهرة .
- ١٢٧ - كشف الظنون - حاجي خليفة - المثنى - بغداد .
- ١٢٨ - لباب النقول - جلال الدين السيوطي - مصطفى الحلبي - ١٩٥٤ / القاهرة - ثانية .
- ١٢٩ - لسان العرب - ابن منظور - بولاق - ١٣٠٣ هـ / القاهرة .

(م)

- ١٣٠ - المؤلف والمختلف - الأمدي - تحقيق: عبد الستار فراج - ١٩٦١ / القاهرة .
- ١٣١ - ما اتفق لفظه واختلف معناه - المبرد - باعتناء: عبد العزيز الميمني - السلفية - ١٣٥٠ هـ / القاهرة .
- ١٣٢ - ما ينصرف وما لا ينصرف - أبو اسحاق الزجاج - تحقيق: هدى قرأعة - ١٩٧١ / القاهرة .
- ١٣٣ - مجاز القرآن - أبو عبيدة معمر بن المثنى - تحقيق: الدكتور فؤاد سزكين الخانجي - ١٩٥٤ / القاهرة .
- ١٣٤ - المجازات النبوية - الشريف الرضي - تصحيح: محمود مصطفى - الحلبي - ١٩٣٧ / القاهرة .
- ١٣٥ - مجمع الأمثال - الميداني - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الحلبي - ١٩٧٧ / القاهرة .
- ١٣٦ - المحتسب - ابن جنبي - تحقيق: الدكتور عبد الحليم النجار، علي النجدي ناصف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (١٣٨٦ - ١٣٨٩) القاهرة .

- ١٣٧ - المخصص - ابن سيدة - بولاق (١٣١٦ - ١٣٢١ هـ) القاهرة.
- ١٣٨ - مراتب النحويين - أبو الطيب اللغوي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار نهضة مصر - ١٩٧٤ / القاهرة - ثانية.
- ١٣٩ - المسند - الإمام أحمد بن حنبل - تحقيق: الدكتور محمد عاشور، عبد القادر عطا - دار الإعتصام - القاهرة.
- ١٤٠ - مشكل الآثار - الطحاوي - حيدرآباد - ١٣٣٣ هـ / الهند - أولى.
- ١٤١ - المصون في الأدب - أبو أحمد العسكري - تحقيق: عبد السلام هارون - ١٩٦٠ / الكويت.
- ١٤٢ - معاني الحروف - الرمانى - تحقيق: الدكتور عبد الفتاح شلبي - دار نهضة مصر - ١٩٧٣ / القاهرة.
- ١٤٣ - معاني القرآن - الأخفش - المكتبة الرضوية - مشهد - إيران.
- ١٤٤ - معاني القرآن - الفراء - تحقيق: أحمد نجاتي، محمد علي النجار - دار الكتب المصرية - ١٩٥٥ / القاهرة.
- ١٤٥ - معاهد التنصيص - عبد الرحيم العباسي - المطبعة البهية - ١٣١٦ هـ / القاهرة.
- ١٤٦ - معجم شواهد العربية - عبد السلام هارون - الخازجي (١٩٧٢ - ١٩٧٣) القاهرة.
- ١٤٧ - معجم المؤلفين - عمر كحالة - المكتبة العربية بدمشق - ١٩٥٧ / سوريا.
- ١٤٨ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - ترتيب: د. أ. ي. ونسك - مطبعة بريل - ١٩٤٣ / لندن.
- ١٤٩ - مغني اللبيب - ابن هشام - تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد - بلا تاريخ.
- ١٥٠ - المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني - ١٣٧٣ / طهران.
- ١٥١ - المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية - العيني - على هامش خزانة الأدب.

١٥٢ - المقتضب - المبرد - تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (١٣٨٥ - ١٣٨٨) القاهرة.

١٥٣ - المقرَّب - ابن عصفور - مخطوط بدار الكتب المصرية - ٩٩٠ / نحو.

١٥٤ - المنصف - ابن جني - تحقيق : إبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين - الحلبي - ١٩٦٠ / القاهرة.

١٥٥ - المنهل الصافي - ابن تغري بردي - تحقيق : أحمد نجاتي - دار الكتب المصرية - ١٩٥٦ / القاهرة.

١٥٦ - الموشح - المرزباني - تحقيق : علي البجاوي - ١٩٦٥ / دار النهضة المصرية - القاهرة.

١٥٧ - ميزان الاعتدال - الذهبي - تحقيق : علي البجاوي - الحلبي - ١٩٦٣ / القاهرة.

(ن)

١٥٨ - نزهة الألبا - ابن الأنباري - مكتبة علي يوسف - القاهرة.

١٥٩ - النشر في القراءات العشر - ابن الجزري - تصحيح : علي محمد الضباع - التجارية - القاهرة.

١٦٠ - النقائص بين جرير والفرزدق - تحقيق : بيفان - ١٩٠٥ / ليدن.

١٦١ - النوادر في اللغة - أبو زيد الأنصاري - تحقيق : سعيد الشرتوني - الكاثوليكية - ١٨٩٤ / بيروت - لبنان.

١٦٢ - نيل الانتهاج - سيدي أحمد التنبكتي - على هامش الديباج المذهب.

(هـ)

١٦٣ - همع الهوامع شرح جمع الجوامع - السيوطي - نشرة : محمد بدر النعساني.

(و)

١٦٤ - وفيات الأعيان - ابن خلكان - تحقيق : محمد محي الدين - النهضة المصرية - ١٩٤٨ / القاهرة.

فهرس الموضوعات موضوعات السفر الأول

الآية	مسلسل	ص
سورة أم القرآن	مقدمة التحقيق	١ - ي
	خطبة الكتاب	١
سورة البقرة		
﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ .	قوله تعالى :	٧ ١
﴿ الرحمن الرحيم ﴾ .	قوله تعالى :	٢٢ ٢
﴿ ملك يوم الدين ﴾ .	قوله تعالى :	٢٤ ٣
﴿ ألم ﴾ .	قوله تعالى :	٢٦ ٤
﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ .	قوله تعالى :	٣١ ٥
﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون ﴾ .	قوله تعالى :	٣٢ ٦
﴿ وتركهم في ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمى فهم لا يرجعون ﴾ .	قوله تعالى :	٣٤ ٧
﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ﴾ .	قوله تعالى :	٢٧ ٨
﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا . . . ﴾ .	قوله تعالى :	٤١ ٩

الآية	مسلسل	ص
﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى ﴾ .	قوله تعالى :	٤٥ ١٠
﴿ فمن تبع هداى ﴾ .	قوله تعالى :	٤٥ ١١
﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ .	قوله تعالى :	٤٩ ١٢
﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ﴾ .	قوله تعالى :	٥١ ١٣
﴿ وإذا نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ﴾ .	قوله تعالى :	٥٣ ١٤
﴿ وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا ﴾ .	قوله تعالى :	٥٨ ١٥
﴿ فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ﴾ .	قوله تعالى :	٦٧ ١٦
﴿ وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ﴾ .	قوله تعالى :	٦٨ ١٧
﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ .	قوله تعالى :	٧٠ ١٨
﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنجارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ .	قوله تعالى :	٧٤ ١٩
﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذاً ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه ﴾ .	قوله تعالى :	٧٩ ٢٠
﴿ وقالوا لن نمسنا النار إلا أياماً معدودة ﴾ .	قوله تعالى :	٨١ ٢١
﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس ﴾ .	قوله تعالى :	٨٣ ٢٢
﴿ ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير ﴾ .	قوله تعالى :	٨٥ ٢٣
﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين	قوله تعالى :	٨٨ ٢٤

والعاكفين والركع السجود ﴿١﴾.		
﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا﴾.	قوله تعالى :	٩٠ ٢٥
﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾.	قوله تعالى :	٩١ ٢٦
﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾.	قوله تعالى :	٩٣ ٢٧
﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم﴾.	قوله تعالى :	٩٤ ٢٨
﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾.	قوله تعالى :	٩٦ ٢٩
﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾.	قوله تعالى :	١٠١ ٣٠
﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾.	قوله تعالى :	١٠٢ ٣١
﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾.	قوله تعالى :	١٠٤ ٣٢
﴿إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى﴾.	قوله تعالى :	١٠٩ ٣٣
﴿ولا تبashروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها﴾.	قوله تعالى :	١١٤ ٣٤
﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾.	قوله تعالى :	١١٦ ٣٥
﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا﴾.	قوله تعالى :	١١٩ ٣٦
﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف﴾.	قوله تعالى :	١٢٤ ٣٧

الآية	مسلسل	ص
﴿ ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ .	قوله تعالى :	٣٨ ١٢٥
﴿ فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف ﴾ .	قوله تعالى :	٣٩ ١٢٧
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ﴾ .	قوله تعالى :	٤٠ ١٣٠
﴿ يمحى الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾ .	قوله تعالى :	٤١ ١٣٢
﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ .	قوله تعالى :	٤٢ ١٣٥
﴿ فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ .	قوله تعالى :	٤٣ ١٣٨
سورة آل عمران		
﴿ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل ﴾ .	قوله تعالى :	٤٤ ١٤١
﴿ كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله ذو العقاب ﴾ .	قوله تعالى :	٤٥ ١٤٤
﴿ تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ﴾ .	قوله تعالى :	٤٦ ١٥٠
﴿ ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴾ .	قوله تعالى :	٤٧ ١٥١
﴿ أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر ﴾ .	قوله تعالى :	٤٨ ١٥٣
﴿ قال رب اجعل لي آية ﴾ .	قوله تعالى :	٤٩ ١٥٤
﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾ .	قوله تعالى :	٥٠ ١٥٥
﴿ إن الله ربي وربكم فاعبدوه ﴾ .	قوله تعالى :	٥١ ١٦١
﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال	قوله تعالى :	٥٢ ١٦٥

الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون ﴿٥٣﴾	قوله تعالى:	١٦٦	٥٣
﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق﴾			
﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾	قوله تعالى:	١٦٨	٥٤
﴿وما جعله الله إلا بشراً لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾	قوله تعالى:	١٦٩	٥٥
﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض﴾	قوله تعالى:	١٧١	٥٦
﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾	قوله تعالى:	١٧٦	٥٧
﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾	قوله تعالى:	١٧٧	٥٨
﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾	قوله تعالى:	١٨٠	٥٩
﴿فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير﴾	قوله تعالى:	١٨١	٦٠
﴿وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾	قوله تعالى:	١٨٣	٦١

سورة النساء

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾	قوله تعالى:	١٨٥	٦٢
﴿ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾	قوله تعالى:	١٩٢	٦٣

ص	مسلسل	الآية
١٩٣	٦٤	﴿ومن يطمع الله ورسوله يُدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾.
١٩٩	٦٥	﴿ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً﴾.
٢٠٠	٦٦	﴿محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴾.
٢٠٠	٦٧	﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾.
٢٠٣	٦٨	﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفوراً﴾.
٢٠٧	٦٩	﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء..﴾.
٢٠٩	٧٠	﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً﴾.
٢١٢	٧١	﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾.
٢١٤	٧٢	﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين - الآية﴾.
٢١٦	٧٣	﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً..﴾.
٢١٨	٧٤	﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكماً..﴾.
٢٢١	٧٥	﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾.
٢٢٢	٧٦	﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً﴾.

٢٢٥ ٧٧ قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخَفَوْهُ أَوْ تَعَفَوْا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾.

سورة المائدة

٢٢٩ ٧٨ قوله تعالى: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ﴾.

٢٣٢ ٧٩ قوله تعالى: ﴿يَسْتَتِغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾.

٢٣٥ ٨٠ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ هَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾.

٢٣٧ ٨١ قوله تعالى: ﴿وَلِيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٢٣٩ ٨٢ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

٢٤٢ ٨٣ قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

٢٤٤ ٨٤ قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

٢٤٧ ٨٥ قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾.

٢٤٩ ٨٦ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٢٥٠ ٨٧ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ . . .﴾.

٢٥٢ ٨٨ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٢٥٤ ٨٩ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

الآية	ص	م	سلسل
﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم﴾.	٢٧١	٩٠	قوله تعالى :
﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا...﴾.	٢٧٤	٩١	قوله تعالى :
﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾.	٢٧٦	٩٢	قوله تعالى :

سورة الأنعام

﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون﴾.	٢٨٠	٩٣	قوله تعالى :
﴿ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم﴾.	٢٨٢	٩٤	قوله تعالى :
﴿قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾.	٢٨٩	٩٥	قوله تعالى :
﴿وذلك الفوز المبين﴾.	٢٩٤	٩٦	قوله تعالى :
﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾.	٢٩٥	٩٧	قوله تعالى :
﴿ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون﴾.	٢٩٩	٩٨	قوله تعالى :
﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً...﴾.	٣٠٤	٩٩	قوله تعالى :
﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾.	٣١١	١٠٠	قوله تعالى :
﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو﴾.	٣١٣	١٠١	قوله تعالى :
﴿وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾.	٣١٧	١٠٢	قوله تعالى :
﴿وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه﴾.	٣٢٠	١٠٣	قوله تعالى :

الآية	ص	م	س
﴿ قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ﴾ .	١٠٤	٣٢٢	قوله تعالى :
﴿ فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ﴾ .	١٠٥	٣٢٦	قوله تعالى :
﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك ﴾ .	١٠٦	٣٢٧	قوله تعالى :
﴿ إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴾ .	١٠٧	٣٣٠	قوله تعالى :
﴿ والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ﴾ .	١٠٨	٣٣٢	قوله تعالى :
﴿ ولقد جثتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾ .	١٠٩	٣٣٣	قوله تعالى :
﴿ قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾ .	١١٠	٣٣٤	قوله تعالى :
﴿ والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ﴾ .	١١١	٣٣٨	قوله تعالى :
﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴾ .	١١٢	٣٤١	قوله تعالى :
﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ .	١١٣	٣٤٢	قوله تعالى :
﴿ إن ربك هو أعلم من يفضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ .	١١٤	٣٤٤	قوله تعالى :
﴿ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴾ .	١١٥	٣٤٦	قوله تعالى :
﴿ ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ .	١١٦	٣٤٨	قوله تعالى :
﴿ يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون ﴾ .	١١٧	٣٥٠	قوله تعالى :
﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آبلؤنا... ﴾ .	١١٨	٣٥١	قوله تعالى :

﴿ قل تعالوا أتل ما حَرَّمَ ربكم عليكم . . . ﴾	قوله تعالى :	١١٩	٣٥٣
﴿ ذلكم وصاؤكم به لعلكم تعقلون ﴾	قوله تعالى :	١٢٠	٣٥٤
﴿ وأنا أول المسلمين ﴾	قوله تعالى :	١٢١	٣٥٦
﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾	قوله تعالى :	١٢٢	٣٥٨
﴿ إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم ﴾	قوله تعالى :	١٢٣	٣٦٠

سورة الأعراف

﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . . . ﴾	قوله تعالى :	١٢٤	٣٦١
﴿ قال أنظرني إلى يوم يبعثون ﴾	قوله تعالى :	١٢٥	٣٦٤
﴿ قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم . . . ﴾	قوله تعالى :	١٢٦	٣٦٦
﴿ وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾	قوله تعالى :	١٢٧	٣٦٩
﴿ فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرون كافرون ﴾	قوله تعالى :	١٢٨	٣٧٠
﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت . . . ﴾	قوله تعالى :	١٢٩	٣٧١
﴿ لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾	قوله تعالى :	١٣٠	٣٨٤
﴿ قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين . . . ﴾	قوله تعالى :	١٣١	٣٩٢
﴿ أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾	قوله تعالى :	١٣٢	٤٠٠
﴿ فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين	قوله تعالى :	١٣٣	٤٠٤

كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين ﴿١﴾		
﴿١﴾ قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم ﴿٢﴾	قوله تعالى :	١٣٤ ٤٠٧
﴿٢﴾ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴿٣﴾	قوله تعالى :	١٣٥ ٤٠٨
﴿٣﴾ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴿٤﴾	قوله تعالى :	١٣٦ ٤١١
﴿٤﴾ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴿٥﴾	قوله تعالى :	١٣٧ ٤١٨
﴿٥﴾ وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴿٦﴾	قوله تعالى :	١٣٨ ٤٢٩
﴿٦﴾ تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل . . . ﴿٧﴾	قوله تعالى :	١٣٩ ٤٣٠
﴿٧﴾ قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم . . . ﴿٨﴾	قوله تعالى :	١٤٠ ٤٣٤
﴿٨﴾ وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين . . . ﴿٩﴾	قوله تعالى :	١٤١ ٤٤٠
﴿٩﴾ قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين ﴿١٠﴾	قوله تعالى :	١٤٢ ٤٤٢
﴿١٠﴾ قالوا آمنا برب العالمين . . . ﴿١١﴾	قوله تعالى :	١٤٣ ٤٤٣
﴿١١﴾ قال فرعون أمتهم به قبل أن أذن لكم ﴿١٢﴾	قوله تعالى :	١٤٤ ٤٤٣
﴿١٢﴾ فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴿١٣﴾	قوله تعالى :	١٤٥ ٤٤٦
﴿١٣﴾ ثم لأصلبنكم اجمعين ﴿١٤﴾	قوله تعالى :	١٤٦ ٤٤٧
﴿١٤﴾ قالوا إنا إلى ربنا منقلبون ﴿١٥﴾	قوله تعالى :	١٤٧ ٤٤٩
﴿١٥﴾ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله . . . ﴿١٦﴾	قوله تعالى :	١٤٨ ٤٥٠
﴿١٦﴾ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴿١٧﴾	قوله تعالى :	١٤٩ ٤٥١

سورة الأنفال

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.	قوله تعالى:	١٥٠	٤٥٤
---	-------------	-----	-----

سورة براءة = التوبة

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.	قوله تعالى:	١٥١	٤٥٦
﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.	قوله تعالى:	١٥٢	٤٥٨
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.	قوله تعالى:	١٥٣	٤٦١
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.	قوله تعالى:	١٥٤	٤٦٢
﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾.	قوله تعالى:	١٥٥	٤٦٤
﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.	قوله تعالى:	١٥٦	٤٦٧
﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطُّولِ مِنْهُمْ﴾.	قوله تعالى:	١٥٧	٤٧٠
﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ﴾.	قوله تعالى:	١٥٨	٤٧١
﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾.	قوله تعالى:	١٥٩	٤٧٧

سورة يونس

﴿أَلَسْ. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾.	قوله تعالى:	١٦٠	٤٧٨
--	-------------	-----	-----

الآية	ص	مسلسل
﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾.	١٦١	٤٨٤
﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض﴾.	١٦٢	٤٨٥
﴿كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾.	١٦٣	٤٨٦
﴿ألا إن الله ما في السموات والأرض إلا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾.	١٦٤	٤٨٩
﴿ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهو لا يظلمون﴾.	١٦٥	٤٩٢
﴿إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾.	١٦٦	٤٩٥
﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾.	١٦٧	٤٩٦
﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبعوثاً صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم﴾.	١٦٨	٥٠٠
﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾.	١٦٩	٥٠٣
﴿فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾.	١٧٠	٥٠٦

فهرس موضوعات السفر الثاني

الآية	محل	ص
سورة هود عليه السلام		
﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور﴾.	قوله تعالى :	١٧١ ٥٠٩
﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه...﴾.	قوله تعالى :	١٧٢ ٥١٠
﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾.	قوله تعالى :	١٧٣ ٥١١
﴿قل يا قوم أرايتم ان كنتم على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم﴾.	قوله تعالى :	١٧٤ ٥١٣
﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار الثور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول﴾.	قوله تعالى :	١٧٥ ٥١٦
﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا﴾.	قوله تعالى :	١٧٦ ٥١٨
﴿وأطيعوا في هذه الدنيا لعنة﴾.	قوله تعالى :	١٧٧ ٥١٩
﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوًا قبل هذا...﴾.	قوله تعالى :	١٧٨ ٥٢١
﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جائمين﴾.	قوله تعالى :	١٧٩ ٥٢٢

ص	مسلسل	الآية
٥٢٣	١٨٠	﴿ألا إن ثمودا كفروا ربهم ألا بعداً لثمود﴾ .
٥٢٦	١٨١	﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً . . .﴾ .
٥٢٧	١٨٢	﴿قالوا يا لوط إنا نرسل ربك لن يصلوا إليك . . .﴾ .
٥٢٨	١٨٣	﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل﴾ .
٥٢٩	١٨٤	﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون ومكه فاتبعوا أمر فرعون﴾ .
٥٣٢	١٨٥	﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ .
سورة يوسف عليه السلام		
٥٣٥	١٨٦	﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ .
٥٣٨	١٨٧	﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ .
٥٤٠	١٨٨	﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى﴾ .
٥٤٢	١٨٩	﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم . . .﴾ .
سورة الرعد		
٥٤٧	١٩٠	﴿المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق﴾ .
٥٦٠	١٩١	﴿وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين . . .﴾ .
٥٦٢	١٩٢	﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ .
		﴿وكرهاً﴾ .

ص	مسلسل	الآية
٥٦٣	١٩٣	﴿ قل من رب السموات والأرض قل الله . . . ﴾ .
٥٦٦	١٩٤	﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا ﴾ .
٥٦٨	١٩٥	﴿ فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب ﴾ .
٥٦٩	١٩٦	﴿ وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ﴾ .
٥٧١	١٩٧	﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلناهم أزواجاً وذرية ﴾ .
سورة إبراهيم عليه السلام.		
٥٧٤	١٩٨	﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ .
٥٧٧	١٩٩	﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ﴾ .
٥٨٠	٢٠٠	﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ .
٥٨١	٢٠١	﴿ هذا بلاغ للناس لينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد . . ﴾ .
سورة الحجّـر		
٥٨٣	٢٠٢	﴿ تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ .
٥٨٣	٢٠٣	﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين . . . ﴾ .
٥٨٤	٢٠٤	﴿ كذلك نسلكه في قلوب المجرمين ﴾ .
٥٨٦	٢٠٥	﴿ فأخرج منها فإنيك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ﴾ .
٥٨٧	٢٠٦	﴿ إنا نبشرك بغلام عليم ﴾ .
٥٨٨	٢٠٧	﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين . . . ﴾ .
٥٩١	٢٠٨	﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ .

سورة النحل

﴿يَنْبِتْ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ . . .﴾ .	قوله تعالى :	٢٠٩	٥٩٣
﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَسْرى الْفُلُكُ مَوَاطِرَ فِيهِ . . .﴾ .	قوله تعالى :	٢١٠	٥٩٦
﴿فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَشِّرْهُم بِمَثْوًى مِنْهُمُ الْكَافِرِينَ﴾ .	قوله تعالى :	٢١١	٦٠٠
﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ .	قوله تعالى :	٢١٢	٦٠١
﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ .	قوله تعالى :	٢١٣	٦٠٣
﴿وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .	قوله تعالى :	٢١٤	٦٠٥
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ذَابَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ .	قوله تعالى :	٢١٥	٦٠٦
﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ .	قوله تعالى :	٢١٦	٦٠٨
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَرْدُ إِلَى أَرْدَلِ الْعَمَرِ لَكِي لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ .	قوله تعالى :	٢١٧	٦١١
﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ .	قوله تعالى :	٢١٨	٦١٣
﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ .	قوله تعالى :	٢١٩	٦١٦
﴿أَلَمْ يَرْوِا إِلَى الطَّيْرِ مَسْجِرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ .	قوله تعالى :	٢٢٠	٦١٨

﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون﴾.	قوله تعالى:	٢٢١	٦١٩
﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾.	قوله تعالى:	٢٢٢	٦٢٤
﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق...﴾.	قوله تعالى:	٢٢٣	٦٢٦
سورة بني إسرائيل: الإسراء			
﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن ليعلموا وما يزيدهم إلا نفوراً﴾.	قوله تعالى:	٢٢٤	٦٢٩
﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾.	قوله تعالى:	٢٢٥	٦٣٢
﴿أفأنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً...﴾.	قوله تعالى:	٢٢٦	٦٣٤
﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً﴾.	قوله تعالى:	٢٢٧	٦٣٧
﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا﴾.	قوله تعالى:	٢٢٨	٦٣٩

سورة الكهف

﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾.	قوله تعالى:	٢٢٩	٦٤٠
﴿ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً﴾.	قوله تعالى:	٢٣٠	٦٤٤
﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها﴾.	قوله تعالى:	٢٣١	٦٤٧
﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾.	قوله تعالى:	٢٣٢	٦٥٢
﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾.	قوله تعالى:	٢٣٣	٦٥٣
﴿فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقباً﴾.	قوله تعالى:	٢٣٤	٦٥٤

ص	مسلسل	الآية
٦٥٥	٢٣٥	﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما ألهمكم إله واحد ﴾ .
سورة مريم عليها السلام		
٦٥٧	٢٣٦	﴿ وبرا بوالدته ولم يكن جباراً عصياً ﴾ .
٦٥٩	٢٣٧	﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ .
٦٦١	٢٣٨	﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر ﴾ .
٦٦٣	٢٣٩	﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً ﴾ .
٦٦٥	٢٤٠	﴿ فسوف يلقون غياً إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ﴾ .
سورة طه		
٦٦٧	٢٤١	﴿ هل أتاك حديث موسى . إذ رأى ناراً فقال لأهله أمكثوا إنني آنست ناراً . . . ﴾ .
٦٧٥	٢٤٢	﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها ﴾ .
٦٧٨	٢٤٣	﴿ إذهب إلى فرعون إنه طغى . قال رب اشرح لي صدري . . . ﴾ .
٦٨١	٢٤٤	﴿ فأتياه فقولا إنا رسول ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ﴾ .
٦٨٤	٢٤٥	﴿ الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك فيها سهلاً ﴾ .
٦٨٦	٢٤٦	﴿ ومن يعمل الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ .
٦٨٧	٢٤٧	﴿ أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ﴾ .

٦٨٩ ٢٤٨ قوله تعالى: ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾.

سورة الأنبياء عليهم السلام

٦٩١ ٢٤٩ قوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون﴾.

٦٩٤ ٢٥٠ قوله تعالى: ﴿وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذوك إلا هزوا...﴾.

٦٩٦ ٢٥١ قوله تعالى: ﴿ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما يتذرون﴾.

٦٩٧ ٢٥٢ قوله تعالى: ﴿إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون...﴾.

٧٠٠ ٢٥٣ قوله تعالى: ﴿وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾.

٧٠١ ٢٥٤ قوله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾.

٧٠٤ ٢٥٥ قوله تعالى: ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا﴾.

٧٠٧ ٢٥٦ قوله تعالى: ﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون...﴾.

سورة الحج

٧١٤ ٢٥٧ قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة...﴾.

٧١٦ ٢٥٨ قوله تعالى: ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾.

٧١٩ ٢٥٩ قوله تعالى: ﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة﴾.

٧٢٠ ٢٦٠ قوله تعالى: ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.	قوله تعالى:	٢٦١	٧٢٢
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾.	قوله تعالى:	٢٦٢	٧٢٣
﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.	قوله تعالى:	٢٦٣	٧٢٦

سورة المؤمنين

﴿وَقَدْ أَقْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ...﴾.	قوله تعالى:	٢٦٤	٧٢٦
﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِي كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا شَرٌّ مِثْلَكُمْ يَرِيدُ أَنْ يُتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾.	قوله تعالى:	٢٦٥	٧٣١
﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غِشَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.	قوله تعالى:	٢٦٦	٧٣٤
﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.	قوله تعالى:	٢٦٧	٧٣٥
﴿قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ...﴾.	قوله تعالى:	٢٦٨	٧٣٦

سورة النور

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾.	قوله تعالى:	٢٦٩	٧٤٠
﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.	قوله تعالى:	٢٧٠	٧٤٢

سورة الفرقان

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.	قوله تعالى:	٢٧١	٧٤٣
---	-------------	-----	-----

سورة الشعراء

﴿ قالوا لا خير إنا إلى ربنا منقلبون ﴾ .	قوله تعالى :	٢٧٢	٧٤٤
﴿ واتل عليهم نبأ إبراهيم . إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . . ﴾ .	قوله تعالى :	٢٧٣	٧٤٦
﴿ الذي خلقتني فهو يهدين . والذي يطعمني ويسقين . . ﴾ .	قوله تعالى :	٢٧٤	٧٤٨
﴿ ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين ﴾ .	قوله تعالى :	٢٧٥	٧٤٩

سورة النمل

﴿ فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب . . ﴾ .	قوله تعالى :	٢٧٦	٧٥٠
﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . . ﴾ .	قوله تعالى :	٢٧٧	٧٥٤

سورة القصص

﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ .	قوله تعالى :	٢٧٨	٧٥٦
﴿ وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون ﴾ .	قوله تعالى :	٢٧٩	٧٥٩
﴿ قل أرايتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ﴾ .	قوله تعالى :	٢٨٠	٧٦١

سورة العنكبوت

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما . . ﴾ .	قوله تعالى :	٢٨١	٧٦٢
﴿ وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴾ .	قوله تعالى :	٢٨٢	٧٦٦

﴿فَمَا كَانَ مِنْ جِوَابِ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾.	قوله تعالى :	٢٨٣	٧٦٧
﴿وَمَا يَجِدُ بآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ . وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ . . .﴾.	قوله تعالى :	٢٨٤	٧٦٩
﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى تُوَفِّكُونَ﴾.	قوله تعالى :	٢٨٥	٧٦٩

سورة الروم

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . . .﴾.	قوله تعالى :	٢٨٦	٧٧٤
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا . . .﴾.	قوله تعالى :	٢٨٧	٧٨١
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ . . .﴾.	قوله تعالى :	٢٨٨	٧٨٤
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصْدَعُونَ﴾.	قوله تعالى :	٢٨٩	٧٨٦
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مَبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ . . .﴾.	قوله تعالى :	٢٩٠	٧٨٨

سورة لقمان

﴿وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلِيَ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لِمَنْ يَسْمَعُهَا . . .﴾.	قوله تعالى :	٢٩١	٧٨٩
﴿يَا بَنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ . . .﴾.	قوله تعالى :	٢٩٢	٧٩٠
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾.	قوله تعالى :	٢٩٣	٧٩١

سورة السجدة

﴿وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾. ٧٩٢ ٢٩٤ قوله تعالى :

سورة الأحزاب

﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً﴾. ٧٩٣ ٢٩٥ قوله تعالى :

﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله مقدراً مقدوراً﴾. ٧٩٥ ٢٩٦ قوله تعالى :

سورة مباء

﴿إن في ذلك لآية لكل عبد منيب﴾. ٧٩٩ ٢٩٧ قوله تعالى :

سورة الملائكة ويس

.....

سورة «الصفاءات»

﴿وقالوا إن هذا إلا سحر مبين. أثذا متشا وكنا تراباً وعظاماً...﴾. ٨٠٢ ٢٩٨ قوله تعالى :

﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾. ٨٠٣ ٢٩٩ قوله تعالى :

﴿فبشرناه بغلام حليم﴾. ٨٠٥ ٣٠٠ قوله تعالى :

﴿وأبصرهم فسوف يبصرون﴾. ٨٠٦ ٣٠١ قوله تعالى :

سورة «ص»

﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾. ٨٠٧ ٣٠٢ قوله تعالى :

﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وعباد وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم لوط... ﴾	قوله تعالى:	٣٠٣	٨٠٩
﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب... ﴾	قوله تعالى:	٣٠٤	٨١٧

سورة الزمر

﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾	قوله تعالى:	٣٠٥	٨٢٤
﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون من المسلمين ﴾	قوله تعالى:	٣٠٦	٨٢٦
﴿ يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً ﴾	قوله تعالى:	٣٠٧	٨٢٨
﴿ وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزون ﴾	قوله تعالى:	٣٠٨	٨٣٠
﴿ حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ﴾	قوله تعالى:	٣٠٩	٨٣٣

سورة المؤمن : غافر

﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم... ﴾	قوله تعالى:	٣١٠	٨٣٧
﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس... ﴾	قوله تعالى:	٣١١	٨٣٩
﴿ قل ائتكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ﴾	قوله تعالى:	٣١٢	٨٤٢
﴿ حتى إذا جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم... ﴾	قوله تعالى:	٣١٣	٨٤٢
﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه... ﴾	قوله تعالى:	٣١٤	٨٤٤
﴿ أرايتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد ﴾	قوله تعالى:	٣١٥	٨٤٥

سورة الشورى

﴿الله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إنثاً ويهب لمن يشاء الذكور...﴾. ٣١٦ ٨٤٧ قوله تعالى:

سورة الزخرف

﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم...﴾. ٣١٧ ٨٤٩ قوله تعالى:
﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾. ٣١٨ ٨٥١ قوله تعالى:

سورة الجاثية

﴿إن في السموات والأرض لايات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة...﴾. ٣١٩ ٨٥٢ قوله تعالى:

سورة الأحقاف

.....

سورة القتال: محمد

﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾. ٣٢٠ ٨٥٥ قوله تعالى:
﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة﴾. ٣٢١ ٨٥٧ قوله تعالى:

سورة الفتح

﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم...﴾.
﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا﴾.
﴿قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضرراً أو أراد بكم نقماً...﴾. ٣٢٢ ٨٥٧ قوله تعالى:
٣٢٣ ٨٥٩ قوله تعالى:
٣٢٤ ٨٦٠ قوله تعالى:

سورة الحجرات

سورة «ق»

﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد...﴾ قوله تعالى: ٣٢٥ ٨٦١

سورة «الذاريات»

﴿إن ما توعدون لصادق. وإن الدين لواقع﴾ قوله تعالى: ٣٢٦ ٨٦٢

﴿إن المتقين في جنات وعيون. آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين...﴾ قوله تعالى: ٣٢٧ ٨٦٤

﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ قوله تعالى: ٣٢٨ ٨٦٦

﴿ففرروا إلى الله إنني لكم منه نذير مبين...﴾ قوله تعالى: ٣٢٩ ٨٦٧

سورة «الطور»

﴿ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون﴾ قوله تعالى: ٣٣٠ ٨٧٠

﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون أم يريدون كيدا﴾ قوله تعالى: ٣٣١ ٨٧٢

سورة «النجم»

﴿تلك إذا قسمة ضيزى. إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآبؤكم...﴾ قوله تعالى: ٣٣٢ ٨٧٦

سورة القمر

﴿كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر. إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر...﴾ قوله تعالى: ٣٣٣ ٨٧٨

سورة الرحمن

﴿والسمااء رفعها ووضع الميزان. ألا تطفوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ قوله تعالى: ٣٣٤ ٨٨١

٨٨٥ ٣٣٥ قوله تعالى: ﴿فَبَايَ آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

سورة الواقعة

٨٨٩ ٣٣٦ قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ أَن تَكْفُرُوا بِهِ أَمْ لَهُمْ آلَاءُ فَتَنُوتُمْ بِهِ كَقَوْمِ ثَوْدَاقٍ﴾.

سورة الحديد

٨٩٠ ٣٣٧ قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

٨٩١ ٣٣٨ قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٨٩٢ ٣٣٩ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ﴾.

٨٩٣ ٣٤٠ قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾.

سورة المجادلة

٨٩٥ ٣٤١ قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

سورة الحشر

٨٩٧ ٣٤٢ قوله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

سورة الممتحنة

٨٩٨ ٣٤٣ قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾.

سورة المنافقين

٩٠٠ ٣٤٤ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا عَلَيْهِمْ وَلَا يَكُنُوا عَنْهُمْ مُتَمَتِّعِينَ﴾.

حتى ينفضُوا...﴾.

سورة التغابن

- ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾. ٩٠٢ ٣٤٥ قوله تعالى :
﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته...﴾. ٩٠٣ ٣٤٦ قوله تعالى :

سورة الطلاق

- ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾.
٩٠٥ ٣٤٧ قوله تعالى :
﴿ألمنتسم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور...﴾. ٩٠٨ ٣٤٨ قوله تعالى :

سورة القلم

- ﴿ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم...﴾. ٩٠٩ ٣٤٩ قوله تعالى :

سورة الحاقة

- ﴿وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون...﴾. ٩١١ ٣٥٠ قوله تعالى :

سورة المعارج

سورة نوح عليه السلام

- ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضللاً﴾. ٩١٢ ٣٥١ قوله تعالى :

سورة الجن

- ﴿عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحداً﴾. ٩١٣ ٣٥٢ قوله تعالى :

سورتا المزمل والمدثر

- ﴿يا أيها المزمل. قم الليل...﴾. ٩٢٦ ٣٥٣ قوله تعالى :

ص	مسلسل	الآية
٩٢٨	٣٥٤	قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ...﴾.
٩٣١	٣٥٥	قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ. كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ...﴾.
سورة القيامة		
٩٣٢	٣٥٦	قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾.
٩٣٣	٣٥٧	قوله تعالى: ﴿أَوَّلَى لَكَ فَأُولَى. ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأُولَى﴾.
سورة الإنسان		
٩٣٥	٣٥٨	قوله تعالى: ﴿وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِآثَانِ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا...﴾.
سورة «المراسلات»		
٩٣٦	٣٥٩	قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
سورة التساؤل: النبأ		
٩٣٩	٣٦٠	قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾.
٩٤٠	٣٦١	قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا جِزَاءً وَفَاقًا﴾.
سورة «النازعات»		
٩٤٣	٣٦٢	قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾.
سورة التكويم		
٩٤٥	٣٦٣	قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾.
٩٤٦	٣٦٤	قوله تعالى: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾.
سورة الإنشقاق		
٩٤٨	٣٦٥	قوله تعالى: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾.

الآية	مسلسل	ص
﴿بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون﴾.	قوله تعالى: ٣٦٦	٩٤٩
سورة البلد		
﴿لا أقسم بهذا البلد. وأنت حل بهذا البلد﴾.	قوله تعالى: ٣٦٧	٩٥٠
﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾.	قوله تعالى: ٣٦٨	٩٥٢
سورة ألم نشرح لك صدرك		
﴿فإن مع العسر يسرا. إن مع العسر يسرا﴾.	قوله تعالى: ٣٦٩	٩٥٣
سورة العلق		
﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق﴾.	قوله تعالى: ٣٧٠	٩٥٤
سورة التكاثر		
﴿كلا سوف تعلمون. ثم كلا سوف تعلمون﴾.	قوله تعالى: ٣٧١	٩٥٤
سورة الكافرين		
﴿لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد...﴾.	قوله تعالى: ٣٧٢	٩٥٤
سورة الإخلاص		
﴿قل هو الله أحد﴾.	قوله تعالى: ٣٧٣	٩٥٩
سورة الفلق		
﴿ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد﴾.	قوله تعالى: ٣٧٤	٩٦٤
سورة الناس		
﴿قل أعوذ برب الناس﴾.	قوله تعالى: ٣٧٥	٩٦٩

